

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

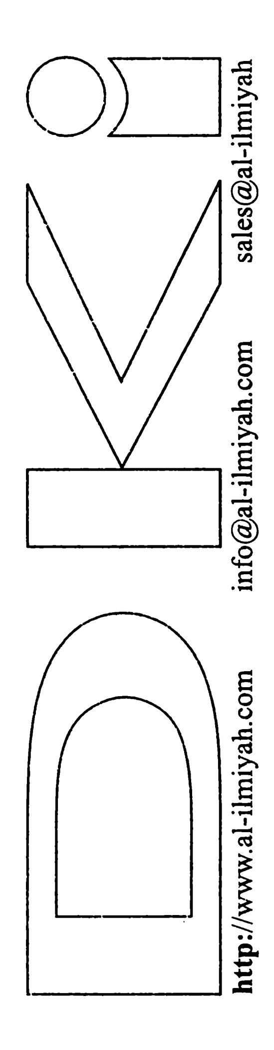
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء الرابع

المحتوى:

من أول سورة يونس - إلى آخر سورة الحجر





الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن **Title :** RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN	
التصنيف : تفسير قرآن **Classification:** Exegesis of the Qur'an	
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ) **Author :** Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)	
المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن **Editor :** Abdullatif Hassan Abdulrahman	
الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت **Publisher:** Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut	

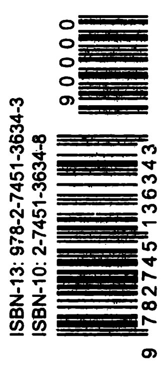
Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	**عدد الصفحات**
Size	17x24 cm	**قياس الصفحات**
Year	2018 A.D. - 1439 H.	**سنة الطباعة**
Printed in	Lebanon لبنــان	**بلد الطباعة**
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	**الطبعة**

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢+
فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور، وجعله منهلاً عذباً للورود والصدور، أظهره من مقام الجمع والتنزيه والنون فألزمه حجة لأهل الظواهر والبطون، جمع فيه علوم الأولين والآخرين فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، والصلاة والسلام على من أوحى إليه ذلك القرآن من لوح الوجوب والأمر والشان سيدنا محمد الذي أجرى من مسجله ما يحاكى السلسبيل والرحيق وأفحم بلاغته كل متكلم منطيق وفسر الآيات في الأنفس والآفاق على مراد الله الملك الخلاق وعلى آله وأصحابه المقتبسين من مشكاة أنواره المغترفين من بحار أسراره، المتفردين في رياض البيان بالخطب العرفانية، المترنمين من مروج العيان بالكلمات الحقانية ومن تبعهم ممن تخلق بالقرآن في كل زمان ما طلع المرزمان (وبعد) فيقول العبد المعترف بذنبه وخطاه المنادي لربه في عفوه وعطاه، الراجي في إسبال سجاف الندى عليه المناجي في إرسال رسول الهدى إليه الشيخ سمى الذبيح إسماعيل حق الجلوتي بالجيم حفظه الله سبحانه وأخلاءه وأعاذه وإياهم من الشيطان الرجيم، وجعل يومه خيراً من أمسه إلى الإياس من حياة نفسه وخلع عليه خلعة الترقي وأسعده بالمقام الحقي: إن علم التفسير لا يقحم في معاركه كل ذمير وإن كان أسداً ولا يحمل لواءه كل أمير وإن مات حسداً، وذلك أظهر من أن يورد عليه دليل كالنيرين لغير كليل ومع خطر هذا الأمر فالأمد قصير وفي العبد تقصير وكم ترى من نحرير كامل في التحرير والتقرير قد أصابه سهم القضاء قبل بلوغ الأمل وذلك بحلول ريب المنون والأجل أو بتطاول يد الزمان فإن الدنيا لا تصفو لشارب وإن كانت ماء الحيوان وأي وجود لا ينسج عليه عناكب العاهات وأي نعيم لا يكدر الدهر هيهات وإني لما أتممت الدفتر الأول من هذا الجمع المعول المسمى بـ (روح البيان في تفسير القرآن). على ما ألقي في روعي من نفث روح القدس، وألهم لي من مقام الملكوت وحضرة الأنس، وأوقفت القلم عند منتهاه من السير على وجه لم يسبقني إليه الغير رأيت رؤيا هالتني وأذعرتني وعن خطب جليل أخبرتني فلما تفكرت في تعبيرها والمراد منها واستفتيت قلبي في كشف القناع عنها استبان لي أن الله تعالى فسح في مدتي وانسأ حمامي إلى حصول منيتي لكن لم يعرّف الحد بل أبهم لكونه بالنسبة إليّ مر وما غير أهم إلا أني وجدت السن قد ناهزت الأربعين وقد اشمط الرأس ولهزم الشيب الخدّ على اليقين ورأيت أن أركان الوجود تضعضعت من ضعف الكبر وقوة الفتور وإن شمس القوى قد توجهت إلى الأفول بعد الظهور وإن الفكرة قد فهدت كعبود وإن القلب كأنما غرز بإبر بل بسفود ومن ثم دمست وجوه المحابر وانشقت جيوب الأقلام وتطايرت الصحف كأيادي سبا كأنهن في مأتم الآلام فوضعت الديباجة على عتبة الباب وأتربت الجبهة لمسبب الأسباب ووجهت ركاب التوجه إلى جنابه الرفيع وأدمعت العين رجاء أن يكون لي خير شفيع

في أن يشد عضدي في إتمام الدفتر الثاني والثالث ويعوق عني صروف الدهر والحوادث ويحرك من عطفي إلى قضاء هذا الوطر وإن كان جسيماً وكان فضل الله عظيماً ومن ديدني في هذا الجمع أن لا أكثر من وجوه التفسير، بل اقتصر على ما ينحل به عقد الآي على وجه يسير مع توشيحات خلت عنها التفاسير الأول من المجلدات الصغر والكبر والطول وتذييلات ينسرّ بذكرها صدور أهل التذكير والعظة مع نبذ مزجت في كل مجلس من الأبيات الفارسية الدرية لتكون عبرة موقظة ومن دأبي أيضاً أن لا أغير عبارات المآخذ إلا لأن يتجاوب الكلم أو يكون المقام مما يقال فيه لا أو لم، وأشرت إلى بعض اللوائح بقولي يقول الفقير، وأدرجت بعضها في خلال التقرير، ووقع الشروع في هذا المجلد في العشر الثاني من الثلث الثالث من السدس الثاني من النصف الثاني من العشر الثاني من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية. وكان البدء كالأول في مهاجري ومراغمي بلدة بروسة المحروسة لا زالت أقطارها بالأرواح القدسية مأنوسة، اللهم كما عودتني في الأول خيراً كثيراً، يسر لي الأمر في الآخر تيسيراً واجعل رقيمي هذا سبباً لبياض الوجه كما تبيض وجوه أوليائك، وامح مسودات صحائف أعمالي بجاه حبيبك محمد أحب أنبيائك ولم أكن بدعائك رب شقياً بكرة وعشياً ما دمت حياً، فلك الحمد في الأولى والأخرى على عناياتك الكبرى. وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة يونس

مكية وهي مائة وتسع آيات بينات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم آلر﴾ الظاهر أن ﴿الر﴾ اسم للسورة وإنه في محل الرفع على إنه مبتدأ حذف خبره أو خبر مبتدأ محذوف أي: الر هذه السورة أو هذه السورة الر أي: مسماة بهذا الاسم ولله أن يسمي السور بما أراد.

ورجحه المولى أبو السعود رحمه الله حيث قال: وهو أظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الإخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب، والإشارة إليها قبل جريان ذكرها لما إنها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا من اشترى فلان انتهى.

يقول الفقير: اعلم أن الحروف أجزاء الكلمات وهي أجزاء الجمل وهي أجزاء الآيات وهي أجزاء السور وهي أجزاء القرآن فالقرآن ينحل إلى السور وهي إلى الآيات وهي إلى الجمل وهي إلى الكلمات وهي إلى الحروف وهي إلى النقاط كما أن البحر يأول إلى الأنهار والجداول وهي إلى القطرات فاصل الكل نقطة واحدة وإنما جاء الكثرة من انبساط تلك النقطة وتفصلها.

وقول أهل الظاهر في ﴿الر﴾ وأمثاله تعديد على طريق التحدي لا يخلو عن ضعف، إذ هذه الحروف المقطعة لها مدلولات صحيحة وهي زبدة علوم الصوفية المحققين.

وقد ثبت أن النبي ﷺ أوتي علوم الأولين والآخرين. فمن علوم آدم وإدريس عليهما السلام علم الحروف وإنما ذمت الطائفة الحروفية لأخذهم بالإشارة ورفضهم العبارة وهتكهم حرمة الشريعة التي هي لباس الحقيقة كما أن اللفظ لباس المعنى والعبارة ظرف الإشارة والوجود مرآة الشهود وكل منهما منوط بالآخر والمنفرد بأحدهما خارج عن دائرة المعرفة الإلّهية فعلم هذه الحروف بلوازمها وحقائقها مفوض في الحقيقة إلى الله والرسول وكمّل الورثة، ومنهم من ذهب إلى جانب التأويل وقال كل حرف من الحروف المقطعة مأخوذة من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية كما قال الشاعر:

قــلــت لــهــا قــفــي فــقــالــت ق

أي: وقفت ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى ﴿الر﴾ أنا الله أرى. وعنه أنه من حروف الرحمن وذلك إنه إذا جمعت الر، وحم، ون، انتظم حروف الرحمن.

وقال في «التأويلات النجمية» : إن في قوله: ﴿الر﴾ إشارتين: إشارة من الحق للحق

وإلى عبده المصطفى وحبيبه المجتبى. وإشارة من الحق لنبيه وإليه عليه السلام فالأولى قسم منه تعالى يقول بآلائي عليك في الأزل وأنت في العدم وبلطفي معك في الوجود ورحمتي ورأفتي لك من الأزل إلى الأبد، والثانية قسم منه يقول بإنسك معي حين خلقت روحك أول شيء خلقته فلم يكن معنا ثالث وبلبيك الذي أجبتني به في العدم حين دعوتك للخروج منه فخاطبتك وقلت ياسين أي: يا سيد قلت: لبيك وسعديك. والخير كله بيديك، وبرجوعك منك إلي حين قلت لنفسك ارجعي إلى ربك ﴿تلك﴾ محله الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان وهي إشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من الآيات ﴿آيات الكتاب الحكيم﴾ أي: آيات القرآن المشتمل على الحكم على أن يكون الحكيم بناء النسبة بمعنى ذي الحكم وذلك لأن الله تعالى أودع فيه الحكم كلها فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ـ حكي ـ أن الامام محمداً رحمه الله غلب عليه الفقر مرة فجاء إلى فقاعي يوماً فقال إن أعطيتني شربة أعلمك مسألتين من الفقه. فقال الفقاعي لا حاجة إلى المسألة:

قيمت در كرانمايه چه دانند عوام حافظا كهور يكدانه مده جز بخواص

فاتفق أنه حلف إن لم يعط بنته جميع ما في الدنيا من الجهاز فامرأته طالق ثلاثاً فرجع إلى العلماء فأفتوا بحنثه لما إنه لا يمكن ذلك فجاء إلى الإمام محمد فقال الإمام لما طلبت منك شربة كان في عزيمتي أن أعلمك هذه المسألة ومسألة أخرى فالآن لا أعلمها إلا بعد أخذ ألف دينار تعظيماً لشأن المسألة فدفعه إليه فقال: لو دفعت إلى البنت مصحفاً كنت باراً في يمينك فسأله علماء عصره عن وجهه فأجاب بأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فوقع هذا الجواب عندهم في حيز القبول.

علم دريست نيك باقيمت جهل درديست سخت بي درمان

وفي التأويلات: هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الأزل وأورثته لك ولأمتك وقلت ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]فاختص هذا الكتاب بأن يكون حكيماً من سائر الكتب، أي: حاكماً يحكم على الكتب كلها بتبديل الشرائع والنسخ ولا يحكم عليه كتاب أبداً واختص هذه الأمة بالاصطفاء من سائر الأمم وأورثهم هذا الكتاب ومعنى الوراثة أنه يكون باقياً في هذه الأمة يرثه بعضهم من بعض ولا ينسخه كتاب كما نسخ هو جميع الكتب.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

﴿أكان للناس عجباً﴾ الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة. قال أبو البقاء للناس حال من عجباً لأن التقدير أكان عجباً للناس، وعجباً خبر كان واسمه قوله: ﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ أي: بشر من جنسهم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ولم يتعجبوا من أن يكون الإله صنماً من حجر أو ذهب أو خشب أو نحاس أو ممن لا يعرف بكونه ذا جاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من أسباب العز والعظمة فإنهم كانوا يقولون العجب إن الله تعالى لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وهو من فرط حماقتهم وقصر نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي

والنبوة فإنه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال إلا في المال ولا مدخل له في شرف النفس ونجابة جوهرها إلا أنهم لعظم الغني في أعينهم تعجبوا من اصطفائه للرسالة ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]: قال الحافظ قدس سره:

تاج شاهي طلبي كوهر ذاتي بنماي   در خود از كوهر جمشيد فريدون باشيي

وقال السعدي قدس سره:

هنر بايد وفضل ودين   كه كاه آيدوكه رودجاه ومال

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنهم يتعجبون من إيحائنا إلى محمد عليه السلام لأنه كان رجلاً منهم، وفيه رأينا رجوليته قبل الوحي وتبليغ الرسالة من بينهم ولهذا السر ما أوحى إلى امرأة بالنبوة قط انتهى، والرجولية هي صدق اللسان ودفع الأذى عن الجيران والمواساة مع الإخوان هذا في الظاهر وأما في الحقيقة فالتنزه عن جميع ما سوى الله تعالى. وفي حديث المعراج «إن الله تعالى نظر إلى قلوب الخلق فلم يجد أعشق من قلب محمد عليه السلام فلذا أكرمه«بالرؤية» فالعبرة لحال الباطن لا لحال الظاهر.

واعلم: أن حال الولاية كحال النبوة ولو رأيت أكثر أهل الولاية في كل قرن وعصر لوجدتهم ممن لا يعرف بجاه، ومن عجب من ذلك ألقي في ورطة الإنكار وحجب بذلك الستر عن رؤية الأخيار﴿أن﴾ مفسرة للمفعول المقدر، أي: أوحينا إليه شيئاً هو ﴿أنذر الناس﴾ ، أي: جميع الناس كافة لا ما أريد بالأول عمم الإنذار لأنه ينفع جميع المكلفين من الكفار وعوام المؤمنين وخواصهم فالبعض ينذر بنار الجحيم، والبعض الآخر بانحطاط الدرجات في دار النعيم، والبعض الثالث بنار الحجاب عن مطالعة جمال الرب الكريم وقدم الإنذار على التبشير، لأن إزالة ما لا ينبغي متقدمة في الرتبة على فعل ما ينبغي وهو لا يفيد ما دامت النفس ملوثة بالكفر والمعاصي فإن تطييب البيت بالبخور إنما يكون بعد الكنس وإزالة القاذورات ألا ترى أن الطبيب الذي يباشر معالجة الأمراض البدنية يبدأ أولاً بتنقية البدن من الأخلاط الرديئة، ثم يباشر المعالجة بالمقويات فكذلك الطبيب الذي يباشر معالجة مرض القلب لا بد له أن يبدأ أولاً بتنقيته من العقائد الزائغة والأخلاق الرديئة والأعمال القبيحة المكدرة للقلب بأن يسقيه شربة الإنذار بسوء عاقبة تلك الأمور وبعد تنقيته من المهلكات يعالجه بما يقويه على الطاعات بأن يسقيه شربة التبشير بحسن عاقبة الأعمال الصالحات ولهذا اقتصر على ذكر الإنذار في مبدأ أمر النبوة حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١-٢] ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ دون الذين كفروا إذ ليس لهم ما يبشرون به من الجنة والرحمة ما داموا على كفرهم ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم﴿قدم صدق عند ربهم﴾ أي: أعمالاً صالحة سابقة قدموها ذخراً لآخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها سميت قدماً على طريق تسمية الشيء باسم آلته لأن السبق والقدوم يكون بالقدم كما سميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد وإضافة قدم إلى الصدق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة في صدقها وتحققها كأنها في صدقها وتحققها مطبوعة منه وإذا قصد تبينها لا تبين إلا به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿قدم صدق﴾ شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم إلى الجنة وهم بالأثر.

كفتى كنتم شفاعت عاصئ عذر خواه دل بـر اميـد آن كـرم افـتـاد در كـنـاه

﴿قال الكافرون﴾ هم المتعجبون، أي: كفار مكة مشيرين إلى رسول الله عليه السلام ﴿إن هذا لساحر مبين﴾ [جاد ويست آشكارا]، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة.

واعلم: أن الكفار سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ولذا صاروا صماً بكماً عمياً عن الحق فهم لا يعقلون الحق ولا يتبعون داعي الحق والنفس جبلت على حب الرياسة وطلب التقدم فلا ترضى أن تكون مرؤوسة تحت غيرها فإصلاحها إنما هو بالعبودية التي هي ضد الرياسة والانقياد للمرشد. وفي المثنوي:

همچو استورى كه بكر يزد زبار او سر خود كيرد اندر كوهسار
صاحبش از پي دوان كاي خيره سر هر طرف كركيست اندر قصد خر
استخوانت را بخايد چون شكر كه نبيني زندكاني را دكر
هين بمكريز از تصرف كردنم وزكراني بار چون جانت منم
تو ستوري هم كه نفست غالبست حكم غالب را بود اي خود پرست
مير آخر بود حق را مصطفا بهر استوران نفس پر جفا
لا جرم اغلب بلا بر انبياست كه رياضت دادن خامان بلاست

قال عيسى عليه السلام للحواريين: أين تنبت الحبة؟قالوا: في الأرض فقال: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في القلوب مثل الأرض يشير إلى التواضع وإلى هذه الإشارة يقول سيد البشر: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء فظهر أن الكفار لما لم ينزلوا أنفسهم إلى مرتبة التواضع والعبودية. ولم يقبلوا الإنذار بحسن النية، حرموا من الورود إلى المنهل العذب الذي هو القرآن، فبقوا عطشى الأكباد في زوايا الهجران، وأين المتكبرون المتصعدون إلى جوّ هواهم. من الشرب من ينبوع الهدى الذي أجراه من لسان حبيبه مولاهم؟ وكما أن الكفار بالكفر الجلي ادعوا كون القرآن سحراً وأنكروا مثل ذلك الخارق لعاداتهم، فكذا المشركون بالشرك الخفي أنكروا الكرامات المخالفة لمعاملاتهم.

قال الإمام اليافعي ـ رحمه الله: ثم أن كثيراً من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق وكذب بالحق غيباً وحدساً كذب به عياناً وحساً فواعجباً كيف نسب السحر وفعل الشياطين إلى الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟ نسأل الله العفو والعافية سراً وجهاراً، وأن يحفظنا من العقائد الزائغة والأعمال الموجبة بواراً.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿إن ربكم الله الذي﴾ خطاب لكفار مكة، أي: مربيكم ومدبر أموركم، ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي هي أصول الممكنات وجسام الأجسام.

فإن قيل: الموصولات موضوعة لأن يشار بها إلى ما يعرفه المخاطب باتصافه بمضمون

الصلة والعرب لا يعلمون كونه تعالى خالق السموات والأرض.

أجيب: بأن ذلك أمر معلوم مشهور عند أهل الكتاب، والعرب كانوا يتخالطون معهم فالظاهر أنهم سمعوه منهم فحسن هذا التعريف لذلك.

قال في «ربيع الأبرار» تفكروا إن الله خلق السموات سبعاً والأرضين وثخانة كل أرض خمسمائة عام وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله، فيه ملك لم يتجاوز الماء كعبه ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أي: في ستة أوقات فإن أصل الأيام هو يوم الآن المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وهو الزمن الفرد الغير المنقسم وسمي يوماً لأن الشأن يحدث فيه فبالآن تتقدر الدقائق وبالدقائق تتقدر الدرج وبالدرج تتقدر الساعات وبالساعات يتقدر اليوم فإذا انبسط الآن سمي اليوم وإذا انبسط اليوم سمي أسابيع وشهوراً وسنين أدواراً فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة ويوم كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، أي: أدنى مقدار ستة أيام لأن اليوم عبارة عن زمان مقدر مبدأه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف تكون حين لا شمس ولا نهار ولو شاء لخلقها في أقل من لحظة لكنه أشار إلى التأني في الأمور، فلا يحسن التعجيل إلا في التوبة وقضاء الذين وقري الضيف وتزويج البكر ودفن الميت والغسل من الجنابة. وفي المثنوي:

مكر شيطانست تعجيل وشتاب — خوى رحمانست صبر واحتساب
با تأني كشت موجود از خدا — تابشش روز اين زمين وچرخها
ورنه قادر بود كز كن فيكون — صد زمين وچرخ آوردي برون
اين تأني از پى تعليم تست — طلب آهسته بايد بي شكست

وقد جاء في الصحيح: «إن الله خلق التربة» يعني: الأرض «يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل». فإن قيل: القرآن يدل على أن خلق الأشياء في ستة أيام والحديث الصحيح المذكور على أنها سبعة. فالجواب أن السموات والأرض وما بينهما خلق في ستة أيام وخلق آدم من الأرض فالأرض خلقت في ستة أيام وآدم كالفرع من بعضها كما في فتح القريب. والحكمة في تأخير خلق آدم ليكون خليفة في الأرض لأن الأشياء قبله بمنزلة الرعية في مملكة الكون ولا يكون خليفة إلا بالجنود والرعية فتقدم الرعية على الخليفة تشريف وتكريم للخلافة.

واعلم: أن أول فلك دار بالزمان قلب الميزان وفيه حدثت الأيام دون الليل والنهار فكان أول حركته بالزمان وأما حدوث الليل والنهار فبحدوث الشمس في السماء الرابعة ودورانها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب كذا في «عقلة المستوفز» وأول المخلوقات من الأيام هو يوم الأحد فالأحد فيه بمعنى الأول فلما أوجد الله الثاني سمي الاثنين لأنه ثاني يوم الأحد وأول الأيام التي خلق فيها الخلق السبت وآخر الأيام الستة إذا الخميس فالجمعة سابع والسبت بمعنى الراحة زعم اليهود إنه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق من خلق السموات والأرض وما فيهن وكذبوا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي: اعياء فيكون أول الأسبوع عندهم يوم

الأحد وكذا عند النصارى ولذا اختاروه.

وقد سئل عليه السلام عن يوم السبت فقال: «يوم مكر وخديعة» لأن قريشاً مكرت فيه في دار الندوة ولا يقطع اللباس يوم السبت والأحد والثلاثاء.

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي ـ قدس سره ـ الملابس إذا فصلت وخيطت في وقت رديء اتصل بها خواص رديئة وكذا الأمر في باب المآكل والمشارب وكذلك ما ورد التنبيه عليه في الشريعة من شؤم المرأة والفرس والدار وشهدت بصحته التجارب المكررة فإن لجميع هذه في بواطن أكثر الناس بل وفي ظواهرهم أيضاً خواص مضرة تتعدى من بدن المغتذي والمباشر والمصاحب إلى نفسه وأخلاقه وصفاته فيحدث بسببها للقلوب والأرواح تلويثات هي من أقسام النجاسات وقد نبهت الشريعة على كراهتها دون الحكم عليها بالحرمة.

وسئل حضرة مولانا قدس سره عما ورد «بارك الله في السبت والخميس» فقال: بركتهما لوقوعهما جارين ليوم الجمعة. وسئل عليه السلام عن يوم الأحد فقال: «يوم غرس وعمارة» لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها وفي رواية «بنيت الجنة فيه وغرست». وسئل عن يوم الاثنين فقال: «يوم سفر وتجارة» لأن فيه سافر شعيب فربح في تجارته. وسئل عن يوم الثلاثاء فقال: «يوم دم» لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه وقتل فيه جرجيس وزكريا ويحيى ولده وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بني إسرائيل ونهى النبي عليه السلام عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي وقال: «فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم» أي: لا ينقطع إذا احتجم أو فصد وربما يهلك الإنسان بعد انقطاع الدم «وفيه نزل إبليس إلى الأرض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بني آدم وفيه ابتلي أيوب».

وقال بعضهم: ابتلي في يوم الأربعاء. قيل كان الرسم في زمن أبي حنيفة رحمه الله إن يوم البطالة يوم السبت في القراءة لا يقرأ في يوم السبت ثم في زمن الخصاف كان متردداً بين الاثنين والثلاثاء ومات الخصاف ببغداد سنة إحدى وستين ومائتين.

يقول الفقير: ثم صار يوم البطالة يوم الثلاثاء والجمعة واستمر إلى يومنا هذا في أكثر البلاد. وكان شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة يعد الدرس فيهما إفراطاً ويقول يعرض للإنسان من الاشتغال فتور وانقباض فلا بد من يوم البطالة ليصل نشاط وانبساط لئلا ينقطع الطالب عن تحصيل المطلوب ومن هنا أبيح ورخص التفرج والتبسط أحياناً ولو للسالك. وسئل عن يوم الأربعاء قال: «يوم نحس» لأن فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح ونهى فيه عن قص الأظفار لأنه يورث البرص، وكره بعضهم عيادة المريض يوم الأربعاء.

وفي «منهاج الحليمي» إن الدعاء مستجاب يوم الأربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لأنه عليه السلام استجيب له الدعاء على الأحزاب في ذلك اليوم في ذلك الوقت قيل يحمد فيه الاستحمام. وذكر إنه ما بدىء شيء يوم الأربعاء إلا وقد تم فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه.

وكان صاحب «الهداية» يتوقف في ابتداء الأمور على الأربعاء ويروي هذا الحديث ويقول هكذا كان يفعل أبي ويرويه عن شيخه أحمد بن عبد الرشيد.

وسئل عليه السلام عن يوم الخميس «فقال يوم قضاء الحوائج والدخول على السلطان»؛ لأن فيه دخل إبراهيم عليه السلام على ملك مصر فقضى حاجته وأهدى إليه هاجر.

وسئل عن يوم الجمعة فقال: «يوم نكاح» نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت

شعيب وسليمان بلقيس ونكح عليه السلام خديجة وعائشة رضي الله عنهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه الشفاء ﴿ثم استوى على العرش﴾ .

قال في: «التبيان» ثم في كتاب الله تعالى على خمسة أوجه، الوجه الأول: أتت عاطفة مرتبة وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ١٣٧] والوجه الثاني: بمعنى قبل وهو قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ معناه قبل ذلك استوى على العرش لأن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] يدل على أن وجود العرش سابق على تخليق السموات والأرض ومثله ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٨] معناه قبل ذلك مرجعهم ومثله قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده

والوجه الثالث: بمعنى الواو وهو قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٧] معناه ومع ذلك كان من الذين آمنوا. والرابع: بمعنى الابتداء وهو قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المراسلات: ١٦-١٧] معناه نحن نتبعهم والوجه الخامس: تكون بمعنى التعجب وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] معناه تعجبوا منهم كيف يكفرون بربهم انتهى بزيادة.

يقول الفقير: ثم ههنا لتفخيم شأن منزلة العرش وتفضيله على السموات والأرض لا للتراخي في الوقت كما ذهبوا إليه عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] في أوائل سورة البقرة فلا حاجة إلى التأويل.

واعلم أن الأفلاك تسع طبقات بعضها فوق بعض والفلك المحيط وهو العرش محيط بها كلها، وكذلك جسم الإنسان خلق من تسعة جواهر بعضها فوق بعض، ليكون جسم الإنسان مشاكلاً للأفلاك بالكمية والكيفية وهي، أي: الجواهر المخ والعظام والعصب والعروق وفيها الدم واللحم والجلد والشعر والظفر، وهو، أي: العرش أول الموجود الجسماني كما أن روح نبينا ﷺ أول الموجود الروحاني وهو من ياقوتة حمراء وله ألف شرفة وفي كل شرفة ألف عالم مثل ما في الدنيا بأسرها.

قال ابن الشيخ: ومعنى الاستواء عليه الاستيلاء عليه بالقهر ونفاذ التصرف فيه وخص العرش بالأخبار عن الاستواء عليه لكونه أعظم المخلوقات فيفيد أنه استولى على ما دونه.

قال الحدادي: ودخلت ثم على الاستواء وهي في المعنى داخلة على التدبير كأنه قال ثم ﴿يدبر الأمر﴾ وهو مستو على العرش فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش.

قال القاضي: يدبر الأمر، أي: يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيىء بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة.

وعن عمرو بن مرة يدبر أمر الدنيا بأمر الله أربعة. جبرائيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل. أما جبرائيل فعلى الرياح والجنود، وأما ميكائيل فعلى القطر والنبات، وأما ملك الموت فعلى الأنفس، وأما إسرافيل فينزل عليهم ما يؤمرون به.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿خلق السموات والأرض﴾ في عالم الصورة وهو العالم الأكبر ﴿في ستة أيام﴾ من أنواع ستة وهي الأفلاك والكواكب والعناصر والحيوان والنبات والجماد ﴿ثم استوى على العرش﴾ والعرش جسماني روحاني ذو جهتين جهة منه تلي العالم الروحاني وجهة منه تلي العالم الجسماني ﴿يدبر الأمر﴾ لفيضان فيض رحمانية على العرش فإنه أول قابل لفيض الرحمانية وهذا أحد تفاسير الرحمن على العرش استوى ثم من العرش ينقسم الفيض فإنه مقسم الفيض فيجري في مجاري جعلها الله من العرش إلى ما دونه من المكونات وأنواع المخلوقات فبذلك الفيض تدور الأفلاك كما تدور الرحى بالماء به تؤثر الكواكب وبه تولد العناصر وتظهر خواصه وبه يتولد الحيوان ذا حس وحركة وبه ينبت النبات ذا حركة بلا حس وبه تغير المعادن بلا حس ولا حركة.

وفيه إشارة أخرى ﴿إن ربكم الله الذي﴾ يربيكم هو الذي ﴿خلق السموات﴾ سموات أرواحكم ﴿والأرض﴾ أرض نفوسكم في عالم المعنى وهو العالم الأصغر ﴿في ستة أيام﴾، أي: من ستة أنواع وهي الروح والقلب والعقل والنفس التي هي الروح الحيواني والنفس النباتية التي هي النامية وخواص المعادن وهي في الإنسان قوة قابلة لتغير الأحوال والأوصاف والألوان ﴿ثم استوى على العرش﴾ على عرش القلب، ﴿يدبر الأمر﴾ أمر السعادة والشقاوة ويهيىء أسبابهما من الأخلاق والأحوال والأعمال والأفعال والأقوال والحركات والسكنات وإلى هذا يشير قوله: «قلوب العباد بيدي الله يقلبها كيف يشاء» ﴿ما من شفيع﴾ يشفع لأحد في وقت من الأوقات ﴿إلا من بعد إذنه﴾ المبني على الحكمة الباهرة وهو جواب قول الكفار أن الأصنام شفعاؤنا عند الله فبين الله تعالى إنه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لم يشاء ويرضى فكيف تشفع الأصنام التي ليس لها عقل ولا تمييز وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ذلكم﴾، أي: ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال والإشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الإحساس بالله تعالى.

قال في «البهجة» وأما نحو تلك الجنة فذلك لصيرورتها كالمشاهد بمعرفة أوصافها ﴿الله﴾ خبر ذلكم ويجوز أن يكون صفة على أن الخبر ما بعده كما قال الكاشفي [آن خدا وندي كه موصوف است بصفات خلق وتدبير واستيلاء]. ﴿ربكم﴾ [پروردكار شماست نه غيراو]؛ إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك.

قال المولى أبو السعود رحمه الله ربكم بيان له أو بدل منه أو خبر ثان لاسم الإشارة ﴿فاعبدوه﴾ وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع ﴿أفلا تذكرون﴾ تتفكرون فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ بالموت والنشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه، وانتصب جميعاً على أنه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلاً في المعنى، أي: إليه رجوعكم مجتمعين.

وفي «التأويلات النجمية» رجوع المقبول والمردود إلى حضرته، فأما المقبول فرجوعه

إليه بجذبات العناية التي صورتها خطاب ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وحقيقتها انجذاب القلب إلى الله تعالى ونتيجتها غروب النفس عن الدنيا، واستواء الذهب والمدر عندها، وانزعاج القلب مما سوى الله واستغراق الروح في بحر الشوق والمحبة، والتبري مما سوى الله وهيمان السر وحيرته في شهود الحق ورجوعه من الخلق. وأما المردود فرجوعه بغير اختياره مغلولاً بالسلاسل والأغلال يسحبون في النار على وجوههم وهي صورة صفة قهر الله ومن نتائج قهر الله تعلقاته بالدنيا وما فيها واستيلاء صفات النفس عليه من الحرص والبخل والأمل والكبر والغضب والشهوة والحسد والحقد والعداوة والشره فإن كل واحدة منها حلقة من تلك السلاسل وغل من تلك الأغلال بها يسحبون إلى النار ﴿وعد الله﴾، أي: وعد الله البعث بعد الموت وعداً ﴿حقاً﴾ كائناً لا شك فيه فوعد الله مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن قوله: ﴿إليه مرجعكم﴾ وعد من الله بالبعث والإعادة لا محتمل له غير كونه وعداً وقوله: ﴿حقاً﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله لأن لهذه الجملة محتملاً غير الحقية نظراً إلى نفس مفهومها، أي: حق ذلك حقاً ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿يبدأ الخلق﴾ يقال: بدأ الله الخلق أي: خلقهم كما في «القاموس» ﴿ثم يعيده﴾ أي: يبدأ الخلق أولاً في الدنيا ليكلفهم ويأمرهم بالعبادة ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم ثم يبعثهم بعد الموت وهذا استئناف بمعنى التعليل لوجوب الرجوع إليه ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلق بيعيده، أي: يثيبهم بما يليق بلطفه وكرمه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿بالقسط﴾ متعلق بيجزي، أي: بالعدل فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزيد على عقاب مسيء بل يجازي كلاً على قدر عمله كما قال تعالى ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦]. ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾، أي: من ماء حار قد انتهت حرارته [چون بخور نداحشا وامعاي ايشان پاره كردد].

﴿وعذاب أليم﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ وهو في موضع رفع صفة أخرى لعذاب ويجوز يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك المذكور من الشراب والعذاب حاصل لهم بسبب كفرهم بالله ورسوله وغير النظم ولم يقل وليجزي الكافرين بشراب الخ تنبيهاً على أن المقصود بالذات من الابداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض.

واعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، فالله تعالى بقدرته يعيد الخلق بعد الموت ليحصدوا فيها ما زرعوه في الدنيا فمن زرع الخير يحصد السلامة ومن زرع الشر يحصد الندامة:

جمله دانند اين اكر تو نكروى ... هرچه مى كاريش روزى بدروى

وإنما أخر الجزاء إلى دار الآخرة لأن الدنيا لا تسعه ولله تعالى في كل شيء حكمة فإذا عرفت الحال فخف من الله المتعال فإنه غيور لا يرضى إقامة عبده على مخالفته وخروجه من دائرة طاعته.

وعن وهب بن منبه كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل فكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصب في القناديل من غير أن تمسه الأيدي وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء تسرج بها القناديل وكان القربان والسرج في ابني هارون شبر وشبير فأمرا أن لا يسرجا بنار الدنيا فاستعجلا يوماً فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النار فأكلت ابني هارون فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام فجاء يدعو ويقول يا رب إن ابني هارون أخي قد عرفت مكانهما مني، فأوحى الله إليه يا ابن عمران هكذا افعل بأوليائي إذا عصوني فكيف بأعدائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأمرت على أهل الأرض معيشتهم فكيف بمن هو طعامه من زقوم وشرابه من حميم؟ ومن تذكر المبدأ والمعاد وتفكر أن الرجوع إلى رب العباد تاب من الخطايا والسيئات وصار من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وفي الحديث: «إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره شره قبل الشيطان بين عيينه وقال فديت وجهاً لا يفلح أبداً». فإنْ منَّ الله عليه وتاب واستخرجه من غمرات الجهالة واستنقذه من ورطات الضلالة يقول الشيطان واويلاه قطع عمره في الضلالة وأقر عيني في المعاصي ثم أخرجه الله بالتوبة من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة. وفي «المثنوي»:

مرداول بستهٔ خواب وخورست آخر الأمر ازملائك بر ترست

درپناه پنبه وكبريتها شعلهٔ نورش برآيد برسها

يعني أن الشرارة تصير ناراً عظيمة بمعونة القطن والكبريت فكذا الإنسان في أول حاله كالشرارة فإذا قارن المربي أو رباه الله من غير وساطة أحد من الناس يرقى إلى حيث يعظم قدره عند الله ويصير بين أقرانه كالمسك بين الدماء نسأل الله العناية والتوفيق.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿هو الذي﴾ [اوست آن خداونديكه بقدرت].

﴿جعل الشمس ضياء﴾ أي: صيرها ذات ضياء للعالمين بالنهار لأن المعنى لا يحمل على العين أو خلقها وأنشأها حال كونها ذات ضياء وأصله ضواء قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها والشمس مأخوذ من شمسة القلادة وهي أعظم جواهرها جرماً وأنفسها قيمة وهي التي يقال لها بالفارسية [ميانكين]، وإنما سميت بذلك لتوسطها بين الكواكب كذا في «شرح التقويم».

﴿والقمر﴾ سمي بذلك لكون لونه بياضاً في صفرة. يقال حمار أقمر إذا كان أبيض في صفرة ﴿نوراً﴾ أي ذا نور بالليل والضياء أقوى بحكم الوضع والاستعمال ولذا نسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر. وعند الحكماء الضياء ما يكون بالذات كما للشمس والنور بالعرض كما على وجه الأرض فيكون نور القمر مستفاداً من الشمس. يعني إن القمر في نفسه جرم مظلم صقيل يقبل النور فعند المقابلة يمتلىء نوراً من الشمس بطريق الانعكاس فيقع ذلك الشعاع على وجه الأرض:

نورهستي جملهٔ ذرات عالم تا ابد ميكنند از مغربي چون ماه از مهر اقتباس

قال في «أسئلة الحكم»: هذا مدفوع بالخبر الوارد «إن الله تعالى خلق شمسين نيرين قبل خلق الأفلاك فالشمس والقمر خلقهما الله من نور عرشه»، وكان في سابق علمه أن يطمس نور القمر كما روي «إن الله خلق نور القمر سبعين جزءاً». وكذا نور الشمس ثم أمر جبريل فمسحه بجناحيه فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس فأذهب عنه الضوء وأبقى فيه النور والشمس مثل الأرض مائة وستاً وستين مرة وربعاً ثم جرم الأرض والقمر جزء من تسعة وثلاثين وربع على ما في الواقع.

وفي الخبر: «أن وجوههما إلى العرش وظهورهما إلى الأرض تضيء وجوههما لأهل السموات السبع وظهورهما لأهل الأرضين السبع» والمشهور إنه إذا كان على وجه الأرض نهار

يكون فيما تحت الأرض ليل وبالعكس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما إن في الأرض الثانية خلقاً وجوههم وأبدانهم وأيديهم كوجوه بني آدم وأبدانهم وأيديهم وأفواههم كأفواه الكلاب وأرجلهم وآذانهم كأرجل البقر وأذانها وشعورهم كصوف الضأن لا يعصون الله طرفة عين، ليلنا نهارهم ونهارنا ليلهم كما «في ربيع الأبرار» وبعضهم فضل القمر على الشمس لأن القمر مذكر والشمس مؤنث والتذكير أصل والتأنيث فرع فالفضل للأصل على الفرع وهو الأصح الأشهر وتقدم الشمس في الذكر لا يوجب الأفضلية إذ قد يتأخر الأشرف في القرآن كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. كما في «أسئلة الحكم».

يقول الفقير: الكلام في التذكير والتأنيث الحقيقي دون اللفظي وكون القمر مذكراً لفظاً لا يوجب الفضل على ما هو مؤنث لفظاً وقد يسمى الرجل بطلحة وهو مؤنث لفظي مع أن الرجل أفضل من المرأة، ونعم ما قيل:

ولا التأنيث عار لاسم شمس ... ولا التذكير فخر للهلال

وجعل الله للشمس سلطاناً على جميع الطبائع النباتية والمعدنية والحيوانية ما نبت زرع ولا خرجت فاكهة ولا يكون في العالم طعم ولذة إلا والشمس تربيها بأمر الواحد القهار. ويقال: الثمرة ينضجها الشمس ويلونها القمر ويعطي طعمها الكواكب. قيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم وفي السخاء كالماء الجاري وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنهما يطلعان على البر والفاجر، قال الحافظ قدس سره:

نظر كردن بدرويشان منافىء بزركي نيست ... سليمان باچنان حشمت نظرها بودباموروش

قال في «التأويلات النجمية» إن الله تعالى خلق الروح نورانياً له ضياء كالشمس وخلق القلب صافياً كالقمر قابلاً للنور والظلمة وخلق النفس ظلمانية كالأرض فمهما وقع قمر القلب في مواجهة شمس الروح يتنور بضيائها ومهما وقع في مقابلة أرض النفس تنعكس فيه ظلمتها. ويسمى القلب قلباً لمعنين: **إحداهما**: أنه خلق بين الروح والنفس فهو قلبهما، **والثاني**: لتقلب أحواله تارة يكون نورانياً لقبول فيض الروح وتارة يكون ظلمانياً لقبول النفس انتهى.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في بعض تحريراته نحن بين النورين نور شمس الحقيقة ونور قمر الشريعة فإذا جاء نهار الحقيقة نستضيء بنور شمسها وإذا جاء ليل الشريعة نستضيء بنور قمرها ونحن أرباب النورين من النور إلى النور نسير وبالنور إلى النور نطير وحالنا بين التجلي والاستتار فعند تجلي النور الإلهي لقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا يكفي لنا هذا النور ولا حاجة إلى غيره وعند استتاره عن قلوبنا وأرواحنا وأسرارنا يكفي لنا بدله وهو نور قمر الشريعة ولا حاجة إلى غيره انتهى بإجمال ﴿**وقدره منازل**﴾، أي: وهيأ لكل من الشمس والقمر منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها فحذف حرف الجر ومنازل الشمس هي البروج الاثنا عشر.

ثلاثة بروج منها بروج الربيع، وهي الجمل، والثور، والجوزاء. فهذه الثلاثة ربيعية شمالية والشمال يسار القبلة، وإنما سميت بهذه الأسامي لأن الكواكب المركوزة في الفلك مشكلة في كل برج بشكل مسماه وقت التسمية.

وثلاثة منها بروج الصيف؛ وهي السرطان، والأسد، والسنبلة، وابتداء السرطان من نقطة

الانقلاب الصيفي فهذه الثلاثة صيفية شمالية. وثلاثة منها بروج الخريف، وهي: الميزان والعقرب والقوس، وابتداء الميزان من نقطة الاعتدال الخريفي فهذه الثلاثة خريفية جنوبية. وثلاثة منها بروج الشتاء، وهي: الجدي، والدلو، والحوت، وابتداء الجدي من الانقلاب الشتوي فهذه الثلاثة شتوية جنوبية والجنوب يمين القبلة وبجمعها هذان البيتان في «نصاب الصبيان»:

برجها دائم كه ازمشرق بر آوردند سر
جمله در تسبيح ودر تهليل حي لا يموت

چون حمل چون ثور چون جوزا وسرطان وأسد
سنبلة ميزان وعقرب قوس وجدي ودلو وحوت

تسير الشمس في كل واحد من هذه البروج شهراً وتنقضي السنة بانقضائها ويعلم مدة سكون الشمس في كل بزح حتماً. قال في «النصاب» أيضاً:

حمل وثور وشير باپس وپيش خور بجوزاست سي ودو ويكبيست
بيست نه قوس وجدى بي كم وبيش دلو وميزان وحوت وعقرب سى

فتكون السنة الشمسية وهي: مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم على ما في «صدر الشريعة». ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منها منزلة، فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة إن كان الشهر تسعة وعشرين ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوماً وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وستأتي عند قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢١] الآية.

وأول هذه المنازل السرطان.

والثاني البطين كزبير وهي ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي وهو بطن الحمل.

والثالث: الثريا بالضم وفتح الراء والياء المشددة وهي ستة كواكب وقع كل اثنين منها في مقابلة الآخر.

والرابع: الدبران محرّكة.

والخامس: الهقعة وهي ثلاثة كواكب بين منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف.

والسادس: الهنعة منكب الجوزاء الأيسر وهي خمسة أنجم مصطفة ينزلها القمر.

والسابع: الذراع وهي ذراع الأسد المبسوطة وللأسد ذراعان مبسوطة ومقبوضة وهي تلي الشام والقمر ينزل بها، والمبسوطة تلي اليمن وهي أرفع من السماك وأمدّ من الأخرى وربما عدل القمر فنزل بها تطلع لأربع يخلون من تموز وتسقط لأربع يخلون من كانون الأول.

والثامن: النثرة وهي كوكبان بينهما مقدار شبر وفوقهما شيء من بياض كأنه قطعة سحاب ويقال لهما أيضاً عند أهل النجوم أنف الأسد.

والتاسع: الطرف من القوس ما بين السية والأنهران أو قريب من عظم الذراع من كبدها

والأنهران العواء والسماك لكثرة مائهما.

والعاشر: الجبهة وهي أربعة كواكب ثلاثة منها مثلثة كالأثافي وواحد منفرد.

والحادي عشر: الزبرة بالضم كوكبان نيران بكاهل الأسد ينزلهما القمر.

والثاني عشر: الصرفة وهي نجم واحد نير يتلو الزبرة سميت لانصراف البرد بطلوعها.

والثالث عشر: العواء وهي خمسة كواكب أو أربعة كأنها كتابة ألف.

والرابع عشر: السماك ككتاب نجمان نيران.

والخامس عشر: الغفر وهي ثلاثة أنجم صغار.

والسادس عشر: الزباني بالضم كوكبان نيران في قرني العقرب.

والسابع عشر: الإكليل بالكسر أربعة أنجم مصطفة.

والثامن عشر: القلب وهو نجم من المنازل.

والتاسع عشر: الشولة وهي كوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لها ذنب العقرب.

والعشرون: النعائم بالفتح أربعة كواكب نيرة.

والحادي والعشرون: البلدة بالضم ستة كواكب صغار تكون في برج القوس وتنزلها الشمس في أقصر أيام السنة. قال في «القاموس» البلدة رقعة من السماء لا كواكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح ينزلها القمر وربما عدل عنها فنزل بالقلادة وهي ستة كواكب مستديرة تشبه القوس اهـ.

والثاني والعشرون: سعد الذابح كوكبان نيران بينهما قيد ذراع وفي نحر إحدهما كوكب صغير لقربه منه كأنه يذبحه.

والثالث والعشرون: سعد بلع كزفر معرفة منزل للقمر طلع لما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] وهو كوكبان مستويان في المجرى أحدهما خفي والآخر مضيء يسمى بلع كأنه بلع الآخر وطلوعه لليلة تمضي من آب.

والرابع والعشرون: سعد السعود.

والخامس والعشرون: سعد الأخبية وهي كواكب مستديرة. قال في «القاموس»: سعود النجوم عشرة: سعد بلع، وسعد الأخبية، وسعد الذابح، وسعد السعود، وهذه الأربعة من منازل القمر وسعد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد مطر وهذه الستة ليست من المنازل كل منها كوكبان بينها في المنظر نحو ذراع.

والسادس والعشرون: فرغ الدلو المقدم.

والسابع والعشرون: فرغ الدلو المؤخر. قال في القاموس: في الغين المعجمة فرغ الدلو المقدم والمؤخر منزلان للقمر كل واحد كوكبان كل كوكبين في المرأى قدر رمح.

والثامن والعشرون: الرشاء ويقال له أيضاً بطن الحوت وهي كواكب صغار مجتمعة في صورة الحوت وفي سرتها نجم نير.

والسنة القمرية عبارة عن اجتماع القمر مع الشمس اثنتي عشرة مرة، وزمان هذه يتم في ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسر وهو ثمان ساعات وثمان وأربعون دقيقة.

قال في «شرح التقويم»: أرباب هذه الصناعة ما وجدوا زمان شهر واحد أقل من تسعة وعشرين يوماً وأكثر من ثلاثين وكذا ما وجدوا زمان سنة واحدة أقل من ثلاثمائة وأربعة

وخمسين يوماً وأكثر من ثلاثمائة وخمسة وخمسين فعدد أيام كل سنة إما ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً أو ثلاثمائة وخمسة وخمسون.

واعلم أن الله تعالى جعل الدورة المحمدية دورة قمرية كما قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] تنبيهاً منه تعالى للعارفين من عباده أن آية القمر ممحوّة عن العالم الظاهر لمن اعتبر وتدبر في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤] أي في علو المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التي أعطاها للمحدثين العربيين وأجراها وأخفاها فيهم كذا في «عقلة المستوفز» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في كتاب «اللائحات البرقيات» له مرتبة القمر إشارة في المراتب الإلهية إلى مرتبة الربوبية ومرتبة الشمس إلى مرتبة الألوهية، وفي المراتب الكونية الآفاقية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الكرسي واللوح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة العرش والقلم وفي المراتب الكونية الأنفسية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الروح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة السر انتهى بإجمال.

ثم لحروف ظاهر النفس الرحماني منازل عدد منازل القمر ويقال لها التعينات وهي العقل الأول، ثم النفس الكلية، ثم الطبيعة الكلية، ثم الهباء، ثم الشكل الكلي، ثم الجسم الكلي، ثم العرش ثم الكرسي، ثم الفلك الأطلس، ثم المنازل، ثم سماء كيوان، ثم سماء المشتري، ثم سماء المريخ، ثم سماء الشمس، ثم سماء الزهرة، ثم سماء عطارد، ثم سماء القمر، ثم عنصر النار، ثم عنصر الهواء، ثم عنصر الماء، ثم عنصر التراب، ثم المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملك ثم الجن، ثم الإنسان، ثم المرتبة.

وفي مقابلتها على الترتيب حروف باطن النفس الرحماني وهي: الاسم البديع ثم الباعث ثم الباطن ثم الآخر ثم الظاهر ثم الحكيم ثم المحيط ثم الشكور ثم الغني ثم المقتدر ثم الرب ثم العليم ثم القاهر ثم النور ثم المصور ثم المحصي ثم المبين ثم القابض ثم المحيي ثم المميت ثم العزيز ثم الرزاق ثم المذل ثم القوي ثم اللطيف ثم الجامع ثم الرفيع.

ولو تفطنت حروف التهجي وجدتها على هذا الترتيب كما رتب أهل الآراء وهي الهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الحاء المهملة ثم الغين المعجمة ثم القاف ثم الكاف ثم الجيم ثم الشين المنقوطة ثم الياء المثناة ثم الضاد المعجمة ثم اللام ثم النون ثم الراء المغفلة ثم الطاء المهملة ثم الدال المهملة ثم التاء المثناة من فوق ثم الزاي ثم السين المهملة ثم الصاد المهملة ثم الظاء المعجمة ثم الثاء المثلثة ثم الذال المنقوطة ثم الفاء ثم الباء الموحدة ثم الميم ثم الواو فسبحان من أظهر بالنفس الرحماني هذه المنازل في الأنفس والآفاق إرادة كمال الوفاق. **﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾** أي: حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي والساعات لصلاح معاشكم ودينكم من فرض الحج والصوم والفطر والصلاة وغيرها من الفروض **﴿ما خلق الله ذلك﴾** المذكور من الشمس والقمر على ما حكي بحال ما من الأحوال. **﴿إلا﴾** ملتبساً **﴿بالحق﴾** مراعياً لمقتضى الحكمة البالغة وهو ما أشير إليه إجمالاً من العلم بأحوال السنين والأوقات المنوط به أمور معاملاتهم وعباداتهم فليس في خلقه عبث باطل أصلاً ـ حكي ـ أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في

الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا: ما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: لا بدّ لي منه فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون فتذكر العليل القول الذي سبق منه، فقال: احضروا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى، فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية، وإن في كل خلقه حكمة. ﴿**يفصل الآيات**﴾ التكوينية المذكورة الدالة على وحدانيته وقدرته ويذكر بعضها عقيب بعض مع مزيد الشرح والبيان. ﴿**لقوم يعلمون**﴾ الحكمة في إبداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها وخص العلماء بالذكر لأنهم المنتفعون بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾

﴿**إن في اختلاف الليل والنهار**﴾ أي في اختلاف ألوانهما بالنور والظلمة أو في اختلافهما بذهاب الليل ومجيء النهار وبالعكس.

واختلف في أيهما أفضل، قال الإمام النيسابوري الليل أفضل لأنه راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار، فالليل حظ الفراش والوصال والنهار حظ اللباس والفراق، وقيل: النهار أفضل لأنه محل النور والليل محل الظلام.

يقول الفقير: الليل إشارة إلى عالم الذات وله الرتبة العليا، والنهار إشارة إلى عالم الصفات وله الفضيلة العظمى ويختلفان بأن من ولد في الليل يصير أهل فناء في الله، ومن ولد في النهار يصير أهل بقاء بالله، ففيهما سر دار الجلال ودار الجمال وسر أهلهما. ﴿**وما خلق الله في السموات**﴾ من أنواع الكائنات كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح. ﴿**والأرض**﴾ من أنواعها أيضاً كالجبال والبحار والأشجار والأنهار والدواب والنبات. ﴿**لآيات**﴾ عظيمة أو كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته. ﴿**لقوم يتقون**﴾ خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر.

وعن علي رضي الله عنه من اقتبس علماً من النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً ثم تلا ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلى ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ [يونس: ٦] يقول الفقير: أصلحه الله القدير: هذا بالنسبة إلى ما أبيح من تعلم النجوم وتوسل به إلى معرفة الآيات السماوية.

وأما قوله عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» أي: قطعة منه. فقد قال الحافظ: المنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان، كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك.

ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان دون بعض.

وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فإنه غير داخل في النهي انتهى. وسمع ذو النون المصري شخصاً قائماً على الجبل وسط البحر يقول سيدي سيدي أنا خلف البحور والجزائر وأنت الملك الفرد بلا حاجب ولا زائر من ذا الذي أنس بك فاستوحش من ذا الذي نظر إلى آيات قدرتك فلم يدهش أما في نصبك السموات الطرائق ونظمك الفلك فوق

رؤوس الخلائق ورفعك العرش المحيط بلا علائق وإجرائك الماء بلا سائق وإرسالك الريح بلا عائق ما يدل على فردانيتك، أما السموات فتدل على منعتك، وأما الفلك فيدل على حسن صنعتك وأما الرياح فتنشر من نسيم بركاتك وأما الرعد فيصوت بعظيم آياتك وأما الأرض فتدل على تمام حكمتك وأما الأنهار فتتفجر بعذوبة كلمتك وأما الأشجار فتخبر بجميل صنائعك وأما الشمس فتدل على تمام بدائعك. قال الشيخ المغربي قدس سره:

جمله نقش تعينات ويند هرچه هستند در زمين وسما

وله:

مغربي زان ميكند ميلى بكلشن كاندرو

هرچه رازنكى وبويى هست رتك وبوى اوست

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾.

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ المراد بلقائه تعالى: إما الرجوع إليه بالبعث أو لقاء الحساب كما في قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠] وبعدم الرجاء عدم اعتقاد الوقوع المنتظم لعدم الأمل وعدم الخوف فإن عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف أي لا يتوقعون الرجوع إلينا أو لقاء حسابنا المؤدي إما إلى حسن الثواب أو إلى سوء العذاب فلا يأملون الأول وإليه أشير بقوله: **﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾** فإنه منبىء عن إيثار الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس ولا يخافون الثاني وإليه أشير بقوله: **﴿واطمأنوا بها﴾** كما في «الإرشاد» **﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾** من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي **﴿واطمأنوا بها﴾** وسكنوا إليها قاصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً واملوا بعيداً: يعني [در دنيا ساكن كشتند بر وجهي كه كوييا هركز ايشانرا از آنجا رحلت نخواهد بودوند انستندكه لحظه بلحظه دست اجل طبل رحيل فرخوا اهد كوفت]:

آن كيست كه دل نهاد وفارغ بنشست پنداشت كه مهلتي وتأخيرى هست

كو خيمه مزن كه ميخ مى بايد كند كو رخت منه كه بار مى بابد بست

ـ روي ـ أن الله تعالى قال: «عجبت من ثلاثة، ممن آمن بالنار ويعلم أنها وراءه كيف يضحك. ومن اطمأنت نفسه بالدنيا وهو يعلم أنه يفارقها كيف يسكن إليها. وممن هو غافل وليس بمغفول عنه كيف يلهو».

ونزل النعمان بن المنذر تحت شجرة ليلهو فقال عدي أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ ثم أنشأ يقول:

رب ركب قد أناخوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فتنغص على النعمان يومه كذا في «ربيع الأبرار» **﴿والذين هم عن آياتنا﴾** عن آيات القرآن فيكون المراد الآيات التشريعية أو عن دلائل الصنع فيكون المراد الآيات التكوينية **﴿غافلون﴾** لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف لتغاير الوصفين أي للجمع بين الوصفين المتغايرين الانهماك في لذات الدنيا وزخارفها والذهول عن آيات الله ودلائل المعرفة أو لتغاير

الذاتين كما قال في «التأويلات النجمية» إن الذين لا يعتقدون السير إلينا والوصول بنا لدناءة همتهم ورضوا بالتمتعات الدنيوية وركنوا إلى مالها وجاهها وشهواتها همتهم ﴿**والذين هم عن آياتنا غافلون**﴾ وإن لم يركنوا إلى الدنيا وتمتعاتها، وكانوا أصحاب الرياضات والمجاهدات من أهل الأديان والملل وهم البراهمة والفلاسفة والإباحية لكن كانوا معرضين عن متابعة النبي ﷺ، أو كانوا من أهل الأهواء والبدع.

﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ﴿**مأواهم**﴾ أي: مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه ﴿**النار**﴾ نار جهنم أو نار البعد والطرد والحسرة لا ما اطمأنوا بها من الحياة الدنيا ونعيمها ﴿**بما كانوا يكسبون**﴾ أي جوزوا بما واظبوا عليه وتمرنوا به من الأعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من أصناف المعاصي والسيئات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**إن الذين آمنوا**﴾ فعلوا الإيمان أو آمنوا بما تشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي الأعمال الصالحة في أنفسها اللائقة بالإيمان وهي ما كان لوجه الله تعالى ورضاه.

وإنما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الأسماء ﴿**يهديهم ربهم**﴾ في الآخرة ﴿**بإيمانهم**﴾ أي بسبب إيمانهم وبنوره إلى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وفي الحديث: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» ويحتمل أن تكون الهداية إلى سلوك سبيل يؤدي إلى إدراك الحقائق الكونية والإلٓهية وهي هداية خاصة يلقاها الخواص وإليه الإشارة بقوله: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» فالعلم الأول هو علم المعاملة الذي يكون بطريق الدراسة، والعلم الثاني هو علم المكاشفة الذي يكون بطريق الوراثة، وهو أعلى وأجل من الأول لأن الأول منه بمنزلة القشر من اللب نسأل الله الفيض الخاص الذي ذاقه أهل الاختصاص. ﴿**تجري من تحتهم**﴾ من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة في البساتين والرياض. ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة ﴿**في جنات النعيم**﴾ متعلق بتجري أي في جنات يتنعمون فيها ويترفهون.

قال الكاشفي ﴿**في جنات النعيم**﴾ [در بوستانها بانعيم وبانعمت] والنعيم النعمة والخفض والدعة كما في القاموس وسميت جنة لاستتار أرضها بأشجارها ومنه سمي الجن لاستتارهم عن الأبصار ومنه سمي المجن للتستر به.

﴿**دعواهم فيها**﴾ أي: دعاؤهم في تلك الجنات. ﴿**سبحانك اللهم**﴾ أي يا الله نسبحك تسبيحاً وننزهك عن الخلف في الوعد والكذب في القول فقد وجدنا ما وعدتنا ﴿**وتحيتهم فيها**﴾ التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحياك الله حياة طيبة وهي من إضافة المصدر إلى فاعله أي تحية بعضهم لبعض في الجنة ﴿**سلام**﴾ أي: سلامة من كل مكروه أو من إضافته إلى المفعول أي تحية الملائكة إياهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾

[الرعد: ٢٣-٢٤] أو تحية الله إياهم كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]:

سلام دوست شنيدن سعادتست وسلامت بوصل يار رسيدن فضيلتست وكرامت

﴿**وآخر دعواهم**﴾ أي: خاتمة دعائهم ﴿**أن الحمد لله رب العالمين**﴾ أي: أن يقولوا ذلك نعتاً له تعالى بصفات الإكرام أثر نعته بصفات الجلال أي دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء، وإن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف والجملة الاسمية التي بعدها في محل الرفع على أنها خبر لها وإن مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول ـ روي ـ أن أهل الجنة إذا اشتهوا شيئاً يقولون: سبحانك اللهم فيأتيهم الخدم بالطعام والشراب وكل ما يشتهون فإذا طعموا قالوا الحمد لله رب العالمين.

واعلم أنه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادة أهل الجنة إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وإنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة [وهر آيينه لذت تسبيح وتحميد ايشسانرا از ميع لذاتهاى بهشت خو بترآيد]

ذوق نامش عاشق مشتاقرا از بهشت جاودانى خوشتراست
كرچه درفردوس نعمتها بسى ست وصل او ازهرچه دانى خوشترست

وفيه إشارة إلى أن اللسان إنما خلق للذكر والدعاء لا لكلام الدنيا والغيبة والبهتان.

زبان آمد از بهر شكرو سپاس بغيبت نكرداندش حق شناس

وقد كان أول كلام تكلم به أبونا آدم عليه السلام حين عطس الحمد لله، وآخر الدعاء أيضاً كان ذلك. ففيه إشارة إلى أن العبد غريق في بحر نعم الله أولاً وآخراً فعليه استغراق أوقاته بالحمد ونعم الله في الدنيا متناهية وفي الآخرة غير متناهية فالحمد لا نهاية له أبد الآباد وهو منتهى مراتب السالكين: وفي «المثنوي»:

حمدشان چون حمدكلشنن از بهار صد نشانى دارد وصد كير ودار
بر بهارش چشمه ونخل وكياه وان كلستان ونكارستان كواه
توملاف از مشك كان بوى پياز از دم تو ميكند مكشوف راز
كلشكر خوردم همى كوئى وبوى مى زند از سير كه ياوه مكوى

يعني: أن لحمد العارف علامة فإنه يشهد لحمده كل أعضائه بخلاف حمد غيره فلا بد من تحقيق الدعوى بالحجة والبرهان فإن الدعوى المجردة لا تنفع كما لا يخفى على أهل الإيقان نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الحامدين في السراء والضراء بلسان الجهر والإخفاء.

﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾.

﴿**ولو يعجل الله**﴾ [واكر تعجيل كند خداى تعالى] ﴿**للناس الشر استعجالهم بالخير**﴾ التعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة والمراد بالشر العذاب وسمي به لأنه أذى مكروه في حق المعاقب ـ روي ـ أن النضر بن الحارث قال منكراً لنبوته عليه السلام اللهم

إن كان محمد حقا في إدعاء الرسالة فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وكانوا يستعجلون العذاب المتوعد به من لسان النبوة فقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ والعذاب حين استعجلوه استعجالاً مثل ﴿استعجالهم بالخير﴾ والرحمة والعافية ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ لأدى إليهم الأجل الذي عين لعذابهم وأميتوا وأهلكوا بالمرة وما أمهلوا طرفة عين، لأن تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ما استعجلوه من العذاب ولكن لا نعجل ولا نقضى ﴿فنذر الذين﴾ أي نترك فالفاء للعطف على مقدر، لا على يعجل؛ إذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه لو، وليس كذلك لأن التعجيل لم يقع وتركهم في طغيانهم يقع كما في تفسير أبي البقاء ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ لا يتوقعون جزاءنا في الآخرة التي هي محل اللقاء لإنكارهم البعث ﴿في طغيانهم﴾ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وهو متعلق بنذر أو بقوله: ﴿يعمهون﴾ أي: حال كونهم متحيرين ومترددين، وذلك لأنه لا صلاح ولا حكمة في إماتتهم وإهلاكهم عاجلاً إذ ربما آمنوا بعد ذلك أو ربما خرج من أصلابهم من يكون مؤمناً ولذلك لا يعاجلهم الله تعالى بإيصال الشر إليهم، بل يتركهم إمهالاً لهم واستدراجاً.

قال الحدادي: الآية عامة في كل من يستعجل العقاب الذي يستحقه بالمعاصي ويدخل فيها دعاء الإنسان على نفسه وولده وقومه بما يكره أن يستجاب له مثل قول الرجل إذا غضب على ولده اللهم لا تبارك فيه والعنه وقوله لنفسه رفعني الله من بينكم وفي الحديث: «دعاء المرء على محبوبه غير مقبول» وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه «إني سألت الله لا يقبل دعاء حبيب على حبيبه» ولكن قد صح «إن دعاء الوالد على ولده لا يرد» فيجمع بينهما كما في «المقاصد الحسنة».

وقال شهر بن حوشب: قرأت في بعض الكتب إن الله تعالى يقول للملكين الموكلين لا تكتبا على عبدي في حال ضجره شيئاً.

ثم بين الله تعالى أنهم كاذبون في استعجال العذاب بناء على أنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه لا يصبر عليه بل يتضرع إلى الله في إزالته عنه فقال ﴿وإذا مس الإنسان﴾ أصابه ﴿الضر﴾ جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد إصابة يسيرة ﴿دعانا﴾ [بخواند مرا باخلاص براي ازاله‌ء او]. ﴿لجنبه﴾ اللام بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] أي: دعنا كائناً على جنبه أي مضطجعاً، أو ملقى لجنبه على الأرض لما به من المرض واللام على بابها. ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ وذلك أن من الضرر ما يغلب الإنسان ويجعله صاحب فراش يضطره إلى الاضطجاع، ومنه ما يكون أخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يتمكن الإنسان معه على القيام لا غير. ففائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع أصناف الضرر، ويجوز أن يكون لجميع الأحوال، أي: دعانا في جميع أحواله مما ذكر وما لم يذكر لإزالة ما يضر عنه في حال ما من أحواله، وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الإنسان عنها عادة. ﴿فلما كشفنا عنه ضره﴾ رفعناه وأزلناه بسبب إخلاصه في الدعاء ﴿مرّ﴾ مضى على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء واستمر على كفره. ﴿كأن﴾ أي: كأنه ﴿لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ أي مشبهاً بمن لم يدع إلى كشف ضره فهو حال من فاعل مر وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض أفراده ممن هو متصف بهذه الصفات ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك التزيين، فالكاف اسم منصوب المحل على أنه صفة مصدر محذوف

لقوله: ﴿زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ من الأعراض عن التضرع والانهماك في الشهوات حين انكشاف الضر عنهم. وسمي الكافر مسرفاً لكونه مسرفاً في أمر دينه متجاوزاً عن الحد في الغفلة عنه فإنه لا شبهة في أن المرء كما يكون مسرفاً في الإنفاق فكذا يكون مسرفاً في اتباع الهوى وتضييع العمر فيما لا يعنيه بل يضره. قال الصائب:

ازين چه سودكه دركلستان وطن دارم مراكه عمر چو نركس بخواب ميكذرد

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ يعني الأمم الماضية مثل قوم نوح وعاد ﴿من قبلكم﴾ متعلق بأهلكنا وليس بحال من القرون لأنه زمان أي: أهلكناهم من قبل زمانكم يا أهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿وجاءتهم﴾ أي: والحال أنهم قد جاءتهم ﴿رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحجج الدالة على صدقهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم وهو عطف على ما ظلموا، كأنه قيل لما ظلموا وأصروا على الكفر بحيث لم يبق فائدة في إمهالهم أهلكناهم ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق إنه لا فائدة في إمهالهم ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ نجزي كل مجرم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى الْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر؛ لأن الله تعالى لا يحتاج في العلم بأحوال الإنسان إلى الاختبار والامتحان في الحقيقة، ولكن يعامل معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه ﴿لننظر﴾ النظر في اللغة: عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلباً لرؤيته وهو في حقه تعالى مستعار للعلم المحقق الذي لا يتطرق إليه شك ولا شبهة بأن يشبه هذا العلم بنظر الناظر وإدراكه عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة، ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية ثم تسري الاستعارة إلى الفعل تبعاً.

قال الكاشفي: [تابه بينيم در صورت شهادت بعد ازانكه دانستيم درغيب شماكه] ﴿كيف تعملون﴾ [چه كونه عمل خواهيد كرد ازخر وشرتا باشما بمقتضاي اعمال شما عامله كنيم إن خيراً فخير وإن شراً فشر]:

چرا آيينهٔ فعلست كويي كه دروى هرچه كردى مينمايد
اكر كردى نكوئى نيك بيني وكريد كردهٔ بد پيشت آيد

وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله، وفائدته: الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وفي الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة» يعني حسنة في المنظر «تعجب الناظر» والمراد من الدنيا صورتها ومتاعها وإنما وصفها بالخضرة؛ لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراء ولتشبيهها بالخضراوات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة يفتتن الناس بحسنها. قال الحافظ:

خوش عروسست جهان ازره صورت ليكن هركه پيوست بدوعمر خودش كابين داد

قال: في «فتح القريب» حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفس تطلبها طلباً حثيثاً فكذلك الدنيا وهي في الحال حلوة خضراء وفي المآل مرة كدرة نعمت المرضعة وبئست الفاطمة «وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني أن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء «فناظر كيف تعملون» أي: تتصرفون قيل معناه جاعلكم خلفاً ممن قبلكم وأعطى ما بأيديهم إياكم فناظر هل تعتبرون بحالهم وتتدبرون في مآلهم.

قال قتادة: ذكر لنا عمر رضي الله عنه قال: صدق ربنا جعلنا خلفاء الأرض لينظر إلى أعمالنا فأروه من أعمالكم خيراً بالليل والنهار والسر والعلانية.

وفي الآية: وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ ليرتدعوا عن إنكار النبوة واستعجال الشر حذراً من أن ينزل بهم عذاب الاستئصال كما نزل بمن قبلهم من المكذبين وهذا الوعيد والتهديد لا يختص بهم فإن أهل كل قرن خليفة لمن قبله إلى قيام الساعة.

فعلى العاقل أن يعتبر بمن مضى ويتدارك حاله قبل نزول القضاء.

قال: في «التأويلات النجمية» إن لهذه الأمة اختصاصاً باستحقاق الخلافة الحقيقية التي أودعها الله في آدم عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولهذا السر ما كان في أمة من الأمم من الخلفاء ما كان في هذه الأمة بالصورة والمعنى وللخلافة صورة ومعنى فكما أن صورة الخلافة مبنية على الحكم بين الرعية الصورية بالعدل والتسوية على قانون الشرع والأجناب عن متابعة الهوى والطبع، كذلك معنى الخلافة مبني على الحكم بين الرعية المعنوية، وهي الجوارح والأعضاء والقلب والروح والسر والنفس وصفاتها وأخلاقها والحواس الخمس والقوى النفسانية بالحق، كما كان سيرة الأنبياء وخواص الأولياء في طلب الحق ومجانبة الباطل وترك ما سوى الله والوصول إلى الله.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: على مشركي مكة. ﴿آياتنا﴾ القرآنية الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك حال كونها. ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على ذلك. ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾: يعني: [اميد ندارند ديدار مارا ورسيدن بما] وهو عبارة عن كونهم مكذبين للحشر.

قال في «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أنه ليس لهم شوق إلى الله وطلبه إذ الشوق من شأن القلب الحي وقلوبهم ميتة ونفوسهم حية فلما في القرآن مما يوافق القلوب ويخالف النفوس ما قبله أرباب النفوس ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ القرآن المنزل بأن لا يكون على ترتيب هذا ونظمه وبأن يكون خالياً عما نستبعده من أمر البعث والجزاء وعما نكرهه من ذم آلهتنا وتحقيرها ﴿أو بدله﴾ بأن يكون هذا القرآن المنزل باقياً على نظمه وترتيبه لكن يوضع مكان

الآيات الدالة على ما نستبعده ونستكرهه آيات آخر موافقة لطريقتنا كما بدل أحبار اليهود التوراة ورهبان النصارى الإنجيل بما كان موافقاً لهواهم ولعلهم سألوا ذلك طمعاً في أن يسعفهم إلى إتيانه من قبل نفسه فليزموه بأن يقولوا قد تبين لنا أنك كاذب في دعوى إن ما تقرأه علينا كلام إلهي وكتاب سماوي أوحي إليك بواسطة الملك وإنك تقوله من عند نفسك وتفتري على الله كذباً ﴿**قل ما يكون لي**﴾ أي: ما يصح لي ولا يمكنني أصلاً ﴿**أن أبدله من تلقاء نفسي**﴾ أي: من قبل نفسي وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر كذا قال البيضاوي: وهو أولى مما في «الكشاف»، والبيان. أن التبديل داخل تحت قدرة الإنسان، وإما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان وذلك؛ لأن التبديل ربما يحتاج إلى تغيير سورة أو مقدارها وإعجاز القرآن يمنع من ذلك كما لا يخفى وهو اللائح بالبال ﴿**إن اتبع إلا ما يوحى إليّ**﴾ تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه أي: ما اتبع في شيء إلا ما يوحى إلي من غير تغيير له في شيء أصلاً على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى إليه لا قصر أتباعه على ما يوحي إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما افعل إلا اتباع ما يوحى إليّ وقد مر تحقيق المقام في سورة الأنعام ﴿**إني أخاف إن عصيت ربي**﴾ أي: بالتبديل ﴿**عذاب يوم عظيم**﴾ هو يوم القيامة.

وفيه إشارة: إلى أن التبديل إذا كان عصياناً مستوجباً للعذاب يكون اقتراحه كذلك لأنه نتيجته والنتيجة مبنية على المقدمة فعلم منه أن المؤدي إلى المكروه أو الحرام، مكروه أو حرام ألا ترى أن بعض الكيوف التي يستعملها أرباب الشهوات في هذا الزمان مؤد إلى استثقال الصوم الفرض واستثقال أمر الله تعالى ليس من علامات الإيمان نسأل الله تعالى أن يجذب عناننا من الوقوع في مواقع الهلاك.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**قل لو شاء الله**﴾ أن لا أتلو عليكم ما أوحي إليّ من القرآن. ﴿**ما تلوته عليكم**﴾ لأني أمي وليس التلاوة والقراءة من شأني كما كان حالي مع جبريل أول ما نزل فقال: «اقرأ قلت لست بقارىء فغطني جبريل ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١] فقرأته لما جعلني قارئاً ولو شاء الله أن لا أقرأه ما كنت قادراً على قرآته عليكم» - حكي - أن واحداً من المشايخ الأميين استدعى منه بعض المنكرين الوعظ بطريق التعصب والعناد زعماً منهم أنه لا يقدر عليه فيفتضح لأنه كان كردياً لا يعرف لسان العرب ولا يحسن الوعظ والتذكير فنام بالغم فأذن له ﷺ في المنام بذلك فلما أصبح جلس مجلس الوعظ والتذكير وقرر من كل تأويل وتفسير وقال: أمسيت كرديا وأصبحت عربياً، وذلك من فضل الله وهو على كل شيء قدير. قال الحافظ:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد ديكران هم بكنند آنچه مسيحا ميكر

﴿**ولا أدراكم به**﴾ ماض من دريت الشيء، ودريت به، أي: أعلمته وادرانيه غيري أي: اعلمنيه والمعنى، ولا أعلمكم الله القرآن على لساني ولا أشعركم به أصلاً ﴿**فقد لبثت فيكم**﴾ أي: مكثت بين ظهرانيكم ﴿**عمراً**﴾ بضمتين الحياة والجمع أعمار كما في «القاموس».

قال أبو البقاء: ينصب نصب الظروف أي: مقدار عمر أو مدة عمر. قال ابن الشيخ: أي مدة متطاولة وهي أربعون سنة ﴿من قبله﴾ من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه وكان عليه السلام لبث فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحي إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة فمن عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشىء قريضاً ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتاباً بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من عند الله وإن ما قرأه عليه معجز خارق للعادة.

امــيء داناكــه بــعــلــم فــزون رانــدرقــم بــرورق كــاف ونــون

بــى خــط وقــرطــاس زعــلــم ازل مــشــكــل لــوح وقــلــمــش كــش حــل

﴿أفلا تعقلون﴾ أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ احتراز مما أضافوه إليه عليه السلام كناية وهو أنه عليه السلام نظم هذا القرآن من عند نفسه ثم قال: إنه من عند الله افتراءً عليه فإن قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله كناية عنه فقوله عليه السلام ﴿فمن أظلم ممن افترى﴾ كناية عن نفسه كأنه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند الله كما زعمتم لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه من حيث افتريته على الله لكن الأمر ليس كذلك بل هو وحي إلهي. ﴿أو كذب بآياته﴾ فكفر بها ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب.

وفي «التأويلات النجمية» أي: لا يتخلص الكذابون والمكذبون من قيد الكفر وحجب الهوى وعذاب البعد وجحيم النفس انتهى، وذلك لأن الطريق طريق الصدق والإخلاص لا طريق الكذب والرياء فمن سلك سبيل الصدق أفلح ونجا ووصل ومن سلك سبيل الكذب خاب وهلك وضل.

وعن أبي القاسم الفقيه إنه قال: أجمع العلماء على ثلاث خصال إنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص من الظلم وطيب الغذاء والصدق لله في الأعمال وفي الحديث: «إن من أعظم الفرية ثلاثاً أن يفتري الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير» يعني في المنام «أو يفتري على والديه فيدعى إلى غير أبيه، أو يفتري عليّ يقول سمعت من رسول الله ولم يسمع مني». يقول الفقير: فإذا لم يصح هذا الواحد من أمته فيكف يصح لرسول الله عليه الصلاة والسلام والأنبياء عليهم السلام أمناء الله على ما أوحي إليهم لا يزيدون فيه ولا ينقصون ولا يبدلون فكذا الأولياء قدس الله أسرارهم أمناء الله على ما ألهم إليهم يبلغونه إلى من هو أهل له من غير زيادة ولا نقصان ومن أنكر كون الأمي ولياً فلينكر كونه نبياً فإن ذلك مفض إلى ذلك ومستلزم له.

قال: الإمام السخاوي قوله: «ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه» ليس بثابت ولكن معناه صحيح والمراد بقوله: ولو اتخذه لعلمه، يعني: لو أراد اتخاذه ولياً لعلمه ثم اتخذه ولياً انتهى.

وقال: الإمام الغزالي في شرح الاسم الحكيم، من الأسماء الحسنى ومن عرف الله تعالى فهو حكيم وإن كان ضعيف المنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها انتهى.
فظهر أن العلم الزائد على ما يقال: له علم الحال ليس بشرط في ولاية الولي وأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً يفقهه في الدين ويعلمه من لدنه علم اليقين.

قال: عمر رضي الله عنه يا نبي الله ما لك أفصحنا؟ فقال عليه السلام: «جاءني جبريل فلقنني لغة أبي إسماعيل وإن الله أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية فقد استبان الحق والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإياك أن تنكر ولاية مثل يونس وغيره من الأميين فإن شواهدهم تنادي على صحة دعواهم، بل وإياك أن تطلق لسانك بالطعن على لحنهم فإن سين بلال أحب إلى الله من شين غيره في اشهد: وفي «المثنوي» قدس سره:

كر حديثت كژبود معنيت راست آن كژىء لفظ مقبول خداست

وذلك لأن خطأ الأحباب أولى من صواب الأغيار كما في «المثنوي».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «إن لله عباداً يقال: لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتمتع وحسن الحلية وإنما بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه، واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلاً على مثل قلب إبراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه» واعلم أنهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحاً إلى الله في استباق الخيرات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي. وفي «المثنوي» في وصف الأولياء:

مرده است ازخودشده زنده برب زان بوداسرار حقش دردولب

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ويعبدون﴾ أي: كفار مكة ﴿من دون الله﴾ حال من الفاعل أي: متجاوزين الله لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قريباً لعبادة الأصنام ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي: الأصنام التي لا قدرة لها على إيصال الضرر إليهم إن تركوا عبادتها ولا على إيصال المنفعة إن عبدوها، لأن الجماد بمعزل عن ذلك والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ﴿ويقولون هؤلاء﴾ الأصنام ﴿شفعاؤنا عند الله﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا لأنهم كانوا لا يقرون بالمعاد، أو في الآخرة إن يكن بعث، كما قال: الكاشفي: [يا اكر فرضا حشر ونشر باشد چنانچه معتقد مؤمناً نست مارا ازخداى درخواست ميكنند واز عذاب ميرهانند].

واعلم أن أول ما حدثت عبادة الأصنام في قوم نوح عليه السلام وذلك إن آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر. فمات ودّ فحزن الناس عليه حزناً

شديداً فاجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بل فلما رأى إبليس ذلك جاء إليهم في صورة إنسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورة إذا نظرتم إليها ذكرتموه قالوا: نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات منهم واحد صور صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وتناست الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال: لمن حدث بعدهم إن الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله إليهم نوحاً فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ثم إن تلك الصور دفنها الطوفان في ساحل جدة فأخرجها اللعين، وأول من نصب الأوثان في العرب عمرو بن لحي من خزاعة وذلك أنه خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فرأى بأرض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح وهم يعبدون الأصنام فقال: لهم ما هذه؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال: لهم أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب؟ فأعطوه صنماً يقال: له هبل من العقيق على صورة إنسان، فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على يسراها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأبه قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده كذا في «إنسان العيون» وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وأسافا ﴿قل أتنبئون الله﴾ أتخبرونه ﴿بما لا يعلم﴾ أي: بالذي لا يعلمه كائناً ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ فما عبارة عن أن له شريكاً والظرف حال من العائد المحذوف وفي الاستفهام الإنكاري تقريع لهم وتهكم بهم حيث نزلوا منزلة من يخبر علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله. وفي الظرف تنبيه على أن ما يعبدونه من دون الله إما سماوي كالملائكة والنجوم وإما أرضي كالأصنام المنحوتة من الشجر والحجر لا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به سبحانه.

قال الكاشفي: [انتفاء علم بجهت معلومست يعني شما ميكوييد كه خدايرا شريك هست. وإثبات بشفاعت بتان ميكنيد وخداوندكه عالمست بجميع معلومات اين را نمى دانيدپس معلوم شدكه شريك نيست وشفاعت نخواهد بود] كما قال ابن الشيخ: فإن شيئاً من ذلك لو كان موجوداً لعلمه الله وما لا يعلمه الله استحال وجوده ﴿سبحانه﴾ [پاكست] ﴿وتعالى﴾ [برترست]﴿عما يشركون﴾ لما كان المنزه للذات الجليلة هو نفس الذات آل التنزيه إلى معنى التبرى أي: تبرأ وجل عن إشراكهم

واحـدانـدر مـلـك اوراپـارنـى بـنـدكـانـش را جـز اوسـالارنـى

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي: على ملة واحدة في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو في زمن نوح بعد الطوفان حين لم يبق على وجه الأرض من الكافرين دياراً فإن الناس كانوا متفقين على الدين الحق ﴿فاختلفوا﴾ أي: تفرقوا إلى مؤمن وكافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: لولا الحكم الأزلي بتأخير العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة

فإنه يوم الفصل والجزاء ﴿لقضي بينهم﴾ عاجلاً ﴿فيما فيه يختلفون﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء المحقق.

قال الكاشفي: [هر آينه حكم كرده شدى ميان ايشان ران چيزى كه ايشان دران اختلاف ميكنند عذاب بيامدى ومبطل هلاك شدى ومحق بماندى] ويحتمل أن يكون المعنى أن الناس كانوا أمة واحدة في بدء الخلقة موجودين على أصل الفطرة التي فطر الناس عليها فاختلفوا بحسب تربية الوالدين كما قال عليه السلام: [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه] ثم اختلفوا بعد البلوغ بحسب المعاملات الطبيعية والشرعية؛ ثم هذا الاختلاف كما كان بين الأمم السالفة كذلك كان بين هذه الأمة فمن مؤمن ومن كافر ومن مبتدع وفي اختلافهم فائدة جليلة وحكمة عظيمة حيث إن الكمال الإلهي إنما يظهر بمظاهر جماله وجلاله لكن ينبغي للناس أن يكونوا على التآلف والتوافق دون التباغض والتفرق لأن يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب الشاة المنفردة ـ وأوصى حكيم ـ أولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم: ائتوني بعصي فجمعها وقال: اكسروها وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ثم فرقها وقال لهم: خذوا واحدة واحدة فاكسروها فكسروها فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم فإذا تفرقتهم تمكن منكم عدوكم فاهلككم وفي الحديث: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» والمراد بالخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، والراشدون جمع راشد اسم فاعل وهو الذي أتى بالرشد واتصف به وهو ضد الغي فالراشد ضد الغاوي والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه، والنواجذ: آخر الأسنان والمعنى واظبوا على السنة وألزموها واحرصوا عليها كما يفعل العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلته وقد وقع هذا الاختلاف وسيقع إلى أن يقوم المهدي وينزل عيسى عليه السلام، قال الحافظ:

توعمر خواه وصبورى كه چرخ شعبده باز هزار بازى ازين طرفه تر بر انكيزد

وقال:

روزي اكر غمي رسدت تنك دل مباش روشكر كن مبادكه ازبد بتر شود

قال بعض العلماء: في هذه الأمة فرقة مختلفة تبغض العلماء وتعادي الفقهاء ولم يكن ذلك فيمن تقدم قبلنا من الأمم بل كانوا منقادين لهم محبين كما وصفهم الله تعالى في كتابه ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] والفقيه إذا كان مبغوضاً بين الناس فما ظنك بالعالم بالله ألا تراهم إذا وجدوا الرجل كاملاً في العلوم الظاهرة والباطنة متفرداً في فنه متميزاً من جنسه متفوقاً على أقرانه فمن قائل في حقه إنه زنديق ومن قائل إنه مبتدع وقلما تسمع من يقول إنه صديق فانظر إلى غيرة الله تعالى كيف ستره عن الأغيار وأخفى سره عن الأشرار. قال الحافظ:

معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن اغيار همي بيند ازان بسته نقابست

قال رويم من المشايخ الكرام: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا وذلك لأنه لو قبل بعضهم بعضاً لبقي بعضهم مع بعض وسكن بعضهم إلى بعض والسكون إلى غير الله تعالى عند الخواص من قبيل عبادة الأصنام عند العوام، وهذا التبري بين الصوفية

المحققين ليس كالتبري بين اليهود والنصارى لأن تبريهم في الحق للحق وتبري هؤلاء في الباطل للباطل والحاصل: أن من الاختلاف ما كان مذموماً وما كان ممدوحاً، فالمذموم هو ما كان في العقائد وأصول الدين، والممدوح هو ما كان في الأعمال وفروع الدين كما قال عليه السلام: «اختلاف الأئمة رحمة» وعن علي كرم الله وجهه قال له يهودي: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة وهذا من الأجوبة المسكتة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿ويقولون﴾ أي: كفار مكة ﴿لولا﴾ للتحضيض مثل هلا ﴿أنزل عليه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿آية﴾ معجزة ﴿من ربه﴾ كانوا يقولون إن القرآن يمكن معارضته كما دل عليه قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقترحون أشياء أخر سوى القرآن لتكون معجزة مثل اليد والعصا وتفجير الأنهار وغيرها:

كفت اكر آسان نمايد اين بتو   اينچنين يك سوره كو اى سخت رو

﴿فقل﴾ لهم في الجواب ﴿إنما الغيب لله﴾ اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فإن الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان. والمعنى إن ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم عليه إيمانكم من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه ولو علم الصلاح في زيادة الآيات لأنزل.

وفي «التأويلات النجمية»: الغيب: هو عالم الملكوت الذي ينزل منه الآيات ويظهر منه المعجزات بإنزال الله تعالى وإظهاره فهو لله وبحكمه ينزل الآيات منه متى شاء كما شاء، ﴿فانتظروا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليّ من الآيات العظام واقتراحكم غيره وقد أمهلهم الله سبحانه ليأخذ الظالم منهم أخذ عزيز مقتدر وقد يعجل عقوبة من يشاء [آورده اندكه سپسالارى بود ظالم وبا اتباع خود بخانه يكى از مشايخ كبار فرود آمد خداوندخانه كفت من منشوري دارم بخانه من فرود مياكفت منشوري بنماى شيخ در خانه رفت ومصحفي عزيز داشت ودرپيش بياورد وبازكرد اين آيت برآمدكه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] سپهسالار كفت حن پنداشتم كه منشورا ميرداري بدان التفات نكرد ودرخانه شيخ فرود آمد آن شب قولنجش بكرفت وهلاك شد] وفيه إشارة إلى أن حضرة القرآن ليس كسائر الآيات.

فمن رده واستحقره فقد تعرض لسخط الله تعالى أشد التعرض كما أن من قبله وعظمه، صورة بالرفع والمس على الطهارة ونحو ذلك، ومعنى بالعمل بما فيه والتخلق بأخلاقه نال من الله كما يتمناه ـ حكي ـ أن عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى، وذلك أنه كان من أسخياء زمانه يبذل النعم للمترددين فثقل ذلك على أهل قريته ونغصوا عليه فذهب ليشتكي من أهل القرية إلى الحاج بكتاش أو غيره من الرجال فنزل بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا: هو كلام الله تعالى فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله تعالى فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم يزل قائماً إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل وقال: أنا مطلبك ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك

وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط برأسها منديلاً وقال: ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته بلاجك، وفتح بعناية الله تعالى ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً ثم بعد ارتحاله صار ولده اورخان سلطاناً ففتح هو بروسة المحروسة بالعون الإلهي فمن ذلك الوقت إلى هذا الآن الدولة العثمانية على الازدياد بسبب تعظيمه كتاب الله وكلامه القديم كذا في «الواقعات المحمودية».

فليلازم العاقل تعظيم القرآن العظيم ليزداد جاهه ورتبته، وليحذر من تحقيره لئلا ينتقص شأنه وهيبته ألا ترى أن السلطان محمد الرابع وأعوانه لما رفضوا العمل بالقرآن، وأخذوا بالظلم والعدوان سلط الله عليهم وعلى الناس بسببهم القحط والخوف فخرج من أيديهم أكثر القلاع المعمورية الرومية، واستولى الكفار إلى أن طمعوا في القسطنطينية واشتد الخوف إلى أن قال الناس: أين المفرّ، وكل ذلك وقع من القرناء السوء فإنهم كانوا يحثون السلطان على الجريان بخلاف الشرع.

اي فغان از يار ناجنس اي فغان همنشين نيك جو ييد اي مهان
اي بسا مهتر بچه از شور وشر شد زفعل زشت خود ننك پدر

اللهم اجعلنا من المعتبرين واجعلنا من المتبصرين.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي: أهل مكة ﴿رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضراء﴾ كحقط ومرض ﴿مستهم﴾ أصابتهم وخالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وإسناد المساس إلى الضراء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] ونظائره، وإذا للشرط وجوابه قوله ﴿إذا﴾ للمفاجأة ﴿لهم مكر في آياتنا﴾ أي: فاجأوا في وقت إذاقة الرحمة وقوع المكر منهم بالطعن في الآيات والاحتيال في دفعها وسارعوا إليه قبل أن ينفضوا عن رؤوسهم غبار الضراء.

قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله وأنزل الغيث على أراضيهم فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله.

قال مقاتل: لا يقولون هذا رزق الله وإنما يقولون سقينا بنوء كذا وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط من الأنواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة في منزل منها ويسقط في المغرب نجم واحد من تلك المنازل الثمانية والعشرين في كل ثلاثة عشر يوماً مع طلوع الفجر، ويطلع رقيبه من المشرق في ساعته في مقابلة ذلك الساقط وهذا في غير الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فينقضي الجميع بانقضاء السنة، أي: مع انقضاء ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً لأن ثلاثة عشر في ثماني وعشرين مرة تبلغ هذا القدر من العدد وإنما سمي النجم نوأ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء أي: ينهض ويطلع فلما أنجاهم الله من القحط لبسوا الأمر على اتباعهم وأضافوا ذلك المطر إلى الأنواء لا إلى الله لئلا يشكروا الله ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم في آيات الله.

ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافراً، بخلاف من يرى أنها بخلق الله والأنواء وسائط وأمارات بجعله تعالى كما قال: في «الروضة» المؤثر هو الله تعالى والكواكب أسباب عادية. قال الحافظ:

كررنج پيشت آيد وكرراحت اي حكيم   نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند

﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أعجل عقوبة، أي: عقابه أسرع وصولاً إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجوداً، فيكون من باب تسمية الشيء باسم سببه، أو ذكرا فيكون من باب المشاكلة ـ روي ـ عن مقاتل أنه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم، فكان أسرع في إهلاكهم من كيدهم في إهلاكه عليه السلام وإبطال آياته. والمكر إخفاء الكيد وإرادة الله خفية عليهم وإرادتهم ظاهرة.

توكل على الرحمن واحتمل الردى   ولا تخش مما قد يكيد بك العدى

﴿إن رسلنا﴾ الذين يحفظون أعمالكم وهم الكرام الكاتبون. وفيه التفات إذ لو جرى على أسلوب قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٢٧] لقيل إن رسله ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ أي: مكركم أو ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام، وتنبيه على أن ما دبروا إخفاءه لم يخف على الحفظة فضلاً عن أن يخفى على الله وفيه تصريح بأن للكفار حفظة.

فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه أي: شيء يكتب ولم يكن لهم حسنة. يقال: إن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب كما في «البستان».

واختلفوا في عددهم فقال عبد الله بن المبارك: هم خمسة: اثنان بالنهار واثنان بالليل وواحد لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فثبت بهذا أن أفعال الناس وأقوالهم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين مضبوطة مكتوبة للإلزام عليهم يوم القيامة وإن المكر والحيلة لا مدخل له في تخليص الإنسان من مكروه بل قد قالوا: إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة فمن ظن نجاته في المكر كان كثعلب ظن نجاته في تحريك ذنبه وإنما المنجي هو القدم وهو ههنا العمل الصالح بعد الإيمان الكامل، والعاقل يتدارك حاله قبل وقوع القضاء [علاج واقعه پيش از وقوع بايدكرد].

قال زياد: وليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه ولكن العاقل الذي يحتال للأمور حذراً أن يقع فيها. قال السعدي قدس سره:

توپيش ازعقوبت درعفو كوب   كه سودى ندارد فغان زيرچوب
كنون كرد بايد عمل را حساب   نه روزى كه منشور كردد كتاب

والإشارة في الآية: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي: أذقناهم ذوق توبة أو إنابة أو صدق طلب أو وصول إلى بعض المقامات أو ذوق كشف وشهود. ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ وهو الفسق والفجور والأخلاق الذميمة وحجب أوصاف البشرية وصفات الروحانية ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بإظهارها مع غير أهلها للشرف بين الناس وطلب الجاه والقبول عند الخلق واستتباعهم والرياسة عليهم وجذب المنافع منهم. ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أسرع في إيصال مجازاة مكرهم إليهم باستدراجهم من تلك المقامات والمكرمات إلى دركات العبد وتراكم الحجب من حيث لا يعلمون ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ أي: غير خاف علينا قدر مراتب مكرهم فنجازيهم على حسب ما يمكرون كما في «التأويلات النجمية».

وقد رؤي من أهل هذه الطريقة كثير ممن مشى على الماء والهواء وطويت له الأرض ثم

رد إلى حاله الأولى وقد يمشي المستدرج على الماء والهواء وتزوي له الأرض وليس عند الله بمكان لأنه ليست عنده هذه المراتب نتائج مقامات محمودة وإنما هي نتائج مقامات مذمومة قامت به إرادة الحق سبحانه أن يمكر به في ذلك الفعل الخارق للعادة وجعله فتنة عليه وتخيل أنه إنما أوصله إليها ذلك الفعل الذي هو معصية شرعاً وإنه لولاه ما وقف على حقيقة ما اتفق له هذا وغفل المسكين عن موازنة نفسه بالشريعة.

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فيستمر على ذلك الفعل كذا في «مواقع النجوم». قال الحافظ قدس سره:

زاهد ايمن مشواز بازىء غيرت زنهار　　　كه ره از صومعه تادير مغان اين همه نيست

وقلَّ من تخلص من العقبات، ألا ترى أن الواصل قليل بالنسبة إلى المنقطع ولا بد في قطعها من مرشد كاملٍ ومؤدب حاذق. وفي المثنوي:

درپناه شيركم نايد كباب　　　روبها توسوى جيفه كم شتاب

چون كرفتى پيرهن تسليم شو　　　همچو موسى زير حكم خضررو

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿الذي يسيركم﴾ من التسيير، والتضعيف فيه للتعدية يقال: سار الرجل وسيرته أنا وهو بالفارسية [برفتن آوردن] والمعنى [مى راند وقد رت مى دهد در قطع مسافت شمارا] ﴿في البر﴾ على الأقدام وظهر الدواب من الخيل والبغال والحمير والإبل، ﴿والبحر﴾ على السفن الكبيرة والصغيرة المعبر عنهما بالفارسية [كشتى وزورق] وفيه إشارة إلى أن المسير في الحقيقة هو الله تعالى لا الريح، فإن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه أيضاً، بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه وتعالى ومن عرف ذلك وقطع الاعتماد على الريح في استواء السفينة وسيرها تحقق بحقائق توحيد الأفعال وإلا بقي في الشرك الخفي. قال السعدي قدس سره:

قضا كشتى آنجا كه خواهد برد　　　وكر ناخدا جامه برتن درد

وقال الحافظ قدس سره:

من از بيكانكان ديكر ننالم　　　كه بامن هرچه كرد آن آشناكرد

﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ غاية لقوله يسيركم في البحر. فإن قيل: غاية الشيء تكون بعده والحال أن السير في البحر يكون بعد الكون في الفلك.

قلنا ليس الغاية مجرد الكون في الفلك بل هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله: ﴿وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها﴾ فإن هذا المجموع بعد السير في البحر ﴿وجرين﴾ أي: الفلك لأنه جمع مكسر بمعنى السفن وتغييره تقديري بناء على أن ضمته كضمة أسد جمع أسد وضمة مفردة كضمة قُفل ﴿بهم﴾ أي: بالذين فيها والالتفات في بهم للمبالغة في التقبيح والإنكار عليهم، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويحملهم على الإنكار والتقبيح. ﴿بريح طيبة﴾ لينة الهبوب موافقة لمقصدهم، ﴿وفرحوا بها﴾ بتلك الريح لطيبها وموافقتها

﴿جاءتها﴾ أي: تلقت الريح الطيبة واستولت عليها من طرف مخالف لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئاً لريح أخرى عادة، بل هو اشتداد للريح الأولى. ﴿ريح عاصف﴾ يقال: عصفت الريح أي: اشتدت فهي ريح عاصف، أي: شديدة الهبوب ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف فلا حاجة إلى الفارق ﴿وجاءهم الموج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿من كل مكان﴾ أي: من أمكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب أيضاً؛ إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تتفق وإليه مال الكاشفي حيث قال: يعني [از چب وراست وپيش وپس] ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: هلكوا فإن ذلك في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي ﴿دعوا الله﴾ بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة الملزوم ﴿مخلصين له الدين﴾ من غير أن يشركوا به شيئاً من آلهتهم فإن إخلاص الدين والطاعة له تعالى عبارة عن ترك الشرك وهذا الإخلاص ليس مبنياً على الإيمان بل جار مجرى الإيمان الاضطراري.

وقيل: المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شرا هيا فإن تفسيره يا حي يا قيوم وهذان الاسمان من أوراد البحر كما سبق في تفسير آية الكرسي. ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة للقسم على إرادة القول، أي: دعوا حال كونهم قائلين، والله لئن أنجيتنا ﴿من هذه﴾ الورطة ﴿لنكونن﴾ ألبتة بعد ذلك أبداً ﴿من الشاكرين﴾ لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وهي نعمة الإنجاء وذلك باتباع أوامرك والاجتناب عن مساخطك لا نكفر نعمتك بعبادة غيرك.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فلما أنجاهم﴾ مما غشيهم من الكربة إجابة لدعائهم والفاء للدلالة على سرعة الإجابة. ﴿إذا هم يبغون في الأرض﴾ أي: فاجأوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه من التكذيب والشرك والجراءة على الله تعالى وزيادة في الأرض، للدلالة على شمول بغيهم لأقطارهم. ﴿بغير الحق﴾ أي: حال كونهم ملتبسين بغير الحق.

قال الكاشفي: [تأكيد ست يعني فساد ايشان بغير حق است هم باعتقاد ايشان چه ميدانندكه دران عمل مبطلند] فيكون كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] وقد سبق في سورة البقرة ﴿يا أيها الناس﴾ الباغون ﴿إنما بغيكم﴾ الذي تتعاطونه وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿على أنفسكم﴾ أي: وباله راجع عليكم وجزاؤه لاحق بكم لا على الذين تبغون عليهم وإن ظن كذلك ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف، أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا أياماً قلائل فتفنى الحياة وما يتبعها من اللذات وتبقى العقوبات على أصحاب السيئات.

هركه اويد ميكند بى شبهه باخود ميكند

﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ في يوم القيامة لا إلى غيرنا ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في إنهما سببان للعلم.

وفي الآية الكريمة إشارات: منها أن الفلك نعمة من الله تعالى؛ إذ قد يحتاج الناس إلى

عبور البحر به ولذا امتن الله عليهم بالتسيير في البحر.

قال: في «أنوار المشارق»: يجوز ركوب البحر للرجال والنساء كذا قاله: الجمهور وكره ركوبه للنساء؛ لأن الستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر من المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال انتهى.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» قوله: فإن تحت البحر ناراً، إشارة إلى أن راكبه متعرض للآفات المهلكة كالنار. وقوله: وتحت النار بحراً، أراد به تهويل أمر البحر وخوف الهلاك منه كما يخاف من ملامسة النار وإن اختيار ذلك لغرض من الأغراض الفانية سفه وجهل، لأن فيه تلف النفس، وبذل النفس لا يجمل إلا فيما يقرب العبد إلى الله وهذا الحديث يدل على وجوب ركوب البحر للحج والجهاد إذا لم يجد طريقاً آخر ومن ركب البحر وأصابه نصب ومشقة كدوران الرأس وغثيان المعدة وغير ذلك فله أجر شهيد إن كان يمشي إلى طاعة الله كالغزو والحج وطلب العلم وزيارة الأقارب، وأما التجار: فإن لم يكن طريق سوى البحر وكانوا يتجرون للقوت لا لجمع المال فهم داخلون في هذا الأجر. والغريقِ له: أجر شهيدين. أحدهما لقصد ما فيه طاعة. وثانيهما للإغراق.

وفي الحديث: «حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن فاته الغزو معي فليغز في البحر».

يقول الفقير: وأما الصوم فعلى عكس ذلك والله أعلم لأن الصوم في البحر سهل حيث لا يشتهي الطبع الطعام، لأجل الدوران والغثيان بخلافه في البر وقوة الأجر بكثرة التعب، وكذا الغزو في البر سهل بالنسبة إلى البحر لسعة الأرض وإمكان التحفظ من العدو وقوة المزاج ولم يكن ذلك في البحر. قيل لبحار: ما أعجب ما رأيت من عجائب البحر، قال: سلامتي منه ونعم ما قيل:

بدريادر منافع بى شمارست اكر خواهى سلامت دركنارست

قال السعدي قدس سره:

سود دريانيك بودى كرنبودى بيم موج
صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويش خار

ـ لطيفة ـ ركب نحوي سفينة فقال للملاح: أتعرف النحو؟ قال: لا قال: ذهب نصف عمرك فهاجت الريح واضطربت السفينة، فقال الملاح أتعرف السباحة؟ قال: لا قال: ذهب كل عمرك. وفي «المثنوي»:

محو مى بايد نه نحو اينجابدان كرتو محوى بى خطر در آب ران
آب دريا مرده را برسر نهد وربود زنده زدريا كى رهد
چون بمردى توز اوصاف بشر بحر اسرارت نهد بر فرق سر
اي كه خلقان راتوخر مى خواندهٔ اين زمان چون خربرين يخ ماندهٔ

ومنها: أن البغي والفساد والتعصب والعناد وكفران نعمة رب العباد إنما هو من نسيان العهد مع الله ذي الأمداد ونتيجة النسيان والإصرار على الآثام المؤاخذة والانتقام.

وفي الحديث: «ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين» وفي الحديث: «لا تمكر ولا تغن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً» فالبغاة من القضاة والولاة لا يجوز إعانتهم في أمر من الأمور إلا في إجراء الأحكام الشرعية فقد ورد «من أعان ظالماً سلطه الله عليه».

وفي الحديث: «ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم، ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم إلا حرم الله عليه الجنة». قال السعدي قدس سره:

رعيت چو بيخند سلطان درخت	درخت اي پسر باشد ازبيح سخت
مكن تاتواني دل خلق ريش	وكر ميكني ميكني بيخ خويش
كر انصاف پرسى بداختر كسست	كه در راحتش رنج ديكر كسست
نماند ستمكار بد روز كار	بماند بر ولعنت پايدار

ومنها: أن لكل عمل صورة حقيقية بها يظهر في النشأة الآخرة فإن كان خيراً فعلى صورة حسنة، وإن كان شراً فعلى صورة قبيحة وهذه الصور المختلفة برزت في هذه النشأة على خلاف ما هي عليه في الآخرة، ولذا استحسن العصاة المعاصي واستحلوها وإن كانت سموماً قاتلة؛ واستكرهوا الطاعات ووجدوها مرة المذاق وإن كانت معاجين نافعة، فالبغي برز في هذه الدار بصورة مشتهاة عند البغاة لتمتعهم به من حيث أخذ المال والتشفي من الأعداء ونحو ذلك وسينبئهم الله بأعمالهم، أي: يظهرها لهم على صورها الحقيقية فيرون أن الأمر على خلاف ما ظنوا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ أي: حالها العجيبة وسميت الحال العجيبة مثلاً تشبيهاً لها بالمثل السائر في الغرابة، **﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾** أي: اختلط بسبب المطر نبات الأرض واشتبك بعضه في بعض وكثف. **﴿مما يأكل الناس﴾** حال من النبات، أي: كائناً مما يأكل الناس من الزروع والبقول. **﴿والأنعام﴾** من الحشيش **﴿حتى﴾** غاية للاختلاط باعتبار الجزاء الذي هو إتيان الأمر الإلهي، **﴿إذا أخذت الأرض زخرفها﴾** زينتها وحسنها **﴿وازينت﴾** بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة، كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها فالأرض استعارة بالكناية حيث شبهت بالعروس وأثبت لها ما يلائم العروس، وهو أخذ الزينة وهو قرينة الاستعارة بالكناية. وقوله وازينت ترشيح، واصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الإدغام. **﴿وظن أهلها﴾** أي: أهل تلك الأرض **﴿أنهم قادرون عليها﴾** متمكنون من حصدها ورفع غلتها. **﴿أتاها أمرنا﴾** جواب إذا.

قال الكاشفي: [نا كاه آمد بدان زمين عذاب ما يعني فرمان ما بخرابى آن زمين در رسيد]

﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها﴾ أي: زروع تلك الأرض وسائر ما عليها فالمضاف محذوف للمبالغة ﴿حصيداً﴾ شبيهاً بما حصد من أصله. ﴿كأن لم تغن﴾ زروعها، أي: لم تنبت ﴿بالأمس﴾ وهو مثل في الزمان القريب وليس المراد أمس يومه كأنه قيل لم تغن آنفاً، ويقال: للشيء، إذا فني كأن لم يغن بالأمس، أي: كأن لم يكن وهو من باب علم يقال: غني بالمكان إذا قام به، والجملة حال من مفعول جعلناها ﴿كذلك﴾ الكاف صفة مصدر محذوف، أي: مثل ذلك التفصيل البديع. ﴿نفصل الآيات﴾ القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحياة الدنيا، أي: نوضحها ونبينها ﴿لقوم يتفكرون﴾ في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها.

واعلم أن التشبيه الواقع في هذه الآية تشبيه مركب، وإن دخل الكاف على المفرد وهو الماء لأنه شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة وبهائها وسرعة انقضائها بعد اغترار الناس بها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الأرض ونضارتها وانعدامها عقيبها بآفة سماوية ومشيئة إلهية.

بنكر بآنكه روى زمين فصل نوبهار مانند نقش خامهٔ ما نى مزينست
وقت خزان ببرك رياحين چو بنكرى منصف شوى كه لائق برباد دادنست

وقال بعضهم: مثلت الحياة الدنيا بالماء، لأن الماء يتغير بالمكث فكذا المال بالإمساك، أي: يصير مذموماً عند البخل. كما قال في «المثنوي»:

مال چون آبست وتاباشد روال فيضها يا بند ازواهل جهان
چند روزى چون كند يكجا درنك كنده وبيحاصلت وتيره رنك

يقول الفقير: من البخل أيضاً حبس الكتب ممن يطلبها للانتفاع بها لا سيما مع عدم التعدد لنسخها الذي هو أعظم أسباب المنع والوعيد المذكور في قوله عليه السلام: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» يشمل ما ذكرنا كما في «المقاصد الحسنة». وقد رأينا في زماننا من يمنع الكتب عن المستحقين ويحبس بعض الثياب في الصندوق إلى أن يبلى ويفنى لا يلبس ولا يبيع ولا يهب، ولو قلت فيه لقال: إني ورثته من أبي أو أمي فاحفظه تبركاً فانظر إلى هذا الجهل الذي لا يغني عنه شيئاً!.

وقال بعضهم في وجه المماثلة: المطر إذا نزل بقدر الحاجة نفع، وإذا جاوز حد الاعتدال ضر، فكذا المال إذا كان قدر ما يندفع به الضرورة ويحصل به مقاصد الدين والدنيا كان نافعاً وإذا كان زائداً على قدر الحاجة صار موجباً لارتكاب المعاصي ووسيلة للتفاخر على الأداني والأقاصي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧].

توانكرى كشدت سوى عجب ونخوت وناز خوشست فقركه دارد هزار سوز ونياز

وقال بعضهم: [چون باران بنهال كل رسد لطافت وطراوت أو بيفزايد وچون بخاربن كذرد حدت وشوكت او زيادت كند مال دنيا نيز چون بمصلح رسد صلاح او بيفزايد] (كما في الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح) [واكر بدست مفسد افتد مايهٔ فساد وعناد اوروي بازدياد نهد] كما أن العلم النافع سيف قاطع لصاحبه في قتل الهوى والعلم الغير النافع سبب لقطع طريق صاحبه عن الحق فما أحسن الأول وما أقبح الثاني؟!.

وقال بعضهم: [چون آب باران بزمين رسد قرار نكيرد وبلكه بأطراف وجوانب روان كردد مال دنيا نيزيكجا قرار نكيرد بلكه هر روز دردست ديكرى باشد وهر شب بايكى عقد

مواصلت بندد نه عهد اورا وفايى ونه وفاى اورا بقايى].

كنج امان نيست درين خاكدان مغز وفانيست درين استخوان

كهنه سرايست بصد جاكرو كهنه واندر كرو نوبنو

وسئل رسول الله ﷺ عن الدنيا فقال: «دنياك ما يشغلك عن ربك». أقول: إن الدنيا كالأم تربي الناس كالأولاد فمن اشتغل بالأم كالطفل عن المعلم بقي جاهلاً، وصار كأنه اتخذها صنماً لنفسه يعبده، ومن اشتغل بالمعلم عن الأم صار عالماً وتخلص من عبادة الهوى ووصل إلى المقصود. فذم الدنيا إنما هو بحسب اشتغاله عن الله تعالى لا بحسب نفسها. قيل: حد الدنيا من القاف إلى القاف.

وقال أهل التحقيق: حدها في الحقيقة من مقعر الكرسي إلى تحت الثرى فما يتعلق بعالم الكون والفساد فمن حد الدنيا، فالسموات والأرضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل في حد الدنيا وأما العرش والكرسي وما يتعلق بهما من الأعمال الصالحة والأرواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة، عصمنا الله وإياكم من التعلق بغيره أيا كان وشرفنا بالتجرد التام عن عالم الإمكان.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿والله﴾ اسم للذات الأحدية جامع لجميع الأسماء والصفات ومن ثمه توسل به بعضهم إلى دخول عالم الحقيقة.

وقال رجل للشبلي قدس سره: لِمَ تقول الله؟ ولا تقول لا إله إلا الله، فقال: أخشى أن أوخذ في وحشة الجحد. ﴿يدعو﴾ الناس جميعاً على لسان رسوله ﷺ وعلى ألسنة ورثته الكمل الذين اتبعوه قولاً وفعلاً وحالاً من الدار التي أولها البكاء وأوسطها العناء وآخرها الفناء ﴿إلى دار السلام﴾ أي: إلى دار السلامة من كل مكروه وآفة وهي الجنة أولها العطاء وأوسطها الرضاء وآخرها اللقاء ـ حكي ـ أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق وتغالى في حسنها وزينتها ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه واجلس أناساً على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيباً فيقولون: لا، حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا، فقال: ما كنت أرضى بعيب واحد فأتتوني بهم فأدخلوهم عليه، فسألهم عن العيبين ما هما؟ فقالوا: تخرب ويموت صاحبها، فقال: أفتعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها قالوا: نعم، فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه إليها وذكروا النار وعذابها وخوفوه منها، ودعوه إلى عبادة الله تعالى فأجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هارباً تائباً إلى الله تعالى.

والله يدعو آمده آزادىء زندانيان زندانيان غمكين شده كويى بزندان مكيشى

شاهان سفيها نرا همه دربند زندان ميكشند توازچه اززندان شان سوى كلستان ميكشى

وفي الحديث: «ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق إلا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام» والمقصود إلى العمل المؤدي إلى دخول الجنة.

ولذا قال بعض المشايخ: أوجب الله عليك وجود طاعته في ظاهر الأمر، وما أوجب

عليك بالحقيقة إلا دخول جنته إذ الأمر آيل إليها والأسباب عدمية، وإنما احتاجوا إلى الدعوة والإيجاب إذ ليس في أكثرهم من المروءة ما يردهم إليه بلا علة بخلاف أهل المروءة والمحبة والوفاء فإنه لو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما يجب أن يراعى من حرمة الربوبية. ويجوز أن يكون المعنى إلى دار الله تعالى فإن السلام اسم من أسمائه سبحانه والإضافة للتشريف كبيت الله ومعنى السلام في حقه تعالى أنه سلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر وفي حق العبد أنه سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده. أو المعنى إلى دار يسلم الله تعالى والملائكة على من يدخلها أو يسلم بعضهم على بعضهم.

يقول الفقير: دار السلام إشارة إلى دار القلب السليم الذي سلم من التعلق بغير الله تعالى ومن دخلها كان آمناً من التكدر مطلقاً بشيء من الأمور المكروهة صورة وصارت النار عليه نوراً وقد قيل جنة معجلة وهي جنة المعارف والعلوم وجنة مؤجلة وهي الموعودة في دار القرار والجنة مطلقاً دار السلامة لأولياء الله تعالى ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته منهم ﴿إلى صراط مستقيم﴾ موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى عم بالدعوة لإظهار الحجة وخص بالهداية لاستغنائه عن الخلق، وهذا العموم والخصوص في سماع الدعوة وقبولها بالنسبة إلى من كان له سمع كالعموم والخصوص في رؤية المسك وشمه بالإضافة إلى من كان له بصر، فرب رائي مزكوم ليس له إلا الرؤية وكذا رب سامع ليس له من القبول شيء، فمن تعلقت بهدايته إرادة الحق تعالى يسرت أسبابه وطوى له الطريق وحمل على الجادة فالداعي أولاً وبالذات هو الله تعالى وثانياً وبالعرض هو الأنبياء ومن اتبعهم على الحق اتباعاً كاملاً، والمدعو هو الناس والمدعو إليه هو الجنة وكذا الهادي هو الله والمهدي بالهداية الخاصة هو الخواص والمهدي إليه هو الصراط المستقيم ومشيئته تعالى إرادته وهي صفة قديمة اتصفت بها ذاته تعالى كعلمه وقدرته وكلامه وسائر صفاته ويسمى متعلقها المراد المعبر عنه بالعناية فمن سأل بلسان الاستعداد كونه مظهراً للجلال أمسك في هذه النشأة عن إجابة الدعوة ومن سأل كونه مظهراً للجمال أسرع للإجابة والله تعالى يعطي كل شيء ما يستعده وهذه المشيئة والسؤال لا بد في توفيقهما من قوة الحال. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم مى دهند مى رويم

واعلم: أن قبول الدعوة لا بد فيه من علامة وهي التزهد في الدنيا والسلوك إلى طريق الفردوس الأعلى والتوجه إلى الحضرة العليا ألا ترى إلى ابن أدهم خرج يوماً يصطاد فأثار ثعلباً أو أرنباً فبينما هو في طلبه هتف به هاتف ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن مركوبه وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة الراعي وهي من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان.

در راه عشق وسوسهٔ اهر من بسيست   هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

والانتباه الصوري أي: من المنام مثال للانتباه القلبي أي: من الغفلة فالقاعدون في مقامات طبائعهم ونفوسهم كمن بقي في النوم أبداً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر: ٤٢] والسالكون هم المنتبهون من رقدة هذه الغفلة وإليه الإشارة بقوله

تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] وهو اللائح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال.

قال: في «التأويلات النجمية» ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يدعو الله أزلاً وأبداً عباده إلى دار السلام وهي العدم صورة ظاهراً وعلم الله وصفته معنى وحقيقته، وإنما سمى العدم والعلم دار السلام لأن العدم كان داراً قد سلم المعدوم فيها من آفة الاثنينية والشركة مع الله في الوجود وهي دار الوحدانية وأيضاً لأن السلام هو الله تبارك وتعالى والعلم صفته القائمة بذاته فالله تعالى بفضله وكرمه يدعو عباده أزلاً من العدم إلى الوجود ومن العلم وهو الصفة إلى الفعل وهو الخلق ويدعوهم أبداً من الوجود إلى العدم ومن الفعل إلى العلم يدعوهم إلى الوجود بالنفخة وهي قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] ويدعوهم من الوجود إلى العدم والعلم بالجذبة وهي قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨].

ولما دعي النبي ﷺ بالجذبة إلى علم الله الأزلي الأبدي قال: (قد علمت ما كان وما سيكون) وذلك لأنه صار عالماً بعلم الله تعالى لا بعلم نفسه.

وهو سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وإنما علمه ذلك حين قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] أي: فاعلم بعلم الله الذي دعيت بالجذبة إليه أن لا إله في الوجود إلا الله فإن العلم الإلهي محيط بالوجود كله قال: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] فأنت بعلمه محيط بالوجود كله فتعلم حقيقة أن ليس في الوجود إله غير الله انتهى.

يقول الفقير: المتلقف من فم حضرة الشيخ سلمه الله تعالى: إن الانتباه الصوري إشارة إلى يقظة القلب. ثم الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة. ثم التكبيرة الأولى إشارة إلى التوجه الإلهي، فحاله من الانتباه إلى هنا إشارة إلى عبوره من عالم الملك وهو الناسوت والدخول في عالم الملكوت. ثم الانتقال إلى الركوع إشارة إلى عبوره من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت. ثم الانتقال إلى السجدة إشارة إلى عبوره من عالم الجبروت والوصول إلى عالم اللاهوت.

وهو مقام الفناء الكلي وعند ذلك يحصل الصعود إلى وطنه الأصلي العلوي فالانتقالات تصعد في صورة التنزل.

ثم القيام من السجدة إشارة إلى حالة البقاء فإنه رجوع إلى القهقرى وفيه تنزل في صورة التصعد والركوع مقام قاب قوسين وهو مقام الصفات، أي: الذات الواحدية والسجدة مقام أو أدنى، وهو مقام الذات الأحدية ومن هذا التفصيل عرفت ما في «التأويلات» من الصعود والهبوط مرة بالدعوة من العلم إلى الوجود ومرة بالدعوة من الوجود إلى العلم فإذا لم يقطع السالك عقبات العروج والنزول فهو ناقص، وفي برزخ بالنسبة إلى من قطعها كلها وتلك العقبات هي تعينات الأجسام والأرواح والعلم والعين على حسب تفصيل المراتب فيها فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩] تجد الإشارة إلى أن الهوية الذاتية لا يمسها إلا المطهرون من دنس تعلق كل تعين روحانياً كان أو جسمانياً والله المعين.

قال: في «التأويلات»: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فلما جعل الله دعوة الخلق من العلم إلى الفعل ومن الوجود إلى العدم والعلم عامة، جعل الهداية بالمشيئة إلى العلم وهي الصراط المستقيم خاصة، يعني هو يهديهم بالجذبة الكاملة إلى علمه القديم بمشيئته

الأزلية خاصة وهذا مقام السير في الله بالله انتهى كلامه.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿للذين أحسنوا﴾ أعمالهم أي: عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

يقول الفقير العبادة على وجه رؤية الله تعالى وشهوده والحضور معه لا تكون إلا بعد غيبوبة الغير عن القلب وارتفاع ملاحظته جداً فيأول المعنى إلى قولنا للذين أخلصوا أعمالهم عن الرياء وقلوبهم عن غير الله تعالى. ﴿الحسنى﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي في اللغة تأنيث الأحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها ﴿وزيادة﴾ أي: وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] فالمثوبة ما أعطاه الله في مقابلة الأعمال، والزيادة ما أعطاه الله لا في مقابلتها والكل فضل عندنا.

وقيل: الحسنى مثل حسناتهم، والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر جمهور المحققين على أن الحسنى الجنة، والزيادة اللقاء والنظر إلى وجه الله الكريم.

وفي الحديث: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ رواه مسلم والترمذي والنسائي.

فإن قيل: لم سمىّ الله الرؤية زيادة والجنة الحسنى، والنظر إلى وجهه أكبر من الجنة والزيادة في الدنيا تكون أقل من رأس المال؟

قيل: المراد بالزيادة في الآية الزيادة الموعودة والموعودة الجنة فالزيادة ههنا ليست من جنس المزيد عليه وهي الجنة ودرجاتها فالزيادة من العزيز الأكبر أكبر وأعز كما أن الرضوان من الكريم الأجود أكبر وأجل.

وفي الخبر «إن أهل الجنة إذا رأوا الحق نسوا نعيم الجنة» وهذه الرؤية بعين الرأس وأما في الدنيا فبعين العين لغير نبينا ﷺ كما سبق عند قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية وإنما تحصل بارتفاع الموانع وهي حجب التعينات جسمانية أو روحانية. قال الحافظ:

جمال يا ندارد نقاب وپرده ولى غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد

وذلك لأن الله تعالى ليس بمحجوب؛ لأنه لو حجبه شيء لستره وهو ليس في جهة ولا مكان وإنما المحجوب أنت ولو أزال الحق الحجاب عنا وشاهدناه نسينا الكون وما فيه كما ينسى أهل الجنة نعيمها عند التجلي فكان يفوت آن التعبد الشرعي ولذا لا نشاهد الحق في دار الدنيا لأنها مقام التكليف ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: لا يغشاها. وبالفارسية [پوشيده نكر داند رويهاى بهشتيانرا] ﴿قتر﴾ غبرة فيها سواد والقتر أشد من الغبار. ﴿ولا ذلة﴾ أي: أثر هوان وكسوف بال والغرض من نفي هاتين الصفتين نفي أسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم أن

نعيمهم الذي ذكره الله خالص لا يشوبه شيء من المكروهات وأنه لا يتطرق إليهم ما إذا حصل يغير صفحة الوجه ويزيل ما فيها من النضارة والحسن. والجملة مستأنفة لبيان أمنهم من المكاره أثر بيان فوزهم بالمطالب، والثاني: وإن اقتضى الأول إلا أنه ذكر إذكاراً بما ينقذهم الله منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم ﴿أولئك﴾ [آن كروه محسنان] ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ بلا زوال دائمون بلا انتقال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ أي: للذين عاملوا الله على مشاهدته فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الحسنى وهي شواهد الحق والنظر إليه وزيادة والزيادة ما زاد على النظر بالوصول إلى العلم الأزلي مجذوباً من أنانيته إلى هويته بإفناء الناسوتية في اللاهوتية ﴿ولا يرهق وجوههم قتر﴾ أي: لا يصيبهم غبار الحجاب ﴿ولا ذلة﴾ وجود يقتضي الأثنينية ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ جنة السير في الله ﴿هم فيها خالدون﴾ دائمون في السير بجذبات العناية.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)﴾

﴿والذين كسبوا السيئات﴾ أي: ارتكبوا الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى: ﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ والجزاء مصدر من المبنى للمفعول والباء في بمثلها متعلقة بجزاء، والمعنى وجزاء الذين كسبوا السيئات أن يجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة.

قال: في «الكشاف» في هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل؛ لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله انتهى.

يقول الفقير: تبعه على هذا جمهور المفسرين ولكن تفسير رسول الله ﷺ كما سبق أحق بأن يتبع، ويرجح ويقدم على الكل، ولا مانع من أن يراد بالزيادة الفضل واللقاء فإن اللقاء الذي هو أفضل الكرامات إذا حصل فلأن يحصل ما هو دونه من الفضل والتضعيف أظهر ﴿وترهقهم﴾ [وبپوشد ايشانرا] إذا عاينوا النار. ﴿ذلة﴾ [خوارى ورسوايى يعني آثار مذلت برايشان هويدا كردد] وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيذان بأنها محيطة بها غاشية لهم جميعاً. ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ أي: لا يعصمهم أحد من سخطه تعالى وعذابه ولا يمنعه ﴿كأنما اغشيت﴾ ألبست. وبالفارسية [كوييا پوشيده شده است] ﴿وجوههم قطعاً من الليل﴾ لفرط سوادها وظلمتها ﴿مظلماً﴾ حال من الليل والعامل فيه معنى الفعل أي: قطعاً كائنة من الليل في حال كونه مظلماً، يعني: [سياه كردد رويهاى ايشان ازغم واندوه چون شب تيره] وقطعاً بفتح الطاء جمع قطعة مفعول ثاني لأغشيت وقرىء قطعاً بسكون الطاء وهو مفرد اسم للشيء المقطوع فحينئذٍ يصح أن يكون مظلماً صفة له لتطابقهما في الافراد والتذكير. ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه كاسب سيآتند] يعني: مشركان ومنافقان. ﴿أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ اعلم أن دخول الجنة برحمة الله تعالى وقسمة الدرجات بالأعمال والخلود بالنيات فهذه ثلاثة مقامات وكذلك في دار الشقاوة دخول أهلها فيها بعدل الله وطبقات عذابها بالأعمال وخلودهم بالنيات، يعني: أن المؤمن لما كانت نيته في الدنيا أن يعبد الله أبداً ما عاش وكذا الكافر لما كانت نيته

عبادة الأصنام أبداً ما عاش جوزي كل أحد بتأبيد النية، وأصل ما استوجبوا به هذا العذاب المؤبد المخالفة كما كانت في السعادة الموافقة وكذلك من دخل من العاصين النار لولا المخالفة ما عذبهم الله شرعاً نسأل الله لنا ولك وللمسلمين أن يستعملنا بصالح الأعمال ويرزقنا الحياء منه تعالى.

قال أبو العباس الأقليشي: لم أجد في مقدار بقاء العصاة في النار حدا في صحيح الآثار غير أن الغزالي ذكر في «الاحياء» حال عصاة الموحدين فقال: إن بقاء العاصي في النار لحظة وأكثره سبعة آلاف عام لما ورد به الأخبار انتهى.

يقول الفقير: لعل الحكمة في ذلك كون تلك المدة، عمر النوع الإنساني فاقتضى التشديد في التربية بقاءه في النار تلك المدة فالظاهر أن تلك السنين إنما هي باعتبار سني الآخرة التي كل يوم منها ألف سنة كما في حق الكفرة إلا أن يتفضل الله تعالى على المؤمنين والله أعلم. وعذاب كل عاص كيفية وكمية إنما هو على حسب حجابه كيفية وكمية، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً**﴾ فإنه باعتبار توجههم إلى السفليات، وهي الصفات الحيوانية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين انتقلوا من معادنهم الطينية وخرجوا من رعونة البشرية والتحقوا بالعالم الأعلى وكل من صفت جوهرته ولطف معناه يكون هكذا بخلاف من انكدرت جوهرته وكثف معناه فلا بد لك من أن تضرم على النفس نار المجاهدة وتلقيها في أبواط الرياضة فإن الرجال الأنجاد رضي الله عنهم ما اشتغلوا بتدبير جسومهم من حيث الشهوات وإنما اشتغلوا بنفوسهم أن يخلصوها من رعونة الطبع حتى يلحقوها بعالمها، ألا ترى سهلاً التستري وهو من رؤساء هذا الطريق وساداته لما قيل: له ما القوت؟ فقال: ذكر الحي الذي لا يموت، قيل له: هذا قوت الأرواح فما قوت الأشباح؟ فقال: دع الديار إلى بانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها، فما أحرم عبداً لم يوفقه الله لتخليص جوهرته؟! نعوذ الله من الحرمان. وفي المثنوي:

اين رياضتهاى درويشان چراست　　كان بلا برتن بقاي جانهاست
مردن تن در رياضت زند كيست　　رنج ابن تن روح را پايند كيست
پس رياضت رابجان شو مشترى　　چون سپردى تن بخدمت جان برى

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**ويوم نحشرهم**﴾ يوم منصوب على المفعولية بفعل مضمر، أي: أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله: ﴿**جميعاً**﴾ حال من الضمير، أي: مجتمعين لا يشذ منهم فريق ﴿**ثم نقول للذين أشركوا**﴾ أي: نقول للمشركين من بينهم ﴿**مكانكم**﴾ نصب على أنه في الأصل ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي أي: الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿**أنتم**﴾ تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده ﴿**وشركاؤكم**﴾ عطف عليه ﴿**فزيلنا**﴾ من زلت الشيء عن مكانه ازيله، أي: أزلته والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لأن ثلاثيه متعد بنفسه، وهذا التزييل وإن كان مما سيكون يوم القيامة إلا أنه لتحقق وقوعه صار

كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضي بعد قوله نحشر ونقول، أي: ففرقنا ﴿بينهم﴾ وبين الآلهة التي كانوا يعبدونها وقطعنا العلائق والوصل التي كانت بينهم في الدنيا فخابت أعمالهم وانصرمت عرى أطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم، والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة ﴿وقال شركاؤهم﴾ التي كانوا يعبدونها ويثبتون الشركة لها وهم الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولي العلم، وقيل: الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء. ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ مجاز عن براءة الشركاء من عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بأمر الشركاء وإرادتهم وإنما الآمر بها هو أهواؤهم والشياطين، فالمشركون إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم وشياطينهم الذين أغووهم.

﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم﴾ فإنه العالم بكنه الحال ﴿إن﴾ مخففة من إن واللام فارقة ﴿كنا عن عبادتكم﴾ لنا ﴿لغافلين﴾ والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء وإلا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر، وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم بإشراكهم مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك كذا في «الإرشاد» وهذا بالنسبة إلى كون المراد بالشركاء ذوي العلم وأما إن كان المراد الأصنام فمن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور ألبتة.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿هنالك﴾ ظرف مكان، أي: في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان. ﴿تبلو﴾ من البلوى والاختبار. في الفارسية [بيازمودن] أي: تختبر وتذوق ﴿كل نفس﴾ مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ﴿ما أسلفت﴾ أي: قدمت من العمل فتعاين نفعه وضره وأما ما عملت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر مجمل. ﴿وردوا﴾ الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله تعالى: ﴿هنالك تبلو﴾ الخ اعتراض في أثناء المقرر لمضمونها ﴿إلى الله﴾ أي: جزائه وعقابه فإن الرجوع إلى ذاته تعالى مما لا يتصور ﴿مولاهم﴾ ربهم ﴿الحق﴾ أي: المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلاً.

قال الشيخ في تفسيره: مولاهم الحق، أي: الذي يتولى ويملك أمرهم حقيقة ولا يشكل بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] لأن المعنى فيه المولى الناصر وفي الأول المالك ﴿وضل عنهم﴾ وضاع أي: ظهر ضياعه وضلاله لا أنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل في اعتقادهم الجازم أيضاً ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله.

واعلم أن أكثر ما اعتمد عليه أهل الإيمان يتلاشى ويضمحل عند ظهور حقيقة الأمر يوم القيامة فكيف ما استند إليه أهل الشرك والعصيان ـ كما حكي ـ أن الجنيد قدس سره رؤي في المنام بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك العبارات

وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ ازيمن داى شب وورد سحري بود

ثم إن الآية الشريفة أشارت إلى أن النفس إنما تعبد الهوى ولا محراب لها في توجهها إلا ما سوى المولى.

قال بعض السادة: ـ رحمة الله ـ. تحت الجبال بالأظافر أيسر من زوال الهوى إذا تمكن وكما لا يحب الله العمل المشترك بالالتفات لغيره نفساً كان أو غيرها كذا لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة أو غيرها.

قال محمد بن حسان: ـ رحمه الله ـ: بينا أنا أدور في جبل لبنان؛ إذ خرج علي شاب قد أحرقته السموم والرياح، فلما رآني ولى هارباً فتبعته، وقلت عظني بكلمة أنتفع بها، قال: احذره فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه.

قال ابن نجيد ـ رحمه الله ـ: لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله كلها عنده رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وإنما يفتضح المدعون بزوال الأحوال. وفي «المثنوي»:

چون بباطن بنكرى دعوى كجاست او ودعوى پيش آن سلطان فناست

وقال الحافظ قدس سره:

حديث مدعيان وخيال همكاران همان حكايت زردوز وبوريا بافست

فعلى العبد أن يفنى عن جميع الأوصاف ويغتسل عن كل الأوساخ وينقطع عن التشبث بكل حجر وشجر، فإن الظفر إنما هو بعناية الله خالق القوى والقدر، ونعم ما قال بعضهم: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويوم نحشرهم جميعاً**﴾ أي: اجتماع أرواح الإنسان وحقائق الأشياء التي يعبدون من دون الله مثل الدنيا والهوى والأصنام ﴿**ثم نقول للذين أشركوا مكانكم**﴾ أي: نخاطب أرواح المشركين بأن قفوا مكانكم الذي اخترتم بالجهل بعد أن كنتم في علو المكان ﴿**أنتم وشركاؤكم**﴾ أي: انزلوا أنتم وشركاؤكم إلى المكان السفل وهو مكان شركائكم إذا تعلقتم بهم ﴿**فزيلنا بينهم**﴾ أي: فرقنا بين المشركين وشركائهم بأن نعذب المشركين بعذاب البعد والطرد عن الحضرة وألم المفارقة وحسرة إبطال استعداد المواصلة ولا نعذب الشركاء بهذه العقوبات لعدم استعدادهم في قبول كمال القرب. ﴿**وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون**﴾ بل كنتم تعبدون هواكم لأنه ما عبد في الأرض إله أبغض إلا بالهوى فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «ما عبد في الأرض إله أبغض على الله من الهوى» وقال تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿**فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ [يونس: ٢٩] فيما شاهد ﴿**إن كنا عن عبادتكم لغافلين**﴾ أي: كنا في غفلة عن ذوق عبادتكم إيانا وحظها ومشربها بل كان الحظ والمشرب والذوق لهواكم في استيفاء اللذات والشهوات والتمتعات الدنيوية والأخروية عند عبادتنا بلا شعور منا بخلاف عبادة الله فإن في عبادة الله رضاه وشعوره بها ومنه المدد والتوفيق وعليه الجزاء والثواب ﴿**هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت**﴾ أي: في ذلك الحال تبتلى كل نفس ما قدمت من التعلقات بالأشياء والتمسكات بها ﴿**وردوا إلى الله**﴾ في الحكم والقرب والبعد واللذة والألم. ﴿**مولاهم الحق**﴾ أي: متوليهم في ذلك هو الله أي: في إذاقة اللذات من القرب والألم من البعد لا غيره من الشركاء. ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ إن

للشركاء أثراً في القربة والشفاعة انتهى ما في «التأويلات النجمية» ﴿قل﴾ للمشركين احتجاجاً على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك ﴿من يرزقكم﴾ [كيست كه شمارا روزى ميدهد] ﴿من السماء﴾ [از آسمانكه باران مى باراند] ﴿والأرض﴾ [واز زمين كه كياه مى روياند] ﴿أم من﴾ أم منقطعة لأنه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية وتقدر هنا ببل وحده دون الهمزة بعدها كما في سائر المواضع، لأنها وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من، فلا حاجة إلى الهمزة وبل إضراب انتقال من الاستفهام الأول إلى استفهام آخر لا إضراب إبطال إذ ليس في القرآن ذلك. والمعنى، بالفارسية [آيا كيست كه] ﴿يملك السمع والأبصار﴾ أي: يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء يصيبهما، وكان علي رضي الله عنه يقول: سبحان من بَصّر بشحم، وأسمع بعظم، وأنطق بلحم. ولما كانت حاجة الإنسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام خلق الله له أذنين وعينين ولساناً واحداً ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ أي: من ينشىء الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان وكذا من يخرج الطائر من البيضة ويخرج البيضة من الطائر. ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي: أمر جميع العالم علوياً كان أو سفلياً روحانياً أو جسمانياً. ﴿فسيقولون﴾ بلا تأخير ﴿الله﴾ يفعل ما ذكر من الأفاعيل لا غيره إذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه ﴿فقل﴾ عند ذلك تبكيتاً لهم ﴿أفلا تتقون﴾ أي: أتعلمون ذلك فلا تتقون عقابه بإشراككم به الأصنام.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فذلكم الله﴾ الذي يفعل هذه الأشياء هو ﴿ربكم الحق﴾ أي: الثابت ربوبيته لا ما أشركتم معه، فقوله ﴿فذلكم﴾ مبتدأ والجلالة صفته وربكم الحق خبره ويجوز أن يكون الجلالة خبره وربكم بدل منه والإشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الإحساس به تعالى. ﴿فماذا﴾ يجوز أن يكون الكل اسماً واحداً قد غلب فيه الاستفهام على اسم الإشارة وأن يكون موصولاً بمعنى الذي، أي: ما الذي ﴿بعد الحق﴾ أي: غيره بطريق الاستعارة أي: ليس غير التوحيد وعبادة الله تعالى ﴿إلا الضلال﴾ الذي لا يختاره أحد وهو عبادة الأصنام، وإنما سميت ضلالاً مع كونها من أعمال الخوارج باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي. ﴿فأنى تصرفون﴾ استفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع واستبعاده والتعجب أي: كيف تصرفون من التوحيد وعبادة الله إلى الإشراك وعبادة الأصنام الذي هو ضلال عن الطريق الواضح. قال السعدي قدس سره:

ترسم نرسى بكعبه أي: أعرابي ... كين ره كه توميروى بتركستانست

فقد نبه الله على ضلالهم على لسان رسوله عليه السلام وهو الهادي إلى طريق الحق والصواب والفارق بين أهل التصديق والارتياب. قال الصائب:

اقف نميشوندكه كم كرده اند راه ... تا رهروان برهنمايى نمى رسند

﴿كذلك﴾ الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من الحق في قوله ﴿ربكم الحق﴾ أي: كما حقت الربوبية لله تعالى ﴿حقت

كلمة ربك﴾ حكمه وقضاؤه، يعني [واجب شد عذاب إلهي] ﴿على الذين فسقوا﴾ أي: تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿أنهم﴾ تعليل لحقية تلك الكلمة والأصل لأنهم ﴿لا يؤمنون﴾ فالكفر أداهم إلى العذاب فإن كل نتيجة مبنية على المقدمات والأسباب. والقمح لا ينبت من الزوان ولا يثمر الثمر أم غيلان.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ البدء بالفارسية [ابتدا كردن]، أي: يخلق الخلق أولاً ثم يعيده بعد الموت ولما كانوا مقرين بالبدء ومنكرين للإعادة عناداً ومكابرة أمر ﷺ بأن يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له: ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي: هو يفعلهما لا غير كائناً من كان ﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: كيف تصرفون وتقلبون عن قصد السبيل والاستفهام إنكاري ﴿قل هل من شركائكم من يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحق﴾ ولو كان الهداية بوجه من الوجوه فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته إلى ما فيه صلاح أمرهم وهدى كما يستعمل بكلمة إلى لتدل على انتهاء ما قبلها إلى مدخولها كذلك يستعمل باللام التعليلية لتدل على أن الهداية لا تتوجه نحو ما دخل عليه اللام إلا لأجل أن تؤدي إليه ويترتب هو عليها كما هو شأن العلة والمعلل بها وقد جمع بين التعديتين في هذه الآية ﴿قل الله يهدي﴾ من يشاء ﴿للحق﴾ دون غيره بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوفيق للنظر الصحيح والتدبر الصائب فإن العقول مضطربة والأفكار مختلطة وتعيين الحق صعب ولا يسلم من الغلط إلا الأقل من القليل فالاهتداء لإدراك الحقائق لا يكون إلا بإعانة الله وهدايته وإرشاده ﴿أفمن يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحق﴾ هو الله تعالى ﴿أحق أن﴾ أي: بأن ﴿يتبع﴾ والمفضل عليه محذوف أي: ممن لا يهدي. ﴿أم من لا يهدي﴾ بكسر الهاء وتشديد الدال أصله لا يهتدي وأدغم وكسر الهاء لالتقاء الساكنين أي: لا يهتدي في حال من الأحوال ﴿إلا أن يهدي﴾ إلا حال هدايته تعالى له إلى الاهتداء.

فإن قلت الأصنام جمادات لا تقبل الهداية فكيف يصح أن يقال: في حقها إلا أن يهدي؟ وأيضاً كلمة من تستعمل في ذوي العقول دون الجمادات فلا يليق أن يقال: في حقها أم من لا يهدي.

قلت: هذا أي: انتفاء الاهتداء إلا أن يهدي حال إشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام، فهذا بيان لفساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية أرباباً بعد ما بين فساد مذهب مطلق أهل الشرك من عبدة الأوثان وغيرها بقوله: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق﴾ الآية فإنه لا شك أن المراد بالشركاء فيه ما يتناول الأصنام وغيرها.

وقال: في «التبيان» الصنم لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء في نفسه إلا أن يهدي يعني يدخل ويخرج وينقل ويتصرف فيه والله تعالى جل عن ذلك، وظاهر هذا الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت وليس كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ويفعل ﴿فما لكم﴾ أي: أي: شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء

شركاء لله تعالى ﴿كيف تحكمون﴾ بما يقضي صريح العقل ببطلانه وهو إنكار لحكمهم الباطل حيث سوّوا بين من يحتاجون هم إليه وهو الله تعالى وبين من يحتاج هو إليهم وهو ما عبدوه من دون الله من الأصنام ولا مساواة بين القادر والعاجز جداً.

عجز وقدرت كه هر دو ضدانند　　　عقل كركويدت كه يكسانند
عجز بر خلق مى دراند پوست　　　قادري بر كمال حضرت اوست

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وما يتبع أكثرهم﴾ فيما يعتقدون من أن الأصنام آلهة ﴿إلا ظنًّا﴾ من غير تحقيق وإنما قلدوا في ذلك آباءهم. وفيه إشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً. ﴿إن الظن لا يغني﴾ [بي نياز نكر داندكسى را] ﴿من الحق﴾ [از علم واعتقاد درست يعني ظن وتخمين بجاي حق ويقين نتواند] ﴿شيئاً﴾ من الإغناء فيكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به، ومن الحق حالاً منه فمعنى لا يغني حينئذٍ لا ينوب.

وقال بعضهم: إن الظن بأن الأصنام شفعاء لا يدفعه عنهم العذاب فقولهم بأنها شفعاء باطل محض مبني على خيال فاسد وظن واه ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان. وفي الآية دلالة على وجوب العلم في الأصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد. وفي «المثنوي»:

عقل باشد در اصابتها فقط　　　وهم افتد در خطا ودر غلط
كه زباد كژنيابد او حذر　　　كشتىء بى لنكر آمد مرد شر
لنكرى دريوزه كن ازعاقلان　　　لنكر عقلست عاقل را امان

وقد نادى قوله تعالى: ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ على كونهم محرومين من كمال العقل فإن العاقل بالعقل الكامل لا يتبع الباطل والجهل، بل الحق والعلم وكون الآباء على صفة الشرك لا ينهض حجة فإن الله تعالى قد خلق الناس وهداهم إلى تمييز الخير والشر بتركيب العقل فيهم فالاتباع ليس إلا إلى الهدى، وكما أن المشركين ضلوا عن طريق الشريعة بتقليد الجهلة فكذا السالكون ضلوا عن طريق الحقيقة بتقليد الغفلة.

قال بعض الكبار: أوصيكم بوصية لا يعرفها إلا من عقل وجرب، ولا يهملها إلا من غفل فحجب، وهو أن لا تأخذوا في هذا العلم مع متكبر ولا صاحب بدعة ولا مقلد، أما الكبر فإنه عقال عن فهم الآية والعبر، وأما البدعة فتوقع صاحبها في البلايا الكبار، وأما التقليد فعقال يمنع من الظفر وبلوغ الوطر، ثم إن ما وصل المرء إليه بنور العقل والبرهان فالعلم المكسوب بالعقل بمنزلة الظن والتخمين عند أرباب اليقين والحق الذي لا غاية وراءه وراء طور العقل وما يلي ظاهر القلب هو الإيمان وما يلي باطنه هو الإيقان.

قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محباً للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه فإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه، والوصول إلى هذه المرتبة لا يكون إلا بجذبة إلهية وبصحبة مرشد كامل. قال الحافظ:

قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم　　　من بسر منزل عنقا نه بخو دبردم راه

ومن شرائطه الاحتراز عن صحبة خلاف الجنس فإنها مؤثرة، وما ضاع من ضاع إلا بمساعدة الهوى والقعود مع أهل الإنكار، فقد ظهر الحق وحقيقة الحال وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ نسأل الله المتعال أن يوفقنا للاجتهاد إلى وقت الارتحال.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وما كان هذا القرآن﴾ مع ما فيه من دلائل الإعجاز من حسن نظمه ومعانيه الدقيقة وحقائقه الجامعة ﴿أن يفترى﴾ في محل النصب على أنه خبر كان أي افتراء، أي: مفترى يفترى به على الله وسمي بالمصدر مبالغة والافتراء في الأصل افتعال من فريت الأديم إذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب ﴿من دون الله﴾ خبر آخر أي: صادراً من دون الله لأنه لا يتكلم بمثله إلا الله ﴿ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ أي: مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية بسبب كون مضمونه مطابقاً لمضمون تلك الكتب فيما أخبر به من أصول الدين وقصص الأولين، ظهر في يد من لم يمارس شيئاً من العلوم ويجالس علماء تلك الكتب فإذا كان ما جاء به مطابقاً لها يعلم إنه ليس افتراء بل من الله تعالى ﴿وتفصيل الكتاب﴾ من كتب بمعنى فرض وقدر وحكم أي: وتفصيل ما حقق وأثبت من الحقائق والشرائع.

وفي «التأويلات النجمية» أي: تفصيل الجملة التي هي المقدر المكتوبة في الكتاب الذي عنده لا يتطرق إليه المحو والإثبات لأنه أزلي أبدي كما قال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني في اللوح المحفوظ وهو مخلوق قابل التغير ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] يعني الأصل الذي لا يقبل التغير وهو علمه القائم بذاته القديم ﴿لا ريب فيه﴾ خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك أي: منتفياً عنه الريب. يعني [از ظهور حجت ووضوح دلالت بمثابه ايست كه هركه درو ادنى تأملي كند زريب باز استد وداندكه بشبه در ومجال نيست]. ﴿من رب العالمين﴾ خبر آخر تقديره كائناً من رب العالمين فهو وحي نازل على رسول الله ﷺ من عنده تعالى.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿أم يقولون افتراه﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة، والمعنى بل أيقولون كفار مكة افتراه محمد والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده وجوز الزمخشري أن تكون للتقرير لإلزام الحجة. ﴿قل﴾ لهم إن كان الأمر كما تقولون: ﴿فائتوا﴾ أنتم على وجه الافتراء والأمر من باب التعجيز وإلقام الحجر. ﴿بسورة مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى فإنكم مثلي في العربية والفصاحة. ﴿وادعوا من استطعتم﴾ دعاءه والاستعانة به ليعاونكم على إتيان مثله إن لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يعارض القرآن. ﴿من دون الله﴾ متعلق بادعوا، ودون جار مجرى أداة الاستثناء أي: ادعوا متجاوزين الله أي: سواه تعالى من استطعتم من خلقه فإنه لا يقدر عليه أحد ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أني افتريته فإن ما افتراه أحد من المخلوقين يفتريه غيره لأنه فوق كل ذي علم عليم فإذا عرفتم عجزكم حال الاجتماع وحال

الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذٍ يظهر أن نظمه وتنزيله ليس إلا من قبل الله تعالى.

واعلم أن إعجاز القرآن، أي: جعله الغير عاجزاً كونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، بحيث يصرف الناس عن قدرة معارضته، لا عن نفس المعارضة مع القدرة بأن عقد الله لسان البيان من بلغاء الزمان لطفاً منه بنبيه وفضلاً عليه كما توهمه البعض، كذا في تفسير الفاتحة للمولى الفناري.

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: سارعوا إلى تكذيب القرآن قبل فهمه فإن تكذيب الكلام قبل الإحاطة بمعانيه مسارعة إليه في أول وهلة ومعنى الاضطراب في بل، ذمهم على التقليد وترك النظر كأنه قيل دع تحديهم والزامهم، فإنهم لا يستأهلون الخطاب لأنهم مقلدون متهافتون في الأمر لا عن خبر وتعقل ولو كان لهم وقوف على ما في تضاعيف القرآن من شواهد الإعجاز لعلموا أنه ليس مما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق **﴿ولمّا يأتهم تأويله﴾** عطف على الصلة أو حال من الموصول، أي: لم يجئهم ما يأول إليه أمره، والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الإخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه وينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلة التي يظهر بعضها في الدنيا ويظهر بعضها في الآخرة ليستدلوا بذلك على صحة القرآن وصدق قوّل النبي عليه السلام ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقاً، والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا. **﴿كذلك﴾** أي: مثل ذلك التكذيب الواقع من قومك. **﴿كذب الذين من قبلهم﴾** أنبياءهم **﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾** فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم وإنما وصفهم بالظلم لأنهم وضعوا التكذيب في موضع التصديق فكان مآل أمرهم إلى ما أخبر به الكتب والأنبياء من العذاب والهلاك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾.

﴿ومنهم﴾ أي: من المكذبين **﴿من يؤمن به﴾** من يصدق بالقرآن في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند **﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾** في نفسه كما لا يؤمن به ظاهراً لفرط غباوته وقلة تدبره، أو منهم من سيؤمن به ويتوب عن كفره لكونه مستعداً لقبول الإيمان ومنهم من لا يؤمن به فيما يستقبل بل يموت على كفره لعدم استعداده لقبوله **﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾** بالمعاندين أو بالمصرين وإنما وصفهم بالإفساد لأنهم أفسدوا استعدادهم الفطري بالأعمال الفاسدة.

﴿وإن كذبوك﴾ وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة. **﴿فقل لي عملي ولكم عملكم﴾** فتبرأ منهم فقد أعذرت، أي: بالغت في العذر كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ [الشعراء: ٢١٦] والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقاً كان أو باطلاً وتوحيد العمل المضاف إليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة **﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾** تأكيد لما أفاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل إلى غير عامله أي: لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم، وعمله صرف الاستعداد الفطري في

استعمال العبودية لقبول فيض الربوبية وجزاؤه الجنة والوصلة، وعملهم إفساد الاستعداد في استيفاء اللذات والشهوات النفسانية وإبطال القلب عن قبول الفيض الإلهي وجزاؤه النار والقطيعة، وأيضاً عمله التصديق والإقرار، وعملهم التكذيب والإنكار، وكل بريء من صاحبه في الدنيا والآخرة لا يجتمعان أبداً، لأنه لا يجتمع الضب والنون فإن الضب غذاؤه الهواء والنون غذاؤه الماء ولأحدهما وهو الضب القبض واليبوسة لأنه بري ومن طبع التراب ذلك، وللآخر وهو النون البسط والرطوبة لأنه بحري ومن طبع الماء ذلك. وفي «المثنوي»:

طوطيان خاص را قنديست ژرف طوطيان عام ازين خود بسته طرف
كي چشدد رويش صورت زان نكات معنى است آن نى فعولن فاعلات
از خر عيسى دريغش نيست قند ليك خر آمد بخلقت كه پسند
بال بازان را سوى سلطان برد بال زاغان را بكورستان برد

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ومنهم﴾ أي: من المكذبين ﴿من﴾ أي: ناس ﴿يستمعون إليك﴾ عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع بسمع الظاهر وفي سمع قلوبهم صمم من محبة الدنيا وشهواتها فإن حب الشيء يعمي ويصم عن غيره. ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ الهمزة الاستفهامية إنكارية والفاء للعطف على مقدر والتقدير أيستمعون إليك فأنت تسمعهم أي: تقدر على إسماعهم وقد أصمهم الله بسوء أعمالهم والمنكر هو وقوع الإسماع لا الاستماع فإنه أمر محقق ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي: ولو انضم إلى صممهم عدم تعلقهم، لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه صوت، وأما إذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر.

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ بنظر الحس ويعائن دلائل نبوتك الواضحة وفي بصيرته عمي. ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ جمع الأعمى، أي: عقيب ذلك أنت تهديهم ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي: ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الأبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما يدركه البصير الأحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى فقد شبه الله المكذبين الذين أصروا على التكذيب بالأصم والأعمى من حيث أن شدة بغضهم وكمال نفرتهم عن رسول الله منعهم عن إدراك محاسن كلامه ومشاهدة دلائل نبوته، كما يمنع الصمم في الأذن عن إدراك محاسن الكلام، ويمنع العمى في العين عن مشاهدة محاسن الصورة، وقرن عدم العقل بعدم السمع وبعدم البصر عدم الإدراك تفضيلاً لحكم الباطن على الظاهر فلما بلغوا في معرض العقل إلى حيث لا يقبلون الفلاح، والطبيب إذا رأى مريضاً لا يقبل العلاج أعرض عنه ولا يستوحش من عدم قبوله للفلاح فقد وجب التبري منهم وعدم الانفعال من إصرارهم على التكذيب.

قال يونان وزير كسرى: خمسة أشياء ضائعة: المطر في الأرض السبخة، والسراج المشتعل في ضوء الشمس، والمرأة الحسنة الصورة عند الرجل الأعمى، والطعام الطيب عند المريض، والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ [الله ظلم نكند بر مردمان هيچ چيز يعني سلب نكند حواس وعقول ايشانرا]. ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ [ستم كنند بر نفسهاى خود وحس وعقل كه آلت ادراك آيات قدرتست درملاهى استعمال نمايند ومنافع وفوائد آن بدركات از ايشان فائت كردد].

چشم از براى ديدن آيات قدرتست — كوش از پى شنيدن اخبار حضرتست
هركه كه حق نبيند وحق نشنود كسى — كور وكرست بلكه ازان هم بتر بسى

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ بأن لا يعطيهم استعداد الهداية وقبول فيض الإيمان ثم يجبرهم على الهداية وقبول الإيمان بل أعطاهم استعداد الهداية وقبول الإيمان بفطرة الله التي فطر الناس عليها. ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بإفساد الاستعداد الفطري في مخالفات الأوامر والنواهي الشرعية انتهى. وفيه دليل على أن للعبد كسباً وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية وأن كل ما ابتلي به فإنما أتى من جانبه. وفي «المثنوي»:

عاشق بوده است درايام پيش — پاسبان عهد اندر عهد خويش
سالها دربند وصل ماه خود — شاه مات ومات شاهنشاه خود
عاقبت جوينده يابنده بود — كه فرج از صبر زاينده بود
كفت روزى يا اوكامش بيا — كه به پختم ازپى تولوبيا
در فلان حجره نشين نانيم شب — تابيايم نيمشب من بى طلب
مرد قربان كر دونانها بخش كرد — چون پديد آمد مهش از زير كرد
شب دران حجره نشست آن كرم دار — بر اميد وعدهٔ آن يار غار
بعد نصف الليل آمد يار او — صادق الوعدانه آن دلدار او
عاشق خودرا فتاده خفته ديد — اندكي از آستين اودريد
كرد كانى چندش اندر جيب كرد — كه تو طفلى كيراين مى باز نرد
چون سحر از خواب عاشق بر جهيد — آستين وكرد كانهارا بديد
كفت شاه ما همه صدق ووفاست — آنچه برمامى رسد آن هم زماست
خوابرا بكذار امشب اي پدر — يك شبى بركوى بى خوابان كذر
بنكراينهاراكه مجنون كشته اند — همچو پروانه بوصلت كشته اند

أيقظنا الله وإياكم ونور محيانا ومحياكم ولا يجعلنا من الغافلين الضالين الظالمين آمين آمين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم﴾ يوم منصوب بفعل مقدر والضمير لكفار مكة، أي: اذكر لهم يا محمد أو أنذرهم يوم يحشرهم الله ويجمعهم وهو يوم القيامة ﴿كأن﴾ مخففة اسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يلبثوا﴾ لم يمكثوا في الدنيا أو في القبور ﴿إلا ساعة من النهار﴾ أي: شيئاً قليلاً منه فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار؛ لأن ساعاته أعرف حالاً من ساعات الليل والجملة

التشبيهية حال من ضمير المفعول، أي: يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة استقصروا المدة لهول ما رأوا والإنسان إذا عظم خوفه ينسئ الأمور الظاهرة [در تفسير زاهدى آورده كه معتزله در نفي عذاب قبر بدين آيت استدلال نموده كويند اكر كفار در قبر معذب بودندى مدتي بدين درازى ايشانرا ساعتي نه نمودى وجواب ميكو يندكه اين صورت بسبب صعوبت أهوال وشدت أحوال قيامتست كه مدت عذاب قبر در جنب آن يكساعت نمايد].

يقول الفقير: استقلوا مدة اللبث في الدنيا لأنهم كانوا في النعيم صورة، وأيامه تمضي كالرياح واستقلوا مدة المكث في القبور لأن عذابهم فيها كان على النصف بالنسبة إلى عذاب الآخرة إذ التنعم البرزخي وكذا التألم على الروح والبدن البرزخي بخلاف التنعم والتألم الحشريين فافهم هداك الله.

قال: في «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى الخروج من مضيق عالم الأجسام الذي هو عالم الكون والفساد والتناهي إلى متسع عالم الأرواح الذي هو عالم الكون بلا فساد وتناه فإن مدة عمر الدنيا الفانية بالنسبة إلى الآخرة الباقية ترى كساعة من نهار بل أقل من لحظة.

ثم اعلم أن الحشر يكون عاماً وخاصاً وأخص، فالعام: هو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور، والحشر الخاص: هو خروج أرواحهم الأخروية من قبور أجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية؛ لأنهم ماتوا بالإرادة عن صفات النفسانية قبل أن يموتوا بالموت عن صورة الحيوانية، والحشر الأخص: هو الخروج من قبور الأنانية الروحانية إلى هويته الربانية كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً كما كانوا يعرفون في الدنيا فكأنهم لم يتفارقوا بسبب الموت إلا مدة قليلة لا تؤثر في زوال ذلك التعارف أول ما خرجوا من القبور، ثم ينقطع التعارف إذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعضهم وهو حال أخرى مقدرة لأن التعارف بعد الحشر يكون ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ شهادة من الله على خسرانهم وتعجب منه، أي: قد غبن المكذبون بالحساب والجزاء ﴿وما كانوا مهتدين﴾ في تجارتهم إذ باعوا الإيمان بالكفر، والتصديق بالتكذيب، فلم يكونوا على نفع وقد مضى الوقت.

چه خوش كفت باكودك آموزكار   كه كارى نكرديم وشد روز كار

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وإما نرينك﴾ أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط، أي: أن نبصرنك بأن نظهر لك ﴿بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ونعجله في حياتك كما أراه ببدر والجواب محذوف لظهوره أي: فذاك هو المأمول وإنا عليهم مقتدرون. ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ أي: رجوعهم رجوعاً اضطراريا فنريكه في الآخرة وإنا منهم منتقمون وهو جواب نتوفينك لأن الرجوع إنما يكون في الآخرة بعد الموت فهو لا يصلح أن يكون جواباً للشرط وما عطف عليه ولأن قوله تعالى في حم الزخرف. ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢]يدل على ما ذكرنا والقرآن يفسر بعضه بعضاً هكذا لاح ببال الفقير أصلحه الله القدير ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أي: مجاز على

أفعالهم السيئة. ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم الدالة على التراخي ولو كان المراد من الشهادة نفسها لم يصح الترتيب المذكور لأنه تعالى شهيد على ما يفعلونه من التكذيب والمحاربة حال رجوعهم إليه تعالى وقبله.

وقال: في «الكواشي» ثم بمعنى الواو أو لترتيب الأخبار نحو زيد قائم ثم هو كريم وليس التأخير عجزاً بل للإيذان بإنه تعالى قادر عليهم في كل آنٍ.

﴿**ولكل أمة**﴾ من الأمم الماضية ﴿**رسول**﴾ يبعث إليهم بشريعة خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم إلى الحق ﴿**فإذا جاء رسولهم**﴾ بالبينات فكذبوه ﴿**قضي بينهم**﴾ أي: بين كل أمة ورسولها ﴿**بالقسط**﴾ بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لأنه من نتائج أعمالهم.

يقول الفقير: إن قلت يرد على ظاهر الآية زمان الفترة فإنها بظاهرها ناطقة بأنه لم يهمل أمة قط ولم يبعث لأهل الفترة رسول كما يشهد عليه قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦].

قلت: مساق الآية الكريمة على أن كل أمة قضى لها بالهلاك قد أنذروا أولاً على لسان رسول من الرسل ولم يعذب أهل الفترة لأن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل غير رسول الله عليهما الصلاة والسلام فعذب أعقابهم ببدر وغيره لتكذيبهم رسول الله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد انتهت رسالة إسماعيل بموته كبقية الرسل لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا عليه السلام كما في «إنسان العيون».

وبهذا ظهر بطلان قول ابن الشيخ في حواشيه أن عموم الآية لا يقتضي أن يكون الرسول حاضراً مع كل واحدة منهم لأن تقدم الرسول على بعض منهم لا يمنع من كونه رسولاً إلى ذلك البعض كما لا يمنع تقدم رسولنا عليه السلام من كونه مبعوثاً إلينا إلى آخر الأبد انتهى.

وأما كون أهل الفترة معذبين في الآخرة أم لا فقد سبق في أواخر سورة التوبة.

ثم الرسول يأتي بالوحي الظاهر والباطن، ووارث الرسول يأتي بالوحي الباطن وهو الإلهام الإلهي وكل ما جاز وقوعه للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات، والله تعالى لا يحكم بين العباد إلا بعد مجيء رسولهم بالظاهر والباطن، فإن صدقوه قضى بينهم بالسعادة على قدر تصديقهم وإن كذبوه قضى بينهم بالشقاوة على قدر تكذيبهم.

هركسى ازهمت والاى خويش سود دارد درخور كالاى خويش

فعليك بالصدق والتصديق في حق الأنبياء والأولياء واتباع ما جاؤوا به من الوحي والإلهام لتظفر بكل مرام.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**ويقولون**﴾ استبعاد واستهزاء [آورده اندكه بعد ازنزول ﴿**وإما نرينك**﴾ الآية كفار مكة استعجال عذاب موعود نمودند اين آيت نازل شد]. ﴿**متى هذا الوعد**﴾ بالعذاب فليأتنا عجلة ﴿**إن كنتم**﴾ أي: أنت وأتباعك ﴿**صادقين**﴾ فإنه يأتينا.

﴿قل لا أملك﴾ لا أقدر لأن الملك يلزمه القدرة ﴿لنفسي ضراً﴾ بأن ادفعه ﴿ولا نفعاً﴾ بأن أجلبه فكيف أملك لكم فاستعجل في جلب العذاب إليكم ﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء منقطع أي: لكن ما شاء الله كائن فالله هو المالك للضر والنفع وهو لم يعين لوعده زماناً ثم اخلف فإذا حضر الوقت فإنه لا بد وأن يقع الموعود كما قال: ﴿لكل أمة﴾ ممن قضى بينهم وبين رسولهم ﴿أجل﴾ معين خاص بهم لا يتعدى إلى أمة أخرى مضروب لعذابهم جزاء على تكذيبهم رسلهم يحل بهم عند حلوله. ﴿إذا جاء أجلهم﴾ أي: زمانهم الخاص المعين. ﴿فلا يستأخرون﴾ أي: لا يتأخرون عن ذلك الأجل وصيغة الاستقبال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له. ﴿ساعة﴾ أي: شيئاً قليلاً من الزمان. ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون عليه فلا يستعجلون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً. ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني لأن الرؤية سبب للأخبار. ﴿إن أتاكم عذابه﴾ الذي تستعجلون به ﴿بياتاً﴾ أي: وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿أو نهاراً﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ جواب للشرط بحذف الفاء فإن جواب الشرط إذا كان استفهاماً لا بدّ فيه من الفاء إلا في الضرورة أي: شيء ونوع من العذاب يستعجلونه؟ وليس شيء من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة إصابته فهو مقتض لنفور الطبع منه، أو أي: شيء يستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد إتيانه والمراد به المبالغة في إنكار استعجاله بإخراجه عن حيز الإمكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة، والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الإنكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فإن حق المجرم أن يهلك فزعاً من إتيان العذاب فضلاً عن استعجاله.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾ دخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخر وما مزيدة. أي قل لهم: أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان. ﴿ءآلآن﴾ بإبدال الهمزة الثانية الفاً مع المد اللازم وأصله أاالان على أن تكون الأولى استفهامية وهو منصوب بآمنتم المقدر دون المذكور لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كالعكس وهو استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن؛ أي: قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به إنكاراً للتأخير ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: تكذيباً واستهزاء.

﴿ثم قيل﴾ عطف على ما قدر قبل آلآن ﴿للذين ظلموا﴾ أي: وضعوا التكذيب موضع التصديق والكفر موضع الإيمان. ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ [عذاب جاه يدي كه آن دائم بود] وذلك إنهم يعذبون في قبورهم ثم يصيرون إلى جهنم فيعذبون فيها أبداً.

نپنداری كه بدكو رفت وجان برد حسابش باكرام الكاتبين است

﴿هل تجزون﴾ اليوم يعني: لا تجزون ﴿إلا بما كنتم تكسبون﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي، وفيه تنبيه على أن العذاب لم يصدر منه تعالى ابتداء فإنه لم يخلق عباده إلا ليرحمهم بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المترتب على تناول السم.

چرازغير شكايت كنم كه همچو حباب همیشه خانه خراب هوای خویشتنم

﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ويستنبئونك﴾ أي: يستخبرونك فيقولون على طريق الاستهزاء والإنكار. ﴿أحق هو﴾ والهمزة للاستفهام وحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير، والجملة في موضع النصب بيستنبئونك لأن أنبأ بمعنى أخبر يتعدى إلى اثنين بنفسه والأشهر أن يتعدى إلى الثاني بكلمة عن بأن يقال: استنبأت زيداً عن عمرو أي: طلبت منه أن يخبرني عن عمرو ﴿قل﴾ لهم غير ملتفت إلى استهزائهم بانياً للأمر على أساس الحكمة ﴿إي وربي﴾ أي: بكسر الهمزة وسكون الياء من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة فالواو للقسم. والمعنى بالفارسية [آرى بحق پروردكارمن]. ﴿إنه﴾ أي: العذاب الموعود ﴿لحق﴾ ثابت البتة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ ربكم حين أراد تعذيبكم حتى يفوتكم العذاب بالهرب فهو لاحق بكم لا محالة.

وفي الآية إشارة: إلى أن أهل الغفلة لاحتجاب بصائرهم بحجب التعلقات الكونية ليس الأمور الأخروية عندهم بمنزلة المحسوس وأما أهل اليقظة فلنورهم بنور الله تعالى يشاهدون بعين القلب الآخرة وأهوالها كما تشاهد عين القالب الدنيا وأحوالها، فهي عندهم بمنزلة المحسوس بل النبي عليه السلام قد عبر ليلة المعراج على الجنة والنار، فشاهد ما شاهد بعين الرأس وكشف حقائق الأشياء ولذا حكم على الموعود بالحقية.

﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ اشركت صفة نفس ﴿ما في الأرض﴾ أي: في الدنيا من خزائنها وأموالها ﴿لافتدت به﴾ أي: جعلته فدية لها من العذاب وبذلته مقابلة نجاتها من افتداه بمعنى فداه أي: أعطى فداءه ﴿وأسروا﴾ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكور مدلوله على إناثه ﴿الندامة﴾ على ما فعلوا من الظلم ﴿لما رأوا العذاب﴾ والمعنى أخفوها ولم يظهروها عند معاينة العذاب عجزاً عن النطق لكمال الحيرة، كمن يذهب به ليصلب فإنه يبقى مبهوتاً لا ينطق بكلمة.

وفي «الكواشي» ﴿وأسروا الندامة﴾ أظهروها، لأنه ليس بيوم تصبر.

قال: في «التبيان» الأسرار من الأضداد ﴿وقضي بينهم﴾ أي: أوقع القضاء والحكم بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله، أو من حقوق العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم﴾ أي: الظالمون ﴿لا يظلمون﴾ فيما فعل بهم من العذاب، بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية كذا في «الإرشاد».

وقال القاضي: ليس تكريراً لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم، والثاني مجازاة للمشركين على الشرك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿ألا﴾ قال الإمام: كلمة (ألا) إنما تذكر لتنبيه الغافلين وأهل هذا العالم مشغولون بالنظر إلى الأسباب الظاهرة فيضيفون الأشياء إلى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين في نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الإضافات فلذلك نادى الحق هؤلاء النائمين بقوله ألا ﴿إن لله ما في السموات والأرض﴾ لأنه قد ثبت أن جميع ما سواه تعالى ممكن لذاته وإن الممكن لذاته مستند إلى الواجب لذاته إما ابتداء أو بوساطة، فثبت أن جميع ما سواه مملوك له تعالى يتصرف فيه كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإثابة وعقاباً وكلمة ما لتغلب غير العقلاء على العقلاء. ﴿ألا إن وعد الله حق﴾ أي: ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه فالوعد بمعنى الموعود والحق بمعنى الثابت والواقع، ويجوز أن يكون بمعناه المصدري، والحق بمعنى المطابق للواقع أي: وعده بما ذكر مطابق للواقع. ﴿ولكن أكثرهم﴾ لقصور عقلهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالأفعال المحسوسة المعتادة. ﴿لا يعلمون﴾ ذلك وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون.

مانده در تنكناى اين مجلس غير دنيا ند يده ديدهٔ حس
چشم دل كوكه پردها بدرد جانب ملك آخرت نكرد
مرغ او در قفس زبون باشد چه شنا سدكه باغ چون باشد

﴿هو يحيي ويميت﴾ في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك ﴿وإليه ترجعون﴾ في الآخرة بالبعث والحشر.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿هو يحيي﴾ من العدم بالإيجاد ﴿ويميت﴾ من الوجود بالإعدام ﴿وإليه ترجعون﴾ وجوداً وعدماً انتهى.

وفي الآية إشارة إلى أنه لا بدّ من الرجوع وإن كان اضطرارياً، ونعم ما قيل: إذا جاء الموت لا ينفع العلم كما لم ينفع آدم، ولا الخلة كما لم تنفع إبراهيم، ولا القربة كما لم تنفع موسى، ولا الملك كما لم ينفع داود وسليمان وذا القرنين، ولا المحبة كما لم تنفع محمداً ﷺ، ولا المال كما لم ينفع قارون، ولا الجنود كما لم تنفع نمرود، ولا الجمال كما لم ينفع يوسف.

قيل: في الموت ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألف غم كل غم لو وضع على أهل الدنيا لماتوا منه، وبعد الموت ثلاثمائة وستون هولاً كل هول أشد من الموت فمن عرف هذا بطريق اليقين جاهد إلى أن يجد كل ذرة منه ألم الموت، فحينئذٍ لا يبقى للألم حين الفوت مجال أصلاً لأنه مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار، ورجع إلى المولى بنفسه وفنى عن جملة القيود والإضافات، وبقي ببقاء الله تعالى، فهذا يقال: له موت النفس وحياة القلب أحيانا الله تعالى وإياكم. والموت بالاختيار حال الأحرار والموت بالاضطرار حال أهل الدناءة والأغيار والأول رجوع بوصال والثاني رجوع بفراق. وفي «المثنوي»:

اي برادر صبركن بردرد نيش تارهى ازنيش نفس كبر خويش
هركه مرد اندرتن أو نفس كبر مردرا فرمان برد خرشيدوابر
نى بكفتست آن سراج امتان اين جهان وآن جهان چون ضرتان
پس وصال اين فراق آن بود صحت اين تن سقام جان بود

سخت مى آيد فراق اين مقر پس فراق آن مقردان سخت تر
چون فراق آن نقش سخت آيدترا تاز سخت آيد زنقاش جدا

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ نداء عام كما في «تفسير الكاشفي» وخصصه في «الإرشاد» بكفار مكة **﴿قد جاءتكم موعظة﴾** هي التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب أي: كتاب مبين لما يجب لكم وعليكم مرغب في الأعمال الحسنة منفر عن الأفعال السيئة وهو القرآن **﴿من ربكم﴾** متعلق بجاءتكم **﴿وشفاء لما في الصدور﴾** ودواء من أمراض القلوب كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الفاسدة. **﴿وهدى﴾** إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس. **﴿ورحمة للمؤمنين﴾** حيث نجوا بمجيء القرآن من ظلمات الكفر والضلال وهذه المصادر وصف بها القرآن للمبالغة كأنه عينها.

زهى كلام تو محض هدايت وحكمت زهى پيام تو عين عنايت ورحمت
كشد كمند كلام تو اهل عرفانرا ز شوره زار خساست بكلشن همت

يقال: القرآن موعظة للنفوس وشفاء للصدور وهدى للأرواح، ويقال: الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى للأخص والرحمة لكل حيث أوصلهم إلى مرابتهم.

﴿قل﴾ يا محمد للناس. **﴿بفضل الله وبرحمته﴾** عبارتان عن إنزال القرآن والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل: **﴿فبذلك فليفرحوا﴾** للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط وأشير بذلك إلى اثنين إما لاتحادهما بالذات أو بالتأويل المشهور في أسماء الإشارة. **﴿هو﴾** أي: ما ذكر من فضل الله ورحمته **﴿خير مما يجمعون﴾** من الأموال الفانية.

قال بعض الكبار: فضل الله إيصال إحسانه إليك ورحمته ما سبق لك منه من الهدية، ولم تك شيئاً فكأن الله تعالى يقول: عبدي لا تعتمد على طاعتك وخدمتك، واعتمد على فضلي ورحمتي فإن رأس المال ذلك. [هركسى راسرمايه ايست وسرمايهء مؤمنان فضل من وهركسى راخزانه ايست وخزانهء مؤمنان رحمت من]

كر شاه را خزانه نهادن بود هوس درويش را خزانه همين لطف دوست بس

ولو كان في جمع حطام الدنيا منفعة لا تنفع قارون.

قال مالك بن دينار: كنت في سفينة مع جماعة فنبه العشار أن يخرج أحد فخرجت فقال: ما أخرجك فقلت ليس معي شيء فقال: اذهب فقلت في نفسي هكذا أمر الآخرة فالعلائق قيد والتجرد حضور وراحة. قال الحافظ:

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ز هرچه رنك تعلق پذيرد آزادست

أشار بهذا البيت إلى الحرية عن جميع ما سوى الله تعالى فإن العالم جسماً أو روحاً عيناً أو علماً مما يقبل التعلق لكن لما كان إلف الناس بالمحسوس أكثر خص ما تحت الفلك الأرزق بالذكر.

اعلم أن الاتعاظ بالموعظة القرآنية يوصل العبد إلى السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب إلى الله واشتغل بالطاعة.

ثم في عبارة ﴿جاءتكم﴾ إشارة إلى أن حضرة القرآن تحفة من الله تعالى جسيمة، وهدية منه عظيمة وصلت إلينا فلم يبق إلا القبول وقبوله الائتمار بأوامره. والانتهاء عن نواهيه.

قال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال: جعلت القراءة على عملاً اذهب فاقرأ على غيري فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك كذا في الإحياء ونعم ما قيل:

نقد عمرش زفكرت معوج خرج شد در رعايت مخرج
صرف كردش همه حيات سره در قراآت سبع وعشره

والمقصود من البيت أنه يلزم بعد تحصيل قدر ما يتحصل به تصحيح الحروف ورعاية المخرج صرف باقي العمر إلى الأهم وهو معرفة الله تعالى وهو متعلق القلب الذي هو أشرف من اللسان وسائر الأعضاء ومعرفة الله إنما تحصل غالباً بالذكر، ثم بالفكر بانكشاف حقائق الأشياء وحقائق القرآن، فكما أن الله تعالى أيدّ النبي عليه السلام بجبريل، فكذا أيد الولي بالقرآن وهو جبريل، وعلم الشريعة يبقى هنا لأن متعلقه على الفناء وإنما يذهب إلى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالخلوص، وأما علم الحقيقة فيذهب إلى الآخرة لأنه على البقاء وهو أزلي أبدي لا زوال له في كل موطن ومقام كما أفاده لي حضرة شيخي وسندي قدس الله نفسه الزاكية ونفعني وإياكم بعلومه النافعة.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾.

﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني أيها المشركون ﴿ما أنزل الله لكم من رزق﴾ ما استفهامية منصوبة المحل بانزل سادة مسد المفعولين لأرأيتم جعل الرزق منزلاً من السماء مع أن الأرزاق إنما تخرج من الأرض إما لأنه مقدر في السماء كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات: ٢٢] ولا يخرج من الأرض إلا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كأنه منزل منها، أو لأنه إنما يخرج من الأرض بأسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فإن المطر سبب الإنبات والشمس سبب النضج والقمر سبب اللون واللام للمنفعة فدلت على أن المراد منه ما حل. ﴿فجعلتم منه﴾ أي: جعلتم بعضه ﴿حراماً﴾ أي: حكمتم بأنه حرام ﴿وحلالاً﴾، أي: وجعلتم بعضه

حلالاً، أي حكمتم بحله مع كون كله حلالاً. والمعنى أي شيء انزل الله من رزق فبعضتموه، والمقصود الإنكار لتجزئتهم الرزق وذلك قولهم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨] وقولهم ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿قل﴾ لهم ﴿ءآلله﴾ [اياخدا] ﴿أذن لكم﴾ في ذلك الجعل فأنتم فيه ممتثلون لأمره قائلون بالتحريم والتحليل بحكمه ﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك إليه.

وفي «الكواشي» هذه الآية من أبلغ الزواجر عن التجوز فيما يسأل عنه من الحكم، وباعثة على الاحتياط فيه ومن لم يحتط في الحكم فهو مفتر انتهى.

قال علي كرم الله وجهه: «من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض».

وسألت بنت علي البلخي أباها عن القيء إذا خرج إلى الحلق، فقال: يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله ﷺ فقال: لا يا علي حتى يكون ملء الفم فقال: علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسي أن لا أفتي أبداً.

وفي الآية إشارة إلى أنه لا يجوز للمرء أن يعتقد ويقول: إن الرزق المعنوي من الواردات الإلهية والشواهد الربانية حرام على أرباب النفوس وحلال على أصحاب القلوب، وإن تحصيل هذه السعادات ونيل هذه الكرامات ليس من شأننا وإنما هو من شأن الأخيار الكبراء وخواص الأنبياء والأولياء، فإن هذا افتراء على الله فإن الله تعالى ما خص قوماً بالدعوة إلى الدرجات والمقامات العلية بل جعل الدعوة عامة لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] وقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم: ١٠] فتحريمه هذا الرزق على نفسه من خساسة نفسه وركاكة عقله ودناءة همته وإلا فالله تعالى لم يسد عليه هذا الباب بل هو الفياض الوهاب. قال الحافظ:

عاشق كه شدكه يار بخالش نظر نكرد اي خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست

وقال:

طالب لعل وكهرنيست وكرنه خورشيد همچنان در عمل معدن وكانست كه بود

وفي «المثنوي»:

كـر كـران وكـر شـتـابـنـده بـود عـاقـبـت جـو يـنـده يـا بـنـده بـود

وفي «الحكم العطائية» وشرحها: من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات، وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية ومن استعجزها فقد كفر أو كاد ودليل ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا أمس الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلي ثم انقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم، وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية.

﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ ما استفهامية في محل الرفع على الابتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان، وزيادة الكذب مع إن الافتراء لا يكون إلا كذباً لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم أيضاً ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لنفس الظن أي: أيّ شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة عليها مثقالاً بمثقال، والمراد تهويله

وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذٍ. ﴿إن الله لذو فضل﴾ عظيم ﴿على الناس﴾ جميعاً حيث أنعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح، ورحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل. ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له، ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك إلا به.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وما﴾ نافية ﴿تكون﴾ يا محمد ﴿في شأن﴾ أي: في أمر والجمع شؤون من قولك شأنت شأنه قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول ويكون الشأن بمعنى الحال أيضاً يقال: ما شأن فلان بمعنى ما حاله ﴿وما تتلو منه﴾ الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف، أي تلاوة كائنة من الشأن لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول. ﴿من قرآن﴾ من مزيدة لتأكيد النفي وقرآن مفعول تتلو ﴿ولا تعملون﴾ [اي آدميان] ﴿من عمل﴾ من الأعمال تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير.

قال ابن الشيخ الخطاب: وإن خص به عليه السلام أولاً بحسب الظاهر إلا أن الأمة داخلون فيه لأن رئيس القوم إذا خوطب دخل قومه في ذلك الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة، أي: ما تلابسون بشيء منها في حال من الأحوال إلا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له ﴿إذ تفيضون فيه﴾ ظرف لشهوداً؛ إذ تخلص المضارع لمعنى الماضي، والإفاضة الدخول في العمل يقال: أفاض القوم في العمل إذا اندفعوا فيه أي: تخوضون وتندفعون فيه ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي: لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل ﴿من مثقال ذرة﴾ من مزيدة لتأكيد النفي، أي: ما يساوي في الثقل نملة صغيرة أو هباء. ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي: في دائرة الوجود والإمكان. ﴿ولا﴾ لنفي الجنس ﴿أصغر﴾ اسمها ﴿من ذلك﴾ الذرة ﴿ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ خبرها وهو اللوح المحفوظ، فإذ كان كل شيء مكتوباً في اللوح فكيف يغيب عن علمه شيء وكيف يخفى عليه أمر فلا يظن أحد أنه لا يجازي على أقواله وأفعاله خيراً كانت أو شراً.

وفيه إشارة إلى طريق المراقبة وحث على المحافظة فإن المرء إذا علم يقيناً اطلاع الله عليه في كل آن وحافظ على أوقاته سلم من الخلاف وعامل بالانصاف ـ حكي ـ عن عمر البناني رحمه الله قال: مررت براهب في مقبرة في كفه اليمنى حصى أبيض، وفي كفه اليسرى حصى أسود فقلت: يا راهب ما تصنع ههنا؟ قال: إذا فقدت قلبي أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها فقلت ما هذا الحصى الذي في كفك؟ فقال: أما الحصى الأبيض إذا عملت حسنة ألقيت واحدة منها في الأسود وإذا عملت سيئة ألقيت واحدة من هذا الأسود في الأبيض، فإذا كان الليل فنظرت فإن فضلت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردي، وإن فضلت

السيئات على الحسنات لم آكل طعاماً ولم أشرب شراباً في تلك الليلة هذه حالتي والسلام عليك.

وعن بعض الكبار من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من المراقبات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات، لأن الحياة تقتضي الاحساس، والعكس صفة الميت وكل معصية من الغفلة والنسيان، فذاكر الحق سالم في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن ولياً اشتاق إلى رؤية حبيب من أحباء الله فقيل له اذهب إلى القصبة الفلانية ففيها حبيبي فجاء إليها ورأى رجلاً يذكر الله وأسداً فإذا تغافل يختطفه الأسد حتى يقطع قطعة لحم من أعضائه، فلما قرب إليه وسأل عن حاله قال: أردت أن لا أتغافل عن ذكر الله فإذا وقعت الغفلة سلط على كلباً من كلاب الدنيا فأنا ألازمه مخافة أن يسلط كلباً من كلاب الآخرة عليّ للغفلة.

يقول الفقير في هذه القصة إشارات. منها أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وإن مقاساة شدائد طريق الحق في هذه النشأة أسهل من المؤاخذات الأخروية فعلى المرء ملازمة الطاعة والعبادة وإن كانت شاقة عليه. وفي «المثنوي»:

اندرين ره مى تراش ومى خراش   تا دم آخر دمى فارغ مباش

ومنها أنه لا بد من المراقبة فإن عجز بنفسه عنها استعان عليها من خارج فإنه لا بد للنائم من محرك وموقظ إذ النوم طويل والنفس كسلى، ولذا جعلوا من شرط الصحبة أن لا يصطحب إلا مع من فوقه. وفي البستان:

زخود بهترىء جوى وفرصت شمار   كه باچون خودى كم كنى روزكار

ومنها أن الأسد الذي سلطه الله عليه إنما سلطه في الحقيقة على نفسه ليفترسها فإن من لم يمت نفسه في هذه الدار سلطها الله عليه في دار البوار.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿**ألا**﴾ تنبهوا واعلموا ﴿**إن أولياء الله**﴾ أي: أحباء الله وأعداء نفوسهم فإن الولاية هي معرفة الله ومعرفة نفوسهم، فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة عند كشف غطاء أحوالها وأوصافها فإذا عرفتها حق المعرفة وعلمت أنها عدوة لله ولك وعالجتها بالمعاندة والمكابدة أمنت مكرها وكيدها وما نظرت إليها بنظر الشفقة والرحمة كما في «التأويلات النجمية».

قال: المولى أبو السعود رحمه الله الولي لغة القريب، والمراد بأولياء خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه انتهى، لأنهم يتولونه تعالى بالطاعة أي: يتقربون إليه بطاعته والاستغراق في معرفته بحيث إذا رأوا رأوا دلائل قدرته، وإن سمعوا سمعوا آياته وإن نطقوا نطقوا بالثناء عليه وإن تحركوا تحركوا في خدمته وإن اجتهدوا اجتهدوا في طاعته ﴿**لا خوف عليهم**﴾ في الدارين من لحوق مكروه، والخوف إنما يكون من حدوث شيء من المكاره في المستقبل ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ من فوات مطلوب والحزن إنما يكون من تحقق شيء مما كرهه في الماضي أو من فوات شيء أحبه فيه أي: لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن بل يستمرون على النشاط والسرور كيف

لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين.

ولذا قال: في «الكواشي» ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة وإلا فهم أشد خوفاً وحزناً في الدنيا من غيرهم انتهى.

وإنما يعتريهم ذلك، لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله ونيل رضوانه إنه المستتبع للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى، وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات، فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجوداً وعدماً حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها كما في «الإرشاد». والتحقيق أنهم لفنائهم في عين الهوية الأحدية لم يبق فيهم بقية ولا غاية ما وراء ما بلغوا حتى يخافوا ويحزنوا كما في«نفائس المجالس» لحضرة الهدائي قدس سره ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ استئناف مبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة؟ فقيل هم الذين جمعوا بين الإيمان بكل ما جاء من عند الله والتقوى المفضيين إلى كل خير المنحيين عن كل شر.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: وكانوا يتقون الله تعالى من صدور سيئات الأعمال والأخلاق في مرتبة الشريعة والطريقة ومن ظهور الغفلات والتلوينات في مرتبة المعرفة والحقيقة لأنهم يصلحون طبائعهم بالشريعة وأنفسهم بالطريقة وقلوبهم بالمعرفة وأرواحهم وأسرارهم بالحقيقة فلا جرم أنهم يتقون من جميع ما سوى الله انتهى.

يقول الفقير: يشير رضي الله عنه بذلك إلى أن المراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها وهو تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بالكلية وهذه المرتبة جامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الإيمان أيضاً ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك، وللأولياء في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة، حسب تفاوت درجات استعداداتهم، أقصاها ما انتهى إليه هِمم الأنبياء عليهم السلام، جمعوا بين رياستي النبوة والولاية، وما عاقهم التعلق بعلم الأشباح عن العروج إلى عالم الأرواح، ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق، لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية ومن هنا يعرف فضل رسول الله ﷺ على عيسى عليه السلام؛ إذ ليس عروجه إلى الرابعة ببديع بالنسبة إلى عروج رسولنا عليه السلام إلى العرش وما فوقه إذ كان تعلقه بهذه النشأة من جهة الأم فقط وتعلق رسول الله من جهة الأبوين ومع ذلك ما عاقه التعلق حتى انتهى في عروجه إلى ما انتهى من نهايات العنصريات وغايات الطبيعيات، ودوام الاتصال بالأنوار العالية ممكن، كما يحكى عن بعض المتألهين وإن لم يمكن فيجعل هذه الحالة ملكة له فيصير بدنه كقميص يلبسه تارة ويخلعه أخرى ألا ترى أن من قدر على النفقة فهو متى جاع فبيده الشبع يأكل ما شاء فقس عليه الرزق المعنوي والعروج إلى مبدأه بل هو أولى من ذلك لأنه مستغن عن آلة وسبب وليس بين الطالب والمطلوب مسافة، وفي «المثنوي»:

اين دراز وكوتهى مر جسم راست چه درازوكوته آنجاكه خداست

چون خدا مر جسم را تبديل كرد رفتنش بى فرسخ وبى ميل كرد

فإذا عرفت أن أولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون بالتقوى الحقيقية، فاعرف أيضاً أنه

قد جاء في الأولياء أوصاف أخر بعضها متقارب وبعضها باعتبار البداية، وبعضها باعتبار النهاية إلى غير ذلك.

مما روى علي كرم الله وجهه هم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الطوى، يبس الشفاه من الذوي.

وعن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل من أولياء الله؟ فقال: «هم الذي يذكر الله برؤيتهم» أي: بسمتهم وإخباتهم وسكينتهم نحو: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال بعضهم: علامة الأولياء أن همومهم مع الله، وشغلهم بالله وفرارهم إليه فنوافي أحوالهم ببقائهم في مشاهدة مالكهم فتوالت عليهم أنوار الولاية، فلم يكن لهم عن نفوسهم أخبار، ولا مع واحد غير الله قرار، وهم المتحابون في الله. قال ﷺ: «إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله» قيل يا رسول الله من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟ قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» قوله: يغبطهم الأنبياء تصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل.

قال: «الكواشي» وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وإلا فلا خلاف أن أحداً من غير الأنبياء لا يبلغ منزله الأنبياء.

وفي تفسير الفاتحة للفناري: إن النبيين يفزعون على أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون يوم القيامة: اللهم سلم سلم، ويخافون أشد الخوف على أممهم، والأمم يخافون على أنفسهم، وأما الآمنون على أنفسهم، فيغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم أي: النبيون عليه من الخوف على أممهم وإن كانوا آمنين على أنفسهم.

يقول الفقير: وحين الانتهاء في التحرير إلى هذا المحل ظهر لي وجه آخر وهو أن الحديث المذكور ناطق عن المحبة في الله والمحبة مقام اختص به عليه السلام من بين الأنبياء والرسل وهو لا ينافي تحقق الكمل من ورثته بحقائقه إذ كمال التابع تابع لكمال متبوعه فمن الجائز أن يحصل لهم من ذلك المقام وآثاره ما به يغبطهم بعض الأنبياء.

وقد ورد «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ولا يلزم من ذلك بلوغهم منزلة الأنبياء ورجحانهم عليهم مطلقاً وقد تقرر أن الأفضل قد يكون مفضولاً من وجه وبالعكس ألا ترى قوله عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ودرجات المعرفة لا نهاية لها وإلى الله المنتهى.

وقال أبو يزيد قدس سره: أولياء الله تعالى عرائس، ولا يرى العرائس إلا من كان محرماً لهم وإما غيرهم فلا، وهم مخدرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال سهل: أولياء الله لا يعرفهم إلا أشكالهم، أو من أراد أن ينفعه بهم ولو عرفهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالف بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج.

وقال الشيخ أبو العباس: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى يعرف مخلوق مخلوقاً مثله؟ يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب وهم ظاهرهم مزين بأحكام الشرع وباطنهم مشتغل بأنوار الفقر. وفي «المثنوي»:

رهرو راه طريقت اين بود كاو باحكام شريعت ميرود

قال: «الكاشفي» في وصف الأولياء:

رخش زميدان ازل تاخته كوى بچو كان ابد باخته
معتكفان حرم كبريا شسته دل از صورت كبروريا
راه نوردان شكسته قدم راز كشايان فروبسته دم

وقال السعدي:

اسيرش نخواهد رهايى زبند شكارش نجويد خلاص ازكمند
دلارام در بر دلاراى جوى لب ازتشنكى خشك بر طرف جوى

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان إنجائهم من شرورهما ومكارههما. والجملة مستأنفة كأنه قيل: هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة؟ فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الأول لما أن التخلية سابقة على التحلية. والبشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار، أي لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة أي: عاجلة وآجلة أو من الضمير المجرور، أي حال كونهم في الحياة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس هذا ما اختاره المولى أبو السعود بناء على أنها بشارة ناجزة مقصودة بالذات. وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به أما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي عليه السلام: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له» أي: يراها مسلم لأجل مسلم آخر ولا يخفى أن كون الرؤيا الصالحة مبشرة للمؤمن يمنع أن تكون بنبوة فتكون بوجه آخر من صلاح وتنبيه غفلة وفرح وغيرها كما في «شرح المشارق» لابن الملك وهذه البشارة لا تحصل إلا لأولياء الله لأنهم مستغرقوا القلب والروح في ذكر الله ومعرفة الله فمنامهم كاليقظة لا يفيد إلا الحق واليقين وأما من يكون متوزع الخاطر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم فإنه لا اعتماد على رؤياه.

وفي «التأويلات النجمية» لهم المبشرات التي هي تلو النبوة من الوقائع التي يرون بين النوم واليقظة والإلهامات والكشوف وما يرد عليهم من المواهب والمشاهدات كما قال عليه السلام: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» انتهى.

وفي الحديث: «الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ومعناه أن النبي عليه السلام حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين فمدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي في المنام ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً وإنما ابتدىء رسول الله بالرؤيا لئلا يفجأه الملك بالرسالة فلا تتحملها القوى البشرية فكانت الرؤيا تأنيساً له.

وقال بعضهم: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة، وأما البشرى في الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء

الصحف بإيمانهم وما يقرأون منها، وغير ذلك من البشارات في كل موطن من المواطن الأخروية فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها.

[سلمى فرموده كه بشارت دنيا وعدهٔ لقاست ومژدهٔ آخرت تحقيق آن وعده. وشيخ الإسلام فرموده كه ولى راد وبشار تست. دردنيا شناخت ودر عقبى نواخت. درين سراى سرور مجاهده ودران سراى نور مشاهده. اينجا صفا و وفا وآنجار ضا ولقا].

وفي «التأويلات النجمية» بشراهم في الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة عند سطوات نور القدم وزهق ظلمة الحدوث وبلقاء الحق رحمة منه كما قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ﴾ [التوبة: ٢١] وفي حديث: «الرؤية في النشأة الكثيبية يقول الله تعالى لهم بعد التجلي هل بقي لكم شيء بعد هذا، فيقولون يا ربنا وأي: شيء بقي وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله: بقي لكم فيقولون: يا ربنا وما ذاك الذي بقي؟ فيقول: دوام رضاي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً» فما أحلاها من كلمة وما الذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام، خلقنا فقال: كن فأول شيء كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال: هذه المقالة فختم بالسماع وهو هذه البشرى ﴿**لا تبديل لكلمات الله**﴾ أي: لمواعيده الواردة في حقهم إذ لا خلف لمواعيده أصلاً.

وفي «التأويلات النجمية» لا يتغير أحكامه الأزلية حيث قال: للولي كن ولياً وللعدو كن عدواً وكانوا كما أراد للحكمة البالغة فلا تغير لكلمة الولي وكلمة العدو ﴿**ذلك**﴾ التبشير ﴿**هو الفوز العظيم**﴾ الذي لا يصل إلى كنهه العقول وكيف لا وفيه سعادة الدارين.

اعلم أن الولاية على قسمين عامة وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وخاصة وهي مختصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك، والولاية عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به، ولا يشترط في الولاية الكرامات الكونية فإنها توجد في غير الملة الإسلامية، لكن يشترط فيها الكرامات القلبية كالعلوم الإلهية والمعارف الربانية، فهاتان الكرامتان قد تجتمعان كما اجتمعتا في الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ أبي مدين المغربي قدس الله سرهما فإنه لم يأت من أهل الشرق مثل عبد القادر في الخوارق ومن أهل الغرب مثل أبي مدين مع مالهما من العلوم والمعارف الكلية وقد تفترقان فتوجد الثانية دون الأولى كما في أكثر الكمل من أهل الفناء، وأما الكرامات الكونية كالمشي على الماء والطيران في الهواء وقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وغيرها فقد صدرت من الرهابنة والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون كما سبق في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] الآية. والنبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي لا مدخل لكسب العبد فيها. وأما الولاية كالوزارة فلكسب العبد مدخل فيها فكما يمكن الوزارة بالكسب، كذلك يمكن الولاية بالكسب وفي الحقيقة كل منهما اختصاص عطائي غير كسبي حاصل للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل، فأول الولاية انتهاء السفر الأول الذي هو السفر من الخلق إلى الحلق بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار والخلاص من القيود والاستار، والعبور على المنازل والمقامات

والحصول على المراتب والدرجات، وبمجرد حصول العلم اليقيني للشخص لا يلحق بأهل المقام لأنه إنما يتجلى الحق لمن انمحى رسمه وزال عنه اسمه ولما كانت المراتب متميزة قسم أرباب هذه الطريقة المقامات الكلية إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. فعلم اليقين متصور الأمر على ما هو عليه. وعين اليقين بشهوده كما هو.

وحق اليقين بالفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط، ولا نهاية لكمال الولاية فمراتب الأولياء غير متناهية، والطريق التوحيد وتزكية النفس عن الأخلاق الذميمة وتطهيرها من الأغراض الدنيئة، فمن جاهد في طريق الحق فقد سعى في الخلق نفسه بزمرة الأولياء ومن اتبع الهوى فقد اجتهد في الالتحاق بفرقة الأعداء، والسلوك الإرادة لأجل الفناء فإن المريد من يفني إرادته في إرادة الشيخ فمن عمل برأيه أمراً فهو ليس بمريد. وفي «المثنوي»:

مكسل از پيغمبر ايام خويش ... تكيه كم كن برفن وبركام خويش
كرچه شيرى چون روى رم بيدليل ... همچو روبه ودر ضلالي وذليل
هين مپرالا كه باپرهاى شيخ ... تابه بيني عون ولشكرهاى شيخ

وينبغي للمؤمن أن يجتهد في تحصيل سير أولياء الله وأقل الأمر أن لا يقصر في حبهم فإن المرء مع من أحب أن يحشر معه فلا بد من الجهة الجامعة من وجه خاص.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ هو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم: ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه، وإنما وجه النهي إلى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثير نهى عن التأثر بأصله.

قال الكواشي: يتم الوقف هنا ويختار الاستئناف بأن العزة كأنه قيل فما لي لا أحزن؟ فقيل: **﴿إن العزة﴾** أي: الغلبة والقهر **﴿لله جميعاً﴾** أي: في مملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئاً منهما أصلاً لا هم ولا غيرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم. **﴿هو السميع العليم﴾** يسمع ما يقولون في حقك، ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿إن العزة لله جميعاً﴾** في الدنيا والآخرة يعز من يشاء في الدنيا دون الآخرة ويعز من يشاء في الآخرة دون الدنيا ويعز في الدنيا والآخرة جميعاً فلا يضره هواجس النفس ووساوس الشيطان في احتظاظه بشهوات الدنيا ونعيمها والتزين بزينتها ولا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فيكون من خواص عباده الذين آتاهم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة بل يكون لبعضهم نعيم الدنيا معيناً على تحصيل نعيم الآخرة كما جاء في الحديث الرباني: (وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فإن أفقرته يفسده ذلك).

﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: العقلاء من الملائكة والثقلين، وإذا

كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيداً له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكيته فما عداهم من الموجودات أولى بذلك فهو تعالى قادر على نصرك عليهم ونقل أموالهم وديارهم إليك. ﴿**وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء**﴾ ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره، والتقدير: وما يتبع الذين يدعون آلهة من دون الله شركاء في الحقيقة وإن سموها شركاء؛ لأن شركة الله تعالى في الربوبية محال ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ أي: ما يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء. ﴿**وإن هم**﴾ أي: ما هم ﴿**إلا يخرصون**﴾ يكذبون فيما ينسبونه إلى الله سبحانه يقال: خرص يخرص خرصاً أي: كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب، ثم نبه على تفرده بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده باستحقاق العبادة فقال:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿**هو الذي جعل لكم الليل**﴾ مظلماً ﴿**لتسكنوا فيه**﴾ وتستريحوا من تعب الطلب ﴿**والنهار مبصراً**﴾ لتتحركوا فيه لتحصيل أسباب معاشكم فحذف مظلماً لدلالة مبصراً عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه، وإسناد الإبصار إلى النهار مجازي، والمراد يبصر فيه كقوله نهاره صائم وليله قائم أي: صام في نهاره وقام في ليله.

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى جعل بعض الأوقات للاستراحة من نصب المجاهدات وتعب الطاعات لنزول ملالة النفوس وكلالة القلوب ويستجد الشوق إلى جانب المطلوب ومن ثمة جعل أهل التدريس يوم التعطيل ليحصل النشاط الجديد للتحصيل كما قال ابن خيام:

زماني بحث ودرس وقيل وقالي كه انسانرا بود كسب كمالى
زماني شعر وشطرنج وحكايات كه خاطررا شود دفع ملالى

ففي الانتقال من أسلوب إلى أسلوب تجديد كتقلب أهل الكهف من اليمين إلى اليسار من عهد بعيد. قال الحافظ:

از قال وقيل مدرسه حاله دلم كرفت يك چند نيزخدمت معشوق ومى كنم

﴿**إن في ذلك**﴾ أي: في جعل كل منهما كما وصف ﴿**لآيات**﴾ عجيبة كثيرة ﴿**لقوم يسمعون**﴾ أي: سماع تدبر واعتبار لمواعظ القرآن وتخصيص الآيات بهم مع أنها منصوبة لمصلحة الكل لما إنهم المنتفعون بها.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ أي: بنو مدلج كما في «الكاشفي». ﴿**اتخذ الله ولداً**﴾ أي: تبناه.

وفي «التبيان» قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت قريش: الملائكة بنات الله. ﴿**سبحانه**﴾ تنزيه وتقديس له عما نسبوا إليه من الولد وتعجب لكلمتهم الحمقاء إما أنه تنزيه؛ فلأن تقديره اسبحه تسبيحاً أي: أنزهه تنزيهاً وأما أنه تعجب فلأنه يقال: في مقام التعجب سبحان الله واستعمال اللفظ في الأول حقيقي وفي الثاني مجازي.

فإن قلت: لفظ واحد في معنيين حقيقي ومجازي ممنوع.

قلت: لا يلزم أن يكون استفادة معنى التعجب منه باستعمال اللفظ فيه بل هي من المعاني الثواني كما في «حواشي» سعدي چلبي.

ورد في الأذكار لكل أعجوبة سبحان الله، ووجه إطلاق هذه الكلمة عند التعجب هو أن الإنسان عند مشاهدة الأمر العجيب الخارج عن حد أمثاله يستبعد وقوعه، وتنفعل نفسه منه كأنه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه أن يقول قدر عليه وأوحده، ثم تدارك إنه في هذا الزعم مخطىء فقال: سبحان الله تنزيهاً لله تعالى عن العجز عن خلق أمر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأنه تعالى على كل شيء قدير كذا في «حواشي» ابن الشيخ في سورة النصر **﴿هو الغني﴾** عن كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة فيتخذه الضعيف ليتقوى به والفقير ليستعين به والذليل ليتعزز به والحقير ليشتهر به وكل ذلك علامة الاحتياج **﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾** أي: من العقلاء وغيرهم وهو تقرير لغناه، وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه، **﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾** أي: ما عندكم حجة وبرهان بهذا القول الباطل الذي صدر منكم فإن نافية ومن زائدة لتأكيد النفي وسلطان مبتدأ، والظرف المتقدم خبره وبهذا متعلق بسلطان **﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾** توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم، وفيه تنبيه على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وإن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وأن التقليد فيها غير جائز.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه. **﴿لا يفلحون﴾** لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلاً.

﴿متاع في الدنيا﴾ جواب سؤال كأن قائلاً قال: كيف لا يفلحون وهم في الدنيا بأنواع ما يتلذذون به متمتعون فقيل ذلك متاع يسير في الدنيا زائل لا بقاء له وليس فوز بالمطلوب **﴿ثم إلينا مرجعهم﴾** أي: بالموت **﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾** فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر في الدنيا فأين هم من الفلاح؟

قال في «التأويلات النجمية»: في الدنيا ما ذاقوا ألم العذاب لأنهم كانوا نياماً والنائم لا يجد ألم شيء من الجراحات والناس نيام فإذا ماتوا انتهبوا.

مردمان غافلند از عقبى همه كويى بخفتكان مانند
ضرر غفلتي كه مى ورزند چون بميرند آنكهى دانند

وفي الآيات نهيٌ عن الشرك والكذب وفي الحديث: «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح عليه السلام ابنه؛ فقال: يا بني آمرك بأمرين وأنهاك عن أمرين آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له فإن السماء والأرض لو جعلتا في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجح لا إله إلا الله وآمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الملائكة ودعاء الخلق وبها يرزق الخلق، وأنهاك أن لا تشرك بالله شيئاً فإن من أشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأنهاك عن الكبر فإن أحداً لا يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أي: إن الله إذا أراد أن يدخله الجنة نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر أو لا يدخلها دون مجازاة إن جازاه أو لا يدخلها مع المتقين أول وهلة.

يقول الفقير: الظاهر أنه زجر بطريق التشديد، وليس المراد كبر الكفر لأنه جاء في مقابلته. والحاصل أن الكبر وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم من الكبائر التي تقرب من الكفر في الجزاء ومثله ترك الصلاة كما جاء «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» وفي الحديث: «بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء» رواه الأصبهاني. أما الأول: فوارد على طريق الفرض وحث على البر بطريق المبالغة بأن له من الأثر في الخير ما لو أمكن أن يبسط في عمر البار لكان ذلك ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: ٨١]. وأما الثاني، فمعناه أن الكذب يمحق بركة الكذاب فيكون في حكم الناقص ويجوز على فرض المحال أي: لو كان شيء ينقص الرزق لكان هو الكذب، وأما الثالث فالمراد أن الدعاء يرد القضاء المعلق الذي توقف رده على أسباب وشروط لا القضاء المبرم الذي لا يقبل التغير أصلاً.

فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل التوحيد الحقاني، برعاية الأوامر الشرعية، والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه من المحرمات القولية والفعلية، والاجتناب عن المشاغل القلبية، والاحتراز عن الميل إلى ما سوى الحضرة الأحدية، فإن الرجوع إلى تلك الحضرة لا إلى غيرها والتوحيد تحفة مقبولة ولا يقبل الله أحداً إلا به والشرك سبب لعذابه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ [يونس: ٧٠]، وفيه إشارة إلى أن عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة كلا عذاب؛ إذ كلما انتقل المرء من طور إلى طور وجد الأمر على الشدة وهو كذلك مبدأ ومعاداً إلا من تداركه الله تعالى بعنايته وخصه بتوفيق خاص من حضرته.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿واتل عليهم﴾ أي: على المشركين من أهل مكة ﴿نبأ نوح﴾ خبره مع قومه لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر والعناد.

وقال: في «البستان» كان اسم نوح شاكراً وإنما يسمى نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله وهو أول من أمر بنسخ الأحكام وأمر بالشرائع وكان قبله نكاح الأخت حلالاً فحرم ذلك على عهده وبعثه الله نبياً وهو يومئذٍ ابن أربعمائة وثمانين سنة. ﴿إذ قال﴾ معمول لنبأ لا لقوله اتل لأنه مستقبل وإذ ماض والمراد بعض نبأه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه. ﴿لقومه﴾ اللام للتبليغ ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿إن كان كبر عليكم﴾ أي: أعظم وشق ﴿مقامي﴾ أي: نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: خاف ربه أو قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة وهو ألف سنة إلا خمسين عاماً أو قيامي ﴿وتذكيري﴾ [پند دادن من شمارا] ﴿بآيات الله﴾ [بعلا متهاى روشن بر وحدانيت خدا] فإنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم لكون ذلك أدخل في الأسماع كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود، فيحتمل أن يستثقلوا ذلك وكان سحبان وهو رجل بليغ من العرب يقوم ويتكىء على عصاه ويسرد

الألفاظ، وكراسي الوعاظ اليوم بدل من القيام، وكان عليه السلام يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي هو من الشجر وكان له ثلاث درجات ولم يزل على حاله حتى زاد مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله. **﴿فعلى الله توكلت﴾**جواب للشرط، أي: دمت على تخصيص التوكل به وتفويض الأمور إليه فإنه معيني وناصري فيما أردتم بي من القتل والأذى، وإنما حمل على دوام التوكل واستمراره لئلا يرد أنه عليه السلام متوكل على الله دائماً كبر عليهم مقامه أو لم يكبر.

و ابن الشيخ الأظهر أن يقال: الجواب محذوف أي: فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاته بهم. **﴿فأجمعوا أمركم﴾**بقطع الهمزة من الإجماع وهو العزم يقال: أجمعت على الأمر إذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى إلا أن حرف الجر حذف في الآية وأوصل الفعل إلى المجرور بنفسه.

وقال أبو الهيثم: أجمع أمره جعله مجموعاً بعد ما كان متفرقاً وتفرقه إنه يقول مرة افعل كذا وأخرى كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد أجمعه أي: جعله جميعاً. والمعنى فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي. **﴿وشركاءكم﴾**بالنصب على أن الواو بمعنى (مع) أي: مع آلهتكم التي تزعمون أن حالكم تقوى بالتقرب إليها واجتمعوا فيه على أي: وجه يمكنكم.

قال الكاشفي: [ملخص آيت آنكه شما همه بقصد من اتفاق كنيد]. **﴿ثم﴾**للتراخي في الرتبة. **﴿لا يكن أمركم﴾**ذلك **﴿عليكم غمة﴾**أي: مستوراً من غمه إذا ستره واجعلوه ظاهراً مكشوفاً تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه. **﴿ثم اقضوا إليّ﴾**أي: أدوا إليّ وأوصلوا ذلك الأمر الذي تريدون بي وامضوا ما في أنفسكم أوأدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضى الرجل غريمه **﴿ولا تنظرون﴾**ولا تمهلوني بل عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار وإنما خاطبهم بذلك إظهاراً لعدم المبالاة بهم وإنهم لن يجدوا إليه سبيلاً، وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وحفظه.

﴿فإن توليتم﴾أي: إن أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري ودمتم عليه وجواب الشرط محذوف، أي: فلا باعث لكم على التولي ولا موجب، وقوله تعالى: **﴿فما سألتكم﴾**بمقابلة وعظي وتذكيري علة له. **﴿من أجر﴾**أي: شيء من حطام الدنيا تؤدونه إليّ حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لثقله عليكم أو لكونه سبباً لاتهامكم إياي بأن تقولوا إنما يعظنا ويذكرنا طمعاً لنيل الأجر والمال قبلنا. **﴿إن أجري إلا على الله﴾**أي: ما ثوابي على العظة والتذكير إلا عليه يثيبني به آمنتم أو توليتم. **﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾**ممن أسلم وجهه لله فلا يأخذ على تعليم الدين شيئاً، وأيضاً إن المتعين لخدمة لا يجوز له أن يأخذ عليها أجرة والأنبياء والأولياء متعينون لخدمة الإرشاد، ومن علم بالحسبة ولم يأخذ له عوضاً، فقد عمل عمل الأنبياء عليهم السلام، وقد جوز المتأخرون أخذ الأجرة على التعليم والتأذين والإمامة والخطابة وغير ذلك لكن ينبغي للآخذ إخلاص النية في عمله وإلا فقد جاء الوعيد. قال السعدي:

زيان ميكند مرد تفسيردان كه علم وادب ميفر وشدبنان
بدين اي فرومايه ديني مخر چوخر بانجيل عيسى مخر

واعلم أن المعلم الناصح إذا رغب في إصلاحك وإصلاح غيرك حتى يودّ لو أن الناس كلهم صلحوا على يديه فإنما يرغب في ذلك ليكثر أتباع محمد ﷺ لما سمعه يقول: «إني مكاثر بكم الأمم» وهذا مقام رفيع لغناه عن عظة في إرشاده، وإنما غرضه إقامة جاه محمد وتعظيمه كما يحكى أن رابعة العدوية كانت تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وتقول ما أريد بها ثواباً ولكن ليسر بها رسول الله ﷺ، ويقول للأنبياء انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة، فإذا تعلقت نية المعلم والعامل بهذا يجازيهما الله على ذلك من حيث المقام.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿فكذبوه﴾ عطف على قوله: قال لقومه أي: اتل عليهم نبأ نوح إذ قال: لقومه كذا، وكذا فأصروا على تكذيبه تمرداً وعناداً فتولوا عن تذكيره فحقت عليهم كلمة العذاب فأغرقوا ﴿فنجيناه﴾ من الغرق، والفاء فصيحة تفصح عن كون الكلام مشتملاً على الحذف والتقدير كما قدرنا، ﴿ومن﴾ استقر ﴿معه في الفلك﴾ وكانوا ثمانين أربعين رجلاً وأربعين امرأة كما في «البستان»، أو فنجيناهم في هذا المكان فإن أنجاءهم وقع في الفلك فعلى هذا يتعلق في الفلك بنجيناه، وعلى الأول يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به معه ﴿وجعلناهم خلائف﴾ أي: سكان الأرض وخلفا ممن غرق وهلك.

قال في «البستان»: لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧] فتوالدوا حتى كثروا فالعرب والعجم والفرس والروم كلهم من ولد سام، والحبش والسند والهند من أولاد حام، ويأجوج ومأجوج والصقلاب والترك من أولاد يافث ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان.

قال حضرة الشيخ الشهير: بأفتاده أفندي: تأثير طوفان نوح يظهر في كل ثلاثين سنة مرة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل. ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ وهم قوم نوح وفيه تحذير لمن كذب الرسول وتسلية له.

محالست چون دوست داردترا كه دردست دشمن كذارد ترا

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثم بعثنا﴾ أي: أرسلنا. ﴿من بعده﴾ أي: بعد نوح ﴿رسلاً﴾ التكثير للتفخيم ذاتاً ووصفاً، أي: رسلاً كراماً ذوي عدد كثير ﴿إلى قومهم﴾ كل رسول إلى قومه خاصة كما يستفاد من إضافة القوم إلى ضميرهم مثل هود إلى عاد، وصالح إلى ثمود، وإبراهيم إلى قوم بابل، وشعيب إلى قوم الأيكة وأهل مدين وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص. ﴿فجاؤوهم﴾ أي: جاء كل رسول قومه المخصوصين به. ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة مثبتة لدعواهم، والباء إما متعلقة بالفعل المذكور على أنها للتعدية، أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير جاؤوا، أي: ملتبسين بالبينات. والمراد: جاء كل رسول بالبينات الكثيرة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين ضميري جاؤهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي: فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعاً منهم لشدة شكيمتهم في

الكفر والعناد. ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ ما موصولة عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها، والمراد بيان استمرار تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد، فإن المحكي آخر حال كل قوم أو عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة، والمراد بيان استمرار تكذيبهم من قبل مجيء الرسل إلى زمان مجيئهم إلى آخره فالمحكي جميع أحوال كل قوم ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح فيكذبونها، ثم كانت حالتهم بعد مجيئهم الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد. وفيه إشارة إلى أن أهل الفترة مؤاخذون من جهة الأصول. ﴿كذلك﴾ الكاف نعت مصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله. ﴿نطبع﴾ [مهرمى نهيم] ﴿على قلوب المعتدين﴾ المتجاوزين باختيار الإصرار على الكفر.

اعلم، أن الله تعالى قد دعا الكل إلى التوحيد يوم الميثاق، ثم لما وقع التنزل إلى هذه النشأة الجسمانية لم يزل الروح الإنساني داعياً إلى قبول تلك الدعوة الإلهية والعمل بمقتضاها، لكن من كان شقياً بالشقاوة الأصلية الأزلية لما لم يقبلها في ذلك اليوم استمر على ذلك، فلم يؤمن بدعوة الأنبياء ومعجزاتهم فتكذيب الأنبياء مسبب عن تكذيب الروح، وتكذيبه مسبب عن تكذيب الله تعالى يوم الميثاق، وهم وإن كانوا ممن قال: بلى، لكن كان ذلك من وراء الحجب حيث سمعوا نداء ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] من ورائها فلم يفهموا حقيقته وأجابوا بما أجاب به غيرهم لكن تقليداً لا تحقيقاً وكما أن الله تعالى طبع على قلوب المكذبين للرسل بسوء اختيارهم، وانهماكهم في الغي والضلال كذلك طبع على قلوب المنكرين للأولياء بسوء معاملاتهم وتهالكهم على التقليد فما دخل في قلوبهم الاعتقاد، وما جرى على ألسنتهم الإقرار، كما لم يدخل في قلوب الأولين التصديق ولم يصدر من ألسنتهم ما يستدل به على التوفيق، ثم هم مع كثرتهم قد جاؤوا وذهبوا ولم يبق منهم أثر ولا اسم وسيلحق بهم الموجودون ومن يليهم إلى آخر الزمان. وفي «المثنوي»:

منبرى كوكه بر آنجا مخبري ... ياد آرد روزكار منكري
سكهٔ شاهان همي كردد دكر ... سكهٔ أحمد ببين تا مستقر
برزخ نقره وياروى زرى ... وإنما برسكه نام منكري

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل التوحيد، ويخلصنا وإياكم من ورطة التقليد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝٧٧ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾.

﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿موسى﴾ ابن عمران ﴿وهارون﴾ وهو أخو موسى أكبر منه بثلاث سنين ﴿إلى فرعون﴾ [بسوى وليد بن مصعب باقابوس كه فرعون آن زمان بود] ﴿وملئه﴾ أي: أشراف قومه وهو اكتفاء بذكر الجل عن الكل. ﴿بآياتنا﴾ بالآيات

التسع وهي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر وإضافها إلى نفسه تنبيهاً على خروجها عن حيز استطاعة العبد ﴿**فاستكبروا**﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة، أي: فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] ﴿**وكانوا قوماً مجرمين**﴾ أي: كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الإجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي: الجثة فلذلك استهانوا برسالة الله تعالى عز وجل.

﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا**﴾ المراد بالحق الآيات التسع التي هي حق ظاهر من عند الله بخلقه وإيجاده لا تخييل وتمويه كصنعتهم. ﴿**قالوا إن هذا**﴾ [اين كه تو آورده، ومعجزه نام كرده] ﴿**لسحر مبين**﴾ ظاهر كونه سحراً.

﴿**قال موسى**﴾ على طريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي وهو استئناف بياني. ﴿**أتقولون للحق**﴾ الذي هو أبعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت ﴿**لما جاءكم**﴾ أي: حين مجيئه إياكم ووقوفكم عليه، أو من أول الأمر من غير تأمل وتدبر، وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: أتقولون له إنه لسحر وهو مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم، ويجوز أن يكون القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة أي: العيب وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض: ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠] أي: يعيبهم فيستغنى عن المفعول، أي: ﴿**أتعيبونه**﴾ وتطعنون فيه ﴿**أسحر هذا**﴾ الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة، وهو إنكار مستأنف من جهة موسى لكونه سحراً، وتقديم الخبر للإيذان بأنه مصب الإنكار، ﴿**ولا يفلح الساحرون**﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين، أي: أتقولون إنه سحر والحال إنه لا يفلح فاعله، أي: لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله الفائزين بكل مطلب الناجين من كل محذور.

﴿**قالوا**﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال فرعون وأصحابه: لموسى عند ما قال لهم ما قال؟ فقيل قالوا: عاجزين عن المحاجة ﴿**أجئتنا**﴾ خطاب لموسى وحده لأنه هو الذي ظهرت على يده معجزة العصا واليد البيضاء ﴿**لتلفتنا**﴾ أي: لتصرفنا واللام متعلقة بالمجيء، أي: أجئتنا لهذا الغرض. ﴿**عما وجدنا عليه آباءنا**﴾ أي: من عبادة الأصنام.

وقال سعدي المفتي: الظاهر من عبادة غير الله تعالى فإنهم كانوا يعبدون فرعون. ﴿**وتكون لكما الكبرياء**﴾ أي: الملك، لأن الملوك موصوفون بالكبر والتعظيم. ﴿**في الأرض**﴾ أي: أرض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياسة أنفسنا، فلما بينوا أن سبب إعراضهم عن قبول دعوتهما هذان الأمران صرحوا بالحكم المتفرع عليهما فقالوا: ﴿**وما نحن لكما بمؤمنين**﴾ أي: بمصدقين فيما جئتما به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾لملئه يأمرهم بترتب مبادي إلزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن إلزامهما بالقول. ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾بفنون السحر حاذق ماهر فيه ليعارض موسى ﴿فلما جاء السحرة﴾الفاء فصيحة، أي: فأتوا به فلما جاؤوا في مقابلة موسى. ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾أي: ملقون له كائناً ما كان من أصناف السحر. وفي إبهام. ما أنتم تخسيس له وتقليل وإعلام إنه لا شي يلتفت إليه.

فإن قيل: كيف أمرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر والأمر بالكفر كفر.

فالجواب إنه أمرهم بإلقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق أن ما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا إنه أمرهم بالسحر ﴿فلما ألقوا﴾ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم ﴿قال﴾لهم ﴿موسى﴾غير مكترث بهم وبما صنعوا ﴿ما جئتم به السحر﴾أي: الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله سبحانه، فما موصولة وقعت مبتدأة والسحر خبرها والحصر مستفاد من تعريف الخبر ﴿إن الله سيبطله﴾أي: سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلاً، أو سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد.

إذا جـاء مـوسـى وألـقـى الـعـصـا فـقـد بـطـل الـسـحـر والـسـاحـر
سـحـر بـامـعـجـزه پـهـلـو نـزنـد ايـمـن بـاش

﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾أي: لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار.

قال القاضي: وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له انتهى. وفيه بحث فإنه عند أهل الحق ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وكون أثره هو التخييل لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿ويحق الله الحق﴾[آنجه من آورده ام] أي: يثبته ويقويه ﴿بكلماته﴾بأوامره وقضاياه ﴿ولو كره المجرمون﴾ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالإجرام من السحرة وغيرهم.

قال الكاشفي: [يعني حق سبحانه وتعالى بوعدهء نصرت وفاكند وازخشم وكراهت دشمنان باك ندارد ودر منثوىء معنوي اشارتي بدين معنى هست]

حـق تـعـالـى ازغـم وخـشـم خـصـام كـي كـذارد اولـيـارا درعـوام
مـه فـشـانـد نـوروسـك وع وع كـنـد سـك زنـور مـاه كـي مـرتـع كـنـد
خـس خـسـانـه مـيـرود برروى آب آب صـافـي مـيـرود بـي اضـطـراب
مـصـطـفـى مه مـيـشـكـافـد نـيـمـشـب ژاژ مـى خـايـد ز كـيـنـه بـولـهـب
آن مـسـيـحـا مـرده زنـده مـيـكـنـد وآن جـهـود ازخـشـم سـبـلـت مـيـكـنـد

وفي الآيات إشارة إلى موسى القلب وهارون السر وفرعون النفس وصفاتها وما يجري بينهما من الدعوة وعدم القبول، فإن موسى القلب وهارون السر يدعون النفس إلى كلمة التوحيد وعبادة الله تعالى، والنفس تدعي الربوبية ولا تثبت إلهاً غير هواها وتمتنع أن تكون

السلطنة والتصرف لهما في أرضها والله تعالى يحق الحق بكلمة لا إله إلا الله ولو كره المجرمون من أهل الهوى من النفوس المتمردة الأمارة بالسوء. قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كارخود اي دل خوش باش   كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

ـ يحكى ـ أن الشيخ الجنيد العجمي اجتهد أربعين سنة لينال السلطنة فلم يتيسر ثم جاء من أولاده سلاطين روافض كشاه إسماعيل وشاه عباس وشاه طهماس، فهزمهم الله تعالى على أيدي الملوك العثمانية فاندفع شرهم وارتفعت فتنتهم من الأرض، فقد ظهر أن الحق، من أهل الحق فهم كموسى وهارون، وأهل الباطل كفرعون، وقد ثبت أن لكل فرعون موسى وذلك في كل عصر إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال.

فإن قلت ما الحكمة في تسليط الظلمة على أهل الأرض، وقد استعبد فرعون بني إسرائيل سنين كثيرة؟.

قلت: تحصيل جوهرهم مما أصابهم من غش الآثام إن كانوا أهلاً لذلك وإلا فهو عذاب عاجل ـ يحكى ـ أن عمر رضي الله عنه لما بلغه أن أهل العراق حصبوا أميرهم، أي: رموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال: اللهم إنهم لَبَّسوا عليّ فألبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل أن يولد الحجاج فلما ولد كان من أمره ما كان، وفي الحديث: «يلحد بمكة تيس من قريش اسمه عبد الله عليه مثل أوزار الناس».

قال صاحب «إنسان العيون»: هو عبد الله الحجاج ولا مانع من أن يكون الحجاج من قريش.

وفي «حياة الحيوان» إن العرب إذا أرادوا مدح الإنسان قالوا: كبش وإذا أرادوا ذمه قالوا: تيس ومن ثمة قال ﷺ: في المحلل (التيس المستعار).

﴿فما آمن لموسى﴾ في مبدأ أمره قبل إلقاء العصا وأما إيمان السحرة فقد وقع بعده فلا ينافي الحصر المذكور هنا ﴿إلا ذرية من قومه﴾ أي: إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وذلك إن لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والإهانة ههنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد أو حداثة السن ﴿على خوف﴾ أي: كائنين على خوف عظيم ﴿من فرعون وملئهم﴾ أي: ملأ الذرية ولم يؤنث، لأن الذرية قوم فذكر على المعنى. تلخيصه آمنوا وهم يخافون من فرعون من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويجوز أن يكون الضمير لفرعون على أن المراد بفرعون آله كثمود اسم قبيلة ﴿أن يفتنهم﴾ أن يعذبهم فرعون أو يرجع آباؤهم إلى فرعون ليردهم إلى الكفر، وهو بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك أعجبني زيد علمه وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر بالتعذيب.

قال في «التأويلات النجمية»: فما آمن لموسى القلب إلا ذرية من قومه وهي صفاته ويجوز أن تكون الهاء في قومه راجعة إلى فرعون النفس، أي: ما آمن لموسى القلب إلا بعض صفات فرعون النفس فإنه يمكن تبديل أخلاقها الذميمة بالأخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون، وملائهم يعني على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها بأن يبدلوها

بأخلاقها الطبيعية التي جبلت النفس عليها، وبهذا يشير إلى أن النفس، وإن تبدلت صفاتها الأمّارية إلى المطمئنة لا يؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة إلى الأمارية كما كان حال بلعام وبرصيصا أن يفتنهم بالدنيا وشهواتها ويرجع النفس قهقرى إلى أماريتها انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر في «مواقع النجوم»: وعلامة المدعي في الوصول رجوعه إلى رعونة النفس وإعراضها ولهذا قال أبو سليمان الداراني: من رؤساء المشايخ: لو وصلوا ما رجعوا، وإنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول فمن لم يتخلق لم يتحقق وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع، والأدب مع الشرع، واتباعه حيث سلك انتهى **﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾** لغالب في أرض مصر ومتكبر وطاغ. **﴿وإنه لمن المسرفين﴾** في الظلم الفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء، وهم بنو إسرائيل فإنهم من فروع يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿وقال موسى﴾ لما رأى تخوف المؤمنين منه **﴿يا قوم﴾** [اي كروه من] **﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾** أي: صدقتم به وبآياته وعلمتم أن إيصال المنافع ودفع المضار بقبضة اقتداره **﴿فعليه توكلوا﴾** وثقوا به واعتمدوا عليه ولا تخافوا أحداً غيره.

قال بعضهم: وصف نوح عليه السلام نفسه بالتوكل على وجه يفيد الحصر فقال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١] وموسى عليه السلام أمر قومه بذلك فظاهر أن هذه الدرجة فوق درجة نوح انتهى.

يقول الفقير: كان الكلام في القصة الأولى مع نوح وفي الثانية مع قوم موسى ولذا اقتصر نوح في تخصيص التوكل بالله تعالى على نفسه وموسى أمر بذلك؛ وذا لا يدل على رجحان درجته على درجة نوح في هذا الباب لتغاير الجهتين، كما لا يخفى على أولي الألباب **﴿إن كنتم مسلمين﴾** مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا من تعليق الحكم الذي هو وجوب التوكل بشرطين مختلفين هما الإيمان بالله والإسلام وإلا لزم أن لا يجب التوكل بمجرد الإيمان بالله، بل هما حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة، علق وجوب التوكل على الإيمان بالله فإنه المقتضى له وعلق حصول التوكل ووجوده على الإسلام فإن الإسلام، لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت.

﴿فقالوا﴾ مجيبين له من غير تلعثم في ذلك **﴿على الله توكلنا﴾** لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ثم دعوا ربهم قائلين **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾** أي: موضع عذاب لهم بأن تسلطهم علينا فيعذبونا ويفتنونا عن ديننا.

﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وسوء جوارهم. قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته وحقيقة التوكل إسقاط الخوف والرجاء عما سوى الله تعالى، والاستغراق في بحر شهود المسبب والانقطاع عن ملاحظة الأسباب.

وقال بعضهم: التوكل تعلق القلب بمحبة القادر المطلق ونسيان غيره، يعني: لم يثبت لنفسه ولا لغيره قوة وتأثيراً بل كان منقاداً للحكم الأزلي بمثابة الميت في يد الغسال:

هركه در بحر توكل غرقه كشت همتش ازماسوى الله در كذشت

اين توكل كرچه دارد رنجها فهو حسبه بخشدازوى كنجها

ولما آمن هؤلاء الذرية بموسى واشتغلوا بعبادة الله تعالى لزمهم أن يبنوا مساجد للاجتماع فيها للعبادة، فإن فرعون كان قد خرب مساجد بني إسرائيل حين ظهر عليهم لكن لما لم يقدروا على إظهار شعائر دينهم خوفاً من أذى فرعون أمروا باتخاذ المساجد في بيوتهم، كما كان المؤمنون في أول الإسلام يعبدون ربهم سراً في دار الأرقم بمكة وذلك قوله تعالى **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾** هارون **﴿أن﴾** مفسرة للمفعول المقدر أي: أوحينا إليهما شيئاً هو **﴿تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً﴾** يقال: تبوأ المكان إذا اتخذه مباءة ومنزلاً، والمعنى: اجعلا بمصر المعروفة أو الاسكندرية كما في «الكواشي» بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليها للسكنى والعبادة **﴿واجعلوا﴾** أنتما وقومكما **﴿بيوتكم﴾** تلك **﴿قبلة﴾** مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلي إليها **﴿وأقيموا الصلاة﴾** فيها وهذا ينبىء أن الصلاة كانت مفروضة عليهم دون الزكاة ولعل ذلك لفقرهم **﴿وبشر﴾** يا موسى لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة **﴿المؤمنين﴾** بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى.

وفي الآية إشارة إلى أن السلاك ينبغي أن لا يتخذوا المنازل في عالم النفس السفلية بل يتخذوا المقامات في مصر عالم الروحانية، ويقيموا الصلاة أي: يديموا العروج من المقامات الروحانية إلى القربات، والمواصلات الربانية فإن سير الممكنات متناه وذوقها منقطع، وأما سير الواجب فغير متناه وذوقه دائم في الدنيا والآخرة، وذرة من سيره وذوقه لا يساويها لذة الجنان الثمان، وجميع ذوق الرجال بأنواع الكرامات لا يعادل محنة أهل الفناء عند الله وإن تألموا هنا، ولكن ذلك ليس بألم بل أشد، والألم فيما إذا رأى أهل الذوق مراتب أهل الفناء فوقهم وأقله التألم من تقدمهم، وغبطة موسى عليه السلام ليلة المعراج بنبينا عليه السلام من هذا القبيل ثم هذا بالنسبة إلى من كان في التنزل والإرشاد وأما من بقي في الوصلة فلا تألم له من شيء ولا مفخر فوق الحقيقة كما في «الواقعات المحمودية». ثم إن الابتلاء ماض إلى يوم القيامة.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والألم شيئاً بعد شيء إلى دخولهم الجنة، لأنه إذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من الألم وأدناه سؤال منكر ونكير فإذا بعث فلا بد من ألم الخوف على نفسه أو غيره، وأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخاً لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فإن مات فقد أخذ حظه من البلاء انتهى كلامه.

وكان أمية بن خلف يعذب بلالاً رضي الله عنه لإسلامه فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي: الرمل إذا اشتدت حرارته لو وضعت فيه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وهو يقول: أحد أحد أي: الله أحد فيمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان

وقد وقع له رضي الله تعالى عنه أنه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه:

نلقى غدا الأحبة محمداً وحزبه

فكان يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد أشير إلى هذه القصة في «المثنوي»:

كفت جفت امشب غريبي ميروي از تبار خويش غائب ميشوى
كفت نى نى بلكه امشب جان من ميرسد خود از غريبي در وطن
كفت رويت را كجا بينيم ما كفت اندر حلقهٔ خاص خدا
كفت ويران كشت اين خانه دريغ كفت اندر مه نكر منكر بميغ
كرد ويران تا كند معمور تر قومم انبه بود وخانه مختصر
من كدا بودم درين خانه چو چاه شاه كشتم قصر بايد بهرشاه
قصرها خود مرشهانرا مأنس است مرده اخانه ومكان كورى بس است
انبيا را تنك آمد اين جهان چون شهان رفتند اندر لامكان
مردكان را اين جهان بنمود فر ظاهرش زفت وبمعنى تنك نر
كرنبودى تنك اين افغان زچيست جون دوتاشد هركه دورى پيش زيست
در زمان خواب چون آزاد شد زان زمكان بنكر كه جاه چون شادشد

وحاصله أن الله تعالى خلق العوالم على التفاوت وجعل بعضها أوسع من بعض، وأضيق الكل الدنيا وأوسعه عالم الأمر والشان، ولكون الأنبياء وكمل الأولياء أصحاب السلوك والعروج كانوا بأجسادهم في الدنيا وأرواحهم عند الحضرة العليا فلا جرم أن كل العوالم بالنسبة إليهم على السواء فلذا لا يتأذون بشيء أصلاً ولا يخافون غير الله تعالى، وأما غيرهم فليسوا بهذه المرتبة فلهذا اختلفت أحوالهم في السر والعلانية وغفلوا عن الوجه وحسن النية ومن الله العصمة والتوفيق.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ أي: ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما﴿وأموالاً في الحياة الدنيا﴾ وأنواعاً كثيرة من المال كالنقود والمتاع والضياع [ابن عباس فرموده كه ازفسطاط مصر تازمين حبشه كوهها كه دراو معادن ذهب وفضة وزبرجد بود همه تعلق بفرعون داشت وفرمان او درين مواضع بود بدين سبب مال بسيار بتصرف قبط درآمد ومتمول ومتجمل شدند وسبب ضلال واضلال شد]، كما قال: ﴿ربنا﴾ تكرير للأول أي: آتيته وملأه هذه الزينة والأموال﴿ليضلوا عن سبيلك﴾ أي: ليكون عاقبة أمرهم أن يضلوا عبادك عن طريق الإيمان فاللام للعاقبة كما في قوله:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أو لأجل أن يضلوا عن سبيلك فاللام للتعليل لا حقيقة، بل مجازاً، لأن الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته فتوسلوا به إلى مزيد البغي والكفر، فأشبهت هذه الحالة حال من أعطى المال لأجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة.

وفي الآية بيان أن حطام الدنيا سبب للضلال والاضلال فإن الإنسان ليطغى أن رآه

استغنى ومن رأى الغير في زينة ورفاهية حال يتمنى أن يكون له مثل ذلك مما قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون لما خرج في زينته، ولذا حذر عن صحبة الأغنياء وأبناء الملوك وفي الحديث: «لا تجالسوا الموتى» يعني الأغنياء وعن أبي الدرداء رضي الله عنه لأن أقع من فوق قصر فأنحطم، أي: انكسر أحب إلي من مجالسة الغني وذلك لأن مجالسته سارية وصحبته مؤثرة.

باد چون بر فضاي بد كذرد بوى بد كيرد از هواي خبيث

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «اللهم ابسط لي الدنيا وزهدني فيها ولا تزوها عني وترغبني فيها»﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ دعاء عليهم بعد الإنذار وعلمه أن لا سبيل إلى إيمانهم وإنما عرض إضلالهم أولاً ليكون تقدمة لهذا الدعاء وإنهم مستحقون له بسببه. وأصل الطمس المحو وإزالة الأثر.

والمعنى: اذهب منفعتها وامسخها وغيرها عن هيئتها، لأنهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وإنما أمرتهم بأن يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك، قالوا: صارت دراهمهم ودنانيرهم وطعامهم من الجوز والفول والعدس وغيرها كلها حجارة مصورة منقوشة على هيئتها وكذلك البيض والمقاني وسائر أموالهم وهذه إحدى الآيات التسع. ﴿واشدد على قلوبهم﴾ أصل الشد الايثاق: والمعنى اجعلها قاسية واختم عليها لئلا يدخلها الإيمان﴿فلا يؤمنوا﴾ جواب للدعاء﴿حتى يروا﴾ أي: ليروا أو إلى أن يروا﴿العذاب الأليم﴾ أي: يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق كان ذلك إيمان يأس فلم يقبل.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ يعني: موسى وهارون لأنه كان يؤمن، والتأمين دعاء أيضاً؛ لأن معناه استجب. ﴿فاستقيما﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة.

وفي «الكواشي» الاستقامة في الدعاء أن لا يرى الإجابة مكراً واستدراجاً وتأخيرها طرداً وإبعاداً. ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي: بعادات الله تعالى في تعليق الأمور بالحكم والمصالح، أو سبيل الجهلة في الاستعجال [كارهاً موقوف وقت آيدنكهداريد وقت] - روي - أن موسى عليه السلام أو فرعون وهو الأولى كما في «حواشي سعدي المفتي» مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة.

قال علي رضي الله عنه: جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فما شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وفي الحديث: «ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءاً أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» أي: لم يدع حال مقارنة إثم أو قطيعة

رحم كما في «شرح العقائد» لرمضان. وفي «المثنوي»:

جز تو پيش كه بر آرد بنده دست هم دعا وهم اجابت از تو است

هم ز اول تو دهى ميل دعا تو دهى آخر دعاهارا جزا

وفيه أيضاً:

داد مر فرعو نرا صد ملك ومال تا بكردا و دعوئ عز وجلال

در همه عمرش نديد او درد سر تا ننالد سوى حق آن بدكهر

درد آمد بهتر از ملك جهان تا بخوانى مر خدارا در نهان

ومن شرائط الدعاء الذلة فإن الإجابة مترتبة عليها كالنصر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال: كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً، يقول: لي يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة، إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار كما قال الحافظ:

فقير وخسته بدر كاهت آمدم رحمى كه جز دعاى توام نيست هيچ دست آويز

وفي الآية بيان جواز الدعاء السوء عند مساس الحاجة إليه وقد صدر من النبي ﷺ أيضاً حيث دعا على مضر حين بالغوا في الأذية له عليه السلام فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» يعني: خذهم أخذا شديداً وعنى بسني يوسف السبع الشداد فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أي: يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع.

ثم أن العذاب الأليم للنفس فطامها عن شهواتها ومألوفاتها فهي لا تؤمن بالآخرة على الحقيقة ولا تسلك سبيل الطلب حتى تذوق ألم ذلك العذاب، فإن ذلك موت لها معنى، ولا ينتبه الناس إلا بعد الموت أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغفلات.

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه، والباء للتعدية، أي: جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبساً وحفظناهم حتى بلغوا الشط.

قال الكاشفي: [چون عذاب آن قوم رسيد وحى آمد بموسى عليه السلام باقوم خود از مصر برون روكه قبطيان را هنكام عذاب رسيد موسى عليه السلام باجماعت بني إسرائيل متوجه شام شدند وبكناره دریای قلزم رسيده دريا شكافته شد وبني إسرائيل بسلامت آن دريارا بكذشتند چنانچه حق سبحان وتعالى ميفرمايد ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ وبكذرانيديم فرزندان يعقوب را ازدرياي قلزم بسلامت]. ﴿فأتبعهم﴾ يقال: تبعته حتى اتبعته إذا كان سبقك فلحقته أي: أدركهم ولحقهم. ﴿فرعون وجنوده﴾ حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان.

﴿بغياً وعدواً﴾ أي: حال كونهم باغين في القول ومعتدين في الفعل أو للبغي والعدوان على أنهما مفعولان من أجلهما، كما قال الكاشفي: [بغيا براي ستم كردن بني إسرائيل وعدواً ازجهت وازحد بيرون بردن ازجفاى ايشان]. وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل إلى الساحل، وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باقٍ على حاله يبساً فسلكه بجنوده أجمعين.

قال الكاشفي: [پس چون بكنار دريا رسيدند واسب فرعون بسبب بوي باديان كه جبريل سوار بودبدريا در آمد ولشكر متابعت نموده همه خودرا دردريا افكندند وفرعون نمى خواست كه بدريا در آمد أما مركب اورامى برد] فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ أي: لحقه والجمه وأحاط به ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنت أنه﴾ أي: بأنه والضمير للشأن. ﴿لا إله﴾ [نيست معبودي مستحق عبادت] ﴿إلا الذي﴾ [مكر آن خدايى كه بدعوت موسى عليه السلام] ﴿آمنت به بنو إسرائيل﴾ لم يقل كما قاله السحرة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]. بل عبر عنه بالموصول وجعل صلته إيمان بني إسرائيل به للإشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعاً في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير بل في قول ذلك المخذول رائحة التقليد ولذا لم يقبل ولو تمسك بحبل التحقيق لقال: آمنت بالله الذي لا إله إلا هو ﴿وأنا من المسلمين﴾ أي: الذين أسلموا نفوسهم لله أي: جعلوها سالمة خالصة له تعالى.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿ءآلآن﴾ مقول لقول مقدر معطوف على قال، أي: فقيل آلآن تؤمن حين يئست من الحياة وأيقنت بالممات؟ ﴿وقد عصيت قبل﴾ حال من فاعل الفعل المقدر أي: والحال قد عصيت قبل ذلك مدة عمرك ﴿وكنت من المفسدين﴾ أي: الغالين في الضلال والإضلال عن الإيمان، فالأول عبارة عن عصيانه الخاص به، والثاني عن فساده الراجع إلى نفسه والساري إلى غيره من الظلم والتعدي وصد بني إسرائيل عن الإيمان.

جاء في الأخبار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: غار النيل على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيها الملك أجر لنا النيل، فقال: إني لست براض عنكم حتى قالوا: ذلك ثلاث مرات فذهبوا فأتوه، فقالوا: أيها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والأبكار، فإن لم تجرِ لنا النيل اتخذنا إلهاً غيرك، فقال: لهم أخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه والصق خده بالأرض، وأشار بالسبابة فقال: اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده، وإني أعلم أنه لا يقدر على إجرائه غيرك فأجره، فقام فجرى النيل جرياً فأتاهم، فقال لهم: إني أجريت لكم النيل فقال: خروا له سجداً.

يقول الفقير هذا لا يدل على إيمان فرعون وذلك، لأن الإيمان وإن كان عبارة عن التصديق والإقرار وصاحبه ينبغي أن لا يكون كافراً بشيء من أفعال الكفر، وألفاظه ما لم يتحقق منه التكذيب والإنكار إلا أن من المعاصي ما جعله الشارع إمارة التكذيب، ومنه دعوة فرعون إلى عبادة نفسه ورضاه عن سجود قومه له ونحو ذلك فمع ذلك لا يكون مؤمناً البتة قالوا عرض له جبريل يوماً فقال: أيها الملك إن عبداً ملكته على عبيدي وأعطيته مفاتيح خزائني وعاداني وأحب من عاديته وعادي من أحببته فقال له فرعون: لو كان لي ذلك العبد لغرقته في بحر القلزم فقال جبريل: أيها الملك اكتب لي بذلك كتاباً قال: فدعا بداوة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن

يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ما حكمت به على نفسك: قالوا: نكب عن الإيمان أي: عدل واعرض عنه أوان بقاء التكليف والاختيار، وبالغ فيه حين لا يقبل، حرصاً على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حيث قال: أولاً آمنت وقال ثانياً: لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وقال: ثالثاً وأنا من المسلمين وكانت المرة الواحدة كافية حين بقاء التكليف والاختيار، وإيمان اليأس موقوف من جهة الرد والقبول وأن كان من مقام الاحتضار فمردود وإلا فلا، والاحتضار لا يكون إلا في النفسين من الداخل والخارج كما في «أسئلة الحكم» وهو مقبول عند الامام مالك حكماً بالظاهر كالمؤمن عند سل السيف والمؤمن عند إقامة الحد عليه يقبل إيمانه وعلى هذا بنى كلامه حضرة الشيخ الأكبر المالكي في «الفصوص» ذهب إلى إيمان فرعون ثم فوض.

﴿فاليوم ننجيك﴾ أي: نبعدك ونخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً، أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل ويتحققوا بهلاكك، والنجوة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك لا يعلوه السيل. ﴿ببدنك﴾ الباء للمصاحبة كما في قولك: خرج زيد بعشيرته، وهذه الباء يصلح في موضعها مع وهي مع، مدخولها في موضع الحال من ضمير المخاطب، أي: ننجيك ملابساً ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو قطع لطمعه بالكلية، أو كاملاً سوياً من غير نقص لئلا يبقى شبهة في أنه بدنك، أو عرياناً من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها، والعرب تطلق البدن على الدرع قال: الليث البدن الدرع الذي يكون قصير الكمين، ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً على ممرهم من الساحل قصيراً أحمر كأنه ثور، إذ يروى أن قامته كانت سبعة أشبار، ولحيته ثمانية أشبار أو لمن يأتي بعدك من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك آية عبرة ونكالاً على الطغيان، أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية.

[بندهٔ كه خودرا ازغرقه شدن دركر داب فنانرها ندچرا صداى انا ربكم الأعلى بسمع چهانيان ساند

عاجز اي كواسير خواب وخورست — لاف قدرت زند چه بيخبرست

آنكه در نفس خود زبون باشد — صاحب اقتدار چون باشد

ثم قوله تعالى: ﴿ءآلآن﴾ إلى قوله: ﴿آية﴾ من كلام جبريل كما قال: الكاشفي [بعد ازانكه فرعون اين سخن كفت حق تعالى بجبريل درجواب اوفرموده] آلآن الخ.

وقال: في «الكواشي» وخاطبه كخطاب النبي ﷺ أهل القليب انتهى وذلك أن الله تعالى لما هزم المشركين يوم بدر أمر ﷺ أن يطرح قتلاهم في القليب ثم جاء بعد ثلاثة أيام حتى وقف على شفير القليب.

وجعل يقول: «يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً بئس عشيرة النبي كنتم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس» فقال: عمر رضي الله عنه يا رسول

الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال عليه السلام: «ما أنتم بأسمع لما اقول منهم» وفي رواية: «لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً».

وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة والمراد بإحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا للغرض المذكور لأن الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به أو بما يبقى منه ولو عجب الذنب فإنه لا يفنى، وأن اضمحل الجسم بأكل التراب أو بأكل السباع أو الطير أو النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه إذا سلم عليه كما ثبت في الأحاديث، والغالب أن هذا التعلق لا يصير به الميت حياً في الدنيا، بل يصير كالمتوسط بين الحي والميت الذي لا تعلق لروحه بجسده، وقد يقوى ذلك حتى يصير كالحي في الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الأفعال الاختيارية. فلا يخالف ما حكي عن السعد اتفقوا على أنه تعالى لم يخلق في الميت القدرة والأفعال الاختيارية، هذا كلامه والكلام في غير الأنبياء وشهداء المعركة وأما هما فتعلق أرواحهم بأجسادهم تصير به أجسادهم حية كحياتها في الدنيا وتصير لهم القدرة والأفعال الاختيارية كذا في «إنسان العيون». **﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. وفي «المثنوي»:

نى ترا ازروى ظاهر طاعتي ... نى ترا درسر وباطن نيتي

نى ترا شبها مناجات وقيام ... نى ترا روزان پرهيز وصيام

نى ترا حفظ زبان زآزار كس ... نى نظر كردن بعبرت پيش وپس

پيش چه بودياد مرك ونزع خويش ... پس چه باشد مردن ياران پيش

قالوا: فرعون مع شدة شكيمته وفرط عناده آمن. ولو حال اليأس، وأما فرعون هذه الأمة فقد قتله الله يوم بدر شر قتلة ولم يصدر منه ما يؤذن بإيمانه، بل اشتد غيظه وغضبه في حق رسول الله وفي حق المؤمنين إلى أن خرج روحه لعنه الله، فصار أشد من فرعون فليعتبر العاقل بهذا وليقس عليه كل من سلك مسلكه في الكفر والظلم والعناد فنعوذ بالله رب العباد من كل شر وفساد.

ثم أن الله تعالى أهلك العدو وأنجى بني إسرائيل، وذلك لصدق إيمانهم وبركة يقينهم ـ كما يحكى ـ أنه صاح رجل في مجلس الشبلي قدس سره فطرحه في دجلة، فقال: إن صدق ينجه صدق كما نجا موسى، وإن كذب غرق كما غرق فرعون كما في «ربيع الأبرار». فدل على أن النجاة في الإيمان والعدل والصدق، والهلاك في الكفر والظلم والكذب ولما كذب، فرعون في دعوى الربوبية واستمر على اضلال الناس دعا عليه موسى كما سبق فاستجاب الله دعاءه ولا كلام في تأثير الدعاء مطلقاً ـ يحكى ـ أن معاوية استجاب الله دعاءه في حق ابنه يزيد وذلك أنه ليم على عهده إلى يزيد فخطب وقال: اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فعله فبلغه ما املته وأعنه وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك، لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين كما في «الصواعق» لابن حجر. والحاصل: أن الآفاق والأنفس مملوءة بالآيات والعبر فمن له عين مبصرة وأذن واعية يرى الآثار المختلفة ويسمع الأخبار المتواترة فيعتبر اعتباراً إلى أن يأتي اليقين، ويسلم من آثار القهر المتين، ولا يكون عبرة للغير بما اقترفه كل حين.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل﴾ أي: أسكناهم وأنزلناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم فرعون وقومه. **﴿مبوأ صدق﴾** منزلاً صالحاً مرضياً ومكاناً محموداً وهو الشام ومصر فصاروا ملوكاً بعد الفراعنة والعمالقة، وتمكنوا في نواحيها. ومبوأ اسم مكان وصف بالصدق مدحاً له فإن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، تقول: رجل صدق. قال: الله تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٖ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٖ﴾ [الإسراء: ٨٠] **﴿ورزقناهم من الطيبات﴾** أي: اللذائذ من الثمار وغيرها من المن والسلوى كما في «التبيان» **﴿فما اختلفوا﴾** في أمور دينهم **﴿حتى جاءهم العلم﴾** أي: إلا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامهم وما هو الحق في أمر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه، يعني: أنهم تشعبوا في كثير من أمور دينهم بالتأويل طلباً للرياسة وبغياً من بعضهم على بعضهم حتى أداهم ذلك إلى القتال كما وقع مثله بين علماء هذه الأمة حيث افترقوا على الفرق المختلفة، وأولوا القرآن على مقتضى أهوائهم كالمعتزلة وغيرها من أهل الأهواء وفيهم من يقول بالظاهر. وفي «المثنوي»:

كردهٔ تأويل حرف بكررا   خويش را تلأيل كن نى ذكررا
بر هوا تأويل قرآن ميكنى   پست وكژشد ازتو معنئ سني

أو المراد ببني إسرائيل معاصروا النبي عليه السلام كقريظة والنضير وبني قينقاع، أنزلهم الله ما بين المدينة، والشام من أرض يثرب ورزقهم من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي لا يوجد مثله في البلاد، فما اختلفوا في أمر محمد عليه السلام إلا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر آخرون.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالعلم القرآن العظيم، وسمي القرآن علماً لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور **﴿إن ربك يقضي بينهم﴾** [حم كند ميان ايشان] **﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾** فيميز المحق من المبطل بالإثابة والتعذيب وأما في الدنيا فيجرون على الستر والإمهال فإنها ليست بدار جزاء الأعمال. وفيه تهديد بيوم القيامة الذي هو يوم الامتحان.

چون محك ديدى سيه كشتى چو قلب   نقش شپرى رفت وپيدا كشت كلب

﴿فإن كنت في شك﴾ أي: في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا، وقد يكون كلاهما ممتنعاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] **﴿مما أنزلنا إليك﴾** من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل. **﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾** فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة أصلاً، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته، أو تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال:

عليه السلام: «لا أشك ولا أسأل» [ودر زاد المسير آورده كه ان بمعنى ماى نافيه است يعني تودر شك نيستى إما براى زيادتىء بصيرت سؤال كن از اهل كتاب].

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته فإنه محفوظ ومعصوم من الشكوك والشبهات فيما أنزل، وعادة السلطان الكبير إذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الأمير جمع فأراد السلطان أن يأمر الرعية بأمر مخصوص بهم فإنه لا يوجه خطابه لهم، بل يوجه ذلك الخطاب لذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم ليكون أقوى تأثيراً في قلوبهم، أو الخطاب لكل من يسمع، أي: إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسانه نبينا، وفيه تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

چون چنين وسواس ديدى زود زود باخدا كردوردرا انـد سجود

سجده كه را تركن ازاشاك روان كاى خدا يا وارهانم زين كمان

كوندانستى مرادحق ازين فاسأل أهل العلم حتى تطمئن

﴿لقد جاءك الحق﴾ الذي لا ريب في حقيقته. ﴿من ربك﴾ وظهر ذلك بالآيات القاطعة ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل، والامتراء: التوقف في الشيء والشك فيه، وأمره أسهل من أمر المكذب فبدأ به أولاً ونهى عنه واتبع به ذكر المكذب ونهى أن يكون منهم كما قال:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله﴾ من باب التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به، وفيه قطع لأطماع الكفرة. ﴿فتكون﴾ بذلك ﴿من الخاسرين﴾ أنفساً وأعمالاً.

واعلم أن تصديق الآيات سواء كانت آيات الوحي كالقرآن، وآيات الإلهام كالمعارف الإلهية من أربح المتاجر الدينية، وتكذيبها من أخسر المكاسب الإنسانية، ولذا قال: بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم، أي: العلم الوهبي الكشفي أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقربين كذا في «إحياء العلوم».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأطهر علم النبوة والولاية وراء طور العقل ليس للعقل دخول فيه بفكره، ولكن له القبول خاصة عند سليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فما لنا إلا ما نص عليه الشرع فإنك تعلم أن دليل الأشعري شبهة عند المعتزلي وبالعكس والناظر بفكره لا يبقى على طور واحد فيخرج من أمر إلى نقيضه كما في «الفتوحات». وفي «المثنوي»:

تنكتر آمد خيالات ازعدم زان سبب باشد خيال اسباب غم

فلا بد من التصديق وكثرة الاجتهاد في طريق التوحيد ليتخلص المريد من الشك والشبهة والتقليد، ويصل بإقراره إلى ما لم يصل إليه العنيد.

﴿إن الذين حقت عليهم﴾ ثبتت ووجبت﴿كلمة ربك﴾ وهي قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي» أي: وجبت عليهم النار بسبق هذه الكلمة كما في «التأويلات النجمية». أو حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣] الخ كما في «الإرشاد».

وقال الكاشفي: [يعني قولي كه در لوح محفوظ نوشته كه ايشان بر كفر ميرند وملائكه برا بران خبر داده] فهذه ثلاثة أقوال. ﴿لا يؤمنون﴾ أبدا إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي: لا يؤمنون إيماناً نافعاً واقعاً في أوانه، فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقياً عند الموت فيدخل فيهم المرتدون.

﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ سألوها واقترحوها وأنث فعل كل لإضافته إلى مؤنث وذلك أن سبب إيمانهم، وهو تعلق إرادة الله به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه استحقاقه له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك. ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ إلى أن يروه وحينئذٍ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿فلولا﴾ حرف لولا تحضيض بمعنى هلا، وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ على ترك الفعل. ﴿كانت﴾ تامة﴿قرية﴾ من القرى المهلكة، والمراد: أهاليها. ﴿آمنت﴾ قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إيمانها إلى حين معاينته ما أخر فرعون وقومه وهو صفة لقرية. ﴿فنفعها إيمانها﴾ بأن يقبله الله منها ويكشف بسببه العذاب عنها. ﴿إلا قوم يونس﴾ لكن قوم يونس بن متى، ولم ينصرف يونس لعجمته وتعريفه وأن قيل باشتقاقه فلتعريفه ووزن الفعل المختص، ومتّى: بالتشديد اسم أبيه، وقال بعضهم: اسم أمه ولم يشتهر باسم أمه غير عيسى ويونس عليهما السلام﴿لما آمنوا﴾ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله. ﴿كشفنا عنهم﴾ رفعنا وأزلنا﴿عذاب الخزي﴾ أي: الذل والهوان الذي يفضح صاحبه وهو لا يدل على حصولهم في العذاب، بل يقع ذلك على أشراف العذاب عليهم كما قال: تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] كان لإنقاذ منها حالة الإشراف عليها لا الحصول فيها كما في «التيسير»﴿في الحياة الدنيا﴾ فنفعهم إيمانهم لوقوعه في وقت الاختيار وبقاء التكليف لا حال اليأس﴿ومتعناهم﴾ بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم﴿إلى حين﴾ مقدر لهم في علم الله سبحانه، والمعنى بالفارسية، [چرا اهل قرى ايمان نياوردند قبل از معاينهء عذاب وتعجيل نكردند پيش ازحلول آن تانفع كردى ايشانرا ايمان ايشان ليكن قوم يونس چون امارات عذاب مشاهده نمودند تأخير نكردند ايمان خودرا تابوقت حلول وايمان آوردند] فالاستثناء على هذا منقطع ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه يعني: أن لولا كلمة التحضيض في الأصل استعملت هنا للنفي، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، كأنه قيل ما آمنت أهل قرية من القرى المشرفة على الهلاك فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس فيكون قوله تعالى: ﴿لما آمنوا﴾ استئنافاً لبيان نفع إيمانهم وفيه دلالة

على أن الإيمان المقبول هو الإيمان بالقلب. وفي «المثنوي»:

بندكى درغيب آمدخوب وكش حفظ غيب آيد در استبعاد خوش
طاعت وايمان كنون محمود شد بعد مرك اندرعيان مردود شد

ـ روي ـ أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل، وهو بكسر النون الأولى وفتح الثانية، وقيل بضمها قرية على شاطىء دجلة في أرض الموصل وهو بفتح الميم وكسر الصاد المهملة اسم بلدة فدعاهم إلى الله تعالى مدة فكذبوه وأصروا عليه فضاق صدره، فقال: اللهم أن القوم كذبوني فأنزل عليهم نقمتك وذلك أنه كان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها، وقد قالوا: لا يستطيع حمل أثقال النبوة إلا أولو العزم من الرسل.

وهم نوح وهود وإبراهيم ومحمد عليهم السلام. أما نوح فلقوله ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧١] الآية وقد سبق، وأما هود فلقوله ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود: ٥٤-٥٥] الآية، وأما إبراهيم فلقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]. وأما محمد فلقول الله تعالى له ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فصبر فقيل له: أخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث أو بعد أربعين.

قال الكاشفي: [يونس ايشانرا خبر داد ازميان قوم يونس بيرون رفته در شكاف كوهى پنهان شد چون زمان موعود نزديك رسيد حق تعالى بمالك دوزخ خطاب كردكه بمقدار شعيرهٔ از سموم دوزخ باين قوم فرست مالك فرمان إلهي بجا آورد وآن سموم بصورت ابرسياه بادود غليظ وشرارهٔ آتش بيامده كرد مدينهٔ نينوى رافراكرفت أهل آن شهرد انستندكه يونس راست كفته روى بملك خود آوردندواو مرد عاقل بودفر مودكه يونس را طلب كنيد چندانكه طلبيد ندنيا فتند ملك كفت اكر يونس برفت خدائى كه مارا بدو دعوت ميكرد باقيست ودانا وشنوا اكنون هيچ چارهٔ نيسست الا آنكه عجز وشكستى وتضرع بدركاه او بريم پس ملك سر وپا برهنه پلاسى درپوشيد ورعايا بهمين صورت روى بصحر انهادن مردوزن وخرد وبزرك خروش وفرياد دركرفتند كودكانرا ازمادران جدا كردند] قال: في «الكواشي»: فحنّ بعضهم إلى بعض وعجوا وتضرعوا واختلطت أصواتهم وفعلوا ذلك ليكون أرق لقلوبهم، وأخلص للدعاء وأقرب إلى الإجابة، وترادوا المظالم حتى كان الرجل يقلع الحجر قد وضع عليه بنيانه فيرده، وقالوا: جملة بالنية الخالصة: آمنا بما جاء به يونس أو قالوا: يا حي حين لا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت أو قالوا: اللهم أن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل.

من اميد وارم زلطف كريم كه خوانم كنه پيش عفو عظيم

افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله. [واز أول ذي الحجة تا عاشر محرم برين وجه مى ناليدند ودرين چهل روزه از افغان وناله نيا سوده در ماندكى وبيچاركى بموقف عرض مير سانيدند]

چارهٔ ما سازكه بى يا وريم كر توبرانى بكه رو آوريم
بى طربيم ازهمه سازندهٔ جز تو نداريم نوازندهٔ
پيش توكربى سرو پا آمديم هم باميد توخدا آمديم

[قومي ميكفتند خداوندا يونس مارا كفته بودكه خداى من كفته بند كان بخريد وآزاد كنيد ما بندكان توايم توبكرم خودمارا از عذاب آزادكن. جماعتي ديكرمى ناليدندكه الهنا مارا يونس خبر دادكه توخداوند فرموده• كه بيچاركان ودرماند كانرا دستكيرى ما بيچاره ودر مانده ايم بفضل خود مارا دستكير بعض ديكر بعرض مير سانيد ندكه اي پرورد كار ما يونس از قول توميفر مودكه هركه برشما ستم كند ازو دركذرانيد خدايا ما بكناه برخود ستم كرده ايم از ما عفوكن برخي ديكر بدين كونه اداميكر دندكه خدايا يونس ما راى كفت كه پروردكار من كفته است كه سائلا نرا رد مكنيد ما سائلان روى بدركاه كرمت آورده ايم مارا رد مكن.

ما تهى دستان بر آورديم دستى دردعا نقد فيضى نه برين دست كنهكاران همه

قاضي حاجات درويشان ومحتاجان توئى پس رواكن ازكرم حاجات بسيارهمه

القصة روز چهلكم كه آذينه بود وعاشورا أثر مناجات دلسوز ايشان ظهور نموده برات نجات ازديوان رحمت نوشته شد وظلمت سحاب مرتفع كشته ابر رحمت سايه• رأفت بر مفارق ايشان افكنده يونس بعد از چهل روز متوجه نينوى كشته ميخواست كه از حال قوم خبر كيرد چون بنزديك شهر رسيد وبر صورت واقعه مطلع شد ملال بسيار برو غلبه كرده باخود كفت من ايشانرا بعذاب ترسانيدم وعذاب بر رحمت مبدل شد اكر من بدين شهر روم مرا بكذب نسبت دهند] فذهب مغاضباً، ونزل السفينة فلم تسر فقال لهم: أن معكم عبداً آبقاً من ربه، وأنها لا تسير حتى تلقوه في البحر، وأشار إلى نفسه فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فألقوه فالتقمه الحوت، وقيل: قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثاً ألقى نفسه في البحر.

قال الشعبي: التقمه الحوت ضحوة يوم عاشوراء، ونبذه عشية ذلك اليوم أي: بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وفيه بيان فضيلة يوم عاشوراء فإنه الذي كشف الله العذاب فيه عن قوم يونس وأخرج يونس من بطن الحوت وأزال عنه ذلك الابتلاء ـ حكي ـ أنه هرب أسير من الكفار يوم عاشوراء فركبوا في طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم أنه مأخوذ رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم بحق هذا اليوم المبارك أسألك أن تنجيني منهم فأعمى الله أبصارهم جميعاً حتى تخلص منهم فصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر ويتعشى به فنام فأطعم وسقي في المنام فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب كما في «روضة العلماء». ومن صامه أعطاه الله ثواب عشرة آلاف ملك، وثواب عشرة آلاف حاج، ومعتمر، وثواب عشرة آلاف شهيد كما في «تنبيه الغافلين».

ذكر أن الله عز وجل يخرق ليلة عاشوراء زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذ أمن من المرض في جميع السنة كما في «الروض الفائق». والمستحب في ذلك اليوم فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها ولا يجعل ذلك يوم عيداً أو يوم مأتم كالشيعة والروافض والناصبة كما في «عقد الدرر». والاكتحال ونحوه وإن كان له أصل صحيح لكن لما كان شعاراً لأهل البدعة صار تركه سنة كالتختم باليمين فإنه لما كان شعار أهل البدعة صار السنة أن يجعل في يخنصر اليد اليسرى في زماننا كما في «شرح القهستاني».

﴿ولو شاء ربك﴾ إيمان من في الأرض من الثقلين **﴿لآمن من في الأرض كلهم﴾** بحيث لا يشذ منهم أحد **﴿جميعاً﴾** مجتمعين على الإيمان لا يختلفون لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً

للحكمة التي عليها بني أساس التكوين والتشريع فشاء أن يؤمن به، من علم منه أنه لا يختار الكفر وأن لا يؤمن به من علم منه أنه لا يؤمن به تكميلاً لحكم القبضتين وتحصيلاً لأهل النشأتين، وجعل الكل مستعداً ليصح التكليف عليهم، وكان عليه السلام حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به، لأن نشأة الكامل حاملة للرحمة الكلية بحيث لا يريد إلا ايمان الكل ومغفرته ـ كما حكي ـ أن موسى عليه السلام حين قصد إلى الطور لقي في الطريق ولياً من أولياء الله تعالى فسلم عليه، فلم يرد سلامه فلما وصل إلى محل المناجاة قال: إلهي سلمت على عبد من عبادك فلم يرد علي سلامي قال الله تعالى: يا موسى إن هذا العبد لا يكلمني منذ ستة أيام قال موسى: لم يا رب قالا لأنه كان يسأل مني أن أغفر لجميع المذنبين وأعتق العصاة من عذاب جهنم أجمعين فما أجبت لسؤاله فما كلمني منذ ستة أيام كذا في «الواقعات المحمودية».

والحاصل: أن الله تعالى لما رأى من حبيبه عليه السلام ذلك الحرص أنزل هذه الآية وعلق إيمان قومه على مشيئته وقال له ﴿أفأنت﴾ أي: أربك لا يشاء ذلك فأنت ﴿تكره الناس﴾ على ما لم يشأ الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ ليس ذلك إليك كما في «الكواشي» فيكون الإنكار متوجهاً إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى كما في «الإرشاد». وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان بأن أصل الفعل وهو الاكراه أمر ممكن مقدور لكن الشأن في المكره من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر.

وقال السيد الشريف في «شرح المفتاح»: المقصود من قوله: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ إنكار صدور الفعل من المخاطب لا إنكار كونه هو الفاعل مع تقرر أصل الفعل انتهى والتقديم لتقوية حكم الإنكار كما في «حواشي سعدي المفتي».

قال الكاشفي: [اين آيت منسوخ است بآيت قتال].

وقال في «التبيان»: والصحيح أنه لا نسخ لأن الإكراه على الإيمان لا يصح لأنه عمل القلب.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وما كان﴾ أي: وما صح وما استقام ﴿لنفس﴾ من النفوس التي علم الله أنها تؤمن ﴿أن تؤمن﴾ في حال من أحوالها ﴿إلا بإذن الله﴾ أي: إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى وتسهيله وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله. قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجين كره بكشاى كه بر من وتودر اختيار نكشادست

﴿ويجعل الرجس﴾ أي: الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً في القبح والاستكراه، أي: يجعل الكفر ويبقيه ﴿على الذين لا يعقلون﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات، فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ويجعل الرجس﴾ أي: عذاب الحجاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ سنة الله في الهداية والخذلان فإن سنته أن تهتدي العقول المؤيدة بنور الإيمان إلى توحيد الله ومعرفته، ولا تهتدي العقول المجردة عن نور الإيمان إلى ذلك، وهذا رد على الفلاسفة فإنهم

يحسبون أن للعقول المجردة عن الإيمان سبيلاً إلى التوحيد والمعرفة انتهى. قال الحافظ:

اي كه از دفتر عقل آيت عشق آموزى ترسيم ابن نكته تحقيق ندانى دانست

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿قل انظروا﴾ تفكروا يا أهل مكة **﴿ماذا﴾** مرفوع المحل على الابتداء **﴿في السموات والأرض﴾** خبره، أي: أيُّ شيء بديع فيهما من عجائب صنعه، الدالة على وحدته وكمال قدرته، فماذا جعل بالتركيب اسماً واحداً مغلباً فيه الاستفهام على اسم الإشارة، ويجوز أن يكون اسمين بمعنى ما الذي على أن تكون ما استفهامية مرفوعة على الابتداء، والظرف صلة الذي، والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب بإسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام **﴿وما﴾** نافية **﴿تغني الآيات والنذر﴾** جمع نذير على أنه فعيل بمعنى منذر، أو على أنه مصدر، أي: لا تنفع الآيات الأنفسية والآفاقية الدالة على الوحدانية والرسل المنذرون أو الإنذارات شيئاً. **﴿عن قوم لا يؤمنون﴾** في علم الله تعالى وحكمه.

﴿فهل ينتظرون﴾ أي: فما ينتظر كفار مكة وأضرابهم **﴿إلا مثل أيام الذين خلوا﴾** أي: إلا يوماً مثل أيام الذين مضوا **﴿من قبلهم﴾** من مشركي الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود، وأصحاب الأيكة، وأهل المؤتفكة، أي: مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقون غيره وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر، شبهوا بالمنتظر، والعرب تسمي العذاب والنعم أياماً وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام **﴿قل﴾** تهديداً لهم **﴿فانتظروا﴾** ما هو عاقبتكم من العذاب **﴿إني معكم من المنتظرين﴾** لذلك أو فانتظروا إهلاكي إني معكم من المنتظرين لهلاككم، فإن العاقبة للمتقين على ما هي السنة القديمة الإلهية.

﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ عطف على محذوف دل عليه قوله: **﴿مثل أيام الذين خلوا﴾** كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم عند نزول العذاب على حكاية الحال الماضية، فإن المراد أهلكنا ونجينا، **﴿كذلك﴾** أي: مثل ذلك الانجاء **﴿حقاً علينا﴾** اعتراض بين الفعل ومعموله ونصبه بفعله المقدر، أي: حق ذلك حقاً. **﴿ننجي المؤمنين﴾** من كل شدة وعذاب ولم يذكر إنجاء الرسل إيذاناً بعدم الحاجة إليه.

وفيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان، وهذه سنة الله تعالى في جميع الأمم فإن الله تعالى كما أنجى الرسل المتقدمين ومن آمن بهم وأنجز ما وعد لهم، كذلك أنجى رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه وحقق لهم ما وعد لهم، وسينجي إلى قيام الساعة جميع المؤمنين من أيدي الكفرة وشرورهم ما دام الشرع باقياً والعمل به قائماً. قال السعدي قدس سره:

محالست چون دوست دارد ترا دردست دشمن كذارد ترا

وأقل النجاة الموت، فإن الموت تحفة المؤمن، ألا ترى إلى قوله عليه السلام حين مرّ بجنازة: مستريح أو مستراح منه، فالأول: هو الرجل الصالح يتخلص من تعب الدنيا ويستريح

في البرزخ بالثواب الروحاني وهو نصف النعيم، والثاني: هو الرجل الفاسق يستريح بموته الخلق ويتخلصون بموته من أذاه ويصل هو إلى العذاب الروحاني البرزخي وهو نصف الجحيم نعوذ بالله تعالى منه.

والحديث المناسب لآية الانتظار والإنجاء قوله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج» وذلك لأن فيه استراحة القلب وثواب الصبر إذ المؤمن المبتلي يعتقد أن المبتلى هو الله تعالى وأنه لا كاشف له إلا هو، وذلك يخفف ألم البلاء عنه ويهون عليه الصبر، فيرفع الجزع ويجد الاستراحة في قلبه بخلاف حال الجاهل الذي لا يخطر بباله أن ما يجري عليه إنما هو بقضاء الله وأن الله لطيف بعباده، إذ ربما يعتقد أنه لا يتخلص من بلائه أبداً، فينسب العجز إلى الله تعالى من حيث لا يحتسب، ويتقلب في ألم البلاء صباحاً ومساء فنعوذ بالله منه. قال الحافظ:

اي دل صبور باش مخور غم كه عاقبت   اين شم صبح كردد واين شب سحر شود

وفي الحديث: «اشتدى أزمة تنفرجي» خاطب عليه السلام السنة المجدبة فقال: ابلغي في الشدة والمشقة الغاية تنكشفي، وفيه تنبيه على أن لا بقاء للمحنة في دار الدنيا كما لا بقاء للنعمة. والأزمة: القحط، والشدة: وقيل أزمة امرأة وقعت في الطلق فقال عليه السلام: أي أزمة اشتدي: يعني ابلغي في الشدة الغاية تنفرجي حتى تجدي الفرج عن قريب بالوضع، والعرب تقول: إذا تناهت الشدة انفرجت. وقد عمل أبو الفضل يوسف بن محمد الأنصاري المعروف بابن النحوي لفظ الحديث مطلع قصيدة في الفرج بديعة في معناها كذا في «المقاصد الحسنة» لخاتمة الحافظ والمحدثين الإمام السخاوي رحمه الله سبحانه.

﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لأهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ الذي أتعبد الله به وأدعوكم إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته ﴿فلا أعبد﴾ أي: فأنا لا أعبد وإلا لا نجزم ﴿الذين تعبدون من دون الله﴾ في وقت من الأوقات ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يقبض أرواحكم بواسطة الملك، ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب، أي: فاعلموا تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وذلك لأن شكهم ليس سبباً لعدم عبادة الأوثان وعبادة الله بل سبب للإعلام والإخبار بأن الدين كذا، ومثله وما بكم من نعمة فمن الله فإن استقرار النعمة في المخاطبين ليس سبباً لحصولها من الله تعالى، بل الأمر بالعكس وأنما هو سبب للأخبار بحصولها من الله تعالى ﴿وأمرت أن﴾ أي: بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾ وفي الانتقال من العبادة التي هي جنس من أعمال الجوارح إلى الإيمان والمعرفة دلالة على أنه ما لم يصر الظاهر مزيناً بالأعمال الصالحة لا يستقر في القلب نور الإيمان والمعرفة، فأن الله تعالى جعل أحكام الشريعة أساس المعرفة، فإذا زال الأساس زال ما بنى عليه، وأيضاً العمل لباس المعرفة فإذا انسلخت المعرفة عن هذا اللباس صارت كسراج على وجه الريح.

علم آبست وعمل سد چون سبو   چون سبو بشكست ريزد آب ازو

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿وأن أقم وجهك للدين﴾ عطف على أن أكون وأن مصدرية أي: موصول حرفي وصلته لا تجب أن تكون خبرية بخلاف الموصول الاسمي، والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين

والاشتداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح كما في «تفسير القاضي».

قال ابن الشيخ: في «حواشيه» وفيه إشارة إلى أن إقامة الوجه للدين كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادة الله تعالى والإعراض عما سواه، فإن من أراد أن ينظر إلى شيء نظراً بالاستقصاء فإنه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فإنه لو التفت إلى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كني بإقامة الوجه عن صرف القوي بالكلية إلى الدين انتهى.

قال في «الكواشي»: والمعنى كن مؤمناً وأخلص عملك لله:

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

﴿حنيفاً﴾ حال من الدين، أي: مائلاً عن الأديان الباطلة مستقيماً لا اعوجاج فيه بوجه ما، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ اعتقاداً وعملاً عطف على أقم داخل تحت الأمر.

قال الإمام: من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك إلى غيره كان ذلك شركاً، وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفي. قال المغربي:

اكر بغير توكردم نكاه درهمه عمر بياد جرم غرامت زديده ام بستان

﴿ولا تدع﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] غير داخل تحت الأمر ﴿من دون الله﴾ استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿ما لا ينفعك﴾ إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب. ﴿ولا يضرك﴾ إذا تركته بسلب المحبوب دفعاً أو رفعاً أو بإيقاع المكروه ﴿فإن فعلت﴾ أي: ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر ﴿فإنك إذاً من الظالمين﴾ الضارين بأنفسهم فإنه إذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف، كان إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً فلا نافع ولا ضار إلا الحق وكل شيء هالك إلا وجهه.

خيال جمله جهانرا بنور چشم يقين بجنب بحر حقيقت سراب مى بينم

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ [واكر برساند خداي بتو مرضي يا شدتي يا فقري] ﴿فلا كاشف له﴾ عنك ﴿إلا هو﴾ وحده ﴿وإن يردك بخير﴾ [واكر خواهد بتوصحت وراحت وغنا] ﴿فلا راد﴾ فلا دافع ﴿لفضله﴾ من جملة ما أرادك به من الخير كائناً من كان فيدخل فيه الأصنام، وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات، وأن الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي ولم يستثن مع الإرادة كما استثنى مع المس بأن يقول إلا هو لأنه قد فرض أن تعلق الخير به واقع بإرادة الله تعالى فصحة الاستثناء تكون بإرادة ضده في ذلك الوقت وهو محال، إذ لا يتعلق الإرادتان للضدين في وقت واحد بخلاف مس الضر فإن إرادة كشفه لا تستلزم المحال. ﴿يصيب به﴾ [ميرساند فضل خودرا] أي: بفضله الشامل لما أرادك به من الخير ولغيره. ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وهو الغفور﴾ يستر بنور وجهه ظلمة وجود الصديقين ﴿الرحيم﴾ يتقرب برحمته إلى الطالبين الصادقين وهم الذين دينهم عبادة الله وطاعته ومحبته وطلبه لا عبادة الهوى والدنيا وطاعتها ومحبتها.

وقال في «المفاتيح»: معنى الغفور يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة والعقاب عليها في الآخرة.

وحظ العارف من هذا الاسم أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه وقد قال عليه السلام: «من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة» والمغتاب والمتجسس والمكافىء على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف، وإنما المتصف به من لا يفشي من خلق الله إلا سن ما فيه ـ يروى ـ أن عيسى عليه السلام مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: ما أنتن هذه الجيفة فقال عيسى عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانها تنبيهاً على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل شيء ما هو أحسن كما في شرح «الأسماء الحسنى» للإمام الغزالي: وقال في «المثنوي» في الاسم الرحيم:

بنـدكـان حـق رحـيـم وبـردبـار خـوى حـق دارنـد در اصـلاح كـار
مـهـربـان بـى رشـوتـان يـارى كـران در مـقـام سـخـت ودر روز كـران

نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال رحمته ويديم دوران كاسات فضله ومغفرته.

﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن العظيم واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى لم يبق لكم عذر ولا عليه تعالى حجة. ﴿فمن اهتدى﴾ بالإيمان به والعمل بما في مطاويه ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: منفعة اهتدائه لها خاصة ﴿ومن ضل﴾ بالكفر به والإعراض عنه ﴿فإنما يضل عليها﴾ أي: فوبال الضلال مقصور عليها. والمراد تنزيه ساحة الرسول عن شائبة غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار يكون ذلك بواسطة. ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ القرآن وهو الحبل المتين ﴿فمن اهتدى﴾ إلى الاعتصام به ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ بأن يخلصها من أسفل السافلين ويعيدها إلى أعلى عليين مقاماً ﴿ومن ضل﴾ عن الاعتصام به ﴿فإنما يضل عليها﴾ لأنها تبقى في أسفل الدنيا بعيدة عن الله معذبة بعذاب البعد وألم الفراق ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ فأوصلكم إلى تلك المقامات والدرجات، وأخلصكم من هذه السفليات والدركات بغير اختياركم وإنما أنا مأمور بتبليغ الوحي والرسالة والتذكير والموعظة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿واتبع﴾ اعتقاداً وعملاً وتبليغاً. ﴿ما يوحى إليك﴾ على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوماً ﴿واصبر﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿حتى يحكم الله﴾ يقضي لك بالنصر وإظهار دينك ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لإطلاعه على السرائر إطلاعه على الظواهر:

از سپيدي تاسياهى كيرو تالوح وقلم يك رقم از خط حكمش وهو خيرا الحاكمين

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فيما حكم بقبول الدعوة والقرآن

والأحكام والعمل بها لمن سبقت له العناية الأزلية، وبرد الدعوة والقرآن والأحكام والعمل بها لمن أدركته الشقاوة الأزلية.

وقال في «المفاتيح»: ومرجع الاسم الحاكم إما إلى القول الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر والمبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر وإما إلى التمييز من السعيد والشقي بالإثابة والعقاب. وحظ العبد منه أن يستسلم لحكمه وينقاد لأمره فإن من لم يرض بقضائه اختياراً أمضي فيه إجباراً ومن رضي به طوعاً عاش راضياً مرضياً ويكفي لنا موعظة حال رسول الله ﷺ فإنه رضي بقضاء الله وصبر على بلائه فعاش حميداً وصار عاقبة أمره إلى النصرة. وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد
چونكه قبض آمد تو دروى بسط بين تازه باش وچين ميفكن برجبين
چشم كودك همچو خر در آخرست چشم عاقل درحساب آخرست
اودر آخر چرب مى بيند علف وين زقصاب آخرش بيند تلف
آن علف تلخست كين قصاب داد بهر لحم ما ترا زويى نهاد
صبرمي بيند زپرده اجتهاد روى چون كلنار وزلفين مراد

ومما وقع له ﷺ من الأذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه، أي: روثه في كرشه فقال أبو جهل: ايكم يقوم إلى هذا القذر ويلقيه على محمد، فقام عقبة بن أبي معيط، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي عليه السلام وهو ساجد فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك فهممنا، أي: خففنا أن نلقيه عنه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه وأقبلت عليهم تشتمهم وكان بجواره ﷺ جماعة منهم أبو لهب والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط وكانوا يطرحون عليه الأذى فإذا طرحوه عليه أخذه عليه السلام وخرج به ووقف على بابه، ويقول يا ابن عبد مناف أي: جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق وقال عليه السلام: مرة فيمن التزم أذية له من رؤساء قريش مخاطباً لأصحابه: «أبشروا فإن الله تعالى مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه أن هؤلاء الذين ترون مما يذبح على أيديكم عاجلاً» فوقع كما قال: حيث ذبحهم الأصحاب بأيديهم يوم بدر وهذه الأذية لا يظن ظان أنها منقصة له عليه السلام، بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره عليه السلام وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء» عليهم السلام فالأنبياء كالذهب، والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فأن ذلك لا يزيد الذهب إلا حسناً فكذا الشدائد لا تزيد الأنبياء إلا رفعة وفي «المثنوي»:

طبع را كشتند در حمل بدي تا حمولي كربود هست ايزدى
اي سليمان درميان زاغ وباز حلم حق شو باهمه مرغان بساز
أي: دوصد بلقيس حلمت را زبون كه اهد قومي أنهم لا يعلمون

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق المبين، ويحكم لنا بالنصر على نفوسنا، وهو خير الحاكمين تمت سورة يونس بالإمداد الرحماني، والتأييد الرباني في اليوم الحادي عشر يوم الاثنين في ذي القعدة الشريفة من سنة اثنتين ومائة وألف ويتلوها سورة هود.

تفسير سورة هود

وهي مكية وآيها مائة وثلاث وعشرون أو اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال في «التأويلات النجمية» قوله: ﴿بسم الله﴾ إشارة إلى الذات ﴿الرحمن﴾ يشير إلى صفة الجلال ﴿الرحيم﴾ إلى صفة الجمال. والمعنى أن هاتين الصفتين قائمتان بذاته جل جلاله وباقي الأسماء مشتملة على هاتين الصفتين وهمان من صفات القهر واللطف.

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿الر﴾ أي: هذه السورة الرأي: مسماة بهذا الاسم فيكون خبر مبتدأ محذوف أو لا محل له من الإعراب مسرود على نمط تعديد الحروف للتحدي والإعجاز، وهو الظاهر في هذه السورة الشريفة، إذ على الوجه الأول يكون كتاب خبراً بعد خبر فيؤدي إلى أن يقال: هذه السورة كتاب وليس ذاك بل هي آيات الكتاب الحكيم كما في سورة يونس، وحمل الكتاب على المكتوب أو على البعض تكلف، وهو اللائح بالبال قالوا: الله أعلم بمراده من الحروف المقطعة فإنها من الأسرار المكتومة كما قال الشعبي: حين سئل عنها سر الله فلا تطلبوه، والله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، أو وارث رسول. وفي الحديث: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله» رواه أبو منصور الديلمي وأبو عبد الرحمن السلمي كما في «الترغيب».

قال الرقاشي: هي أسرار الله يبديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع، ولا دراسة، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص كما في «فتح القريب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: حفظت من رسول الله وعاءين فأما أحدهما «فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».

قال البخاري: البلعوم مجرى الطعام كما في «شرح الكردي» على الطريقة المحمدية.

وقال سلطان المفسرين والمؤولين: ابن عباس رضي الله عنهما: معنى ﴿الر﴾ أنا الله أرى [منم خداي كه مي بينم طاعت مطيعاً نرا ومعصيت عاصياً نرا وهركس را مناسب عمل أو جزا خواهم داد پس اين كلمه مشتمل است بروعد ووعيد كما في «تفسير الكاشفي»] ويقال: الألف آلاؤه واللام لطفه والراء ربوبيته كما في «تفسير أبي الليث» وسيأتي في «التأويلات» غير هذا ﴿كتاب﴾ أي: هذا القرآن كتاب كما ذهب إليه غير واحد من المفسرين. ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظماً محكماً لا يعتريه نقض ولا خلل لفظاً ومعنى كالبناء المحكم المرصف أو منعت

من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً. وفي «المثنوي»:

مصطفى را وعده كرد ألطاف حق ... كر بميرى تو نميرد اين سبق
كس نتاند بيش وكم كردن درو ... تو به ازمن حافظي ديكر مجو
هست قرآن مرترا همچون عصا ... كفر هارا دركشد چون اژدها
تو اكر درزير حاكى خفته ... چون عصايش دان تو آنچه كفته
قاصد انرا برعصايت دست نى ... توبخسب اي شه مبارك خفتني

﴿ثم فصلت﴾ يقال عقد مفصل إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. والمعنى زينت آياته بالفوائد كما تزين القلائد بالفرائد أي: ميزت وجعلت تفاصيل في مقاصد مختلفة ومعان متميزة من العقائد والأحكام والمواعظ والأمثال وغير ذلك، وثم للتفاوت في الحكم أي: الرتبة لا للتراخي في الوجود والوقوع في الزمان أو للتراخي في الأخبار لا في الوقت، فإن الشائع في الجمل أن يراد بها نفس مفهومها، إلا أنه قد يراد بها الأخبار بمفهومها كما تقول فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل والمراد بالتراخي مجرد الترتيب مجازاً لظهور أن حقيقة التراخي منتفية بين الإخبارين ضرورة أن الإخبار بالتفصيل وقع عقيب الإخبار بالأحكام، أو يقال: بوجود التراخي باعتبار ابتداء الخبر الأول وانتهاء الثاني والفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل يعني أنه لم يكن البعوض كبيراً أولاً، ثم جعله الله صغيراً لكنه كان ممكناً فنزل هذا الإمكان منزلة الوجود كما في «شرح الهندي» على الكافية ﴿من لدن حكيم خبير﴾ صفة ثانية للكتاب وصف أولاً بجلالة الشأن من حيث الذات ثم وصف من حيث الإضافة، ولدن بمعنى عند لكنها مختصة بأقرب مكان وعند للبعيد والقريب، ولهذا تقول: عندي كذا لما تملكه حضرك أو غاب عنك، ولا تقول لدي كذا إلا لما هو بحضرتك. والحكيم الخبير هو الله تعالى، حكيم فيما أنزل خبير بمن أقبل على أمره أو أعرض عنه.

﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل بناء على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لأجل ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾، أي: تتركوا يا أهل مكة عبادة غير الله وتتمحضوا في عبادته دل على أن لا مقصود من هذا الكتاب الشريف إلا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره إلى سائر المطالب فقد خاب وخسر. ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ كلام على لسان الرسول ﷺ. قوله: منه، إما حال من نذير وبشير أي: كائناً من جهة الله تعالى أو متعلق بنذير أي: أنذركم من عذابه أن كفرتم، أي: بقيتم على الكفر وعبادة غير الله تعالى وأبشركم بثوابه أن آمنتم، وتقديم النذير لأن التخويف هو الأهم، إذ التخلية قبل التحلية.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿وأن استغفروا ربكم﴾ عطف على أن لا تعبدوا، سواء كان نهياً أو نفياً وأن مصدرية وسوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي لأن الأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال، والاستغفار طلب المغفرة وهي أن يستر على العبد ذنوبه في الدنيا ويتجاوز عن عقوبته في العقبى ﴿ثم توبوا إليه﴾ ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كما في «بحر العلوم» للسمرقندي.

وقال في «الإرشاد»: المعنى فعل ما فعل من الأحكام والتفصيل لتخصوا الله بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا إليه بالطاعة، انتهى. فثم أيضاً على بابها في الدلالة على التراخي الزماني ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين وبعد المنزلة بينهما من غير اعتبار تعقيب وتراخ، فإن بين التوبة وهي انقطاع العبد إليه بالكلية وبين طلب المغفرة بوناً بعيداً كذا ذكره الرضي.

قال الفراء: ثم ههنا بمعنى الواو، لأن الاستغفار توبة انتهى.

يقول الفقير: فرقوا بينهما كما قال الحدادي: عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠] أي: بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة؛ لأن الاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه تبت، وأسأت ولا أعود إليه أبداً فاغفر لي يا رب ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ انتصابه على أنه مصدر بمعنى تمتيعاً حذف منه الزوائد. والتمتيع جعل الشخص متمتعاً منتفعاً بشيء. والمعنى يعيشكم عيشاً مرضياً لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى آخر الأعمار المقدرة وتموتوا على فرشكم ـ كما حكي ـ أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام قل لفرعون أن آمنت بالله وحده عمرك في ملك وردك شاباً طرياً، فمنعه هامان وقال: له أنا أردك شاباً طرياً فأتاه بالوسمة فخضب لحيته بها، وهو أول من خضب بالسواد، ولذا كان الخضاب بالسواد حراماً.

وقال العتبي: أصل الامتاع الإطالة فيقال: جبل ماتع وقد متع النهار إذا طال. والمعنى لا يهلككم بعذاب الاستئصال إلى آخر أيام الدنيا.

وههنا سؤالان: الأول أن قوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقوله: «وخص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» ونحوهما يدل على أن نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف يكون في أمن وسعة إلى حين الموت، والجواب أن من ربط قلبه بالله ورضي بما قضاه الله في حقه حي حياة طيبة ولذا قال بعضهم: ﴿متاعاً حسناً﴾ [رضاست برانچه هست ازنعمت وصبر برانچه رونمايد ازسخت] ومن ربط قلبه بالأسباب كان أبداً في ألم الخوف من فوات محبوبه فيتنغص عيشه ويضطرب قلبه وكون الدنيا سجناً إنما هو بالإضافة إلى ما أعد للمؤمن من نعيم الآخرة وهو لا ينافي الراحة في الجملة ـ كما حكي ـ أنه كان قاض من أهل بغداد ماراً بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخاني في صورة جهنمي رث الهيئة كان القطران يقطر من جوانبه فأخذ بلجام بغلة القاضي فقال: أيد الله القاضي ما معنى قول نبيكم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أما ترى أن الدنيا جنة لك وأنت مؤمن محمدي والدنيا سجن لي وأنا كافر يهودي فقال: القاضي الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن للمؤمنين بالنسبة إلى الجنة وما أعد لهم فيها من الدرجات وجنة للكافرين بالنسبة إلى جهنم وما أعد لهم فيها من الدركات فعقل اليهودي فاسلم وأخلص. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿إلى أجل مسمى﴾ يدل على أن للعبد أجلين كما قال الكعبي: إن للمقتول أجلين أجل القتل وأجل الموت وإن المقتول لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو أجل الموت وكما قال الفلاسفة: إن للحيوان أجلاً طبيعياً هو وقت موته لتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين وأجلاً اخترامياً بحسب الآفات والأمراض. والجواب أن الأجل واحد عند أهل السنة والجماعة، فإن الأرزاق والأعمار وإن كانت متعلقة بالأعمال كالاستغفار والتوبة في هذه الآية وكالصلة في قوله «صلة

الرحم تزيد العمر» لكنها مسماة بالإضافة في كل أحد بناء على علم الله باشتغاله بما يزيد في العمر من القرب فلا يثبت تعدد الأجل ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ في الأعمال والأخلاق والكمالات ﴿فضله﴾ والضمير راجع إلى «كل» أي: جزاء فضله من الثواب والدرجات العالية ولا يبخس منه.

قال سعيد بن جبير: في هذه الآية من عمل حسنة كتب له عشر حسنات، ومن عمل سيئة كتب عليه سيئة واحدة، فإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من العشرة واحدة وبقيت له تسع حسنات. [وجور جاني كفته كه ذو فضل آنست كه درديوان ازل بنام اونشان فضل نوشته باشند وهر آينه بعد از وجود بدان شرف خواهد رسيد آنراكه بدادندا زو بازنكيرند ﴿وإن تولوا﴾ أي: تتولوا أو تعرضوا عما ألقي إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وتستمروا على الإعراض، وإنما أخر عن البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب ﴿فإني أخاف عليكم﴾ بموجب الشفقة والرحمة أو أتوقع ﴿عذاب يوم كبير﴾ شاق وهو يوم القيامة قال في «التبيان»: وهو كبير لما فيه من الأهوال فوصف بوصف ما يكون فيه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إلى الله مرجعكم﴾ أي: رجوعكم بالموت ثم بالبعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره وهو شاذ عن القياس؛ لأن المصدر الميمي من باب ضرب قياسه أن يجيء بفتح العين وهو لا يمنع الفصاحة نحو ويأبى الله ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فيقدر على تعذيبكم إذ من جملة مقدوراته العذاب والثواب.

واعلم أن الآية تدل على فضل التوحيد وشرف الاستغفار ألا يرى أن الموحد المستغفر كيف ينال العيش الطيب في الدنيا والدرجات العالية في العقبى فهما مفتاح سعادة الدارين وفي الحديث: «لا إله إلا الله ثمن الجنة» وفي خبر آخر «مفتاح الجنة» وفي الخبر «قال آدم: يا رب إنك سلطت علي إبليس ولا استطيع أن أمتنع منه إلا بك قال الله تعالى: لا يولد لك ولد إلا وكلت عليه من يحفظه من مكر إبليس ومن قرناء السوء، قال: يا رب زدني قال: الحسنة عشر وأزيد والسيئة واحدة وأمحوها، قال: يا رب زدني، قال: التوبة مقبولة ما دام الروح في الجسد، قال: يا رب زدني قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] ثم الاستغفار لا يختص بكونه من الذنوب بل يكون من العبادة التي لا يؤتى بها على الوجه اللائق كما قال بعضهم: إن الصحابة كانوا يستغفرون من عبادتهم استقلالها وما يقع فيها. قال العرفي:

مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿الر﴾ يشير بالألف إلى الله وباللام إلى جبريل وبالراء إلى الرسول ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ يعني القرآن كتاب أحكمت بالحكم آياته كقوله: ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب: هو القرآن، والحكمة: هي الحقائق والمعاني والأسرار التي أدرجت في آياته ﴿ثم فصلت﴾ أي: بينت لقلوب العارفين تلك الحقائق والحكم. ﴿من لدن حكيم﴾ أودع فيها الحكمة البالغة التي لا يقدر غيره على إيداعها فيها وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن. ﴿خبير﴾ على تعليمها من لدنه لمن يشاء من عباده كقوله:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥] يشير إلى أن للقرآن ظهراً يطلع عليه أهل اللغة وبطنا لا يطلع عليه إلا أرباب القلوب الذين أكرمهم الله بالعلم اللدني ورأس الحكمة وسرها أن تقول يا محمد لأمتك أمرتم. ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي: لا تعبدوا الشيطان ولا الدنيا ولا الهوى ولا ما سوى الله تعالى: ﴿إنني لكم منه نذير﴾ أنذركم بالقطيعة من الله تعالى أن تعبدوا وتطيعوا وتحبوا غيره وعذاب العبد في الجحيم ﴿وبشير﴾ أبشركم أن تعبدوه وتطيعوه وتحبوه بالوصول ونعم الوصال في دار الجلال وكان النبي عليه السلام مخصوصاً بالدعوة إلى الله من بين الأنبياء والمرسلين يدل عليه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ فيما فرطتم من أيام عمركم في طلب غير الله وترك طلبه وتحصيل الحجب وإبطال الاستعداد الفطري ليكون الاستغفار تزكية لنفوسكم وتصفية لقلوبكم. ﴿ثم توبوا إليه﴾ ارجعوا بقدم السلوك إلى الله تعالى لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار، وهي قوله: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ وهو الترقي في المقامات من السفليات إلى العلويات ومن العلويات، إلى حضرة العلي الكبير ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو انقضاء مقامات السلوك وابتداء درجات الوصول ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ ذي صدق واجتهاد في الطلب. ﴿فضله﴾ في درجات الوصول فإن المشاهدات بقدر المجاهدات، ﴿وإن تولوا﴾ تعرضوا عن الطلب والسير إلى الله ﴿ف﴾قل ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ عذاب يوم الانقطاع عن الله الكبير فإنه أكبر الكبائر وعذابه أعظم المصائب. ﴿إلى الله مرجعكم﴾ طوعاً أو كرهاً فإن كان بالطوع يتقرب إليكم بجذبات العنايات كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» وإن كان بالكره تسحبون في النار على وجوهكم ﴿وهو على كل شيء﴾ من اللطف والقهر ﴿قدير﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.

﴿ألا﴾ أي: تنبهوا أيها المؤمنون ﴿إنهم﴾ أي: مشركي مكة ﴿يثنون صدورهم﴾ من ثنى يثني أي: عطف وصرف. والمعنى يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي ﷺ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها، كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة. ﴿ليستخفوا منه﴾ الاستخفاء الاستتار، أي: ليختفوا ويستتروا من الله تعالى لجهلهم بما لا يجوز على الله تعالى - روي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أخنس بن شريق الزهري وكان رجلاً حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله ﷺ المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها.

وقال ابن شداد: إنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي عليه السلام فكأنه أنما كان يصنع ما يصنع لأنه لو رآه النبي عليه السلام لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق.

فإن قلت الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة؟.

قلت لك: أن تمنع ذلك، بل ظهوره إنما كان فيها ولو سلم فليكن هذا من باب الأخبار

عن الغيب وهو من جملة المعجزات. ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي: يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون ثيابهم وكان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي.

قال في «الكواشي»: حين توقيت للتغطي لا للعلم انتهى.

أي: لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسرهم وعلنهم بهذا الوقت الخاص وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت، والجواب أنه تعالى إذا علم سرهم وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى فيه السر فأولى أن يعلم ذلك في غيره وهذا بحسب العادة وإلا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت أحوال الخلق ﴿يعلم ما يسرون﴾ أي: يضمرون في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بأفواههم وما مصدرية أي: إسرارهم وإعلانهم أو بمعنى الذي والعائد محذوف وقدم السر على العلن لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية. ﴿إنه﴾ أي الله تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلاً، فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون.

اي كه در دل نهان كني سرى آنكه دل آفريد ميداند

ومعنى الآية: أن الذين اضمروا الكفر والعداوة لا يخفون علينا وسنجازيهم على ما أبطنوا من سوء أعمالهم حق جزائهم فحقه أن يتقي ويحذر ولا يجترىء على شيء مما يخالف رضاه:

صورت ظاهر ندارد اعتبار باطني بايد مبرا از غبار

واعلم أن إصلاح القلب أهم من كل شيء؛ إذ هو كالملك المطاع في إقليم البدن النافذ الحكم وظاهر الأعضاء كالرعية والخدم له والنفاق صفة من صفاته المذمومة وهو عدم موافقة الظاهر للباطن والقول للفعل.

وقال ناس لابن عمر: أنا لندخل إلى سلطاننا وأمرائنا فنقول: لهم: بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

وقال حذيفة: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كانوا يومئذٍ يسرون واليوم يجهرون.

هركه سازد نفاق پيشهٔ خويش خوار كردد بنزد خالق وخلق

ومن آفات القلب العداوة.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال العداوة شغل.

هركه پيشه كند عداوت خلق از همه خيرها جدا كردد

كه دلش خستهٔ عنا باشد كه تنش بستهٔ بلا كردد

وفي هذا المعنى قال حضرة الشيخ السعدي قدس سره:

دلم خانهٔ مهر يا رست وبس ازان جا نكنجد درو كين كس

وفي الآية إشارة إلى حال أهل الإنكار فإن كفار الشريعة كانوا يتغطون بثيابهم لئلا يسمعوا القرآن وكلام رسول الله ﷺ وكذا كفار الحقيقة لا يصغون إلى ذكر الصوفية بالجهر ولا يقبلون على استماع أسرار المشايخ وحقائق القرآن بل يثنون صدورهم ويظنون أن الله تعالى لا يعلم سرهم ونجواهم ولا يجازيهم على إعراضهم عن الحق وعداوتهم لأهله.

تم الجزء الحادي عشر في الثامن عشر من ذي القعدة من سنة اثنتين ومائة وألف

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾.

﴿وما﴾ نافية ﴿من﴾ صلة ﴿دابة﴾ عام لكل حيوان يحتاج إلى الرزق صغيراً كان أو كبيراً ذكراً أو أنثى سليماً أو معيباً طائراً أو غيره لأن الطير يدب أي: يتحرك على رجليه في بعض حالاته ﴿في الأرض﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لدابة أي: ما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض ﴿إلا على الله رزقها﴾ غذاؤها ومعاشها اللائق لتكفله إياه تفضلاً ورحمة.

قال في «التبيان»: هو إيجاب كرم لا وجوب حق، انتهى. لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ولذا قال: في «الجامع الصغير» يكره أن يقول الرجل في دعائه بحق نبيك أو بيتك أو عرشك أو نحوه إلا أن يحمل على معنى الحرمة كما في «شرح الطريقة».

وقال: في «بحر العلوم» إنما قال: على الله بلفظ الوجوب دلالة على أن التفضل رجع واجباً كنذور العباد.

وقال غيره: أتى بلفظ الوجوب مع أن الله تعالى لا يجب عليه شيء عند أهل السنة والجماعة اعتباراً لسبق الوعد وتحقيقاً لوصوله إليها البتة وحملاً للمكلفين على الثقة به تعالى في شأن الرزق، والإعراض عن إتعاب النفس في طلبه ففي كلمة على هنا استعارة تبعية شبه إيصال الله رزق كل حيوان إليه تفضلاً وإحساناً على ما وعده بإيصال من يوصله، وجوباً في انتفاء التخلف فاستعملت كلمة على [وكفته اند بمعنى من است يعني روزي همه ازخداست يا بمعنى إلى يعني روزي مفوض بخداي تعالى است اكر خواهد بسط كند واكر اراده نمايد قبض كند]. ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ يحتمل وجوهاً.

الأول: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مستقرها المكان الذي تأوي إليه ليلاً، أو نهاراً، أو تستقر فيه وتستكن ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت بلا اختيار منها كالشيء المستودع قال عبد الله: إذا كان مدفن الرجل بأرض أدته الحاجة إليها حتى إذا كان عند انقضاء أمره قبض فتقول الأرض يوم القيامة هذا ما استودعتني.

والثاني: مستقرها محل قرارها في أصلاب الآباء، ومستودعها موضعها في الأرحام وما يجري مجراها من البيض ونحوه، وسميت الأرحام مستودعاً، لأنها يوضع فيها من قبل شخص آخر بخلاف وضعها في الأصلاب فإن النطفة بالنسبة إلى الأصلاب في حيذها الطبيعي ومنشأها الخلقي.

والثالث: مستقرها مكانها من الأرض حين وجودها بالفعل، ومستودعها حيث تكون مودعة فيه قبل وجودها بالفعل من صلب أو رحم أو بيضة، ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الأخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض.

والرابع: مستقرها في العدم يعلم أنه كيف قدرها مستعدة لقبول تلك الصورة المختصة بها ومستودعها لغرض تؤول إليه عند استكمال صورتها، وأيضاً يعلم مستقر روح الإنسان خاصة في عالم الأرواح لأنهم كانوا في أربعة صفوف كان في الصف الأول: أرواح الأنبياء وأرواح خواص الأولياء، وفي الصف الثاني: أرواح الأولياء وأرواح خواص المؤمنين، وفي

الصف الثالث: أرواح المؤمنين والمسلمين، وفي الصف الرابع أرواح الكفار والمنافقين ويعلم مستودع روحه عند استكمال مرتبة كل نفس منهم من دركات النيران، ودرجات الجنان إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر. ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها. ﴿في كتاب مبين﴾ أي: مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة أو المظهر لما ثبت فيه للناظرين.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿في كتاب مبين﴾ أي: عنده في أم الكتاب الذي لا تغير فيه من المحو والإثبات انتهى.

وقد اتفقوا على أن أربعة أشياء لا تقبل التغير أصلاً، وهي: العمر، والرزق، والأجل، والسعادة أو الشقاوة.

فعلى العاقل أن لا يهتم لأجل رزقه ويتوكل على الله فإنه حسبه:

مكن سعديا ديده بر دست كس   كه بخشنده پروردكارست وبس
اكر حق پرستى ز درها بست   كه كروي براند نخواند كست

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه بالذهاب إلى فرعون للدعوة إلى الإيمان تعلق قلبه بأحوال أهله قائلاً يا رب من يقوم بأمر عيالي؟ فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فضربها فانشقت وخرج منها صخرة ثانية، ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة، ثم ضربها بعصاه فخرجت منها دودة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها، ورفع الحجاب عن سمع موسى فسمع الدودة تقول: سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً إلى المفازة في حاجة لنا فرأينا طيراً يلحن بصوت جهوري فقال عليه السلام: «أتدري ما يقول هذا الطير يا أنس»؟ قلت: الله ورسوله أعلم بذلك قال: «إنه يقول يا رب، أذهبت بصري وخلقتني أعمى فارزقني فإني جائع» قال: أنس فبينما نحن ننظر إليه إذ جاء طائر آخر وهو الجراد ودخل في فم الطائر فابتلعه ثم رفع الطائر صوته وجعل يلحن فقال عليه السلام: «أتدري ما يقول الطير يا أنس»؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: «إنه يقول الحمد لله الذي لم ينس من ذكره» وفي رواية: «من توكل على الله كفاه» كما في «إنسان العيون».

قيل: كان مكتوباً على سيف الحسين بن علي رضي الله عنه أربع كلمات، الرزق مقسوم، والحريص محروم، والبخيل مذموم، والحاسد مغموم، وفي الحديث: «من جاع أو احتاج وكتمه عن الناس وأفضى به إلى الله تعالى كان حقاً على الله أن يفتح له رزق سنة» كما في «روضة العلماء». وحقيقة التوكل في الرزق وغيره عند المشايخ الانقطاع عن الأسباب بالكلية ثقة بالله تعالى.

وهذا لأهل الخصوص فأما أهل العموم فلا بد لهم من التسبب. كما قال في «المثنوي»:

كر توكل ميكنى در كار كن   كسب كن پس تكيه بر جبار كن

ثم رزق الإنسان يعم جسده وغذاء روحه. وفي «المثنوي»:

اين دهان بستى دهاني بازشد   كو خورنده لقمهاى راز شد
كر ز شير ديو تن را وا برى   در فطام أو بسى نعمت خورى

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وهو الذي خلق السموات﴾ السبع، السماء الدنيا وهو فلك القمر من الموج المكفوف المجتمع وهو مقر أرواح المؤمنين، والسماء الثانية وهو فلك عطارد من درة بيضاء وهو مقر أرواح العباد، والسماء الثالثة وهو فلك الزهرة من الحديد وهو مقر أرواح الزهاد، والسماء الرابعة وهو فلك الشمس من الصفر وهو مقام أرواح أهل المعرفة، والسماء الخامسة وهو فلك المريخ من النحاس وهو مقام أرواح الأنبياء، والسماء السادسة وهو فلك المشتري من الفضة وهو مقام أرواح الأنبياء. والسابعة: وهو فلك زحل من الذهب وهو مقام أرواح الرسل وفوق هذه السموات الفلك الثامن وهو فلك الثوابت ويقال: له الكرسي وهو مقام أرواح أولي الحزم من الرسل وفوقه عرش الرحمن وهو مقام روح خاتم النبيين صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين وجمع السموات لاختلاف العلويات أصلاً كما ذكرنا وذاتا لأنها سبع طبقات بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام على ما ورد في الخبر وكذا ما بين السابعة والكرسي وبين الكرسي والعرش على ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنهما، قدم السموات لأنها منشأ أحكامه تعالى ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه وأرزاقه ووعده ووعيده فإن ما يؤمرون به وينهون عنه وما يرزقونه في الدنيا وما يوعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء ولأنها وما فيها من الآثار العلويات أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة على الكبرياء والعظمة ﴿والأرض﴾ أي: الأرضين السبع بدليل قوله السموات وأفردت فإن السفليات واحدة بالأصل والذات وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] أول بالأقاليم السبعة كما في «حواشي» سعدي المفتي وبين المشرق والمغرب خمسمائة عام كما بين السماء والأرض، وأكثر الأرض مفازة وجبل وبحار والقليل منها العمران ثم أكثر العمران أهل الكفر والقليل منها أهل الإيمان والإسلام، وأكثر أهل الإسلام أهل البدع والأهواء، وكلها على الضلالة والباطل، والقليل منهم على الحق، وهم أهل السنة والجماعة، وحول الدنيا ظلمة ثم وراء الظلمة جبل قاف وهو جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء وأطراف السماء ملتصقة به ووسط الأرض كلها عامرها وخرابها قبة الأرض وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي فيه الليل والنهار أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص، وأما الكعبة فهي وسط الأرض المسكونة وأرفع الأرضين كلها إلى السماء مهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وهو جبل عال يراه البحريون من مسافة أيام، وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر، ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي آدم، وذروة هذا الجبل أقرب ذرى جبال الأرض إلى السماء كما في «إنسان العيون» ﴿في ستة أيام﴾ السموات في يومين والأرض في يومين وما عليها من أنواع الحيوان والنباتات وغير ذلك في يومين حسبما قيل في سورة ﴿حم﴾ السجدة ولم يذكر خلق ما في الأرض لكونه من تتمات خلقها. والمراد في ستة أوقات على أن يكون المراد باليوم يوم الشأن وهو الآن، وهو الزمان الفرد الغير المنقسم وقد مر تحقيقه، أو في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة فإن الأيام في المتعارف

زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء، أو من أيام الآخرة كل يوم كألف سنة مما تعدون على ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي خلقها على التدريج مع أنه لو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر حث على التأني في الأمور ولعل تخصيص ذلك بالعدد المعين باعتبار أصناف الخلق من الجماد والمعدن والنبات والحيوان والإنسان والأرواح. ﴿وكان عرشه﴾ العرش في أصل اللغة السرير والعرش المضاف إليه تعالى عبارة عن مخلوق عظيم موجود هو أعظم المخلوقات.

قال مقاتل: جعل الله تعالى للعرش أربعة أركان بين كل ركن وركن وجوه لا يعلم عددها إلا الله تعالى أكثر من نجوم السماء وتراب الأرض وورق الشجر ليس لطوله وعرضه منتهى لا يعلمه أحد إلا الله تعالى.

فإن قيل: لم خلق الله تعالى العرش وهو سبحانه لا حاجة له به؟

أجيب بوجوه. أحدها أنه جعله موضع خدمة ملائكته لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]. وثانيها: إنه أراد إظهار قدرته وعظمته كما قال مقاتل: السموات والأرض في عظم الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي مع السموات والأرض في عظم العرش كحلقة في فلاة وكلها في جنب عظمة الله تعالى كذرة في جنب الدنيا فخلقه كذلك ليعلم أن خالقه أعظم منه. وثالثها: إنه خلق العرش إرشاداً لعباده إلى طريق دعوته ليدعوه من الفوق لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ورابعها: إنه خلقه لإظهار شرف محمد ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهو مقام تحت العرش. وخامسها: إنه جعله معدن كتاب الأبرار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وفيه تعظيم لهم ولكتابهم. وسادسها: إنه جعله مرآة الملائكة يرون الآدميين وأحوالهم كي يشهدوا عليهم يوم القيامة لأن عالم المثال والتمثال في العرش كالأطلس في الكرسي. وسابعها: إنه جعله مستوى الاسم الرحمن أي: محل الفيض والتجلي والإيجاد والأحدي كما جعل الشرع الذي هو مقلوبه مستوى الأمر التكليفي الإرشادي لا مستوى نفسه تعالى الله عن ذلك ﴿على الماء﴾ أي: العذب كما في «إنسان العيون».

قال كعب الأحبار: أصله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى فلذلك يرتعد الماء إلى الآن وإن كان ساكناً ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها أي: ظهرها ثم وضع العرش على الماء وليس ذلك على معنى كون أحدهما على الآخر ملتصقاً بالآخر بل ممسك بقدرته كما في «فتح القريب».

قال الأصم: هذا كقولهم السماء على الأرض وليس ذلك على سبيل كون إحداهما ملتصقة بالأخرى، فالمعنى وكان عرشه تعالى قبل خلق السموات والأرض على الماء لم يكن حائل محسوس بينهما وإنما قلنا محسوس فإن بين السماء والأرض حائلاً هو الهواء لكن لما لم يكن محسوساً لم يعد حائلاً.

وفيه دليل على أن العرش والماء خلقا قبل السموات والأرض، والجمهور على أن أول ما خلق الله من الأجسام هو العرش ومن الأرواح الروح المحمدي الذي يقال له: العقل الأول والفلك الأعلى أيضاً. وفيه دليل أيضاً على إمكان الخلاء فإن الخلاء هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان وليس بينهما ما يماسهما، فإذا لم يكن بين العرش والماء حائل

يثبت الخلاء، والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه.

قال في كتب الهيئة: مقعر سطح الفلك الأعظم يماس محدب فلك الثوابت ومحدبه لا يماس شيئاً إذ ليس وراءه شيء لا خلاء ولا ملاء بل عنده ينقطع امتدادات العالم كلها. وقيل من ورائه أفلاك من أنوار غير متناهية ولا قائل بالخلاء فيما تحت الفلك الأعظم بل هو الملاء.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعاً على متنه كما ورد في الأثر فلا دلالة فيه على إمكان الخلاء كيف لا؟ ولو دل لدل على وجوده لا على إمكانه فقط، ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما انتهى.

قال الكاشفي: [در وقوف عرش برآب واستقرار آب برباد اعتبار عظيم است مراهان تفكررا ازعباد] ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بخلق واللام لام العلة عقلاً ولام الحكمة والمصلحة شرعاً بمعنى أن الله تعالى فعل فعلاً لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله إلا لتلك المصلحة أي: خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادي وجودكم وأسباب معايشكم وأودع في تضاعيفهما من أعجايب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ويمتحنكم. ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ فيجازيكم بالثواب والعقاب بعد ما تبين المحسن من المسيء.

فإن قلت: الاختبار يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا أو مسيئين وأحسن عملاً يخصصه بالمحسنين منهم لأن العمل الأحسن يخص بالمحسنين ولا يتحقق في أهل القبائح فيلزم أن يعتبر عموم الابتلاء وخصوصه معاً وهما متنافيان.

قلت: الابتلاء وإن كان يعم الفرق المكلفين إلا أن المراد خصوصه بالمحسنين تنبيهاً على أن المقصود الأقصى من خلق المخلوقات أن يتوسلوا بأحسن الأعمال إلى أجل المثوبات، وتحريضاً لهم على ترك القبائح والمنكرات، والمراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح، ولذلك فسره عليه السلام بقوله: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله» فإن لكل من القلب والقالب عملاً مخصوصاً به، فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله فكيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد وإنما طريقها النظري التفكر في عجائب صنعه، ولا طاعة بدون فهم الأوامر والنواهي، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا تفضلوني على يونس بن متى، فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض» قالوا: وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحداً لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وأما ذات الله تعالى فلا يسعها التفكر. وفي «المثنوي»:

بي تعلق نيست مخلوقي بدو	آن تعلق هست بيچون اي عمو
اين تعلق را خرد چون ره برد	بستهٔ فصلست ووصلست اين خرد
زين وصيت كرد مارا مصطفى	بحث كم جوئيد در ذات خدا
آنكه درذاتش تفكر كردنيست	در حقيقت آن نظر در ذات نيست
هست آن پندار او زيرا براه	د هزا ران پرده آمد تااله

وفي «التأويلات النجمية» الابتلاء على قسمين. قسم للسعداء وهو بلاء حسن وذلك أن السعيد لا يجعل المكونات مطلبه ومقصده الأصلي بل يجعل ذلك حضرة المولى والرفيق الأعلى ويجعل ما سوى المولى بإذن مولاه وأمره ونهيه وسيلة إلى القربات وتحصيل الكمالات فهو أحسن عملاً، وقسم للأشقياء وهو بلاء سيىء وذلك أن الشقي يجعل المكونات مطلبه ومقصده الأصلي ويتقيد بشهواتها ولذاتها ولم يتخلص من نار الحرص عليها والحسرة على فواتها ويجعل ما أنعم الله عليه به من الطاعات والعلوم التي هي ذريعة إلى الدرجات والقربات وسيلة إلى نيل مقاصده الفانية واستيفاء شهواته النفسانية فهو أسوء عملاً انتهى.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: في بعض «تحريراته» نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملاً، وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً الآخرة فهو حسن نية وعملاً وإما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو أحسن نية وعملاً فالأول حال الكفار والثاني حال المنافقين والثالث حال الأبرار والرابع حال المقربين وقد أشار الحق سبحانه إلى أحوال المقربين عبارة وإلى أحوال غيرهم إشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧] انتهى باجمال. قال الحافظ:

صحبت خور نخواهم كه بود عين قصور   باخيال تواكر بادكرى بر دازم

اللهم اجعلنا من الفارين إليك والحاضرين لديك. ﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لقومك وهم أهل مكة واللام لام التوطئة للقسم ﴿إنكم﴾ أيها المكلفون ﴿مبعوثون من بعد الموت﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ منهم وهو جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ﴿إن هذا﴾ ما هذا القرآن الناطق بالبعث. ﴿إلا سحر مبين﴾ أي: مثله في البطلان فإن السحر لا شك تمويه وتخييل باطل وإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾.

﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ الموعود ﴿إلى أمة معدودة﴾ إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العد قليل ﴿ليقولن﴾ أي: الكفار ﴿ما يحبسه﴾ أي: أيُّ شيء يمنع العذاب من المجيء والنزول فكأنه يريده فيمنعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأساً لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه. ﴿ألا﴾ [بدانيد] ﴿يوم يأتيهم﴾ العذاب كيوم بدر ﴿ليس مصروفاً عنهم﴾ أي: مدفوعاً عنهم، يعني: لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم. ويوم منصوب بخبر ليس، وهو دليل على جواز تقديم خبر ليس، على ليس، فإنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل. ﴿وحاق بهم﴾ ونزل بهم وأحاط وهو بمعنى يحيق فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

واعلم أن السبب الموجب للعذاب كان الاستهزاء، والباعث على الاستهزاء كان الإنكار والتكذيب، والناس صنفان في طريق الآخرة صنف مبتاع نفسه من عذاب الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة، وصنف مهلكها باتباع الهوى وترك الأعمال الصالحة والكفار أمنوا من عذاب الله تعالى وسخطه فوقعوا فيما وقعوا من العذاب العاجل والآجل وفي الحديث القدسي: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» ولشدة الأمر قال الفضيل بن عياض: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أحوال القيام وشدائدها.

وعن السري السقطي: اشتهي أن أموت ببلدة غير بغداد مخافة أن لا يقبلني قبري فأفتضح عندهم.

فعلى العاقل أن يتدارك أمره قبل حلول الأجل كما قيل: [علاج واقعه پيش از وقوع بايدكرد] ويخاف من ربه ويستغفر من ذنبه ويحترز عن الإصرار وفي الحديث: «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه» والله تعالى يريد من كل جزء من أجزاء الإنسان ما خلقه له فمن القلب المعرفة والتوحيد، ومن اللسان الشهادة والتلاوة وترك الأذية بالاستهزاء وغيره فمن ترك الوفاء بما تعهد له من استعمال كل عضو فيما خلق هو لأجله فقد تعرض لسخط الله تعالى وعذابه وقد استهزأ أبو جهل بالنبي عليه السلام في بعض الأوقات حيث سار خلفه عليه السلام فجعل يخلج أنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه ﷺ فقال له: «كن كذلك» فكان كذلك إلى أن مات لعنه الله واستهزأ به عليه السلام عتبة بن أبي معيط فبصق في وجهه فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً ومر عليه السلام بجماعة من كفار أهل مكة فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون هذا يزعم أنه نبي وكان معه عليه السلام جبريل فغمز جبريل بأصبعه في أجسادهم فصاروا جروحاً وانتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا وقس عليه التعرض لأهل الحق بشيء مكروه كما يفعله أهل الإنكار في حق سادات الصوفية ولا يدرون أنه يوجب المقت وربما يبتلى أحدهم بمرض هائل في بدنه وهو غافل عن سببه وجهة نزوله به، وكل عمل لا بدّ وأن يصل جزاؤه إلى عامله في الحال ولكن لا يرى في الدنيا بعين اليقين وإنما يرى في الآخرة إذا قيل له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ألا ترى أن عذاب البعد واقع لأهل الغفلة والحجاب، ولكن ما ذاقوا ألمه لأنهم نيام فإذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ذلك حساً، ولئن قلت: للأشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة، فإن الحياة الحقيقة تكون بعد الموت عن الحياة الطبيعية ليقولن الذي ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق المكونات ومحبتها وهم الأشقياء: إن هذا إلا كلام مموه لا أصل له كما في «التأويلات النجمية». قال السعدي:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند ... وكر هيچ كس رانيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش ... كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وفي «المثنوي»:

منقبض كردند بعضى زين قصص ... زانكه هر مرغى جدا دارد قفص
كود كان كرچه بيك مكتب درند ... در سبق هريك زيك بالاترند

مرك پيش ازمرك اينست اي فتى اين چنين فرمود مارا مصطفى
كفت موتوا كلكم من قبل ان يأتي الموت تموتوا بالفتن

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾.

﴿ولئن﴾ اللام موطئة للقسم ﴿أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أي: أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها والمراد مطلق الإنسان وجنسه الشامل للمؤمن والكافر بدلالة الاستثناء الآتي. وقوله ﴿منا﴾ حال من رحمة أي: لا باستحقاق منه ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي: سلبنا تلك النعمة منه وأزلناها عنه وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها.

قال سعدي المفتي الظاهر: أن من صلة نزعناها، أي: قلعناها منه ولا يبعد أن يقال: ـ والله أعلم ـ أن من للتعليل يعني: أن منشأ النزع شؤم نفسه بارتكاب معصية الله ﴿إنه ليؤوس﴾ شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وتسليمه لقضائه وعدم ثقته به وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط. ﴿كفور﴾ عظيم الكفران لما سلف له من النعم نساء له. قال السعدي قدس سره:

سكى را لقمه كردادى فراموش نكرد دكرزنى صد نوبتش سنك
وكر عمري نوازي سفلهٔ را بكمتر تندى آيد باتو درجنك

ومعنى الكفران: إنكار النعمة والمعروف وستره وترك شكره وحمده وعدم الثناء على فاعله ومعطيه.

وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم.

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة أضاف سبحانه وتعالى إذاقة النعماء إلى ذاته الكريمة ومس الضراء إليها لا إلى ذاته الجليلة تنبيهاً على أن القصد الأول إيصال الخير إلى العباد تفضلاً منه تعالى ورحمة ومساس الشر ليس إلا لشؤم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاماً قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وهذا هو المراد من قول البيضاوي: وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الذي هو إدراك الطعم وعن ملابسة الضراء بالمس الذي هو مبدأ الوصول كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة. ﴿ليقولن﴾ الإنسان ﴿ذهب السيئات عني﴾ أي: المكاره والمصائب التي ساءتني. أي: فعلت بي ما أكره ولن يعتريني بعد أمثالها فإن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش. ﴿إنه لفرح﴾ [شاد مانست مغروريان] وهو اسم فاعل من فعل اللازم. والفرح إذا اطلق في القرآن كان للذم وإذا كان للمدح يأتي مقيداً بما فيه خير كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] كذا في حواشي سعدي المفتي.

يقول الفقير يرده قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] والظاهر أن كونه للمدح أو للذم إنما هو بحسب المقام والقرائن.

واعلم أن الفرح بالنعمة ونسيان المنعم فرح الغافلين والعطب إلى هذا أقرب من السلامة والإهانة أوفى من الكرامة.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: في بعض «تحريراته» هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوباً لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه انتهى بإجمال، يشير قدس سره إلى الفرح بالله تعالى على كل حال ﴿فخور﴾ على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها. قال السعدي قدس سره:

چو منعم كند سفله را روزكار نهد بردل تنك درويش بار
چو بام بلندش بودخود پرست كندبول وخاشاك بربام پست

وقال:

كه اندر نعمتي مغرور وغافل كهى ازتنك دستى خسته وريش
چو درسرا وضرا حالت اينست ندانم كى بحق بردازى ازخويش

[يعني كى فارغ شوى ازخود وبحق مشغول شوى].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿إلا الذين﴾ [مكر آنان كه] والاستثناء متصل ﴿صبروا﴾ على الضراء إيماناً بقضاء الله وقدره وفي الحديث: «ثلاثة لا تمسهم فتنة الدنيا والآخرة، المقر بالقدر، والذي لا ينظر بالنجوم والمتمسك بسنتي» ومعنى الإيمان بالقدر أن يعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره وهو مريد لها كلها وأما النظر في النجوم فقد كان حقاً في زمن إدريس عليه السلام، يدل عليه قوله تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] استدل بالنظر في النجوم على أنه سيسقم ثم نسخ في زمن سليمان عليه السلام كما في «بحر الكلام».

وفي كتاب «تعليم المتعلم» علم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع والهرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن انتهى.

فينبغي أن لا يصدق أهل النجوم فيما زعموا أن الاجتماعات والاتصالات الفلكية تدل على حوادث معينة وكوائن مخصوصة في هذا العالم.

قال العماد الكاتب: أجمع المنجمون في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في جميع البلاد على خراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح وخوّفوا بذلك ملوك الأعاجم والروم فشرعوا في حفر مغارات ونقلوا إليها الماء والأزواد وتهيأوا، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون للخراب بمثل ريح عاد، كنا جلوساً عند السلطان والشموع تتوقد فلا تتحرك ولم نر ليلة مثلها في ركودها ذكره الامام اليافعي وقال: في «إنسان العيون» أول من استخرج علم النجوم إدريس عليه السلام، أي: علم الحوادث التي تكون في الأرض باقتران الكواكب.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء لعدم استيفائه النظر انتهى، ﴿وعملوا الصالحات﴾ شكراً لنعمائه الظاهرة والباطنة أو السالفة والآنفة والعمل الصالح هو ما كان لوجه الله تعالى.

وعن عمر رضي الله عنه الشكر والصبر مطيتان ما باليت أيهما أركب يشير رضي الله عنه إلى أن كل واحد من طريق الصبر والشكر موصل إلى الله تعالى ﴿أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لذنوبهم وأن جمت ﴿وأجر﴾ ثواب لأعمالهم الحسنة ﴿كبير﴾ أقله الجنة كما في «تفسير البيضاوي» وهو الجنة كما في «الكواشي».

قال سعدي المفتي: وصف الأجر بقوله «كبير» لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف والأمن من العذاب ورضي الله عنهم والنظر إلى وجهه الكريم انتهى.

يقول الفقير الظاهر أن المراد بالأجر الكبير هو الجنة لأن نعم الله تعالى أدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأوسطها الجنة ونعيمها فإذا وصف الرضى بالأكبرية لزم أن توصف الجنة بالكبيرية.

قال الكاشفي: [شيخ الإسلام فرموده كه درجنت نعمتي هست كه همه نعيم بهشتي در جنب آن محقر ومختصر باشد يعني مشاهدهٔ أنوار لقاي خدا].

مارا بهشت بهر لقاي تودر خورست بي پرتو جمال توجنت محقرست

وفي الآيتين إشارتان: الأولى: أن من ذاق طعم بعض المقامات الإلهية وشهد بعض المشاهد الربانية ثم نزع ذلك منه بشؤم خطاياها وسوء أدبه ينبغي أن لا ييأس من روح الله ولا يكفر بنعمته كإبليس، بل إذا ابتلى بسدل الحجاب ورد الباب كان من شرط عبوديته أن يرجع إلى ربه معترفاً بظلمه على نفسه كآدم عليه السلام ليجتبيه ربه فيتوب عليه ويهديه، فإن من رحمة الله ونعمته على عبده أنه إذا أسرف على نفسه ثم تاب ورجع إلى ربه وجده غفوراً رحيماً، والثانية: أن من ذاق برد العفو وحلاوة الطاعة ينبغي أن لا يقول صرت معصوماً مطهراً مرفوع الحجاب فتعجبه نفسه فينظر إليها بنظر الإعجاب وينظر إلى غيره بنظر الحقارة ويأمن مكر الله فهو في كلتا الحالتين مذموم في حالة اليأس وكفران النعمة وفي حالة الإعجاب بنفسه وأمنه من مكر الله. قال الحافظ:

زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه رند ازره نياز بدار السلام رفت

وقال:

زاهد ايمن مشو ازبازى غيرت زنهار كه ره ازصومعه تادير مغان اين همه نيست

فالآيتان تناديان على النفس الأمارة بصفاتها الرذيلة فلا بد من معالجتها وإصلاحها بما أمكن من المجاهدات أصلحها الله سبحانه وتعالى.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ ـ روي ـ أن مشركي مكة لما قالوا: ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا ولا مخالفة آبائنا همّ النبي عليه السلام أن يدع سب آلهتهم ظاهراً فنزل الله تعالى هذه الآية، ولعل إما للترجي ومعناه توقع أمر مرجو لا وثوق بحصوله كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩] وإما للإشفاق وهو توقع أمر مخوف كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] والرجاء والإشفاق يتعلقان بالمخاطبين دون الله سبحانه والمراد هنا إما الأول فالمعنى لعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه

من تبليغ ما أوحي إليك ولا يلزم من توقع الشيء وجود ما يدعو إليه ووقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وأما الثاني فالمعنى أشفق على نفسك أن تترك تبليغ ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم له واستهزائهم وهو أوجه من الأول كما في «بحر العلوم» للسمرقندي.

قال الكاشفي: ﴿فلعلك تارك﴾ [پس شايدكه توترك كننده باشى. امام ماتريدي رحمه الله ميكويد استفهام بمعنى نهى است: يعني ترك مكن] ﴿وضائق به صدرك﴾ أي: عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة، وضمير به يعود إلى بعض ما يوحى وعدل عن ضيق إلى ضائق ليدل على أنه كان ضيقاً عارضاً غير ثابت لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً ونحوه فلان سائد لمن عرضه له السودد وسيد لمن هو عريق فيه. ﴿أن يقولوا﴾ أي: مخافة أن يقولوا مكذبين ﴿لولا انزل عليه﴾ هلا القي عليه ﴿كنز﴾ مال من السماء يستعين به في أموره وينفقه في الاستتباع كالملوك.

قال ابن الشيخ: كنز أي: مال كثير من شأنه أن يجعل كنزاً أي: مالاً مدفوناً فإن الكنز اسم للمال المدفون فهو لا ينزل، فوجب أن يكون المراد به ههنا ما يكنز وقد جرت العادة بأن يسمى المال الكثير بهذا الاسم. ﴿أو جاء معه ملك﴾ يشهد له على صدق قوله ويعينه على تحصيل مقصوده فتزول الشبهة عن أمره، كما قال رؤساء مكة: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة ليشهدوا بنبوتك، ﴿إنما أنت نذير﴾ ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك، ولا عليك ردوا أو تهكموا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم.

قال «الكواشي»: تلخيصه أدّ الرسالة غير ملتفتٍ إليهم فإني حافظك وناصرك عليهم.

درشبى مهتاب مه را برسماك زسكان وعوعو ايشان چه باك

قال في «المفاتيح»: الوكيل: القائم بأمور العباد وتحصيل ما يحتاجون إليه. وقيل: الموكول إليه تدبير البرية وحظ العبد منه أن يكل إليه ويتوكل عليه ويلقي بالاستعانة إليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أم يقولون افتراه﴾ الضمير راجع إلى ما يوحى إليك، وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ والإنكار، والتعجب أما التوبيخ فكأنه قيل: أيتها لكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الاقتدار على الذي هو أعظم الفرى وأفحشها إذ يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون عامة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة كان تصديقاً من الله له والعليم الحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً، والمعنى: بل أيقولون افتراه وليس من عند الله. ﴿قل﴾ إن كان الأمر كما تقولون: ﴿فائتوا﴾ أنتم أيضاً ﴿بعشر سور مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم، قال: هنا بعشر، وفي يونس والبقرة بسورة؛ لأن نزول هذه السورة الكريمة مقدم عليهما لأنهم تحدوا أولاً بالإتيان بعشر فلما عجزوا تحدوا بسورة واحدة.

وقوله، مثله نعت لسور أي أمثال، وتوحيده باعتبار كل واحد.

وقال سعدي المفتي: ولا يبعد أن يقال: إنه صفة للمضاف المقدر، فإن المراد بقدر عشر سور مثله والله أعلم. ﴿مفتريات﴾ صفة أخرى لسور. والمعنى فائتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم أن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم فصحاء مثلي تقدرون على ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم النثر والنظم.

وفي الآية: دلالة قاطعة على أن الله تعالى لا يشبهه شيء في صفة الكلام وهو القرآن كما لا يشبهه بحسب ذاته. ﴿وادعوا﴾ للاستظهار في المعارضة. ﴿من استطعتم﴾ دعاءه والاستعانة به من ألهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم ومدارهكم التي تلجأون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونكم متجاوزين الله تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إني افتريته فإن ما افترى إنسان يقدر إنسان آخر أن يفتري مثله.

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ الضمير في لكم للرسول عليه السلام وجمع للتعظيم، أو له وللمؤمنين لأنهم اتباع له عليه السلام في الأمر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد.

قال سعدي المفتي: اختلف في تناول خطاب النبي عليه السلام لأمته فقال الشافعية: لا، وقال الحنفية: والحنابلة نعم إلا ما دل الدليل فيه على الفرق انتهى. والمعنى فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يا محمد ويا أصحاب محمد عليه السلام، أي: ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن وإتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة بمن استطاعوا بالاستعانة منه من دون الله تعالى ﴿فاعلموا إنما أنزل بعلم الله﴾ ما في إنما كافة وضمير انزل يرجع إلى ما يوحى وبعلم الله حال أي: ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله تعالى من المزايا والخواص والكيفيات.

وقال الكاشفي: [يعني ملتبس بعلمي كه خاصهء اوست وآن علمست بمصالح عباد وآنچه ايشانرا بكار آيد در معاش ودر معاد].

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿بعلم الله﴾ لا بعلم الخلق فإن فيه الأخبار عما سيأتي وهو بعد في الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله انتهى، والمراد الدوام والثبات على العلم أي: فدوموا أيها المؤمنون وأثبتوا على العلم الذي أنتم عليه لتزدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وأنه من جملة المعجزات الدالة على صدقه عليه السلام في دعوى الرسالة. ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ أي: ودوموا على هذا العلم أيضاً، يعني: هو ينزل الوحي وليس أحد ينزل الوحي غيره لأنه الإله ولا إله غيره، ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ثابتون على الإسلام راسخون فيه، أي: فاثبتوا عليه في زيادة الإخلاص.

وفي الآيات أمور: منها: أن الوحي على ثلاثة أنواع، نوع أمر عليه السلام بكتمانه إذ لا يقدر على حمله غيره، ونوع خير فيه، ونوع أمر بتبليغه إلى العام والخاص من الإنس والجن وهو ما يتعلق بمصالح العباد من معاشهم ومعادهم فلا يجوز تركه وإن ترتب عليه مضرة وضاق به الصدر وسبيل تبليغ الرسالة هو اللسان فلا رخصة في الترك وإن خاف.

قال صاحب «التيسير»: فهذا دليل قولنا في المكره على الطلاق والعتاق إن تكلم به نفذ لأن تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والإكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ انتهى.

وفي الحديث: «أن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله تعالى إلي إن لم تبلغ

رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت» ويدخل فيه العلماء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فإنهم إذا عملوا بما علموا وتصدوا للتبليغ وخافوا الله دون غيره فإن الله تعالى يحفظهم من كيد الأعداء ـ حكي ـ أن زاهداً كسر خوابي الخمر لسليمان بن عبد الملك الخليفة وأتى به يعاقبه وكان للخليفة بغلة تقتل من ظفرت به، واتفق رأي وزرائه أن يلقى الزاهد بين يدي البغلة فألقي بين يديها فخضعت له فلم تقتله، فلما أصبحوا نظروا إليه فإذ هو صحيح فعلموا أن الله تعالى حفظه فاعتذروا إليه وخلوا سبيله:

كرت نهى منكر بر آيد زدست نشايد جوبى دست وپايان نشست

ومنها أن المؤمنين ينبغي أن يعاونوا أئمتهم ومن اقتدى بهم في تنفيذ الحق وإجرائه وإلزام الخصم وإسكاته كما كان الأصحاب رضي الله عنهم يفعلون ذلك برسول الله ﷺ في الجهاد وغيره من الأمور الدينية وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كبنيان يشد بعضه بعضاً» يعني: المؤمن لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يقوى ببعضه وفيه حث على التعاضد في غير الإثم كذا في «شرح المشارق» لابن الملك، وكان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله ﷺ ويدفع عن المسلمين ويقويهم على المشركين وكان روح القدس أي: جبريل يمده بالجواب ويلهمه الصواب.

هجا كفتن ارچه پسنديده نيست مبادا كسى كآلت آن ندارد
چه آن شاعري كوهجا كونباشد چوشيرى كه چنكال ودندان ندارد

ومنها لزوم الثبات على التوحيد ومن علاماته التكرير باللسان جهراً وإخفاء جمعية وانفراداً وفي الحديث: «جددوا إيمانكم» والمراد الانتقال من مرتبة إلى مرتبة فإن أصل الإيمان قديم بالأول كما في «الواقعات المحمودية». قال المولى الجامي قدس سره:

دلت آيينۀ خداي نماست روى آيينۀ توتيره چراست
صيقلى دار صيقلى ميزن باشد آيينه ات شود روشن
صيقل آن اكرنۀ آكاه نيست جز لا إله إلا الله

وفي الحديث: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار، ومن مات يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

واعلم أن كلمة هو في قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ اسم تام بمنزلة لفظة الجلالة ولذا جعلها الصوفية قدس الله أسرارهم ورداً لهم في بعض أوقاتهم.

قال: في «فتح القريب»: من خواص اسم الله أنك إذا حذفت من خطه حرفاً بقي دالاً على الله تعالى فإن حذفت الألف بقي لله وإن حذفت اللام الأولى وأبقيت الألف بقي إله، وإن حذفتهما معاً بقي له ملك السموات والأرض، وإن حذفت الثلاثة بقي هو الله الحي القيوم لا إله إلا هو انتهى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿من كان﴾ [هركه باشدكه ازدنائت همت] وكان صلة، أي: زائدة كما في «التبيان».

وقال في «الإرشاد»: للدلالة على الاستمرار ﴿يريد﴾ بما عمله من أعمال البر والإحسان

﴿الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: ما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك لا وجه الله تعالى، والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية لقوله تعالى: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ أي: نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم، فإنه لا يجد كل متمن ما تمناه فإن ذلك منوط بالمشيئة الإلهية كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأجر والجزاء ﴿وهم فيها﴾ أي: في الحياة الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ لا ينقصون شيئاً من أجورهم.

﴿أولئك﴾ المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس. ﴿الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها فقد اجتنبوا ثمراتها فلم يبق في الآخرة إلا العذاب المخلد. ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ يعني: بطل ثواب أعمالهم التي صنعوها في الدنيا لأنها لم تكن لوجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثواب الآخرة هو الإخلاص ﴿وباطل﴾ [وناچيزاست] في نفس الأمر ﴿ما كانوا يعملون﴾ رياء وسمعة، فقوله: «باطل» خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية معطوفة على الفعلية قبلها.

والآية في حق الكفار كما يفصح عنه الحصر في كينونة النار لهم.

واعلم: أن حسنات الكفار من البر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور وإجراء الأنهار ونحو ذلك مقبولة بعد إسلامهم يعني: يحسب ثوابها ولا يضيع. وأما قبل الإسلام فانعقد الإجماع على أنهم لا يثابون على أعمالهم بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن يكون بعضهم أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم.

وذكر الامام الفقيه أبو بكر البيهقي أنه يجوز أن يراد بما في الآيات والأخبار من بطلان خيرات الكفار أنهم لا يتخلصون بها من النار ولكن يخفف عنهم ما يستوجبونه بجنايات ارتكبوها سوى الكفر ووافقه المازري كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أهل الرياء من أهل القبلة فمعنى قوله تعالى: ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ ليس يليق لهم إلا النار ولا يستحقون بسبب الأعمال الريائية إلا إياها، كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الكهف: ١٠٦] وجائز أن يتغمدهم الله برحمته فليس في الآية دلالة على الخلود والعذاب البتة، والظاهر أن الآية عامة لأهل الرياء مؤمناً كان أو كافراً أو منافقاً كما في «زاد المسير» والرياء مشتق من الرؤية وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير كما في «فتح القريب».

وفي الحديث: «أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»؟.

مرايي هر كسى معبود سازد مرايى را ازان كفتند مشرك

قال في «شرح الترغيب» المشرك يطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ومجوسي ويهودي ونصراني ومرتد وزنديق وعلى المرائي وهو الشرك الأصغر والشرك الخفي يقال: للقراء من أهل الرياء أردت أن يقال: فلان قارىء فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق

فعلت حتى يقال: فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال: فلان جريء فقد قيل ذلك فهؤلاء الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار كما في الحديث: «ويصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صلاة وصوم ونفقة واجتهاد وورع فيقول لهم الملك الموكل بها اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد بعمله غير الله تعالى ويصعد الحفظة بعمله من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها فيقول لهم الله تعالى أراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا ويلعنه السموات السبع ومن فيهن» كما ورد في الحديث قال الحافظ:

كـويـا بـاورنـمـى دارنـد روزداورى كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند

قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص الخلاص من هذين، معنى كلامه أن من عزم على عبادة الله تعالى ثم تركها مخافة أن يطلع الناس عليه فهو مراءٍ لأنه لو كان عمله لله تعالى لم يضره اطلاع الناس عليه ومن عمل لأجل أن يراه الناس فقد أشرك في الطاعة ويستثنى من كلامه مسألة لا يكون ترك العمل فيها لأجل الناس رياء وهي إذا كان الشخص يعلم أنه متى فعل الطاعة بحضرة الناس آذوه واغتابوه فإن الترك من أجلهم لا يكون رياء بل شفقة عليه ورحمة كما في «فتح القريب».

وقال في «شرح الطريقة»: من مكايد الشيطان أن الرجل قد يكون ذا ورد كصلاة الضحى والتهجد وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة فيقع في قوم لا يفعلونه فيتركه خوفاً من الرياء، وهذا غلط منه، إذ مداومته السابقة دليل الإخلاص فوقوع خاطر الرياء في قلبه بلا اختيار ولا قبول، لا يضر ولا يخل بالإخلاص فترك العمل لأجله موافقة للشيطان وتحصيل لغرضه نعم عليه أن لا يزيد على معتاده إن لم يجد باعثاً وقد يترك لا خوفاً من الرياء، بل خوفاً من أن ينسب إليه ويقال: أنه مراءٍ وهذا عين الرياء لأنه تركه خوفاً من سقوط منزلته عند الناس، وفيه أيضاً سوء الظن بالمسلمين، وقد يقع في خاطره أن تركه لأجل صيانتهم من الغيبة لا لأجل الفرار من المذمة وسقوط المنزلة، وهذا أيضاً سوء الظن بهم إذ صيانة الغير من المعصية إنما يكون في ترك المباحات دون السنن والمستحبات انتهى كلامه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وحبط ما صنعوا﴾ من أعمال الخير ﴿فيها﴾ في الدنيا للدنيا ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ من الأعمال وإنك كانت حقاً لأنهم عملوها لغير وجه الله وهو باطل وبه يشير إلى أن كل من يعمل عملاً يطلب به غير الله فإن عمله ومطلوبه باطل كما قال ﷺ: «أن أصدق كلمة قالتها العرب: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدسنا الله بسره الأطهر: اعلم أن الموجودات كلها وإن وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود، ولكن سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلاً من حيث أنه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم، وهذا معنى قولهم قوله باطل أي: كالباطل، لأن العالم قائم بالله لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل، والعارف إذا وصل إلى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الخلق لأنها زالت من الوجود بالكلية، ثم إذا كمل عرفانه شهد الحق تعالى والخلق معاً في آن واحد وما كل أحد يصل إلى هذا المقام فإن غالب الناس أن شهد الخلق لم يشهد الحق وإن شهد الحق لم يشهد الخلق ولا يدرك الوحدة إلا من أدرك اجتماع الضدين ولعل من

المشهد الأول قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري قدس سره: أستغفر الله مما سوى الله تعالى؛ لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته كذا في «إنسان العيون» في سيرة الأمين المأمون. قال الشيخ المغربي:

سايه هستى مى نمايد ليك اندر اصل نيست نيست را ازهست اربشناختى يابى نجات

وقال أيضاً:

بيدار شواز خواب كه اين جمله خيالات اندر نظر ديدهٔ بيدار چون خوابيست

نسأل الله سبحانه أن يكشف القناع عن وجه المقصود ويتجلى لنا بجماله في وجه كل مظهر وموجود وهو الرحيم الودود ذو الفضل والفيض والجود.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ الهمزة للإنكار والبينة الحجة والبرهان، وعلى للاستعلاء المجازي، وهو الاستيلاء والاقتدار على إقامتها والاستدلال بها، ومن شرطية أو موصولة مبتدأ حذف خبره والتقدير أفمن كان على برهان ثابت من ربه يدل على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره وهو كل مؤمن مخلص كمن ليس على بينة يعني: سواء، بل الأول على السعادة وحسن العاقبة والثاني على الشقاوة وسوء الخاتمة ﴿ويتلوه﴾ من التلو وهو التبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل فتذكير الضمير الراجع إلى البينة إنما هو بتأويل. ﴿شاهد منه﴾ أي: شاهد من الله تعالى يشهد بصحته وهو القرآن ﴿ومن قبله﴾ أي: ومن قبل القرآن الشاهد ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة فإنها أيضاً تتلو ذلك البرهان في التصديق ﴿إماماً﴾ كتاباً مؤتماً به في الدين ومقتدى وانتصابه على الحال ﴿ورحمة﴾ أي: نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم.

قال في «إنسان العيون»: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فإنها لم تشتمل على ذلك وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز انتهى ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من كان على بينة. ﴿يؤمنون به﴾ أي: يصدقون بالقرآن. ﴿ومن يكفر به﴾ [وهركه كافر شود بقرآن] ﴿من الأحزاب﴾ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ يقال: تحزبوا عليه أي: اجتمعوا ﴿فالنار موعده﴾ أي: مكان وعده الذي يصير إليه وفي جعلها موعداً إشعار بأن له فيها ما يوصف من أفانين العذاب﴿فلا تك في مرية منه﴾ أي: في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله ﴿إنه الحق من ربك﴾ الذي يربيك في دينك ودنياك ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بأن ذلك حق لا شبهة فيه إما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم، وإما لعنادهم واستكبارهم، هذا ما اختاره البيضاوي وتبعه في ذلك أكثر المفسرين.

وقال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: ما حاصله أن المراد بالبينة البرهان الدال على حقية الإسلام وهو القرآن والكون على بينة من الله عبارة عن التمسك بها ويتلوه، أي: يتبعه شاهد من القرآن شهيد بكونه من عند الله وهو إعجازه وما وقع فيه من الأخبار بالغيب أو شاهد

من الله تعالى كالمعجزات الظاهرة على يديه عليه السلام، ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعاً له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد، فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد. عطف كتاب موسى في قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد آخر من قبل هو كتاب موسى.

وقال في «التأويلات النجمية»: وحمل الآية في الظاهر على النبي ﷺ وأبي بكر أولى وأحرى فإنه عليه السلام كما كان على بينة من ربه، كان أبو بكر شاهداً يتلوه بالإيمان والتصديق يدل عليه قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] يعني: النبي عليه السلام وصدق به يعني: أبا بكر رضي الله عنه وهو الذي كان ثانيه في الغار وتاليه في الإمامة في مرضه عليه السلام حين قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وكان تاليه بالخلافة بإجماع الصحابة وكان منه حيث قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «إنهما مني بمنزلة السمع والبصر». ﴿ومن قبله﴾ أي: من قبل أبي بكر وشهادته بالنبوة كان ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة ﴿إماماً﴾ يأتم به قومه بعده، وفي أيام محمد ﷺ كما ائتم به عبد الله بن سلام وسلمان وغيرهما من أحبار اليهود؛ ولأنه كان فيه ذكر النبي ﷺ بالنبوة والرسالة. ﴿ورحمة﴾ أي: الكتاب كان رحمة لأهل الرحمة وهي الذين يؤمنون بالكتاب وبما فيه كما قال: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني: أهل الرحمة ﴿ومن يكفر به﴾ أي: بالكتاب وبما فيه ﴿من الأحزاب﴾ أي: حزب أهل الكتاب وحزب الكفار وحزب المنافقين وأن زعموا أنهم مسلمون لأن؛ الإسلام بدعوى اللسان فحسب، وإنما يحتاج مع دعوى اللسان إلى صدق الجنان وعمل الأركان. ﴿فلا تك في مرية منه﴾ أي: من أن يكون الكافر بك وبما جئت به من أهل النار، لأن الإيمان بك إيمان بي وأن طاعتك طاعتي فلا يخطرن ببالك إني من سعة رحمتي لعلي أرحم من كفر بك كائناً من كان؛ فإني لا أرحمهم لأنهم مظاهر قهري. ﴿إنه الحق من ربك﴾ أي: يكون له مظاهر صفات القهر كما يكون له مظاهر صفات اللطف. ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بصفات قهره كما يؤمنون بصفات لطفه لرجائهم المذموم ولغرورهم المشؤوم بكرم الله فإنه غرهم بالله وكرمه الشيطان الغرور انتهى.
قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق از كفرنا كزيرست آتش كرابسوز دكر بو لهب نباشد

واعلم أن حضرة القرآن إنما نزل لتمييز أهل اللطف وأهل القهر فهو البرهان النير العظيم الشأن، وبه يعلم أهل الطاعة من أهل العصيان، ولما كان الكلام صفة من الصفات القديمة له تعالى قال أهل التأويل في إشارة قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: كشف بيان من تجلي صفة من صفات ربه. ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أي: ويتبع الكشف شاهد من شواهد الحق فإن الكشف يكون مع الشهود ويكون بلا شهود. والمعنى أفمن كان على بينة من كشوف الحق وشواهده كمن كان على بينة من العقل والنقل مع احتمال السهو والغلط فيها ولذا. قال الحافظ:

عشق ميورزم واميدكه اين فن شريف چون هنرهاى دكر موجب حرمان نوشد

وقال الصائب:

طريق عقل را بر عشق رجحان مى دهد زاهد عصايى بهتر ازصد شمع كافورست اعمى را

وقال:

جمعى كه پشت كرم بعشق ازل نيند نازسمور ومنت سنجاب ميكشند

جعلنا الله وإياكم من المستبصرين لشواهد الحق وأوصلنا وإياكم إلى شهود النور المطلق وحشرنا وإياكم تحت لواء الفريق الأسبق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة: بنات الله وقولهم لآلهتهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿أولئك﴾ المفترون ﴿يعرضون على ربهم﴾ المراد عرضهم على الموقف المعد للحساب والسؤال، وحبسهم فيه إلى أن يقضي الله تعالى بين العباد، لأنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه وأسند لعرض إليهم والمقصود عرض أعمالهم، لأن عرض العامل بعمله وهو الافتراء هنا أفظع من عرض عمله مع غيبته ﴿ويقول الأشهاد﴾ عند العرض وهم الملائكة والنبيون والمؤمنون جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ المحسن إليهم والمالك لنواصيهم بالافتراء عليه وهؤلاء إشارة إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوء صنيعهم ﴿ألا لعنة الله﴾ عذابه وغضبه ﴿على الظالمين﴾ بالافتراء المذكور وفي الحديث: «أن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أيك عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم يا رب فإذا قرره بذنوبه قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين يفضحونهم بما كانوا عليه في الدنيا ويبينون أنهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم» وفي الحديث: «من سمع سمع الله به»أي: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة وفضحه على رؤوس الإشهاد وهم الملائكة الحفظة. وقيل: عموم الملائكة. وقيل: عموم الخلائق أجمعين ثم وصفهم بالصد فقال:

﴿الذين يصدون﴾ أي: يمنعون كل من يقدرون على منعه بالتحريف وإدخال الشبه. ﴿عن سبيل الله﴾ عن دين الله وطريق طاعته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ السبيل مؤنث سماعي، فلذلك أنث ضمير يبغونها يقال: بغيت الشيء طلبته وبغيتك خيراً أو شراً، أي: طلبت لك أي: ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب فيكون من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب.

قال في الإرشاد: وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم إنه ليس من عند الله ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ أي: يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم مؤمنون بها ويزعمون أن لها سبيلاً سوياً يهدون الناس إليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به، كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم.

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿أولئك﴾ الكاذبون ﴿لم يكونوا معجزين﴾ الله تعالى أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿في الأرض﴾ مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب. ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ ينصرونهم ويمنعونهم من العقاب ولكن أخر ذلك إلى اليوم تحقيقاً للإمهال كما قال تعالى: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطلاق: ١٧] والجمع باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ استئناف كأنه قيل هؤلاء الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم وعقبى حالهم؟ فقيل يضاعف لهم عذاب الأبد ضعفين. ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ النافع ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الحق والآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وليس المراد بالمضاعفة الزيادة بمرتبة واحدة لشمولها الزيادة بمراتب كما في «الحواشي السعدية». ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي الأول حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الأبصار.

﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى في «البحر» أنه على حذف مضاف، أي: راحة أو سعادة أنفسهم وإلا فأنفسهم باقية معذبة انتهى.

ولعل الإبقاء على حاله أنسب لمرام المقام وأن البقاء معذباً كلابقاء؛ إذ المقصود من البقاء انتفاع به. ﴿وضل﴾ بطل وضاع ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من إلهية الآلهة وشفاعتها.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿لا جرم﴾ فيه ثلاثة أوجه، الأول: أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله. والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل أي: حق ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ وهذا مذهب سيبويه. والثاني: أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي: كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم. والثالث: أن لا جرم بمعنى لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون وأيًا ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر.

قال الكاشفي: [بى شك وشبهه ايشان دران سراى ايشان زيانكار تر ازهمه زيانكاران چه پزستش بتانرا بپرستش خداي تعالى خريده اند ومتاع دنياي فاني را بر نعيم عقباي باقي اختيار كرده ودرين سود اغبن فاحش است]:

مايهٔ اين را بدنيا دادن ازدون همتيست
زانكى دنيا جملكى رنج است ودين آسايش است
نعمت فاني ستاني دولت باقي دهى
اندرين سودا خرد داندكه بن فاحش است

ـ وروى ـ ابن أبي الدنيا عن الضحاك أنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله: من أزهد الناس، قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من الموتى» وفي الحديث: «بادروا بالأعمال فإن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» ومن البائع دينه بالدنيا المدعي مع الله رتبة طلباً للرياسة واستجلاب

حظوظ النفس بطريق التزهد والشيخوخة وهو ملعون على ألسنة الأولياء الذين هم شهداء الله في الأرض لأنه نزل نفسه منزلة السادة الكبراء فظلم واستحق اللعنة. وفي «المثنوي»:

تـومـلاف ازمـشـك كـان بـوى پـياز ازدم تـومـيـكـنـد مـكـشـوف راز

كـلـشـكـر خـوردم هـمـى كـوئـى وبـوى مـيـزنـد ازسـيـركـه يـاوه مـكـوى

ومن أوصاف المدعين إنهم بادعائهم الشيخوخة يقطعون سبيل الله على طالبيه بالدعوة إلى أنفسهم ويمنعونهم أن يتمسكوا بذيل إرادة صاحب ولاية يهديهم إلى الحق وهم بالآخرة هم كافرون على الحقيقة لأن من يؤمن بالآخرة ولقاء الله والحساب والجزاء على الأعمال لا يجري مع الله بمثل هذه المعاملات، ولهم عذاب الضلال عن سبيل الله بطلب الدنيا والقدوة فيها وعذاب إضلال أهل الإرادة عن طريق الحق باستتباعهم وهم مؤاخذون بخسرانهم وخسران اتباعهم وبحسبان أنهم يحسنون صنعاً فهم الأخسرون.

تـرسـم نـرسـى بـكـعـبـه أي: أعـرابـي كـيـن ره كـه تـوميـروى بـتـركـسـتـانـسـت

﴿إن الذين آمنوا﴾ أي: بكل ما يجب أن يؤمن به ﴿وعملوا الصالحات﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ الإخبات الخضوع ويستعمل باللام يقال: أخبت لله واستعماله بإلى في الآية لتضمينه معنى الاطمئنان والانقطاع، والمعنى: اطمأنوا وسكنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع ﴿أولئك﴾ المنعوتون بتلك النعوت ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دائمون لم يأت هنا ضمير الفصل للإشارة ـ والله أعلم ـ إلى أن الخلود فيها ليس بمختص بهؤلاء الموصوفين، فإن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات مآله الخلود في الجنة على ما هو مذهب أهل السنة كذا في «حواشي» سعدي المفتي.

وقال في «التأويلات النجمية»: ﴿إن الذين آمنوا﴾ بطلب الله وطلبوه على أقدام المعاملات الصالحات للطلب المفيدات للوصول إلى المطلوب وأنابوا إلى ربهم بالكلية ولم يطلبوا منه إلا هو واطمأنوا به ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أي: أرباب الجنة كما يقال: رب الدار لصاحب الدار وهم مطلوبوا الجنة لا طلابها، وإنما هم طلاب الله هم فيها خالدون طلاباً.

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿مثل الفريقين﴾ الكافر والمؤمن أي: حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات.

قال ابن الشيخ: لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر المشبه مضربه بمورده، ثم يستعار للصفة العجيبة والحال الغريبة تشبيهاً لهما بالقول المذكور في الغرابة، فإنه لا يضرب إلا ما فيه غرابة ﴿كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ أي: كهؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم فإن تشبيه حال الشيء بحال شيء آخر يستلزم تشبيه الشيء الأول بالثاني فالأعمى والأصم هم الكافرون والبصير والسميع هم المؤمنون. والواو في «والأصم والسميع» لعطف الصفة على الصفة كقولك هو الجواد والشجاع فإن الأدخل في المبالغة أن يشبه الكافر بالذي جمع بين العمى والصمم كالموتى، وذلك أن الكفرة حين لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كان بصرهم كلا بصر، وسماعهم كلا سماع، فكان حالهم لانتفاء جدوى البصر والسماع كحال الموتى الذي فقدوا مصحح البصر والسمع.

قال ابن الشيخ: الأعمى إذا سمع شيئاً ربما يهتدي إلى الطريق، والأصم ربما ينتفع بالإشارة ومن جمع بينهما فلا حيلة له، وقس عليه الشخص الذي جمع بين الوصفين الشريفين اللذين هما البصر والسمع فإنه يكون بذلك على أحسن حال. وقدم الأعمى لكونه أظهر وأشهر في سوء الحال من الأصم. ﴿هل يستويان﴾ يعني الفريقين المذكورين والاستفهام إنكاري. ﴿مثلاً﴾ أي: حالاً وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان منقول من الفاعلية والأصل هل يستوي مثلهما. ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: أتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين، أو أتغفلون عنه فلا تتذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الإنكار وارداً على المعطوفين معاً أو أتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعاً إلى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب.

وفي «التأويلات النجمية» الأعمى الذي لا يبصر الحق حقا والباطل باطلاً بل يبصر الباطل حقاً والحق باطلاً. والأصم من لا يسمع الحق حقاً والباطل باطلاً بل يسمع الباطل حقاً والحق باطلاً، والبصير الذي يرى الحق حقاً ويتبعه ويرى الباطل باطلاً ويجتنبه، والسميع الذي من كان الله سمعه فيسمع به ومن أبصر بالله لا يبصر غير الله ومن سمع بالله لا يسمع إلا من الله انتهى.

يعني يسمع من الحق تعالى ولا يرى أن أحداً في الوجود يخاطبه غير الله تعالى فهو ممتثل لكل ما يؤمر به ـ حكي ـ أن خير النساج لقيه إنسان، فقال: له أنت عبدي واسمك خير فسمع ذلك من الحق سبحانه، واستعمله الرجل في النسج أعواماً ثم بعد ذلك قال: له ما أنت عبدي ولا اسمك خير.

كوشى كه بحق بازبود درهمه جاى ازهيچ سخن نشنود إلا زخداى
وان ديده كزو نور پذيرد اورا هرذره بود آيينهٔ دوست نماى

وفي كل من مقام الرؤية والسماع ابتلاء، والطالب الصادق يقف عند الحد الذي حد له فلا ينظر إلى الحرام، ولا يرتكب المحذور كشرب الخمر، وإن قيل له من لسان واحد اشرب هذه الخمر، لأن هذا القول ابتلاء من الله تعالى هل يقف عند حده أو لا فلا بد من التحقق في الطريق ليكون تابعاً لأمر مولاه لا أسيراً لشهوته وعبداً لهواه وذلك التحقق والتبعية إنما يكون ويحصل بالاجتهاد والتشبث بذيل واحد من أهل الإرشاد. وفي «المثنوي»:

آن سواريكه سپه را شد ظفر اهل دين را كيست سلطان بصر
باعصا كوران اكره ديده اند درپناه خلق روشن ديده اند
كرنه بينايان بدندى وشهان جمله كوران مرده اندى درجهان
نى زكوران كشت آيدنى درود نى عمارت نى تجارتها وسود

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الأعراف لئلا يجتمع واوان أي: بالله لقد بعثنا نوحاً وهو ابن ملك بن متوشلخ بن إدريس عليهما السلام وهو أول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما:

بعث نوح على رأس أربعين من عمره، ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة، وقيل غير ذلك ولد نوح بعد الف وستمائة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام وكانت دمشق داره ودفن في الكوفة.

وقال بعضهم: في الكرك، وقال بعضهم: في مغارة إبراهيم عليه السلام في القدس، ويقال: كان اسمه شاكراً وسمي نوحاً لكثرة نياحته على نفسه.

واختلفوا في سبب نياحته على ثلاثة أوجه، الأول: قلة رحمته حين قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] فلم يرض الله ذلك منه، والثاني: أنه مر بكلب؟ فقال: ما أقبحك من خلق فعاتبه الله على ذلك أعبتني أم عبت الكلب؟ فقام وناح على نفسه وذهب في البراري والجبال، والثالث: الميل والهوى إلى ولده ومراجعته إلى ربه حين قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] فقال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] فقام وناح على نفسه أو شفقة على الولد وخوفاً على نفسه كذا في «التبيان».

يقول الفقير عامله الله بلطفه الخطير إن بعض الزلات وإن كان سبباً للنياحة كما وقع أيضاً لداود عليه السلام وغيره إلا أن نياحة الأنبياء والأولياء إنما هي من جلال الله تعالى وهيبته الآخذة بقلوبهم فهي من صفات العاشقين وسمات العارفين، ألا ترى إلى يحيى عليه السلام لم ير أكثر نوحاً وبكاء منه في زمانه مع أنه لم يهم بذنب قط، وبكاء يعقوب عليه السلام لم يكن لمجرد فراق يوسف عليه السلام، بل كان فراقه سبباً صورياً ظاهرياً له، والله تعالى إذا أراد بكاء عبده وحنينه إلى جنابه ابتلاء بالفراق أو بالجوع أو بغيرهما كما لا يخفى على أهل القلوب وفي ذلك ترقيات له عجيبة وتجليات له غريبة، قد شاهدت هذه الحال من بعض أهل الكمال.

وههنا سؤال وهو أنه كيف يستقيم الإخبار في الأزل عن إرسال نوح عليه السلام بلفظ الماضي ونوح وقومه لم يجد بعد؟

والجواب أن هذا الإخبار بالنسبة إلى الأزل لا يتصف بشيء من الأزمنة إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى واتصافه به إنما هو بالنسبة إلى توجه الخطاب للسامع فإن كان معنى الكلام سابقاً على توجه الخطاب له كان ماضياً وإن كان معه أو بعده فالحال أو الاستقبال ﴿إني﴾ أي: فقال: لقومه إني ﴿لكم نذير﴾ مخوف ﴿مبين﴾ مظهر وذلك الإنذار على أكمل طرقه، أي: أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه بياناً ظاهراً لا شبهة فيه، ولم يقل وبشير لأن البشارة إنما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن كما اقتصر على الإنذار في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٢] تقديماً للتخلية على التحلية.

﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي: بأن لا تعبدوا على أنّ إن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا ولا ناهية، أي: أرسلناه ملتبساً بنهيهم عن الشرك.

قال في «التأويلات النجمية»: قال نوح: الروح لقومه القلب والنفس والبدن أن لا تعبدوا الدنيا وشهواتها والآخرة ودرجاتها فإن عبادة الله مهما كانت معلولة بشيء من الدنيا والآخرة فإنه عبد ذلك الشيء لا الله على الحقيقة انتهى.

ولذا قالوا: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيدة. قال الشيخ المغربي قدس سره:

درجنت ديدار تماشاى جمالت   باشد ز قصور ار بودم ميل بحورى

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ يوم القيامة أو يوم الطوفان. وأليم يجوز أن يكون صفة يوم وصفة عذاب على أن يكون جره للجوار، ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة يعني أن إسناد الأليم إلى اليوم إسناد إلى الظرف، كقولك نهاره صائم، وإسناده إلى العذاب إسناد إلى الوصف كقولك جد جده والمتألم حقيقة هو الشخص المعذب المدرك لا وصفه ولا زمانه وإذا وصفا بالتألم دل على أن الشخص بلغ في تألمه إلى حيث سرى ما به من التألم إلى ما يلابسه من الزمان والأوصاف، فالأليم: بمعنى المؤلم على أنه اسم مفعول من الإيلام، ويجوز أن يكون بمعنى المؤلم على أنه اسم فاعل وهو صفة الله تعالى في الحقيقة؛ إذ هو الخالق للألم ـ روي ـ أن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه فجاءهم يوم عيد لهم وكانوا يعبدون الأصنام ويشربون الخمور ويواقعون النساء كالبهائم من غير ستر فناداهم بصوت عالٍ ودعاهم إلى التوحيد ففزعوا، ثم نسبوه إلى الجنون وضربوه وكذبوه كما قال تعالى:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: الأشراف منهم الذين ملأوا القلوب هيبة والمجالس أبهة، ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر، لا لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ لا مزية لك علينا نخصك من دوننا بالنبوة ووجوب الطاعة ولو كان كذلك لرأيناه فالرؤية بصرية وإلا بشراً حال من المفعول ويجوز أن تكون قلبية وهو الظاهر، فإلا بشرا مفعول ثان، وتعلق الرأي بالمثلية لا بالبشرية فقط.

قال الكاشفي: [ايشان هياكل بشر ديدند وازدرك حقائق اشيا غافل ماندند] مثنوى:

همسرى باانبيا بر داشتند   اوليارا همچو خود پنداشتند
كفت اينك ما بشر ايشان بشر   ماوايشان بستهٔ خوابيم وخور
اين ندانستند ايشان ازعمى   هست فرقي درميان بى منتهى
هر دوكون زنبور خوردند ازمحل   ليك شد زان نيش وزاين ديكر عسل
هردوكون آهو كيا خوردند وآب   زاين يكى سركين شد وزان مشكناب
هر دون نى خوردند ازيك آبخور   اين يكى خالي وآن پراز شكر

والإشارة أن النفس سفلية وطبعها سفلي ونظرها سفلي والروح علوي وله طبع علوي ونظر علوي فالروح العلوي من خصائصه دعوة غيره إلى عالمه لأنه بنظره العلوي يرى شرف العبادات وعزتها ويرى السفليات وخستها وذلتها فمن طبعه العلوي يدعو السفلي إلى العلويات والنفس السفلية بنظرها السفلي لا ترى العلويات ولا تميل بطبعها السفلي إلى العلويات بل تميل إلى السفليات وترى بنظرها السفلي كل شيء سفلياً فتدعو غيرها إلى عالمها فمن هنا ترى الروح العلوي بنظر المثلية، فكذلك صاحب هذه النفس يرى صاحب الروح العلوي بنظر المثلية فيقول ما نراك إلا بشراً مثلنا فلهذا ينظرون إلى الأنبياء، ولا يرونهم بنظر النبوة بل يرونهم بنظر الكذب والسحر والجنون ويرون اتباع الأنبياء بنظر الحقارة كما قالوا: ﴿وما نراك اتبعك﴾ الرؤية إن كانت بصرية يكون اتبعك حالاً من المفعول بتقدير قد وإن كانت قلبية يكون

مفعولاً ثانياً ﴿إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ أخساؤنا وأدانينا كالحاكة والأساكفة وأهل الصنائع الخسيسة ولو كنت صادقاً لاتبعك الأكياس والأشراف من الناس. فالأراذل جمع اسم تفضيل أي: أرذل كقوله: اكابر مجرميها وأحاسنكم أخلاقاً جمع أكبر وأحسن.

فإن قلت يلزم الاشتراك إذا بين الأشراف وبينهم في مأخذ الاشتقاق الذي هو الرذالة.

قلت هو للزيادة المطلقة والإضافة للتوضيح فلا يلزم ما ذكرت، وانتصاب بادي الرأي على الظرفية على حذف المضاف أي: اتبعك وقت حدوث بادي الرأي وظاهره، أو في أول الوهلة من غير تعمق وتدقيق تفكر من البدو، أو من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وإنما استرذلوهم مع كونهم أولي الألباب الراجحة لفقرهم وكان الأشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر أهل زمانك يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم:

فلك بمردم نادان دهد زمام مراد تواهل فضلي ودانش همين كناهت بس

وما أعجب شأن أهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ولا اتباعه وقد رضوا للإلهية بحجر وعبادته.

قال في «التأويلات النجمية» أما الأراذل من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فإن الغالب على الحق أن البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالأعمال الشرعية، ولكن النفس الأمارة بالسوء تكون على كفرها، ولا تخلى البدن يستعمل بالأعمال الشرعية الدينية إلا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لأكثر الخلق ﴿وما نرى لكم﴾ أي: لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿علينا من فضل﴾ من زيادة شرف في الملك والمال تؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة، واتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا نجد بكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم.

قال في «الكواشي»: وما نرى لكم علينا من فضل لأنكم بشر تأكلون وتشربون مثلنا. ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ جميعاً لكون كلامكم واحداً ودعواكم واحدة.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

﴿قال﴾ نوح ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿أرأيتم﴾ أي: أخبروني فإن الرؤية سبب للإخبار ﴿إن كنت على بينة﴾ برهان ظاهر ﴿من ربي﴾ وشاهد يشهد بصحة دعواي. ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ هي النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أي: أخفيت تلك البينة عليكم. ﴿أنلزمكموها﴾ أي: أنلزمكم قبول تلك البينة ونوجبها عليكم ونجبركم على الاهتداء بها، وهذا استفهام معناه الإنكار يقول لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط ﴿وأنتم لها كارهون﴾ والحال أنكم لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة الدعوى إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا إن نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي: لا يكون ذلك.

قال سعدي المفتي: المراد إلزام جبر بالقتل ونحوه فأما إلزام الإيجاب فهو حاصل.

قال قتادة: لو قدر الأنبياء أن يلزموا قومهم الإيمان لألزموهم ولكن لم يقدروا:

يكى را بخوانى كه مقبول ماست يكى را برانى كه مخذول ماست

بدونيك امر ترا بنده اند بتسليم حكمت سر افكنده اند

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة وهو إن لم يذكر فمعلوم من قوله ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥-٢٦] ﴿مالا﴾ تؤدونه إلي بعد إيمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجراً لي في مقابلة اهتدائكم. ﴿إن أجري إلا على الله﴾ وهو الثواب الذي يثيبني في الآخرة، أي: ما بلغتكم من رسالة الله إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا. ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ لأنهم طلبوا منه أن يطرد من عنده من الفقراء والضعفاء حتى يجالسوه كما طلب رؤوس قريش من رسول الله ﷺ طرد فقراء المؤمنين الملازمين لمجلسه الشريف استنكافاً منهم أن ينتظموا معهم في سلك واحد. قال الحافظ:

آنچه زر ميشود از پرتو آن قلب سياه كيمياييست كه درصحبت درويشانست

وقال:

نظر كردن بدرويشان منافىء بزركى نيست

سليمان باچنان حشمت نظرها بودبامورش

قيل: إن الله تعالى اختار الفقر لرسول الله ﷺ نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله، وليدل على هوان الدنيا عند الله تعالى ﴿إنهم ملاقو ربهم﴾ يوم القيامة فيقتص لهم ممن ظلمهم كما في «الكواشي» أو إنهم فائزون في الآخرة بلقاء الله تعالى وحسن جزائه كأنه قيل: لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي، لأنهم مقربون في حضرة القدس وكيف أذل من أعزه الله تعالى. ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ ما أمرتكم به وما جئتكم به قاله أبو الليث.

وقال في «الإرشاد»: تجهلون بكل ما ينبغي أن يعلم، ويدخل فيه جهلهم بلقائه تعالى وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله تعالى.

﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾ يدفع عني غضب الله تعالى ويمنعني من انتقامه ﴿إن طردتهم﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة من الكرامة والزلفى ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور، فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتون بمعزل من الصواب، وفي الحديث: «حب الفقراء والمساكين من أخلاق الأنبياء والمرسلين وبغض مجالستهم من أخلاق المنافقين».

والإشارة يقول نوح الروح للنفس من يمنعك من عذاب الله تعالى وقهره إن منعت البدن من الطاعة والعبودية واقتصر على مجرد إيمان النفس وتخلقها بأخلاق الروح، كما هو معتقد أهل الفلسفة وأهل العناد فإنهم يقولون إن أصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن والتحلية بالأخلاق الحميدة فلا عبرة للأعمال البدنية كذبوا والله وكذبوا الله ورسوله فضلوا كثيراً، والقول ما قال المشايخ رحمهم الله: الظاهر عنوان الباطن وقال النبي ﷺ: «لا يستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم أعماله»

يعني أركان الشريعة تسري إلى الباطن عند استعمال الشريعة في الظاهر وإن الله تعالى أودع النور في الشرع والظلمة في الطبع وإنما بعث الأنبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات الطبع إلى نور الشرع.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ولا أقول لكم﴾ حين أدعي النبوة ﴿عندي خزائن الله﴾ أي: عندي رزق الله وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم، وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أعز من أن تنال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه.

قال سعدي المفتي: يعني: لا أدعي وجوب اتباعي بكثرة المال والجاه الدنيوي حتى تنكروا فضلي وإنما أدعي وجوبه، لأني رسول الله وقد جئت ببينة تشهد على ذلك ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي: لا أدعي في قولي ﴿إني لكم نذير مبين﴾ ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾، العلم على الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد.

وقال سعدي المفتي: الظاهر أنهم حين ادعى النبوة سألوه عن المغيبات وقالوا: إن كنت صادقاً في دعواك فأخبرنا عن كذا وكذا، فقال: أنا أدعي النبوة وقد جئتكم بآية من ربي ولا أعلم الغيب إلا بإعلامه ولا يلزم من أن يكون سؤالهم مذكوراً في النظم أن سؤال طردهم كذلك ﴿ولا أقول﴾ لكم ﴿إني ملك﴾ حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل من مبادئها. يعني إنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئاً من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها، وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر. ﴿ولا أقول﴾ مساعدة لكم كما تقولون ﴿للذين تزدري أعينكم﴾ زراه إذا عابه واستصغره أي: لأجل المؤمنين الذي تزدريهم أعينكم لفقرهم وفي شأنهم، ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس لن يؤتيكم بكاف الخطاب، وإسناد الازدراء إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادىء الرؤية من غير رؤية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم. قال السعدي:

معانيست درزير حرف سياه	چودر پرده معشوق ودرميغ ماه
پسنديده ونغز بايد خصال	كه گاه آيد وكه رود جاه ومال

يقول الفقير: الظاهر أن إسناد الازدراء إلى الأعين إنما هو بالنسبة إلى ظهوره فيها كما يقال: فلان نظر إلى فلان بعين التحقير دون عين التعظيم، وهذا لا ينافي كونه من صفات القلب في الحقيقة ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خير الدارين وقد وقع كما قال، فإن نطق الأنبياء عليهم السلام إنما هو من الوحي والإلهام حيث أورثهم الله أرضهم وديارهم بعد عزتهم ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ من الإيمان والمعرفة ورسوخهم فيه ﴿إني إذاً﴾ أي: إذ قلت ذلك ﴿لمن الظالمين﴾ لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم، أو من الظالمين لأنفسهم، بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم. وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم» المراد أخوة الإسلام «لا يظلمه» بنقصه حقه أو بمنعه إياه «ولا يخذله» بترك الإعانة والنصرة إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه «ولا يحقره» أي: لا يحتقره ولا يستكبر عليه. والاحتقار بالفارسية [خوارداشتن] «التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا» ويشير إلى صدره، وأصل التقوى الاجتناب والمراد ههنا اجتناب المعاصي وكأن المتقي يتخذ له وقاية من عذاب الله تعالى بترك المخالفة. وقوله ههنا إشارة إلى أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته فمن كانت التقوى في قلبه فلا ينظر إلى أحد بعين الحقارة «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» يعني: يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» العرض موضع المدح والذم من الإنسان كما في «فتح القريب».

وقال ابن الملك: عرض الرجل: جانبه الذي يصونه.

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾ أي: أطلته، والمجادلة روم أحد الخصمين إسقاط كلام صاحبه وهو من الجدل وهو شدة القتل ﴿فائتنا بما تعدنا﴾ أي: تعدنا من العذاب المعجل. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك تؤثر فينا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ عاجلاً أو آجلاً وليس موكولاً إليّ ولا مما يدخل تحت قدرتي، وفيه إشارة إلى أن وقوع العذاب بمشيئة الله لا بالأعمال الموجبة للوقوع ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعون في الكلام.

قال الإمام: فإن أحداً لا يعجزه أي: يمنعه مما أراد يفعله والمعجز هو الذي يفعل ما عنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بأنه أعجزه فقوله تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: لا سبيل لكم إلى أن تفعلوا ما عندكم فيمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم.

﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل أو قول وحقيقته الخاصة إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش، وقيل هو إعلام موضع الغي ليتقي. وموضع الرشد ليقتفي ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه، والتقدير إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دالة على ما حذف من جواب قوله تعالى ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، وفيه إشارة إلى أن نصح الأنبياء ودعوتهم لا تفيد الهداية مع إرادة الله الغواية والكل بيد الله تعالى. قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نگاه برمن مست ... كه نيست معصيت وزهد بي مشيت او

يقول الفقير: قد سبق أن نوحاً عليه السلام وصفهم بالجهل والجاهل لا ينفع فيه النصح والوعظ كما في «المثنوي»:

پند گفتن با جهول خوابناك ... تخم افكندن بود درشوره خاك

چاك حمق وجهل نپذيرد رفو تخم حكمت كم دهش اي پندكو

﴿هو ربكم﴾ خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته ﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم لا محالة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أم يقولون﴾ قوم نوح ﴿افتراه له﴾ الضمير المستتر المرفوع لنوح عليه السلام والبارز للوحي الذي بلغه إليهم. ﴿قل﴾ يا نوح ﴿إن افتريته﴾ بالفرض البحت فهو لا يدل على أنه كان شاكاً بل هو قول يقال: على وجه الإنكار عند اليأس من القبول ﴿فعليّ إجرامي﴾ أي: وبال إجرامي وهو كسب الذنب فالمضاف محذوف، وإن كنت صادقاً فكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب فحذف لدلالة قوله تعالى: ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ عليه، أي: من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي. وفيه إشارة إلى أن ذنوب النفس لا تنافي صفاء الروح ولا يتكدر الروح بها ما دام متبرئاً منها لكن كل من القوى يتكدر بما قارفه من ذنوب نفسه، فالجهل يكدر الروح والميل إلى ما سوى الله تعالى يكدر القلب، والهوى يكدر النفس والشهوة تكدر الطبيعة.

فعلى العاقل تجلية هذه المرائي وتصقيلها له تعالى والتوجه إلى الحضرة العلياء والعمل على وفق الهدى وترك المشتهيات.

قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: الإنسان، إما حيواني وهم الذين غلب عليهم أوصاف الطبيعة وأحوال الشهوة، وإما شيطاني وهم الذين غلب عليهم أوصاف النفس وأحوال الشيطنة، وإما ملكي وهم الذين غلب عليهم أوصاف الروح وأحوال الملكية، وإما صاحب الجانبين وهم الذين استوى واشترك فيهم وصف الطبيعة والنفس ووصف الملكية والروح. وإما رحماني وهم الذين غلب عليهم وصف السر وحاله ثم الثلاثة الأول من يخرج منهم بالإيمان من الدنيا فهم يدخلون الجنة بالفضل أو بعد إقامة العدل وهم أصحاب اليمين وأرباب الجمال، ومن يخرج من الدنيا بلا إيمان فيدخلون الجحيم بالعدل وهم أصحاب الشمال وأرباب الجلال، والرابع: من يخرج منهم بالإيمان فهم أهل الأعراف والخامس: هم أرباب الكمال السابقون المقربون وما منا إلا له مقام معلوم ورزق مقسوم، ثم الحيوانيون بعدما خرجوا من الدنيا يحشرون مع الشياطين والملكيون يحشرون مع الملائكة وأصحاب الجانبين يحشرون بين الطرفين والرحمانيون يحشرون مع قرب الرحمن قال عليه السلام: «تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون» انتهى كلامه.

قال يحيى بن معاذ الرازي: الناس ثلاثة أصناف، رجل شغله معاده عن معاشه. ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً فالأول: درجة الفائزين، والثاني: درجة الهالكين، والثالث: درجة المخاطرين وفي الحديث: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس» قالوا يا رسول الله: كيف كانوا أعقل الناس؟ قال: «كانت همتهم المسابقة إلى ربهم والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا في الدنيا وفي رياستها، وفي فضولها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلاً، واستراحوا طويلاً».

تاكى م دنياي دنى اي دل دانا حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك﴾ أي: المصرين على الكفر، وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه **﴿إلا من قد آمن﴾** إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: هذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقد سبق في أواخر سورة النساء.

وقال سعدي المفتي: إن قيل من قد آمن لا يحدث الإيمان بل يستمر عليه فكيف صح اتصال الاستثناء؟ قلنا قد تقرر أن لدوام الأمور المستمرة حكم الابتداء ولهذا لو حلف لا ألبس هذا الثوب وهو لابسه فلم ينزعه في الحال يحنث ومبنى الأيمان على العرف.

وقال القطب العلامة: **﴿إلا من قد آمن﴾** قد استعد للإيمان وتوقع منه ولا يراد الإيمان بالفعل وإلا لكان التقدير إلا من قد آمن فإنه يؤمن. **﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾** هو تفتعل من البؤس ومعناه الحزن في استكانة وهي الخضوع، أي: لا تحزن حزن بائس مستكين، ولا تغتم بما كانوا يتعاطون من التكذيب والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم، وعن النبي ﷺ إنه قال: «إن نوحاً كان إذا جادل قومه ضربوه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» انتهى.

ولما جاء هذا الوحي من عند الله تعالى دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. وفي «المثنوي»:

نا حمولى انبيارا از امر دان ... ورنه حمالست بدرا حلمشان

طبع را كشتند اندر حمل بد ... نا حمولى كر كند از حق بود

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أول ما يتخلق المتخلق بعدم التأذي بأذى الأنام باحتماله صبراً، وواسطته أن لا يجدهم مؤذين لأنه موحد فيستوي عنده المسيء والمحسن في حقه، وخاتمته أن يرى المسيء محسناً إليه فإنه عالم بالحقائق متحقق بالتجلي الإلهي وهي بداية التحقيق.

والإشارة في الآية أن نوح الروح لا يؤمن من قومه إلا القلب والسر والبدن وجوارحه، فأما النفس فإنها لا تؤمن أبداً اللهم إلا نفوس الأنبياء وخواص الأولياء، فإنها تسلم أحياناً دون الإيمان وحال النفوس كأحوال الأعراب، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فإن معدن الإيمان القلوب ومظهر الإسلام النفوس، لأن الإسلام الحقيقي الذي قال تعالى فيه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] هو ضوء قد انعكس من مرآة القلب المنور بنور الإيمان فأما إسلام الأعراب إذ قال تعالى لهم: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] لم يكن ضوءاً منعكساً من مرآة القلب المنور ولكن هو ضوء منعكس من النور المودع في كلمة التوحيد والأعمال الصالحة عند إتيانها بالصدق علم أن إيمان الخواص ينزل من الحق تعالى بنظر عنايته على القلوب القابلة للفيض الإلهي بلا واسطة وإيمان العوام يدخل في قلوبهم من طريق الإقرار باللسان والعمل بالأركان **﴿فلا تبتئس﴾** على نفوس السعداء **﴿بما كانوا يفعلون﴾** من أعمال

الشر فإنها لهم كالجسد للأكسير ينقلب ذهباً مقبولاً عند طرح الروح فلذلك تنقلب أعمال الشر خيراً عند طرح التوبة عليها كما قال تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿ولا تبتئس﴾ على نفوس الأشقياء ﴿بما كانوا يفعلون﴾ لأنها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوهم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿واصنع الفلك﴾ [چون فائدهٔ دعوت از ايشان منقطع كشته زمان نزول عذاب در رسيد حكم شدكه أي نوح ميان اجتهاد دبربند وبساز كشتي را] والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها. واللام إما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بالوحي إليه أنه سيهلككم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس، والصنعة بالفارسية [كاركردن] والمراد ههنا نجر الخشب أي: نحته ليتحصل منه صورة السفينة ﴿بأعيننا﴾ العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل بل هي سبب لحفظ الشيء فعبر بها عنه مجازاً وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة والكثرة أسباب الحفظ والرعاية فالأعين في معنى محفوظاً على أنه حال من فاعل اصنع، أي: اصنعه محفوظاً من أن يمنعك أحد من أعدائك عن ذلك العمل وإتمامه ومن أن تزيغ في صنعته عن الصواب.

وقال الكاشفي: [بأعيننا بنكاه داشتن ما يا باعين ملائكة كه مدد كار وموكل تواند] يقول الفقير: الأول أنسب لما في سورة الطور من قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أي: في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك واتحاد القضية ليس بشرط ﴿ووحينا﴾ إليك كيف نصنعها وتعليمنا وإلهامنا، أي: موحى إليك كيفية صنعتها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر بالفارسية [چون سينهٔ مرغ وبراو] فأخذ القدوم وجعل يضرب ولا يخطىء [ودر اخبار آمده كه نوح عليه السلام چوب كشتى بطلبيد فرمان برسيد تادرخت ساج بكاشت ودرمدت بيست سال كه درخت برسيد مطلقاً هيچ فرزند متولد نشد تا اطفال قوم بالغ شدند وايشان نيز متابعت آبا كرده از قبول دعوت نوح أبا كردند پس نوح بساختن كشتى اشتغال فرمود] ونحتها في سنتين واستأجر أجراء ينحتون معه، وقيل في أربعمائة سنة.

ومن الغرائب ما في «حياة الحيوان» من أن أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام قال: يا رب أمرتني أن أصنع الفلك وأنا في صناعته أصنع أياماً فيجيئون بالليل فيفسدون كل ما عملت، فمتى يلتئم لي ما أمرتني به قد طال عليّ أمري؟ فأوحى الله تعالى إليه يا نوح اتخذ كلباً يحرسك فاتخذ نوح كلباً، وكان يعمل بالنهار وينام بالليل فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل ينبحهم الكلب فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب إليهم فينهزمون منه فالتأم ما أراد وفعل السفينة برشاد. وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين خرد ليك صاحب وحى تعليمش دهد

جمله حرفتها يقين از وحى بود اول أو ليك عقل آنرا فزود
هيچ حرفت را ببين كين عقل ما ماند أو آموختن بي اوستا
كرچه اندر فكرموى اشكاف بد هيچ پيشه رام بى اوستا نشد

وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع والذراع إلى المنكب وعرضها خمسين ذراعاً وسمكها أي: ارتفاعها في الهواء ثلاثين ذراعاً وبابها في عرضها أو كان طولها ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع كما قيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال: أتدرون من هذا قالوا: ـ الله ورسوله أعلم ـ قال: هذا كعب بن حام فضرب بعصاه وقال: قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى: أهكذا هلكت قال: لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال: حدثنا عن سفينة نوح قال: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال: عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد تراباً.

قال في «الكواشي»: وطلاها بالقار فلما أتمها أنطقها الله فقالت: لا إله إلا الله في الأولين والآخرين، أنا السفينة التي من ركبني نجا ومن تخلف عني هلك ولا يدخلني إلا أهل الإيمان والإخلاص فقال قومه: يا نوح هذا قليل من سحرك. **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾** أي: لا تراجعني فيهم ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم، وفي وضع المظهر موضع المضمر تسجيل عليهم بالظلم ودلالة على أنه إنما نهى عن الدعاء لهم بالنجاة لتصميمهم على الظلم وأن العذاب إنما لحقهم لذلك **﴿إنهم مغرقون﴾** محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين.

ويقال: للذين ظلموا يعني: ابنه كنعان كما في «تفسير» أبي الليث وزاد في «التبيان» امرأته والعة أو واعلة بالعين المهملة وهي أم كنعان.

يقول الفقير لعله هو الأصوب لأنه روي أن الأرض صاحت وقال: يا رب ما أحلمك على هؤلاء الكفرة يمشون على ظهري ويأكلون رزقك ويعبدون غيرك ثم نطقت السباع كذلك، فلما اشتد الأمر وعلم نوح أنه لا يؤمن من قومه أحد بعد دعا عليهم بالهلاك، فكيف يخاطب الله فيهم وفي نجاتهم. وأما كنعان وأمه فهما وإن كانا كافرين لكن لا يسوي بينهما وبينهم من حيث إن الشفقة على الأهل والأولاد أشد وكان من شأنه المخاطبة في حقهم ولذلك نهي عنها وسيجيء زيادة البيان في ذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾** أي: النفوس فإن الظلم من شيمتها إنه كان ظلوماً جهولاً؛ لأنها تضع الأشياء في غير موضعها تضع عبادة الحق في هواها والدنيا وشهواتها، وفي هذا الخطاب حسم مادة الطمع عن إيمان النفوس، وفيه حِكَم يطول شرحها منها ترقي أهل الكمالات إلى الأبد فافهم جداً، وإن النفس مكمن مكر الحق حتى لا تأمن منها ومن صفاتها إنهم مغرقون في طوفان الفتن إلا من سلمة الله منه والسلامه في ركوب سفينة الشريعة، فإن نوح الروح إن لم يركبها كان من المغرقين انتهى. وفي الحديث: «مثلي ومثل أمتي كمثل سفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق» وفي «المثنوي»:

بهر اين فرمود پيغمبر كه من همچو كشتى ام بطوفان زمن
ما وأصحابيم چون كشتىء نوح هركه دست اندر زند يابد فتوح
چونكه باشيخى تودور از زشتىء روز وشب سيارى ودركشتىء
مكسل از پيغمبر ايام خويش تكيه كم كن برفن وبركام خويش
كرچه شيرى چون روى ره بى دليل خويش روبه در ضلالي وذليل

﴿ويصنع الفلك﴾ ينجرها، وهي حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة، ﴿وكلما﴾ أي: يصنعها والحال أنه كلما ﴿مر عليه ملأ﴾ أشراف ورؤساء ﴿من قومه سخروا منه﴾ استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فقالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: اصنع بيتاً يمشي على الماء فتعجبوا من قوله وسخروا منه، وإما لأنه كان يصنعها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء في وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً ويقولون أتجعل للماء إكافاً فأين الماء؟ أو لأنه كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عيناً ولا أثراً عدوه من باب المحال، ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع إنكار أن يكون لعمله عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة.

من اكرنيكم وبدتو برو وخودرا باش هر كسى آن درود عاقبت كاركه كشت

قوله ﴿كلما﴾ ظرف وما مصدرية ظرفية تقديره وكل وقت مرور سخروا منه والعامل سخروا منه ﴿قال﴾ استئناف كأن سائلاً سأل، فقال: فما صنع نوح عند بلوغ أذاهم الغاية فقيل: قال: ﴿إن تسخروا منا﴾ [اكر سخريه وافسوس ميكنيد باما] ﴿فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة.

قال المولى أبو السعود رحمه الله: أي: نعاملكم معاملة من يفعل ذلك؛ لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة انتهى.

يقول الفقير: المقصود من هذه السخرية إصابة جزاء السخرية، وكل أحد إنما يجازي من جنس عمله لا من خلاف جنسه ألا ترى إلى قوله تعالى في حق الصائمين، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤] فإنه يقال: لهم يوم القيامة كلوا يا من جوعوا بطونهم واشربوا يا من عطشوا أكبادهم، ولا يقال: كلوا يا من قطعوا الليل واشربوا يا من ثبتوا يوم الزحف، إذ ليس فيه المناسبة بين العمل وجزائه فالآية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين: ٢٩] ألا ترى إلى ما قال في «الجزاء»: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطففين: ٣٤] ثم تمم بقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦].

وفي الآية إشارة إلى أن أهل النفس وتابعي هواها يستهزئون بمن يستعمل أركان الشريعة الظاهرة ويضحكون منهم في إتعابهم بها نفوسهم إذ هم بمعزل عن أسرارها وأنوارها فإن سخروا منهم بجهلهم لفائدة هذه السفينة فسوف يسخر بهم من ركبها إذ نجوا وهلكوا.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة: فكما أن العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطروحين عن باب الله تعالى فكذلك العارف الغير العامل والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين عن باب الله تعالى، لأن مجرد العلم والمعرفة ليس بسبب القبول والفلاح ما لم يقارن العمل بالكتاب والسنة بل كون مجردهما سبب الفلاح مذهب الحكماء

الغير الإسلامية فلا بد معهما من العمل حتى يكونا سبباً للنجاة كما هو مذهب أهل السنة والحكماء الإسلامية انتهى كلامه المقبول المفيد:

كاري كنيم ورنه حجالت بر آود   روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم

قال السعدي قدس سره:

كنون كوش كآب از كمر در كذشت   در وقت سيلابت از سر كذشت

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فسوف تعلمون من﴾ عبارة عنهم وهي إما استفهامية في حيز الرفع، أو موصولة في محل النصب بتعلمون، وما في حيزها ساد مسد المفعولين.

قال سعدي المفتي من موصولة ويعدى تعلمون إلى واحد استعمالاً لها استعمال عرف في التعدية إلى واحد ﴿يأتيه عذاب﴾ وهو عذاب الغرق، ﴿يخزيه﴾ يهينه ويذله وصف العذاب بالإخزاء، لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة. ﴿ويحل عليه﴾ حلول الدين الذي لا انفكاك عنه، ففي الكلام استعارة مكنية حيث شبه العذاب الأخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدَّين المؤجل الواجب الحلول، وأثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ﴿عذاب مقيم﴾ دائم هو عذاب النار.

﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ للتنور بالفوران أو للحساب بالإرسال وحتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع فإن كونها حرف ابتداء لا ينافي كون ما بعدها غاية لما قبلها. والمعنى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الطوفان ﴿وفار التنور﴾ [وبجوشيد آب ازتنور] والتنور اسم أعجمي عربته العرب لأن أصل بنائه تنر وليس في كلام العرب نون قبل راء ذكره القرطبي أي: نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها، والتنور: تنور الخبز لأهله وهو قول الجمهور ـ روي ـ أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب، وقيل: كان تنور آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح وإنما نبع منه وهو أبعد شيء من الماء على خرق العادة، واختلفوا في مكان التنور أيضاً فقيل كان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب الكنيسة؛ وكان عمل السفينة في ذلك الموضع، وفي «القاموس»: الغارقون مسجد الكوفة لأن الغرق كان فيه، وفي زاوية له فار التنور، وقيل: في الهند، وقيل: في موضع بالشام يقال له: عين وردة وقيل: التنور وجه الأرض أو أشرف موضع في الأرض، أي: أعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ﴿قلنا﴾ جواب إذا وإن جعلت حتى جارة متعلقة بيصنع فإذا ليست بشرطية، بل مجرورة بحتى وقلنا استئناف. ﴿احمل فيها﴾ الضمير راجع إلى الفلك والتأنيث باعتبار السفينة ﴿من كل﴾ أي: من كل نوع من الحيوانات لا بدّ منه في الأرض ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] مفعول احمل واثنين صفة مؤكدة له وزيادة بيان كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] والزوجان عبارة عن كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، ويقال: لكل واحد منهما زوج يقال: وزوج خف وزج نعل.

قال في «الإرشاد»: الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للأنثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولإزالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج الآخر وقدم ذلك على أهله وسائر المؤمنين لأنه إنما يحمل بمباشرة البشر وهم إنما يدخلونها بعد حملهم إياه ـ روي ـ أن نوحاً قال: يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين، فحشر الله إليه السباع والطير فجعل يضرب يديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة.

قال الحسن: لم يحمل في السفينة إلا ما يلد ويبيض، وأما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيئاً.

قال الشيخ السمرقندي في «بحر الكلام»: وأول ما حمل نوح الذرة وآخر ما حمله الحمار فلما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح: ادخل والشيطان معك، فلما قالها نوح: خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل أدخل والشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: ما لك بدّ من أن تحملني معك وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك انتهى.

وقال في «إن إبليس أراد أن يدخل السفينة فلم يمكن أن يدخل من غير إذن فتعلق بذنب حمار وقت دخوله في السفينة فلم يدخل الحمار في السفينة فألح عليه نوح عليه السلام فقال نوح للحمار: ادخل يا ملعون فدخل الحمار السفينة ودخل معه إبليس فلما كان بعد ذلك رأى نوح إبليس في السفينة فقال له: دخلت السفينة بغير أمري فقال له: إبليس ما دخلت إلا بأمرك فقال له: فأنا ما أمرتك فقال: أمرتني حين قلت للحمار ادخل يا ملعون ولم يكن ثمة ملعون إلا أنا فدخلت فتركه، وفي الحديث: «إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً» قالوا: صوت كل حيوان تسبيح منه إلا الحمار فإن صوته من رؤية الشيطان وذلك يدل على كمال دناءته في نفسه، ولذا تعلق الشيطان بذنبه وجاء صديقاً له، وأما الديك فهو عدو له لأنه يصيح في أوقات الصلاة عند استماع صوت ديك العرش ولا بعد في تفاوت الحيوانات العجم كالإنسان وقد صح أن البغال كانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم عليه السلام ولذلك دعا عليها فقطع الله نسلها وإن الوزغ كان ينفخ في ناره ولذا ورد «من قتل وزغة في أول ضربة كتبت له مائة حسنة».

قال في «حياة الحيوان»: إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق أحد لم يزل ينكب في أهله وماله.

وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما ركب نوح عليه السلام في السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فيكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، قال نوح: اخرج يا عدو الله فقال إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى إلى نوح إنه لا حاجة بك إلى الثلاث مره يحدثك بالثنتين قال: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً والحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص. وفي «المثنوي»:

حـرص تـودكـار بـدچـون آتـشـسـت اخكـر ازرنـك خـوش آتـش خـوشـسـت
آن سـيـاهـئ فـحـم در آتـش نـهـان چـون شـد آتـش آن سـياهـى شـد عـيـان
اخكـراز حـرص تـوشـد فـحـم سـياه حـرص چـون شـد مـانـد آن فـحـم تـباه
آن زمـان آن فـحـم احـكـر مـيـنـمـود آن نـه حـسـن كـارنـار حـرص بـود
حـرص كـارت را بـيـار اثـيـده بـود حـرص رفـت ومـانـد كـار تـوكـبـود

وقيل: إن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا فقال: أنتما سبب الضرر والبلاء فلا احملكما قالتا: احملنا فنحن نضمن لك لا نضر أحداً فمن قرأ حين خاف مضرتهما ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضرتاه.

وعن وهب بن منبه أمر نوح بأن يحمل من كل زوجين اثنين قال: يا رب كيف أصنع بالأسد والبقرة وبالعناق والذئب وبالحمام والهرة قال: يا نوح من ألقى بينهم العداوة؟ قال: أنت يا رب قال: فإني أؤلف بينهم حتى يتراضوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كثر الفار في السفينة حتى خافوا على حبال السفينة فأوحى الله تعالى إلى نوح أن امسح جبهة الأسد فمسحهما فعطس فخرج منها سنوران فأكلا الفار وكثرت العذرة في السفينة، فشكوا إلى نوح فأوحى الله تعالى أن امسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران فأكلا العذرة وفي خبر آخر خنزير واحد، ودل خبر وهب على أن الهرة كانت من قبل وهذا الخبر على إنها لم تكن من قبل إلا أن يقال: إن قصة التأليف وقعت بعد خروج الهرة من أنف الأسد والله أعلم ﴿**وأهلك**﴾ عطف على زوجين والمراد امرأته المؤمنة فإنه كان له امرأتان أحدهما مؤمنة والأخرى كافرة وهي أم كنعان وبنوه ونساؤهم ﴿**إلا من سبق عليه القول**﴾ بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين والاستثناء منقطع إن أريد بالأهل الأهل إيماناً وهو الظاهر لقوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾ أو متصل أن أريد به الأهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة إلى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضاراً لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ [الصافات: ١٧١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ﴿**ومن آمن**﴾ عطف على وأهلك أي: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم وإفراد الأهل منهم للاستثناء المذكور ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾ [وإيمان نياورده بودند وموافقت نكرده بانوح مكر اندكى ازمردمان] ـ روي ـ عن النبي عليه السلام أنه قال: «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم».

قال العتبي: قرأت في التوراة أن الله تعالى أوحى إليه أن أصنع الفلك وأدخل أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك ومن كل شيء من الحيوان زوجان اثنان فإني منزل المطر أربعين يوماً وليلة فأتلف كل شيء خلقته على وجه الأرض.

وعن مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وأولاد نوح ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً وامرأة أحدهم جرهم يقال: إن في ناحية الموصل قرية يقال: لها قرية الثمانين سميت بذلك لأنهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم.

والإشارة ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ وهو حد البلاغة التي يكون العبد مأموراً بالركوب على سفينة الشريعة. ﴿وفار التنور﴾ أي: يفور ماء الشهوة من تنور القالب. ﴿قلنا احمل فيها﴾ في سفينة الشريعة. ﴿من كل﴾ صفة من صفات النفس. ﴿زوجين اثنين﴾ أي: كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة، والحرص وزوجه القناعة، والبخل وزوجه السخاوة والغضب وزوجه الحلم، والحقد وزوجه السلامة، والعداوة وزوجها المحبة، والتكبر وزوجه التواضع، والتأني وزوجه العجلة، ﴿وأهلك﴾ أي: واحمل معك أهلك صفات الروح. ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ من النفس ﴿ومن آمن﴾ أي: آمن معك من القلب والسر. ﴿وما آمن معه﴾ غالباً ﴿إلا قليل﴾ من صفات القلب فيه إشارة إلى أن كل ما كان من هذه الصفات وأزواجها في معزل عن سفينة الشريعة فهو غريق في طوفان الفتن، وهذا رد على الفلاسفة والإباحية فإنهم يعتقدون أن من أصلح أخلاقها الذميمة وعالجها بضدها من الأخلاق الحميدة فلا يحتاج إلى الركوب في سفينة الشرع ولا يعلمون أن الإصلاح والعلاج إذا صدرا من طبيعة لا يفيدان النجاة؛ لأن الطبيعة لا تعلم كيفية الإصلاح والعلاج ولا مقدار تزكية النفس وتحليتها وإن كانت الطبيعة واقفة على صلاح النفس وفسادها لعاجلتها في ابتداء أمرها وما كانت النفس محتاجة إلى طبيب عالم بالأمراض ومعالجتها وهم الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢] ليعلموا المرض من الصحة والداء من الدواء ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] والحكمة فبالتزكية عن الصفات الطبيعية يستحقون تحلية أخلاق الشريعة الربانية، كذا في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿وقال﴾ أي: نوح لمن معه من المؤمنين بعد إدخال ما أمره بحمله في الفلك من الأزواج.

قال الكاشفي: [نوح ايشانرا بنزديك كشتى آورد وسر پوشى كه ترتيب داده بود بالاي كشتى پوشيد واز زمين آب عذاب جوشيدن كرفت واز آسمان آب بلا رود آمدن آغاز كرد] - وروي - إنه حمل معه تابوت آدم وجعله معترضاً بين الرجال والنساء. ﴿اركبوا فيها﴾ أي: في السفينة وهو متعلق باركبوا وعدي بفي لتضمنه معنى ادخلوا وصيروا فيها راكبين.

قال في «الإرشاد»: الركوب العلو على الشيء المتحرك ويتعدى بنفسه، واستعماله هنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فإن أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش والسباع والهوام في البطن الأسفل من الطبقات الثلاث للسفينة، والأنعام والدواب في الأوسط وركب هو ومن معه مع ما يحتاجون إليه من الزاد في الأعلى، بل رعاية لجانب المحلية والمكانية في الفلك، والسر فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما، فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس وإن استعمل في الثاني يلوح لمحلية المفعول بكلمة في فيقال: ركبت في السفينة، قيل: إنهم ركبوا السفينة يوم العاشر من رجب وكان يوم الجمعة فاتت السفينة البيت فطافت أسبوعاً فسارت بهم مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء من محرم. ﴿بسم الله﴾ متعلق باركبوا حال من فاعله، أي: اركبوا مسمين الله أو قائلين بسم الله.

قال سعدي المفتي: كان أصل التقدير ملتبسين أو متبركين باسم الله وهو تأويل مسمين الله، أو قائلين بسم الله وعلى التقديرين فهو حال مقدرة، لأن وقت الجري والإرساء بعد الركوب، ﴿مجراها﴾ بفتح الميم من جري وبكسر الراء على الإمالة نصب على الظرفية أي: وقت جريها ﴿ومرساها﴾ أي: وقت إرسائها وحبسها وثبوتها.

وقال في «الكواشي»: بسم الله مجراها خبر ومبتدأ ومرساها عطف عليه أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها فكان عليه السلام إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست ومجراها ضماً وفتحاً مصدر أجريته وجريت به لغتان بمعنى كاذهبته وذهبت به ومرساها بضم الميم من ارست السفينة ترسى وقفت انتهى ﴿إن ربي لغفور﴾ للذنوب والخطايا ﴿رحيم﴾ لعباده ولهذا نجاكم من هذه الداهية ولولا ذلك لما فعله.

وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي أهل السنة ـ حكي ـ أن عجوزاً مرت على نوح وهو يصنع السفينة وكانت مؤمنة به فسألته عما يصنعه فقال: إن الله تعالى سيهلك الكفار بالطوفان وينجي المؤمنين بهذه السفينة فأوصت أن يخبرها نوح إذا جاء وقتها لتركب في السفينة من المؤمنين فلما جاء ذلك الوقت اشتغل نوح بحمل الخلق فيها ونسي وصية العجوز وكانت بعيدة منه ثم لما وقع ما وقع من إهلاك الكفار ونجاة المؤمنين وخرجوا من السفينة جاءت إليه تلك العجوز فقالت: يا نوح إنك قلت لي سيقع الطوفان ألم يأن أن يقع؟ قال: قد وقع وكان أمر الله مفعولاً وتعجب من أمر العجوز فإن الله تعالى قد أنجاها في بيتها من غير ركوب السفينة ولم تر الطوفان قط وهكذا حماية الله تعالى لعباده المؤمنين.

وقد صح عن بعض أهل الكشف أن موضع الجامع الكبير في بلدة بروسه كان بيتاً للعجوز المذكورة كما في «الواقعات المحمودية». وفي «المثنوي»:

كاملان ازدور نامت بشنوند تا بقعرباد وبودت درروند
بلكه پيش از زادن توسالها ديده باشندت ترا باحالها
هركسى اندازهٔ روشن دلى غيب را بيند بقدر صيقلى

والإشارة أن سفينة الشريعة معمولة للنجاة لراكبيها من طوفان فتن النفس والدنيا والأمر بالركوب في قوله تعالى: ﴿اركبوا فيها﴾ يشير إلى كشف سر من أسرار الشريعة، وهو أن من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الآباء والاستاذين لم ينفعه للنجاة الحقيقية، كما ركب المنافقون بالطبع لا بالأمر فلم ينفعهم، وكما ركب إبليس في سفينة نوح فلم ينفعه وإنما النجاة لمن ركب فيها بالأمر وحفظاً لأدب المقام قال: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ أي: يكون مجريها من الله ومرساها إلى الله كقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] ﴿إن ربي لغفور﴾ بالنجاة لمن ركبها ﴿رحيم﴾ لمن ركبها بالأمر لا بالطبع كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٤٢﴾

﴿وهي﴾ أي: الفلك ﴿تجري﴾ حكاية حال ماضية ﴿بهم﴾ حال من فاعل تجري أي: وهم فيها، أي: ملتبسه بهم ولك أن تجعل الباء للتعدية يقال: أجريته وجريت به كأذهبته

وذهبت به فالمعنى بالفارسية [همى برد ايشانرا] والجملة عطف على محذوف دل عليه الأمر بالركوب أي: فركبوا فيها مسمين وهي تجري بهم. ﴿في﴾ خلال ﴿موج﴾ يعني: موج الطوفان والطوفان من كل شيء ما كان كثيراً مطيفاً بالجماعة كالمطر الغالب في هذا المقام. والموج جمع موجة وهو ما ارتفع من الماء إذا اشتد عليه الريح. ﴿كالجبال﴾ شبه كل موجة من ذلك بالجبل في عظمها وارتفاعها على الماء وتراكمها وظاهره يدل على أن السفينة تجري داخل الموج ولكن المراد أن الأمواج لما أحاطت السفينة من الجوانب شبهت بالتي تجري في داخل الأمواج.

فإن قلت: إن الماء ملأ ما بين السماء والأرض وإذا كان كذلك لم يتصور الموج فيه فما معنى جريها فيه.

قلت: هذا الجريان كان قبل أن يغمر الطوفان الجبال ثم كانت السفينة تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة كما قالوا: ولا يلزم الغرق لأن الله تعالى قادر على إمساك الماء عن الدخول في السفينة ألا ترى إلى الحوت الذي اتخذ سبيله في البحر سرباً [يعني هرجاكه ماهي ميرفت اب بالاي ومرتفع مى ايستاد] ومثله من الخوارق فلق البحر لموسى عليه السلام وقومه وجعله تعالى في الماء كوى متعددة ﴿ونادى﴾ [وآوازداد] ﴿نوح ابنه﴾ قيل: اسم ابنه كنعان، وقيل: يام واختلفوا أيضاً في أنه كان ربيبه أو ابنه لظهره فذهب أكثر علماء الرسوم إلى الأول لأن ولد الرسول المعصوم يستبعد أن يكون كافراً ولقراءة علي رضي الله عنه «ابنها» على أن يكون الضمير لامرأته واعلة بالعين المهملة أو والعة كما في «التبيان» ولقوله: ﴿إن ابني من أهلي﴾ دون أن يقول مني. وذهب بعضهم وجمهور علماء الحقيقة قدس الله أسرارهم إلى الثاني لقوله تعالى: ﴿ابنه﴾ وقول نوح ﴿يا بني﴾.

يقول الفقير: أما قولهم ولد الرسول يستبعد أن يكون كافراً فمنقوض بابن آدم، وهو قابيل والله تعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وعلى هذا تدور حكمته في مظاهر جلاله وجماله وإذا ثبت أن والدي الرسول ووالد إبراهيم عليهما الصلاة والسلام كانوا كافرين فكيف يبعد أن يكون ولد نوح كافراً. وإما قراءة علي رضي الله عنه فإنما أسند فيها الابن إلى الأم لكونها كافرة مثله عادلة عن طريقة نوح فحق أن ينسب الكافر إلى الكافر لا إلى المؤمن لا لأنه أي: علياً اعتبر قوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ فإنه وهم. وأما قوله: ﴿إن ابني من أهلي﴾ فلموافقة قوله تعالى: ﴿وأهلك﴾ كما لا يخفى.

فإن قيل: إنه عليه السلام لما قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] كيف ناداه مع كفره.

أجيب: بأن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء. والذي تقدم من قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ كان كالمجمل فلعله جوز أن لا يكون هو داخلاً فيه كذا في «حواشي» ابن الشيخ ﴿وكان﴾ ابنه ﴿في معزل﴾ مكان منقطع عن نوح وعن دينه لكونه كافراً كما في «الكواشي».

وقال في «الإرشاد»: أي: في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وإخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج إلى النداء المذكور وهو في محل النصب على أنه حال من ابنه والحال يأتي من المنادى لأنه مفعول به، والمعزل: بكسر الزاي اسم لمكان العزل وهو التنحية

والإبعاد يقال: عزله عنه إذا أبعده [پس ازفرط شفقت كفت]. ﴿يا بني اركب معنا﴾ بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج [اي پسرك من سوار شود ركشتى باما تاايمن شوى]. ولم يقل اركب في الفلك لتعينها مع إغناء المعية عن ذكرها ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ فتهلك مثلهم، أي: لا تكون معهم في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لا في الدين، وإن كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه كونه معه في الإيمان؛ لأنه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر كذا في الإرشاد.

يقول الفقير: الذي يلوح أن المعنى وكان في معزل أي: بمكان عزل فيه نفسه عن أبيه بناء على ظن أن الجبل يعصمه من الغرق يا بني اركب معنا بأن تؤمن بالله ونعوت جماله وجلاله ولا تكن مع الكافرين، أي: منهم، لأنه إذا كان معهم مصاحباً لهم فقد كان منهم وبعضهم، كقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فإن قلت قوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ يقطع رجاء الإيمان فكيف نادى نوح ابنه في إيمانه.

قلت: ذلك ليس بنص في حق ابنه مثل قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ مع أنه من شأن الكمل أنه لا يستحيل عندهم مطلوب إلى أن يخبرهم الحق بإخبار مخصوص فحينئذٍ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالة حصول ذلك المطلوب كحال موسى عليه السلام في طلب الرؤية لما أخبر بتعذر ذلك تاب وآمن.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قال﴾ ابنه ﴿سآوي﴾ أصير وألتجىء ﴿إلى جبل﴾ من الجبال ﴿يعصمني﴾ يمنعني بارتفاعه ﴿من الماء﴾ فلا أغرق ولا أؤمن ولا أركب السفينة زعماً منه أن ذلك كسائر المياه والسيول المعتادة التي ربما يتقي منها بالصعود إلى الربى وجهلا بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة أن لا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين ﴿قال﴾ نوح ﴿لا عاصم﴾ ذاتاً وصفة ﴿اليوم﴾ زاد اليوم تنبيهاً على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع التي ربما يخلص من ذلك بالالتجاء إلى بعض الأسباب ﴿من أمر الله﴾ أي: عذابه الذي هو الطوفان.

وفيه تنبيه لابنه على خطاه في تسميته ماء، وتوهمه أنه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب إلى بعض الأمكنة المرتفعة وتمهيد لحصر العصمة في جنابه عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من أمر الله إلا هو وإنما قيل ﴿إلا من رحم﴾ أي: إلا الراحم وهو الله تعالى تفخيماً لشأنه الجليل بالإبهام ثم التفسير، وبالإجمال ثم التفصيل، وإشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه فهو استثناء متصل وعاصم على معناه.

وقيل: بمعنى المعصوم كقوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ٢١] بمعنى مرضية، أي: لا معصوم من عذاب الله إلا من رحم الله.

وقيل: لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة على حذف المضاف على أن يكون بناء النسبة، وذو عصمة يطلق على عاصم وعلى معصوم، والمراد هنا المعصوم فهو مصدر من عصم المبني للمفعول ويكون من رحم بمعنى المرحومين والاستثناء متصلاً كالأولين، لأن المرحوم من

جنس المعصوم. ﴿**وحال**﴾ [وحائل شد] ﴿**بينهما الموج**﴾ أي: بين نوح وبين ابنه **فانقطع ما** بينهما من المجاوبة ﴿**فكان من المغرقين**﴾ من المهلكين بالماء.

وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه فكان ذلك أمراً مقرر الوقوع غير مفتقر إلى البيان وفي إيراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم. وفي «المثنوي»:

همچو كنعان كآشنا ميكرد او ... كه نخواهم كشتئ نوح عدو
هين بيا در كشتى بابا نشين ... تانكردى غرق طوفان اي مهين
كفت نى من آشنا آموختم ... من بجز شمع تو شمع افرو ختم
هين مكن كين موج طوفان بلاست ... دست وپاى آشنا امروز لاست
باد قهرست وبلاى شمع كش ... جز كه شمع حق نمى بايد خمش
كفت مى رفتم بران كوه بلند ... عاصمست آن كه مرا ازهر كزند
هين مكن كه كوه كاهست اين زمان ... جز حبيب خويش را ندهدامان
كفت من كى پند تو بشنوده ام ... كه طمع كردى كه من زين دوده ام
خوش نيامد كفت توهر كز مرا ... من برى ام ازتو در هر دوسرا
اين دم سردتو در كوشم نرفت ... خاصه اكنون كه شدم دانا وزفت
كفت باباچه زيان دارد اكر ... بشنوى يكبار توپند پدر
همچنين مى كفت اوپند لطيف ... همچنان ميكفت او دفع عنيف
نى پدر از نصح كنعان سير شد ... نى دمى دركوش ان ادبير شد
اندرين كفتن بدند وموج تيز ... بر سر كنعان زد وشد ريزريز

وقيل: **إنه بنى قبة في أعلى الجبل وسدها عليه حتى لا يدخل فيها ماء فجاءه البول فبال** داخل القبة **فما برح البول يتزايد حتى غرق فيه والكفار غرقوا بالماء ـ روي ـ عن ابن عباس أنه** قال: «**أمطرت السماء أربعين يوماً وليلة، وخرج ماء الأرض كذلك**» **وذلك قوله تعالى**: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١١-١٢] **فارتفع الماء على أطول جبل في الأرض بخمسة عشر ذراعاً أو بثلاثين أو بأربعين وطافت بهم السفينة الأرض كلها في خمسة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم، فلم تدخله ودارت حول الحرم أسبوعاً وقد أعتق الله البيت من الغرق كما في «بحر العلوم»**.

وقال في «تفسير» أبي الليث: ورفع البيت الذي بناه آدم عليه السلام إلى السماء السادسة وهو البيت المعمور واستودع الحجر الأسود أبا قبيس إلى زمن إبراهيم عليه السلام وسمي أبا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه كما في «إنسان العيون».

قال الحكيم: خرج قوس قزح بعد الطوفان أماناً لأهل الأرض من أن يغرقوا جميعاً، وسمي به، لأنه أول ما رؤي في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة، أو لأن قزح هو الشيطان **ومن ثمة قال علي رضي الله عنه: «لا تقل قوس قزح» لأن قزح هو الشيطان «ولكنها** قوس الله» **هي علامة كانت بين نوح وبين ربه تعالى وهي أمان لأهل الأرض من الغرق** كما **في «الصواعق» لابن حجر**.

قال حضرة الشيخ الشهير: بأفتاده افندي قدس سره: تأثير طوفان نوح يظهر في كل **ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت** من السيل

وفي الحديث: «سألت ربي ثلاثاً» أي: ثلاث مسائل «فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة» أي: القحط أراد به قحطاً يعم أمته «فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم» أراد بها الحرب والفتن «فمنعنيها».

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وهي تجري﴾** يعني سفينة الشريعة **﴿بهم﴾** بمن ركبها بالأمر **﴿في موج﴾** أي: موج الفتن **﴿كالجبال﴾** من عظمتها **﴿ونادى نوح﴾** الروح **﴿ابنه﴾** كنعان النفس المتولدة بينه وبين القلب **﴿وكان في معزل﴾** من معرفة الله وطلبه **﴿يا بني اركب معنا﴾** سفينة الشريعة **﴿ولا تكن مع الكافرين﴾** من الشياطين المتمردة والأبالسة الملعونة المطرودة. **﴿قال﴾** يعني كنعان النفس. **﴿سآوي إلى جبل﴾** أي: جبل العقل **﴿يعصمني من الماء﴾** من ماء الفتن **﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾** يعني: إذا نبع ماء الشهوات من أرض البشرية ونزول ماء ملاذ الدنيا وفتنها من سماء القضاء لا يتخلص منه إلا بسفينة الشريعة، فلا عاصم منه غيرها، وذلك قوله: **﴿إلا من رحم﴾** أي: يرحمه الله بالتوفيق للاعتصام بسفينة الشريعة، **﴿وحال بينهما الموج﴾** أي: بين كنعان النفس المعتصم بجبل العقل وبين العقل موج الشهوات النفسانية الحيوانية، وفتن زخارف الدنيا **﴿فكان من المغرقين﴾** يعني: كل نفس لا تعتصم بسفينة الشريعة وتريد أن تعتصم بجبل العقل لتتخلص به من طوفان الفتن المهلكة، كما هو حال الفلاسفة لا يتهيأ له متمناه وهو من الهالكين. وفي «المثنوي»:

پس بكوشى وباخر از كلال ... خود بخود كوئى كه العقل عقال
همچو آن مرد مفلسف روز مرك ... عقل را مى ديدى پس بى بال وبرك
بى غرض ميكرد آن دم اعتراف ... كز زكاوت را ندايم اسب ازكزاف
از غروري سر كشيديم از رجال ... آشنا كرديم در بحر خيال
آشنا هيچست اندر بحر روح ... نيست آنجا چاره جز كشتىٔ نوح
همچو كنعان سوى هر كوهى مرو ... از نبي لا عاصم اليوم شنو
مى نمايد پست آن كشتى زبند ... مى نمايد كوه فكرت پس بلند
در بلندى كوه فكرت كم نكر ... كه يكى موجش كند زير وزبر
كرتو كنعاني نداری باورم ... كردو صد چندين نصيحت آورم
كوش كنعان كي پذيرد اين كلام ... كه براو مهر خدايست وختام
آخر اين اقرار خواهى كرد هين ... هم زاول روز آخررا ببين
هركه آخر بين بود مسعود بود ... نبودش هر دم بره رفتن عثور
كر نخوائى هردمى اين خفت وخيز ... كن زخاك پاى مردى چشم تيز

وقال الحافظ:

يار مردان خداباش كه در كشتىٔ نوح ... هست خاكى له بابي نخرد طوفانرا

ومن اللطائف المناسبة لهذا المحل ما قال خسرو دهلوي:

زيدرياى شهادت چون نهنك لابر آردسر ... نيم فرض كردد نوح رادروقت طوفانش

قوله [زدرياى شهادت] هو قول المؤمنين أشهد [چون نهنك لابر آرد سر] هو ارتفاع لا والمراد من التيمم الضربتان ضربة إلا وضربة الله. والمراد من نوح اللسان ومن الفم السفينة وطوفانه تلفظه بأن لا إله إلا الله، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله رفع لا رأسه من بحر

الشهادة ووقع الطوفان على اللسان فوجب عليه هاتان الضربتان، فإذا ضربهما نجا، وإن لم يضربهما ووقف ساعة غرق في بحر الطوفان، والوقف كفر كذا شرحه حضرة الشيخ بالي الصوفيوي شارح «الفصوص» قدس سره.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وقيل﴾ بني على المفعول كأخواته الآتية لتعين الفاعل وهو الله تعالى إذ لا يقدر أحد غيره على مثل هذا القول البديع والفعل العجيب، أي: قال الله تعالى: بعد مدة الطوفان تنزيلاً للأرض والسماء منزلة من له صلاحية النداء. ﴿يا أرض﴾ قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها. ﴿ابلعي﴾ أي: انشفي فإن البلع حقيقة إدخال الطعام في الحلق بعمل الجاذبة، فهو استعارة لغور الماء في الأرض، ووجه الشبه الذهاب إلى مقرّ خفي يقال: نشف الثوب العرق بكسر الشين أي: شربه، وفيه دلالة على أنه ليس كالنشف المعتاد التدريجي ﴿ماءك﴾ أي: ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار، وإنما لم يقل ابلعي بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن نظراً إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء كذا في «المفتاح».

يقول الفقير: «تفسير الإرشاد» يدل على أن الماء المضاف إلى الأرض مجموع الماء الذي خرج من بطنها ونزول من السماء والظاهر الذي لا محيص عنه أنه ماء الأرض بخصوصه فإنها لما نشفته صار ما نزل من السماء هذه البحور على ما في «تفسير التيسير» ثم رأيت في بعض الكتب المعتبرة ما يوافق هذا وهو أن الله تعالى لما نزل الطوفان على قوم نوح عليه السلام انزل عليهم المطر من السماء أربعين يوماً بمياه كثيرة، وأمر عيون الأرض فانفجرت فكان الماآن سواء في اللين غير أن ماء السماء كان مثل الثلج بياضاً وبرداً، وماء الأرض مثل الحميم حرارة حتى ارتفع الماء على أعلى جبل في الدنيا ثمانين ذراعاً، ثم أمر الأرض فابتعلت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور التي على وجه الأرض منها، وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده، انتهى ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أي: أمسكي عن إرسال المطر يقال: اقلع الرجل عن عمله إذا كف، واقلعت السماء إذا انقطع مطرها فالإقلاع يشترك بين الحيوانات والجمادات.

قال العلماء: قيل مجاز مرسل عن الإرادة كأنه قيل أريد أن يرتد ما انفجر من الأرض إلى بطنها وأن ينقطع طوفان السماء وذلك بعد أربعين يوماً وليلة ـ روي ـ أنه لا ينزل من السماء قطرة من ماء إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان فأنزل بغير كيل ووزن. وأصل الكلام قيل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ماءها، ويا سماء اقلعي عن إرسال الماء اقلعت عن إرساله، وغيض الماء النازل من السماء فغاض وترك ذكره لظهور انفهامه من الكلام ﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص ما بين السماء والأرض من الماء فظهرت الجبال والأرض.

والغيض: النقصان يقال: غاض الماء قل ونضب وغاضه الله نقصه يتعدى ويلزم وهو في الآية من المتعدي لأن الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر إلا إذا كان متعدياً بنفسه

﴿وقضي الأمر﴾ أي: أنجز الموعود من إهلاك الكافرين، وإنجاء المؤمنين فالقضاء ههنا بمعنى الفراغ كأنه قيل تم أمرهم وفرغ من إهلاكهم وإغراقهم.

قال في «المفتاح»: قيل الأمر دون أن يقال: أمر نوح لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك.

قال السيد: إما لأن اللام بدل من المضاف إليه كما هو مذهب الكوفية، وإما لأنها تغني غناء الإضافة في الإشارة إلى المعهود. ﴿واستوت﴾ واستقرت الفلك واختير استوت على سويت، أي: أقرت مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتباراً لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوباً إلى السفينة على صيغة المبني للفاعل في قوله وهي تجري بهم مع أن استوت أخصر من سويت ﴿على الجودي﴾ هو جبل بالجزيرة بقرب الموصل أو بالشام أو بآمد ـ وروي ـ في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إني أنزل السفينة على جبل فتشامخت الجبال وتواضع الجودي لله تعالى فأرست عليه السفينة. قال السعدي قدس سره:

طريقت جزاين نيست درويش را كه افكنده داردتن خويش را

بلنديت بايد تواضع كزين كه آن نام را نيست راهى جزاين

والتواضع آخر مقام ينتهي إليه رجال الله تعالى وحقيقته العلم بعبودية النفس، ولا يصح مع العبودية رياسة أصلاً، لأنها ضد لها، ولهذا قال المشايخ قدس الله أسرارهم: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق لسبب غاب عنك، وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع سر من أسرار الله تعالى لا يهبه على الكمال إلا لنبي أو صديق كما في «المواقع».

وعن علي رضي الله عنه «أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها إذ ينحت به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفىء النار والسحاب يحمل الماء والريح تحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالبنيان والنوم يغلب الإنسان والموت يغلب الكل».

وذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلاً.

وفي «زهرة الرياض» ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول، منها ما طوله عشرون فرسخاً ومنها مائة فرسخ إلى ألف فرسخ.

وفي أسئلة الحكم، جعل الله الجبال كراسي أنبيائه كأحد لنبينا، والطور لموسى، وسر نديب لآدم، والجودي لنوح عليهم السلام وكفى بذلك شرفاً، وإنها بمنزلة الرجال في الأكوان يقال: للرجال الكامل جبل.

واختلفوا في أن أي: الجبال أفضل؟ فقيل أبو قبيس لأنه أول جبل وضع على الأرض وقيل عرفة وقيل: جبل موسى وقيل: قاف.

وقال السيوطي: أفضل الجبال جبل أحد وهو جبل من جبال المدينة وسمي بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التي هناك، وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ومن فيه من الشهداء رضي الله عنهم وهو على نحو ميلين أو على نحو ثلاثة من المدينة واستدل على أفضليته بأنه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣] أي: بضم الهمزة والحاء وبقوله عليه السلام: «أحد ركن من أركان الجنة» أي: جانب عظيم من جوانبها وقوله: الآخر «أن أحداً هذا جبل يحبنا ونحبه، فإذا مررتم به فكلوا من شجرة ولو من عضاهه» وهي كل شجرة عظيمة لها شوك، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبركاً به، ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية في الحجارة قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير للجمادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى كما قال في «المثنوي»:

بادرا بي چشم اكر بينش نداد ... فرق چون ميكردد اندر قوم عاد
كر نبودي نيل را آن نورديد ... ازچه قبطي را زسبطى ميكزيد
كرنه كوه سنك باديدار شد ... پس چرا داود رااو يار شد
اين زمين را كر نبودى چشم جان ... ازچه قارونرا فرو خوردى چنان

ومن هذا عرفت النداء في قوله تعالى ﴿يا أرض﴾ و ﴿يا سماء﴾ حقيقة عند العلماء بالله وكذا مقاله تعالى المنفهم من قوله وقيل.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: وكما نقول تجلى الله تعالى في صورة، كما يليق بجلاله، كذلك نقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلالة، وكلام الله تعالى عين المتكلم في مرتبة، ومعنى قائم به في الأخرى كالكلام النفسي، ومركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس بحسبهما كما في «الدرة الفاخرة» للمولى الجامي رحمه الله.

ثم إن نوحاً هبط من السفينة إلى الجودي يوم عاشوراء.

وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم، واستقرت بهم على الجودي شهراً وذلك ستة أشهر، وهبطت بهم يوم عاشوراء وسيأتي ما يتعلق بذلك. ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ قوله ﴿بعداً﴾ مصدر مؤكد لفعله، المقدر أي: بعدوا بعداً أي: هلكوا من قولهم بعداً وبعداً إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت، والمعنى: الدعاء عليهم بذلك وهو تعليم من الله تعالى لعباده أن يدعوا على الظالمين به أي: ليبعد القوم بعداً وليهلكوا، وهو بالفارسية. [دوري وهلاكي باد مرقوم ستمكارانرا] واللام في للقوم لبيان من دعى عليهم كاللام في هيت لك وسقياً لك متعلق بالفعل المحذوف، أو بقوله قيل أي: قيل لأجلهم هذا القول والتعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك، وفيه تعريض بأن سالكي مسالكهم في الظلم والتكذيب يستحقون مثل هذا الإهلاك والدعاء عليهم.

قال في «المفتاح»: وختم الكلام ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه لأن الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم. قيل: ما نجا من الكفار غير عوج بن عنق كان في الماء إلى حجزته وهو معقد الإزار، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وقد سبق في سورة المائدة وكان سبب نجاته أن نوحاً عليه السلام احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج إليه من الشام فنجاه الله من الغرق بذلك.

وقد ثبت أيضاً أن واحداً من آل فرعون كان يلبس قلنسوة مثل قلنسوة موسى عليه السلام ويسخر منه، وقد نجاه الله تعالى من الغرق في بحر القلزم بمجرد تشبهه الصوري، ولو تاب من جنايته لنجا من عذاب الدارين.

وعن أبي العالية قال: لما رست سفينة نوح عليه السلام إذا هو بإبليس على كوثل السفينة، أي: مؤخرها، فقال له نوح: ويلك قد غرق أهل الأرض من أجلك قد أهلكتهم، قال له إبليس: فما اصنع؟ قال: تتوب، قال: فسل ربك هل لي من توبة فدعا نوح ربه فأوحى الله تعالى إليه أن توبته أن يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له نوح: قد جعلت لك قال: وما هي؟ قال: تسجد لقبر آدم، قال: تركته حياً وأسجد له ميتاً.

وفيه إشارة إلى أن السجدة لآدم وهو مقبور كالسجدة له وهو غير مقبور، إذ الأنبياء عليهم السلام أحياء عند ربهم، وكذا كُمّل الأولياء قدس الله أسرارهم، كما قال الصائب:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد   كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

والشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح، ومثله من ينكر الأولياء أو زيارة قبورهم والاستمداد منهم نسأل الله العصمة ونعوذ به من الخذلان.

اعلم أن القرآن بجميع سورة وآياته معجز في غاية طبقات الفصاحة والبلاغة لكن بين بعض أجزائه تفاوت بحسب الاشتمال على الخواص، والمزايا فإن بعض المقام لا يتحمل ما تحمله مقام كلام فوقه من اللطائف والخفايا، فمن المرتفع شأنه في الحسن والقبول هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي﴾ إلى آخره ولذا لما سمعها من تبوأ أسرة الفصاحة القحطانية وركب متن البلاغة في بدوّ الخطب العدنانية من العرب العرباء ومصاقع الخطباء سجدوا لفصاحتها وتطأطأوا دون سرادقات إحاطتها، ونسوا قصائدهم المعلقة ورجعوا عن منشآتهم المقررة المحققة، ولقد أحسن من نبه على التفاوت المذكور، وقال على ما هو المشهور:

دربيان ودر فصاحت كي بود يكسان سخن
كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعي
از كلام ايزد بيچون كه وحي منزلست
كى بود تبت يدا چون قيل يا أرض ابلعي

ألا ترى أن الله سبحانه جعل الأنبياء عليهم السلام متساوية الأقدام في درجة النبوة وجعل استعدادات أممهم مختلفة فاختلافهم إنما هو لمعنى في نفسهم لا لمعنى في الذي أرسل إليهم، فلما كانت هذه الآيات الآفاقية والأنفسية الواقعة في مصحف الفرقان متفاوتة متباينة كانت الآيات البينات المندرجة في مصحف القرآن كذلك؛ إذ هو جامع لحقائق جميع النسخ الوجوبية والإمكانية موافق لما فصله الكتب العلمية والأعيانية ولله در شأن التنزيل في الإشارة إلى المراتب والله الغالب.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ أي: يا أرض البشرية ماء شهواتك ويا سماء القضاء اقلعي عن إنزال مطر الآفات. ﴿وغيض الماء﴾ ماء الفتن أي: نقصت ظلمتها بنور الشرع وسكنت سورتها. ﴿وقضي الأمر﴾ أي: انقضى ما كان مقدراً من طوفان الفتن للابتلاء ﴿واستوت﴾ أي: سفينة الشريعة. ﴿على الجودي﴾ وهو مقام التمكين يعني أيام الطوفان كانت من مقامات التلوين في معرض الآفات والهلاك، فلما مضت تلك الأيام آل الأمر إلى مقام التمكين وفيه النجاة والثبات ونيل الدرجات. ﴿وقيل بعداً﴾ أي: غرقة

وهلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالتقاعد عن ركوب سفينة الشريعة انتهى.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ونادى نوح ربه﴾ [وبخواند پروردكار خودرا]. ﴿فقال﴾ الفاء لتفصيل ما في النداء من الإجمال. ﴿رب﴾ [اي پروردكار] من ﴿إن ابني﴾ كنعان وسمي الابن ابناً لكونه بناء أبيه، أي: مبني أبيه ﴿من أهلي﴾ وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر بحملهم في الفلك، ومن تبعيضية لأنه كان ابنه من صلبه على ما هو الأرجح أو كان ربيباً له فهو بعض أهله والأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن ملك.

قال ابن الكمال: الأهل خاصة الشيء وما ينسب إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إن ابني من أهلي﴾ ﴿وإن وعدك﴾ ذلك والوعد عبارة عن الأخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. ﴿الحق﴾ الثابت الذي لا يتطرق إليه الخلف ولا يشك في إنجازه والوفاء به، والظاهر أن هذا النداء كان قبل غرق ابنه فإن الواو لا تدل على الترتيب، والمقصود منه طلب نجاته لا طلب الحكمة في عدم نجاته حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه، ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله إياه برحمته والله على كل شيء قدير، ويؤيده ما في «بحر الكلام» أن ذكر المسألة أي: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ [هود: ٤٦] كما سيأتي دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حتى يخاف عليه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أي: أعلم الحكام وأعدلهم، إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، وربَّ جاهل ظالم من متقلدي الحكومة في زمانك لقد لقب أقضى القضاة، ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال جار الله:

قضاة زماننا صاروا لصوصاً عموماً في القضايا لا خصوصا
خشينا منهمو لو صافحونا للصوا من خواتمنا فصوصا

وفي الحديث: «القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما الآخران فرجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار» أي: لا يعرف الحق فيخلط الحلال بالحرام. قال الشيخ السعدي:

مها زور مندى مكن بر كهان كه بر يك نمط مى نماند جهان
لب خشك مظلوم را كو بخند كه دندان ظالم بخواهند كند

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿يا نوح إنه﴾ أي: ابنك ﴿ليس من أهلك﴾ الذين عمهم الوعد بالإنجاء لخروجه منهم بالاستثناء فإن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر.

وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة إنه ابنه غير أنه خالفه في العمل.

قال بعض الحكماء: الابن إذا لم يفعل ما فعل الأب انقطع عنه، والأمة إذا لم يفعلوا ما

فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه، فظهر أن لا فائدة في نسب من غير علم وعمل وفي فخر بمجرد الآباء. قال السعدي قدس سره:

چو كنعا نرا طبيعت بى هنر بود ... پيمبر زاده كي قدرش نيفزود
هنر بنماى اكر داري نه كوهر ... كل از خارست وإبراهيم از آزر

وفي الحديث: «يا بني هاشم لا يأتني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال:

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله

وهي قبيلة معروفة بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون نقي عظام الميتة **﴿إنه عمل غير صالح﴾** أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة في مداومته على العمل الفاسد، ولم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان للإيذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح.

يقول الفقير: لاح لي حين المطالعة معنى آخر وهو أن العمل بمعنى الكسب والفعل، ولا يبعد أن يكون المعنى إنه كسب غير صالح من غير احتياج إلى تقدير مضاف وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسباً في قوله: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وفي قوله: «أنت ومالك لأبيك».

قيل لحكيم وهو يواقع زوجته: ما تعمل؟ قال: إن تم فإنساناً **﴿فلا تسألن﴾** سمي نداؤه سؤالاً لما فيه من السؤال والطلب، أي: إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني. **﴿ما ليس لك به علم﴾** أي: مطلباً لا تعلم يقيناً أن حصوله صواب وموافق للحكمة **﴿إني أعظك﴾** [پندميدهم ترا] **﴿أن تكون﴾** أي: كراهة أن تكون **﴿من الجاهلين﴾** عبّر عن ترك الأولى بالجهل؛ لأن استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال وأغناه عن السؤال أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه، فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿قال﴾ عند ذلك قبلت يا ربي هذا التكليف فلا أعود إليه إلا إني لا أقدر على الاحتراز منه إلا بإعانتك وهدايتك فلهذا بدأ أولاً بقوله **﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك﴾** أي: من أن أطلب منك من بعد **﴿ما ليس لي به علم﴾** أي: مطلوباً لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة، يعني: احفظني بعد اليوم من المعاودة إلى مثل السؤال، وكان على قدم الاستغفار إلى أن توفي، وهذه عادة الصالحين أنهم إذا وعظوا اتعظوا وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا، وحكى تعالى ما كان من الأنبياء عليهم السلام ليقتدى بهم في الاستغفار وأن لا يقطع الرجاء من رحمة الله تعالى، وقد قبل الله تعالى توبة نوح عليه السلام كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ﴾ [هود: ٤٨]، ثم حقيقة التوبة تقتضي أمرين، أحدهما: العزم على ترك الفعل في المستقبل وإليه لإشارة بقوله: **﴿إني أعوذ بك﴾** الخ، والآخر: الندم والاستغفار لما مضى وإليه الإشارة بقوله: **﴿وإلا﴾** مركب من أن ولا، ثم أدغم أحدهما في الآخر **﴿تغفر لي﴾** أي: وإن لم تغفر لي ما صدر مني من السؤال المذكور. **﴿وترحمني﴾** بقبول توبتي **﴿أكن من الخاسرين﴾** أعمالاً بسبب ذلك فإن الذهول عن شكر الله لا سيما عند وصول مثل هذه

النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصاً بمبادي خلاص من قيل في شأنه إنه عمل غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبين.

واعلم أن التوبة والاستغفار والالتجاء إلى الملك الغفار ورد لا ينقطع إلى الموت، وفعل يستمر إلى زمان الفوت، لأن المؤمن لا يزال متقلباً بين التنزلات والترقيات، والسالك لا يبرح مبتلى بالاستتار والتجليات، والكامل لا ينفك يتدرج إلى غايات مراتب السير في عوالم الصفات والذات، وهذا نوح قد سأل ما سأل ثم تاب، وهذا موسى قد طلب ما طلب ثم أناب، والكل جار بقضاء الله وقدره فإنه إذا جاء يتعطل العبد عن قواه وقدره. وفي «المثنوي»:

اين هم از تأثير حكمست وقدر چاه مى بيني ونتوانى حذر
نيست خودا زمرغ پران اين عجب كو نبيند دام وافتد در عطب
اين عجب كه دام بيند هم وتد كر بخواهد ور نخواهد مى فتد
چشم باز وكوش باز ودام پيش سوى دامى مى برد باپر خويش

ألا ترى إلى نوح عليه السلام فإنه لما ابتدر إلى سؤال ابنه نبه على تركه مرات.

والإشارة: **﴿ونادى نوح﴾** أي: نوح الروح **﴿ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾** أي: النفس المتولدة من ازدواج الروح والقالب من أهلي **﴿وإن وعدك الحق﴾** وذلك أن الله تعالى لما أراد بحكمته أن ينزل الأرواح المقدسة العلوية من أعلى عليين جواره وقربه إلى أسفل سافلين القالب قال أرواح الأنبياء والأولياء وخواص المؤمنين: يا ربنا وإلهنا تنزلنا من أعلى مقامات قربك إلى أسفل دركات بعدك، ومن عالم البقاء إلى عالم الفناء ومن دار السرور واللقاء إلى دار الحزن والبلاء ومن منزل التجرد والتواصل إلى منزل التوالد والتناسل ومن رتبة الاصطفاء والاجتباء إلى رتبة الاجتهاد والابتلاء، فوعدهم الله من عواطف إحسانه بأن ينجيهم وأهليهم من ورطات الهلاك فكما أن من قضية حكمته أن يكون لنوح أربعة بنين ثلاثة منهم مؤمنون وواحد كافر فكذلك حكمته اقتضت أن يكون للروح أربعة بنين ثلاثة منهم مؤمنون وهم القلب والسر والعقل، وواحد كافر وهو النفس فكما، كان ثلاثة من بني نوح معه في السفينة وكان واحد في معزل منه فكذلك ثلاثة من بني الروح معه كانوا في سفينة الشريعة وكان واحد وهو كافر النفس في معزل منه، ومن الدين والشريعة، فلما أشرف ولده الكافر على الغرق في بحر الدنيا وطوفان الفتن قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، **﴿وأنت احكم الحاكمين﴾** يعني: إن أنجيته أو أغرقته أنت اعدل العادلين فيما تفعله لأنك حكيم، وأحكم الحكماء، لا تخلو فعالك من عدل وحكمة أنت اعلم بها **﴿قال﴾** أي: الرب تعالى للروح **﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾** أي: من أهل دينك وملتك والأهلية على نوعين أهلية القرابة وأهلية الملة والدين وما نفي هنا أهلية القرابة لتولدها من الروح، ثم أظهر علة نفي الأهلية الدينية فقال: **﴿إنه عمل غير صالح﴾** أي خلق للأمارية بالسوء وهذه سيرتها أبداً، ثم أدب الروح بآداب أهل القربة فقال: **﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾** أي: علم حقيقي بأن يجوز لأهل القربة، على بساط القرب هذا الانبساط أم لا. **﴿إني أعظك﴾** يا روح القدس **﴿أن تكون﴾** على البساط بهذا الانبساط **﴿من الجاهلين﴾** أي: من النفوس الجاهلة الظالمة. وفيه إشارة إلى أن الروح العالم العلوي يصير بمتابعة النفس وهواها جاهلاً سفليّ الطبع دنيء الهمة. **﴿قال﴾** أي:

الروح ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ من التماس نجاة النفس الممتحنة بآفات الدنيا وشهواتها من طوفان الفتن. ﴿وإلا تغفر لي﴾ تؤيدني بأنوار المغفرة ﴿وترحمني﴾ على عجزي عن الاهتداء بغير هداك ﴿أكن من الخاسرين﴾ يشير إلى أن الرحمة هي المانعة للروح من الخسران كذا في «التأويلات النجمية».

﴿قِيلَ يَنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قيل﴾ القائل هو الله تعالى ﴿يا نوح اهبط﴾ هبط لازم ومتعد إلا أن مصدر اللازم الهبوط ومصدر المتعدي الهبط كالرجوع والرجع والمراد هنا الأول والهبوط بالفارسية [فرود آمدن] أي: انزل من الفلك إلى جبل الجودي الذي استقرت السفينة عليه شهراً أو من الجودي إلى الأرض المستوية. ﴿بسلام﴾ ملتبساً بسلامة من المكاره كائنة ﴿منا﴾ فسلام بمعنى السلامة حال من فاعل اهبط، ومنا صفة له دالة على تعظيمه وكماله، لأن ما كان من الله العظيم عظيم، أو بسلام وتحية منا عليك كما قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] فالسلام بمعنى التسليم، والأول أوجه، لأن المقام مقام النجاة من الغرق. ﴿وبركات عليك﴾ أي: خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق. ﴿وعلى أمم﴾ ناشئة ﴿ممن معك﴾ متشعبة منهم فمن ابتدائية، والمراد الأمم المؤمنة المتناسلة ممن معه من أولاده إلى يوم القيامة فهو من إطلاق العام وإرادة الخاص هذا على رواية من قال: كان معه في السفينة أولاده وغيرهم مع الاختلاف في العدد فمات غير الأولاد، أي: بعد الهبوط ولم ينسل وهو الأرجح، وإما على رواية من قال: ما كان معه في السفينة إلا أولاده ونساؤهم على أن يكون المجموع ثمانية فلا يحتاج إلى التأويل، وأياً ما كان فنوح أبو الخلق كلهم، ولذا سمي آدم الثاني، وآدم الأصغر، لأنه لم يحصل النسل إلا من ذريته، وقد أخرج الله الكثير من القليل بقدرته كما أخرج من صلب زين العابدين الكثير الطيب وذلك إنه قتل مع سلطان الشهداء الحسين رضي الله عنه عامة أهل بيته ولم ينج إلا ابنه زين العابدين على أنه رضي الله عنه أصغرهم فأنمى الله تعالى ذريته السادة.

قال في «نفائس المجالس»: لما ارتفع الطوفان قسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة، فأما سام فأعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام فهو أبو العرب، وأما حام فأعطاه بلاد السودان فهو أبو السودان، وأما يافث فأعطاه بلاد المشرق فهو أبو الترك.

قال في «أسئلة الحكم»: أما ممالك الأقاليم السبعة التي ضبط عددها في زمن المأمون فثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة، منها ثلاثة أيام وهي أضيقها، وثلاثة أشهر وهي أوسعها ووجدت مملكة في خط الاستواء لها ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وفي بعضها ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد، وأما جميع مدائن الأقاليم فهو أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون وقيل غير ذلك وما العمران في الخراب إلا كخردلة في كف أحدكم وفي الخبر: «إن لله دابة في مرج من مروجه رزقها كل يوم بقدر رزق العالم باسره» فانظر إلى سعة رحمة الله وبركاته ولا تغتم لأجل الرزق. وفي «المثنوي»:

جمله را رزاق روزى ميدهد قسمت هركس كه پيشش مينهد

سالها خوردى وكم نامد زخور ترك مستقبل كن وماضي نكر

﴿وأمم﴾ مبتدأ ﴿سنمتعهم﴾ صفة والخبر محذوف وهو منهم، أي: ليس جميع من تشعب منهم مسلماً ومباركاً عليهم، بل منهم أمم سنمتعهم في الدنيا معناه بالفارسية [زود باشدكه برخوردارى دهيم ايشانرا دردنيا بفراخئ عيش وسعت رزق] ﴿ثم يمسهم منا﴾ [پس برسد ايشانرا ازما] ﴿عذاب أليم﴾ [عذابي دردناك] إما في الآخرة أو في الدنيا أيضاً وهم الكفار وأهل الشقاوة، يشير سبحانه وتعالى إلى أن كون كل الناس سعداء أو أشقياء مخالف لحكمته فإنه أودع فيهم جماله وجلاله على مقتضى تدبيره فلا بد من ظهور آثار كل منهما، كما قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق ازكفرنا كزيرست   آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد

ـ حكي ـ في التفاسير أنه لما رست السفينة على الجودي كشف نوح الطبق الذي فيه الطير فبعث الغراب لينظر هل غرقت البلاد كما في «حياة الحيوان» أو كم بقي من الماء فيأتيه بخبر الأرض كما في «تفسير أبي الليث» فأبصر جيفة فوقع عليها واشتغل بها فلم يرجع ولذا قالوا: في المثل أبطأ من غراب نوح، ثم أرسل الحمامة فلم تجد موضعاً في الأرض فجاءت بورق الزيتون في منقارها فعرف نوح أن الماء قد نقص وظهرت الأشجار ثم أرسلها فوقعت على الأرض فغابت رجلاها في الطين قدر حمرتهما فجاءت إلى نوح وأرته فعرف إن الأرض قد ظهرت فبارك على الحمامة وطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت، ودعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وتشاءم العرب بالغراب واستخرجوا من اسمه الغربة قالوا: غراب البين لأنه بان عن نوح.

واعلم أن نوحاً عليه السلام هبط بمن معه في السفينة يوم عاشوراء فصام وأمر من معه بصيامه شكراً الله تعالى وكان قد فرغت أزدواهم فجاء هذا بكف حنطة وهذا بكف عدس وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبعة حبوب فطبخها نوح عليه السلام لهم فأفطروا عليها وشبعوا جميعاً ببركات نوح، وكان أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان هذا فاتخذه الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين.

وذكر أن الله عز وجل يخرق ليلة عاشوراء زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذٍ أمن من المرض في جميع السنة كما في «الروض الفائق» ومن وسع فيه على عياله في النفقة وسع الله له سائر سنته.

قال ابن سيرين: جربناه ووجدناه كذلك كما في «الأسرار المحمدية».

قال في «عقد الدرر واللآلى»: المستحب في ذلك يوم فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها، ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً، يعني: لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد أو يوم مأتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للاكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح فإن ترك السنة سنة إذا كانت شعاراً لأهل البدعة كالتختم باليمين فإنه في الأصل سنة لكنه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في «شرح القهستاني» ومثله تقصير الثياب وتطويلها اللهم إلا أن يفعل بعض الأفعال كالاغتسال وزيارة الإخوان وتوسيع النفقة ونحوها من غير أن يخطر بباله التشبيه وعدمه كما إذا خرج بطريق التنزه والتفرج يوم نيروز النصارى أو نيروز العجم، وأهدى شيئاً إلى بعض إخوانه بطريق

الاتفاق أو بمصلحة داعية إليه من غير أن يخطر بقلبه الموافقة فإنه لا بأس.

ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه فقد تشبه بالروافض خصوصاً إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين.

وفي «كراهية القهستاني» لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافضة انتهى.

قال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين، وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى.

وقال عز الدين بن عبد السلام: في فصل آفات اللسان الخوض في الباطل هو الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال الوقاع، ومجالس الخمور وتجبر الظلمة، وكحكاية مذاهب أهل الأهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم انتهى.

قال في «عقد الدرر»: ويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبويه وجده وأنشدوا:

لا بد إن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

وفي الحديث: «قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا».

قال في «إنسان العيون»: أرسل أهل الكوفة إلى الحسين أن يأتيهم ليبايعوه، فأراد الذهاب إليهم فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه الحسن، فأبى إلا أن يذهب فبكى ابن عباس رضي الله عنهما وقال: واحسيناه ولم يبق بمكة إلا من حزن على مسيره، وقدم أمامه إلى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة للحسين اثنا عشر ألفاً وقيل: أكثر من ذلك، ولما شارف الكوفة جهز إليه أميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وكان أكثرهم ممن بايع لأجل السحت العاجل على الخير الآجل، فلما وصلوا إليه ورأى كثرة الجيوش طلب منهم إحدى ثلاث إما أن يرجع من حيث جاء، أو يذهب إلى بعض الثغور، أو يذهب إلى يزيد يفعل فيه ما أراد، فأبوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد، فأبي فقاتلوه إلى أن أثخنته الجراحة فسقط إلى الأرض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام إحدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدي عبد الله بن زياد.

قال في «روضة الأخيار»: قبر الحسين رضي الله عنه بكربلاء، وهي من أرض العراق ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أسطوانة وقد رأى النبي ﷺ بعض الصالحين في النوم فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما ترى فتن أمتك؟ فقال: زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظوني ولم يرعوا حقي فيه.

وعن الشعبي مرّ علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل: كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال: «كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال: له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب اشمني إياها فلم أملك عيني أن فاضتا» ـ روي ـ أن تلك التربة جعلها رسول الله ﷺ في قارورة وقال: لأم سلمة رضي الله عنها: «إن

هذا من تربة الأرض التي يقتل بها الحسين فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل» قالت أم سلمة: فلما كان ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا أبشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داو دموسى وحامل الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا التربة قد جرت دماً. حكي إن السماء احمرت لقتله.

قال ابن سيرين: والحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين، وحكمته على ما قال ابن الجوزي: إن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهاراً لعظيم الجناية ولم يرفع حجر في الدنيا يوم قتله إلا وجد تحته دم عبيط.

وأخرج أبو الشيخ أن جمعاً تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ: أنا أعنت وما أصابني شيء فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات ومع ذلك لم يزل ذلك به حتى مات، وبعضهم ابتلى بالعطش فكان يشرب راوية ولا يُروى، وبعضهم عوقب بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة وغير ذلك، فإذا عرفت فكن على جانب ممن يعادي أهل البيت ومن صحبتهم فإن موالاتهم معاداة لأهل البيت وبغض لهم، واحفظ الحرمة يحفظك الله تعالى وفي الحديث: «إن لله تعالى ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله تعالى دينه ولا دنياه حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي ومن لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث، إما منافق، وإما لزنية وإما حملت به أمه في غير طهر».

دركار دين زمردم بي دين مدد مخواه ازماه منخسف مطلب نور صبحكاه

اللهم احفظنا من الانقطاع عن الوسائل الحقة وألحقنا في الدنيا والآخرة بالطائفة المحقة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿تلك﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها قوله: **﴿من أنباء الغيب﴾** أي: بعض أخباره فإنه لتقادم عهده لم يبق علمه إلا عند الله تعالى. **﴿نوحيها﴾** أي: تلك القصة بواسطة جبريل خبر ثانٍ **﴿إليك﴾** ليكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء عليهم السلام **﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾** خبر آخر، أي: مجهولة عندك وعند قومك **﴿من قبل هذا﴾** أي: من قبل إيحائنا إليك وإخبارنا بها، وفي ذكر جهلهم تنبيه على إنه عليه السلام لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لم يسمعوه فكيف يؤخذ منهم.

قال سعدي المفتي: أعلمناهم بها ليكون لهم مثالاً وتحذيراً أن يصيبهم إذا كذبوك ما أصاب أولئك **﴿فاصبر﴾** متفرع على الإيحاء أي: وإذ قد أوحيناها.

وفي «تفسير أبي الليث» يعني: إن لم يصدقوك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية قومك وتكذيبهم كما صبر نوح في هذه المدة المتطاولة. **﴿إن العاقبة﴾** أي: آخر الأمر بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة. **﴿للمتقين﴾** أي: المؤمنين الموحدين الصابرين كما شاهدته في

نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد كه كس هميشه كرفتار غم نخواهد ماند

قال الكاشفي: [پير طريقت فرمودكه صبر كليد همه بستكيها است وشكيبايي علاج همه خستكيها است نتيجهٔ شكيباي ظفراست وكار بي صبر ازهر روز بترست:

صبراست كليد كنج مقصود بي صبر درمراد نكشود

كر صبر كني مراد يابي وزباي در افتي ازشتابي

ـ روي ـ عن خباب بن الأرت قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا وتستنصرنا فجلس محماراً لونه ثم قال: «إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفرله في الأرض حفرة فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه»، وفي الحديث: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة فيخرج أسود محترقاً فيقال: له هل مر بك نعيم قط أو كنت فيه فيقول لا لم أزل في هذا البلاء منذ خلقني الله تعالى ويؤتي بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس في الجنة غمسة» يعني: يدخل فيها ساعة «فيخرج كأنه القمر ليلة البدر فيقال: له هل مر بك شدة قط فيقول لا لم أزل في هذا النعيم منذ خلقني الله تعالى».

يقول الفقير: هذا إذا صبر ولم يظفر ببغيته في الدنيا مع أن من الظفر والنصر الموت على ما قال بعض العلماء: في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة: ٢١٤] فإن الميت إما مستريح أو مستراح منه ولكن غالب العادة الإلهية إنزال النصر للعاجز ولقد شاهدت في عصري كثيراً من مواد هذا الباب. منها: أني كنت في الأسكوب من الديار الرومية أنهي عن المنكر فلقيني من القوم في مدة ست سنين ما يضيق نطاق البيان عنه حتى آل الأمر إلى الهجرة من تلك البلدة فأخرجوني من بينهم، فانقلب الابتلاء إلى مقاساة شدائد الهجرة مع الأهل والأولاد، حتى إذا دخلت مدينة بروسة بإشارة حضرة الشيخ قدس سره ووجدت فيها الراحة العظمى استولى الكفار على البلاد الرومية وأحرقوا الأسكوب، وجعل الله من فيها من المستكبرين كأن لم يكن شيئاً مذكوراً. ومنها: أن إبراهيم الوزير في أواخر دولة السلطان محمد الرابع نفى حضرة شيخنا الأجل الذي جعله الله آية من آيات هذه الدورة القمرية إلى بلدة المعروفة بشمني، وكان حين النفي متمكناً في القسطنطينية فلم يلبث حتى نفاه الله أي: الوزير ثم قتل، ثم لما آلت الوزارة إلى مصطفى المعروف بابن كوپر يلي في دولة السلطان سليمان الثاني أخرج حضرة الشيخ أيضاً لغرض فاسد إلى جزيرة قبرس فما مضى سنة إلا قتل الوزير وجعل عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين، وكنت أتحزن في أمر حضرة الشيخ حين كان في الجزيرة المذكورة، فبينما أنا في تفكره يوماً، إذ ورد لي كتاب من جنابه مندرج فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فصادف قتل الوزير وهو من كراماته العجيبة حفظه الله سبحانه ومتعنا بعلومه الإلهية وواراداته الربانية.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١﴾.

﴿وإلى عاد﴾ قبيلة من العرب بناحية اليمن فهو متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ﴿أرسلنا﴾ في قصة نوح وهو الناصب لقوله: ﴿أخاهم﴾ وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار من الاضمار قبل الذكر. والمعنى وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي: واحداً منهم في النسب من قولهم ويا أخا العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم ﴿هوداً﴾ وكان عليه السلام من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد.

قال الكاشفي: [عاد چهارم پدر هودست وعاد پسر عوص بن أرم بن سام بن نوح است وبرين قول از أبناء عم عاد باشد] قال بعضهم: عاد هو اسم القبيلة وهي الفروع المنشعبة من أصل واحد فيكون اسم الأب الكبير في الحقيقة والتعبير بأخص الأوصاف التي هي الأخوة بمعنى انتساب شخصين إلى صلب واحد أو رحم واحد وإلى صلب ورحم معاً، ككونه كذلك بالنسبة إلى اتحاد الأب. وقال بعضهم: هو اسم ملكهم وكانوا يسمون باسم ملكهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأرغب في اقتفائه.

قيل: إن هوداً مكث في ديار قومه أربعين سنة يعبد الله ويتجنب أصنامهم فنزل عليه جبريل بالرسالة إلى بني عاد فذهب هود إليهم وهم بالأحقاف متفرقون، وهي الرمال والتلال وجعل يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام، كما قال تعالى: ﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل ماذا قال؟ لهم فقيل قال: ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿اعبدوا الله﴾ وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ فخصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً، وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله. ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء إلا مفترون على الله الكذب.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بهود إلى القلب وبعاد إلى النفس وصفاتها فإن القلب أخو عاد النفس لأنهما قد تولدا من ازدواج الروح والقالب. فالمعنى: إنا أرسلنا هود القلب إلى عاد النفس كما أرسلنا نوح الروح إلى قومه وبهذا المعنى يشير إلى أن القلب قابل لفيض الحق تعالى: كما أن الروح قابل لفيضه، قال: يا قوم اعبدوا الله يشير إلى النفس، وصفاتها أن يتوجهوا لعبودية الحق وطلبه ما لكم من إله غيره، أي: شيء دونه لاستحقاق معبوديتكم ومحبوبيتكم ومطلوبيتكم إن أنتم إلا مفترون فيما تتخذون الهوى والدنيا معبوداً ومطلوباً.

﴿يا قوم لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة. ﴿أجراً﴾ يعني جعلاً ورشوة، ومعناه لست بطامع في أموالكم. ﴿إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ خلقني جعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر. ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أتغفلون عن هذه القصة فلا تعقلونها.

واعلم: أن المال والجاه وثناء الخلق وغيرها من مشارب النفس عند أهل الله تعالى ولذا قالوا: ما من رسول إلا خاطب قومه بهذا القول إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة فإنها لا تنجع ولا تنفع إلا إذا كانت خالصة غير مشوبة بشيء من المطامع:

طمع بند ودفتر زحكمت بشوى   طمع بكسل وهرچه خواهى بكوى

كما روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور، وكان يأخذ من قصاب في جواره شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار فأخرج السنور أولاً، ثم جاء واحتسب على

القصاب، فقال: له القصاب لا أعطيك بعد اليوم لسنورك شيئاً، فقال: ما احتسب عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك والطمع سكون القلب إلى منفعة مشكوكة.

مكن سعديا ديده بردست كس | كه بخشنده پرورد كارست وبس
طمع آب روى موقر بريخت | براى دوجو دامن در بريخت

وساحة قلوب الأنبياء عليهم السلام، وكذا الأولياء قدس سرهم مطهرة من دنس التعلق بغير الله في دعوتهم وإرشادهم، وإنما يريد أهل الإرشاد من هذه الأمة تعظيم جاه رسول الله ﷺ بتكثير اتباعه لا المال والمنافع الدنيوية فإن الآخرة خير وأبقى، وفي المثل: أجهل من داعي ثمانين من الضأن. قال ابن خالويه: إنه رجل قضى للنبي عليه السلام حاجة فقال: ائتني بالمدينة فأتاه فقال: «أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو ادعو الله أن يجعلك معي في الجنة» قال: بل ثمانون من الضأن قال: «أعطوه إياها» ثم قال: «إن صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك» وذلك أن عجوزاً دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى: «أيما أحب إليك أسأل الله أن تكوني معي في الجنة» أو مائة من الغنم قالت: الجنة ولكمال المحافظة على الدين لم يقبل العلماء المتقدمون أجرة على الوعظ والتعليم والأمامة والخطابة والتأذين وغيرها.

زيان ميكند مرد تفسير دان | كه علم وأدب ميفروشد بنان

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾.

﴿**ويا قوم استغفروا ربكم**﴾ آمنوا به ﴿**ثم توبوا إليه**﴾ من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان كما في «بحر العلوم» واللائح للبال أن المعنى اطلبوا مغفرة الله تعالى لذنوبكم السالفة من الشرك والمعاصي بأن تؤمنوا به فإن الإيمان يجب ما قبله، أي: يقطع ثم ارجعوا إليه بالطاعة فإن التحلية بالمهملة بعد التخلية بالمعجمة فيكون ثم على بابها في التراخي أيضاً. ﴿**يرسل السماء عليكم**﴾ أي: المطر ﴿**مدراراً**﴾ من أبنية مبالغة الفاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأصله من در اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب، يقال سحاب مدرار ومطر مدرار إذا تتابع منه المطر في أوقات الاحتياج إليه. والمعنى حال كونه متتابعاً دائماً كلما تحتاجون.

وقال الكاشفي: [تابفر ستد از آسمان باراني پيوسته] ﴿**ويزدكم**﴾ [وبيفزايد وزياده كند] ﴿**قوة**﴾ مضافة منضمة ﴿**إلى قوتكم**﴾ أي: يضاعفها لكم وإنما رغبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة، لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصاً عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة ممنوعين بها من العدو مهيبين في كل ناحية.

وقال الكاشفي: [آورده اندكه عاديان دعوت هود قبلو نكردند وحق سبحانه وتعالى بشآمت آن سه سال باران ازايشان بازكرفت وزنان ايشانرا عاقره وعقيمه ساخت وچون أصحاب زراعت بودند ودشمنان نيزداشتند براى زراعت به باران وبراي دفع أعادي بأولاد محتاج شدند هود عليه السلام فرمودكه ﴿**يا قوم استغفروا**﴾ الخ فيكون معنى قوله: ﴿**ويزدكم قوة إلى قوتكم**﴾ قوتي باقوت شما يعني: [فرزندان دهد شمارا تابمدد ايشان بر دفع أعادي قادر شويد].

وعن الحسن بن علي أنه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجابه، فقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال: عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلا سألته ممَ قال: ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود ﴿**ويزدكم قوة إلى قوتكم**﴾ وقال نوح ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢] ﴿**ولا تتولوا**﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه ﴿**مجرمين**﴾ أي: حال كونكم مصرين على الإجرام والآثام والإجرام كسب الجرم كالإذناب بكسر الهمزة كسب الذنب.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿**قالوا**﴾ استئناف بتقدير سؤال سائل، كأنه قيل ما قال: له قومه بعد أن أمرهم ونهاهم فقيل: قالوا: ﴿**يا هود ما جئتنا ببينة**﴾ أي: بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه: لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات كما قالت: قريش لرسول الله ﷺ لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوات آياته الحصر ﴿**وما نحن بتاركي آلهتنا**﴾ أي: بتاركي عبادتهم وأصله تاركين سقطت النون بالإضافة. ﴿**عن قولك**﴾ حال من الضمير في تاركي، كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، أي: صادراً تركنا عن ذلك بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام.

قال السعدي المفتي: قد يقال: عن للسببية كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فيتعلق بتاركي أي: بقولك المجرد عن حجة ﴿**وما نحن لك بمؤمنين**﴾ أي: بمصدقين فيما تدعونا إليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وهو إقناط له من الإجابة والتصديق.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**إن نقول إلا اعتريك**﴾ قوله اعتراك جملة مفسرة لمصدر محذوف تقديره ما نقول في شأنك إلا قولنا اعتراك أي: أصابك من عراه يعره إذا أصابه ﴿**بعض آلهتنا بسوء**﴾ الباء للتعدية. والمعنى بالفارسية [مكر آنكه رسانيده اند بتو برخى ازخدايان ما رنجى وكزندى وعلتي] أي: بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين ﴿**قال**﴾ هود ﴿**إني أشهد الله واشهدوا**﴾ أي: وأقول أشهدوا لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ﴿**أني بريء**﴾ تنازع فيه أشهد الله واشهدوا أي: على أني بريء ﴿**مما تشركون**﴾ أي: من إشراككم.

﴿**من دونه**﴾ أي: من دون الله أو مما تشركون من آلهة غير الله فما موصولة وإشهاد الله تعالى حقيقة، وإشهادهم استهزاء بهم واستهانة، إذ لا يقول أحد لمن يعاديه أشهدك على أني بريء منك إلا وهو يريد عدم المبالاة ببراءته والاستهانة بعداوته.

واعلم أنهم لما سموا أصنامهم آلهة وأثبتوا لها الضرر نفى هود بقوله ﴿**إني أشهد الله**﴾ الآية كونهم آلهة رأساً ثم نفى الضرر بقوله: ﴿**فكيدوني**﴾ الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من

الخلق الحيلة السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق، أي: إن صح ما تفوهتم به من كون آلهتكم مما تقدر على إضرار من يسبها ويصد عن عبادتها، فإني بريء منها فكونوا أنتم وآلهتكم ﴿جميعاً﴾ حال من ضمير كيدوني على قصد إهلاكي بكل طريق. ﴿ثم لا تنظرون﴾ لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا: وعلى البراءة كليهما كما في «الإرشاد».

وفيه إشارة إلى أن النفس وصفاتها والشيطان والهوى والدنيا في كيد القلب على الدوام والقلب المؤيد بالتأييد الرباني لا يناله كيدهم.

جملۀ عالم اكر دريا شود چون تو باحق ترنكردد پاي تو

﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ يعني: إنكم وإلهتكم لا تقتدرون على ضرري فإني متوكل على الله القادر القوي وهو مالكي ومالك كل شيء إذ ﴿ما من دابة﴾ نسمة تدب على الأرض. ﴿إلا هو﴾ أي: رب تعالى ﴿آخذ بناصيتها﴾ الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدمة الرأس ويسمى الشعر النابت هناك أيضاً ناصية تسمية له باسم منبته، والأخذ بناصية الإنسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه في قبضة الآخذ بحيث يقدر على التصرف فيه كيف يشاء، والعرب إذا وصفوا إنساناً بالذلة والخضوع لرجل قالوا: ما ناصيته إلا بيد فلان، أي: إنه مطيع له لأن كل من أخذت بناصيته فقد قهرته وأخذ الله بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم. والمعنى إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والغرض من هذا الكلام الدلالة على عظمته وجلالة شأنه وكبرياء سلطانه وباهر قدرته وأن كل مقدور وإن عظم وجل في قوته وجثته فهو مستصغر إلى جنب قدرته مقهور تحت قهره وسلطانه منقاد لتكوينه فيه ما يشاء غير ممتنع عليه ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ يعني: إنه على الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ما من دابة﴾ تدب في طلب الخير والشر ﴿إلا هو آخذ بناصيتها﴾ يجرها بها إلى الخير والشر وهي في قبضة قدرته مذللة له ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ في إصلاح حال أهل الخير وإفساد حال أهل الشر.

وفيه إشارة أخرى: إن ربي على صراط مستقيم يدل طالبيه به عليه يقول من طلبه فليطلبه على صراط مستقيم الشريعة على أقدام الطريقة فإنه يصل إليه بالحقيقة وأيضاً يعني: الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إليه لا إلى غيره كقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] [ودرنقد النصوص قدس سر جامعه مذكور است درباب احديت افعال وبيان تأثيرات ومؤثرات كه آن ذات متعاليه كه في الحقيقة مصدر جميع أفعال ومؤثر درتمام منفعلاتست بحكم تربيت هريكى را بحسب قابليات بسوى حضرت خود مي كشاند انيست سر آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم]

كش كشاند مى كشد كانا إليه راجعون چوروى جاى دكر فكر غلط باشد جنون

وازين مقوله ها است قول قائل:

چون همه راه اوست ازچب وراست تو بهره كه ميروى اوراست

چون از وبود ابتداى همه هم بدو باشد انتهاى همه

﴿فإن تولوا﴾ فإن تتولوا بحذف إحدى التاءين، أي: وإن تستمروا على التولي والإعراض

فلا تفريط مني ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ أي: لأني قد أديت ما عليّ من الإبلاغ وإلزام الحجة وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود، فالمذكور دليل الجزاء. ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ كلام مستأنف، أي: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿ولا تضرونه﴾ بتوليكم وإعراضكم ﴿شيئاً﴾ من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم. ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ رقيب فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم.

واعلم أن بين وجوب التوكل على الله وكونه حفيظاً حصيناً أولاً بأن ربوبيته عامة لكل أحد، ومن يرب يدبر أمر المربوب ويحفظه فلا يحتاج حفظ الغير، وثانياً: بأن كل ذي نفس تحت قهره أسير عاجز عن الفعل والتأثير في غيره فلا حاجة إلى الاحتراز منه، وثالثاً: بأنه على طريق العدل في عالم الكثرة الذي هو ظل وحدته فلا يسلط أحداً على أحد إلا عن استحقاق لذلك بسبب ذنب وجرم ولا يعاقب أحداً من غير زلة ولو صغيرة نعم قد يكون لتزكية ورفع درجة فالمستفاد في ضمن ذلك كله نفي القدرة عنهم وعن آلهتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة وما يرى في صورة الظلم فمن خفأ سره وحكمته، والعارف ينظر إلى الأسرار الإلهية ويحمل الوقائع على الحكم ـ حكي ـ أنه كان رجل سقاء بمدينة بخارى يحمل الماء إلى دار صائغ مدة ثلاثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء فجاء السقاء على عادته يوماً وأخذ بيدها وعصرها فلما جاء زوجها من السوق قالت: ما فعلت اليوم خلاف رضي الله تعالى فقال: ما صنعت فألحت فقال: جاءت امرأة إلى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فأعجبني بياض يدها فعصرتها فقالت: الله أكبر هذه حكمة خيانة السقاء اليوم فقال الصائغ: أيتها المرأة إني تبت فاجعليني في حل، فلما كان من الغد جاء السقاء وتاب وقال: يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فإن الشيطان قد أضلني فقالت: امض فإن الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي في الدكان فاقتص الله منه في الدنيا، وأمثال ذلك من عدل الله تعالى فليكن العباد على العدالة خصوصاً الحكام والسلاطين، فإن العدل ينفع في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن ذا القرنين سأل من ارسطاطاليس أي: شيء أفضل للملوك الشجاعة أم العدل؟ فقال: إذا عدل السلطان لم يحتج إلى الشجاعة، فمن آمن بالملك الديان وخشي من عذابه كل آن، فقد عدل واحترز عن الظلم والطغيان وفاز بالدرجات في أعلى الجنان، وإلا فقد عرض نفسه لعذاب النيران بل ولعذاب الدنيا أيضاً على أشد ما كان، ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ مع ماله من أنواع اللعنة. قال: السعدي قدس سره:

نماند ستمكار بد روزكار ... بماند برو لعنت پايدار

خنك روز محشر تن دادكر ... كه در سايهٔ عرش دار دمقر

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿ولما﴾ [آن هنكام كه] ﴿جاء أمرنا﴾ أي: عذابنا فيكون واحد الأمور أو أمرنا بالعذاب فيكون مصدر أمر. ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿برحمة﴾ عظيمة كائنة

﴿منا﴾ أي: نجيناهم بمجرد رحمة وفضل لا بأعمالهم لأنه لا ينجو أحد وإن اجتهد في الأعمال والعمل الصالح إلا برحمة الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ شديد، وهو تكرير لبيان ما نجيناهم منه أي: كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إرباً إرباً وقد سبق تفصيل القصة في سورة الأعراف فارجع إليها.

وفيه إشارة إلى أن العذاب نوعان خفيف وغليظ، فالخفيف، هو عذاب الشقاوة المقدرة قبل خلق الخلق، والغليظ: هو عذاب الشقي بشقاوة معاملات الأشقياء التي تجري عليه مع شقاوته المقدرة له قبل الوجود كما في «التأويلات النجمية» ـ روي ـ أن الله تعالى لما أهلك عاداً ونجى هوداً والمؤمنين معه أتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا.

قال في «إنسان العيون»: كل نبي من الأنبياء كان إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم وأتى مكة يعبد الله تعالى حتى يموت وجاء «ما بين الركن اليماني والركن الأسود روضة من رياض الجنة» وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة وفي «فتوح الحرمين»:

هيج نبي هيج ولي هم نبود كونه برين دررخ اميد سود
كعبه بود نوكل مشكين من تازه از وباغ دل ودين من

﴿وتلك﴾ القبيلة يا قوم محمد ﴿عاد﴾ قال العلامة الطيبي: كأنه تعالى أذن بتصوير تلك القبيلة في الذهن ثم أشار إليها وجعلها خبراً للمبتدأ لمزيد الإبهام فيحسن التفسير بقوله ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ كل الحسن لمزيد الإجمال والتفصيل انتهى.

ويجوز أن تكون إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال: سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ففي الكلام مجاز حذف إما قبل المبتدأ أي: أصحاب تلك وإما قبل الخبر أي: قبور عاد كفروا بآيات ربهم بعد ما استيقنوها يعني: أنهم كانوا يعرفون أنها حق لكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة ويستمر على جحوده ولا يرعوي ﴿وعصوا رسله﴾ لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسوله فقد عصى الكل لاتفاق كلمتهم على التوحيد وأصول الشرائع. قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده وهذا الجحود والعصيان شامل لكل فرد منهم أي: لرؤسائهم وأسافلهم. ﴿واتبعوا﴾ أي: الأسافل ﴿أمر كل جبار﴾ [فرمان هر سركشى] ﴿عنيد﴾ [ستيزه كاررا].

قال في «التبيان»: الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على العباد، والعنيد الذي لا يقول الحق ولا يقبله.

وقال القاضي: أي: من كبرائهم الطاغين.

قال سعدي المفتي: أشار إلى أن الجبار بمعنى المتكبر فإنه يأتي بمعنى المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ويقال: عند إذا طغى، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وأتبعوا﴾ أي: التابعون والرؤساء ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ أي: إبعاداً عن الرحمة وعن

كل خير، أي: جعلت تابعة لهم ولازمة تكبهم في العذاب كمن يأتي خلف شخص فيدفعه من خلف فيكبه، وإنما عبر عن لزوم اللعنة لهم بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم، يعني: أنهم لما اتبعوا اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقاً. ﴿ويوم القيامة﴾ أي: اتبعوا في يوم القيامة أيضاً لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الأولى عليها. ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ جحدوه كأنهم كانوا من الدهرية وهم الذين يرون محسوساً ولا يرون معقولاً وينسبون كل حادث إلى الدهر.

قال في «الكواشي»: كفر يستعمل متعدياً ولازماً كشكرته وشكرت له ﴿ألا بعداً لعاد﴾ [بدانيدكه دوريست مر عاديا نرا يعني: ازرحمت دورند] كما قال في «التبيان»: أبعدهم الله فبعدوا بعداً. ﴿قوم هود﴾ عطف بيان لعاد لأن عادا عادان عاد هود القديمة وعاد إرم الحديثة، وإنما كرر ألا ودعاءه عليهم وأعاد ذكرهم تهويلاً لأمرهم وتفظيعاً له وحثاً على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم. وفي «المثنوي»:

بس سپاس اوراكه مارا درجهان	كرد پيدا از پس پيشينيان
تاشنيديم آن سياستهاى حق	بر قرون ماضيه اندر سبق
استخوان وپشم آن كر كان عيان	بنكريد وپند كيريد اي مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد	چون شنيد انجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او	عبرتي كيرند از اضلال او

ثم قوله: ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ دعاء عليهم بالهلاك، أي: ليبعد عاد بعداً وليهلكوا والمراد به الدلالة على إنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وذلك، لأن الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم، ففائدته ما ذكر ثم اللام تدل أيضاً على الاستحقاق وعلى البيان كأنه قيل لمن؟ فقيل: لعاد.

قال سعدي المفتي: ويجوز أن يكون دعاء عليهم باللعن.

وفي «القاموس» البعد والبعاد اللعن انتهى.

وفي «الكفاية شرح الهداية» اللعن على ضربين.

أحدهما: الطرد من رحمة الله تعالى وذلك لا يكون إلا للكافر.

والثاني: الإبعاد عن درجة الأبرار ومقام الصالحين وهو المراد بقوله عليه السلام: «المحتكر ملعون» لأن أهل السنة والجماعة لا يخرجون أحداً من الإيمان بارتكاب الكبيرة وجاء في اللعن العام «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». قوله محدثاً بكسر الدال معناه الآتي بالأمر المنكر مما نهى عنه وحرم عليه، أي: من آواه وحماه وذب عنه ولم يكن ينكر عليه ويردعه، ومنار الأرض العلامات التي تكون في الطرق والحد بين الأراضي وفي الحديث: «لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده، والواشمة، والموشومة، ومانع الصدقة، والمحلل، والمحلل له». الوشم هو الزرقة الحاصلة في البدن بغرز الإبرة فيه وجعل النيلة أو الكحل في موضعه، والواشمة: الفاعلة، والموشومة المفعول بها ذلك، وفي الحديث: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» أي: الذي يسعى بينهما وفي الحديث: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها

ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها» ويكره للمسلم أن يؤجر نفسه من كافر لعصر العنب كما في «الأشباه» ويجوز بيع العصير لمن يتخذه خمراً لأن عين العصير عار عن المعصية، وإنما يلحقه الفساد بعد تغيره بخلاف بيع السلاح في أيام الفتنة، لأن عينه آلة بلا تغيير، يعني: يكره بيع السلاح أيام الفتنة إذا علم أن المشتري من أهل الفتنة لأنه يكون سبباً للمعصية وإذا باع مسلم خمراً وقبض الثمن وعليه دين كره لرب الدين أخذه منه، لأن الخمر ليست بمال متقوم في حق الذمي فملك الثمن فحل الأخذ منه وفي الحديث: «لعن المسلم كقتله».

قال ابن الصلاح: في «فتاواه» قاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك، وإنما ارتكب ذنباً عظيماً وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء.

ثم قال: والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسالك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وهذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة المطهرة انتهى.

وقال سعد الدين التفتازاني:

اللعن على يزيد في الشرع يجوز	واللاعن يجزي حسنات ويفوز
قد صح لدي إنه معتل	واللعن مضاعف وذلك مهموز

وباقي البحث فيه قد سبق في سورة البقرة ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾.

قال في «حياة الحيوان»: إن الله تعالى لم يجعل الدنيا مقصودة لنفسها بل جعلها طريقة موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وإنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وإنه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال وحسبك بها هواناً إنه سبحانه صغرها وحقرها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود للارتحال عنها وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ومن والاه وعالماً أو متعلماً» ولا يفهم من هذا إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً، كما روى أبو موسى الأشعري إن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا قالت: الدنيا لعن الله من عصى ربه» وهذا يقتضي المنع من سب الدنيا ولعنها، ووجه الجمع بينهما أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعداً عن الله تعالى وشاغلاً عنه كما قال: السلف كل ما شغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشؤوم عليك، وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان، فمثل هذا لا يسب بل يرغب ويحب، وإليه الإشارة حيث قال: «إلا ذكر الله ومن والاه أو عالماً أو متعلماً» وهو المصرح به في قوله: «نعمت مطية المؤمن» الخ وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين.

واعلم أن حقيقة اللعن هو الطرد عن الحضرة الإلهية إلى طلب شهوات الدنيا وتعب وجدانها وتعب فقدانها، فهو اللعنة الدنيوية وأما اللعنة يوم القيامة، فبالبعد والخسران والحرمان وعذاب النيران فالنفس إذا لم تقبل نصيحة هود القلب، وتركت مشارب القلب الدينية الباقية من لوامع النورانية وطوامع الروحانية وشواهد الربانية، وأقبلت على المشارب الدنيوية الفانية من

الشهوات والمستلذات الحيوانية وثناء الخلق والجاه عندهم وأمثال هذا فقد جاء في حقها ألا بعداً أي: طرداً وفرقة وقطيعة وحسرة لها عصمنا الله، وإياكم من مكايد النفس الأمارة وشرفنا بصلاح الحال إلى آخر الأعمال والآجال.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وإلى ثمود﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمود وهي قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم بن سام. وقيل إنما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل، في «تفسير أبي الليث» إنما لم ينصرف لأنه اسم قبيلة وفي الموضع الذي ينصرف جعله اسماً للقوم. ﴿أخاهم﴾ أي: واحداً منهم في النسب. ﴿صالحاً﴾ عطف بيان لأخاهم وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن خاور بن ثمود ﴿قال﴾ استئناف بياني كأن قائلاً قال: فما قال: لهم صالح حين أرسل إليهم؟ فقيل: قال ﴿يا قوم﴾ [اي قوم من] ﴿اعبدوا الله﴾ وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ [نيست شمارا معبودي جزوى] ﴿هو﴾ لا غيره لأنه فاعل معنوي وتقديمه يدل على القصر ﴿أنشأكم﴾ كونكم وخلقكم ﴿من الأرض﴾ من لابتداء الغاية، أي: ابتداء إنشاءكم منها فإنه خلق آدم من التراب، وهو أنموذج منطو على جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواء إجمالياً، لأن كل واحد منهم مخلوق من المني، ومن دم الطمث، والمني: إنما يتولد من الدم والدم إنما يتولد من الأغذية، وهي إما حيوانية، أو نباتية، والنباتية إنما تتولد من الأرض، والأغذية الحيوانية لا بد أن تنتهي إلى الأغذية النباتية المتولدة من الأرض، فثبت أنه تعالى أنشأ الكل من الأرض. ﴿واستعمركم فيها﴾ من العمر يقال: عمر الرجل يعمر عمراً بفتح العين وسكون الميم أي: عاش زماناً طويلاً واستعمره الله أي: أطال بقاءه، ونظيره بقي الرجل واستبقاه الله من البقاء أي: أبقاء الله فبناء استفعل للتعدية، والمعنى عمركم واستبقاكم في الأرض وبالفارسية [وزند كانى وبقاداد شمارا درزمين. درمدارك مذكورست كه سال عمر هريك از ثمود از سيصد تاهزار بوده] ويجوز أن يكون من العمارة بالفارسية [آبادان كردن].

قال كعب قوله تعالى: ﴿واستعمركم فيها﴾ يدل على وجوب عمارة الأرض لأن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق منه تعالى يحمل على الأمر والإيجاب. والمعنى أمركم بالعمارة فيها وأقدركم على إمارتها، كما قال الكاشفي: [شمارا قدرت داد برعمارت زمين تامنازل نزه ساختيد وبر حفر انهار وغرس أشجار اشتغال نموديد]. ﴿فاستغفروه﴾ فاطلبوا مغفرة الله بالإيمان يعني: [ايمان آريد تا شمارا بيامرزد] فإن ما فصل من فنون الإحسان داع إلى الاستغفار ﴿ثم توبوا إليه﴾ من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان وقد سبق تحقيق «ثم» هذه غير مرة ﴿إن ربي قريب﴾ أي: قريب الرحمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ﴿مجيب﴾ لمن دعاه وسأله.

قال سعدي المفتي: والذي يلوح للخاطر أن قوله تعالى قريب ناظر لتوبوا ومجيب لاستغفروا أي: ارجعوا إلى الله فإنه قريب ما هو بعيد واسألوا منه المغفرة فإنه مجيب لسائله لا يخيبه:

محالست اكر سربرين در نهى كه باز آيدت دست حاجت تهى

وحظ العبد من الاسم المجيب أن يجيب ربه فيما أمره ونهاه ويتلقى عباده بلطف الجواب وإسعاف السؤال والعبد إذا أجاب ربه فالله تعالى يجيبه كما قال أبو طالب لرسول الله ﷺ: ما أطوع ربك فقال عليه السلام: «وأنت يا عم لو أطعته لأطاعك».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: الدعاء يوذن بالبعد وهو تعالى القريب وإذا كان القريب فلم تدعو وإن سكت قال لك: لم تدعو؟ هل استكبرت؟ فلم تبق الغبطة إلا للأخرس وهم البكم صم بكم عمي طوبى لهم وحسن مآب انتهى.

وهذا وصف العلماء بالله وهم الذين قيل فيهم من عرف الله كلّ لسانه.

چو بيت المقدس درون برقباب رها كرده ديوار بيرون خراب

بخود سر فرو وبرده همچون صدف نه مانند زدريا بر آورده كف

واعلم أن عمارة الظاهر بأفعال الشريعة من أسباب عمارة الباطن بأخلاق الربانية. قال العلماء: العمارة متنوعة إلى واجب ومندوب ومباح وحرام.

فالواجب: مثل سد الثغور وبناء القناطر على الأنهر المهلكة وبناء المسجد الجامع في المصر وغير ذلك.

والمندوب: كبناء القناطر على الأنهر الصغيرة والمساجد والمدارس والرباطات ونحو ذلك تيسيراً للناس والمباح كالزوايا والخانقاهات والبيوت التي تقي الحر والبرد وربما تكون الأخيرة واجبة.

قال في «الأسرار المحمدية»: الغرض من المسكن دفع المطر والبرد وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول، والاقتصار على الأقل والأدنى يمكن في الديار الحارة وأما في البلاد الباردة في غلبة البرد ونفوذه من الجدران الضعيفة حتى كاد يهلك أو يمرض فالبناء بالطين وأحكامه لا يخرجه عن حد الزاهدين، وكذا في أيام الصيف عند اشتداد الحر واستضراره واستضرار أولاده بالبيت الشتوي السفلي لعدم نفود الهواء البارد فيه، ومن براغيثه في الليل المزعجات عن النوم، وأنواع الحشرات فيه فلا يجوز حملهم على الزهد بأن يتركهم على هذه الحال، بل عليه أن يبني لهم صيفياً علوياً لما روينا عن النبي عليه السلام: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن» انتهى والحرام كأبنية الجهلة الذين بنوا للمباهاة وأبنية الظلمة وغير ذلك مما ليس له به حاجة. وفي الخبر «من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة وهو حامله على عنقه» وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله تعالى» وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه إنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي.

وعن معاوية إنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره فقيل له فقال: ما حملني عليه إلا قول القائل:

ليس الفتى بفتى يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار

والمراد بهذه الآثار ما يتناول العمارة الواجبة والمندوبة. قال سعدي قدس سره:

نمرد آنكه ماند پس ازوى بجاي   پل ومسجد وخان ومهمان سراى
هر آن كو نماند ازپسش يا دكار   درخت وجودش نياورد بار
وكر رفت آثار خيرش نماند   نشايد پس از مرك الحمد خواند

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قالوا﴾ قوم صالح بعد دعوتهم إلى الله تعالى وعبادته. ﴿يا صالح قد كنت فينا﴾ فيما بيننا ﴿مرجوًا﴾ مأمولاً ﴿قبل هذا﴾ الوقت وهو وقت الدعوة كانت تلوح فيك مخايل الخير وإمارات الرشد والسداد فكنا نرجوك أن تكون لنا سيداً ننتفع بك، ومستشاراً في الأمور ومسترشداً في التدابير فلما سمعنا منك هذا القول انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك كما يقول بعض أهل الإنكار لبعض من يسلك طريق الإرادة والطلب: إن هذا قد فسد بل جن وكان قبل هذا رجلاً صالحاً عاقلاً فلا يرجى منه الخير. وفي «المثنوي»:

عقل جزوى عشق را منكربود   كرچه بنمايد كه صاحب سربود

قال الحافظ:

مبين حقير كدايان عشق را كين قوم   شهان بي كمر وخسروان بي كلهند
غلام همت دردى كشان يك رنكيم   نه زين كروه كه ازرق ردا ودل سيهند

﴿أتنهانا﴾ معنى الهمزة الإنكار، أي: أتمنعنا من ﴿أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ أي: عبدوه والعدل إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿وإننا﴾ من قال: أنا أسقط النون الثانية من أن دون كناية المتكلمين نا وهو المختار ﴿لفي شك مما تدعونا إليه﴾ من التوحيد وترك عبادة الأوثان ﴿مريب﴾ موقع في الريبة أي: قلق النفس وانتفاء الطمأنينة. يعني: [كماني كه نفس را مضطرب ميسازد ودل آرام نمى دهد وعقل را شوريده مى كرداند] من أرابه أي: اوقعه في الريبة وإسناد الأرابة إلى الشك وهو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات مجازي، لأن الريب هو انتفاء ما يرجح أحد طرفي النسبة أو تعارض الأدلة لا نفس الشك.

وقال سعدي المفتي: يجوز أن يعتقدوا أن الشك يوقع في القلق والاضطراب فيكون الإسناد حقيقياً وإن كان الموقع عند الموحدين هو الله تعالى.

﴿قال﴾ صالح ﴿يا قوم أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن كنت﴾ في الحقيقة ﴿على بينة﴾ حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة ﴿من ربي﴾ مالكي ومتولي أمري ﴿وآتاني منه﴾ من جهته ﴿رحمة﴾ نبوة وإنما أتى بحرف الشك مع أنه متيقن أنه على بينة وأنه نبي لأن خطابه للجاحدين وهو على سبيل الفرض والتقدير كأنه قال: افرضوا وقدروا أني على بينة من ربي وأني نبي بالحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي فيما أمرني ﴿فمن ينصرني من الله﴾ أي: فمن يمنعني من عذاب الله فيه تضمين ينصر معنى يمنع، وتقدير المضاف قبل اللفظة الجليلة.

وقال في «الإرشاد»: فمن ينصرني منجياً من عذابه تعالى. ﴿إن عصيته﴾ في تبليغ رسالته والنهي عن الإشراك به. ﴿فما تزيدونني﴾ إذا باستتباعكم إياي كما ينبىء عنه قولهم ﴿قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ أي ألا تفيدونني إذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزيدوه ﴿غير

تخسير﴾ أي: غير إن تجعلوني خاسراً بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى، أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير إن أنسبكم إلى الخسران، وأقول لكم إنكم لخاسرون فالزيادة على معناها وصيغة التفعيل للنسبة يقال: فسقه وفجره إذا نسبه إلى الفسق والفجور فكذا خسره إذا نسبه إلى الخسران.

وفي الآية: إشارة إلى أن لا رجوع عن الحق بعدما استبان فإنه ماذا بعد الحق إلا الضلال والخذلان والخسران.

قال أحد المشايخ في «وقته»: أبو عبد الله الشيرازي قدس سره رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول من عرف طريقاً إلى الله فسلكه، ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين.

وقال الجنيد قدس سره: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

وفي «شرح التجليات» البيعة لازمة إلى أن يلقى الله تعالى، ومن نكث الاتباع فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم، هذا كما قال أبو سليمان الداراني قدس سره: حظه في الآخرة.

وأما الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه: دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده، هذا لما نكث أين هو ممن وفى بيعته مثل تلميذ الداراني قيل له ألق نفسك في التنور فألقى نفسه فعاد عليه برداً وسلاماً وهذا نتيجة الوفاء.

واعلم أن المبايع في الحقيقة وهو معطي البيعة هو الله تعالى لكن خلق الوسائط والوسائل ليسهل الأخذ والعهد فجعل الأنبياء والشيوخ الورثة والسلاطين اللاحقين بالشيوخ مبايعين فهم معصومون محفوظون لا يأمرون بمعصية أصلاً ولا يتصور منهم نكث العهد قطعاً فبقي الاتباع فمن لزم منهم الباب استسعد بحسن المآب ومن رجع القهقرى ونعوذ بالله أذله الله وأخزاه.
وفي «المثنوي»:

مرسكانرا چون وفا آمد شعار روسكانرا ننك بدنامى ميار
بي وفائي چون سكانرا عار بود بي وفائي چون روا دارى نمود

فعلى العاقل أن لا يكون في تردد وشك مما دعا إليه الأنبياء والأولياء من التوحيد وحقائقه بل يتبع الحق إلى أن يصل إلى دقائقه فإن الترد والشك من أوصاف الكفرة، والقلق والاضطراب من أحوال الفجرة:

اين تردد عقبهٔ راه حقست اي خنك آنراكه پايش مطلقست
بى ترد مى رود برراه راست ره نمى دانى بجو كامش كجاست
كام آهورا بكيرو رومعاف تارسى ازكام آهو تابناف
كركران وكر شتابنده بود عاقبت جوينده يابنده بود

وقد رأينا في زماننا أشخاصاً يطلبون شيوخاً ورثة هم على بينة من ربهم فلا يجدونهم لأن في الطلب ضعفاً وتردداً وفي الاعتقاد والهمة توزعاً وتفرقاً، فإذا لم يكن الطالب على بصيرة من الأمر لا يجد أهل البصيرة، وإن كانوا نصب عينيه بل تزداد خسارته ونعم ما قيل الشمس

شمس وإن لم يرها الضرير ألا ترى إلى طغاة الأمم السالفة كيف أنكروا الأنبياء مع ظهور حججهم وبراهينهم للهم إنا نسألك العصمة والتوفيق.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿ويا قوم﴾ - روي - عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن صالحاً لما دعا قومه إلى الله تعالى كذبوه، فضاق صدره فسأل ربه أن يأذن له في الخروج من عندهم، فأذن له فخرج وانتهى إلى ساحل البحر فإذا رجل يمشي على الماء، فقال له صالح: ويحك من أنت؟ فقال: أنا من عباد الله كنت في سفينة كان قومها كفرة غيري، فأهلكهم الله ونجاني منهم فخرجت إلى جزيرة أتعبد هناك فاخرج أحياناً وأطلب شيئاً من رزق الله، ثم أرجع إلى مكاني، فمضى صالح فانتهى إلى تل عظيم فرأى رجلاً، فانتهى إليه وسلم عليه، فرد عليه السلام فقال له صالح: من أنت؟ قال: كانت ههنا قرية كان أهلها كفاراً غيري فأهلكهم الله تعالى ونجاني منها، فجعلت على نفسي أن أعبد الله تعالى ههنا إلى الموت، وقد أنبت الله لي شجرة رمان وأظهر عين ماء آكل من الرمان وأشرب من ماء العين، وأتوضأ منه فذهب صالح، وانتهى إلى قرية كان أهلها كفاراً كلهم غير أخوين مسلمين يعملان عمل الخوص فضرب النبي عليه السلام مثلاً فقال: لو أن مؤمناً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم كفار، وفيهم مؤمن واحد فلا يسكن قلبه مع أحد حتى يجد المؤمن ولو أن منافقاً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم مؤمنون وفيهم منافق واحد، فلا يسكن قلب المنافق، مع أحد ما لم يجد المنافق فدخل صالح وانتهى إلى الأخوين فمكث عندهما أياماً وسأل عن حالهما فأخبرا أنهما يصبران على أذى المشركين وأنهما يعملان عمل الخوص ويمسكان قوتهما ويتصدقان بالفضل فقال صالح: الحمد لله الذي أراني في الأرض من عباده الصالحين الذي صبروا على أذى الكفار فأنا أرجع إلى قومي واصبر على أذاهم فرجع إليهم وقد كانوا خرجوا إلى عيد لهم فدعاهم إلى الإيمان فسألوه آية فقال: أية آية تريدون؟ فأشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها: الكاثبة وقال له: اخرج من هذه الصخرة ناقة واسعة الجوف كثيرة الوبر عشراء أي: أتت عليها من يوم أرسل الفحل عليها عشرة أشهر فإن فعلت صدقناك فأخذ عليهم مواثقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا: نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانشقت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا فقال: يا قوم **﴿هذه ناقة الله﴾** الإضافة للتشريف والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق؛ لأن الله تعالى خلقها من الصخرة دفعة واحدة من غير ولادة وكانت عظيمة الجثة جداً **﴿لكم آية﴾** معجزة دالة على صدق نبوتي فآمن جندع به في جماعة وامتنع الباقون، وانتصاب آية على الحال من ناقة الله، وعاملها ما في اسم الإشارة من معنى الفعل، أي: أشير إليها آية ولكن حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت حالاً. **﴿فذروها﴾** أي: خلوها وشأنها **﴿تأكل في أرض الله﴾** ترع نباتها وتشرب ماءها فهو من قبيل الاكتفاء نحو تقيكم الحر والمراد إنه عليه السلام رفع عن القوم مؤونتها يعني: [روزى، اوبر شمانيست ونفع اورا شماراست] كما روى أنها كانت ترعى

الشجرة وتشرب الماء ثم تفرج بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلىء أوانيهم فيشربون ويدخرون وهم تسعمائة أهل بيت، ويقال: ألف وخمسمائة ثم إنه عليه السلام لما خاف عليها منهم ما شاهد من إصرارهم على الكفر فإن الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه بل يسعى في إخفائها وإبطالها بأقصى ما يمكن من السعي فلهذا احتاط وقال: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ [ومر سانيد بوي آزارى] فالباء للتعدية بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الإصابة ونكر السوء ليشمل جميع أنواع الأذى من ضرب وعقر وغير ذلك أي: لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الأذى فضلاً عن عقرها وقتلها ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ أي: قريب النزول وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق عليهم ذلك.

﴿فعقروها﴾ عقرها قدار بأمرهم ورضاهم وقسموا لحمها على جميع القرية، والعقر: قطع عضو يؤثر في النفس وقدار كهمام بالدال المهملة اسم رجل وهو قدار بن سالف وتفصيل القصة سبق في سورة الأعراف.

قال الكاشفي: [صالح عليه السلام دران وقت درميان قوم نبود وچون بيامد حال با اوتقريد كردند] ﴿فقال﴾ لهم صالح ﴿تمتعوا﴾ أي: عيشوا ﴿في داركم﴾ في بلدكم ومنازلكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي: يتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم وتقول العرب: الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد كما في «بحر العلوم» ﴿ثلاثة أيام﴾ الأربعاء والخميس والجمعة فإنهم عقروها ليلة الأربعاء وأهلكوا صبيحة يوم السبت كما في «التبيان» قيل: قال: لهم تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب وكان كما قال: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما يدل عليه الأمر بالتمتع ثلاثة أيام من نزول العذاب عقيبها. ﴿وعد غير مكذوب﴾ أي: غير كذب كالمجلود بمعنى الجلد الذي هو الصلابة والجلادة أو غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير باسم المفعول، بإقامته مقام المفعول به توسعا كما يقال: شهدناه والأصل شهدنا فيه فأجرى الظرف مجرى المفعول، وذلك لأن الوعد إنما يوصف بكونه غير مكذوب إذا كان من شأنه أن يكون مكذوباً وليس كذلك، لأن المصدوق والمكذوب من كان مخاطباً بالكلام المطابق للواقع وغير الواقع وقلما يوصف بهما إلا الإنسان الصالح للخطاب.

والإشارة أن القوم إنما فعلوا ذلك جهلاً منهم بحقيقة الأمر ولا داء أدوأ من الجهل والدنيا مسكن النفس ومقرها، والتمتع فيها ثلاثة أيام اليوم الأول: هو يوم الجهل وفيه تصفر الوجوه، واليوم الثاني: هو يوم الغفلة وفيه تحمر الوجوه، واليوم الثالث: هو يوم الرين والختم على القلوب وفيه تسود الوجوه فلا يبقى إلا العذاب.

فعلى العاقل أن يزيل حجاب الجهل بمعرفة الله تعالى والغفلة باليقظة قبل حصول الرين فإنه عند حصوله لا يوجد له العلاج فإنه الداء العضال ونعوذ بالله تعالى، وكما تتلون الوجوه بنار الجلال كذلك تتلون بنور الجمال كما قال: ذو النون المصري، بينما أنا في طريق البصرة إذ سمعت قائلاً يقول يا شفيق يا رفيق ارفق بنا، فطلبت الصوت فإذا أنا بجارية متطلعة من قصر مشرف فقلت أراك مسفرة بغير خمار! فقالت: ما يصنع بالخمار وجه قد علاه الصفار، قلت ومم الصفار؟ قالت: من الخمار قلت يا جارية عساك تناولت من الشراب قالت: نعم شربت

البارحة بكأس الودّ مسرورة فأصبحت غداة صباحي هذا من شوقه مخمورة قلت أراك حكيمة فعظيني قالت: عليك بالسكوت ولزوم خدمته في ظلم البيوت حتى يتوهم الناس إنك مبهوت وارض من الله بالقوت واستعد ليوم تموت، لكي يبني لك بيت في الملكوت، أساسه من الزبرجد والياقوت. وفي «المثنوي»:

روح همچون صالح وتن ناقه است — روح اندر وصل وتن در فاقه است
روح صالح قابل آفات نيست — زخم بر ناقه بود بر ذات نيست
روح صالح قابل آزار نيست — نوريزدان سغبهٔ كفار نيست
جسم خاكى را بدو پيوسته جان — تا بيازارند وبينند امتحان
بي خبر كازار اين آزار أوست — آب اين خم متصل باآب جوست
ناقهٔ جسم ولي را بنده باش — تاشوى باروح صالح خواجه تاش

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿فلما جاء أمرنا﴾ [پس آن هنكام كه آمد فرمان ما بعذاب ايشان] **﴿نجينا﴾** التنجية [نجات دادن] **﴿صالحاً والذين آمنوا معه﴾** متعلق بنجينا أو بآمنوا وهو الأظهر إذ المراد آمنوا كما آمن صالح واتبعوه في ذلك لا أن زمان إيمانهم مقارن لزمان إيمانه فإن ايمان الرسول مقدم على إيمان من اتبعه من المؤمنين **﴿برحمة﴾** أي: ملتبسين بمجرد رحمة عظيمة **﴿منا﴾** وفضل لا بأعمالهم كما هو مذهب أهل السنة قال في «التأويلات النجمية»: هي توفيق أعمال النجاة.

وقال في «الإرشاد»: هي بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين الإيمان **﴿ومن خزي يومئذٍ﴾** عطف على نجينا، أي: ونجيناهم من خزي يومئذٍ، أي: من زله ومهانته وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه.

قال ابن الشيخ: كرر نجينا لبيان ما نجاهم منه وهو هلاكهم يومئذٍ أي: يوم إذ جاء أمرنا فإن إذ مضافة إلى جملة محذوفة عوض عنها التنوين أو هو الذل والهوان الذي نزل بهم في ذلك اليوم ولزمهم بحيث بقي ما لحقهم من العار بسببه مأثوراً عنهم ومنسوباً إليهم إلى يوم القيامة، فإن معنى الخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحي من مثله.

واعلم أن ظرف الزمان إذا أضيف إلى مبنى جاز فيه البناء والإعراب فمن قرأ بفتح الميم بناه لإضافته إلى مبنى وهو اذ الغير المتمكن ومن قرأ بكسرها أعربه لإضافة الخزي إليه، والقراءة الأولى لنافع والكسائي والثانية لغيرهما. **﴿إن ربك﴾** يا محمد **﴿هو القوي﴾** القادر على كل شيء **﴿العزيز﴾** الغالب عليه لا غيره.

وقال الكاشفي: **﴿هو القوي﴾** [اوست توانا بنجات مؤمنان **﴿العزيز﴾** غالب بر دشمان بر هلاك ايشان] ولكون الأخبار بتنجية الأولياء لا سيما عند الأنباء بحلول العذاب أهم، ذكرها أو لا ثم أخبر بهلاك الأعداء فقال:

﴿وأخذ الذين ظلموا﴾ أنفسهم **﴿الصيحة﴾** أي: صيحة جبرائيل عليه السلام وهو فاعل أخذ والموصول مفعوله والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال: صاح يصيح صياحاً، أي: صوت بقوة وفي سورة الأعراف **﴿فأخذتهم الرجفة﴾** أي: الزلزلة

ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء.

قال الكاشفي: [در زاد المسير آورده كه درآن سه روزكه وعدهٔ حيات داشتند درخانهاى خود ساكن شده قبرها كنديد ندو منتظر عذاب مى بودند چون روز چهارم آفتاب طالع شده وعذاب نيامد ازمنازل بيرون آمده يكديركررا مى خواندند واستهزا ميكر دندكه ناكاه جبرائيل برصورت اصل خويش پايش برزمين وسر برآسمان پرهاى خويش نشر كرده ازمشرق تا مغرب پايهاى وى زرد وبالهايش سبز ودندانهاى سفيد وبراق وپيشانى باجلا ونوراني ورخسارى برا فروخته وموى سروي سرخ برنك مرجان ظاهر شده وأوفق را بپوشيد وقوم ثمود آن حالرا مشاهده نمودند وروى بمساكن نهاده بقبور در آمدند جبرائيل نعرهٔ زدكه موتوا عليكم لعنة الله بيكبار همه مردند وزلزله در خانها افتاده سقفها برايشان فرود آمد] ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا ﴿في ديارهم﴾ في بلادهم أو في مساكنهم. ﴿جاثمين﴾ خامدين ميتين لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد. ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الأخذ وسرعته، اللهم إنا نعوذ بك من حلول غضبك، وجثومهم سقوطهم على وجوههم أو الجثوم السكون يقال: للطير إذا باتت في أوكارها جثمت ثم إن العرب أطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت.

قال في «بحر العلوم»: يقال: الناس جثم، أي: قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة ومنه المجثمة التي نهى الشرع عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى. وفي «المثنوي»:

شحنهٔ قهر خدا ايشان بجست	خونبهاى اشترى شهري درست
چون همه درنا اميدى سر زدند	همچو اشتر ردو زانوا آمدند
در نبي آورد جبريل أمين	شرح اين زانوا زدن را جاثمين
زانوا آندم زن كه تعليمت كنند	وز چنين زانوا زدن بيمت كنند

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم لم يقيموا في ديارهم ولم يكونوا أحياء مترددين متصرفين وهو في موقع الحال أي: أصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط. والمغني المنزل والمقام الذي يقيم الحي به يقال: غنى الرجل بمكان كذا، أي: أقام به وغنى أي: عاش. ﴿ألا﴾ [بدانيد] ﴿إن ثمودا كفروا ربهم﴾ جحدوا بوحدانية الله تعالى فهذا تنبيه وتخويف لمن بعدهم ﴿ألا بعداً﴾ [دوري وهلاك:] ﴿لثمود﴾ فقوله ﴿بعداً﴾ مصدر وضع موضع فعله فإن معناه بعدوا اي هلكوا، واللام لبيان من دعى عليهم، وفائدة الدعاء عليهم بعد هلاكهم الدلالة على استحقاقهم عذاب الاستئصال بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم ناقة الله تعالى.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج، فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها، فعتوا عن أمر ربهم فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً

كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له أبو رغال» قيل له يا رسول الله من أبو رغال قال: «أبو ثقيف».

الإشارة فيه أنه أشار إلى إهلاك النفس وصفاتها بعذاب البعد وصاعقة القهر إلا ما كان في حرم الله تعالى وهو الشريعة يعني: النفس وصفاتها إن لم تكن آمنت ولكن التجأت إلى حرم الشريعة آمنت من عذاب البعد فتكون بقدر التجائها في القرب وجوار الحق وهو الجنة ولهذا قال تعالى للنفس المطمئنة: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠] كما في «التأويلات النجمية». والناس في القرب والبعد والسلوك والترك على طبقات، فمنهم من اختار الله له في الأزل البلوغ إليه بلا كسب ولا تعمل فوقع مفطوراً على النظر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده، ومنهم من شغلته الأغيار عن الله زماناً فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله تعالى حتى أفناها ولم يبق له سواه سبحانه، ومنهم من بقي في الطريق ولم يصل إلى المقصد الأقصى لكون نشأته غير حاملة لما أراده، ومنهم من لم يدر ما الطريق وما الدخول فيها فبقي في مقامه الطبيعي. قال الحافظ:

قومي بجد وجهد خريدند وصل دوست قومي دكر حواله بتقدير ميكنند

أما الأول فأخذوا بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالوصل إذا مما للكسب مدخل فيه فيكون كالوزارة الممكن حصولها بالأسباب، وأما الثاني فجعلوا الوصل من الاختصاصات الإلهية التي ليس للكسب مدخل فيها عند الحقيقة فهو كالسلطنة قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقال: ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر: ٢] هكذا لاح للخاطر والله أعلم بالبواطن والظواهر.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم﴾ أي: وبالله لقد جاء جبريل وجمع من الملائكة معه في صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن والبهاء والجمال إلى إبراهيم عليه السلام. **﴿بالبشرى﴾** أي: ملتبسين بالبشارة بالولد من سارة بدليل ذكره في سور أخرى ولأنه أطلق البشرى هنا، وقيد في قوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] والمطلق محمول على المقيد **﴿قالوا﴾** استئناف بياني **﴿سلاماً﴾** أي: سلمنا عليك سلاماً أو نسلم. وبالفارسية [سلام ميكنيم برتو سلام كردنى] **﴿قال﴾** إبراهيم عليكم **﴿سلام﴾** حياهم بأحسن من تحيتهم لأن الجملة الفعلية دالة على التجدد والحدوث والاسمية دالة على الثبات والاستمرار.

قال الكاشفي: [إبراهيم عليه السلام ندانست كه فرشتكانند ايشانرا در مهما نخانه نشانيد] **﴿فما﴾** نافية **﴿لبث﴾** مكث إبراهيم **﴿أن جاء بعجل﴾** ولد البقرة **﴿حنيذ﴾** يعني: [پس درنك نكرد تا آنكه آورد كوسالهء بريان كرده برسنك كرم] والحنيذ هو المشوي في حفرة من الأرض بالحجارة المحماة بغير تنور ومن غير أن تمسه النار كفعل أهل البادية فإنهم يشوون في الأخدود بالحجارة المحماة.

وفي «الكواشي» حنيذ مشوي في حفيرة يقطر دسماً من حنذت الفرس إذا وضعت إليه جلاله ليسيل عرقه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قالوا سلاماً﴾ أي: نبلغك سلاماً قولاً من رب رحيم ﴿قال سلام﴾ أي: علينا سلام الجليل وهذا كما كان حال الحبيب ليلة أسري به قال: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» قال الحبيب: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» والفرق بين الحبيب والخليل أن سلام الحبيب بلا واسطة وسلام الخليل بواسطة الرسل وفي سلام الحبيب زيادة رحمة الله وبركاته ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ تكرمة لسلام الخليل وإعزازاً لرسله انتهى.

قاصد دلبر كه آرد يك پيام از حبيب من كه آمديك سلام
مژ دكانه مال وجانم مى دهم هرچه ميدارم براهش مى نهم

قال مقاتل: إنما جاءهم بالعجل لأنه كان أكثر ماله البقر فلما قرب إليهم ووضع بين أيديهم كفوا عنه.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ لا يمدون إلى العجل أيديهم للأكل. ﴿نكرهم﴾ أنكر ذلك منهم ولم يعرف سبب عدم تناولهم منه وامتناعهم عنه. ﴿وأوجس﴾ الإيجاس الإدراك. وفي التهذيب [بيم دردل كرفتن] أي: أحس وأدرك ﴿منهم﴾ من جهتهم ﴿خيفة﴾ لما وقع في نفسه أنهم ملائكة وأن نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه.

قال في «التأويلات النجمية»: ما كان خوف إبراهيم خوف البشرية بأن خاف على نفسه فإنه حين رمى بالمنجنيق إلى النار ما خاف على نفسه وقال: أسلمت لرب العالمين وإنما كان خوفه خوف الرحمة والشفقة على قومه يدل عليه. ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا﴾ بالعذاب ﴿إلى قوم لوط﴾ خاصة ما أرسلنا إلى قومك فكن طيب النفس وكان أخا سارة أو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.

﴿وامرأته﴾ سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه. ﴿قائمة﴾ وراء الستر بحيث تسمع محاوراتهم أو على رؤوسهم للخدمة، وكانت نساؤهم لا تحتجب كعادة الأعراب ونازلة البوادي والصحراء، ولم يكن التبرج مكروهاً وكانت عجوزاً، وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الأخلاق والجملة حال من ضمير قالوا: أي: قالوا: لإبراهيم لا تخف في حال قيام امرأته. ﴿فضحكت﴾ سروراً بزوال الخوف. ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ أي: عقبنا سرورها بسرور أتم منه على ألسنة رسلنا وإسحاق بالعبرانية الضحاك. ﴿ومن وراء إسحاق﴾ الوراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي، وياء عند العامة وهو من ظروف المكان، بمنى خلف وقدام فهو من الأضداد وقد يستعار للزمان كما في هذا المكان. والمعنى وهبنا لها بعد إسحاق ﴿يعقوب﴾ فهو من عطف جملة على جملة ولا يكون يعقوب على هذا مبشراً به.

وقال في «التبيان»: أيَ: بشروها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد وهو يعقوب بن إسحاق والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى حيث سمي به في البشارة قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧] ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولد فسميا بإسحاق ويعقوب وتوجيه البشارة إليها لا إليه، مع أنه الأصل في ذلك

للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد وكان لإبراهيم ولده إسماعيل من هاجر لأن المرأة أشد فرحاً بالولد.

وقال ابن عباس: ووهب فضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا تكون الآية من التقديم والتأخير تقديره وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت كما في «بحر العلوم» و«تفسير أبي الليث».

وقال في «التأويلات النجمية»: هذه البشارة لها ما كانت بشارة تتعلق ببشريتها وحيوانيتها وما كان ضحكها للسرور بحصول الابن الذي هو من زينة الدنيا وإنما كان ضحكها لسرور نجاة القوم من العذاب وكانت بشارتها بنبوة ابنها إسحاق بعد إبراهيم ومن وراء إسحاق يعقوب أي بعد إسحاق يكون يعقوب نبياً وتكون النبوة في عقبهم إلى عهد خاتم النبيين محمد ﷺ فإنه يكون من عقب إسماعيل.

قال الكاشفي عند قوله تعالى: ﴿بالبشرى﴾ [در حقايق آورده كه مژده بود بظهور حضرت سيد أنبياء از صلب وى بآنكه خاتم پيغمبران وصاحب لواء حمداست وجه بشارت در مقابلهٔ اين تواند بودكه پدريرا چنين پسر باشد]:

خوش وقت آن پدركه چنين باشدش پسر ساباش ازان صدف كه چنين پرورد كهر

آبـا ازو مـكـرم وابـنـا ازو عـزيـز صلوا عليه ما طلع الشمس والقمر

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿قالت﴾ كأنه قيل فماذا قالت: إذ بشرت بذلك فقيل قالت: ﴿يا ويلتا﴾ أي: يا عجباً أصله يا ويلتني فأبدل من الياء الألف، ومن كسرة التاء الفتحة لأن الألف مع الفتحة أخف من الياء مع الكسرة وأصل هذه الكلمة في الشر، لأن الشخص ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي واحضري فهذا أوان حضورك، ثم اطلق في كل أمر عجب كقولك يا سبحان الله وهو المراد هنا.

قال سعدي المفتي: أصل الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس ثم استعمل في عجب يدهم النفس ﴿ءألد﴾ [آيا من بزايم] ﴿وأنا عجوز﴾ بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة لم ألد قط ﴿وهذا﴾ الذي تشاهدونه ﴿بعلي﴾ أي: زوجي وأصله القائم بالأمر ﴿شيخاً﴾ ابن مائة سنة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل معنى الإشارة.

قال في «الكواشي»: كأنها أشارت إلى معروف عندهم أي: هذا المعروف بعلي ثم قالت: شيخاً أي: أشير إليه في حال شيخوخته ولو لم يكن معروفاً عندهم لكان يجب أن يكون بعلها مدة شيخوخته ولم يكن بعلها مدة شبيبته ونحوه هذا زيد قائماً إن أخبرت من يعرفه صح المعنى وإن أخبرت من لا يعرفه لا يصح لأنه إنما يكون زيداً ما قام، فإذا ترك القيام فليس بزيد، وقدمت بيان حالها على بيان حال بعلها لأن مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر إذ ربما يولد للشيوخ من الشواب ولا يولد للعجائز من الشبان. ﴿إن هذا﴾ أي: حصول الولد من هرمين مثلنا. ﴿لشيء عجيب﴾ بالنسبة إلى سنة الله المسلوكة فيما بين عباده ومقصدها استعظام نعمة الله عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرة الله تعالى؛ لأن

التعجب من قدرة الله يوجب الكفر لكونه مستلزماً للجهل بقدرة الله تعالى.

﴿قالوا﴾ منكرين عليها ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ أي: من شأن الله تعالى بإيجاد الولد من كبيرين.

قال الكاشفي [ازكار خداى تعالى هيچ عجب نيست كه از صنع بي آلت واز فضل بي علت ازميان دو پير فرزندى بيرون آرد].

قــدرتــي راكــه بــر كــمــال بــود كــي چــنــيــنــهــا از ومــحــال بــود

قال سعدي المفتي: أخذ جبريل عموداً من الأرض يابساً فدلكه بين أصبعيه فإذا هي شجرة تهتز فعرفت أنه من الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿من أمر الله﴾ أي: من قدرة الله تعالى فإن لله تعالى سنة وقدرة فيجري أمر العوام بسنته وأمر الخواص إظهاراً للآية، والإعجاز بقدرته فأجرى أمركم بقدرته ومثلها امرأة عمران وهي حنة، كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت أي: صارت عجوزاً، ثم حملت بمريم وقد سبق في آل عمران فإذا كان هذا الحمل بقدرة الله تعالى خارقاً للعادة لم يحتج إلى الحيض ولا يبعد الحيض أيضاً في كبر السن، كما فسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ضحكت﴾ بحاضت قيل لما صلب الحجاج عبد الله بن الزبير جاءته أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق فلما رأته حاضت مع كبر سنها وقد بلغت مائة سنة وخرج اللبن من ثدييها وقالت: حنت إليه مراتعه ودرت عليه مراضعه، ﴿رحمة الله﴾ التي وسعت كل شيء واستبقت كل خير. ﴿وبركاته﴾ خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الأولاد حالتان. ﴿عليكم﴾ لازمتان لكم لا تفارقاكم يا ﴿أهل البيت﴾ أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب. والجملة مستأنفة فقيل خبر وهو الأظهر وقيل دعاء وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم عليه السلام ومثله في قصة نوح عليه السلام ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨] وقد سبق ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿حميد﴾ فاعل ما يستوجب به الحمد من عبادة لا سيما في حقها ﴿مجيد﴾ كثير الخير والإحسان إلى عباده خصوصاً في أن جعل بيتها مهبط البركات.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿حميد﴾ على ما يجري من السنة والقدرة ﴿مجيد﴾ فيما ينعم به على العوام والخواص وأصل المجد في كلامهم السعة.

قال ابن الشيخ: المجد الكرم، والمجيد صيغة مبالغة منه.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: المجيد الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله فكان شريف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ أي: زال الخوف والفزع الذي أصابه لما لم يأكلوا من العجل، واطمأن قلبه بعرفانهم بحقيقتهم الملكية وعرفان سبب مجيئهم ﴿وجاءته البشرى﴾ بنجاة قومه كما ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ أو بالولد إسحاق كما قال: ﴿فبشرناها

بإسحاق﴾ وإبراهيم أصل في التبشير كما قال في سورة أخرى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١] ﴿**يجادلنا**﴾ أي: جادل وخاصم رسلنا لأنه صرح في سورة العنكبوت بكون المجادلة مع الرسل وجيء بجواب لما مضارعاً مع أنه ينبغي أن يكون ماضياً لكونها موضوعة للدلالة على وقوع أمر في الماضي لوقوع غيره فيه على سبيل الحكاية الماضية. ﴿**في قوم لوط**﴾ في شأنهم وحقهم لرفع العذاب جدال الضعيف مع القوي لا جدال القوي مع الضعيف بل جدال المحتاج الفقير مع الكريم الغني وجدال الرحمة والمعاطفة وطلب النجاة للضعفاء والمساكين الهالكين، وكان لوط ابن أخيه، وهو لوط بن آزور بن آزر، وإبراهيم بن آزر ويقال: ابن عمه وسارة كانت أخت لوط، فلما سمعا بهلاك قوم لوط اغتما لأجل لوط فطفق إبراهيم يجادل الرسل حين قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة قالوا: لا قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: فإن فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله.

﴿**إن إبراهيم لحليم**﴾ غير عجول على الانتقام من أساء إليه ﴿**أواه**﴾ كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس.

وفي «ربيع الأبرار» معنى التأوه الدعاء إلى الله بلغة توافق النبطية ﴿**منيب**﴾ راجع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى أي: كان جداله بحلم وتأوه عليهم فإن الذي لا يتعجل في مكافاة من يؤذيه يتأوه أي: يقول أوه وآه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير وإنه مع ذلك راجع إلى الله في جميع أحواله أي: ما كان بعض أحواله، مشوباً بعلة راجعة إلى حظ نفسه، بل كان كله لله فتبين أن رقة القلب حملته على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حملته على الاستغفار لأبيه.

يقول الفقير دلت الآية على أن المجادلة وقعت في قوم لوط ودلت التفاسير على أنها وقعت في لوط نفسه والمؤمنين معه ولا تنافي بينهما، فإن عموم الرحمة التي حملته عليها نشأة الأنبياء عليهم السلام لا يميز بين شخص، وشخص فإن الأمة بالنسبة إلى النبي كالأولاد بالنسبة إلى الأب، وكفرهم لا يرفع الرحمة في حقهم، ويدل عليه حال نوح مع ابنه كنعان كما وقفت عليه فيما سبق وإنما مجيء البشرى في حق قومه فقط فبقي الألم في حق الغير على حاله واتصال القرابة بين إبراهيم ولوط يقتضي أن يكون قوم لوط في حكم قوم إبراهيم فافهم.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿**يا إبراهيم**﴾ على إرادة القول أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم ﴿**أعرض عن هذا**﴾ الجدال بالحلم والرحمة على غير أهل الرحمة ﴿**إنه**﴾ أي: الشأن ﴿**قد جاء أمر ربك**﴾ قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم والقضاء هو الإرادة الأزلية، والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها ﴿**وإنهم آتيهم عذاب غير مردود**﴾ غير مصروف عنهم بجدال ولا بدعاء ولا بغير ذلك وإنك مأجور مثاب فيما جادلتنا لنجاتهم، وهذا كما كان النبي ﷺ يقول: «اشفعوا تؤجروا وليقضن الله على لسان نبيه ما شاء» قال ابن الملك في «شرح الحديث»: لا يخفى أن مطلق الشفاعة لا يكون

سبباً للأجر فيحمل على أن تكون الشفاعة لأرباب الحوائج المشروعة كدفع ظلم وعفو عن ذنب ليس فيه حد انتهى.

والحد: واجب في اللواطة عند الإمامين لأنهما ألحقاها بالزنى، وعند أبي حنيفة يعزر في ظاهر الرواية وزاد في «الجامع الصغير» ويودع في السجن حتى يتوب، وروي عنه الحد في دبر الأجنبية ولو فعل هذا بعبده أو أمته أو منكوحته لا يحد بلا خلاف.

وفي «الشرح الأكملي» والظاهر أن ما ذهب إليه أبو حنيفة أنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث يجازي بما يجازي القتل أو الزنى وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أنه يقول في اليمين الغموس: إنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

يقول الفقير: الظاهر أن إتيان العذاب الغير المردود لإصرارهم على الكفر والتكذيب بعد استبانة الحق واللواطة من جملة أسباب الإتيان كالعقر لناقة الله بالنسبة إلى قوم صالح ـ روي ـ أن الرسل الذين بشروا إبراهيم خرجوا بعد هذه المجادلة من عنده وانطلقوا إلى قرية لوط سدوم وما بين القريتين أربعة فراسخ فانتهوا إليها نصف النهار فإذا هم بجوار يستقين من الماء فأبصرتهم ابنة لوط وهي تستقي الماء فقالت: لهم ما شأنكم وأين تريدون قالوا: أقبلنا من مكان كذا ونريد كذا فأخبرتهم عن حال أهل المدينة وخبثهم فأظهروا الغم من أنفسهم فقالوا: هل أحد يضفنا في هذه القرية؟ قالت: ليس فيها أحد يضيفكم إلا ذاك الشيخ، فأشارت إلى أبيها لوط وهو قائم على بابه فأتوا إليه.

وقال الكاشفي: [چون نزديك شهر سدوم رسيدندكه لوط در انجا مى بود نكاه كردند ديدندكه وى درزمين كار ميكرد پيش وى رفتند وسلام كردند] فلما رآهم وهيئتهم ساءه ذلك وهو قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم﴾ [اندوهكين شد بديشان] وهو فعل مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءني كذا أي: حصل لي منه سوء وحزن وغم وبهم متعلق به أي: بسببهم. والمعنى ساءه مجيئهم لا لأنهم جاؤوا مسافرين وهو لا يود الضيف وقراه فحاشى بيت النبوة عن ذلك بل لأنهم جاؤوا في صورة غلمان حسان الوجوه فحسب أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم.

وفيه إشارة إلى عروض الهمّ والحزن له لهلاك قومه بالعذاب فانظر إلى التفاوت بين إبراهيم ولوط وبين قومهما حيث كان مجيئهم لإبراهيم للمسرة وللوط للمساءة مع تقديم المسرة؛ لأن رحمة الله سابقة على غضبه ـ وروي ـ أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما أتوا إليه قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله إنها لشرّ قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا منزله ولم يعلم بذلك أحد فأذاع خبرهم امرأته الكافرة كما ستقف عليه ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ [وتنك دل شد بجهت ايشان] وذرعا نصب على التمييز أي: ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه

وطاقته، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه. وفي «الاختري» ضاق به ذرعاً أي: طاقة وضاق بالأمر أي: لم يطقه ولم يقو عليه وكان مد إليه يده فلم تنله. قال الأزهري: الذرع يوضع موضع الطاقة والأصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوته فإذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومد عنقه وجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال: ما لي به ذرع ولا ذراع أي: ما لي به طاقة **﴿وقال هذا يوم عصيب﴾** أي: شديد عليّ وهو لغة جرهم كما في «ربيع الأبرار» ثم قال لوط لامرأته: ويحك قومي اخبزي ولا تعلمي أحداً، وكانت امرأته كافرة منافقة فانطلقت لطلب بعض حاجتها فجعلت لا تدخل على أحد إلا أخبرته، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت أحسن وجوهاً منهم ولا أنظف ثياباً ولا أطيب رائحة، فلما علموا بذلك جاؤوا إلى باب لوط مسرعين فذلك قوله تعالى:

﴿وجاءه﴾ أي: لوطاً وهو في بيته مع أضيافه **﴿قومه﴾** والحال أنهم **﴿يهرعون إليه﴾** يسرعون إليه كأنما يدفعون دفعاً طلباً للفاحشة من أضيافه غافلين عن حالهم جاهلين بمآلهم والإهراع الإسراع.

قال في «التهذيب الهرع»: [براندن سخت وشتا بانيدن] يقال: اهرع القوم وهرعوا **﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾** الجملة حال أيضاً من قومه أي: جاؤوا مسرعين والحال أنهم كانوا من قبل هذا الوقت وهو وقت مجيئهم إلى لوط منهمكين في عمل الفواحش [عملهاى بد از لواطه وكبوتر بازى وصفير زدن در مجالس وبراى استهزا نشستن برسر راهها] فتمرنوا بها، أي: تعودوا واستمروا حتى لم تعب عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا ما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين.

وفي «التأويلات النجمية» كانوا يعملون السيئات الموجبة للهلاك والعذاب فجاؤوا مسرعين مستقبلي العذاب وطلبوا من بيت النبوة من أهل الطهارة معاملة ساءتهم بخباثة نفوسهم ليستحقوا بذلك كمال الشقاوة وسرعة العذاب انتهى.

ودل ما ذكر على أن جهار الفسق فوق إخفائه ولذا رد شهادة الفاسق المعلن وفي الحديث: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون» أي: لكن المجاهرون بالمعاصي لا يعافون بل يؤخذون في الدنيا إن كانت مما يتعلق بالحدود وأما في الآخرة فمطلقاً. قال السعدي قدس سره:

نه هركز شنيدم درين عمر خويش ... كه بد مردرا نيكى آمد بپيش

نه ابليس بدكرد ونيكى نديد ... بر پاك نايد زتخم پليد

﴿قال يا قوم﴾ [اي قوم من] **﴿هؤلاء﴾** مبتدأ خبره قوله **﴿بناتي﴾** الصلبية فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً في شريعته، وهكذا كان في أول الإسلام بدليل أنه عليه السلام زوج ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب قبل الوحي وهما كافران ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١] وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأياً ما كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية في الكرم **﴿هن﴾** مبتدأ

خبره قوله ﴿أطهر لكم﴾ هذا لا يدل على أن إتيان الذكور كان طاهراً، كما لا يدل قولك النكاح أطهر من الزنى على كون الزنى طاهراً، لأنه خبث ليس فيه شيء من الطهارة لكن هؤلاء القوم اعتقدوا ذلك طهارة فبني ذلك على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل، وهو مثل ما قال النبي عليه السلام لعمر رضي الله عنه: «الله أجل وأعلى» جواباً لأبي سفيان حيث قال: أعل هبل اعتقد علو صنمه وذلك اعتقاد فاسد لا شبهة فيه.

يقول الفقير عرض عليهم أولاً بناته لكي يرغبوا فيهن فينسد باب الفتنة ففيه حسن دفع لهم من أول الأمر وبناته وإن لم تف للجميع الكثير، لأنه على ما روي كان له بنتان لكنه إذا أرضى بهن البعض ممن كان مطاعاً انقطع عرق النزاع من الاتباع، ولئن سلم أنه لم يكن فيهم مطاع فلقد شاهدنا اندفاع شر كثير بخير يسير، ثم حكم بكونهن أطهر وهو للزيادة المطلقة على ما ذهب إليه الرازي في الكبير تأكيداً للترغيب وتقبيحاً لحالهم في استطابة الخبائث لينزجروا ويتركوا ما هم عليه من اللواطة، فإنه إذا كان المحيض أذى وقذراً يجب التجنب عنه مع كون المحل مباح الأصل فلأن يكون الجزاء كذلك أولى مع كون المحل حرام الأصل ﴿فاتقوا الله﴾ بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ﴿ولا تخزون﴾ [مرا رسواى نكنيد] ﴿في ضيفي﴾ في حقهم وشأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه كما أن إكرام من يتصل به إكرامه. والضيف مصدر في الأصل يكون للقليل والكثير ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ رجل واحد يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح.

وقال الكاشفي: [آيانيست ازشما مردى راه يافته كه شمارا پند دهد واز عملهاى بد باز دارد].

وفي «التأويلات النجمية» رجل رشيد يقبل نصحي ويتوب إلى الله بالصدق فينجيكم من العذاب ببركته انتهى.

وذلك لأن الواحد على الحق كالسواد الأعظم وكالأكسير.

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة أي: لا رغبة لنا فيهن فلا ننكحهن ومقصودهم أن نكاح الإناث ليس من عادتنا ومذهبنا ولذا قالوا: علمت فإن لوطاً كان يعلم ذلك ولا يعلم عدم رغبتهم في بناته بخصوصهن ويؤيده قوله ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ هو إتيان الذكور وهو في الحقيقة طلب ما أعد الله لهم في الأزل من قهره يعني الهلاك بالعذاب ولما يئس من ارعوائهم عماهم عليه من الغي ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ لو للتمني وهو الأنسب بمثل هذا المقام فلا يحتاج إلى الجواب وبكم حال من قوة أي: بطشاً، والمعنى بالفارسية [كاشكى مرا باشد بدفع شما قوتي] ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ عطف على أن لي بكم، لما فيه من معنى الفعل، والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره أي: لو قويت على دفعكم ومقاومتكم بنفسي، أو التجأت إلى ناصر عزيز قوي استند إليه وأتمنع به فيحميني منكم شبه بركن الجبل في الشدة والمنعة.

وقال الكاشفي: [ياپناه كيرم وباز كردم بركنىء سخت يعني شعيره وقبيلهٔ كه بديشان منع

شماتوا نم كرد] وكان لوط رجلاً غريباً فيهم ليس له عشيرة وقبيلة يلتجىء إليهم في الأمور الملمة والغريب لا يعينه أحد غالباً في أكثر البلدان خصوصاً في هذا الزمان. قال الحافظ:

تيمار غريبان سبب ذكر جميلست   جانا مكر اين قاعده درشهر شمانيست

وإنما تمنى القوة لأن الله تعالى خلق الإنسان من ضعف كما قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] والعارف ينظر إلى هذا الضعف ذوقاً وحالاً ولذا قيل إن العارف التام المعرفة في غاية العجز والضعف عن التأثير والتصرف لانقهاره تحت الوحدة الجمعية وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] والوكيل هو المتصرف، فإن ألهم التصرف بجزم تصرف، وإن منع امتنع وإن خير اختار ترك التصرف إلا أن يكون ناقص المعرفة. وفي «المثنوي»:

ما كه باشيم اي تومارا جان جان   تاكه ما باشيم باتو درميان

دست نى تادست جنباند بدفع   نطق نى تادم زند از ضر ونفع

پيش قدرت خلق جمله باركه   عاجزان چون پيش سوزن كاركه

وفي الحديث: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد» وهو نصر الله ومعونته. واختلف في معناه.

فقال الكاشفي، يعني: [بخداي پناه كرفت وخدا اورايارى دادكه ملجأ درماندكان جزدركاه اونيست]:

آستانش كه قبلهٔ همه است   درپناهش زماهى تابمه است

هركه دل درحمايتش بستست   ازغم هردوكون وارستست

وقال ابن الشيخ: أي: كان يريد أو يتمنى أن يأوي إلى ركن شديد وفي قوله: «رحم الله» إشارة إلى أن هذا الكلام من لوط ليس مما ينبغي من حيث إنه يدل على قنوط كلي ويأس شديد من أن يكون له ناصر ينصره، والحال أنه لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه، أليس الله بكافٍ عبده انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه، يعني: استجيب دعوته ضرورة، وكان ﷺ يحميه قبيلته كأبي طالب فإنه كان يتعصب للنبي ويذب عنه دائماً وإنما اضطر إلى الهجرة بعد وفاته ـ روي ـ أن لوطاً أغلق بابه دون أضيافه حين جاؤوا وأخذ يحاولهم من وراء الباب، فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما بلوط من الكرب.

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ بضرر ولا مكروه ولن يخزوك فينا وإن ركنك شديد فافتح الباب ودعنا، وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرائيل ربه تعالى في عقوبتهم، فأذن له، فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة وهددوا لوطاً، وقالوا: مكانك حتى نصبح **﴿فأسر بأهلك﴾** الإسراء بالفارسية [رفتن بشب] وهو لازم ومتعد وكذا السري فإن معناه [رفتن بشب] والمصدر على

فعل خص به المعتل كما في «التهذيب» والمعنى كما قال الكاشفي: [ببركسان خودرا] **﴿بقطع من الليل﴾** القطع في آخر الليل.

وقال ابن عباس: بطائفة من الليل، والمعنى [بپار شب يعني بعد از كذشتن برخى ازشب] فالباء في باهلك للتعدية ويجوز أن تكون للحال، أي: مصاحباً بهم وفي قوله **﴿بقطع﴾** للحال أي: مصاحبين بقطع على أن المراد به ظلمة الليل، وقيل الباء فيه بمعنى في، أي: أخرجوا ليلاً لتستبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح **﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾** منك ومن أهلك أي: لا يتخلف ولا ينصرف عن امتثال المأمور به، أو لا ينظر إلى ورائه فالظاهر على هذا أنه كان لهم في البلد أموال وأقمشة وأصدقاء، فالملائكة أمروهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الأشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم كما قال في «التأويلات النجمية»: **﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾** إلى ما هم فيه من الدنيا وزينتها ومتاعها أراد به تجرد الباطن عن الدنيا وما فيها فإن النجاة من العذاب والهلاك منوط به انتهى وفي الحديث: «اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم» أي: أنفذها وتممها لهم ولا تمسهم في بلدة هاجروا منها لئلا ينتقض الثواب بالركون إلى الوطن.

قال أبو الليث في «تفسيره»: جمع لوطاً أهله وابنتيه ريثا ورعورا فحمل جبريل لوط وبناته وماله على جناحه إلى مدينة زغر، وهي إحدى مدائن لوط وهي خمس مدائن، وهي على أربع فراسخ من سدوم ولم يكونوا على مثل عملهم انتهى ويخالفه الأمر بالإسراء كما لا يخفى.

وقال في «بحر العلوم»: وإنما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم ويجوز أن يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوقف؛ لأن من يلتفت إلى ما وراءه لا بد له من أدنى وقفة **﴿إلا امرأتك﴾** استثناء من قوله تعالى: **﴿فأسر بأهلك﴾** **﴿إنه﴾** أي: الشان **﴿مصيبها ما أصابهم﴾** من العذاب:

بابدان يا ركشت همسر لوط ... خاندان نبوتش كم شد

يعني: وقعت أهل بيت نبوته في الضلالة فهلكت، والمراد امرأته فإنها مع تشرفها بالإضافة إلى بيت النبوة لما اتصلت بأهل الضلالة صارت ضالة: وأدّى ضلالها وكفرها إلى الهلاك معهم ففيه تنبيه على أن لصحبة الأغيار ضرراً عظيماً **﴿إن موعدهم الصبح﴾** أي: موعد عذابهم وهلاكهم وهو تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الإسراع كما في الإرشاد ـ وروي ـ أنه قال للملائكة: متى موعدهم؟ قالوا: الصبح فقال: أريد أسرع من ذلك فقالوا: **﴿أليس الصبح بقريب﴾** [آيا نيست صبح نزديك نفي نزديكست]، وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذٍ أفظع، ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين.

وفيه إشارة إلى أن صبح يوم الوفاة قريب لكل أحد فإذا أدركه، فكأنه لم يلبث في الدنيا إلا ساعة من نهار. قال السعدي قدس سره:

چرا دل برير كاروان مى نهيم ... كه ياران برفتند وما بررهيم

پس اي خاكساركنه عن قريب ... سفر كرد خواهى بشهر غريب

برين خاك جندان صبا بكذرد ... كه هرذره از ما بجايى برد

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿فلما جاء أمرنا﴾ أي: وقت عذابنا وموعده وهو الصبح ﴿جعلنا﴾ بقدرتنا الكاملة ﴿عاليها﴾ أي: عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي أربع مدائن فيها أربعمائة ألف أو أربعة آلاف.

قال الكاشفي: [درهريكى صد هزار مرد شمشيررن] وهي سدوم، وعامورا، وكادوما، ومذوايم، كانت على مسيرة ثلاثة أيام من بيت المقدس ﴿سافلها﴾ أي: قلبناها على تلك الهيئات. وبالفارسية [نكون ساختيم] ـ روي ـ أن جبريل جعل جناحه في أسفلها فاقتلعها من الماء الأسود ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة لم يكفأ إناء ولم ينتبه نائم، ثم قلبها عليهم فأقبلت تهوي من السماء إلى الأرض. ﴿وأمطرنا عليها﴾ على أهل المدائن من فوقهم [أي بعد از سر نكون شدن] وكان حقه جعلوا وأمطروا، أي: الملائكة المأمورون به فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر وتهويلاً للخطب ﴿حجارة من سجيل﴾ من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله [سنك كل] فعرب ﴿منضود﴾ نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار. والنضد وضع الشيء بعضه على بعض وهو نعت لسجيل.

﴿مسومة﴾ نعت حجارة، أي: معلمة لا تشبه حجارة الدنيا، أو باسم صاحبها الذي تصيبه ويرمى بها، ﴿عند ربك﴾ أي: جاءت من عند ربك.

قال الكاشفي: [آماده كشته در خزائن پروردكار تو براى عذاب ايشان] ـ روي ـ إن الحجر اتبع شذاذهم أينما كانوا في البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج فأصابه فأهلكه [در تفسير زاهدى آورده كه سنك كلان او برابر خمى بود وخردى مساوى اسبويى]. يقول الفقير: لعل الأمطار على تلك القرى بعد القلب إنما هو لتكميل العقوبة كالرجفة الواقعة بعد الصيحة لقوم صالح، ولتحصيل الهلاك لمسافريهم الخارجين من بلادهم لمصالحهم وهو الظاهر والله أعلم ﴿وما هي﴾ أي: الحجارة الموصوفة ﴿من الظالمين﴾ من كل ظالم فهم بسبب ظلمهم مستحقون لها ملابسون بها ﴿ببعيد﴾ تذكيره على تأويل الحجارة بالحجر. وفيه وعيد لأهل الظلم كافة، وعنه عليه السلام أنه سأل جبرائيل فقال يعني: ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرضة حجر يسقط من ساعة إلى ساعة يقال: فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه، وجعلت فلاناً عرضة لكذا، أي: نصبته فلا تظن الظالمين أنهم يتخلصون ويسلمون من هذه الحجارة أن تسقط عليهم وقت وفاتهم وحصولهم إلى صباح موتهم، ونظيره أن رسول الله ﷺ كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة وهي صوت انهدام الحائط فارتاعوا، أي: خافوا وفزعوا فقال عليه السلام: «أتعرفون ما هذه الهدة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها وكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة» فما فرغ من كلامه إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فكان سماعهم

تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا، وفي الخبر قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة حجارة موضوعة، فسألت عن ذلك جبريل فقال: لا تسأل عنها، فلما انصرفت وقفت على تلك الحجارة، وقلت أخبرني عن الحجارة فقال: هذه الحجارة فصلت من حجارة قوم لوط خبئت للظالمين من أمتك، ثم تلا ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾» كذا في «زهرة الرياض»:

چون عالم ازستمكر ننك دارد عجب نبودكه بروى سنك بارد

وفي «التبيان» والبعيد الذي ليس بكائن ولا يتصور وقوعه وكل ما هو كائن فهو قريب.

وعن محمد بن مروان قال: صرت إلى جزيرة النوبة في آخر ممرنا، فأمرت بالمضارب فضربت، فخرج النوب يتعجبون، وأقبل ملكهم رجل طويل أصلع حافٍ عليه كساء فسلم وجلس على الأرض، فقلت له ما لك لا تقعد على البساط؟ قال: أنا ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع له إذا رفعه.

تواضع زكردن فرازان نكوست كدا كر تواضع كند خوى اوست

ثم قال: ما بالكم تطاون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم؟ فقلت: عبيدنا فعلوه بجهلهم، قال: ما بالكم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في دينكم قلت أشياعنا فعلوه بجهلهم قال: فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب والفضة وهي محرمة عليكم على لسان نبيكم قلت: فعل ذلك أعاجم من خدمنا كرهنا الخلاف عليهم فجعل ينظر في وجهي ويكرر معاذري على وجه الاستهزاء ثم قال: ليس كما تقول يا ابن مروان، ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمرتم فأذاقكم الله وبال أمركم، ولله فيكم نعم لم تحص، وإني أخشى أن ينزل بك وأنت في أرضي مصيبة فتصيبني معك فارتحل عني.

واعلم أن الظلم من نتائج القساوة التي تمطر على كل قلب مقدار ما قدر له فلا يزال يزداد ظلم المرء بحسب ازدياد قساوة قلبه، فإذا أحاطت بمرآة قلبه قساوته أبعد من أن يكون مرجواً نجاته، وكان من المهلكين بحجر القساوة النازلة من سماء القهر والجلال، عصمنا الله وإياكم من البغي والفساد وأرشدنا إلى العدل والصلاح إنه ولي الإرشاد.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وإلى مدين﴾ هو اسم ابن إبراهيم عليه السلام ثم صار اسماً للقبيلة، أو اسم مدينة بناها مدين فسميت باسمه، أي: وأرسلنا إلى قبيلة مدين أو ساكني بلدة مدين. ﴿أخاهم﴾ أي: واحداً منهم في النسب. ﴿شعيباً﴾ عطف بيان له وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين ﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ولا تشركوا به شيئاً من الأصنام؛ لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي: ليس لكم إله سوى الله تعالى وكانت كلمة جميع الأنبياء في التوحيد واحدة فدعوا إلى الله الواحد وعبادته، فأمرهم شعيب بالتوحيد أولاً لأنه ملاك الأمر وقوامه ثم نهاهم عما اعتادوه من النقص في الكيل والوزن لأنه يورث الهلاك فقال: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي: آلة الوزن والكيل وكان لهم مكيالان وميزانان أحدهما أكبر من الآخر فإذا اكتالوا على الناس يستوفون بالأكبر، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون بالأصغر،

والمراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنجات كي تتوسلوا بذلك إلى بخس حقوق الناس ويجوز أن يكون من ذكر المحل وإرادة الحال، والمعنى بالفارسية [مكاهيد وكم مكنيد پيمانه را در پيمودن ميكلات وترازورا در سنجيدن موزونات] وكل من البخسين شائع في هذا الزمان أيضاً، كأنه ميراث من الكفرة الخائنين ﴿إني أراكم بخير﴾ علة للنهي أي: ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف. يعني [درمانده ومحتاج نيستيدكه داعي باشد شمارا بخيانت بلكه منعم وتوانكريد رسم حق كزارى آنست كه مردم را از مال خود بهره مند كنيد نه آنكه از حقوق ايشان باز كيريد]. ﴿وإني أخاف عليكم﴾ إن لم ترجعوا عن ذلك النقص ﴿عذاب يوم محيط﴾ لا يشذ منه أحد منكم، والمراد منه عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب لاشتماله عليه ففيه إسناد مجازي، وأصل العذاب في كلام العرب من العذب، وهو المنع وسمي الماء عذباً لأنه يمنع العطش والعذاب عذاباً لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾ إيفاء الحق إعطاؤه تاماً كاملاً، أي: اسعوا في إعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ﴿بالقسط﴾ حال من فاعل أوفوا، أي: ملتبسين بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فإن الزيادة في الكيل والوزن، وإن كانت تفضلاً مندوباً إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل كذا في «الإرشاد». وصرح بالإيفاء بعد النهي عن ضده؛ لأن النهي عن نقص حجم المكيال وصنجات الميزان والأمر بإيفاء المكيال والميزان حقهما بأن لا ينقص في الكيل والوزن وهذا الأمر بعد مساواة المكيال والميزان للمعهود فلا تكرار في الآية كما في «حواشي» سعدي المفتي. ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ مطلقاً أي: سواء كانت من جنس المكيل والموزون أو من غيره وسواء كانت جليلة أو حقيرة، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما يفعل السماسرة ويمكنون الناس وينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ العثي أشد الفساد أي: ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، لأنهم كانوا متمادين فيه فنهوا عن ذلك ومن الفساد نقص الحقوق، ومن الإفساد قص الدراهم والدنانير وترويج الزيوف ببعض الأسباب وغير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿بقية الله﴾ أي: ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد ترك الحرام، فهي فعيلة بمعنى المفعول وإضافتها للتشريف كما في بيت الله وناقة الله، فإن ما بقي بعد إيفاء الكيل والوزن من الرزق الحلال يستحق التشريف. ﴿خير لكم﴾ مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء منثور بل شر محض وإن زعمتم أن فيه خيراً، كما قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال في «شرح الشرعة»: ولا يخون أحد في مبايعته بالحيل والتلبيس فإن الرزق لا يزيد بذلك بل تزول بركته فمن جمع المال بالحيل حبة حبة، يهلكه الله جملة قبة قبة، ويبقى عليه وزره ذرة ذرة، كرجل كان يخلط اللبن بالماء ليرى كثيراً فجاء السيل وقتل بقره فقالت: صبيته يا أبتِ قد اجتمع المياه التي جعلتها في اللبن وقتلت البقر ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بشرط أن تؤمنوا، وإنما شرط الإيمان في خيرية ما بقي بعد الإيفاء؛ لأن فائدته وهي حصول الثواب والنجاة من العقاب إنما تظهر مع الإيمان فإن الكافر مخلد في عذاب النيران ومحروم من رضوان وثواب الرحمن سواء، أو في الكيل والميزان أو سلك سبيل الخوّان إن كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي: ما بعثت لأحفظكم عن المعاصي والقبائح وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً وقد بلغت.

من آنچه شرط بلاغست باتو ميكويم توخواه از سختم پند كير وخواه ملال

اعلم أن العدل ميزان الله في الأرض سواء كان في الأحكام أو في المعاملات والعدول عنه يؤدي إلى مؤاخذة العباد فينبغي أن يجتنب الظلم والمراد بالظلم أن يتضرر به الغير والعدل إن لا يتضرر منه أحد بشيء كما قال عكرمة: أشهد أن كل كيال ووزان في النار، قيل له فمن أو في الكيل والميزان؟ قال: ليس رجل في المدينة يكيل كما يكتال ولا يزن كما يتزن، والله تعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١].

وقال سعيد بن المسيب: إذا أتيت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام فيها، وإذا أتيت أرضاً ينقصون المكيال والميزان فأقل المقام فيها وفي الحديث: «ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم إلا كثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو» قوله: ولا ختر أي: غدر ونقض العهد كما في «الترغيب».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي: مكيال المحبة وميزان الطلب فإن للمحبة مكيالاً وهو عداوة ما سوى الله تعالى كما قال الخليل: عند إظهار الخلة فإنهم عدولي إلا رب العالمين، فإنك أن تحب أحداً وشيئاً مع الله فقد نقصت في مكيال محبة الله وإن للطلب ميزاناً وهو السير على قدمي الشريعة والطريقة، كما قيل: خطوتان وقد وصلت فإن خطوت خطوتين دونهما فقد نقصت من الميزان انتهى.

فعلى السالك أن يتأدب بآداب الأولياء والأنبياء ويضع القدم في هذا الطريق الأولى كما أمر به وشرط له ولا بد من الأمانة والاستقامة، وإيتاء كل ذي حق حقه قائماً بالعدل والقسط القويم وازناً بالقسطاط المستقيم كائلاً بالكيل السليم، فعند ذلك يتفضل له المولى بالقبول والمدح في الدنيا والثواب والأنعام في الآخرة فيعيش سعيداً ويموت سعيداً، وأما إذا غدر وظلم وخان واستكبر وأصر يعدل له المولى بالرد والذم في الدنيا، والعقاب والانتقام في الآخرة إن لم يتداركه الفضل والعفو فيعيش شقياً، ويموت شقياً ويحشر شقياً. وفي «المثنوي»:

چون ترازوى توكژ بود و دغا راست چون جوئى ترازوى جزا
چونكه پاي چب بود در غدر وكاست نامه چون آيد ترا در دست راست
چون جزا سايه است اي قد توخم سايهٔ توكژ فتد در پيش هم

﴿قالوا يا شعيب﴾ [آورده اندكه انبيا برد وقسم بوده اند بعضي آنكه ايشانرا فرمان حرب بود چون موسى وداود وسليمان عليهم السلام وبرخى آنكه ايشانرا بحرب نفر مودند وشعيب ازان جمله بودكه رخصت حرب نداشت قوم خودرا موعظه ميكفت وخودهمه شب نمازمى كرد كفتند قوم اوكه اي شعيب] ﴿أصلاتك﴾ [آيا نمازتو] ﴿تأمرك﴾ أسندوا الأمر إلى صلاته قصداً إلى الاستهزاء، فمرادهم السخرية لا حقيقة الاستفهام. والمعنى: أصلاتك تدعوك إلى أمرنا ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ من الأوثان، وقد توارثنا عبادتها أباً عن جد أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الأوثان، ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ جواب عن أمره بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما، وأو بمعنى الواو لأن ما كلفهم به شعيب هو مجموع الأمرين لا أحدهما. والمعنى أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من التصرفات.

وقال بعضهم: كان ينهاهم عن تقطيع أطراف الدراهم والدنانير وقصها فأرادوا به ذلك. والمعنى ما نشاء من تقطيعها.

واعلم أن أول من استخرج الحديد والفضة والذهب من الأرض «هو شنك» في عصر إدريس عليه السلام، وكان ملكاً صالحاً داعياً إلى الإسلام، وأول من وضع السكة على النقدين الضحاك وإفساد السكة بأي وجه كان إفساد في الأرض.

وسئل الحجاج عما يرجو به النجاة فذكر أشياء منها ما أفسدت النقود على الناس ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ الأحمق السفيه بلغة مدين كما في «ربيع الأبرار».

وقال في «الكواشي»: تتعاطى الحلم والرشد ولست كذلك، أي: ما أنت بحليم ولا رشيد فيما تأمرنا وترشدنا إليه.

وقال أكثر أهل التفسير: أرادوا السفيه الضال الغاوي فتهكموا به كما يتهكم بالشحيح، فيقال: لو أبصرك حاتم لتعلم منك الجود. وبالمستجهل والمستخف فيقال: يا عالم يا حليم، فهو إذاً من قبيل الاستعارة التبعية نزلوا التضاد منزلة التناسب على سبيل الهزؤ فاستعاروا الحلم والرشد للسفه والغواية ثم سرت الاستعارة منهما إلى الحليم الرشيد.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

﴿قال﴾ شعيب ﴿يا قوم أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن كنت﴾ إيراد حرف الشك باعتبار حال المخاطبين ﴿على بينة من ربي﴾ أي: حجة واضحة وبرهان نير من مالك أمري عبر بهما عما أتاه الله تعالى من النبوة والحكمة رداً على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند ﴿ورزقني منه﴾ أي: من لدنه ﴿رزقاً حسناً﴾ هو النبوة والحكمة أيضاً عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته.

وقال بعضهم: هو ما رزقه الله من المال الحلال من غير شائبة حرام، أي: من غير بخس وتطفيف وكان كثير المال، وجواب الشرط محذوف لأن إثباته في قصة نوح ولوط دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه، والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من

ربي وكنت نبياً على الحقيقة فهل يصح لي أن أتبعكم وأشوب الحلال بالحرام ولا آمركم بتوحيد الله وترك عبادة الأصنام والكف عن المعاصي، والقيام بالقسط والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك. **﴿وما أريد﴾** بنهيي إياكم عن التطفيف **﴿أن أخالفكم﴾** مخالفتكم حال كوني مائلاً **﴿إلى ما أنهاكم عنه﴾** يقال: خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته، وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس، أي: لا أنهى عن شيء وارتكبه من نقصان الكيل والوزن، أي: اختار لكم ما اختار لنفسي فإنه ليس بواعظ من يعظ الناس بلسانه دون عمله.

قال في «الاحياء»: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. قال الحافظ:

واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند   چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند
مشكلي دارم زدانشمند مجلس باز پرس   توبه فرمايان چراخود توبه كمتر ميكنند

﴿إن أريد﴾ أي: ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي. **﴿إلا الإصلاح﴾** إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة **﴿ما استطعت﴾** أي: مقدر ما استطعته من الإصلاح.

قال في «بحر العلوم»: ما مصدرية واقعة موقع الظرف أي: مدة استطاعتي الإصلاح وما دمت متمكناً منه لا أترك جهدي في بيان ما فيه مصلحة لكم. قال السعدي قدس سره:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند   وكر هيچ كس را نيايد پسند

﴿وما توفيقي﴾ مصدر من المبني للمفعول أي: كوني موفقاً لتحقيق ما أقصده من إصلاحكم **﴿إلا بالله﴾** إلا بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه وإنما أنا من مباديه الظاهرة. والتوفيق يعدى بنفسه وباللام وبالباء، وهو تسهيل سبل الخير وأصله موافقة فعل الإنسان القدر في الخير والاتفاق هو موافقة فعل الإنسان خيراً كان أو شراً القدر.

وقال في «التأويلات النجمية»: التوفيق اختصاص العبد بعناية أزلية ورعاية أبدية **﴿عليه توكلت﴾** اعتمدت في ذلك معرضاً عما عداه، فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن رتبة الاستمداد به في الاستظهار **﴿وإليه أنيب﴾** أي: ارجع فيما أنا بصدده في جميع أموري ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقاً لإصابة الحق والصواب في كل ما آتى وما أذر إلا بهدايته ومعونته، عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب أي: عليه أقبل بشرا شر نفسي في مجامع أموري.

وفيه إشارة إلى معرفة المعاد، والتوكل على ثلاثة أوجه، توكل المبتدي وهو ترك الأسباب في طلب المعاش، وتوكل المتوسط وهو ترك طلب المعاش في طلب العيش مع الله، وتوكل المنتهي وهو استهلاك الوجود في وجود الله وإفناء الاختيار في اختيار الله ليبقى في هويته بلا هو متصرفاً في الأسباب وإن لا يرى التصرف والأسباب إلا لمسبب الأسباب.

قال في «التأويلات القاشانية»: أول مراتب التوحيد توحيد الأفعال، ثم توحيد الصفات، ثم توحيد الذات فإن الذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالآثار والأكوان، فمن تجلت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل، ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلم، ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فهو في الوجدة فصار موحداً مطلقا انتهى.

تـا نـخـوانـى «لا» و «إلا الله» را درنـيـابـى منـهـج ايـن راه را
عشق آن شعله است كوچون برفروخت هرچه جز معشوق باقي حمله سوخت
تيغ «لا» در قتل غير حق براند درنكر آخر كه بعداز «لا» چه ماند
ماند «إلا الله» وباقي جمله رفت شادباش اي عشق شركت سوز ورفعت

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى مقام التوحيد الحقيقي، ثم إذا وصل إليه اقتفى بأثر الأنبياء وكمل الأولياء في طريق النصح والدعوة ولم يرد إلا الإصلاح تكثيراً للاتباع المحمدية، وتقويماً لأركان العالم بالعدل ونظماً للناس في سلك الرشاد، والله ولي الإرشاد وهو المبدأ وإليه الرجوع والمعاد.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿ويا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿لا يجرمنكم﴾ يقال: جرم زيد ذنباً، أي: كسبه وجرمته ذنباً، أي: اكسبته إياه فهو يتعدى إلى واحد وإلى اثنين، والأول في الآية الكاف والميم. والمعنى لا يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ فاعل لا يجرمنكم ويقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا، أي: حملني فيقدر حرف الجر بعد أن. والمعنى لا يحملنكم بغضكم إياي على أن يصيبكم.

قال الكاشفي: [شما بران نداد ودشمني وستيزه كارى بامن كه برسد شمارا] ﴿مثل﴾ فاعل أن يصيب مضاف إلى قوله ﴿ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة ﴿وما قوم لوط﴾ قال الجوهري: القوم يذكر ويؤنث ﴿منكم ببعيد﴾ يعني أنهم أهلكوا بسبب الكفر والمعاصي في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم ولا تكونوا مثلهم كيلاً يصيبكم مثل ما أصابهم.

والإشارة: إن في طبيعة الإنسان مركوزاً من صفات الشيطنة الإباء والاستكبار ومن طبعه أنه حريص على ما منع كما أن آدم عليه السلام لما منع من أكل الشجرة حرص على أكلها فلهاتين الصفتين إذا أمر بشيء أبى واستكبر، وإذا نهي عن شيء حرص على إتيانه لا سيما إذا صدر الأمر والنهي عن إنسان مثله، فإن طاعة الله هينة القبول بالنسبة إلى طاعة المخلوق لأن في الطاعة ذلة وهواناً وكسراً للنفس، وإن ما يحتمل المخلوق من خالقه أكثر مما يحتمله من مخلوق مثله ولهذا السر بعث الله الأنبياء وأمر الخلق بطاعتهم وقال: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] فمن كان موفقاً من الله تعالى بالعناية الأزلية يأتمر بما أمر به، وينتهي عما نهى عنه ويطيع الرسل فيما جاؤوا به، أخرجته الطاعة من ظلمات صفاته المخلوقة إلى نور صفاته الخالقية ومن سبقته الشقاوة في الأزل تداركه الخذلان ووكل إلى نفسه وطبعه فلا يطيع الله ورسوله ويتمرد عن قبول الدعوة ويستكبر على الرسول ويعاديه بمعاداته ما أمره الله به فيصيبه قهر الله وعذابه ﴿مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ أي: وما معاملة قوم لوط من معاملتكم وذنوبهم من ذنوبكم ببعيد لأن الكفر كله من جنس واحد، وصفات الكفر قريب بعضها من بعض كذا في «التأويلات النجمية». قال في «المثنوي»:

پس وصيت كرد وتخم وعظ كاشت | چون زمين شان شوره بدسودى نداشت
كرچه ناصح را بود صد داعيه | پندرا أذنى ببايد واعيه
توبصد تلطيف وپندش ميدهى | اوز پندت ميكند پهلوتهى
يك كس نا مستمع زاستيز ورد | صد كس كوينده را عاجز كند
زانبينا ناصحتر وخوش لهجه تر | كى بودكه رفت دمشان درحجر
زانچه كوه وسنك دركار آمدند | مى نشد بدبحت را بكشاده بند
آنچنان دلها كه بدشان ما ومن | نعتشان شد بل أشد قسوة

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿واستغفروا ربكم﴾ بالإيمان ﴿ثم توبوا إليه﴾ مما أنتم عليه من المعاصي وعبادة الأوثان لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان أو استغفروا بالإيمان، ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا بالأعمال الصالحة وتوبوا بالفناء التام.

قال في «التأويلات النجمية»: واستغفروا من صفات الكفر ومعاملاته كلها وبدلوها بصفات الإسلام ومعاملاته فإنها تزكية النفوس عن الصفات الذميمة، ثم ارجعوا إليه على قدمي الشريعة والطريقة سائرين منكم إليه ليحليكم بتحلية الحقيقة، وهي الفناء عنكم والبقاء به. ﴿إن ربي رحيم﴾ عظيم الرحمة للمؤمنين والتائبين. ﴿ودود﴾ فاعل بهم من اللطف والإحسان كما يفعل البليغ المودة بمن يوده.

قال في «المفاتيح الودود»: مبالغة الوادّ ومعناه الذي يحب الخير لجميع الخلائق ويحسن إليهم في الأحوال كلها، وقيل المحب لأوليائه، وحاصله يرجع إلى إرادة مخصوصة وحظ العبد منه أن يريد للخلق ما يريد لنفسه، ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعته، ويحب الصالحين من عباده، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم: أريد أن أكون جسراً على النار يعبر عليه الخلق ولا يتأذون بها كما في «المقصد الأسنى» للغزالي.

قال الكاشفي في «تفسيره»: [قطب الأبرار مولانا يعقوب چرخى قدس سره در شرح أسماء الله تعالى معنى الودود درا برين وجه آورده است كه دوست دارندهٔ نيكى بهمه خلق ودوست دردلهاى بحق يعني أونيك را دوست ميداردونيكان اورا دوست ميدارند وفي الحقيقة دوستىٔ ايشان فرع دوستى اوست زيراكه چون بنظر تحقيق درنكر نداصل حسن واحسان كه سبب محبت مى باشد غير اورا ثابت نيست پسر خود خودرا دوست ميداردوازين باب نكتة چندد رآيت ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] بر منظر عيان جلوه نمود وللوالد الأعز زيدت حقائقه:

اين حسن توداده يوسفانرا خوبى | وز عشق توكرده عاشقان يعقوبى
كرنيك نظر كند كسى غير تونيست | در مرتبهٔ محبي ومحبوبي

واعلم أن الله تعالى لو لم يكن له ود لما هدى عباده، ولما فرح بتوبة عبده المؤمن كما قال ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلة عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فلا لله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من

هذا براحلته وزاده» فمن أضاع راحلته في برية الهوى بغلبة الغفلة فعليه الرجوع إلى مكانه الأول أعني الفطرة الأولى بالتسليم والموت الاختياري حتى يجد ما أضاعه، وفي الحديث إشارة إلى الطريق من البداية إلى النهاية أما إلى البداية فبقوله عليه السلام فاستيقظ لأن اليقظة ابتداء حال السالك وأما إلى النهاية فبقوله عليه السلام ليموت، لأن الفناء غاية السير إلى الله ثم إن قوله فاستيقظ فإذا راحلته عنده إشارة إلى البقاء بعد الفناء والرجوع إلى البشرية.

ثم اعلم أن التوبة على مراتب، أعلاها الرجوع عن جميع ما سوى الله تعالى إلى الله سبحانه، وهذا المقام يقتضي نسيان المعصية والتوبة عن التوبة فإن وقت الصفاء يقتضي نسيان الجفاء وأيضاً إذ تجلى الحق للسالك ورأى كل شيء هالكاً إلا وجهه فني الذوات كلها فما ظنك بالأعمال والله تعالى تواب يقبل التوبة إلا أن يكون العبد كذوباً ـ يحكى ـ أن مالك بن دينار مر بشابين يلهوان فوعظهما فقال أحدهما: أنا أسد من الأسود فقال مالك: سيأتيك أسد تكون عنده ثعلباً فمرض الشاب وعاده مالك فبكى الشاب وقال: قد جاء الأسد الذي صرت عنده ثعلباً فقال: ما لك تب إلى الله تعالى فإنه تواب فنودي من زاوية البيت جربناه مراراً فوجدناه كذوباً. وفي «المثنوي»:

توبه آرند وخدا توبه پذير — امرا و كيرند او نعم الأمير

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني **﴿يا شعيب ما نفقه﴾** الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي: لا نعرف ولا نفهم **﴿كثيراً مما تقول﴾** أي: كل ما تقول من التوحيد ومن إيفاء الكيل والوزن وغير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: ٣٦] أي: كلهم على أحد الوجهين وذلك استهانة بكلامه واحتقاراً به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما ندري ما تقول، وإلا فشعيب كان يخاطبهم بلسانهم وهم يفهمون كلامه لكن لما كان دعاؤه إلى شيء خلاف ما كانوا عليه وآباؤهم قالوا ما قالوا: **﴿وإنا لنراك فينا﴾** أي: فيما بيننا **﴿ضعيفاً﴾** هو في المشهور من ليس له قوة جسمانية أي: لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءاً، أو مهيناً لا عز لك وهذا لا يتعلق بالقوة الجسمانية فإن ضعيف الجسم قد يكون وافر الحرمة بين الناس وهو الظاهر لأن الكفرة كانوا يزدرون بالأنبياء وباتباعهم المؤمنين.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ضعيفاً﴾** أي: ضعيف الرأي ناقص العقل وذلك؛ لأنه كما يرى العاقل السفيه ضعيف الرأي يرى السفيه العاقل ضعيف الرأي. **﴿ولولا رهطك﴾** ولولا حرمة قومك ومراعاة جانبهم وقالوا: ذلك كرامة لقومه؛ لأنهم كانوا على دينهم لا خوفاً منهم لأن الرهط من الثلاثة إلى السبعة أو التسعة أو العشرة وهم ألوف فكيف يخافون من رهطه **﴿لرجمناك﴾** لقتلناك برمي الحجارة وقد يوضع الرجم موضع القتل وإن لم يكن بالحجارة من حيث إنه سببه ولأن أول القتل وهو قتل قابيل هابيل لما كان بالحجارة سمي كل قتل رجماً وإن لم يكن بها.

قال عمر رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم وتصلحوا بها أرحامكم. قالوا: ولو لم يكن في معرفة الأنساب إلا الاحتراز بها من صولة الأعداء ومنازعة الأكفاء لكان

تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الصواب، ألا ترى إلى قول قوم شعيب ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه يقال: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ مكرم محترم حتى تمنعنا عزتك من رجمك بل رهطك هم الأعزة علينا لكونهم من أهل ديننا فإنما نكف عنك للمحافظة على حرمتهم، وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد، وتقديم الفاعل المعنوي لإفادة الحصر والاختصاص وإن كان الخبر صفة لا فعلاً وعلينا متعلق بعزيز وجاز لكون المعمول ظرفاً والباء مزيدة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من كان على الله بعزيز فإنه ليس على الجاهل بعزيز انتهى.

أقول: وذلك لأن العزة والشرف عند الجهلاء بالجاه والمال لا بالدين والكمال، وقد قال النبي عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني: إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا. وفي «المثنوي»:

وقت بازى كودكان را زا اختلال ... مى نمايد اين خزفها زرو مال

عارفانش كيميا كر كشته اند ... تاكه شد كانها پريشان ونژند

باغها وقصرها وآب رود ... پيش چشم از عشق كلخن مى نمود

﴿قال﴾ شعيب في جوابهم ﴿يا قوم أرهطي﴾ [أيا عشيره وقوم من] وهمزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ ﴿أعز عليكم﴾ [عزيز ترند برشما ودوسترند نزدشما] ﴿من الله﴾ كان الظاهر أن يقال: مني، إلا أنه قيل من الله، للإيذان بأن تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله تعالى وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه تعالى مع الاشتراك في أصل العزة لتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولاً بترجيح جنب الله تعالى وثانياً بنفي العزة بالمرة، والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله تعالى فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له حظاً من العزة أصلاً ﴿واتخذتموه﴾ أي: الله تعالى ﴿وراءكم﴾ [از پس پشت خود] ﴿ظهرياً﴾ [همچو مرد فراموش شده] اي شيئاً منبوذاً وراء الظهر منسياً لا يبالي به أي: جعلتموه مثله بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي، أي: فلا تحفظونني ولا ترحمونني لله وتراعون نسبة قرابتي إلى الرهط وتضيعون نسبتي إلى الله بالنبوة، فكأنكم زعمتم أن القوم أعز من الله حيث تزعمون أنكم تركتم قتلي إكراماً لرهطي والله أولى بأن يتبع أمره كأنه يقول حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي، والعرب تقول لكل ما لا يعبأ بأمره قد جعل فلان هذا الأمر بظهره، فالظهري: منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كقولهم في النسبة إلى أمس أمسيّ بكسر الهمزة وإلى الدهر دهري بضم الدال. ﴿إن ربي بما تعملون﴾ من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه. ﴿محيط﴾ لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسياً فيجازيكم عليها والإحاطة إدراك الشيء بكماله وإحاطة الله بالأعمال مجاز.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكن أبلغ التمكن والجار والمجرور في موقع النصب على الحال. والمعنى: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل ما في وسعكم وطاقتكم من إيصال الشرور إلي، أو بمعنى المكان كمقام ومقامة فاستعيرت من العين للمعنى كما يستعار حيث للزمان وهو للمكان، والمعنى على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من الشرك والعداوة لي. ﴿إني﴾ أيضاً ﴿عامل﴾ على مكانتي فحذف للاختصار أي: عامل بقدر ما آتاني الله من القدرة وعلى حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد فكأنهم قالوا: ماذا يكون إذا عملنا على قوتنا فقال: ﴿سوف تعلمون من﴾ استفهام أي أينا، أو موصولة، أي: تعرفون الذي ﴿يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويهينه ﴿ومن هو كاذب﴾ عطف على من يأتيه لما أوعده وكذبوه أراد أن يدفع ذلك عن نفسه ويلحقه بهم فسلك سبيل إرخاء العنان لهم وقال: ﴿سوف تعلمون﴾ من المعذب والكاذب مني ومنكم وأينا الجاني على نفسه والمخطىء في فعله يريد أن المعذب والكاذب أنتم لا أنا ﴿وارتقبوا﴾ أي: انتظروا مآل ما أقول لكم سيظهر صدقه ﴿إني معكم رقيب﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب، وكان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء لحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره في مراجعته جوابهم، وكان كثير البكاء حتى عمي ثم رد الله عليه ـ عليه السلام ـ بصره فأوحى إليه يا شعيب ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: إلهي وسيدي إنك تعلم إني ما أبكي شوقاً إلى الجنة، ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي فأوحى الله تعالى يا شعيب إن يكون ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب، لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي. قال المولى الجامي:

زهاد خلد خواهد واوباش عيش نقد ما خود بدولت غمت ازهر دورسته ايم

وهذه حال المقربين فإنهم جعلوا الله تعالى بين أعينهم، وجعلوا الخلق وراء ظهورهم خلاف ما عليه أهل الغفلة، فلم يلتفتوا إلى شيء من الكونين حباً لله تعالى وقصراً للنظر عليه وهم العبيد الأحرار، والناس في حقهم على طبقات، فأما أهل الشقاء فلم يعرفوهم من هم ولم يروهم أصلاً لانطماس بصيرتهم وعدم استعدادهم لهذا الانكشاف، ألا ترى إلى قوم شعيب كيف حجبهم كونه أعمى في الصورة عن رؤية جمال نبوته وظنوا أن لهم أبصاراً ولا بصر له، ولذا عدوه ضعيفاً ولم يعرفوا أنهم عمي في الحقيقة وأن أبصارهم الظاهرة لا تستجلب لهم شرفاً وأن الحق مع أهل الحق سواء ساعده الأسباب الصورية والآلات الظاهرة أولا، فإن الناس مشتركون فيما يجري على ظواهرهم من أنواع الابتلاء مفترقون فيما يرد على بواطنهم من أصناف النعماء، والله تعالى أرسل الأنبياء عليهم السلام إلى الناس الغافلين ليفتحوا عيون بواطنهم من نوم الغفلة، ويدعوهم إلى الله تعالى ووصاله ولقاء جماله، فمن كان له منهم استعداد لهذا الانفتاح رضي بالتربية والإرشاد وقام في طريق الحق بالسعي والاجتهاد، ومن لم يكن له منهم ذلك أبى واستكبر عن أخذ التلقين وامتنع عن الوصول إلى حد اليقين، فبقي في الظلمات كالأعمى لا يدري أين يذهب فيا أيها الإخوان ارجعوا إلى ربكم مع القوافل الروحانية فعن قريب ينقطع الطريق ولا يوجد الرفيق، ونعم ما قال من قال:

خيز دلامست شواز مى قدسي ازانك ما نه درين تيره جام بهر نشست آمديم

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولما جاء أمرنا﴾ الذي قدرناه في الأزل من العذاب والهلاك لقوم شعيب فالأمر واحد الأمور ﴿نجينا شعيباً﴾ قدم تنجيته إيذاناً بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب الجرائم ﴿والذين آمنوا معه﴾ أي: ونجينا الذي اتبعوا شعيباً في الإيمان وآمنوا كما آمن هو ﴿برحمة﴾ أزلية صدرت ﴿منا﴾ في حقهم ومجرد فضل لا بسبب أعمالهم كما هو مذهب أهل السنة، وقال بعضهم: هي الإيمان الذي وفقناهم له.

يقول الفقير: وجه هذا القول أن العذاب والهلاك الذي هو من باب العدل قد أضيف إلى الكفر والظلم فاقتضى أن يضاف الخلاص، والنجاة الذي هو من باب الفضل إلى الإيمان ولما كان الإيمان، والعمل الصالح أمراً موقوفاً على التوفيق كان مجرد فضل ورحمة فافهم ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالإباء والاستكبار عن قبول دعوة شعيب ﴿الصيحة﴾ فاعل أخذت والمراد صيحة جبرائيل عليه السلام بقوله موتوا جميعاً. وفي سورة الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي: الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي إليها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما «لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وصالح» وذلك إنه أصابهم حر شديد فخرجوا إلى غيضة لهم فدخلوا فيها فظهرت لهم سحابة كهيئة الظلة فأحدقت بالأشجار وأخذت فيها النار وصاح بهم جبريل ورجفت بهم الأرض فماتوا كلهم واحترقوا فذلك قوله تعالى: ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا ﴿في ديارهم﴾ بلادهم أو مساكنهم ﴿جاثمين﴾ ميتين لازمين لأماكنهم لإبراح لهم منها. أي: لا زوال.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين. ﴿ألا بعداً لمدين﴾ أي: هلاكاً لأهل مدين.

واعلم أن بعداً وسحقاً ونحوهما مصادر قد وضعت مواضع أفعالها التي لا يستعمل إظهارها. ومعنى بعداً بعدوا، أي: هلكوا. وقوله لمدين بيان لمن نبه عليه بالبعد نحو هيت لك.

قال الكاشفي: [بدانيدكه هلاكيست قوم مدين را ودوري از رحمت من] ﴿كما بعدت ثمود﴾ أي: هلكت، شبه هلاكهم بهلاكهم لأنهما أهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة كما مر آنفاً. والجمهور على كسر العين من بعدت على أنها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك يهلك، أرادت العرب أن تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذي هو ضد القرب ففرقوا بينهما بتغيير البناء فقالوا: بعد بالضم في ضد القرب وبعد بالكسر في ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والبعد بفتحتين إنما يستعمل في مصدر مكسور العين.

وفي الآية إشارة إلى أن الكفرة وأهل الهوى أفسدوا الاستعداد الروحاني الفطري في طلب الدنيا واستيفاء شهواتها، والاستكبار عن قبول الحق والهدى، وأدى تمردهم عن الحق

وتماديهم في الباطل إلى الهلاك صورة ومعنى، أما صورة فظاهر، وأما معنى فلأنهم أبعدوا عن جوار الله وطيب العيش معه إلى أسفل سافلين القطيعة فبقوا في نار الفرقة لا يحيون ولا يموتون وما انتفعوا بحياتهم فصاروا كالأموات وكما أن الصيحة من جبرائيل أهلكتهم فكذا النفخة من شعيب أحيت المؤمنين لأن أنفاس الأنبياء والأولياء كنفخ إسرافيل في الأحياء إذا كان المحل صالحاً لطرح الروح فيه كجسد الأكسير. قال في «المثنوي»:

سازد إسرافيل روزي ناله را	جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را
هين كه اسرافيل وقتند اوليا	مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مردهٔ ازكور تن	برجهد ز آواز شان اندر كفن
سركشى از بندكان ذو الجلال	وانكه دارند از وجود تو ملال
كهربا دارند چون پيدا كنند	كاه هستئ ترا شيدا كنند
كهرباي خويش چون پنهان كنند	زود تسليم ترا طغيان كنند

قد سبق أن قوم شعيب عدوه ضعيفاً فيما بينهم وما عرفوا أن الله القوي معه.

كرتو پيلى خصم تو از تو رميد	نك جزا طيرا ابابيلت رسيد
كر ضعيفي درزمين خواهد امان	غلغل افتد در سپاه آسمان
كر بدندانش كزى پرخون كنى	درد دندانت بكيرد چون كنى
هر پيمبر فرد آمد درجهان	فرد بود وصدجهانش درنهان
ابلهان كفتند مردى بيش نيست	واي آن كوعاقبت انديش تيست

فعلى الصالحين أن يعتبروا بأحوال الصالحين فإنهم قد أخذوا الدنيا وآثروها على الآخرة ثم سلبهم الله أموالهم وديارهم كأن لم ينتفعوا بشيء ولم يقيموا في دار.

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: شهدت مجلساً من مجالس رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر واللون عليه ثياب بيض، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال عليه السلام: «عليك السلام» فقال يا رسول الله: ما الدنيا؟ قال: «هي حلم المنام وأهلها مجازون ومعاقبون» قال يا رسول الله: وما الآخرة؟ قال: «عيش الأبد فريق في الجنة وفريق في السعير» فقال يا رسول الله: فما الجنة؟ قال: «بذل الدنيا لطالبها نعيمها لأهلها أبداً» قال: فما جهنم؟ قال: «بذل الآخرة لطالبها لا يفارقها أهلها أبداً» قال: فما خير هذه الأمة؟ قال: «الذي يعمل بطاعة الله» قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ قال: «مشمراً كطالب القافلة» قال: فكم القرار بها؟ قال: «كقدر المتخلف عن القافلة» قال: فكم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: «غمضة عين» قال: فذهب الرجل فلم يُر فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل أتاكم ليزهدكم في الدنيا ويرغبكم في الآخرة» كذا في «تنبيه الغافلين». قال السعدي قدس سره:

يكى بر سركور كل ميسرشت	كه حاصل كندزان كل كورخشت
بانديشه لختى فرو رفت پير	كه اي نفس كوته نظر پند كير
چه بندى درين خشت زرين دلت	كه يك روز خشتى كند ازكلت
تو غافل در انديشهٔ سود ومال	كه سرمايهٔ عمر شد پايمال
دل اندر دلارام دنيا مبند	كه ننشست باكس كه دل برنكند
بر مرد هشيار دنيا خسست	كه هر مدتي جاي ديكر كسست

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي: وبالله لقد أرسلنا ﴿موسى﴾ حال كونه ملتبساً ﴿بآياتنا﴾ التسع التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الأموال والأنفس. ﴿وسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ واضح هو من قبيل عطف الصفة مع اتحاد الموصوف أي: ولقد أرسلنا موسى بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطاناً له على صدق نبوته واضحاً في نفسه أو موضحاً إياها فإن أبان جاء لازماً ومتعدياً كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [هود: ١١٠] أي: التوراة الجامعة بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل ويجوز أن يراد بسلطان مبين الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ [القصص: ٣٥].

﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي: أشراف قومه ورؤسائه، وتخصيص ملئه بالذكر مع عموم رسالته لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدابير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور. ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ أي: أمره بالكفر بما جاء به موسى من البينات وأطاعوا قوله حين قال لهم: ما علمت لكم من إله غيري، وخالفوا أمر موسى بالتوحيد وقبول الحق، وإنما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله للإيذان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملئه بذلك محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر صريحاً، وإنما المحتاج إلى ذلك شأن ملئه المترددين بين هاد إلى الحق وداع إلى الضلال، وإيراد الفاء للإشعار بمسارعتهم إلى الاتباع فكأنه لم يتراخ من الإرسال والتبليغ بل وقعا في وقت واحد. ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾.

قال الكاشفي: [نبوه كار فرعون برنهج رشد وصواب] وقال غيره: الرشد مستعمل في كل ما يحمده ويرتضي كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط فهو ضد الغي والرشيد بمعنى المرشد والإسناد مجازي، والمعنى وما هو مرشد إلى خير وهو عي محض وضلال صريح وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه تجهيل لمتبعيه.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿يقدم﴾ في «الصحاح» قدم بالفتح يقدم قدماً أي: تقدم وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة ﴿قومه﴾ جميعاً من الأشراف وغيرهم ﴿يوم القيامة﴾ أي: يتقدمهم يوم الآخرة إلى النار وهم خلفه ويقودهم إلى النار كما كانوا يتبعونه في الدنيا ويقودهم إلى الضلال. ﴿فأوردهم النار﴾ أي: يوردهم ويدخلهم فيها. وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة لأن الماضي متيقن الوجود.

واعلم أن الورود عبارة عن المجيء إلى الماء والإيراد إحضار الغير والمورد الماء فشبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل ﴿وبئس الورد المورود﴾ أي: بئس المورد الذي يردونه النار؛ لأن الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار على ضد ذلك.

﴿وأُتبعوا﴾ أي: الملأ الذين اتبعوا أمر فرعون. ﴿في هذه﴾ أي: في الدنيا ﴿لعنة﴾ لعنة عظيمة حيث لعنهم من بعدهم من الأمم. ﴿ويوم القيامة﴾ أي: حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم أينما داروا فكما اتبعوا أمر فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقاً أو يلعنون ويطردون من رحمة الله تعالى في الدنيا بالغرق والآخرة بما

فيها من عذاب، فإن كل معذب ملعون مطرود من الرحمة كما أن كل مخذول محروم من التوفيق والعناية كذلك واكتفى ببيان حالهم الفظيع عن بيان حال فرعون؛ إذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من أغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع أن تكون أعواناً للمتبوع جعلت اللعنة رفداً لهم على طريقة التهكم فقيل ﴿بئس الرفد المرفود﴾ الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية والملائم هنا هو الأول.

قال الزجاج: كل شيء جعلته عوناً لشيء وأسندت به شيئاً فقد رفدته، والمعنى بئس العون المعان رفدهم وهي اللعنة في الدارين وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة، وفي الآية بيان شقاء فرعون وإنه لم ينفعه إيمانه حين الغرق ولو نفعه لما كان قائد قومه إلى النار.

وفي «الفتوحات» في الباب الثاني والستين: المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يخرجون منها: وهم المتكبرون على الله تعالى، كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] يريد أنه ليس في السماء إله غيري وكذلك نمرود وغيره.

وقال في «الفتوحات»: في موضع آخر هو معتقدي وغير هذا قلت على سبيل البحث والاستكشاف انتهى.

وعلى هذا يحمل ما في «فصوص الحكم» من كونه مقبوضاً على الطهارة فتدبر وأمسك لسانك عن الشيخ فإن لكلمات الكبار محامل كثيرة، والقرآن لا ينقضي عجائبه وهي بكر بالنسبة إلى أرباب الرسوم، هدانا الله وإياكم إلى حقيقة العلم والعمل وأرشدنا وإياكم إلى طريقة الكمل.

وفي الآية أيضاً ذم لاتباع أهل الهوى وصحبة أهل الفسق فإن العرق دساس والطبع جذاب والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية.

اي فغان ازيارنا جنس اي فغان همنشين نيك جوئيد اي مهان

وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا يسري إليكم أخلاقهم الخبيثة وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة، فقوم فرعون لما اتبعوا فرعون أوردهم النار ولو اتبعوا موسى لأوردهم الجنة. وفي «المثنوي»:

اي خنك آن مرده كز خو درسته شد در وجود زندهٔ پيوسته شد
سيل چون آمد بدريا بحر كشت دانه چون آمد بمزرع كشت كشت
چون تعلق يافت نان بأبو البشر نان مرده زنده كشت وباخبر
موم وهيزم چون فداي نارشد ذات ظلمانئ أو أنوار شد
سنك سرمه چونكه شد در ديدكان كشت بينائي شد آنجا ديده بان
واي آن زنده كه بامرده نشست مرده كشت وزندكى ازوى بجست

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي الخبر السابق يا محمد﴿من أنباء القرى﴾ بعض أنباء القرى المهلكة بما جنت أيدي أهلها﴿نقصه عليك﴾ خبر بعد خبر، أي مقصوص عليك ليكون فيه دلائل نبوتك. ﴿منها﴾ أي من تلك القرى﴿قائم﴾ باقٍ أثره وجدرانه كالزرع القائم على ساقه مثل ديار عاد وثمود﴿وحصيد﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود مثل بلاد قوم نوح ولوط.

وقال الكاشفي: [قائم باقيست وآبادان وحصيد مفقوداست يا خراب].

وفي «التأويلات النجمية» من الأجساد ما هو قائم قابل لتدارك ما فات عنها وإصلاح ما أفسد النفس منها ومنها ما هو محصود بمحصد الموت مأيوس من التدارك.

﴿وما ظلمناهم﴾ بإهلاكنا إياهم والضمير إلى الأهل المحذوف المضاف إلى القرى. ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب ما يوجب الهلاك من الشرك وغيره فإنهم أكلوا رزق الله وعبدوا غيره وكذبوا رسله. وفيه إشارة إلى أنه تعالى أعطاهم استعداداً روحانياً وآلة لتحصيل كمالات لا يدركها الملائكة المقربون، فاستعملوا تلك الآلة على وفق الطبيعة لا على حكم الشريعة فعبدوا طاغوت الهوى ووثن الدنيا وأصنام شهواتها فجاءهم الهلاك من أيدي الأسماء الجلالية. ﴿فما أغنت عنهم﴾ ما نافية، أي فما نفعتهم ولا قدرت أن ترد بأس الله عنهم. ﴿آلهتهم التي يدعون﴾ أي: يعبدون وهي حكاية حال ماضية وإنما أريد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام: «الدعاء هو العبادة». ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونهم متجاوزين عبادة الله. ﴿من شيء﴾ في موضع المصدر أي شيئاً من الأغناء وهو القليل منه. ﴿لما جاء أمر ربك﴾ منصوب باغنت أي: حين مجيء عذابه ونقمته وهي المكافأة بالعقوبة. ﴿وما زادوهم﴾ الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عن الأصنام بواو العقلاء لأنهم نزلوها منزلة العقلاء في عبادتهم إياها واعتقادهم أنها تنفع﴿غير تتبيب﴾ من تب إذا هلك وخسر، وتبه غيره إذا أهلكه وأوقعه في الخسران، أي غير إهلاك وتخسير فإنهم إنما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكانوا يعتقدون في الأصنام جلب المنافع ودفع المضار فزال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك إليهم مضار الدنيا والآخرة وذلك من أعظم الهلاك وأشد الخسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ الكاف في محل الرفع على أنها خبر مقدم للمصدر المذكور بعده أي مثل ذلك الأخذ الذي مر بيانه. ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾ أي أهلها وإنما أسند إليها للاشعار بسريان أثره إليها. ﴿وهي ظالمة﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامهم في الأخذ أجريت الحال عليها، وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وكفرهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم. ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ أي: عقوبة مؤلمة شديدة صعبة على المأخوذ والمعاقب لا يرجى منها الخلاص.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك﴾» الآية.

كسى كر صرصر ظلمش دمادم ... چراغ عيش مظلومات بميرد
نميترسد ازان كايزد تعالى ... اكرچه دير كيرد سخت كيرد

والله تعالى لا يجير الظالم ولكن يمهله ويكله إلى نفسه فمن أمارية نفسه يظلم على نفسه وعلى نفس غيره فيؤاخذه الله تعالى بظلمه عدلاً منه، ولكنه إذا نظر بفضله ورحمته إلى عبد بنظر العناية يزيل بنور العناية ظلمات أمارية نفسه فتصير نفسه مأمورة لأمر الشريعة فلا يعمل إلا للنجاة من عذاب الآخرة ونيل الدرجات والقربات فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه فيبادر إلى التوبة ويترك التسويف فإنه ورد: «هلك المسوفون».

قبول توبه بر رب كريمست ... فعجل إن في التأخير آفات

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما نزل بالأمم الهالكة بذنوبهم أو فيما قصه الله من قصصهم ﴿لآية﴾ لعبرة بينة وموعظة بالغة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي أقر به وآمن لأنه يعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من أنكر الآخرة وأحال فناء العالم، ولم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين فهو بمعزل من هذا الاعتبار تباً لهم، ولما لهم من الأفكار. قال الحافظ:

سير سپهر ودور قمر راچه اختيار ... در كردشند بر حسب اختيار دوست

﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة. ﴿يوم مجموع له الناس﴾ أي: يجمع له الأولون والآخرون للمحاسبة والجزاء واستعمال اسم المفعول حقيقة فيما تحقق فيه وقوع الوصف وقد استعمل ههنا فيما لم يتحقق مجازاً تنبيهاً على تحقق وقوعه. ﴿وذلك﴾ أي: يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له ﴿يوم مشهود﴾ أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين للموقف لا يغيب عنه أحد فالمشهود هو الموقف والشاهدون أي الحاضرون الخلائق والمشهود فيه اليوم فاتسع فيه إجراء للظرف مجرى المفعول به، واليوم كما يصح أن يوصف بأنه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لأمر له شأن أو لخطب يهمهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة وأيام الحروب وقدوم السلطان، كذلك يصح أن يوصف بأنه مشهود أي مدرك كما تقول أدركت يوم فلان فأريد في هذا المقام اليوم المشهود فيه لما فيه من تهويل ذلك اليوم لا اليوم المشهود لأن سائر الأيام كذلك.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وما نؤخره﴾ أي وما نؤخر أحداً في ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود ﴿إلا لأجل معدود﴾ إلا لانقضاء مدة قليلة بحذف المضاف.

قال الكاشفي: [مكر از براى كذشتن مدتي شمرده يعني تاوقت وي در نرسد قائم نكردد] حسما يقتضيه الحكمة، وفي الآيات تهديد وتخويف من الله وحث على تصحيح الحال وتصفية البال وتزكية الأعمال ومحاسبة النفوس قبل بلوغ الآجال، فإن العبد لا يحصد إلا ما يزرع ولا

يشرب إلا بالكأس التي يسقى، وفي الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطمعوني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وإني أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وأنسكم كانوا على قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وأنسكم قاموا في صعيد واحد فسألني كل واحد منكم مسألة وأعطيته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم وأوفيكم إياها يوم القيامة، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» فعلى العاقل أن يتدارك ما فات ولا يضيع الأوقات. قال المولى الجامي قدس سره:

هردم از عمر كرامي هست كنج بي بدل ميرود كنج چنين هر لحضه باد آخ آخ

وقد خسر من فات عنه نفس في طلب غير الله فكيف يكون حال من أضاع أنفاسه في هواه.

﴿يوم يأت﴾ أي: حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء له وهو يوم القيامة فلا يلزم أن يكون للزمان زمان، وذلك لأن الحين مشتمل على ذلك اليوم وغيره من الأوقات ولا محذور في كون الزمان جزءاً من زمان آخر ألا ترى أن الساعة جزء من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع من الشهر وعلى هذا؛ ويأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة كما قالوا لا أدر ولا أبال وهو كثير في لغة هذيل ـ روي ـ عن عثمان رضي الله عنه أنه عرض عليه المصحف فوجد فيه حروفاً من اللحن فقال لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل ما وجد فيه هذه الحروف فكأنه مدح هذيلاً بالفصاحة والناصب للظرف قوله: ﴿لا تكلم نفس﴾ لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ﴿إلا بإذنه﴾ أي بإذن الله تعالى كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويوم القيامة يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا ففيه مواقف وأزمنة وأحوال مختلفة يتكلمون في بعضها ويتساءلون كما قال: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١] في بعضها لشدة الهول والفزع وظهور سطوة آثار القهر أو لعدم الإذن لهم في الكلام كما قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ـ٣٦] ويختم في بعضها على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «تمكثون ألف عام في الظلمة لا تتكلمون». قال السعدي قدس سره:

[اكر تيغ قهر بركشد ولى وبني سردر كشد وكر غمزه لطف بجنباند بدانرا بنيكان رساند]

كر بمحشر خطاب قهر بود انبيارا چه جاى معذرتست

پرده از لطف كوبردار كاشقيارا اميد مغفرتست

﴿فمنهم﴾ أي: من الناس المذكور في قوله مجموع له الناس أو من أهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس ﴿شقي﴾ وجبت له النار بموجب الوعيد ﴿وسعيد﴾ أي:

ومنهم سعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد. وتقديم الشقي على السعيد؛ لأن المقام مقام التحذير والإنذار.

قال في «التبيان» علامة الشقاوة خمسة أشياء، قساوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء، وعلامة السعادة خمسة، أشياء لين القلب، وكثرة البكاء، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وكثرة الحياء.

وفي «التأويلات النجمية:» ﴿شقي﴾ محكوم عليه بالشقاوة في الأزل ﴿وسعيد﴾ محكوم عليه بالسعادة في الأزل. وعلامة الشقاء الإعراض عن الحق وطلبه، والإصرار على المعاصي من غير ندم عليها، والحرص على الدنيا حلالها وحرامها، واتباع الهوى والتقليد والبدعة، وعلامة السعادة الإقبال على الله وطلبه، والاستغفار من المعاصي والتوبة إلى الله، والقناعة باليسير من الدنيا وطلب الحلال منها، واتباع السنة واجتناب البدعة ومخالفة الهوى انتهى [شيخ أبو سعيد خراز قدس سره فرموده كه حق سبحانه وتعالى درين سوره دوكار عظيم بيان فرموده يكى سياست جباري وسطوت قهاري كه دمار از روز كار كفار بر آورده ديكر حكم أزلي كه بشقاوت وسعادت خلق شرف نفاذ يافته وحضرت رسالت از هيبت آن خبر وسطوت اين حكم فرموده كه «شيبتني سورة هود»].

آن يكى را ازازل لوح سعادت بركنار — وين يكى را تا ابد داغ شقاوت برجبين

عدل او ميراندان را سوى أصحاب شمال — فضل او ميخواند آنرانزد أصحاب يمين

قال ابن الشيخ في «حواشيه» قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ ظاهره يدل على أن أهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين اللذين. أحدهما مخلد في النار أبداً إلا ما شاء ربك. وثانيهما مخلد في الجنة أبداً إلا ما شاء ربك؛ فيلزم أن يكون أطفال المشركين والمجانين الذين لم يعلموا صالحاً غير خارجين عنهما، فإن قلت: إنهم من أهل الجنة فبلا إيمان، وإن قلت إنهم من أهل النار فبلا ذنب، فاعلم أن أمرهم فيما يتعلق بالأمور الدنيوية تبع لأشرف الأبوين وفيما يتعلق بأمر الآخرة من الثواب والعقاب معلوم مما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه إنه قال سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال عليه السلام: «الله أعلم بما كانوا عاملين من الكفر والإيمان إن عاشوا وبلغوا» وتحقيق هذا المقام؛ أن الله تعالى يحشر يوم القيامة أصحاب الفترات والأطفال الصغار والمجانين في صعيد واحد لإقامة العدل والمؤاخذة بالجريمة والثواب للعمل في أصحاب الجنة، فإذا حشروا في صعيد واحد بمعزل عن الناس بعث فيهم نبي من أفضلهم وتمثل لهم نار يأتي بها هذا النبي المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم أنا رسول الله إليكم فيقع عند بعضهم التصديق به ويقع التكذيب عند بعضهم ويقول لهم: اقتحموا هذه النار لأنفسكم، فمن أطاعني نجا ومن عصاني وخالف أمري هلك وكان من أهل النار فمن امتثل أمره منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال ثواب العمل ووجد تلك النار برداً وسلاماً، ومن عصاه استحق العقوبة ودخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله تعالى في عباده هكذا ورد في صحيح الأخبار.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿فأما الذين شقوا﴾ أي سبقت لهم الشقاوة وقضي لهم بالنار ﴿ففي النار﴾ أي مستقرون في جهنم كأن سائلاً قال ما شأنهم فيها فقيل ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ الزفير إخراج النفس بقوة وشدة والشهيق رده واستعمالهما في أول ما ينهق الحمار وآخر ما يفرغ من نهيقه، وفيه استعارة تصريحية فإن المراد تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، فكما أن الحمير لها أصوات منكرة كذلك لهم أصوات منكرة في جهنم كما يشاهد ذلك في أهل الابتلاء في الدنيا لا سيما عند الصلب أو الخنق أو ضرب العنق أو قطع اليد أو نحوها، فإن لبعض المجرمين حينئذٍ خواراً كخوار البقر يتغير صوته كما يتغير لونه وحال الآخرة أشد من حال الدنيا ألف مرة.

﴿خالدين فيها﴾ مقيمين دائمين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار في الظرف وهو قوله في النار هذا إن أريد حدوث كونهم في النار.

وقال بعضهم: لا حاجة هنا إلى جعل الحال مقدرة كما في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] لأن الخلود بعد الدخول وهي ههنا حال من استقر فيها فلا حاجة إلى التقدير ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ ما مصدرية والمصدر المؤول قائم مقام الظرف. والمعنى مدة دوامهما وهو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع على عادة العرب وذلك أنهم إذا وصفوا شيئاً بالأبد والخلود قالوا ما دامت السموات والأرض، لأنهما باقيتان أبد الآباد على زعمهم فمثلوا ما قصد تأبيده بهما في عدم الزوال فورد القرآن على هذا المنهاج، وإن أريد تعليق قرارهم فيها بدوام السموات والأرض فالمراد سموات الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلدة ويدل عليه قوله: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقوله: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ [الزمر: ٧٤] وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل، إما اسماء يخلقها الله فتظلهم أو يظلهم العرش وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض ولا فساد في التشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ولا مانع، ونظيره تشبيه الشيء بالكيمياء أو بمدينة ارم وغير ذلك [حضرت شيخ قدس سره درفتوحات آورده كه دوام آسمان وزمين از حيثيت جوهر ايشان مرادست نه از حيثيت صورت ايشان] وقال أهل التأويل سموات الأرواح والقلوب وأرض النفوس والبشرية ﴿إلا ما شاء ربك﴾ استثناء من الخلود في النار لأن بعض أهل النار وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض ويجوز اجتماع الشقاوة والسعادة في شخص واحد باعتبارين كما قال في «التأويلات النجمية»: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ من الأشقياء وذلك لأن أهل الشقاوة على ضربين شقي وأشقى فيكون من أهل التوحيد شقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فالمعاصي تدخله النار والتوحيد يخرجه منها ويكون من أهل الكفر والبدعة أشقى يصليه كفره وتكذيبه النار فيبقى خالداً مخلداً انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً».

وعن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص مثله ومعناه عند أهل السنة أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان فتبقى طبقتهم خالية وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً. قال الحافظ:

دلا طمع مبر از لطف بي عنايت دوست   كه ميرسد همه را لطف بي نهايت او

وفي هذا البيت إشارة إلى سر خفي لا يدركه إلا أهل الإلهام.

قال بعض الكبار: الترقي والتدلي إنما يجري في هذا العالم وأما في الآخرة فلا ترقي فيها.

فإن قلت فقد ترقى العاصي إلى مرتبة الجنة بعد الخروج من النار.

قلت: ذلك الترقي كان في الدنيا بسبب الإيمان غير أن ظهوره كان في الآخرة فعذب أوّلاً ثم دخل الجنة. ﴿**إن ربك فعال لما يريد**﴾ من تخليد البعض كالكفار وإخراج البعض كالفساق من غير اعتراض عليه. وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة.

وقال المولى أبو السعود: ﴿**إلا ما شاء ربك**﴾ استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] وقوله: ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل، يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود، فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق المشيئة بطريق الوجوب على الله تعالى قال: ﴿**إن ربك فعال لما يريد**﴾ يعني أنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتب الأجزئة على أفعال العباد، ولك أن تقول: إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني بل لهم من العقوبات والآلام الروحانية ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهذه العقوبات، وإن كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها ألا ترى أن من دهمه الغم المفرط وأدهشه خطب جليل، فإنه لا يحس بقرص النملة والبرغوث ونحوهما وقس عليه الحال في جانب السرور كما سيأتي.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿**وأما الذين سعدوا**﴾ من سعد بمعنى أسعد لغتان حكاهما الكسائي، أي قدر لهم السعادة وخلقوا لها، ﴿**ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك**﴾.

قال قتادة: الله أعلم بثنياه.

وقال الضحاك إلا ما مكثوا في النار حتى ادخلوا الجنة فإن التأبيد من مبدأ معين كما ينقص باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء.

وقال المولى أبو السعود في «تفسيره»: إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله: ﴿**عطاء غير مجذوذ**﴾ نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله: ﴿**ففي الجنة خالدين فيها**﴾ يقتضي إعطاء وإنعاماً فكأنه قيل يعطيهم إعطاء غير مقطوع، بل ممتداً لا إلى نهاية وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] وإن حمل على ما أعد الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه «بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة.

قال بعض الكبار: أهل الجنة يبقى في مرتبة الجنة وأهل الترقي يتجاوز ويترقى إلى ما فوقها.

وتحقيقه على ما في «التأويلات النجمية» أن أهل السعادة على ضربين سعيد وأسعد فالسعيد من يبقى في الجنة ودرجاتها وغرفاتها إلى العليين بحسب العبادة والعبودية، والأسعد من يدخل الجنة ويعبر عن درجاتها وغرفاتها إلى مقامات القربة بحسب المعرفة والتقوى والمحبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] وقال ﷺ: «إن أهل الجنة ليرون أهل العليين، كما يرى أحدكم الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم في أنعم مكان» فمن كان من أهل الجنة وأهل العليين فلهم خلود في الجنة ومن كان في مقام مقعد الصدق فهو في أنعم مقام من الجنة فلهم الخروج من الجنة من جذبات العناية إلى عالم الوحدة والسر في هذا أن السالك يسلك بقدم المعاملات إلى أعلى مقام الروحانية من حضيض البشرية وهو بعد في مقام الأثنينية وهو سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فلا عبور عن هذا المقام للملك المقرب ولا للنبي المرسل إلا برفرف جذبة العناية فإنها توازي عمل الثقلين وبها يصل العبد إلى عالم الوحدة فافهم جداً.

فما بقي هناك الدخول والخروج والاستثناء بقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ راجع إلى هذا المقام ولهذا قال: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ لأنه لا انقطاع له ولا تغيير فيه انتهى.

يقول الفقير: على ما تلقف من فم حضرة الشيخ العلامة أبقاه الله بالسلامة: إن أهل الجنة يصلون بمقتضى الاستثناء الذي هو قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ إلى مقام لا يشابه ما قبله أصلاً وذلك بعد تطاول الزمان وتباعد التنعم في الجنان وعند ذلك يظهر سر الأزل في مرآة الأبد فكما أن مبدأ التعينات وهو شؤونات الغيبية أزل الأزال، كذلك مقام هذا التجلي المخصوص أبد الآباد فالأبد المضاف هو ما بعد هذا التجلي لا إلى نهاية، والمضاف إليه ما كان قبله مذ دخولهم الجنة وكذا الأزل فإن ما فوق المبدأ المذكور هو الأزل المضاف وما تحته هو الأزل المضاف إليه ونظير هذا هو ما يصل إليه أهل الفناء الكلي في الدنيا وذلك أنهم استوفوا حظهم من الأرزاق المعنوية بحيث لم يبق لهم بحسب مرتبتهم وتعينهم الخاصّ شيء لم يصلوا إليه من أسرار الأفعال والصفات والذات في جميع المراتب والتعينات، فعند ذلك يتجلى الله لهم بصورة أخرى لا تشابه ما قبلها أصلاً فيحيون حياة أبداً باقية، ثم السر المذكور المنسوب إلى أهل الجنة والعليين جار على أهل النار لكنهم أهل الجلال ومقامهم مقام الفردية ولذا لا تزوج لهم ولا تنعم بما يتنعم به أهل الجنان، وأهل الجنة أهل الجمال ومقامهم مقام الصفة ومقتضاه التنعم والتلذذ. فالفرق بين أهل الجنة وأهل النار أن لأهل الجنة ظهوراً بالصفات وفي الظهور بطون وهو سر الذات وأن لأهل النار بطوناً وليس في البطون ظهور، ولأهل الكمال إحاطة وسعة بحيث لا توصف وذلك في الدارين فالمقربون واقفون على أحوال الأبرار، ومكاشفون عن مقاماتهم ومواطنهم، وهم محجوبون عن المقربين في ذلك، وكذا الأبرار واقفون على أحوال أصحاب المشأمة وهم محجوبون عن الأبرار، فقس على حال الدنيا حال البرازخ والآخرة، ولذا قال بعض الكبار: إن الروح بعد خلاصه من حبس البدن إن كان علوياً بعضه يقطع برزخاً وبعضه أكثر إلى أن يسموا البرازخ فكلما قطع برزخاً ازداد إحاطة حتى يصل إلى المحيط الحقيقي، فهناك يضمحل الكل فهو محيط الكل وأما إذا كان سفلياً فإنه في البلاء والعياذ بالله تعالى.

ثم إن العلم الإلهي إنما يستكمل بعد أربعين سنة من أول المكاشفة والظهور كما أن العقل إنما يستكمل في سن الأربعين يعني أن الوصول إلى منتهى المراتب إنما يحصل في تلك المدة وقد أجرى الله عادته على ذلك فلا يطمع أحد فيه قبلها، فإن العلم يزداد إلى ذلك الحد ثم يحصل التحقق وتصير الأوصاف الطبيعية والنفسانية كلها تحت تسخيره وفي يده غالباً عليها بإذن الله تعالى وعونه فانظر إلى طول الطريق وعزة المطلب فاختر لك دليلاً إلى أن تصل إلى الله الرب. وفي «المثنوي»:

پيررا بكزين بي پير اين سفر هست ره پر آفت وخوف وخطر
آن رهى كه بارها توروفتهٔ بي قلاوز اندر آن آشفتهٔ
پس رهى راكه نديد ستى توهيچ هين مروتنها زر هبر سر مپيچ
كرنباشد سايهٔ بيرا يفضول پس تراسر كشته دارد بانك غول

اللهم خذ بأيدينا وجد علينا كل حين.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿فلا تك﴾ أصله لا تكن حذفت النون لكثرة الاستعمال أي إذا تبين عندك ما قصصت عليك من قصص المتقدمين وسوء عاقبتهم فلا تكن **﴿في مرية﴾** أي في شك **﴿مما يعبد هؤلاء﴾** ما مصدرية، أي من جهة عبادة هؤلاء الحاضرين من المشركين وكن على يقين في أنها ضلال سيىء العاقبة، كأنه قيل لم لا أكون في شك فأجيب لأنهم **﴿ما يعبدون إلا كما﴾** كان **﴿يعبد آباؤهم من قبل﴾** أي حالهم كحال آبائهم من غير تفاوت فهم على الباطل والتقليد لا على الحق والتحقيق.

وفيه إشارة إلى أن أهل الفترة الذين عبدوا الأصنام من أهل النار، فإن الذم ينادى على ذلك **﴿وإنا لموفوهم﴾** توفية الشيء تأديته وإعطاؤه على وجه التمام والضمير لهؤلاء الكفرة. **﴿نصيبهم﴾** أي حظهم المتعين لهم من العذاب الدنيوي والأخروي كما وفينا آباءهم أنصباءهم المقدرة حسب جرائمهم فسيلحقهم مثل ما لحق بآبائهم فإن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات.

فإن قيل: لا سبب عندنا إلا الله.

قلنا: يكفينا السببية العادية وهو ما يفضي إلى الشيء بحسب جريان العادة **﴿غير منقوص﴾** حال مؤكدة من النصيب كقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١] وفائدته مع دفع توهم التجوز تقرير ذي الحال أي جعله مقرراً ثابتاً لا يظن أنه غيره.

وفي الآية: ذم للتقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل وهو جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات، بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية، وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاؤوا به حقاً من غير دليل؛ لأن النبي ﷺ قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل، ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه ولا يحصل اليقين إلا بترك التقليد وبالوصول إلى عين التوحيد. قال المولى الجامي قدس سره:

سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را　　زين بيش خشك لب منشين برسر آب ريب

ثم إن أهل التقليد وأرباب الطبيعة إنما يعبدون الدنيا والهوى في الحقيقة، فلا بد من ترك الهوى واتباع الهدى.

يقال: لما وقع الازدواج بين آدم وحواء وقع الازدواج بين إبليس والدنيا فتولد من الازدواج الأول نوع البشر ومن الثاني الهوى فجميع الأديان الباطلة والأخلاق المذمومة من تأثير ذلك الهوى.

قال بعض المحققين: لما جعل الله سلطان الروح ملكاً في ملك البدن وجعل العقل وزيره جعل النفس خليلة الروح فمالت النفس إلى الهوى فسئل الوزير عن حالها فقال وزير العقل: أيها الملك إن ههنا مسمى بالهوى قد أضل النفس فتوجه الروح إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال فانقادت النفس للروح بالصلاح وحسن الحال، فمن أراد إصلاح نفسه فليرجع إلى القادر المتعال.

يقال: إن ضرر البدعة والهوى أكثر من ضرر المعصية فإن صاحب المعصية يعلم قبحها فيستغفر ويتوب بخلاف صاحب البدعة والهوى.

ثم إن البدعة والهوى عندنا معاشر الصوفية خلاف العمل بسنة النبي عليه السلام وسنة الأصحاب العظام وسنة المشايخ الكرام، والاتباع بالعقل الجزئي والطبع في كل فعل وترك. فعلى السالك أن لا يخالف السنن مطلقاً ولا يخرج عن آثار الأخيار ولا يلتفت إلى طعن الأغيار فإن الحق أحق أن يتبع

دين ما عشقست اي زاهد مكوبيهوده پند　　ما بترك دين خود كفتن نخواهيم ازكذاف

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

﴿ولقد﴾ أي: وبالله لقد **﴿آتينا موسى الكتاب﴾** أي التوراة وهو أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع وأما ما قبله من الكتب فإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز. **﴿فاختلف فيه﴾** أي في شأنه وكونه من عند الله وآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال يا محمد باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن واصبر على تكذيبهم كما صبر موسى على تكذيب قومه، ففيه تسلية له ﷺ ولما قسم ﷺ غنائم الطائف وأطال بعض المنافقين الكلام في أنه لم يعدل في القسمة قال عليه السلام: «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» يعني أن موسى أصابه الأذى الكثير من جهة قومه فصبر على أذاهم فلم يجزع فأنا أحق بالصبر منه لأن الجمعية الكمالية في ذاته عليه السلام أتم فحظه من الصفات الإلهية والأخلاق الحميدة الربانية أكثر وأوفر: قال المولى الجامي قدس سره في نعته:

بـر دفـتـر جـلال تـو تـورات يـك رقـم　　وز مصحف جمال توانجيل يك ورق

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ هي كلمة القضاء بانظارهم إلى يوم القيامة.

قال سعدي المفتي الأظهر: أن لا تقيد بيوم القيامة فإن أكثر طغاتهم نزل بهم العذاب يوم بدر وغيره **﴿لقضي بينهم﴾** أي: لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي

يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين ﴿وإنهم﴾ أي: وإن كفار مكة أريد به بعض من رجع إليهم ضمير بينهم للأمن من الإلباس ﴿لفي شك﴾ عظيم ﴿منه﴾ أي: من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن مقام التسلية ينادي على ذلك نداء غير خفي. ﴿مريب﴾ وصف لشك يقال أرابه أوقعه في الريبة. يعني [نفس را مضطرب ودل را شوريده كننده].

﴿وإن كلا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه، أي وإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين: ﴿لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ اللام الأولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف، ولما بتشديد الميم أصله لمن ما بكسر الميم على أنها من الجارة دخلت على ما الموصولة أو الموصوفة فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فقلبت ميماً فاجتمع في اللفظ ثلاث ميمات فحذفت إحداهن، أولاهن كانت المحذوفة أم وسطاهن على اختلاف الأقوال، والمعنى أن جميعهم لمن الذي أو لمن خلق أو لمن فريق والله ليوفينهم ربك أعمالهم من الإيمان وسائر الحسنات والكفر وسائر السيئات أي ليعطينهم ويؤدينهم جزاء أعمالهم خيراً أو شراً تاماً وافياً كاملاً. ﴿إنه﴾ أي الله تعالى ﴿بما يعملون﴾ أي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر ﴿خبير﴾ بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائه ودقائقه فيجازي كلاً بحسب عمله، وتوفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم.

فعلى العاقل أن ينتبه من الغفلة ويجانب ما يخالف أمر الله تعالى فإن الله تعالى لا يفوته منه شيء.

بهمه كار بندهٔ دانا اوست　　بمكافات أو توانا أوست

واعلم أن الكلمة الإلهية الأزلية سبقت بسعادة أهل الإيمان وشقاوة أهل الكفر فهم في قبضتي الكفر والقهر وإمهالهم وتأخيرهم إنما هو لاستكمال السعادة والشقاوة لنفوسهم ولغيرهم، فكتاب الله تعالى هو محك النفوس فمن آمن به وعمل بأحكامه فقد كملت سعادته ومن كفر به وترك العمل بأحكامه فقد كملت شقاوته، وكل واحد من الفريق الأول أهل يقين ونجاة وكل واحد من الفريق الثاني أهل شك وهلاك، وعادة الله تعالى جارية على تسليط أهل الإنكار على أهل الإقرار لاستخراج ما في معادن نفوسهم من جواهر أوصافه الشريفة كالصبر على الأذى والتحمل على البلاء والحلم على السفهاء والعفو عن الجهلاء والصفح عمن ليس له حياء لكي يتخلقوا بأخلاق الله تعالى ويظهر بها صدق عبوديتهم وتفاوت درجاتهم فإن المراتب ليست بالدعاوى والأماني بل بالحقائق والمعاني. قال المولى الجامي:

بى رنج كسى چون نبردره بسر كنج　　آن به كه بكوشم بتمنا ننشينم

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدس سره مباني طريق الصوفية على أربعة أشياء وهي اجتهاد وسلوك وسير وطير، فالاجتهاد التحقق بحقائق الإيمان والسير التحقق بحقائق الإحسان والطير الجذبة بطريق الجود والإحسان إلى معرفة الملك المنان، فمنزلة الاجتهاد من السلوك منزلة الاستنجاء من الوضوء فمن لا استنجاء له لا وضوء له فكذا من لا اجتهاد له لا سلوك له ومنزلة السلوك من السير منزلة الوضوء من الصلاة فمن لا وضوء له لا صلاة له، فكذا من لا سلوك له لا سير له، وبعده الطير وهو الوصول وأدنى الانتساب في هذا الباب محبة أهل الاجتهاد وتصديق الواصلين إلى سر المبدأ والمعاد، ورعاية جانب المتحققين بحقائق القرآن دون العداوة والبغض والشنآن، وفي الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»

أي: أعلمته أني محارب له حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي، فإذا كان معادي الوليّ ورافض علومه محارباً لله تعالى فما ظنك بمعادي النبي وتارك كتابه؟ ولا يفلح أحد ممن حارب الله تعالى ورسوله ووارث رسوله، فإن الله تعالى ذو البطش الشديد، فإذا أخذه لم يفلته نسأل الله العافية والوفاء والصفاء ونعوذ به من الخذلان وأهل الجفاء.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿فاستقم كما أمرت﴾ يقول الفقير: أي إذا تبين عندك يا محمد أحوال القرون الأولى وأن إخوانك الأنبياء ومؤمنيهم تحملوا من قومهم الأذى وصبروا واستقاموا على طريقتهم المثلى إلى أن يأتي أمر الله تعالى، فدم أنت أيضاً على الاستقامة على التوحيد والدعوة إليه كما أمرك الله تعالى. ﴿ومن تاب معك﴾ معطوف على المستكن في فاستقم من غير تأكيد بالمنفصل لوجود الفاصل القائم مقامه، أي ومن تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان هو المعنى بالمعية، وإلا فليس لهم مصاحبة له في التوبة عما ذكر إذ الأنبياء معصومون عن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر قبل الوحي وبعده بالإجماع، لكن الظاهر أن الاشتراك في نفس التوبة يكفي في الاصطحاب ولا يلزم الاشتراك في المتوب عنه وقد كان عليه السلام يستغفر الله كل يوم أكثر من سبعين مرة على ما ورد في الحديث كذا في «حواشي» سعدي المفتي.

يقول الفقير: لعل التوبة في مثل هذا المقام هي الرجوع عن الحالة الأولى ومفارقتها سواء صدر فيها الكفر كسجود الصنم وغيره وهو حال أكثر المؤمنين، أو لم يصدر وهو حال الأقلين ومنهم رسول الله ﷺ وقد صح أنه عليه السلام شهد بأن علياً رضي الله عنه لم يكفر بالله قط طرفة عين مع قوله له في دعوة الإسلام: «وأدعوك إلى الكفر باللات والعزى» فإن هذا القول لا يقتضي كفره رضي الله عنه؛ إذ قد يدعى الرجل إلى كفر ما لم يتصف به إذا كان من شأنه الكفر به والإنكار عليه ﴿ولا تطغوا﴾ أي ولا تنحرفوا عما حد لكم بإفراط وتفريط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وإنما سمي ذلك طغياناً وهو تجاوز الحد تغليظاً أو تغليباً لحال سائر المؤمنين على حاله. وفي سورة شورى ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥] والنهيان متقاربان إذ المراد عدم الاتباع لإهواء أهل الكفر؛ لأن في الاتباع الطغيان وفي عدمه الاستقامة المحضة ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى. ﴿بما تعملون بصير﴾ عالم لا يخفى عليه شيء فيجازيكم على ذلك فاتقوه في المحافظة على حدوده وهو في معنى التعليل للأمر والنهي.

وعن بعض الصلحاء وهو أبو علي السنوسي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت له روي عنك إنك قلت: «شيبتني سورة هود» فقال: نعم فقلت: فما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: فاستقم كما أمرت، وذلك لأن حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس في كل أمر ديني ودنيوي ترغيب أو ترهيب أو حال أو حكم أو صفة أو معاملة وذلك هو الصراط المستقيم كالصراط المستقيم في الآخرة والتمشي على هذا الصراط الذي يقال لها الاستقامة الاعتدالية عسير جداً، كما قال في «بحر العلوم» الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذي أمر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام: «شيبتني سورة هود» ولن يطيق مثل هذه المخاطبة

بالاستقامة إلا من أيد بالمشاهدات القوية والآثار الصادقة ثم بالتثبت كما قال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤] ثم حفظ وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب، ولولا هذه المقدمات لتفسخ دون هذا الخطاب ألا تراه كيف قال للأمة: «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها.

قيل لمحمد بن فضل حاجة العارفين إلى ماذا؟ قال: حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ألا وهي الاستقامة فكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة.

قال ابن عطاء: فاستقم، أي افتقر إلى الله مع تبريك من الحول والقوة.

وفي «التفسير الفارسي» للإمام القشيري [فر مودكه مستقيم آنكس است كه از راه حق بازنكردد تابسر منزل وصال برسد. وشيخ أبو علي دقاق كفته استقامت آنست كه سر خودرا از ما سوى محفوظ داري. وخواجه عصمت بخاري در صفت أهل استقامت فرموده]

كـسـى را دانـم أهـل اسـتـقـامـت   كـه بـاشـد بـرسـر كـوى مـلامـت
ز اوصـاف طـبـيـعـت پـاك بـرده   بـاطـلاق هـويـت جـان سـپـرده
تـمـام از كـردتـن دا مـن فـشـانـده   بـرفـتـه سـايـه وخـوشـيـد مـانـده

وقال أبو علي الجرجاني: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ويطلب منك الاستقامة، فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمة الخالق لا بإظهار الخوارق.

قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائي قدس سره في «نفائس المجالس»: لا تتيسر الاستقامة إلا بإيفاء حق كل مرتبة من الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة، فمن رعاية حق الشريعة العدالة في الأحكام فالاستقامة في مرتبة الطبيعة برعاية الشريعة وفي مرتبة النفس برعاية الطريقة وفي مرتبة الروح برعاية المعرفة وفي مرتبة السر برعاية المعرفة والحقيقة، فمراعاة تلك الأمور في غاية الصعوبة ولذلك قال عليه السلام: «شيبتني سورة هود» فالكمال الإنساني بتكميل تلك المراتب لا بإظهار الخوارق، كما حكي أنه قيل للشيخ أبي سعيد: إن فلاناً يمشي على الماء قال إن السمك والضفدع كذلك، وقيل إن فلاناً يطير في الهواء فقال إن الطيور كذلك، وقيل إن فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد قال إن إبليس كذلك فقيل فما الكمال عندك قال أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق.

واعلم أن النفوس جبلت على الاعوجاج عن طريق الاستقامة إلا ما اختص منها بالعناية الأزلية والجذبة الإلهية. قال المولى الجامي قدس سره:

سالكان بي كشش دوست بجايي نرسند   سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿**ولا تركنوا**﴾ الركون هو الميل اليسير والخطاب لرسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، أي ولا تميلوا أدنى ميل. ﴿**إلى الذين ظلموا**﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ﴿**فتمسكم**﴾ بسبب ذلك وهو منصوب بإضمار إن في جواب النهي يعني: [بشما برسد] ﴿**النار**﴾ [آتش دوزخ] وإذا كان الركون إلى من صدر منهم ظلم مرة في الإفضاء إلى مساس

النار هكذا فما ظنك بالركون إلى من صدر منهم الظلم مراراً ورسخوا فيه؟ ثم بالميل إليهم كل الميل. **﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾** أي: من أنصار ينقذونكم من النار على أن يكون مقابلة الجمع بالجمع بطريق انقسام الآحاد على الآحاد، والجملة نصب على الحالية من مفعول فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة وهي انتفاء ناصركم **﴿ثم لا تنصرون﴾** جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها. وكلمة ثم لاستبعاد نصرة الله تعالى إياهم مع استحقاقهم العذاب بسبب ركونهم، ثم لا ينصركم الله، إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم. والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، والعجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها ثم لا يرتدعون عن الظلم والميل إلى أهله ولا يتدبرون أنهم مؤاخذون غير منصورين. قال السعدي قدس سره:

كرازي بچاه اندر افتاده بود ... كه ازهول اوشير نرمانده بود
بد انديش مردم بجز بدنديد ... بيفتادو عاجز تر ازخود نديد
همه شب زفرياد وزاري نخفت ... يكى برسرش كوفت سنكي وكفت
تو هركز رسيدي بفرياد كس ... كه ميخواهى امروز فرياد رس
كه برريش جانت نهد مرهمي ... كه دلها زدردت بنالد همي
تومارا همي چاه كندي براه ... بسر لا جرم درفتادى بچاه
اكربد كنى چشم نيكى مدار ... كه هر كز نيارد كژا نكور بار

وفي الحديث: «إياكم والظلم فإنه يخرب قلوبكم» وفي تخريب القلب تخريب سائر الجسد فالظالم يظلم على نفسه حيث يخرب أعضاءه الظاهرة والباطنة، وعلى الله حيث يخرب بنيان الله ويغيره ويفسده، ولأنه إذا ظلم غيره وآذاه، فقد ظلم على الله ورسوله وآذاه. والدليل عليه قوله عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني فمن آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى» ودخل في الركون إلى الظالمين المداهنة والرضى بأقوالهم وأعمالهم ومحبة مصاحبتهم ومعاشرتهم، ومد العين إلى زهرتهم الفانية وغبطتهم فيما أوتوا من القطوف الدانية، والدعاء لهم بالبقاء وتعظيم ذكرهم، وإصلاح دواتهم وقلمهم ودفع القلم أو الكاغد إلى أيديهم والمشي خلفهم والتزيي بزيهم والتشبه بهم وخياطة ثيابهم وحلق رؤوسهم. وقد امتنع بعض السلف عن رد جواب الظلمة في السلام.

وقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا فقيل له: يموت فقال: دعه فإنه إعانة للظالم.

وقال غيره: يسقى إلى أن يثوب إلى نفسه ثم يعرض عنه، وفي الحديث: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» فإذا علمت هذا فاعلم أن الواجب عليك أن تعتزل عنهم بحيث لا تراهم ولا يرونك إذ لا سلامة إلا فيه، وأن لا تفتش عن أمورهم ولا تتقرب إلى من هو من حاشيتهم ومتصل بهم من إمامهم ومؤذنهم فضلاً عن غيرهم من عمالهم وخدمهم، ولا تتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وترك مصاحبتهم، واذكر كثيراً قول رسول الله ﷺ: «إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يديه خاض بقدر خطاه في نار جهنم» والحديث كأنه مأخوذ من الآية فهما متطابقان معنى كما لا يخفى ـ وروي ـ أن الله تعالى

أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار فقال إنهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا تبين أن بغض الظلمة والغضب عليهم لله واجب، وإنما ظهر الفساد في الرعايا وجميع أقطار الأرض براً وبحراً بفساد الملوك، وذلك بفساد العلماء أولاً؛ إذ لولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك، بل لو اتفق العلماء في كل عصر على الحق ومنع الظلم مجتهدين في ذلك مستفرغين مجهودهم لما اجترأ الملوك على الفساد ولاضمحل الظلم من بينهم رأساً وبالكلية، ومن ثم قال النبي عليه السلام: «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالىء قرّاؤها أمراءها» وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وما كان علمهم إلا بالقرآن ومعانيهم إلا بالسنة، وما وراء ذلك من العلوم إنما أحدثت بعدهم كذا في «بحر العلوم» للشيخ علي السمرقندي قدس سره.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: ذكر في «الإحياء» أن من دخل على السلطان بلا دعوة كان جاهلاً ومن دعى فلم يجب كان أهل بدعة.

وتحقيق المقام أن الركون في الآية أسند إلى المخاطبين، والمخالطة وإتيان الباب والممالأة إلى العلماء والقراء فكل منها إنما يكون مذموماً إذا كان من قبل العلماء وأما إذا كان من جانب السلاطين والأمراء بأن يكونوا مجبورين في ذلك مطالبين بالاختلاط لأجل الانتفاع الديني فلا بأس حينئذٍ بالمخالطة لأن المجبور المطالب مؤيد من عند الله تعالى خال عن الأغراض النفسانية بخلاف ما إذا كان مقارناً بالأغراض النفسانية فيكون موكولاً إلى نفسه فتختطفه الشياطين نعوذ بالله تعالى.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿وأقم الصلاة﴾ في الأمر بأفعال الخير جاء موحداً موجهاً إلى رسول الله ﷺ في الظاهر وإن كان المأمور به من حيث المعنى عاماً، وفي النهي عن المحظورات موجهاً إلى غير الرسول مخاطباً به أمته، فهذا من جليل البلاغة القرآنية والمراد بإقامة الصلاة أداؤها وإنما عبر عنه بها إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين **﴿طرفي النهار﴾** أي: غدوة وعشية، وانتصابه على الظرفية لكونه مضافاً إلى الوقت فيعطى حكم المضاف إليه **﴿وزلفاً من الليل﴾** منصوب على الظرفية لعطفه على طرفي النهار أي ساعات من الليل وهي الساعات القريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه جمع زلفة كغرف جمع غرفة، ولمراد بصلاة الغدوة صلاة الفجر. وبصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشى، وبصلاة الزلف المغرب والعشاء وفيه دلالة بينة على إطلاق لفظ الجمع وهو الزلف على الاثنين فالآية مشتملة على الصلوات الخمس ونظيرها قوله تعالى في سورة ق ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [طه: ١٣٠] أي: بصلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] أي: بصلاة العصر والظهر فالعصر أصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها كما في «تفسير المناسبات» **﴿ومن الليل﴾** في بعض أوقاته **﴿فسبحه﴾** بصلاتي المغرب والعشاء وفسر بعضهم طرفي النهار بالصبح والمغرب وزلف الليل بالعشاء والتهجد فإنه كان واجباً عليه فيوافق قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧٩] أو الوتر على ما ذهب إليه أبو حنيفة أو مجموع العشاء والوتر والتهجد على ما يقتضيه ظاهر صيغة الجمع في زلفاً. **﴿إن الحسنات﴾** على

الإطلاق لا سيما الصلوات الخمس. ﴿يذهبن السيئات﴾ أي: يكفرن الصغائر، يعني لا أنها تذهب السيئات نفسها إذ هي قد وجدت بل ما كان يترتب عليها، وفي الحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر» ويمنعن من اقترافها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] - روي - في سبب النزول أن أبا اليسر الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة، فأعجبته، فقال لها: إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى نحو بيته فضمها إلى نفسه وقبلها وفعل بها كل شيء إلا الجماع، فقالت له: اتقِ الله فتركها وندم، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال: استر على نفسك وتب إلى الله تعالى، فلم يصبر فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك فلم يصبر، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل فقال: «انتظر أمر ربي فاستر على نفسك» فلما صلى صلاة العصر نزلت هذه الآية فقال عليه السلام: «صليت العصر معنا» قال نعم فقال: «اذهب فإنها كفارة لما فعلت» فقال الحاضرون من الصحابة «هذا له خاصة أم للناس عامة» قال: «بل للناس كافة» وفي الحديث: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء» قالوا: لا قال: «فذلك مثل صلاة الخمس يمحو الله بها الخطايا».

واعلم: أن الذنوب كلها نجاسات والطاعات مطهرات وبماء أعضاء الوضوء تتساقط الأوزار ولذا كانت الغسالة في حكم النجاسة، ومن هنا أخذ بعض الفقهاء كراهة الصلاة بالخرقة التي يتمسح بها أعضاء الوضوء، وقال الله تعالى لموسى عليه السلام «يا موسى يتوضأ أحمد وأمته كما أمرتهم وأعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء» فانظر إلى ما سلبه الوضوء وجلبه. قال الحافظ:

خوشا نماز ونياز كسى كه ازسردرد   بآب ديده وخون جكر طهارت كرد

وأحسن الحسنات وأفضل الطاعات العلم بالله، وطريقه التوحيد، وخلاف هوى النفس، فبذكر الله يتخلص العبد من الذنوب، وبه يحصل تزكية النفوس وتصفية القلوب، وبه يتقوى العبد على طاعة الرحمن ويتخلص من كيد الشيطان، قالوا: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات قال: «هي أحسن الحسنات» وفي الآية إشارة إلى إدامة الذكر والطاعة والعبادة في الليل والنهار إلا أن يكون له ضرورة من الحاجات الإنسانية فيصرف بعض الأوقات إليها كطلب المعاش في النهار والاستراحة في الليل، فإنه يحصل للقوى البشرية والحواس كلال، فيلزم دفعه بالمنام ليقوم في أثناء الليل نشيطاً للذكر والطاعة ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ أي أن أنوار الحسنات وهي الأعمال الصالحة والذكر والمراقبة طرفي النهار وزلفا من الليل يذهبن ظلمات سيئات الأوقات التي تصرف في قضاء الحوائج النفسانية الإنسانية وما يتولد من الاشتغال بها.

واعلم أن تعلق الروح النوراني العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح إلا أن تتداركه أنوار الأعمال الصالحة الشرعية فتربي الروح وترقيه من حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية بل إلى الوحدانية الربانية وتدفع عنه ظلمة الجسد السفلي كما أن إلقاء الحبة في الأرض موجب لخسران الحبة إلا أن يتداركها الماء فيربيها إلى أن تصير الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

فعلى العاقل أن يصبر على مشاق الطاعات والعبادات فإن له فيها أنواراً وحياة باقية:

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز ازغم ابدبكريز

﴿ذلك﴾ أي: المذكور من الاستقامة والإقامة وغيرهما ﴿ذكرى للذاكرين﴾ أي: موعظة للمتعظين، فمن امتثل إلى أمر الله تعالى فاستقام وأقام فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام.

قال بعض الحكماء: علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل؛ لأن الجبل له أربع علامات، أحداها: أن لا يذيبه الحر، والثانية: أن لا يجمده البرد، والثالثة: أن لا تحركه الريح، والرابعة: أن لا يذهب به السيل، فكذا المستقيم إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير الحق كما يفعله أرباب الجاه والمناصب في هذا الزمان فإنهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل إليهم من يد رجل أو امرأة يتخطون الحد ويتركون الاستقامة وليس الاتعاظ وقبول النصيحة من شأنهم. والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير الحق. والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى. والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله. فقال الحافظ:

ببال وپرمرو وازره كه تير پرتابى هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست

يعني: لا تخرج بالقدرة الدنيوية والمكنة المالية عن حد الطريق المستقيم، فإن لكل ترق تنزلاً ألا ترى إلى حال السهم كيف صعد إلى جو السماء زماناً ثم سقط على الأرض فالإنسان لا بد وأن يسقط على الأرض في آخر أمره ونهاية عمره.

﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٥﴾

﴿واصبر﴾ يا محمد على مشاق الأوامر ويدخل فيه الأمة بالتبعية وقد كانت العادة القرآنية على إجراء أكثر خطابات الأوامر على النبي عليه السلام، وأكثر خطابات النهي على الأمة اعتباراً للأصالة في الاتصاف والتنزه والاجتناب فافهم ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ في أعمالهم صلاة كانت أو صبراً أو غيرهما من فرائض الإسلام ومندوبات الأعمال ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، أي: يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً، وإنما عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غيرم موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها، لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة، وهو تعليل للأمر بالصبر، وفيه إيماء إلى أن الصبر من باب الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه لأنه إذا قدر المرء على هذه المشاهدة هان عليه الصبر وغيره من مر الأحكام ولا يكون هذا الإحسان إلا بالإخلاص وإخلاص السريرة.

كر نباشد نيت خالص چه حاصل از عمل

وكان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات، من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

واعلم: أن الله تعالى أمر ونهى ومراده إطاعة عباده له في كل ما يأتون وما يذرون فإن فلاحهم في ذلك ولا يرضى الله منهم إلا بالطاعة والتسليم والقبول. قال الحافظ:

مزن زچون وچرا دمکه بندۀ مقبول قبول كرد بجان هر سخن كه جانان كفت

وعن أبي بكر الوراق قال: طلبنا أربعة أشياء سنين فوجدناها في أربعة. طلبنا رضى الله تعالى فوجدناه في طاعته، وطلبنا السعة في المعيشة فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا سلامة الدين فوجدناها في حفظ اللسان، وطلبنا نور القبر فوجدناه في صلاة الليل، فعلى العاقل السعي في طريق الطاعات وتنوير القلب بنور العبادات.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿واصبر﴾** أيها الطالب الصادق والعاشق الوامق على صرف الأوقات في طلب المحبوب بدوام الذكر ومراقبة القلب وترك الشهوات ومخالفة الهوى والطبيعة **﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾** أي سعي الطالبين كما قال: «ألا من طلبني وجدني» لأن من سنة كرمه قوله: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» والمقصود من الحديث القدسي بيان سعة فيضه وجوده على عباده، والتقرب إلى الله تعالى إنما يكون بقطع التعينات، ورفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة الذاتية إلا أن ذلك مشروط بشرائط ومربوط بالأسباب في الصورة الظاهرة، ولا تقيد تلك الشرائط والأسباب إلا بالجذبة الإلهية والدعوة الربانية، فمن دعاه وأزال الموانع عن طريقه فقد وصل وإلا فقد انقطع دونه الطرق وبقي متحيراً مبهوتاً.

داد حق را قابليت شرط نيست بلكه شرط قابليت داد اوست

اللهم ارحمنا فإن ذنوبنا قد جلت وحجبنا قد كثفت وحيلنا قد انقطعت وما بقي إلا التوفيق منك والعفو والغفران واللطف والكرم والإحسان إنك أنت المحسن في كل زمان ومكان.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿فلولا كان﴾ لولا بمعنى هلا وكان بمعنى وجد. والمعنى بالفارسية [پس چرا نبود] **﴿من القرون﴾** الهالكة الكائنة **﴿من قبلكم﴾** على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم على أن يكون حالاً وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم.

قال في «القاموس»: القرن مائة سنة، وهو الأصح، لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً» فعاش مائة سنة وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد **﴿أولوا بقية﴾** أصحاب فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية على أن يكون الهاء للنقل كالذبيحة، لأن الرجل إنما يستبقي مما يكسبه عادة أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل، يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا **﴿ينهون﴾** المفسدين نعت لأولوا **﴿عن الفساد في الأرض﴾** الواقع منهم حسبما حكي عنهم ومعناه جحد أي لم يكن فيهم أولوا بقية ينهون حتى لا ينزل العذاب بهم **﴿إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾** استثناء منقطع أي لكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وهم اتباع الأنبياء وسائرهم تاركوا النهي، ومن في ممن للبيان لا للتبعيض، لأن جميع الناجين ناهون **﴿واتبع الذين ظلموا﴾** عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه، فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بعلية ذلك لما

حاق بهم من العذاب. ﴿ما أترفوا فيه﴾ الأتراف الأنعام من الترف وهو النعمة أي أنعموا فيه من الشهوات واللذات وآثروها على أمر الآخرة، ويقال رفته النعمة أي أطغته. فالمعنى ما أطغوا فيه على أن يكون فيه للسببية والمراد هو الأموال والأملاك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧] يعني اهتموا بكسبها وبذلوا وسعهم في تحصيلها وجمعها واعرضوا عما وراءها. أما المباشرون فظاهر. وأما المتساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوهم الفاسدة ﴿وكانوا مجرمين﴾ عطف على اتبع وهذا بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الشهوات وفي الحديث: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروا فلا ينكرون فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة» فكل قوم لم يكن فيهم آمر بالمعروف وناه عن المنكر من أرباب الصدق وهم مجتمعون على الفساد أو لا يأتمرون بالأمر بالمعروف ولا ينتهون بالنهي عن المنكر فإنهم هالكون. قال السعدي:

كرت نهى منكر برآيد ز دست نشايد چو بى دست وپايان نشست
بكو آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند
چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾

﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ اللام لام الجحود عند البصريين وينتصب الفعل بعدها بإضمار إن وهي متعلقة بخبر كان المحذوف، أي: مريداً لإهلاك أهل القرى وقال الكوفيون: يهلك خبر كان زيدت اللام دلالة على التأكيد ﴿بظلم﴾ حال من الفاعل، أي: ظالماً لها بغير ذنب واستحقاق للهلاك بل استحال ذلك في الحكمة. ﴿وأهلها مصلحون﴾ غير ظالمين حال من المفعول. والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما فعل الله بعباده كائناً ما كان. وقيل قوله: ﴿بظلم﴾ متعلق بالفعل المتقدم والمراد به الشرك. والمعنى ليهلك القرى بسبب شرك أهلها وبمجرده وهم مصلحون فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فساداً آخر، وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ولهذا قال الفقهاء حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة وحقوق العباد مبنية على المضايقة وقدموا عند تزاحم الحقوق حقوق العباد.

والحاصل: أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا خانوا في المعاملات، وسعوا في أذى الخلق وظلمهم، وإنما لم يهلكهم بمجرد شركهم لأن مكافاة الشرك النار لا ما دونها، وإنما يهلكهم بمعاصيهم زيادة على شركهم مثل قوم صالح بعقر الناقة، وقوم لوط بالأفعال الخبيثة، وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن، وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل.

قال بعضهم: الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم.

واشتهر انو شروان بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقباً له فلفظ العادل إنما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لا لمجرد المدح له والثناء عليه.

وأما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن إطلاق لعادل

عليهم إذا إطلاقه عليهم حينئذٍ يكون بمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذباً وكفراً ـ حكي ـ أن انو شروان لما مات كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي منادٍ من له علينا حق فليأت فلم يوجد أحد في ولايته له عليه حق من درهم.

شه كسرى از ظلم ازان ساده است   كه در عهد أو مصطفى زاده است

وذكر عن أبي ميسرة قال أتى إلى رجل في قبره بعد ما دفن منكر ونكير فقالا له إنا ضارباك مائة سوط فقال الميت إني كنت كذا وكذا فتشفع حتى حطا عنه عشرة ثم لم يزل بهما حتى حطا عنه عشرة أخرى إلى أن صار إلى ضربة واحدة فقالا إنا ضارباك ضربة فضرباه واحدة فالتهب القبر ناراً فقال لم ضربتماني فقالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه، فهذه حال الذي لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم؟ فعلى السلاطين والحكام العدل على كافة الأنام وتفتيش أحوال أهل الإسلام.

نيايد بنزديك دانا پسند   شبان خفته وكر در كوسفند

مكن تاتوانى دل خلق ريش   وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿ولو شاء ربك﴾ مشيئة قسر كما في «الكواشي»: ﴿لجعل الناس أمة واحدة﴾ متفقة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد كما كانوا قبل الاختلاف قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩] وكما يكونون بعد الاختلاف في آخر الزمان في عهد عيسى عليه السلام على ما في بعض الروايات ولكن لم يشأ ذلك لما علم أنهم ليسوا بأهل لذلك فلم يكونوا أمة متفقة على الحق.

يقول الفقير: وقع الاتفاق في أول النشأة الإنسانية ثم آل الأمر إلى الاختلاف بمقتضى الحكمة الإلهية إلى عهد عيسى عليه السلام ويعود في زمانه على ما كان عليه قبل، ففيه إشارة إلى اتحاد سر الأزل والأبد فافهم جداً، وأما الاختلاف الواقع قبل آدم فغير معتبر لكونه من غير جنس الناس وكذا بعد عيسى عليه السلام لكونه بعد انقطاع الولاية المطلقة وانتقالها إلى نشأة أخرى ﴿ولا يزالون﴾ أي الناس ﴿مختلفين﴾ في الحق ودين الإسلام أي مخالفين له كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] أو على أنبيائهم كما قال عليه السلام: «إن الله بعثني رحمة للعالمين كافة فأدوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى فإنه دعاهم إلى الله مثل ما أدعوكم إليه».

وفي الآية إثبات الاختيار للعبد لما فيها من النداء على أنهم صرفوا قدرتهم وإرادتهم إلى كسب الاختلاف في الحق، فإن وجود الفعل بلا فاعل محال، سواء كان موجباً أولاً وهو جبر متوسط وقول بين القولين وذلك لأن الجبرية اثنتان متوسطة تثبت كسباً في الفعل كالأشعرية من أهل السنة والجماعة، وخالصة لا تثبته كالجهمية، وإن القدرية يزعمون أن كل عبد خالق لفعله لا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى، فنحن معاشر أهل السنة نقول العبد كاسب والله خالق أي فعل العبد حاصل بخلق الله إياه عقيب إرادة العبد وقصده الجازم بطريق جرى العادة بأن الله يخلقه عقيب قصد العبد ولا يخلقه بدونه فالمقدور الواحد داخل تحت القدرتين

المختلفتين لأن الفعل مقدور الله من جهة الإيجاد ومقدور العبد من جهة الكسب.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] ونحوه لا ينافي الاختيار لأن ذلك بالنسبة إلى فناء العبد في الحق، ولا كلام في أن المؤثر على كل حال هو الله تعالى. كما قال المولى الجامي قدس سره:

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود تأثير زآلت از محالات بود

هستى مؤثر حقيقي است يكيست باقي همه أوهام وخيالات بود

﴿إلا من رحم ربك﴾ استثناء متصل من الضمير في مختلفين وإن شئت من فاعل لا يزالون أي إلا قوماً هداهم الله بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه، أي لم يخالفوه. ﴿ولذلك﴾ أي وللرحمة بتأويل إن مع الفعل ﴿خلقهم﴾ الضمير لمن قاله ابن عباس، أي خلق أهل الرحمة للرحمة كما خلق أهل الاختلاف للاختلاف. وفي «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على لطف توفر مود أي قيوم وحي

لا لان تربح عليهم جودتست كه شود زو جمله ناقصها درست

عفو كن زين بند كان تن پرست عفو از درياي عفو او ليترست

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي: وجب قول ربك للملائكة أو حكمه، وهو ﴿لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي: من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما فهو لتأكيد العموم للنوعين والثلان هما النوعان المخلوقان للاختلاف في دين الله الموصوفان بكفران نعم الله ونسيان حقه وهما سيان في الحكم فلأشقياء الجن ما لأشقياء الإنس من العقاب.

واعلم أن الناس في الأديان على أربعة أقسام سعيد. بالنفس والروح في لباس السعادة وهم الأنبياء وأهل الطاعة، والثاني: شقي بالنفس في لباس الشقاوة وهم الكفرة المصرون، والثالث: شقي بالنفس في لباس السعادة مثل بلعم بن باعورا وبرصيصا وإبليس، والرابع: سعيد بالنفس في لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان في أوائل أمرهم ثم بدل الله لباسهم بلباس التقوى والهداية، فأصل الأصول هو العناية الأزلية والهداية الإلهية والسعادة الأصلية.

قال في «الإحياء»: المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداية انتهى.

قرب توبا سباب وعلل نتوان يافت بى سابقهٔ فضل ازل نتوان يافت

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ في طلب الحق ﴿ولا يزالون﴾ الخلق ﴿مختلفين﴾ في الطلب فمنهم من طلب الدنيا ومنهم من طلب الآخرة منهم من طلب الحق ﴿إلا من رحم ربك﴾ فأخرجهم بنور رحمته من ظلمة طبيعتهم الجسمانية والروحانية إلى نور طلب الربوبية فلا يكونون طلاباً للدنيا والعقبى، بل يكونون طلاب جمال الله وجلاله ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي ولطلب الله تعالى خلقهم وأكرمهم بحسن استعداد الطلب ورحمهم على توفيق الطلب وفضلهم على العالمين بفضيلة الوجدان ﴿وتمت كلمة ربك﴾ في الأزل: إذ قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ أي من الأرواح المستهلكة المتمردة وهم إبليس واتباعه ﴿والناس﴾ وهم النفوس الأمارات بالسوء ﴿أجمعين﴾ كلهم من الفريقين المعرضين عن الله تعالى وطلبه انتهى. قال المولى الجامي قدس سره:

يا من ملكوت كل شيء بيده طوبى لمن ارتضاك ذخراً لغده
اين بس كه دلم جز تونداردكامى توخواه بده كام دلم خواه مده

وقال المغربي قدس سره:

نيست درباطن أرباب حقيقت جز حق جنت أهل حقيقت بحقيقت اينست

فإذا عرفت حقيقة الحال وسر هذا الكلام فجرد همتك من لباس علاقة كل حال ومقام وصر واصلاً إلى الله حاصلاً عنده هو غاية المرام.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿وكلاً﴾ مفعول به لنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه المحذوف أي كل نبأ وخبر ﴿نقص عليك﴾ نخبرك به ﴿من أنباء الرسل﴾ بيان لكل أو صفة لما أضيف إليه كل لا لكلاً، لأن الفصيح وصف المضاف إليه ومن للتبعيض. ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ بدل من كلا أو صفة لما أضيف إليه، والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص، أي: كل اقتصاص، أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل. وقوله ما نثبت به فؤادك مفعول نقص أي ما نشد به قلبك حتى يزيد يقينك ويطيب به نفسك وتعلم أن الذي فعل بك قد فعل بالأنبياء قبلك، والإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية، فرأى جماعة يشاركونه فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية إذا عمت خفت وطابت.

قال القاشاني رحمه الله في «شرح التائية»: للقلب وجه إلى الروح يسمى فؤاداً وهو محل الشهود كما قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] ووجه إلى النفس يسمى صدراً وهو محل صور العلوم والقلب عرش الروح في عالم الغيب كما أن العرش قلب الكائنات في عالم الشهادة انتهى ﴿وجاءك في هذه﴾ السورة على ما فسره ابن عباس رضي الله عنهما في منبر البصرة وعليه الأكثر ﴿الحق﴾ ما هو حق وبيان صدق وتخصيصها بالحكم بمجيء الحق فيها مع أن ما جاءه في جميع السور حق يحق تدبره وإذعانه والعمل بمقتضاه تشريفاً لها ورفعاً لمنزلتها ﴿وموعظة﴾ ونصيحة عظيمة ﴿وذكرى﴾ وتذكرة ﴿للمؤمنين﴾ لأنهم هم المنتفعون بالموعظة والتذكير بأيام الله وعقوبته.

قال في «الإرشاد»: أي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة لا بيان ذلك فيها لا في غيرها.

﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون من أهل مكة وغيرهم. ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ أي: حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان. ﴿إنا عاملون﴾ على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكير به.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر والنوائب على ما يعدكم الشيطان. ﴿إنا منتظرون﴾ أن ينزل بكم

ما نزل بأمثالكم من الكفرة على ما وعد الرحمن فهذا تهديد لهم لا إن الآية منسوخة بآية السيف.

واعلم أن تثبيت القلوب على الدين والطاعة إلى الله تعالى لا إلى غيره، لأنه تعالى أسنده إلى ذاته الكريمة وأن التثبت يكون منه بالواسطة وبغير الواسطة فإما بالواسطة فهنا كما قال: ﴿ما نثبت به﴾ أي: بالأنباء عن أقاصيص الرسل كقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وإما بغير الواسطة فكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] وهذا التثبيت من إنزال السكينة في قلبه بغير واسطة كقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٦] وكقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

واعلم أنه كما يزداد الإيمان بالسكينة فكذلك يزداد اليقين على اليقين باستماع قصص الأنبياء والأمم السالفة كما قيل حكايات الصالحين جند من جنود الله تعالى، وهذا لمن يثبت الله به قلبه لا لمن يزداد شكه على الشك وكفره على الكفر كأبي جهل ونحوه لأن الله تعالى أودع في كل شيء لطفه وقهره فمن فتح عليه باب لطفه أغلق عليه باب قهره ومن فتح عليه باب قهره، أغلق عليه باب لطفه قال في «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون	خاكيانرا بحر نكذارد درون
اصل ماهى زاب وحيوان ازكاست	حيله وتدبير اينجا باطلست
قفل رفتست وكشاينده خدا	دست در تسليم زن اندر رضا

ومن فتح الله عليه باب لطفه جاءه الحق من هذا الباب، كما قال الله تعالى: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾ أي: أنك لست بقادر أن تجيء في هذه بالحق لأن أبواب اللطف والقهر مغلوقة والمفتاح بيد الفتاح لا يقدر غير المفتاح أن يفتحه، فإذا هو الذي يفتح باب لطفه في كل شيء على العبد ويجيء بكرمه فيه إليه بلا كيف ولا أين. ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ ليطلبوا الحق من باب لطفه في كل شيء ولا يطلبوا من باب قهره.

اطلبوا الأرزاق من أسبابها	ادخلوا الأبيات من أبوابها

﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بطلب الحق ووجدانه ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ في طلب المقاصد من باب قهر الحق تعالى. ﴿إنا عاملون﴾ في طلب الحق من باب لطفه ﴿وانتظروا﴾ قهر الحق من باب قهره ﴿إنا منتظرون﴾ وجدان الحق من باب لطفه وقد ثبت عند أهل التحقيق أن الوجود العيني تابع لعلم الله تعالى وهو تابع للمعلوم الذي هو عين ثابتة لكل فرد من أفراد الإنسان، وهم قد سألوا بلسان الاستعداد في تلك المرتبة، أي: حين كونهم أعياناً ثابتة كل مالهم وعليهم فسلوكهم في هذه النشأة إلى طريق الأعمال القهرية ودقهم باب الجلال الإلهي إنما هو من نتائج استعداداتهم ومقتضيات أسئلتهم السابقة، وقس عليه أهل اللطف والجمال، وكما أن الله تعالى نصر أنبيائه كذلك، ينصر أولياءه وصالح المؤمنين، ويفتح عليهم أبواب لطفه وكرمه، ويؤيدهم ويثبتهم ويحفظهم من تزلزل الأقدام بحسب مراتبهم، ويدفع عن قلوبهم الألم وإنما الألم، من فقدان العيان ـ يحكى ـ أن شاباً ضرب تسعة وتسعين سوطاً فما صاح ولا استغاث إلا في واحدة بعدها فتبعه الشبلي رحمه الله فسأله عن أمره، فقال: إن العين التي ضربت من أجلها كانت تنظر إليّ في التسعة والتسعين وفي الواحدة حجبت عني. وفي «المثنوي»:

هركجا باشد شه مارا بساط هست صحرا اكر بود سم الخياط
هركجا يوسف رخى باشد چوماه جنتست آن كرچه باشد قعر چام

فالكلام إنما هو في كون المرء مع الحق وشهوده في كل وقت.

﴿ولله﴾ اللام للاختصاص **﴿غيب السموات والأرض﴾** الغيب في الأصل مصدر وإضافة المصدر من صيغ العموم والإضافة بمعنى في أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه فكيف يخفى عليه أعمالكم **﴿وإليه﴾** تعالى وحده **﴿يرجع الأمر كله﴾** بضم الياء وفتح الجيم بمعنى يرد وبفتح الياء وكسر الجيم بمعنى يعود عواقب الأمور كلها يوم القيامة فيرجع أمرك يا محمد وأمر الكفار إليه فينتقم لك منهم **﴿فاعبده﴾** أي أطعه واستقم على التوحيد **﴿وتوكل عليه﴾** فوض إليه جميع أمورك فإنه كافيك وعاصمك من شرهم فعليك تبليغ ما أوحينا إليك بقلب فسيح غير مبال بعدواتهم وعتوهم وسفههم وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع بدونها **﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾** وكل عمل تعمله أنت وهم أي الكفار فالله تعالى عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على من لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق.

وعن كعب الأحبار أن فاتحة التوراة سورة الأنعام وخاتمتها هذه الآية وهي: **﴿ولله غيب السموات والأرض﴾** الخ.

اعلم أن علم الغيوب بالذات مختص بالله تعالى وأما أخبار الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين فبواسطة الوحي والإلهام وتعليم الله تعالى. ومن هذا القبيل إخباره عليه السلام عن حال العشرة المبشرة. وكذا عن حال بعض الناس.

وعن محمد بن كعب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه الناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك قالوا: لو أخبرتنا بأوثق عمل ترجو به فقال: «إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعني». وكذا إخباره عليه السلام عن أشراط الساعة وما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وإماتة الصلاة وأتباع الشهوات.

وعن سيد الطائفة جنيد البغدادي رحمه الله قال لي خالي سري السقطي: تكلم على الناس وكنت اتهم نفسي في استحقاق ذلك ورأيت النبي عليه السلام وكان ليلة الجمعة فقال: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت بابه العامي فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك: فقعدت من غد للناس أي بطريق العظة والتذكير فقعد علي غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» قال فأطرقت رأسي ورفعت فقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام، فمثل هذا العلم والوقوف على أحوال الناس لا يحصل إلا بإخبار الله تعالى وإلا فكل ولي متحير في أمره وأمر غيره كما قال المولى الجامي:

اي دل توكه آن فضولي وبو العجبي از من چه نشان عافيت مي طلبي
سر كشته بود خواه ولى خواه نبي در وادي ما أدري ما يفعل بي

ثم إن التوكل عبارة عن الاعتصام به تعالى في جميع الأمور، ومحله القلب وحركة الظاهر لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق عند العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره فالواجب على كافة العباد أن يعبدوا الله تعالى ويعتمدوا عليه كل الاعتماد لا على

الجاه والعقل والأموال والأولاد فإن الله تعالى خالق كل مخلوق ورازق كل مرزوق وفي الحديث: «ما من زرع على الأرض ولا ثمر على الأشجار إلا وعليه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلان» وفي الحديث: «خلق الله الأرزاق قبل الأجساد بألف عام فبسطها بين السماء والأرض فضربتها الرياح فوقعت في مشارق الأرض ومغاربها، فمنهم من وقع رزقه في ألف موضع، ومنهم من وقع في مائة، ومنهم من وقع على باب داره يغدو ويروح حتى يأتيه». قال المولى الجامي قدس سره:

حرص چه ورزى كه نبودت اوسود — هيچ دوشش كرد دوهشت تونه
رنج طلب راهمه برخود مكير — يطلبك الرزق كما تطلبه

وأفضل العبادات في مقام التوكل هو التوكل، وفي مقام الرضى هو الرضى، وفي مقام الفناء هو الفناء، وعلى هذا، ثم إن العبادة وإن كثرت أنواعها، ولكن العبادة في الحقيقة ترك العادات ومخالفة النفس بالمجاهدات، والانقطاع عما سوى الله تعالى حتى يترقى العبد من مقام العبادة إلى مقام العبودية، ولا يحصل ذلك إلا بكمال التوحيد وكمال التوحيد لا يحصل إلا بالمداومة للعبادات والملازمة إلى ذكر الله تعالى في جميع الحالات.

يا رب ز دوكون بي نيازم كردان — واز افسر فقر سر فرزم كردان
درراه طلب محرم رازم كردان — زان ره كه نه سوى تست بازم كردان

والله ولي التوفيق وإليه تعود العواقب على التحقيق.

تمت سورة هود بفضل الله الودود في سحر ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث ومائة وألف.

تفسير سورة يوسف

وهي مكية وآيها مائة وإحدى عشرة على ما هو المضبوط

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ روي ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم أملاها وعليها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة وأن لا يحسد مسلماً» كذا في «تفسير التبيان» وذلك أن يوسف عليه السلام ابتلي بحسد الإخوان وشدائد البئر والسجن فأرسل الله تعالى جبرائيل فسلاه وهون عليه تلك الشدائد بإيصاله إلى مقام الأنس والحضور، ثم أعطاه القوة والعزة والسلطنة فآل أمره إلى الصفاء بعد أنواع الجفاء فمن حافظ على تلاوة سورة يوسف وتدبر في معانيها، وصل إلى ما وصل يوسف من أنواع السرور كما قال ابن عطاء رحمه الله تعالى: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح كما في «تفسير الكواشي» نسأل الله الراحة من جميع الحواشي ـ روي ـ أن أحبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمداً لماذا انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف ففعلوا ذلك فنزلت هذه السورة.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾

﴿الر﴾ أي إنا الله أرى وأسمع سؤالهم إياك عن هذه القصة ويقال إنا الله أرى صنيع أخوة يوسف ومعاملتهم معه. ويقال إنا الله أرى ما يرى الخلق وما لا يرى الخلق. ويقال الر تعديد للحروف على سبيل التحدي فلا محل له من الإعراب أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه السورة الر أي مسماة بهذا الاسم.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: الحروف المقطعة من الأسرار المكتومة التي يحرم إفشاؤها لغير أهلها. وقول بعضهم هذه الحروف من المتشابهات القرآنية لا يعلم معانيها إلا الله سلوك إلى الطريق الأسلم وتسليم للأمر إلى أهله، وليس ببعيد من كرم الله تعالى أن يفيض معانيها على قلوب الكمل لكنهم إنما يرمزون بها ويشيرون بغير تصريح بحقائقها صونا للعقول الضعيفة وحفظاً للعهد المأخوذ منهم.

قدر كوهر چو كوهرى داند ... چه نهى در دكان خرده فروش

قال الحافظ:

قيمت در كرانمـا يه چه دانند عوام ... حافظاً كوهر يكدانه مده جز بخواص

وعن علي رضي الله عنه: «لو حدثتكم ما سمعته من فم أبي القاسم لخرجتم من عندي وتقولون إن علياً أكذب الكذابين وأفسق الفاسقين» كما في «شرح المثنوي». قال حضرت الشيخ العطار قدس سره.

دلـــي پـــر كـــوهـــر أســـرار دائـــم ولـــي انـــدر زبـــان مـــســـمـــار دارم

وقال حضرة مولانا قدس سره:

هـــركـــه را أســـرار كـــار آمـــو ختـــنـــد مـــهـــر كـــردنـــد ودهـــانـــش دوختـــنـــد

وكون هذه الحروف المبسوطة مما ليس لها وضع لغوي أو عرفي معلوم، لا ينافي أن يكون لها معان حقيقية في الحقيقة، فإن الواضع هو الله تعالى فيحتمل أنه وضع لها معاني معلومة لخلص عباده، بل الاحتمال مرفوع حيث إن نزول حرف التهجي على أبينا آدم عليه السلام يحقق موضعيتها، فقول العلماء إنها تعديد على نمط التحديد ليس له كثير معنى فافهم جداً، وفي الحديث: «سألني ربي» أي: ليلة المعراج «فلم استطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد» أي يد قدرته لأنه سبحانه منزه عن الجارحة «فوجدت بردها فأورثني علوم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى، فعلم أخذ عليّ كتمانه؛ إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» وهي الإنس والجن والملك كما في «إنسان العيون». ﴿**تلك**﴾ السورة وأشير إليها بما يشير إلى البعيد لأنه وصل من المرسل إلى المرسل فصار كالمتباعد، أو لأن الإشارة لما كانت إلى الموجود في الذهن أشير به إيماء إلى بعده عن حيز الإشارة لما إنها تكون بمحسوس مشاهد وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**آيات الكتاب**﴾ أي: القرآن ﴿**المبين**﴾ من أبان بمعنى بان أي وضح وظهر أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه، أو بمعنى بين وأوضح أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص.

وفي «بحر العلوم» الكتاب المبين هو اللوح وإبانته أنه قد كتب وبين فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾.

﴿**إنا أنزلناه**﴾ أي: الكتاب المتضمن قصة يوسف وغيرها في حال كونه ﴿**قرآناً عربياً**﴾ بلغتكم، فعربياً نعت لقرآناً نعت نسبة، لا نعت لزوم، لأنه كان قرآناً قبل نزوله فلما نزل بلغة العرب نسب إليها كما في «الكواشي». و﴿**قرآناً**﴾ حال موطئة، أي توطئة للحال التي هي عربياً لأنه في نفسه لا يبين الهيئة وإنما بينها للغير وهي ما يتبعها من الصفة فإن الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة بمجيئه قبلها موصوفاً بها كما في «شرح الكافية» للعلامة. ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ أي: لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه وتطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر، منزل من عند خلاق القوى والقدر، والعقل إدراك معنى الكلام والعلة على التشبيه والاستعارة، فإن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض عند أهل السنة.

وقال في «بحر العلوم»: لعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ العرب معناه أو معنى الترجي أي أنزلنا قرآنا عربياً إرادة أن تعقله العرب ويفهموا منه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على

الله ولا يقولوا لنبيهم ما خوطبنا به كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿الر﴾ يشير بألف إلى الله وباللام إلى جبريل وبالراء إلى الرسول، أي ما أنزل الله تعالى على لسان جبريل على قلب الرسول دلالات الكتاب من المحبوب إلى المحب ليهتدي المحب بالبيان طريق الوصول إلى المحبوب إنا كسوناه للقراءة كسوة العربية ﴿لعلكم تعقلون﴾ حقائق معانيه وأسراره ومبانيه وإشاراته بها إذ هي لغتكم، كما أنزلنا التوراة على أهلها بلغة العبري، والإنجيل بلغة السرياني، يشير به إلى أن حقيقة كلام الله تعالى منزهة في كلاميته عن كسوة الحروف والأصوات واللغات ولكن الخلق يحتاجون في تعقل معانيه إلى كسوة الحروف واللغات.

وفي الآيات دليل على شرف اللسان العربي وفي كلام الفقهاء العرب أولى الأمم لأنهم المخاطبون أولاً والدين عربي، وفي الحديث: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي» وفي الحديث: «إن لواء الحمد يوم القيامة بيدي وإن أقرب الخلق من لوائي يومئذٍ العرب» وفي الحديث: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام» وفي الحديث: «إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين: قسم العرب قسماً، وقسم العجم قسماً وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين قسم اليمن قسماً، وقسم مضر قسماً وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسماً وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير من أنا منه».

تازىء يثربى لقب مكىْ هاشمي نسب معتكف سراى وحى امىْ امتي سراى

يقول الفقير: ولكون رسول الله ﷺ عربياً جاء وارثه الأكمل من العرب، وهو حضرة الشيخ الأكبر والمسك الأذفر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي قدس الله نفسه الزاكية، وإنما قلت بكونه الوارث الأكمل لكونه خاتمة الولاية الخاصة المحمدية فهو من أكمل مظاهر هذه المرتبة وفيه ظهر التفضيل الذي لم يظهر في غيره ومن عداه طفيلي مائدته في هذا الباب وبهذا المعنى نصرح به ولا نكني وليمت المنكر بغيظه وغضبه ونعوذ بالله من سوء الاعتقاد.

﴿نحن نقص عليك﴾ نخبرك ونحدثك. وبالفارسية [ما ميخوا نيم برتو] من قصى أثره إذا اتبعه لأن من يقص الحديث ويرويه يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأن من يتلو يتبع ما حفظ منه آية بعد آية. ﴿أحسن القصص﴾ مفعول به لنقص على أن يكون القصص مصدراً بمعنى المقصوص أي نبين لك أحسن ما يقص من الأنباء والأحاديث وهو قصة آل يعقوب والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه كقولك فلان أعلم الناس وأفضلهم تريد في فنه كما في «بحر العلوم» أي فلا يلزم أن يكون أحسن من قصة سيد الكونين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ويمكن أن يقال قد يراد بافعل الزيادة من وجه كما في قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨] كما في «حواشي» سعدي المفتي قال محيي السنة سمى الله قصة يوسف أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، والتجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد.

وقال بعضهم: لأن يوسف عليه السلام كان أحسن أبناء بني إسرائيل ونسبه أحسن

الأنساب كما قال ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» والكرم اسم جامع لكل ما يحمد به، واجتمع في يوسف مع كونه ابن ثلاثة أنبياء متراسلين شرف النبوة وحسن الصورة وعلم الرؤيا ورياسة الدنيا وحياطة الرعايا في القحط والبلايا فأي رجل أكرم من هذا؟.

وقال بعضهم: لأن دعاءه كان أحسن الأدعية توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وهو أول من تمنى لقاء الله تعالى بالموت.

غافلان ازموت مهلت خواستند عاشقان كفتند نى نى زود باش

وتزويجه أحسن التزويج، وفي قصة تزويجه صفة فرقة ووصلة، وصلة وغربة، وتلطيف وتعنيف وعشق وعاشق ومعشوق، وحبس وخلاص، وقيد وعبودية، وعتق، وتعارف وتناكر، وإقبال وفرار، ونفحة وجذبة، وإشارة وبشارة، وتعبير وتفسير، وتعسير وتيسير، وأودع في قصته ما لم يودع في غيره من اللطائف وأنواع المعاملات مما يروح الأرواح ويهيج الأشباح.

يقول الفقير: لا يبعد أن يقال إن قصة يوسف أحسن الأقاصيص السالفة في سورة هود في باب تسلية النبي ﷺ وفي نفسها أيضاً إذ ما يتعلق بالمحبوب محبوب وما ينبىء عن الأحسن أحسن كما قال المولى الجامي:

بس دلكش است قصهٔ خوبان وزان ميان تو يوسفي وقصهٔ تو أحسن القصص

وسيجيء ذكر الملاحة المتعلقة بجناب يوسف وحضرة الرسالة عليهما السلام.

وقال بعضهم: هي أول قصة نزلت على رسول الله ﷺ وهي أوجز لفظاً وأجمع معنى، مترجمة في الحقيقة عن أسرار الوراثة والخلافة والروح والقلب والقوى وتصفية النفس الأمارة التي ظهرت أولاً في صورة زليخا ثم أسلمت وتزكت وصفت إلى أن وصلت إلى مقام الرضى والامتنان بعد همها بأماريتها ثم اجتمعت بالروح اليوسفي بعد انقياد قواها في صورة الإخوة.

وقال في «التأويلات النجمية» إنما كانت أحسن القصص لأن لها مناسبة ومشابهة بأحوال الإنسان ورجوعه إلى الله ووصوله إليه وذلك لأنها تشير إلى معرفة تركيب الإنسان من الروح والقلب والسر والنفس وحواسه الخمس الظاهرة وقواه الست الباطنة والبدن وابتلائه بالدنيا وغير ذلك إلى أن يبلغ الإنسان أعلى مراتبه فإشارة يوسف إلى القلب ويعقوب إلى الروح وراحيل إلى النفس وأخوة يوسف إلى القوى والحواس ثم إن القرآن مع اشتماله على مثل هذه القصة البديعة وغيرها من عجائب البيان طعن فيه الكفار لكونهم عن غير أولي الأبصار وفي «المثنوي»:

چون كتاب الله بيامد هم بران اينچنين طعنه زدند آن كافران
كه اساطير است وافسانهٔ نژند نيست تعميقي وتحقيقي بلند
ذكر يوسف ذكر زلف وپر چمش ذكر يعقوب وزليخاى غمش

ونعم ما قال حضرة الشيخ السعدي قدس سره:

كسى بديدهٔ انكار اكر نكاه كند نشان صورت يوسف دهدبنا خوبى
وكر بچشم ارادت نكه كند درديو فرشته اش بنمايد بچشم كروبى

﴿بما أوحينا﴾ متعلقة بنقص وما مصدرية أي: بإيحائنا. ﴿إليك هذا القرآن وإن﴾ مخففة من الثقيلة أي: وأن الشأن ﴿كنت من قبله﴾ أي من قبل إيحائنا إليك هذا القرآن ﴿لمن

الغافلين﴾ الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله أي لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط، وهو تعليل لكونه موحى، والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأنه عليه السلام كما في «الإرشاد» فليست هي الغفلة المتعارفة بين الناس، ولله أن يخاطب حبيبه بما شاء ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] ونحوهما فإن مثل هذا التعبير إنما هو بالنسبة إلى الله تعالى وقد تعارفه العرب من غير أن يخطر ببالهم نقص ويجب علينا حسن الأداء في مثل هذا المقام رعاية للأدب في التعبير وتقرير الكلام مع أن الزمان وأهله قد مضى وانقضت الأيام والأنام اللهم اجعلنا فيمن هديتهم إلى لطائف البيان ووفقتهم لما هو الأدب في كل أمر وشأن إنك أنت المنان.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿إذ قال يوسف﴾ أي: اذكر يا محمد وقت قول يوسف وهو اسم عبري ولذا لم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان عربياً لانصرف والعبري والعبراني لغة إبراهيم عليه السلام كما إن السرياني هي اللغة التي تكلم بها آدم عليه السلام.

قال السيوطي السرياني منسوب إلى سريانة وهي أرض الجزيرة التي كان نوح وقومه قبل الغرق فيها وكان لسانهم سريانياً إلا رجلاً واحداً يقال له جرهم وكان لسانه عربياً.

قال في «أنوار المشارق»: من اللطائف الاتفاقية أن الأسف في اللغة الحزن والأسيف العبد وقد اتفق اجتماعهما في يوسف ﴿لأبيه﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

قال بعض من مال إلى الاشتقاق في هذه الأسماء: إنما سمي يعقوب؛ لأن يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتتلا في بطن أمهما حيث أراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فلاقتلنها فتأخر يعقوب، فخرج عيص فأخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمي به، وسمي الآخر عيصاً لما عصى وخرج قبل يعقوب، وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، وكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر إسحاق وعمي قال لعيص يوماً: يا بني، أطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعا لي به أبي هو دعاء النبوة، وكان لكل نبي دعوة مستجابة، وأخر رسولنا ﷺ دعاءه للشفاعة العظمى يوم القيامة، فخرج عيص لطلب صيد فقالت أمه ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها إلى أبيك قبل أخيك وقل له أنا ابنك عيص لعله يدعو لك ما وعده لأخيك فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا بت كل قال: من أنت؟ قال: أنا ابنك عيص فمسه فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب.

يقول الفقير: والأسلم أن يقال إن أمه أحضرت الشواء بين يدي إسحاق وقالت إن ابنك جاءك بشواء فادع له فظن إسحاق أنه عيص فأكل منه، ثم دعا لمن جاء به أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك فذهب يعقوب، ولما جاءه عيص قال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردت فعلم إسحاق الحال وقال يا بني قد سبقك أخوك ولكن بقيت لك دعوة فهلم ادعو لك

بها فدعا أن يكون ذريته عدد التراب فأعطى الله له نسلاً كثيراً وجملة الروم من ولده روم، وكان إسحاق متوطناً في كنعان، وإسماعيل مقيماً في مكة، فلما بلغ إسحاق إلى مائة وثمانين من العمر وحضرته الوفاة وصى سراً بأن يخرج يعقوب إلى خاله في جانب الشام، حذراً من أن يقتله أخوه عيص حسداً لأنه أقسم بالله في قصة الشواء أن يقتل يعقوب، فانطلق إلى خاله ليا بن ناهز، وأقام عنده وكان لخاله بنتان أحداهما لايا، وهي كبراهما والأخرى راحيل، وهي صغراهما فخطب يعقوب إلى خاله بأن يزوجه إحداهما، فقال له خاله: هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها أن تخدمني سبع سنين فقال يعقوب: أخدمك سبع سنين على أن تزوجني راحيل قال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى وهي لايا، قال له يعقوب إنك خدعتني إنما أردت راحيل فقال له خاله إنا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاعمل سبع سنين أخرى فازوجك أختها وكان الناس يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام فرعى له سبع سنين أخرى فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزها دفع إلى كل واحدة منهما أمة تخدمها اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة، فوهبتا الأمتين ليعقوب، فولدت لايا ستة بنين وبنتاً واحدة روبيل. شمعون. يهودا. لاوي. يسجر. زيالون. دنية.

وولدت زلفة ابنين دان. يغثالي.

وولدت بلهة أيضاً ابنين جاد، آشر، وبقيت راحيل عاقراً سنين ثم حملت وولدت يوسف وليعقوب من العمر إحدى وتسعون سنة، وأراد يعقوب أن يهاجر إلى موطن أبيه إسحاق بكل الحواشي، وكان ليوسف خال له أصنام من ذهب فقالت لايا ليوسف: اذهب واسترق منه صنماً لعلنا نستنفق منه فذهب يوسف فأخذ صنماً.

يقول الفقير: والأسلم أن خاله وهو أبو امرأته جهزه كما في بعض الكتب فخرج وقد رفع الله ما في قلب عيص من العداوة:

كفر ايمان كشت وديو اسلام يافت   آن طرف كان نور بي اندازه يافت

فلما التقيا تعانقا وكانا على المصافاة، وفي سنة الهجرة حملت راحيل ببنيامين وماتت في نفاسها ويوسف ابن سنتين، وكان أحب الأولاد إلى يعقوب وحين صار ابن سبع سنين رأى في المنام أن أحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة، وإذا عصا صغيرة تثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى ليلة الجمعة، وكانت ليلة القدر وهو ابن ثنتي عشرة سنة أو سبع عشرة ما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿**يا أبت**﴾[كويند يوسف دركنار پدر در خواب بودناكاه سراسيمه ازخواب در آمد پس يعقوب كفت اي پسر تراچه رسيد كفت] يا أبت: واصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في أن كل واحدة زيادة مضمومة إلى آخر الاسم، أو لأن التاء تدل في بعض المواضع على التفخيم كما في علامة ونسابة، والأب والأم مظنتا التفخيم كما اختاره الرضي. والمعنى بالفارسية [اي پدر خواب عجب ديدم]. ﴿**إني رأيت**﴾في المنام فهو من الرؤيا لا من الرؤية لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف: ٥].

قال في «الكواشي»: الرؤيا في المنام والرؤية في العين والرأي في القلب ﴿**أحد عشر كوكباً والشمس والقمر**﴾[من برسر كوهى بلند بودم كه حوالىء أو انهار جاري وأشجار

سبزبود] وعطف الشمس والقمر على كوكباً تخصيصاً أي لإظهار شرفهما على سائر الطوالع كعطف الروح على الملائكة ثم استأنف على تقدير كيف رأيت فقال ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [اين ستار كان ونيرين فرود آمدند ومن در ايشان نكرستم ديدم مرا سجود كنند كان] أي سجدة تحية لا سجدة عبادة.

قال ابن الشيخ: لفظ السجود يطلق على وضع الجبهة على الأرض سواء كان على وجه التعظيم والإكرام أو على وجه العبادة، ويطلق أيضاً على التواضع والخضوع، وإنما أجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء أعني السجود ـ روي ـ عن جابر أن يهودياً جاء رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت النبي عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال عليه السلام: «إذا أخبرتك بذلك هل تسلم» قال نعم قال عليه السلام: «جريان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، والفرغ، ووثاب، وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له» فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها.

واعلم أن يوسف رأى إخوته في صورة الكواكب؛ لأنه يستضاء بالإخوة ويهدي كما يهدي بالكواكب ورأى أباه وخالته ليا في صورة الشمس والقمر، وإنما قلنا خالته؛ لأن أمه ماتت في نفاس بنيامين كما مر وسجودهم له دخولهم تحت سلطنته وانقيادهم كما سيأتي في آخر القصة.

قال في «الإرشاد» ولا يبعد أن يكون تأخير الشمس والقمر إشارة إلى تأخر ملاقته لهما عن ملاقاته لإخوته.

والإشارة: بالأحد عشر كوكباً إلى الحواس الخمس الظاهرة، من السمع والبصر والشم والذوق واللمس والقوى الست الباطنة من المفكرة والمذكرة والحافظة والمخيلة والواهمة والحس المشترك فإن كل واحدة من هذه الحواس والقوى كوكب مضيء يدرك به معنى مناسب له وهو إخوة يوسف القلب لأنهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وراحيل النفس كلهم بنو أب واحد.

والإشارة: بالشمس والقمر إلى الروح والنفس، ومقام كمالية الإنسان أن يكون للقلب سلطان يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى كما سجد الملائكة لآدم أي تنقاد وتصير مسخرة مقهورة تحت يده وهذا هو الفتح المطلق الذي أشارت إليه سورة النصر، وليس لوارث ذا المقام بقاء في الدنيا غالباً أي بعد أن تحقق بحقيقته فافهم، جداً وكان شيخنا الأجل الأكمل من هذا القسم روح الله روحه، وأفاض علينا فتوحه، وهم يختارون المقام عند ربهم إذا وصلوا إلى نهاية مطالبهم كما قال المولى الجامي:

اكر كنند بمن عرض ديني وعقبي   من آستان توبر هردوجاى بكزينم

والموت أنسب لكونهم في مقام العندية لكون التفصيل البرزخي أكثر من التفصيل الدنيوي وإلا فهم ليسوا في الدنيا ولا في العقبى في حياتهم ومماتهم.

ثم اعلم أن الرؤيا عبارة عن ارتسام صورة المرئي وانتقاشها في مرآة القلب في النوم دون اليقظة، فالرؤيا من باب العلم، ولكل علم معلوم، ولكل معلوم حقيقة، وتلك الحقيقة صورته، والعلم عبارة عن وصول تلك الصورة إلى القلب وانطباعها فيه، سواء كان في النوم أو

في اليقظة فلا محل له غير القلب، ولما كان عالم الأرواح متقدماً بالوجود والمرتبة على عالم الأجسام وكان الامداد الرباني الواصل إلى الأجسام موقوفاً على توسط الأرواح بينها وبين الحق وتدبير الأجسام مفوض إلى الأرواح، وتعذر الارتباط بين الأرواح والأجسام للمباينة الذاتية الثابتة بين المركب والبسيط، فإن الأجسام كلها مركبة، والأرواح بسيطة فلا مناسبة بينهما فلا ارتباط، وما لم يكن ارتباط لا يحصل تأثير ولا تأثر ولا امداد ولا استمداد، فلذلك خلق الله عالم المثال برزخا جامعاً بين عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصح ارتباط أحد العالمين بالآخر فيتأتى حصول التأثر والتأثير ووصول الامداد والتدبير، وهكذا شأن روح الإنسان مع جسمه الطبيعي العنصري الذي يدبره ويشتمل عليه علماً وعملاً فإنه لما كانت المباينة ثابتة بين روحه وبدنه وتعذر الارتباط الذي يتوقف عليه التدبير ووصول المدد إليه خلق الله نفسه الحيوانية برزخاً بين البدن والروح المفارق، فنفسه الحيوانية من حيث إنها قوة معقولة هي بسيطة تناسب الروح المفارق، ومن حيث إنها مشتملة بالذات على قوى مختلفة متكثرة منبثة في أقطار البدن متصرفة بتصرفات مختلفة ومحمولة أيضاً في البخار الضبابي الذي في التجويف الأيسر من القلب الصنوبري تناسب المزاج المركب من العناصر فحصل الارتباط والتأثر والتأثير وتأتي وصول المدد.

وإذا وضح هذا فاعلم أن القوة الخالية التي في نشأة الإنسان من كونه نسخة من العالم بالنسبة إلى العالم المثالي المطلق، كالجزء بالنسبة إلى الكل، وكالجدول بالنسبة إلى النهر الذي هو مشرعه، وكما أن طرف الجدول الذي يلي النهر متصل به كذلك عالم الخيال الإنساني من حيث طرفه الأعلى متصل بعالم المثال.

والمثال نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق: ما حواه العرش المحيط من جميع الآثار الدنيوية والأخروية، والمقيد نوعان نوع هو مقيد بالنوم ونوع غير مقيد بالنوم مشروط بحصول غيبة وفتور ما في الحس كما في «الواقعات المشهورة» للصوفية وأول ما يراه الأنبياء عليهم السلام إنما هو الصور المثالية المرئية في النوم والخيال، ثم يترقون إلى أن يروا الملك في المثال المطلق أو المقيد في غير حال النوم لكن مع نوع فتور في الحس، وكونهم مأخوذين عن الدنيا عند نزول الوحي إنما هو مع بقاء العقل والتمييز ولذا لا ينتقض حينئذٍ وضوؤهم ولأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم لكون بواطنهم محلاة بصفات الله متخلقة بأخلاقه مطهرة عن أوصاف البشرية من الحرص والعجز والأمل والضعف وغير ذلك مما فيه نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال فضلاً عن النوم لأن النوم عجز وضعف وآفة، ولو حلت الآفة قلب النبي لجاز أن يحله سائر الآفات من توهم في الوحي وغفلة عنه وسآمة منه وفزع يمنعه عن واجب عليه.

قال بعضهم: إن الله قد وكل بالرؤيا ملكاً يضرب من الحكمة الأمثال، وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد آدم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلاً، فإذا نام يمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له أو نذارة أو معاتبة ليكونوا على بصيرة من أمرهم.

وفي «شرح الشرعة» أن اللوح المحفوظ في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، ولو وضع مرآة في مقابلة أخرى ورفع الحجاب بينهما كانت صورة تلك المرآة تتراءى في تلك والقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واشتغاله بشهواته ومقتضى حواسه، كأنه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة

اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبت ريح الرحمة حرك هذا الحجاب ورفع فيتلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف، وقد يثبت ويدوم، وما دام متيقظاً فهو مشغول بما يورده الحس عليه من عالم الشهادة إلا من شاء الله تعالى من المؤيدين من عند الله تعالى فإذا ركدت الحواس عند النوم وتخلص القلب من شغلها ومن الخيال، وكان صافياً في جوهره، وارتفع الحجاب وقع في القلب شيء مما في اللوح بحسب صفاته إلا أن النوم لا يمنع الخيال عن عمله وحركته، فما وقع في القلب من اللوح يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون التخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فإذا انتبه من النوم لا يتذكر إلا الخيال فيحتاج الرائي إلى معبر لينظر بفراسته أن هذا الخيال حكاية، أي معنى من المعاني، ولهذا السرّ كان من السنة لمن يرى في منامه شيئاً أن يقصه على عالم ناصح.

والرؤيا ثلاثة، أحدها: حديث النفس كمن يكون في أمر أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر وكالعاشق يرى معشوقه ونحو ذلك، وثانيها: تخويف الشيطان بأن يلعب بالإنسان فيريه ما يحزنه ومن لعبه به الاحتلام الموجب للغسل، وهذان لا تأويل لهما، وثالثها: بشرى من الله تعالى بأن يأتيك ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب يعني من اللوح المحفوظ وهو الصحيح وما سوى ذلك أضغاث أحلام.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة؟ فقيل قل **﴿يا بني﴾** تصغير ابن صغره للشفقة والمحبة وصغر السن، فإنه كان ابن ثنتي عشرة سنة كما مر، وأصله يا بنيا الذي أصله يا بني فأبدلت ياء الإضافة الفا كما قيل في يا غلامي يا غلاماً بناء على أن الألف والفتحة أخف من الياء والكسرة.

قال في «الإرشاد»: ولما عرف يعقوب من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه تعالى مبلغاً جليلاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الإخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك، وله من معاناة المشاق ومقاساة الأحزان، وإن كان واثقاً من الله تعالى بأن سيتحقق ذلك لا محالة وطمعاً في حصوله بلا مشقة. **﴿لا تقصص﴾** [مخوان وبيدامكن] **﴿رؤيك﴾** كلا أو بعضاً **﴿على إخوتك﴾** وهم بنوا علاته العشرة كما هو المشهور إذ عدّ دنية من الرجال سهو فإن الأصح إنها بنت ليا، كما سبق، فقوله في «تفسير الإرشاد» المراد بإخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الأحد عشر. وأما بنيامين الذي هو شقيق يوسف وأمهما راحيل فليس بداخل تحت هذا النهي؛ لأنه لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولا يكن معهم معدوداً في الرؤيا إذ لم يكن معهم في السجود ليوسف انتهى ليس بوجيه، بل ليس بسديد، إذ ليس في الإخوة من يسمى دنية كما في «حواشي» سعدي المفتي، ولا يلزم من عدم كون بنيامين داخلاً معهم في الرؤيا أن لا يكون منهم باعتبار التغليب فهو حادي الأحد عشر. **﴿فيكيدوا﴾** نصب بإضمار أن أي: فيفعلوا **﴿لك﴾** أي: لأجلك ولإهلاكك **﴿كيداً﴾** خفياً عن فهمك لا تقدر على مدافعته وهذا أوفق بمقام التحذير، وإن كان يعقوب يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه والكيد

الاحتيال للاغتيال، أو طلب إيصال الشر بالغير وهو غير عالم به. **﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾** استئناف كأن يوسف قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت النبوة؟ فقيل: إن الشيطان ظاهر العداوة للإنسان أو مظهرها قد بانت عداوته لك ولأبناء جنسك إذ اخرج أبويكم آدم وحواء من الجنة، ونزع عنهما لباس النور، وحلف إنه ليعلمن في نوع الإنسان كل حيلة وليأتينهم من كل جهة وجانب، فلا يزال مجتهداً في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على الأضرّ: فبه علم أنهم يعلمون تأويلها فقال ما قال.

قال بعض العارفين: برأ أبناءه من ذلك الكيد فألحقه بالشيطان لعلمه أن الأفعال كلها من الله تعالى، ولما كان الشيطان مظهراً لاسم المضل أضاف الفعل السببي إليه وهذه الإضافة أيضاً كيد ومكر، فإن الله تعالى هو الفاعل في الحقيقة لا المظهر الشيطاني:

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود تأثير زآلت از محالات بود

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ أي مثل اجتبائك واختيارك من بين إخوتك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأنك فالكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف **﴿يجتبيك ربك﴾** يختارك ويصطفيك لما هو أعظم منها كالنبوة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة إذ لا بد لكل صورة مرئية في عالم المثال حقيقة واقعة في عالم الشهادة وإن كانت الدنيا كلها خيالاً كما سيأتي تحقيقه.

خيال جمله جهانرا بنور چشم يقين بجنب بحر حقيقت سراب مى بينم

﴿ويعلمك﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك؛ لأن الظاهر أن يشبه الاجتباء بالاجتباء والتعليم غير الاجتباء فلو كان داخلاً في حكم التشبيه كان المعنى ويعلمك تعليماً مثل الاجتباء بمثل هذا الرؤيا وظاهر سماجته؛ فإن الاجتباء وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ولم يلاحظ في التعليم ذلك كذا قالوا.

يقول الفقير: هذا هو منهما نعمة جسيمة من الله تعالى كما يدل عليه مقام الامتنان فلا سماجة **﴿من تأويل الأحاديث﴾** أي: ذلك الجنس من العلوم فتطلع على حقيقة ما أقول فإن من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها فإن علم التعبير من لوازم الاجتباء غالباً.

والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤى جمع الرؤيا؛ إذ هي إما أحاديث الملك إن كانت صادقة أو أحاديث النفس والشيطان إن لم تكن كذلك، وتسميتها تأويلاً لأنه يؤول أمرها إليه أي يرجع إلى ما يذكره المعبر من حقيقتها، والأحاديث اسم جمع للحديث ومنه أحاديث الرسول والحديث في اللغة الجديد، وفي عرف العامة الكلام وفي عرف المحدثين ما يحدث عن النبي عليه السلام فكأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن إذ ذاك قديم وهذا حادث. وفي «الصحاح» الحديث ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً. **﴿ويتم نعمته عليك﴾** يا يوسف يجوز أن يتعلق بقوله يتم وأن يتعلق بنعمته أي بأن يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط التعليم لرعاية الوجود الخارجي. **﴿وعلى﴾** كرر على ليمكن

العطف على الضمير المجرور. ﴿آل يعقوب﴾الآل وإن كان أصله الأهل إلا أنه لا يستعمل إلا في الأشراف بخلاف الأهل وهم أهله من بيته وغيرهم، فإن رؤية يوسف إخوته كواكب يهتدي بأنوارها من نعم الله عليهم لدلالتها على مصير أمرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة إلى الفعل إتماماً لتلك النعمة.

وقال سعدي المفتي غاية ما تدل رؤيتهم على صور الكواكب مجرد كونهم هادين للناس ولا يلزم أن يكون ذلك بالنبوة والظاهر أنه عليه السلام علم ذلك بالوحي انتهى.

يقول الفقير: لعل يعقوب انتقل من كونهم على صور الكواكب إلى نبوتهم لأن الفرد الكامل للهداية أن يكون ذلك بالنبوة ولذلك قد قال الله تعالى في حق الأنبياء. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] فاعرف ذلك. ﴿كما أتمها على أبويك﴾نصب على المصدرية، أي: ويتم نعمته عليك إتماماً كائناً كإتمام نعمته على أبويك وهي نعمة الرسالة والنبوة. ﴿من قبل﴾أي: من قبل هذا الوقت أو من قبلك. ﴿إبراهيم وإسحاق﴾عطف بيان لأبويك والتعبير عنهما بالأب مع كونهما أبا جده وأبا أبيه للأشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام.

قال في «الكواشي» الجد أب في الأصالة يقال فلان ابن فلان وبينهما عدة آباء انتهى.

أما إتمامها على إبراهيم فباتخاذه خليلاً وبانجائه من النار ومن ذبح الولد، وأما على إسحاق فبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه في كل وجه.

والإشارة أن إتمام النعمة على يوسف القلب بأن يتجلى له ويستوي عليه إذ هو عرش حقيقي للرب تعالى دون ما سواه كما قال تعالى: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن»:

دردل مؤمن بكنجم اي عجب كرمرا جوئى دران دلها طلب

ولهذا الاستحقاق كان يوسف القلب مختصاً بكمال الحسن، وإذا تجلى الله تعالى للقلب تنعكس أنوار التجلي من مرآة القلب على جميع المتولدات من الروح كالحواس والقوى وغيرهما من آل يعقوب الروح. ﴿إن ربك﴾أي: يفعل ما ذكر لأن ربك ﴿عليم﴾أي: عليم ﴿حكيم﴾أي: حكيم وهو معنى مجيئهما نكرتين، أي واسع العلم باهر الحكمة يعلم من يحق له الاجتباء ولا يتم نعمته إلا على من يستحقها، أو يفعل كما ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب.

اعلم أن الله تعالى قدم في بعض المواضع الاسم الحكيم على الاسم العليم وعكس في بعضها كما في هذا المقام، أما الأول فباعتبار حضرة العلم لأن العلم في تعلقه في الأعيان والحقائق العلمية تابع للحكمة، وذلك عبارة عن كونه تابعاً للمعلوم حيث تعلق به في تلك الحضرة على وجه ما أعطاه إياه من نفسه، وأما الثاني فهو باعتبار حضرة العين لأن الحكمة في تعلقها بالتعينات والصور المعينة تابعة للعلم، وهذا عبارة عن كون المعلوم تابعاً للعلم حيث إنما تعلقت بها في هذه الحضرة على وجه ما أعطاه العلم إياها من نفسه على الوجه الأول، فلا جرم أن المتبوع في أية مرتبة كان له التقدم، والتابع كذلك له التأخر جداً، ولا شك أن المعتبر إنما هو تقدم المعلومات على تعلق العلم بها بالذات في الحضرة الأولى، وتأخرها عنه في

الثانية، والحكمة إنما هي ترتب تلك المعلومات في مراتبها ووضعها في مواضعها في أية حضرة كانت، وهذا الترتيب والوضع في أي: مرتبة كان إذا وقع من الحكيم العليم والعليم الحكيم بحسب اقتضاآت استعداداتها الكلية الأزلية وبقدر استدعاآت قابليتها الجزئية الأبدية في النشاآت الدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والجسمانية والروحانية وغير ذلك من سائر النشاآت فافهم هداك الله إلى الفهم عن الله كذا في بعض تحريرات شيخنا الأجل ومرشدنا الأكمل قدس الله نفسه الزاكية وروح روحه في جميع المواطن كلها آمين.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي بالله قد كان في قصة يوسف وحكاية إخوته الأحد عشر. **﴿آيات﴾** علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله القاهرة وحكمته الباهرة **﴿للسائلين﴾** لكل من سأل عن قصتهم وعرفها فإن كبار أولاد يعقوب بعد ما اتفقوا على إذلال أصغر أولاده يوسف وفعلوا به ما فعلوا قد اصطفاه الله للنبوة والملك وجعلهم خاضعين له منقادين لحكمه وإن وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من أجل الدلائل على قدرة الله القاهرة وحكمته الباهرة.

وفي «التفسير الفارسي» [آورده اندكه چون يوسف خواب مذكوررا باپدر تقرير كرد ويعقوب بكتمان آن وصيت فرمود وباجتباء واتمام نعمت أو مژده داد بعض ازژنان برادران او شنودند ونمازشام كه ايشان بخانه باز آمدند صورت حال را بازنمودند ايشانرا عرق حسد در حركت آمد بتدبير مهم مشغول شدند].

وقال يهودا وروبيل وشمعون: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فدبروا لإخراجه من البين كما حكى الله عنهم بقوله:

﴿إذ قالوا﴾ [يا دكن آنراكه كفتند برادران يوسف بايكديكر] **﴿ليوسف﴾** [هرآينه يوسف] فلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده أي إن زيادة محبته لهما أمر محقق ثابت لا شبهة فيه **﴿وأخوه﴾** أي: شقيقه بنيامين والشقيق الأخ من الأب والأم وقد يقال للأخ لأب شقيق كأنه شق معك ظهر أبيك وللأخ من الأم لأنه شق معك بطن أمك.

وفي «القاموس الشقيق» كأمير الأخ كأنه شق نسبه من نسبه انتهى.

وإنما لم يذكر باسمه تلويحاً بأن مدار المحبة إخوُّته ليوسف من الطرفين الأب والأم فالمآل إلى زيادة الحب ليوسف، ولذلك دبروا لقتله وطرحه ولم يتعرضوا لبنيامين **﴿أحب إلى أبينا منا﴾** أحب أفعل تفضيل مبني من المفعول شذوذاً، وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث، لأن تمامه بمن، ولا يثنى اسم التفضيل ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه.

قال بعض العارفين: مال يعقوب إلى يوسف لظهور كمال استعداده الكلي في رؤياه حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين فعلم أبوه من رؤياه أنه يرث أباه وجده ويجمع استعدادات إخوته فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له، وقيل لأن الله تعالى أراد ابتلاءه محبته إليه في قلبه ثم غيبه عنه ليكون

البلاء أشد عليه لغيرة المحبة الإلهية، إذ سلطان المحبة لا يقبل الشركة في ملكه، والجمال والكمال في الحقيقة لله تعالى، فلا يحتجب أحد بما سواه، ولا كيد أشد من كيد الولد ألا ترى أن نوحاً عليه السلام دعا على الكفار فاغرقهم الله تعالى فلم يحترق قلبه فلما بلغ ولده الغرق صاح ولم يصبر وقال ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] ﴿ونحن عصبة﴾ أي: والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة، وما معنى اختيار صغيرين ضعيفين على العشرة الأقوياء والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعداً وسموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم وتشتد، والنفر ما بين الثلاثة إلى الخمسة والرهط ما بين الخمسة إلى العشرة. ﴿إن أبانا﴾ في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من الكفاية بالصغر والقلة. ﴿لفي ضلال﴾ أصل الضلال العدول عن القصد أي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته ﴿مبين﴾ ظاهر الحال نظروا إلى صورة يوسف ولم يحيطوا علما بمعناه فقالوا ما قالوا ولم يعرفوا أن يوسف أكبر منهم بحسب الحقيقة. وفي «المثنوي»:

عارفي پرسيد ازان پير كشيش ... كه تواى خواجه مسنن ترياك ريش

كفت نى من پيش ازو زائيده ام ... بي زريشى بس چهانرا ديده ام

كفت ريشت شد سفيد از حال كشت ... خوى زشت تو نكر ديده است وشت

او پس ازتو زاد وازتو بكذريد ... توچنين خشكى زسوداى ثريد

توبدان رنكى كه اول زادۀ ... يك قدم زان پيشتر ننهادۀ

همچنان دوغى ترش درمعدنى ... خود نكردى زو مخلص روغنى

قال في «الكواشي»: لا وقف من السائلين إلى صالحين لأن الكلام جملة محكية عنهم انتهى.

أي للتعلق المعنوي بين مقدم الكلام ومؤخره إلا أن يكون مضطراً بأن ينقطع نفسه فحينئذٍ يجب عليه أن يرجع إلى ما قبله ويوصل الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أثم كما في بعض شروح الجزري وقرىء مبين.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

﴿اقتلوا يوسف﴾ بكسر وضم والمشهور الكسر، وجه الضم التبعية لعين الفعل وهي مضمومة.

فإن قلت: الحسد من أمهات الكبائر لا سيما وقد أقدموا بسبب ذلك على القتل ونحوه وكل ذلك ينافي العصمة والنبوة.

قلت: المعتبر عصمة الأنبياء في وقت حصول النبوة فأما ما قبلها فذلك غير واجب كذا أجاب الامام.

وفي «شرح العقائد»: الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع وكذا من تعمد الكبائر انتهى.

[درتيسير آورده كه چون شيطان اين كلمات از ايشان استماع كرد بصورت پيرى پرشان ظاهر شد وكفت يوسف ميخواهدكه شمارا ببندكى كيرد كفتنداى پير تدبير چيست كفت اقتلوا يوسف] ﴿أو اطرحوه أرضاً﴾ منكورة مجهولة بعيدة من العمران ليهلك فيها أو يأكله السباع وهو

معنى تنكيرها وإبهامها لا أن معناه، أي أرض كانت، ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة وهي ما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه.

وفيه إشارة إلى أن التغريب يساوي القتل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣] فسلاطين الزمان كأنهم قاتلون العلماء لا سيما المشايخ منهم بتغريبهم وإقصائهم إلى البلاد البعيدة وتفريقهم من أولادهم واتباعهم، وذلك لكونه من غير سبب موجب غالباً أصلحنا الله تعالى وإياهم﴿يخل﴾ بالجزم جواب للأمر، أي: يخلص﴿لكم وجه أبيكم﴾ فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم وتتوفر محبته فيكم فذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات﴿وتكونوا﴾ بالجزم عطف على يخل﴿من بعده﴾ من بعد يوسف، أي: من بعد الفراغ من أمره. ﴿قوماً صالحين﴾ صلحت حالكم عند أبيكم أو تائبين إلى الله تعالى مما جئتم [واين نيز زمكائد إبليس بودكه ناشكيبان باديه٭ آرزورا ازروى تسويف ميكويد مصراع امروز كنه كنيد وفردا توبه آخر تأمل ميكندكه عذر فردارا عمر فردا مى بايد وبر عمر اعتمادي نيست]:

كـار امـروز بـفـردا نـكـذارى زنـهـار   كه چو فردا برسد نوبت كارد كرست

يقول الفقير: أما قول بعض الحكماء: هكذا يكون المؤمن يهيىء التوبة قبل المعصية فمعناه أن يصمم التوبة على ما سيصدر عنه من الزلات سهواً بحسب غلبة البشرية وإلا فلا معنى لتلويث لباس طاهر ثم تطهيره ورب ملسوع يموت قبل أن يصل إلى الترياق، فأكل السم على ظن أن الترياق يدفع مضرته ليس من ديدن أهل القلب السليم والعقل المستقيم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من الأمرين أم خالفهم في ذلك أحد؟ فقيل قال:﴿قائل منهم﴾ وهو يهوداً وكان أحسنهم فيه رأياً حيث جوزوا قتله ولم يساعدهم عليه﴿لا تقتلوا يوسف﴾ فإن قتله عظيم لكونه من غير جرم ولا تطرحوه أرضاً لكونه في حكم القتل﴿وألقوه﴾ يعني بدل الطرح﴿في غيابة الجب﴾ في قعره وغوره وما أظلم منه من أسفله سمي به لغيبته عن عين الناظر، والجب البئر التي لم تطو بعد، لأنه ليس فيها غير جب الأرض وقطعها فإذا طويت فهر بئر. ﴿يلتقطه﴾ يأخذه على وجه الصيانة من الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع. ﴿بعض السيارة﴾ جمع سيار وهو بناء المبالغة أي بعض طائفة تسير في الأرض. وبالفارسية [بعضي ازراه كذريان كه بدانجا رسندو ببرندش بناحيتي ديكر وشما ازوبار رهيد]﴿إن كنتم فاعلين﴾ [بمشورتي يعني چون غرض شمابودن اسوت برين وجه ميبايد كرد] لم يبت القول عليهم، بل إنما عرض ذلك عليهم تأليفاً لقلبهم وتوجيهاً لهم إلى رأيه وحذراً من نسبتهم له إلى التهكم والافتيات أي الاستبداد والتفرد.

قال سعدي المفتي: إنما قال هذا القائل ذلك لكونه أوجه مما ذكروه في التدبير فإن من التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد ويحصل المقصود بلا احتياج إلى الحركة بأنفسهم فربما لا يأذن لهم أبوهم وربما يطلع على قصدهم انتهى.

فانظر إلى هؤلاء الإخوان الذين أرحمهم له لا يرضى إلا بإلقاء يوسف في أسفل الجب وهكذا إخوان الزمان وأبناؤه فإن ألسنتهم دائرة بكل شر ساكتة عن كل خير.

جامی ابناي زمان از قول حق صمند وبكم | نام ايشان نيست عند الله بجز شر الدواب
در لباس دوستی سازندكار دشمني | حسب الامكان واجبست ازكيدايشان اجتناب
شكل ايشان شكل إنسان فعلشان فعل سباع | هم زئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

وفي الآية إشارة: إلى أن الحواس والقوى تسعى في قتل يوسف القلب بسكين الهوى، فإن موت القلب منشأه الهوى وهو السم القاتل للقلب، أو تسعى في طرحه في أرض البشرية فإنه بعد موت القلب يقبل الروح بوجهه إلى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها ومراداتها وتكون هي بعد موته قوماً صالحين للتنعم الحيواني والنفساني، قال قائل منهم وهو يهودا المتفكرة لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة جب القالب وسفل البشرية يلتقطه سيارة الحوادث النفسانية إن كنتم فاعلين ساعين به كذا في «التأويلات النجمية».

فالحياة الحقيقية إنما هي في حياة القلب، والقلب بيت الله ومحل استوائه عليه.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطع بالله نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه وذكر الله تعالى هو طريق الوصول.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم ـ رضي الله عنه ـ ذكر الله يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس، وامتنعت الأعضاء من الطاعة فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للقطع، وتصير وقوداً للنار أعاذنا الله منها.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿قالوا﴾[اورده اندكه برادران يوسف برقول يهوداً متفق شدند ونزد پدر آمده كفتند فصل بهار رسيده وسبزها از زمين دميده چه شودكه يوسف را باما بصحرا فرستي تاروزى بتماشا وتفرج بكذا رند يعقوب فرمودكه از هجر حسن بهار رخسار يوسف چون بلبل خزان ديده خواهم بود روامداريدكه شما دركلزار باشيد ومن درخانه بخار هجر كرفتار باشم]:

حريفان دربهار عيش خندان | من اندر كنج غم چون دردمندان

[فرزندان يعقوب نا اميد شده پيش يوسف آمدند واز تماشاى سبزه وصحرا شمه باوى درميان آورده وكفتند

موسم كل دوسه روزيست غنيمت دانيد | كه دكر نوبت تاراج خزان خواهد بود

يوسف چون نام تماشا شنيد خاطر مباركش متوجه صحرا شد وبا برادران پيش پدر آمده التماس أجازت نمود ومضمون اين مقال بزيان حال بعرض رسانيده]:

زين تنكناى خلو تم خاطر بصحرا مى كشد | كزبوستان باد سحر خوش ميدهد بيغامرا

[يعقوب درفكر دور ودراز افتاد]، وعند ذلك قالوا: ﴿يا أبانا﴾خاطبوه بذلك تحريكاً لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الإخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك إلى استنزاله

عن رأيه في حفظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا: ﴿**ما لك لا تأمنا**﴾ أي: أي عذر لك في ترك الأمن أي في الخوف ﴿**على يوسف**﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا. قوله ﴿**لا تأمنا**﴾ حال من معنى الفعل في ما لك كما تقول مالك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً ﴿**وإنا له لناصحون**﴾ الواو للحال من مفعول لا تأمنا، أي والحال إنا لمريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة.

وبالفارسية، [نيك خواهانيم وبغايت بروى مهربان] ﴿**أرسله معنا غداً**﴾ إلى الصحراء ﴿**يرتع**﴾ أي: يتسع في أكل الفواكه ونحوها، فإن الرتع هو الاتساع في الملاذ. ﴿**ويلعب**﴾ بالاستباق والتناضل ونحوهما مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار وإنما سموه لعباً؛ لأنه في صورته وأيضاً لم يكونوا يومئذٍ أنبياء، وأيضاً جاز أن يكون المراد من اللعب الإقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر، كما روي عنه عليه السلام أنه قال لجابر رضي الله عنه «فهلا بكراً» أي فهلا تزوجت بكرا «تلاعبها وتلاعبك».

قال أبو الليث: لم يريدوا به اللعب الذي هو منهي عنه، وإنما أرادوا به المطايبة في المزاح في غير مأثم. وفيه دليل على إنه لا بأس بالمطايبة، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حد العبوس ـ روي ـ أنه أتى رجل برجل إلى علي فقال إن هذا زعم أنه احتلم على أمي، فقال أقمه في الشمس واضرب ظله ﴿**وإنا له لحافظون**﴾ من أن يناله مكروه ثم استأنف عمن يسأل ويقول: فماذا قال يعقوب.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**قال إني ليحزنني أن تذهبوا به**﴾ [آنكه شما ببريداورا از پيش من] وذلك لشدة مفارقته عليّ وقلة صبري عنه.

فإن قيل: لام الابتداء تخلص المضارع للحال عند جمهور النجاة والذهاب ههنا مستقبل فيلزم تقدم الفعل على فاعله مع أنه أثره.

قلنا: إن التقدير قصد أن تذهبوا به والقصد حال أو تصور ذهابكم وتوقعه، والتصور موجود في الحال كما في العلة الغائية. ﴿**و**﴾ مع ذلك ﴿**أخاف أن يأكله الذئب**﴾ لأن الأرض كانت مذابة واللام للعهد الذهني، والحزن ألم القلب بفوت المحبوب، والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك أسند الأول إلى الذهاب به، المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف، والثاني إلى ما يتوقع نزوله من أكل الذئب ـ وروي ـ أنه رأى في المنام كأنه على رأس جبل ويوسف في صحراء فهجم عليه أحد عشر ذئباً فغاب يوسف بينهن، ولذا حذرهم من أكل الذئب ومع ذلك فقد دفعه إلى إخوته لأنه إذا جاء القضاء عمي البصر:

اين هم ازتأثير حكمست وقدر   چاه مى بيني ونتواني حذر

﴿**وأنتم عنه غافلون**﴾ [ازو بيخبران باشيد بسبب تماشا]

ازان ترسم كزو غافل نشينيد   زغفلت صورت حالش نبينيد
درين ديرينه دشت محنت انكيز   كهن كركى برودندان كندتيز

﴿**قالوا**﴾ والله ﴿**لئن أكله الذئب ونحن عصبة**﴾ [وحال آنكه ما كروهي توانا وقوى هيكليم

که هريكي ازمابا ده شير در محاربه مقاومت ميتواندكرد] ﴿إنا إذاً﴾ [بدرستى كه ما آن وقت كه برادررا بكرك دهيم] ﴿لخاسرون﴾ [هر آيينه زيانكار ان باشيم] من الخسار بمعنى الهلاك أي لهالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً.

وفي «الكواشي» مغبونون بترك حرمة الوالد والأخ، وإنما اقتصروا على جواب خوف يوسف من أكل الذئب ولم يجيبوا عن الاعتذار الأول لأنه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب.

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: لا ينبغي للرجل أن يلقن الخصم الحجة لأن إخوة يوسف كانوا لا يعلمون أن الذئب يأكل الناس إلى أن قال ذلك يعقوب ولقنهم العلة في كيد يوسف، وفي الحديث: «البلاء موكل بالمنطق ما قال عبد لشيء والله لا أفعله إلا ترك للشيطان كل شيء فولع به حتى يؤثمه» وفي حديث: «إني لأجد نفسي تحدثني بالشيء فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن ابتلى به» ـ يحكى ـ أن ابن السكيت من أئمة اللغة جلس مع المتوكل يوماً فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال: أيما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين؟ قال: والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات في تلك الليلة. ومن العجب أنه أنشد قبل ذلك إلى المعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرأ على مهل

والإشارة أن القلب ما دام في نظر الروح مراقباً له غير مشغول باستعمال الحواس والقوى من الروح أن يرسل يوسف القلب معهم إلى مراتعهم الحيوانية ليتمتعوا به في غيبة يعقوب الروح وهو لا يأمنهم عليه لأنه واقف في مكيدتهم وإنهم يدعون نصحه وحفظه من الآفات والقلب إذا بعد من الروح ونظره يقرب منه ذئب الشيطان ويتصرف فيه ويهلكه، وخسران جميع أجزاء الإنسان في هلاك القلب وربحها في سلامته.

فعلى العاقل أن لا يلعب بالدنيا كالصبيان، ويحترز عن فتنتها وآفاتها ولا يرى ترك عنان النفس حذراً من الوقوع في بئر الهوى ويجتهد في قمع الهوى ودفع الميل إلى ما سوى الله تعالى:

وصل ميسر نشود جز بقطع ... قطع نخست ازهمه ببريدنست

عصمنا الله وإياكم من الاستماع إلى حديث النفس والشيطان وجعلنا وإياكم محفوظين من موجبات القطيعة والخذلان، إنه هو الكريم المنام المحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فلما ذهبوا به﴾ متصل بمحذوف، أي: فأذن له وأرسله معهم فلما ذهبوا به [پس آن هنكام كه برادران ببردند يوسف را] والجواب محذوف وهو فعلوا به من الأذية ما فعلوا.

وتفصيل المقام أن يعقوب عليه السلام لما رأى إلحاح إخوة يوسف في خروجه معهم إلى الصحراء ومبالغتهم بالعهد واليمين، ورأى أيضاً ميل يوسف إلى التفرج والتنزه رضي

بالقضاء فأذن فأمر أن يغسل بدن يوسف في طست كان أتى به جبريل إلى إبراهيم حين مجيء الفداء فأجرى فيه دم الكبش وأن يرجل شعره، ويدهن بدهن اسماعيل الذي جاء به جبريل من الجنة وأن يكحل ففعلوا ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف.

وقال الكاشفي [چون تعويذي بربازويش بست وبمشايعهٔ فر زندان تاشجرة الوداع كه بردروازهٔ كنعان بودبيرون آمد ويوسف رادركنار كرفته كريه كنان اغاز وداع كرد]:

دل نمی خواست جدايی زتوا ماچه كنم   دور أيام نه بر قاعدهٔ دلخواشنت

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

[يوسف كفت اي پدر سبب كريه چيست كفت اي يوسف ازين رفتن تو رايحهٔ اندوهی عظيم بمشام دل من ميرسد ونمی دانم كه سرا نجام كار بكجا خواهد كشيد باری لا تنساني فإني لا أنساك مرافراموش مكن كه من ترانيز فراموش نخواهم كرد] فراموشی نه شرط دوستانست [پس فرزندانرا درباب محافظهٔ يوسف مبالغهٔ بسيار فرمود] وهم جعلوا يحملونه على عواتقهم إكراماً له وسروراً به، فذهبوا به [يعقوب درايشان مينكريست واز شوق لقاي فرزند ارجمند می كريست]

هنوز سرو روانم زچشم ناشده دور   دل ازتصور دوری چوبيد لرزانست

[چون فرزندان ازپيش نظروي غائب شدند روی بكنعان نهاد] فلمّا بعدوا به عن العيون تركوا وصايا أبيهم فألقوه على الأرض، وقالوا: يا صاحب الرؤيا الكاذبة أين الكواكب التي رأيتهم لك ساجدين حتى يخلصوك من أيدينا اليوم، فجعلوا يؤذونه ويضربونه وكلما لجأ إلى واحد منهم ضربه ولا يزدادون عليه إلا غلظة وحنقاً، وجعل يبكي بكاء شديداً وينادي يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء.

قال الكاشفي: [درخاك خواري كرسنه وتشنه بروی مي كشيدند تابهلاك نزديك رسيد] وقال بعضهم: فأخذه روبيل فجلِد به الأرض ووثب على صدره وأراد قتله ولوى عنقه ليكسرها، فنادى يوسف يا يهودا وكان أرفقهم به اتقِ الله وحل بيني وبين من يريد قتلي، فأخذته رقة ورحمة فقال يهودا: ألستم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه قالوا: بلى قال أدلكم على ما هو خير لكم من القتل ألقوه في الجب فسكن غضبهم، وقالوا: نفعل. **﴿وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب﴾** وعزموا على إلقاء يوسف في قعر الجب، وكان على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب بكنعان التي هي من نواحي الأردنّ، حفره شداد حين عمر بلاد الأردنّ، وكان أعلاه ضيقاً وأسفله واسعاً.

وقال الكاشفي: [هفتاد كز عمق يافت يا زياده] فأتوا به إلى رأس البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه، فدلوه فيها بحبل مربوط على وسطه فتعلق بشفيرها، فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم الكذب احتيالاً لأبيه، فقال: يا إخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به في حياتي ويكون كفناً بعد مماتي، فلم يفعلوا فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل وألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة بجانب البئر فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه فمنعهم يهودا.

قال الكاشفي [از حضرت ملك أعلى خطاب مستطاب بطائر آشيان سدرة المنتهى رسيدكه (أدرك عبدي جبريل) پيش ازانكه يوسف به تك چاه رسد بوي رسيد واورا باپنچهٔ مقدسهٔ خود كرفت وبربالاى صحره كه درتك چاه بود بنشانيد واز طعام وشراب بهشت بوي داد پيراهن خليل كه تعويذ وار بربازوداشت اورا بوشانيد] قال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد ثمانين سنة، وقيل: كان يوسف ابن سبع عشرة سنة، وقيل ابن ثماني عشرة سنة ـ وروي ـ إن هوام البئر قال بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فإن نبياً من الأنبياء نزل بساحتكن فانجحرن إلا الأفعى فإنها قصدت يوسف فصاح بها جبريل فصمت وبقي الصمم في نسلها ولما ألقي في الجب قال: يا شاهدا غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ـ وروي ـ اجعل لي فرجاً مما أنا فيه فما بات فيه.

قال الكواشي: لبث في البئر ثلاثة أيام أو خرج من ساعته انتهى.

وعلم جبريل يوسف هذا الدعاء أي في البئر «اللهم يا كاشف كل كربة، ويا مجيب كل دعوة، ويا جابر كل كسير، ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد لا إله إلا أنت سبحانك أسألك أن تجعل لي فرجاً ومخرجاً وأن تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وأن تحفظني وترحمني يا أرحم الراحمين» ـ روي ـ أن يوسف لما ألقي في الجب ذكر الله بأسمائه الحسنى فسمعه الملائكة فقالوا يا رب نسمع صوتاً حسناً في الجب فأمهلنا ساعة فقال الله ألستم قلتم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فحفته الملائكة فأنس بهم وكذلك إذا اجتمع المؤمنون على ذكر الله تعالى يقول الملائكة إلهنا انظرنا نستأنس بهم فيقول الله تعالى ألستم قلتم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فالآن تتمنون الاستئناس بهم فعلم أن الملائكة المقربين تنزل لشرف الذكر كما في «نفائس المجالس»:

ذره ذره كاندرين ارض وسماست ... جنس خودرا هريكي چون كهرباست
ضدرا باضد ايناس از كجا ... با امام الناس نسناس از كجا
اين قدر كفتيم باقي فكر كن ... فكرا اكر جامد بودرو ذكر كن
ذكر آرد فكررا در اهتزاز ... ذكررا خورشيد اين افسرده ساز

كما في «المثنوي»: ﴿وأوحينا إليه﴾ تبشير إليه بما يؤول إليه أمره وإزاله لوحشته، وإيناساً له وكان وحي نبوة ورسالة كما عليه المحققون، وقد صح أن الله تعالى أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام قبل إدراكهما وذلك لأن الله تعالى قد فتح باب الولاية الخاصة لبعض الآحاد في صغرهم كالشيخ سهل قدس سره فلأن يكون باب النبوة مفتوحاً أولى، لكمال استعداد الأنبياء عليهم السلام فأمر الولاية والنبوة لا يتوقف على البلوغ وعلى الأربعين وإن استنبىء أكثر الأنبياء بعد الأربعين على ما جرى عليه عادة الله الغالبة هكذا لاح بالبال.

قال الكاشفي: [وما وحى فرستاديم سوى اوكه اندو هناك مباش بيرون زحضيض جاه رسانيم وبرار انرا بحاجتمندى نزديك توآريم] ﴿لتنبئنهم﴾ لتحدثن إخوتك فيما يستقبل ﴿بأمرهم هذا﴾ بما فعلوا لك ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنك يوسف لتباين حاليك حالك هذه وحالك يومئذٍ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول المبدل للأشكال والهيئات، وذلك إنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون، دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان أخ لكم من أبيكم يقال له يوسف، وكان

يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب.

والإشارة: أن من خصوصية تعلق الروح بالقالب أن يتولد منها القلب العلوي والنفس السفلية والقوى والحواس فيكون ميل الروح والقلب ونزاعهما إلى عالم الروحانية وميل النفس والقوى والحواس إلى عالم الحيوانية، فإن وكل الإنسان إلى طبعه تكون الغلبة للنفس والبدن على الروح والقالب وهذا حال الأشقياء، وإن أيد القلب بالوحي في غيابة جب القلب إذا سبقت له العناية الأزلية تكون الغلبة للروح والقلب على النفس والبدن وهذا حال السعداء، فالأنبياء وكذا الأولياء مؤيدون من عند الله تعالى بالوحي والإلهام والصبر والاحتمال وإن كانوا في صورة الجفاء والجلال، وقد قضى الله تعالى على يعقوب ويوسف أن يوصل إليهما تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبرا على مرارتها ويكثر رجوعهما إلى الله تعالى وينقطع تعلق فكرهما عما سوى الله تعالى فيصلا إلى درجة عالية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن العظيمة كما قال بعض الكبار: سبب حبس يوسف في السجن اثنتي عشرة سنة تكميل ذاته بالخلوة والرياضة الشاقة والمجاهدات مما تيسر له عند أبيه ومن هذا المقام اغترب الأنبياء والأولياء عن أوطانهم. قال المولى الجامي:

بصبر كوش دلا روز هجر فائده چيست طبيب شربت تلخ ازبراى فائده ساخت

وقال بعضهم: ابتلي أبوه بفراقه لما في الخبر أنه ذبح جدياً بين يدي أمه فلم يرض الله تعالى ذلك منه، وأري دماً بدم وفرقة بفرقة لعظمة احترام شأن النبوة ومن ذلك المقام حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال بعضهم: استطعمه يوماً فقير فما اهتم بإطعامه فانصرف الفقير حزينا وفيه نظر كما قاله البعض لأن ذلك لا يليق بأخلاق النبوة.

وقال بعضهم: لما ولد يوسف اشترى يعقوب له ظئراً، وكان لها ابن رضيع فباع ابنها تكثيراً للبن على يوسف فبكت وتضرعت، وقالت: يا رب إن يعقوب فرق بيني وبين ولدي ففرق بينه وبين ولده يوسف فاستجاب الله دعاءها فلم يصل يعقوب إلى يوسف إلا بعد أن لقيت تلك الجارية ابنها وفي الحديث: «لا توله والدة بولدها» أي: لا تجعل والهة بتفريقه منها وذلك في السبايا كما في الجوهري، ومن أحاديث «المقاصد الحسنة» «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» ومثل هذا وإن كان بعيداً بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام إلا أن القضاء يفعل ما يفعل.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: إذا شاء الحق إنفاذ قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] على عموم الأفعال في العبد بإيفاء زلة منه يجري عليه القدر بما أراده ثم يرده إلى مقامه إن كان من أهل العناية والوصول.

قيل لأبي يزيد قدس سره: أيعصي العارف فقال: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾. قال الحافظ:

جايى كه برق عصيان بر آدم صفي زد ما راچه كونه زيبد دعوىٰ بي كناهى

هذا بالنسبة إلى حال يعقوب وابتلائه.

وأما بالنسبة إلى يوسف فقد حكي إنه أخذ يوماً مرآة فنظر إلى صورته فأعجبه حسنه وبهاؤه فقال لو كنت عبداً فباعوني لما وجد لي ثمن فابتلى بالعبودية وبيع بثمن بخس وكان ذلك سبب فراقه من أبيه.

وفيه إشارة إلى أن الجمال والكمال كله لله تعالى وإذا أضيف إلى العبد مجازاً فلا بد للعبد أن يجتهد إلى أن يصير حراً عما سوى الله تعالى ويتخلص من الاضافات والقيود ويرى الأمر كله لله تعالى ويكون عبداً محضاً حقاً لله تعالى. قال المولى الجامي:

كسوت خواجكى وخلعت شاهى چه كند هر كرا غاشيهٔ بند كيت بر دوش است

وبالجملة إن طريق التصفية طريقة صعبة ومن أسبابها الأدب والمحنة ولذلك ورد «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» أي: ما صفى نبي مثل ما صفيت.

وذرة من محنة هذه الطريقة العلية أعلى من كثير من الكشف والكرامات وما ابتلى الله أحداً بمثل ما ابتلى به اصفياءه إلا اختاره لذاته ولعبوديته فافهم والله الهادي إلى الحقائق.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وجاؤوا أباهم عشاء﴾ ظرف أي في آخر النهار فإن العشاء آخر النهار إلى نصف الليل. وفي «تفسير أبي الليث» بعد العصر.

قال في «الكواشي»: وإنما جاؤوا عشاء ليقدموا على المبالغة في الاعتذار. ﴿يبكون﴾ حال، أي: متباكين. والتباكي بالفارسية [كريستن پيدا كردن] - روي - إن امرأة خاصمت زوجها إلى شريح فبكت فقال له الشعبي: يا أبا أمية أظنها مظلومة أما تراها تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية. وفي «المثنوي»:

زراىٔ مضطر نشسته معنويست زارىٔ نزد دروغ آن غويست

كريهٔ اخوان يوسف حيلتست كه درونشان پرز رشك وعلتست

- روي - أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شي قالوا الأمر أعظم قال فما هو وأين يوسف؟

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ متسابقين في العدو أو الرمي يقال استبق الرجلان وتسابقا إذا عارضا في السبق طلباً للغلبة كما يقال انتضلا وتناضلا إذا عارضا في الرمي طلباً للغلبة. ﴿وتركنا يوسف﴾ [وبكذا شتيم يوسف راتنها] ﴿عند متاعنا﴾ أي: ما نتمع به من الثياب والأزواد وغيرهما فإن المتاع في اللغة كل ما انتفع به وأصله النفع الحاضر وهو اسم من متع كالسلام من سلم، والمراد به في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥] أوعية الطعام ﴿فأكله الذئب﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا في مقالتنا ﴿ولو كنا﴾ عندك في اعتقادك ﴿صادقين﴾ موصوفين بالصدق والثقة لفرط محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا. والصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به والكذب لا على ما هو به والتصديق باللسان الإخبار بكون القائل صادقاً وبالقلب الإذعان والقبول لذلك، والتكذيب بخلاف ذلك ﴿وجاؤوا﴾ [آمدند] ﴿على قميصه﴾ محله النصب على الظرفية من قوله: ﴿بدم﴾ أي: جاؤوا فوق قميصه بدم أو على الحالية منه

والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفاً﴿كذب﴾ مصدر وصف به الدم مبالغة، كأن مجيئهم من الكذب نفسه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه لأنه لم يكن دم يوسف وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة أي كدب بمعنى كدر أو طريّ - روي - إنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف صاح بأعلى صوته فقال: أين القميص؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص قال: تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه قال كأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أو لا؟ فقيل: ﴿قال﴾ لم يكن ذلك﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ أي: زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما. والتسويل: تقدير شيء في الأنفس مع الطمع في إتمامه.

قال الأزهري: كان التسويل تفعيل من سؤال الأشياء وهي الأمنية التي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره. ﴿أمراً﴾ من الأمور منكراً لا يوصف ولا يعرف فصنعتموه بيوسف استدل يعقوب على أنهم فعلوا بيوسف ما أرادوا وأنهم كاذبون بشيئين بما عرف من حسدهم الشديد وبسلامة القميص حيث لم يكن فيه خرق ولا أثر ناب فقوله﴿بل سولت﴾ ردّ لقولهم﴿أكله الذئب﴾ وبل للإعراض عما قبله وإثبات ما بعده على سبيل التدارك نحو جاء زيد بل عمرو كما في «بحر العلوم». ﴿فصبر جميل﴾ أي: فأمري صبر جميل وهو الذي لا شكوى فيه إلى الخلق وإلا فقد قال يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال الكمال الخجندي:

بوصل صحبت يوسف عزيز من مشتاب   جمال يار نبيني مكر بصبر جميل

قال شيخنا الأجل الأكمل روح الله روحه.

اعلم أن الصبر إذا لم يكن فيه شكوى إلى الخلق يكون جميلاً، وإذا كان فيه مع ذلك شكوى إلى الخالق يكون أجمل لما فيه من رعاية حق العبودية، ظاهراً حيث أمسك عن الشكوى إلى الخلق، وباطناً حيث قصر الشكوى على الخالق والتفويض جميل والشكوى إليه أجمل انتهى. قال الشيخ عمر بن الفارض قدس سره في تائيته:

ويحسن إظهار التجلد للقوي   ويقبح غير العجز عند الأحبه

أي: لا يحسن إظهار التجلد والصبر على صدمات المحن مطلقاً بل يحسن للأعادي كما أظهر رسول الله ﷺ للكفار في غزواته ومناسكه. وأما عند الأحبة فلا يحسن إلا العجز لأن إظهار التجلد عندهم قبيح جداً كما أظهره سمنون في بعض مناجاته وقال:

وليس لي في سواك حظ   فكيفما شئت فاختبرني

فأدب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف في سكك بغداد يستأجر الصبيان ويأمرهم أن ادعوا عمكم الكذاب «فقير وخسته بدركاهت إمدم رحمي» وقال بعضهم: الصبر الجميل تلقي البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر.

وقيل: لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وذلك لأن الموحد الحقيقي يطوي بساط الوسائط والأسباب، فلا يرى التأثير إلا من الله تعالى في كل باب، مع أن التغافل من أخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الأخيار:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً   إن بر عندك فيما قال أو فجرا

﴿والله المستعان﴾ أي: المطلوب منه العون وهو إنشاء الاستعانة المستمرة. ﴿على ما

تصفون﴾ على إظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا وإظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠].

قال البيضاوي هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح انتهى، وذلك لأنهم قالوا لا دليل على امتناع صدور الكبيرة من الأنبياء قبل الوحي، وقوله: إن صح يدل على الشك في صحة استنبائهم، وأصاب في ذلك لأن الأنبياء محفوظون قبل نبوتهم كما أنهم معصومون بعدها من الأمور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس همّ يوسف كما سيأتي من قبيل ما صدر من إخوته من الحسد وضربه والقائه في الجب بالفعل والكذب عمداً من غير تأويل. وأما قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦] فلا يدل على نبوة غيره من الإخوان الموجودين إذ يكفي في إتمام النعمة على آل يعقوب إن لا تنقطع سلسلة النبوة من أعقابهم كما قال تعالى في كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه، فإنه لا ينافي وجود الشرك من بعض الأحفاد كما لا يخفى. وكذا تمثلهم في صورة الكواكب لا يدل على نبوتهم، لأنه إذا كان يعقوب بمنزلة الشمس التي تعينه بالنبوة ودعوة الخلق وهدايتهم إلى الله تعالى كان أولاده بمنزلة الكواكب التي تتبع الشمس والقمر ولو كان كلهم أنبياء لاستدعى أن يكون محبة يعقوب لهم على السوية أي من أول الأمر بناء على وراثة كلهم لنبوته، ولما ظهر ما ظهر من تفضيل يوسف عليهم فيوسف من بينهم كشيث من بين بني آدم عليه السلام، هكذا لاح ببال الفقير أيده الله القدير.

وفي الآيات إشارات إلى تزوير الحواس والقوى وتلبسها وتمويهاتها وتخيلاتها الفلسفية وكذباتها وحيلها ومكرها وكيدها وتوهماتها وتسويلاتها المجبولة عليها، وإن كانت للأنبياء وأن الروح المؤيد بنور الإيمان يقف على النفس وصفاتها وما جبلت الحواس والقوى عليه، ولا يقبل منها تمويهاتها وتسويلاتها ويرى الأمور كلها من عند الله وأحكامه الأزلية، فيصبر عليها صبراً جميلاً وهو الصبر على ظهور ما أراد الله فيها بالإرادة القديمة، والتسليم لها والرضى بها وبقوله: **﴿والله المستعان على ما تصفون﴾** يشير إلى الاستعانة بالله على الصبر الجميل فيما يجري من قضائه وقدره كذا في «التأويلات النجمية» نفعنا الله تعالى بها.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وجاءت سيارة﴾ جماعة يسيرون من جهة مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من إلقائه فيه.

قال الكاشفي: [روزچهارم مژده نجات بوى رسيد].

قال السمرقندي في «بحر العلوم»: كان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه انتهى.

فهذا يخالف قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] فإنه يقتضي كون الجب في الأمن والجادة والسير هو السير المعتاد. **﴿فأرسلوا﴾** أي: إلى الجب **﴿واردهم﴾** أي: الذي يرد الماء، أي: يحضره ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي.

قال في «القاموس» مالك بن دعر: بالدال المهملة **﴿فأدلى دلوه﴾** الإدلاء بالفارسية

[فرهشتن دلو] أي: أرسلها إلى الجب ليملأها فأوحى إلى يوسف بالتعلق بالحبل.

اي يوسف آخر بهرتست اين دلو در چاه آمده

[در معالم آورده كه ديوارهاى چاه برفراق يوسف بكريستند]، وذلك لأن للجمادات حياة حقانية لا يعرفها إلا العلماء بالله، فلها أنس الذكر والتوحيد والتسبيح ومجاورة أهل الحق وقد صح أن الجزع الذي كان يعتمد عليه رسول الله ﷺ حين الموعظة للناس أنّ أنين بني آدم لما فارقه رسول الله وذلك بعد أن عمل له المنبر. قال في «المثنوي»:

استن حنانه از هجر رسول ناله مى زد همچو أرباب عقول
كفت پيغمبر چه خواهى اي ستون كفت جانم ازفراقت كشت خون

فلما خرج يوسف إذا هو بغلام أحسن ما يكون وقد كان أعطى شطر الحسن فلما رآه مالك **﴿قال﴾** مبشراً نفسه وأصحابه **﴿يا بشرى هذا غلام﴾** [اي مژده وشادمانى] كأنه نادى البشرى وقال: تعالي وهذا أوانك حيث فاز بنعمة نادرة، وأي نعمة مكان ما يوجد مباحاً من الماء، وقيل: هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه، كما قال الكاشفي: [اورا آوزداد وكفت اين پسريست كه دلورا كران ساخته پس بمدد كارىء أو يوسف را از چاه آورده]

چون آن ماه جهان آرا بر آمد ز جانش بانك يا بشرى بر آمد
بشارت كز چنين تاريك جاهى بر آمد پس جهان افروز ماهى

وذلك لأن ماء الحياة لا يوجد إلا في الظلمات كما أن العلم الإلهي إنما يوجد في ظلمات هذا القلب والقالب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القلب كما له بشارة من تعلق الجذبة وخلاصه من الجب، فكذلك للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب وخلاصه من الجب وهي من أسرار. **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾** [المائدة: ٥٤] **﴿وأسروه﴾** أي: أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة لئلا يطالبوا بالشركة فيه **﴿بضاعة﴾** حال كونه بضاعة أي متاعاً للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت منه، أي قطعت للتجارة **﴿والله عليم بما يعملون﴾** لم يخف عليه إسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وشروه﴾ أي: باعوه وهو من الأضداد والضمير للوارد وأصحابه.

يقول الفقير أيده الله القدير: جعلوه عرضة للابتذال بالبيع والشراء؛ لأنهم لم يعرفوا حاله إما لأن الله تعالى أغفلهم عن السؤال ليقضي أمراً كان مفعولاً، أو لأنهم سألوا عن حاله ولم يفهموا لغته لكونها عبرية. وههنا روايات واهية بعيدة ينبغي أن لا يلتفت إليها وإن ذهب إليها الجم الغفير من المفسرين ولله در المولى أبي السعود في إرشاده **﴿بثمن بخس﴾** زيف ناقص العيار.

قال الكاشفي: [ببهاى اندك وبي اعتبار] وهو بمعنى المبخوس لأن الثمن لا يوصف بالمعنى المصدري ووصف بكونه مبخوساً إما لرداءته وغشه أو لنقصان وزنه من بخسه حقه، أي: نقصه كما في «حواشي ابن الشيخ». وقال بعضهم: بثمن بخس، أي حرام منقوص لأن ثمن الحر حرام انتهى حمل البخس على المعنى لكون الحرام ممحوق البركات والقول الأول هو الأصح **﴿دراهم﴾** بدل من ثمن، أي لا دنانير **﴿معدودة﴾** أي: غير موزونة فهو بيان لقلته

ونقصانه مقداراً بعد بيان نقصانه في نفسه لأنهم كانوا يزنون الأوقية وهي أربعون درهماً ويعدون ما دونها. فعن ابن عباس أنها كانت عشرين درهماً. وعن السدي اثنين وعشرين درهماً.

قيل: إن الصبيان أخذوا النبي عليه السلام في طريق المسجد وقالوا: كن لنا جملاً كما تكون للحسن والحسين، قال لبلال اذهب إلى البيت وائت بما وجدته لأشتري نفسي منهم فأتى بثماني جوزات فاشترى بها نفسه وقال: «أخي يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وباعوني بثماني جوزات» كذا في «روضة الأخبار» ﴿**وكانوا**﴾ أي: البائعون ﴿**فيه**﴾ في يوسف ﴿**من الزاهدين**﴾ الزهد والزهادة قلة الرغبة في الشيء أي من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من أول مساوم بأوكس ثمن هذا مع الجمال الظاهر.

وفيه إشارة إلى أن الجمال الظاهر لا خطر له عند الله تعالى، وإنما الجمال هو الجمال الباطن، وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً، سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا، وليس بيع يوسف بثمن بخس بأعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة فلا بد من الإمساك والاحتماء والقناعة. قال المولى الجامي قدس سره:

هر آنكه كنج قناعت بكنج دنيا داد فروخت يوسف مصري بكمترين ثمني

[كويندكه نافع مولاي عبد الله بن عمركه استاد امام شافعي بود آنكاه كه مرد كفت اين جايكه را بكنيد بكنيند ند بيست وده هزار درم درسبوى بديد آمد كفت آنكاه كه از جنازهء من باز امده باشيد اين بدرويش دهيد اورا كفتند يا شيخ چون توكسى درم نهد كفت بحق اين وقت شك زكاة وى بر كردن من نيست وهر كز عيالان خودرا بسختى نداشتم لكن هركاه كه مرا آرزويى بودي آنچه بدان آرزو بايستى دادن درين سؤال افكندمى تااكر مرا روز سختى پيش آيد بدر سفلهء نبايد رفتن] ففي هذه الحكاية ما يدل على المجاهدة النفسية والطبعية. أما الأولى، فلأنه ما كتم المال وداخره لأجل الكنز بل لأجل البذل، وأما الثانية فلأنه منع عن طبيعته مقتضاها وشهواتها والحواس والقوى لا تعرف قدر القلب وتبيعه بأدنى حظ نفس فانٍ، لأنها مستعدة للاحتظاظ بالتمتعات الدنيوية الفانية والقلب مستعد للاحتظاظ بالتمتعات الأخروية الباقية، بل هو مستعد للاحتظاظ بالشواهد الربانية وإنه إذا سقي بشراب طهور تجلى الجمال والجلال يهريق سؤره على أرض النفس والقوى والحواس فيحتظون به فإنه للأرض من كأس الكرام نصيب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**وقال الذي اشتراه من مصر**﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وصاحب جنود الملك واسمه قطفير وكان يقال له العزيز.

قال في «القاموس»: العزيز الملك لغلبته على أهل مملكته ولقب من ملك مصر مع الاسكندرية انتهى.

وبيان كونه من مصر للإشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين مما ذكر من الثمن البخس كما في «الإرشاد».

وقال الكاشفي: [وكفت آنكس كه خريد يوسف را ازاهل مصر] يعني عزيز انتهى.

وكان الملك يومئذٍ الريان بن الوليد من العماليق مات في حياة يوسف بعد أن آمن به وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه إلى الإسلام فأبى.

قال في «القاموس»: قابوس ممنوع للعجمة والمعرفة معرب كاووس انتهى وهذا غير قابوس الذي قيل في خطه هذا خط قابوس أم جناح طاووس، فإنه كان ملكاً عظيماً مات في ثلاث وأربعمائة كما في «الروضة». وكان فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤] من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء.

قال الكاشفي: [چون خبر كاروان مدين بمصر آمد وكماشتكان عزيز بسرراه كاروان آمده يوسف را ديدند ازلمعهٔ جمال او شيفته وحيران بازكشته خبر بعزيز مصر بردند واو عاشق يوسف بود ازكوش]:

والأذن تـعـشـق قـبـل الـعـيـن أحـيـانـاً

فالتمسوا من مالكه عرض يوسف للبيع فزينه وأخرجه إلى السوق فلما رآه أهل مصر افتتنوا به:

اراسـتـه آن يـا رنـبـا زار بـر آمـد فـريـاد وفـغـان ازدر وديـوار بـر آمـد

وعرض في بيع من يزيد ثلاثة أيام فزاد الناس بعضهم على بعض حتى بلغ ثمنه شيئاً لا يقدر عليه أحد.

خـريـداران ديـكـر لـب بـه بـسـتـنـد پـس زانـوى خـامـوشـى نـشـتـنـد

فاشتراه عزيز مصر بوزنه مرة مسكاً ومرة لؤلؤاً ومرة ذهباً ومرة فضة ومرة حريراً وكان وزنه أربعمائة رطل ـ وحكي ـ أن عجوزاً أحضرت شيئاً من الغزل وأرادت أن تشتري به يوسف وإلى هذا يشير المولى الجامي بقوله:

بـي سـر عـرفـان مـتـن تـار فـكـرت خـريـدار يـوسـف مـشـوزيـن كـلابـه

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي لكل أحد بذل ما في ملكه مما قدر عليه في طريق المطلوب فإنه من علامات العاشق.

هـر كـسـى ازهـمـت والاى خـويـش سـود بـرد در خـور كـالاى خـويـش

وكان سن يوسف إذ ذاك سبع عشرة سنة، وأقام في منزل العزيز مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وهو أول من عمل القراطيس ﴿لامرأته﴾ اللام متعلقة بقال لا باشترى، أي قال لامرأته راعيل بنت رعاييل، أو بنت هيكا هروان كما في «التبيان» ولقبها زليخا بضم الزاي المعجمة وفتح اللام كما في «عين المعاني» والمشهور في الألسنة فتح الزاي وكسر اللام ﴿أكرمي مثواه﴾ اجعلي محل إقامته كريماً حسناً مرضياً والمعنى أحسني تعهده في المطعم والمشرب وغيرهما، فهو كناية عن إكرام نفسه وإحسان تعهده كما يقال المقام العالي ويكنى به عن السلطان.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: يكنى عن الشريف بالجناب والحضرة والمجلس فيقال

السلام على حضرته المباركة ومجلسه الشريف، والمراد به السلام عليه لكن يكنى عنه بما يتعلق به نوع التعلق إجلالاً انتهى. ﴿عسى أن ينفعنا﴾ فيما نحتاج إليه ويكفينا بعض المهمات. وبالفارسية [شايد آنكه سود رساند مارا دركار ضياع وعقار وسر انجام مصالح روز كارما]﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه ونقيمه مقام الولد، وإنه لم يكن لها ولد وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة: عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنه أن تفرس في عمر وولاه من بعده ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي: جعلنا له فيها مكاناً والمراد أرض مصر وهي أربعون فرسخاً، في أربعين فرسخاً وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المؤخر على أن يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكيناً في الأرض بملابسة أنه عزيز فيها، لا عن تمكين آخر يشبه به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار إليه إقحاماً لا يترك في لغة العرب ولا في غيرها، ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل، أي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الأرض وجعلناه محباً في قلب العزيز ومكرماً في منزله ليترتب عليه ما ترتب بما جرى بينه وبين امرأة العزيز. ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي: نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧] فيؤدي ذلك إلى الرياسة العظمى.

وفي «تفسير أبي الليث»: من تأويل الأحاديث، يعني: تعبير الرؤيا وغير ذلك من العلوم ﴿والله غالب على أمره﴾ الهاء راجعة إلى الله أي على أمر نفسه لا يرده شيء ولا ينازعه أحد فيما شاء ويحكم في أمر يوسف وغيره بل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك فيأتون ويذرون زعماً منهم أن لهم من الأمر شيئاً وأنى لهم ذلك.

بود هركسى را دكر كونه راى ... نباشد مكر آنچه خواهد خداي

وجاء في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: «ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد» وإن نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد» فالأدب مع الله تعالى أن يستسلم العبد لما أظهره الله تعالى في الوقت ولا يريد إحداث غيره.

وفي «التأويلات النجمية» لما أخرجوه من جب الطبيعة ذهبوا به إلى مصر الشريعة﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو عزيز مصر الشريعة أي الدليل والمربي على جادة الطريقة ليوصله إلى عالم الحقيقة﴿لامرأته﴾ وهي الدنيا﴿أكرمي مثواه﴾ أخدمي له في منزل الجسد بقدر حاجته الماسة﴿عسى أن ينفعنا﴾ حين يكون صاحب الشريعة وملكاً من ملوك الدنيا يتصرف فينا بإكسير النبوة فتصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة﴿أو نتخذه ولداً﴾ نربيه بلبان ثديي الشريعة والطريقة والفطام عن الدنيا الدنية﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يشير إلى أن تمكين يوسف القلب في أرض البشرية إنما هو ليعلم علم تأويل الرؤيا وهو علم النبوة، كما قال: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ فكما أن الثمرة على الشجرة إنما تظهر إذا كان أصل الشجرة راسخاً في الأرض فكذلك على شجرة القلب إنما تظهر ثمرات العلوم الدينية والمشاهدة الربانية إذا كان قدم القلب ثابتاً في طينة الإنسانية﴿والله غالب على أمره﴾ بمعنيين أحدهما. أن يكون

الله غالباً على أمر القلب أي يكون الغالب على أمره ومحبة الله وطلبه والثاني أن يكون الغالب على أمر القلب جذبات العناية لتقيمه على صراط مستقيم الفناء منه والبقاء بالله فيكون تصرفاته بالله ولله وفي الله لأنه باق بهويته فأني عن أنانية نفسه ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ أنهم خلقوا مستعدين لقبول هذه الكمالية يصرفون استعدادهم فيما يورثهم النقصان والخسران انتهى ما في «التأويلات».

ثم إن الله تعالى مدح العلم في هذه الآية وذم الجهل. أما الأول فلأن الله تعالى ذكر العلم في مقام الامتنان حيث قال: ﴿**ولنعلمه**﴾. وأما الثاني فلأنه قال: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ وعلم منه أن أقلهم يعلمون. والعلم علمان علم الشريعة وعلم الحقيقة ولكل منهما فضل في مقامه وفي الخبر قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال: «العلم بالله» قيل أي الأعمال يزيد مرتبة؟ قال: «العلم بالله»، فقيل نسأل عن العمل تجيب عن العلم فقال: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن وتجلية مرآة القلب وكان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر دون القوالب والظواهر، لأن الظواهر مظهر نظر الخلق والبواطن مظهر نظر الحق وإصلاح ما يتعلق بالحق أولى من إصلاح ما يتعلق بالخلق:

كعبه بنياد خليل آز رست دل نظركاه جليل اكبرست

نسأل الله التوفيق.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿**ولما بلغ**﴾ يوسف ﴿**أشده**﴾ قال في القاموس أي قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما أو جمع لا واحد له من لفظه.

وقال أهل التفسير: أي منتهى اشتداد جسمه وقوته واستحكام عقله وتمييزه وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

والعقلاء ضبطوا مراتب أعمار الناس في أربع، الأولى سن النشو والنماء ونهايته إلى ثلاثين سنة، والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته إلى أن تتم أربعون سنة من عمره، والثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفي وتمامه إلى ستين سنة، والرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الأطباء إلى مائة وعشرين سنة، والأشد غاية الوصول إلى الفطرة الأولى بالتجرد عن غواشي الخلقة التي يسميها الصوفية بمقام الفتوة.

قال في «التعريفات» الفتوة في اللغة السخاء والكرم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة ﴿**آتيناه حكماً**﴾ كمالا في العلم والعمل، استعد به الحكم بين الناس بالحق ورياستهم.

قال القشيري من جملة الحكم الذي آتاه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه، ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره.

قال الإمام نقلاً عن الحسن: كان نبياً من الوقت الذي ألقي فيه في غيابة الجب لقوله تعالى: ﴿**ولما بلغ أشده آتيناه**﴾ ولذا لم يقل ههنا ولما بلغ أشده واستوى كما قال في قصة

موسى لأن موسى أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة وأوحي إلى يوسف عند أوله وهو ثمان عشرة سنة. ﴿وعلماً﴾ قالوا المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولاً إلى الحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية، وأما أصحاب الأفكار والأنظار العقلية فإنهم يصلون أولاً إلى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية، وطريقة يوسف عليه السلام هي الأول لأنه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له أبواب المكاشفات، قال الحافظ:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب   براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

وقال:

چه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى   ببوى آنكه دكرنو بهار بازآمد

والحاصل: أن طريقة يوسف طريقة السالك المجذوب لا طريقة المجذوب السالك والأولى هي سنة الله الغالبة في أنبيائه وأوليائه، ففي قوله: ﴿حكماً وعلماً﴾ إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية.

وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله، وفيه إشارة إلى أن المطيع تفتح له ينابيع الحكمة، وتنبيه على أن العطية الإلهية تصل إلى العبد وإن طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق أن ينتظر إحسان الله تعالى ولا ييأس منه، وفي الحديث: «أفضل أعمال أمتي انتظارهم فرج الله».

قال النصر لما عقل يوسف عن الله أوامره ونواهيه واستقام معه على شروط الأدب، أعطاه حكماً على الغيب في تعبير الرؤيا وعلماً بنفسه في مخالفة هواها.

قال بعض الأكابر: الكمال العلمي أفضل من الكمال العملي والتقصير من جهة العلم أشد من التقصير من جهة العمل فإن حسن العقيدة وصفاء القريحة بسبب العلم والكمال، ولشرفه أمر الله تعالى سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم وسلامه بطلب الزيادة منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقد ذكر أهل الإشارة أن آدم عليه السلام وصل إلى رياسة سجود الملائكة بعلم الأسماء، وسليمان إلى الملك العظيم بالفهم، وعلم منطق الطير، ويوسف إلى النجاة والشرف والعز بعلم التعبير فالعالم بعلم التوحيد كيف لا ينجو من الجحيم وينال شرف لقاء الله تعالى في دار النعيم. ﴿وكذلك﴾ أي مثل الجزاء العجيب الذي جزينا يوسف. ﴿نجزي المحسنين﴾ كل من يحسن في عمله وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلية الإحسان له وتنبيه على أنه سبحانه إنما آتاه الحكم والعلم لكونه محسناً في أعماله متقياً في عنفوان أمره، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قال بعض الأكابر: نجزي المحسنين الذين يحسنون لأنفسهم في الطلب والإرادة والاجتهاد والرياضة فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جزاه الله بأحسن الجزاء وأحبه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فمن أحبه الله نال سعادة الدارين في الحديث: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً، فأحبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولما بلغ﴾ يوسف القلب ﴿أشده﴾ مبلغ كمالية استعداده لقبول فيض الألوهية ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ أفضنا عليه سجال الحكمة الإلهية والعلم اللدني

وكما أفضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم بفضلنا. ﴿و﴾كرمنا ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾الأعضاء الرئيسية والجوارح إذا أحسنوا الأعمال والأخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ إلى مقام الحقيقة انتهى.

ثم إن الجزاء ينبغي أن يكون مترتباً على انقضاء العمل، فتارة يظهر بعد تمام الأعمال كلها، وتارة يظهر لكل عمل منقض جزاء، وهكذا إلى الوصول إلى غاية الأجزية، فعلم تعبير رؤيا الملك وصاحبي السجن أوتي يوسف في السجن وتمامه مع انضمام العلوم الكلية بعد انتهاء الابتلاء فافهم المقام وكن على بصيرة من إدراك دقائق الكلام.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾المراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء، وهي مفاعلة من واحد لكن لما كان سبب هذا الفعل صادراً من الجانب المقابل لجانب فاعله فإن مراودتها إنما هي لجمال يوسف، كمداواة الطبيب إنما هي للمرض الذي هو من جانب المريض عبر عنه بالمسبب وجيء بصيغة المفاعلة وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة، فالمعنى خادعت زليخا يوسف عن نفسه لتنال غرضها أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه عن يده وهو يحتال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته إياها، والمحل طلب بحيلة وتكلف، كما في «القاموس» وإيراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك، قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد، ولإظهار كمال نزاهته فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها وامتناعه منها مع كونه تحت مملكتها ينادي بكونه في أعلى معارج العفة والنزاهة ـ حكي ـ أن زليخا كانت من أجمل النساء وكانت بنت سلطان المغرب واسمه طيموس فرأت ذات ليلة في المنام غلاماً على أحسن ما يكون من الحسن والجمال فسألت عنه فقال أنا عزيز مصر فلما استيقظت افتتنت بما رأت في الرؤيا وأدى ذلك إلى تغير حالها ولكنها كتمت حالها عن الأغيار دهراً.

نهان ميداشت رازش دردل تنك ... چوكان لعلى ولعل اندر دل سنك

ثم تفطن من في البيت من الجواري وغيرها أن بها أمراً فقال بعض بإصابة العين وبعض بإصابة السحر وبعض بمس الجن وبعض بالعشق.

صح عند الناس أني عاشق ... غير أن لم يعرفوا عشقي لمن

ففتش عن أمرها فما وجد من غير العشق.

زليخا عشق را پوشيده مى داشت ... بسينه تخم را پوشيده ميكاشت

ولى سر ميزد آن هردم زجايى ... همي كرد از برون نشو ونمايى

خوشست از بخردان اين نكته كفتن ... كه مشك عشق را نتوان نهفتن

اكر برمشك كر درپرده صد توى ... كند غمازى ازصد پرده اش بوي

وقد كان خطبها ملوك الأطراف فأبت إلا عزيز مصر، فجهزها أبوها بما لا يحصى من العبيد والجواري والأموال وأرسلها مع حواشيه إلى جانب مصر فاستقبلها العزيز بجمع كثير في

زينة عظيمة فلما رأته زليخا علمت أنه ليس الذي رأته في المنام فأخذت تبكي وتتحسر على ما فات من المطلوب.

نه آنست آنكه من در خواب ديدم ... بجست وجويش اين محنت كشيدم
خدا را اي فلك بر من ببخشاي ... برروى من درى از مهر بكشاي
مسوز ازغم من بي دست وپارا ... مده بركنج من اين اژدهارا

فسمعت من الهاتف لا تحزني يا زليخا فإن مقصودك إنما يحصل بواسطة هذا.

زليخا چون زغيب اين مژده بشنود ... بشكرانه سر خود برزمين سود

ثم لما دخلوا مصراً نزلوا زليخا في دار العزيز بالعز والاحترام وهي في نفسها على الفراق والآلام

بظاهر باهمه كفت وشنوداشت ... ولى دل جاي ديكر دركرو داشت
نهى صدر دسته ريحان پيش بلبل ... نخواهد خاطرش جزنكهت كل

وكانت هذه الحال سنين وبقيت بكراً؛ لأن العزيز كان عنيناً لا يقدر على المواقعة.

بيا جامى كه همت بركماريم ... ز كنعان ماه كنعانرا بر آريم
زليخا بادل اميد وارست ... نظر بر شاهرا انتظارست

فكان ما كان من حسد الإخوان ووصول يوسف إلى مصر بالعبودية، فلما رأته زليخا علمت أنه الذي رأته في المنام وقالت:

بخوابم روى زيباوى نمودست ... شكيب ازجان شيداوى ربودست
درين كشور زسودايش فتادم ... بدين شهر از تمنايش فتادم

[چون يوسف بخانهٔ عزيز در آمد سلطان عشق رخت بخانهٔ زليخا فرستاد ولشكر حسنش متاع صبر وسكون اورا بيغماداد]:

زليخا چون برويش ديده بكشاد ... بيك ديدارش افتاد آنچه افتاد
زحسن صورت ولطف شمائل ... اسيرش شدبيك دل نى بصددل
بمعشوقان چو يوسف كس نبوده ... جمالش ازهمه خوبان فزوده
نبوداز عاشقان كس چون زليخا ... بعشق ازجمله بودافزون زليخا
ز طفلى تابه پير عشق ورزيد ... بشاهى واسيرى عشق ورزيد

[بعد آزانكه عشق بغايت كشيد وشوق بنهايت آنجاميد صورت حال بميان آورد بايوسف]:

- روي - أن يوسف كان يأوي إلى بستان في قصر زليخا يعبد الله فيه وكان قد قسم نهاره ثلاثة أقسام ثلثاً، لصلواته، وثلثا يبكي فيه، وثلثاً يسبح الله فيه ويذكره، فلما أدرك يوسف مبالغ الرجال جعلت زليخا تراوده عن نفسها، وهو يهرب منها إلى البستان فلما طال ذلك عليها تغير لونها واصفر وجهها ودخلت عليها داية من داياتها فأخبرتها بذلك، فأشارت عليها أن تبني له بيتاً مزيناً بكل ما تقدر عليه من الزينة والطيب ليكون وسيلة إلى صحبة يوسف، ولما فرغ الصناع من عمله دعت العزيز فدخل فأعجبه لكونه على أسلوب عجيب، وقال لها: سميه بيت السرور ثم خرج فاستدعت يوسف فزينوه بكل ما يمكن من الزينة وتزينت هي أيضاً وكانت بيضاء حسناء بين عينيها خال يتلألأ حسناً، ولها أربع ذوائب قد نظمتها بالدر والياقوت وعليها سبع حلل وأرسلت قلائدها على صدرها.

بز يورها نبودش احتياجي ولي افزود ازان خودرا رواجي
بخوبى كل بيستانها سمرشد ولى از عقد شبنم خو بترشد

فجاؤوا بيوسف.

در آمد ناكهان ازدر چوماهى عطارد حشمتي خورشيد جاهى
وجودي از خواص آب وكل دور جبين طلعتي نور على نور

فلما دخل عليها في القسم الأول من البيت أغفلته وأغلقته وراودته عن نفسه بكل حيلة، ثم أدخلته في الذي يليه فأغلقته وراودته بكل ما يمكن فلم يساعدها يوسف فدفعها بما قدر عليه ثم وثم إلى أن انتهى إلى البيت السابع فأغلقته وذلك قوله تعالى: ﴿**وغلقت الأبواب**﴾ عليها وعليه وكانت سبعة أبواب ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل الدالة على التكثير ﴿**وقالت هيت لك**﴾ اسم فعل معناه أقبل وبادر. وبالفارسية [بشتاب پيش من آي كه من ترا ام] واللام للبيان متعلقة بمحذوف أي لك أقول هذا ـ روي ـ عن ابن عباس أنه قال: كان يوسف إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه، وإذا تكلم رأيت شعاع النور في كلامه يذهب من بين يديه، ولا يستطيع آدمي أن ينعت نعته. فقالت له: يا يوسف إنما صنعت هذا البيت المزين من أجلك فقال يوسف: يا زليخا إنما دعيتني للحرام وحسبي ما فعل بي أولاد يعقوب البسوني قميص الذل والحزن يا زليخا إني أخشى أن يكون هذا البيت الذي سميته بيت السرور بيت الأحزان والثبور، وبقعة من بقاع جهنم. فقالت زليخا: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال هما أول شيء يسيلان إلى الأرض من جسدي. قالت: ما أحسن وجهك! قال هو للتراب يأكله، قالت: ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتشر من جسدي، قالت: إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي، قال: إذاً يذهب نصيبي من الجنة، قالت: إن طرفي سكران من محبتك فارفع طرفك إلى حسني وجمالي، قال: صاحبك أحق بحسنك وجمالك مني قالت هبت لك ﴿**قال معاذ الله**﴾ هو من جملة المصادر التي ينصبها العرب بأفعال مضمرة ولا يستعمل إظهارها، كقولهم: سبحان الله وغفرانك وعونك أي أعوذ بالله معاذاً مما تدعونني إليه من العصيان والخيانة ثم علل الامتناع بقوله: ﴿**إنه**﴾ أي: الشأن الخطير هذا وهو ﴿**ربي**﴾ أي: سيد العزيز الذي اشتراني ﴿**أحسن مثواي**﴾ أي أحسن تعهدي ورعايتي حيث أمرك بإكرامي فما جزاؤه أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه.

وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه. ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ أي: لا يدخل في دائرة الفلاح والظفر كل ظالم كائناً من كان، فيدخل في ذلك المجازون للإحسان بالإساءة والعصيان لأمر الله تعالى [واز زبان حال يوسف كه بازليخا خطاب مي كرد كفته اند]:

زهى خجلت كه در روزقيامت كه افتد برزنا كاران غرامت
جزاى آن جفا كيشان نويسند مرا سر دفتر ايشان نويسند

وفي الآية دليل على أن معرفة الإحسان واجب، لأن يوسف امتنع لأجل شيئين لأجل المعصية والظلم ولأجل إحسان الزوج إليه. قال الجامي:

كه چون نوبت بهفتم خانه افتاد زليخا از جان بر خاست فرياد
مراتاكى درين محنت پسندى كه چشم رحمت ازرويم ببندى
بكفتا مانع من أين دو چيزست عتاب ايزد وقهر عزيز ست

زليخا كفت زان دشمن ميند يش | كه چون روز طرب بنشسته ام پيش
دهم جامى كه با جانش ستيزد | زمستى تا قيامت بر نخيزد
توميكويى خداي من كريمست | هميشه بر كنهكاران رحيمست
مرا از كوهر وزر صد خزينه | درين خلوت سرا باشد دفينه
فدا سازم همه بهر كناهت | كه تاباشد زايزد عذر خواهت
بكفت آنكس نيم كافتد پسندم | كه آيد بر كس ديكر كزندم
خداي من كه نتوان حقز اريش | برشوت كي توان آمرز كاريش
زليخا در تقاضا كرم يوسف | همي انكيخت اسباب توقف
دلش ميخواست درسفتن بالماس | ولي ميداشت حكم عصمتش پاس

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

كما قال تعالى: **﴿ولقد همت به﴾** الهم عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر وهو القصد والمراد همت بمخالطته ومجامعته إذا لهم لا يتعلق بالأعيان، أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته إلى نفسها بقولها: هيت لك، ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخر من بسط يدها إليه، وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره إلى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من اختصاص إقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته من الزواجر. **﴿وهمّ بها﴾** بمخالطتها، أي: مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية، وشهوة الشباب ميلاً جبلياً لا يكاد يدخل تحت التكليف، لا قصداً اختيارياً، لأنه كما أنه بريء من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل، كذلك بريء من الهمّ المحرم، وإنما عبر عنه بالهمّ لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة، لا لشبهة به ولقد أشير إلى تباينهما بأنه لم يقل: ولقد هما بالمخاطلة أو هم كل منهما بالآخر.

قال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: **﴿وهمّ بها﴾** أي هجم للطبيعة البشرية فقمع مقتضاها ولم يعط حكمها فإن عدم تقاضيها نقصان، بل الكمال أن لا يعطي لها حكمها مع غاية التوقان فيترقى به الإنسان وينال المراتب العالية عند الرحمن، ألا ترى أن العنين لا يمدح على ترك الجماع. وفي «المثنوي»:

هين مكن خودار خصى رهبان مشو | زانكه عفت هست شهوترا كرو
بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود | هم غزابا مرد كان نتوان نمود

قال الشافعي: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصي، وتقوى جندي، وأمانة امرأة، وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة» ـ وروي ـ في الخبر إنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ وهم بخطيئة غير يحيى بن زكريا، ولكنهم كانوا معصومين من الفواحش. فمن نسب إلى الأنبياء الفواحش كالعزم على الزنى ونحوه الذي يقوله الحشوية في يوسف كفر، لأنه شتم لهم كذا في «القنية».

قال بعض أرباب الأحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم أحد من هوى ولا فلان وسمى من لا يليق ذكره في هذا المقام العظيم الشأن فقلت: اتق الله فقال: ألم يقل:

«حبب إليّ» فقلت: ويحك قال حبب ولم يقل أحببت، قال ثم خرجت بالهمّ فرأيت النبي عليه السلام فقال: لا تهتم فقد قتلناه قال فخرج ذلك القاص إلى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ أي: حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنى، والمراد برؤيته لها كمال إيقانه ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين التي تتجلى هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية، وتتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وكأنه قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام، أي: لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب ميله الجبلي لعدم المانع الظاهر، ولكنه حيث كان شاهداً له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل بمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية هذا.

وقد نص أئمة الصناعة على أن لو في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق، كما في مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] فلا يتحقق هناك همّ أصلاً، وقالوا: البرهان ما رأى في جانب البيت مكتوباً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] أو قال له ملك: تهمّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء، أو انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على يديه، وبه كان يخوف صغيراً، أو رأى شخصاً يقول له: يا يوسف انظر إلى يمينك فنظر فرأى ثعباناً أعظم ما يكون، فقال هذا يكون في بطن الزاني غداً ﴿كذلك﴾ الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ أي: مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل ﴿لنصرف عنه السوء﴾ خيانة السيد ﴿والفحشاء﴾ والزنى لأنه مفرط في القبح. وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء، وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة كما في «الإرشاد» ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لطاعة بأن عصمهم مما هو قادح فيها.

وفيه دليل على أن الشيطان لم يجد إلى إغوائه سبيلاً ألا يرى إلى قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

قال في «بحر لعلوم» واعلم أنه تعالى شهد ببراءته من الذنب ومدحه بأنه من المحسنين وأنه من عباده من المخلصين فوجب على كل أحد إن لا يتوقف في نزاهته وطهارة ذيله وعفته وتثبته في مواقع العثار.

قال الحسن: لم يقص الله عليكم ما حكي من أخبار الأنبياء تعييراً لهم، لكن لئلا تقنطوا من رحمته، لأن الحجة للأنبياء ألزم فإذا قبلت توبتهم كان قبولها من غيرهم أسرع، وعدم ذكر توبة يوسف دليل على عدم معصيته؛ لأنه تعالى ما ذكر معصية عن الأنبياء وإن صغرت إلا وذكر توبتهم واستغفارهم منها كآدم ونوح وداود وإبراهيم وسليمان عليهم السلام.

والإشارة: أن يوسف القلب وإن بلغ أعلى مراتبه في مقام الحقيقة وفنائه عن صفات

الأنانية واستغراقه في بحر صفات الهوية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها وهو الجسد فإن الجسد للقلب بيت دنيوي، فالمعنى أنه: ﴿وراودته﴾ يوسف القلب زليخا الدنيا ﴿التي هو﴾ يوسف القلب ﴿في بيتها﴾ أي في الجسد الدنيوي، أي: ﴿عن نفسه﴾ لما رأت في نفسه لتعلقه بالجسد داعية الاحتظاظ من الحظوظ الدنيوية ليحتظ منها وتحتظ منه ﴿وغلقت الأبواب﴾ وهي أبواب أركان الشريعة يعني إذا فتحت الدنيا على القلب أبواب شهواتها وحظوظها غلقت عليه أبواب الشريعة التي تدخل منها أنوار الرحمة والهداية ونفحات الألطاف والعناية ﴿وقالت﴾ أي: الدنيا ﴿هيت لك﴾ أقبل إلي وأعرض عن الحق ﴿قال﴾ يعني: القلب الفاني عن نفسه الباقي بربه. ﴿معاذ الله﴾ أي: عياذي بالله مما سواه. ﴿إنه ربي﴾ الذي ربني بلبان ألطاف ربوبيته ﴿أحسن مثواي﴾ أي مقامي في عالم الحقيقة فلا أعرض عنه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى ﴿ولقد همت به﴾ أي همت الدنيا بالقلب لما ترى فيه من الحاجة الضرورية الإنسانية إليها ﴿وهم بها﴾ أي هم القلب بها فوق الحاجة الضرورية إليها لمشاركة النفس الحريصة على الدنيا ولذاتها. ﴿لولا أن أرى﴾ القلب ﴿برهان ربه﴾ وهو نور القناعة التي من نتائج نظر العناية إلى قلوب الصادقين ﴿كذلك لنصرف عنه﴾ عن القلب بنظر العناية ﴿السوء﴾ هو الحرص على الدنيا. ﴿والفحشاء﴾ وهو تصرف حب الدنيا فيه ﴿إنه﴾ قلب كامل ﴿من عبادنا﴾ لا من عباد الدنيا وغيرها ﴿المخلصين﴾ مما سوانا أي المخلصين من جنس الوجود المجازي الموصلين إلى الوجود الحقيقي، وهذا مقام كمالية القلب، أن يكون عبداً الله حراً عما سواه، فانياً عن أوصاف وجوده، باقياً بأوصاف ربه، كذا في «التأويلات النجمية» ـ حكي ـ عن علي بن الحسن أنه كان في البيت صنم فقامت زليخا وسترته بثوب فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ قالت: استحييت منه أن يراني على المعصية.

درون پرده كردم جايكاهش	كه تانبود بسوى من نكاهش
زمن آيين بي ديني نبيند	درين كارم كه مي بيني نبيند

فقال يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه، وأنا أحق أن استحيي من ربي الذي خلقني فأحسن خلقي.

قال في «التبيان»: إن يوسف لما رأى البرهان قام هارباً مبادراً إلى الباب فتبعته زليخا، وذلك قوله تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿واستبقا الباب﴾ بحذف حرف الجر، أي تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف، أما يوسف فللفرار منها وأما هي فلتصده عن الخروج والفتح ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: اجتذبته من ورائه وخلفه فانشق طولاً نصفين وهو القد كما أن الشق عرضاً هو القط ﴿وألفيا﴾ وجدا وصادفا ﴿سيدها﴾ زوجها وهو قطفير تقول المرأة لزوجها سيدي ولم يقل سيدهما، لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن له سيدا على الحقيقة ﴿لدى الباب﴾ أي عند الباب البراني مقبلاً ليدخل، أو كان جالساً مع ابن عم لزليخا يقال له:

يمليخا - روي - عن كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناسر ويسقط حتى خرج من الأبواب كما قال المولى الجامي:

چوكش اندر دويدن كام تيزش	كشاد ازهر درى راه كريزش
بهر دركامدى بي در كشايي	پريدى قفل جايى پره جايي
زليخا چون بديدان از عقب جست	بوي در آخرين دركاه پيوست
پي باز آمدن دامن كشيدش	زسوى پشت پيراهن در يدش
برون رفت از كف آن غم رسيده	بسان غنچه پيراهن دريده
برون آمد پيش آمد عزيزش	كروهى از خواص خانه نيزش

﴿قالت﴾ كأنه قيل فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب، فقيل قالت: منزهة نفسها ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ من الزنى ونحوه وما نافية، أي ليس جزاؤه ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ إلا السجن أو العذاب الأليم مثل الضرب بالسوط ونحوه، أو استفهامية، أي: أيّ شيء جزاؤه غير ذلك كما تقول من في الدار إلا زيد.

قال العزيز: من أراد باهلي سوءاً؟ قالت زليخا: كنت نائمة في الفراش فجاء هذا الغلام العبراني وكشف عن ثيابي وراودني عن نفسي:

چو دزدان بر سربالينم آمد	بقصد حرمن نسرينم آمد
خيالش آنكه من ازوى نه آكاه	بحرم كلستانم آورد راه
باذن باغبان ناكشته محتاج	برد تا سنبل وكل را بتاراج

فالتفت العزيز إليه وقال يا غلام هذا جزائي منك حيث أحسنت إليك وأنت تخزيني.

ثمى شايد درين دير پر آفات	جز احسان أهل احسانرا مكافاة
زكوى حقكزارى رخت بستى	نمك خوردى نمكدانرا شكستي

كأنه قيل: فماذا قال يوسف حينئذٍ؟ فقيل:

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿قال﴾ دفعاً عن نفسه وتنزيهاً لعرضه ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ طالبتني للمواقعة لا أني أردت بها سوءاً كما قالت:

زليخا هرچه ميكويد دروغست	دروغ أو چراغ بي فروغست
زن از بهلوى چب شد آفريده	كس از چب راستى هر كزنديده

فقال العزيز: ما أقبل قولك إلا ببرهان، وفي رواية نظر العزيز إلى ظاهر قول زليخا وتظلمها فأمر بأن يسجن يوسف وعند ذلك دعا يوسف بإنزال البراءة، وكان لزليخا خال، له ابن في المهد ابن ثلاثة أشهر أو أربعة أو ستة على اختلاف الروايات فهبط جبريل إلى ذلك الطفل وأجلسه في مهده، وقال له اشهد ببراءة يوسف فقام الطفل من المهد وجعل يسعى حتى قام بين يدي العزيز وكان في حجرانه.

فغان زد كاى عزيز آهسته ترباش	ز تعجيل عقوبت بر حذر باش
سزاوار عقوبت نيست يوسف	بطلف ومرحمت او ليست يوسف

عز يزاز كفتن كودك عجب ماند سخن با او بقانون ادب راند
كه اي ناشسته لب زالايش شير خدايت كرد تلقين حسن تفرير
بكوروشن كه اين آتش كه افروخت كزانم پردهٔ عز وشرف سوخت

كما قال الله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ أي: ابن خالها الذي كان صبياً في المهد، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه.

وفي «الإرشاد» ذكر كونه من أهلها لبيان الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم.

واعلم أنه تكلم في المهد جماعة، منهم شاهد يوسف هذا، ومنهم نبينا ﷺ فإنه تكلم في المهد في أوائل ولادته وأول كلام تكلم به أن قال: «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً». ومنهم عيسى عليه السلام ويأتي تكلمه في سورة مريم، ومنهم مريم، والدة عيسى عليهما السلام، ومنهم يحيى عليه السلام، ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه لما سقط على الأرض استوى قائماً على قدميه وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا. ومنهم نوح عليه السلام فإنه تكلم عقيب ولادته فإن أمه ولدته في غار خوفاً على نفسها وعليه فلما وضعته وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحداً عليّ يا أمّاه فإن الذي خلقني يحفظني، ومنهم موسى عليه السلام، فإنه لما وضعته أمه استوى قاعداً وقال يا أماه لا تخافي أي من فرعون إن الله معنا، وتكلم يوسف عليه السلام في بطن أمه فقال: أنا المفقود والمغيب عن وجه أبي زماناً طويلاً فأخبرت أمه والده بذلك، فقال لها: اكتمي أمرك، وأجاب واحد أمّه بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها، ومنهم ابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال إنها زنت فشهد بالبراءة. ومنهم طفل لذي الأخدود. ومنهم ابن ماشطة بنت فرعون.

عن ابن الجوزي أن ماشطة بنت فرعون لما أسلمت أخبرت الابنة أباها بإسلامها، فأمر بإلقائها وإلقاء أولادها في النقرة المتخذة من النحاس المحماة، فلما بلغت النوبة إلى آخر ولدها وكان مرضعاً قال: اصبري يا أماه فإنك على الحق، ومنهم مبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله وسمعت منه عجباً جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال النبي عليه السلام: «يا غلام من أنا» قال الغلام بلسان طلق أنت رسول الله قال: «صدقت بارك الله فيك» ثم إن الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة في حجة الوداع، ومنهم صاحب جريج الراهب وقصته أن جريجاً كان يتعبد في صومعة فقالت بنية من بني إسرائيل لافتننه، فعرضت له نفسها فلم يلتفت إليها فمكنت نفسها من راعي غنم كان يأوي بغنمه إلى أصل صومعته، فولد غلاماً وقالت: إنه من جريج فضربوه وهدموا صومعته فصلى جريج وانصرف إلى الغلام ووضع يده على رأسه فقال: بحق الذي خلقك أن تخبرني من أبوك؟ فتكلم بإذن الله تعالى إن أبي فلان الراعي، فاعتذروا إلى جريج وبنوا صومعته، ومنهم ما ذكره الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس سره قال: قلت لبنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريباً عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل؟ فقالت: عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم إني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في

مكة وكنت أذنت لوالدتها في الحج وجاءت مع الحج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت قبل أن تراني أمها هذا أبي وضحكت ورمت نفسها إليّ كما في «إنسان العيون».

﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ الشرطية محكية على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد من أهلها فقال إن كان قميصه وجمع بين إن الذي هو للاستقبال، وبين كان، لأن المعنى إن يعلم أن قميصه قد من قبل أي من قدام فالشرط وإن كان ماضياً بحسب اللفظ لكنه في تأويل المضارع.

فإن قلت: كيف اطلق الشهادة على تقوّل هذه الشرطية مع أن الشهادة في عرف الشرع عبارة عن الإخبار بثبوت حق الغير على غيره بلفظ أشهد؟

قلت: هذه الشرطية تقوم مقام الشرطية وتؤدي مؤداها من حيث أن تقولها ثبت به صدق يوسف وبطل قولها **﴿فصدقت﴾** أي: فقد صدقت زليخا في قولها. **﴿وهو من الكاذبين﴾** في قوله لأنه إذا طلبها دفعته عن نفسها فشقت قميصه من قدام، أو يسرع خلفها ليدركها فيتعثر بذيله فينشق جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وإن كان قميصه قد من دبر﴾ من خلف **﴿فكذبت﴾** في قولها **﴿وهو من الصادقين﴾** لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فلما رأى﴾ العزيز **﴿قميصه قد من دبر﴾** وعلم براءة يوسف وصدقه كما قال الجامي:

عزيز از طفل چون كوش اين سخن كرد   روان تفتيش حال پيرهن كرد
چو ديد ازپس دريده پيرهن را   ملامت كردآن مكاره زن را

﴿قال إنه﴾ أي الأمر الذي وقع فيه التشاجر **﴿من كيدكن﴾** من جنس حيلتكن ومكركن أيتها النساء لا من غيركن فخجلت زليخا، وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق. **﴿إن كيدكن عظيم﴾** فإنه ألصق وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس، أي من كيد الرجال فعظم كيد النساء على هذا بالنسبة إلى كيد الرجال؛ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يوجهن به الرجال فالعظم بالنسبة إلى كيد الشيطان.

وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال للنساء **﴿إن كيدكن عظيم﴾**:

ز كيد زن دل مردان دونيمست   زنانرا كيد هاى بس عظيمست
عزيز انرا كند كيد زنان خوار   بكيد زن بود دانا كرفتار
زمكر زن كسى عاجز مبادا   زن مكاره خود هركز مبادا

﴿يوسف﴾ أي قال العزيز يا يوسف **﴿أعرض عن هذا﴾** الأمر وعن التحديث به واكتمه حتى لا يشيع فيعيروني:

قدم ازراى غمازى بدرنه   كه باشد پرده بوش ازپرده دربه

﴿واستغفري﴾ أنت يا زليخا ﴿لذنبك﴾ الذي صدر عنك وثبت عليك ﴿إنك كنت﴾ بسبب ذلك ﴿من الخاطئين﴾ من جملة القوم الذين تعمدوا للخطيئة والذنب، يقال خطىء إذا أذنب عمداً والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وفي الحديث: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وكان العزيز رجلاً حليماً فاكتفى بهذا القدر في مؤاخذتها كما قال المولى الجامي:

عزيز اين كفت وبيرون شد زخانه ... بخوش خوبى سمر شد درزمانه
تحمل دلكش است اما نه چندين ... نكر خويى خوشست امانه چندين
چو مردازون بخوش خويى كشدبار ... زخوش خويى ببد رويى كشدكار
مكن باكارزن چندان صبوري ... كه افتد رخنه درسد غيوري

وقيل كان قليل الغيرة - وروي - أنه حلف أن لا يدخل عليها إلى أربعين يوماً وأخرج يوسف من عندها وشغله في خدمته وبقيت زليخا لا ترى يوسف:

دريغ آن صيد كزدامم برون رفت ... دريغ آن شهد كزكامم برون رفت
عزيمت كرد روزى عنكبوتي ... كه بهر خود كند تحصيل قوتي
بجايي ديد شهبازى نشسته ... زقيد دست شاهان بازرسته
بكرد اوتنيدن كرد آغاز ... كه بندد بال وپرش را زپرواز
زماني كار در پيكار او كرد ... لعاب خودهمه دركاراو كرد
چون آن شباز كرد ازوى كناره ... نماند غير تارى چند پاره
منم آن عنكبوت زارو رنجور ... فتاده ازمراد خويشتن دور
رك جانم كسسته همچو تارش ... نكشته مرغ اميد شكارش
كسسته تارم از هركار وبارى ... بدستم نيست جز بكسسته تارى

والإشارة إن يوسف القلب لما رأى برهان ربه وهو نظر نور العناية التي من نتائجها القناعة وهرب من زليخا الدنيا وما انخدع من زينتها وشهواتها اتبعته زليخا الدنيا. ﴿واستبقا الباب﴾ وهو الموت فإن الموت باب بين الدنيا والآخرة وكل الناس داخله فمن زحزح عن باب دار الدنيا دخل باب الدار الآخرة لأن من مات قامت قيامته، فتعلقت زليخا الدنيا بيد شهواتها بذيل قميص بشرية يوسف القلب قبل خروجه من باب الموت الحقيقي ﴿وقدت قميصه﴾ فقدت قميص بشريته ﴿من دبر﴾ فلما خرج يوسف القلب من باب موت البشرية، والصفات الحيوانية واتبعته زليخا الدنيا ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ وهو صاحب ولاية تربية يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا وإنما سمى سيدها؛ لأن أصحاب الولايات هم سادة الدنيا والآخرة وهم الرجال الحقيقية المتصرفون في الدنيا كتصرف الرجل في امرأته ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ما جزاء قلب يتصرف في الدنيا بالسوء وهو على خلاف الشريعة ووفق الطبيعة. ﴿إلا أن يسجن﴾ في سجن الصفات الذميمة النفسانية ﴿أو عذاب أليم﴾ أي: يعذب بألم البعد والفراق ﴿قال﴾ يوسف القلب وأظهر عداوة زليخا الدنيا بعد أن تخرق قميص بشريته وخرج من باب الموت عن صفاتها ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ لأنها كانت مأمورة بخدمتي كما قال: «يا دنيا اخدمي من خدمني» وإني كنت فاراً منها لقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ أي: حكم بينهما حاكم وهو العقل الغريزي دون العقل المجرد فإن الغريزي

دنيوي والمجرد أخروي. فالمعنى أن حاكم العقل الغريزي الذي هو من أهل زليخا حكم ﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ أي إن كان قميص بشرية يوسف القلب قد من قبل يدل على أن التابع كان يوسف القلب على قدمي الهوى والحرص فعدل عن الصراط المستقيم العصمة وقد قميص بشريته من قُبُل. ﴿فصدقت﴾ زليخا الدنيا إنها متبوعة. ﴿وهو من الكاذبين﴾ في دعواه إنها راودتني عن نفسي واتبعتني ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت﴾ زليخا الدنيا إنها متبوعة. ﴿وهو من الصادقين﴾ يعني يوسف القلب صادق في أن زليخا الدنيا راودته عن نفسه واتبعته وإنه متبوع ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾ ميز حاكم العقل أن يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل إلى يوسف القلب إلا بواسطة قميص بشريته ﴿قال إنه﴾ أي التعليق بقميص بشريته يوسف القلب ﴿من كيدكن﴾ أي: من كيد الدنيا وشهواتها ﴿إن كيدكن عظيم﴾ لأنكن تكدن في أمر عظيم وهو قطع طريق الوصول إلى الله العظيم على القلب السليم. ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي يا يوسف القلب اعرض عن زليخا الدنيا فإن كثرة الذكر تورث المحبة وحب الدنيا رأس كل خطيئة. ﴿واستغفري لذنبك﴾ يا زليخا الدنيا. ﴿إنك كنت﴾ بزينتك وشهواتك قاطعة طريق الله تعالى على يوسف القلب وأنت في ذلك. ﴿من الخاطئين﴾ الذين ضلوا عن الطريق وأضلوا كثيراً، كذا في «التأويلات النجمية» نفعنا الله بحقائقها.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وقال نسوة﴾ أي جماعة من النساء وكن خمساً امرأة الخباز، وامرأة الساقي وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب.

والنسوة: اسم مفرد لجميع المرأة وتأنيثه غير حقيقي، ولذا لم يلحق فعله تاء التأنيث.

وقال الرضي: النسوة جمع لأنها على وزن فعلة فيقدر لها مفرد وهو نساء كغلام وغلمة لا أنها اسم جمع [آورده اندكه اكرچه عزيز اين قصه را تسكين داد أما سخن عشق نهان كي ميماند شمهٔ ازين واقعه در السنهٔ عوام افتاد]

زليخارا چو بشكفت آن كل راز جهاني شد بطعنش بلبل آواز

[وبعض از خواتين مصر زبان ملامت برزليخا درازكردند وهر آيينه عشق را غوغاي ملامت دركارست نه سوداي سلامت] قال الحافظ:

من أزان حسن روزافزون كه يوسف داشت دانستم.

كه عشق از پردهٔ عصمت برون آرد زليخارا وقال الجامي:

نسازد عشق راكنج سلامت خوشا رسوايي وكويى ملامت

غم عشق ازملامت تازه كردد وزين غوغا بلند آوازه كردد

﴿في المدينة﴾ ظرف لقال، أي أشعن الأمر في مصر أو صفة للنسوة.

وقال الكاشفي: [با يكديكر نشسته كفتند در شهر مصر بموضعي كه عين الشمس مضمون سخن ايشان آنكه]. ﴿امرأة العزيز﴾ والعزيز بلسان العرب الملك، والمراد به قطفير وزير الريان وبامرأته زليخا ولم يصرحن باسمها، على ما عليه عادة الناس عند ذكر السلطان والوزير ونحوهما وذكر من يتبعهم من خواص حرمهم.

وقال سعدي المفتي: صرحن بإضافتها إلى العزيز مبالغة للتشنيع لأن النفوس أقبل إلى سماع أخبار ذوي الأخطار وما يجري لهم. ﴿تراود فتاها﴾ أي: تطالب غلامها بمواقعته لها وتحتال في ذلك وتخادعه ﴿عن نفسه﴾ والفتى من الناس الشاب، ويستعار للمملوك وإن كان شيخاً كالغلام وهو المراد هنا وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» قال ابن الملك: إنما كره النبي عليه السلام أن يقول السيد عبدي لأن فيه تعظيماً لنفسه، ولأن العبد في الحقيقة إنما هو لله قيل إنما يكره إذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه وإلا فقد جاء القرآن به قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢] ﴿قد شغفها حباً﴾ [بدرستى كه شكافته است غلاف دل اوازجهت دوستى يعني محبت يوسف بدرون دل او در آمده] وهو بيان لاختلال أحوالها القلبية كأحوالها القالبية خبر ثان وحباً تمييز منقول من الفاعلية، أي شق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى فؤادها. والشغاف حجاب القلب وقرىء شعفها بالعين المهملة يقال شعفه الحب أحرق قلبه كما في «الصحاح».

اعلم أن المحبة هو الميل إلى أمر جميل، وهو إذا كان مفرطاً يسمى عشقاً، وهو إذا كان مفرطاً يسمى سكراً أو هيماناً، وصاحب العشق المفرط معذور غير ملوم، لأنه آفة سماوية كالجنون والمرض مثلاً، والمحبة أصل الإيجاد وسببه كما قال تعالى: «كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف». قال القاشاني: العشق أخص لأنه محبة مفرطة، ولذلك لا يطلق على الله لانتفاء الأفراط عن صفاته انتهى. قال الجنيد: قالت النار يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني؟ قال: نعم كن أسلط عليك ناري الكبرى قالت وهل نار أعظم مني قال نعم نار محبتي اسكنها قلوب أوليائي المؤمنين كذا في «فتح القريب».

قال يحيى بن معاذ: لو وليت خزائن العذاب ما عذبت عاشقاً قط لأنه ذنب اضطرار لا ذنب اختيار، وفي الحديث: «من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيداً». قال الحافظ:

عاشق شوارنه روزى كار جهان سر آيد ناخوانده نقش مقصود از كاركاه هستى

وعشق زليخا، وإن كان عشقاً مجازياً، لكن لما كان تحققها به حقيقة وصدقاً جذبها إلى المقصود، وآل الأمر من المجاز إلى الحقيقة لأنه قنطرتها. قال العطار في «منطق الطير»:

هركه او درعشق صادق آمدست بر سرش معشوق عاشق آمدست

كر بصدقي عشق پيش آيد ترا عاشقت معشوق خويش آيد ترا

﴿إنا لنراها﴾ أي: نعلمها علماً مضاهياً للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة. ﴿في ضلال﴾ في خطأ وبعد عن طريق الرشد والصواب. ﴿مبين﴾ واضح لا يخفى كونه ضلالاً على أحد أو مظهر لأمرها فيما بين الناس، وإنما لم يقلن إنها لفي ضلال مبين، إشعاراً بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي، مع التلويح بأنهن متنزهات عن أمثال ما هي عليه ولذا ابتلاهن الله تعالى بمارمين به الغير، لأنه ما عير أحد أخاه بذنب إلا ارتكبه قبل أن يموت، وهذه أعني ملامة الخلق وتضليهم علامة كمال المحبة ونتيجته لأن الله تعالى إذا اصطفى عبداً لجنابه رفع محبته الذاتية عن قلوب الأغيار غيرة منه عليه، ولذا ترى أرباب الأحوال وأصحاب الكشوف مذكورين غالباً بلسان الذم والتعيير، إذ هم قد تجاوزوا حد الجمهور فكانوا كالمسك بين الدماء، فكما أن المسك خرج بذلك الوصف

الزائد عن كونه جنس الدم فكذا العشاق خرجوا بما هم عليه من الحالة الجمعية الكمالية عن كونهم من جنس العباد ذوي التفرقة والنقصان، والجنس إلى الجنس يميل لا إلى خلافه فافهم حقيقة الحال وهو اللائح بالبال.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ باعتيابهن وسوء قولهن وقولهن، امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها، وتسميته مكراً لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهراً لغيرها. **﴿أرسلت إليهن﴾** تدعوهن للضيافة إكراماً لهن، ومكراً بهن، ولتعذر في يوسف لعلمها أنهن إذا رأينه دهشن وافتتن به. قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **﴿وأعتدت﴾** أي أحضرت وهيأت **﴿لهن متكأ﴾** أي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وغيرها عند الطعام والشراب كعادة المترفهين ولذلك نهي عن الأكل بالشمال أو متكأ. وقرىء متكأ وهو الأترج أو الزماورد بالضم وهو طعام من البيض واللحم معرب والعامة تقول البز ما ورد كما في «القاموس» **﴿وآتت كل واحدة منهن﴾** بعد الجلوس على المتكأ **﴿سكيناً﴾** لتستعمله في قطع ما يعهد فيما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وقصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكىء إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ـ روي ـ أنها اتخذت لهن ضيافة عظيمة من ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة بحيث لا توصف.

روان هي سو كنيزان وغلامان ... بخدمت همچو طاوسان خرامان
پری رويان مصري حلقه بسته ... بمسندهای زركش خوش نشسته
چو خوان برداشتند از پيش آنان ... زليخا شكر كويان مدح خوانان
نهاد از طبع حيلت ساز پرفن ... ترنج وكز لكي بردست هر زن

﴿وقالت﴾ ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وأعمالها، فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها. **﴿اخرج﴾** يا يوسف **﴿عليهن﴾** أي: أبرز لهن. قال المولى الجامي:

بپای خود زليخا سوی او شد ... دران كاشانه هم زانوی اوشد
بزاری كفت كای نور دو ديده ... تمنای دل محنت رسيده
فتادم در زبان مردم ازتو ... شدم رسوا ميان مردم از تو
كرفتم آنكه در چشم تو خوارم ... بنزديك تو بس بي اعتبارم
مده زين خواری وبي اعتباري ... ز خاتونان مصرم شرمساری
شد از افسون آن افسو نكر كرم ... دل يوسف به بيرون آمدن نرم
پی تزيين أو چون با برخاست ... چوسروا زحلۀ سبزش بياراست
فرود آو يخت كيسوی معنبر ... به پيش حله اش چون عنبر تر
ميانش راكه با مو همسری كرد ... ززرين منطقه زيور كری كرد
بسر تاج مرصع از جواهر ... زهر جوهر هزارش لطف ظاهر
بپا نعليني از لعل وكهر پر ... برو بستۀ هوال از رشتۀ در

﴿فلما رأينه﴾ عطف على مقدر فخرج عليهن

زخلوت خانه آن كنج نهفته ... برون آمد چون كلزار شكفته

فرأينه فلما رأينه ﴿أكبرنه﴾ عظمنه وهبن حسنه الفائق، وجماله الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وسيأتي مزيد البيان في هذا الشأن أو حضن ليوسف من شدة الشبق على حذف اللام، والشبق شدة شهوة الضراب والمرأة إذا اغتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض، أو امنين لتوقهن إليه كما في «الكواشي».

وفي «الشرعة» ويستحب من أخلاق الزوجة ما قال علي بن أبي طالب: «خير نسائكم العفيفة الغليمة المطيعة لزوجها» ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي جرحنها بالسكاكين لفرط وحشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن أو ابنها كما في «التبيان».

وقال وهب ماتت جماعة منهن كما قال المولى الجامي:

چو هريك را دران ديدار ديدن ... تمنا شد ترنج خود بريدن
ندانسته ترنج از دست خود باز ... ز دست خود بريدن كرد آغاز
يكى از تيغ انكشتان قلم كرد ... بدل حرف وفاي اورقم كرد
يكى برساخت از كف صفحهٔ سيم ... كشيدش جدول از سرخى چو تقويم
بهر جدول روانه سيلى از خون ... ز حد خود نهاده پاي بيرون
كروهى زان زنان كف بريده ... زعقل وصبر وهوش ودل رميده
زتيغ عشق يوسف جان نبردند ... ازان مجلس نرفته جان سپردند
كروهى از خرد بيكانه كشتند ... ز عشق آن پرى ديوانه كشتند
كروهى آمدند آخر بخود باز ... ولى با درد وسوز عشق دمساز
جمال يوسف آمد خمى از مى ... بقدر خود نصيب هركس ازوى

﴿وقطعن أيديهن﴾ لدهشتهن، والمدهوش لا يدرك ما يفعل، ولم تقطع زليخا يديها؛ لأن حالها انتهت إلى التمكين في المحبة كاهل النهايات، وحال النسوة كانت في مقام التلوين، كاهل البدايات فلكل مقام تلون وتمكن وبداية ونهاية.

قال القاشاني: خرج يوسف بغتة على النسوة فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة لشهود جماله والغيبة عن أوصافهن كما قيل:

غابت صفات القاطعات اكفها ... في شاهد هو في البرية أبدع

ولا شك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله لتمكن حال الشهود في قلبها انتهى.

«در حقائق سلمى» [مذكوراست كه حق تعالى بدين آيت مدعيان محبت را سرزنش ميكندكه مخلوقي دررؤيت مخلوقي بدان مرتبه ميرسدكه احساس الم قطع نميكند شمادر شهود پذير جمال خالق باديكه بهر هيچ كس از بلا وعنا متألم نشويد]

كر باتودمى دست دراغوش توان كرد ... بيداد توسهلست فراموش توان كرد

وقال في «شرح الحكم» العطائية ما تجده القلوب من الهموم والأحزان يعني عند فقدان

مرادها وتشويش معتادها فلأجل ما منعت من وجود العيان إذ لو عاينت جمال الفاعل جمل عليها ألم البعد، كما اتفق في قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن انتهى ﴿وقلن حاش لله﴾ [پاكست خداي تعالى از صفت عجز درآ فريدن چنين مخلوقي] وأصله حاشا حذفت الألف الأخيرة تخفيفاً، وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد، فوضع موضع التنزيه والبراءة فمعناه تنزيه الله وبراءة الله، واللام لبيان المبرأ والمنزه، كما في سقيا لك والدليل في وضعه موضع المصدر قراءة أبي السماك حاشاً لله بالتنوين ﴿ما هذا بشراً﴾ أي آدمياً مثلنا؛ لأن هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إن﴾ نافية بمعنى ما ﴿هذا إلا ملك كريم﴾ يعني: على ربه كما في «تفسير أبي الليث» وهو من باب قصر القلب لقلبه حكم السامعين حيث اعتقدوا أنه بشر لا ملك وقصرنه على الملكية مع علمهن أنه بشر، لأنه ثبت في النفوس لا أكمل ولا أحسن خلقاً من الملك، يعني ركز في العقول من أن لا حي أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والمال.

چو ديدندش كه جز والا كهرنيست ... بر آمد بانك كين هذا بشر نيست
نه چون آدم زآب وكل سرشتست ... ز بالا آمده قدسي فرشتست

قال بعضهم: إن من لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم، ولذا ابتدىء رسول الله بالرؤيا تأنيساً له إذ القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك فجأة، وقد رأى جبريل في أوائل البعثة على صورته الأصلية فخر مغشياً عليه فنزل إليه في صورة الآدميين كما في «إنسان العيون».

قالوا: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه كما يرى نور الشمس من السماء عليها، وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وكانت أمه راحيل وجدته سارة جميلتين جداً.

چه كويم كان چه حسن ودلبرى بود ... كه بيرون از حد حور وپرى بود
مقدس نوري ازقيد چه وچون ... سر از جلباب چون آورده بيرون
چون آن بيچون درين چون كرد آرام ... پى رو پوش كرده يوسفش نام
زليخايى كه رشك حور عين بود ... بمغرب پردهٔ عصمت نشين بود
ز خورشيد رحمش ناديده تابى ... كرفتار جمالش شد بخواني

قال الكاشفي في «تفسيره الفارسي»: صاحب وسيط بإسناد خود از جابر أنصاري نقل ميكندكه حضرت رسالت ﷺ فرمودكه جبرائيل بر من فرود آمد وكفت خداي تعالى ترا سلام ميرساند وميكويد حبيب من حسن روى يوسف را ازنور كرسي كنوت دادم وكسوت حسن ترا ازنور عرش مقرّر كردم وما خلقت خلقاً أحسن منك يوسف را جمال بود وآن حضرت را كمال در شهود جمال يوسف دستها بريده شد در ظهور كمال محمدي زناها قطع يافت:

از حسن روى يوسف دست بريده سهلست ... ددپاي دلبر من سرها بريده باشد

[از عايشهٔ صديقه نقل ميكنند كه درصفت جمال حضرت رسالت پناه فرمودكه]

لوائم زليخا لو رأين جبينه ... لآثرن في القطع القلوب على اليد
زنان مصر بهنكام جلوهٔ يوسف ... زروى بيخودى ازدست خويش ببريدتد

مقرراست كه دل پاره ميكردند اكر جمال تواى نورديده ميديدند

وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلاحسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً».

يقول الفقير أيده الله القدير الظاهر أن بعض الأنبياء مفضل على البعض في بعض الأمور وأن الحسن بمعنى بياض البشرة مختص بيوسف وأن رسول الله ﷺ كان أسمر اللون لكن مع الملاحة التامة وهو لا ينافي الحسن وإليه يشير قول الحافظ:

آن سيه چرده كه شيرينئ عالم با اوست چشم ميكون لب خندان رخ خرم با اوست

وقول المولى الجامي:

دبير صنع نوشتست كرد عارض تو بمشكناب كه الحسن والملاحة لك

فالحسن أمر والملاحة أمر آخر وبالملاحة يفضل النبي عليه السلام على يوسف وعليه يحمل قول الجامي:

ز خوبئ توبهرجا حكايتي كفتند حديث يوسف مصري فسانهٔ باشد

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل «إن أردت أن تنظر من أهل الأرض شبيهاً بيوسف فانظر إلى عثمان بن عفان» وجاء «هو أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيكِ محمد» والخطاب لرقية بنت رسول الله زوجة عثمان، وكانت رقية ذات جمال بارع أيضاً ومن ثم كان النساء تغنيهما بقولهن أحسن شيء يرى إنسان رقية وبعلها عثمان، وجاء في حق رومان، أم عائشة رضي الله عنها بضم الراء وفتحها «من أراد أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» وفيه بيان حسنها وكونها من أهل الجنة كما لا يخفى.

والإشارة: ﴿وقال نسوة﴾ صفات البشرية النفسانية من البهيمية والسبعية والشيطانية ﴿في المدينة﴾ في مدينة الجسد. ﴿امرأة العزيز﴾ وهي الدنيا. ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ تطالب عبدها وهو القلب كان عبداً للدنيا في البداية للحاجة إليها في التربية، فلما كمل القلب وصفا وصقل عن دنس البشرية واستأهل للنظر الإلهي، فتجلى له الرب تعالى فتنور القلب بنور جماله وجلاله احتاج إليه كل شيء وسجد له حتى الدنيا ﴿قد شغفها حباً﴾ أي أحبته الدنيا غاية الحب لما ترى عليه آثار جمال الحق، ولما لم يكن لنسوة صفات البشرية اطلاع على جمال يوسف القلب كن يلمن الدنيا على محبته فقلن ﴿إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت﴾ زليخا الدنيا ﴿بمكرهن﴾ في ملامتها ﴿أرسلت﴾ إلى الصفات وهيأت أطعمة مناسبة لكل صفة منها ﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ سكين الذكر ﴿وقالت﴾ زليخا الدنيا ليوسف القلب ﴿اخرج عليهن﴾ وهو إشارة إلى غلبات أحوال القلب على الصفات البشرية ﴿فلما رأينه﴾ فلمّا وقفن على جماله وكماله ﴿أكبرنه﴾ أكبرن جماله أن يكون جمال البشر. ﴿وقطعن أيديهن﴾ بسكين الذكر عن تعلق ما سوى الله ﴿وقلن حاش لله ما هذا بشراً﴾ أي: جمال بشر ﴿إن هذا إلا﴾ جمال ﴿ملك كريم﴾ وهو الله تعالى بقراءة من قرأ ملك بكسر اللام.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿قالت فذلكن﴾ كن للنسوة وذا ليوسف ولم تقل فهذا مع إنه حاضر رفعا لمنزلته في

الحسن واسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره، وهو ﴿**الذي لمتنني فيه**﴾ في شأنه فالآن علمتن من هو وما قولكن فينا.

قال الكاشفي: [واكنون دانستيدكه حق بطرف من بود]. قال سعدي:

ملامت كن مرا چندانكه خواهى   كه نتوان شستن از زنكى سياهى

وقال في «كتاب كلستان» [يكى را ازملوك عرب حديث ليلى ومجنون بكفتند وشورش حال اوكه باكمال فضل وبلاغت سر در بيابان نهاده است وزمان اختيار ازدست داده بفرمودش تا حاضر آوردند وملامت كردن كرفت كه در شرف نفس إنسان چه خلل ديديكه خوى حيواني كرفتى وترك عيش آدمي كفتي مجنون بناليد وكفت].

ورب صديق لامنى في ودادها   ألم يرها يوماً فيوضح لي عذري

كاش كانانكه عيب من جستند   رويت اي دلستان بديدندى

تابجاى ترنج در نظرت   بيخبر دستها بريدندي

[تا حقيقت معنى بر صورت دعوى كواهى دادي كه] قوله تعالى: ﴿**فذلكن الذي لمتنني فيه**﴾ وفي القصيدة البردية:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة   مني إليك ولو انصفت لم تلم

والهوى العذري، عبارة عن الحب الشديد الفرط، نسبة إلى بني عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة قبيلة في اليمن مشهورة بالابتلاء بداء العشق وكثير من شبانهم يهلكون بهذا المرض، كما يحكى أن واحداً سأل منهم عن سبب انهماكهم في أودية المحبة والمودة، وموجب هلاكهم من شدة المحبة فأجابوا بأن في قلوبنا خفة وفي نسائنا عفة [اصمعي كفت وقت ازاوقات در أثناء أسفار بقبيلهٔ بني عذرة نزول كردم ودر وثاقي كه بودم دخترى ديدم درغايت حسن وجمال روزي از سبيل تفرج از آنجا بيرون آمدم وطوفي ميكردم جوانى را ديدم ضعيف تر ازهلالي اين ابيات ميخواند وقطرات عبرات از ديد كان مي راند]

فلا عنكِ لي صب ولا فيك حيلة   ولا منك لي بد ولا منك مهرب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد   وأفردت قلباً في هواك يعذب

ولي ألف باب قد عرفت طريقه   ولكن بلا قلب إلى أين اذهب

[از آن جماعت پرسيدم كه اين جوان كيست وحال اوچيست كفتند او بدان دختركه دران خانهٔ كه تو نزول كردهٔ عاشقست وبا آنكه بنت عم اوست ده سالست تا يكديكر را نديده اند اصمعي ميكويدكه بخانه باز كشتم وخال آن جوان با اين دختر تقرير كردم وكفتم شك نيست كه مهمان غريب را درعرب حرمتي هرچه تمامترست التماس آنست كه امروز جمال خود را بدو نمايى دختر كفت صلاح او درين نيست اصمعي كفت پنداشتم كه بخل ميكند ودفع ميدهد كفتم ازبراي دل مهمان يك دو قدم بردار تا از مشاهدهٔ جمال راحتي يابد كفت مرا رحمت وشفقت درحق عم زاده بيش از آنست اميد داري وليك ميدانم كه مصلحت او در ديدن من نيست أما چون باور نمى داري]

تو برر دربيت برايم من

أصمعي ميكويدكه برفتم وپيش آن جوان بنشستم وكفتم حاضر باش مشاهدهٔ دلدار راكه بالتماس من مي آيد تا بحضور خود مسكن ترا پرنور كرداند درين سخن بوديم كه دختر ازدور

يبدا شدودامن درزمين ميكشيدو كردآن برهوا ميرفت جوان چون آن كردبديد نعرهء بزد وبرزمين افتاد آندام او چنه جا سوخته شد چون بخانه مراجعت كردم دختر بامن عتاب كرد وكفت]

آنچه امروز يافت او زتو يافت وانچه ديد او رهكذار توديد

إنه لا يطيق مشاهدة غبار من آثار ذيلنا فكيف يطيق مشاهدة جمالنا ولقائنا.

ثم بعد ما أقامت زليخا عليهن الحجة، وأوضحت لديهن عذرها، وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها، باحت لهن ببقية سرها، لأن شأن العشاق أن يظهر بعضهم لبعض ما في قلوبهم، غير ملتفت إلى تعيير أحد، ولا خائف لومة لائم، ولا مبال بزجر وسفاهة من جهل ولم يعلم حالهم فقالت: ﴿**ولقد راودته عن نفسه**﴾ طلبت منه أن يمكنني من نفسه حسبما قلتن وسمعتن ﴿**فاستعصم**﴾ [پس خويش را نكاداشت وسر بمن نياورد] أي طلب العصمة من الله مبالغاً في الامتناع لأنه يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستذادة منها، وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره. ﴿**ولئن لم يفعل ما آمره**﴾ من حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير أي ما آمر به من موافقتي فالضمير للموصول. ﴿**ليسجنن**﴾ بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل للمفعول جرياً على رسم الملوك. والمعنى بالفارسية [هرآينه بزندان كرده شود] ﴿**وليكونًا**﴾ بالنون الخفيفة وإنما كتبت بالألف اتباعاً لخط المصحف مثل لنسفعا على حكم الوقف يعني أن النون الخفيفة يبدل منها في الوقف الألف وذلك إنما يكون في الحفيفة لشبهها بالتنوين ﴿**من الصاغرين**﴾ أي: الأذلاء في السبحن وهو من صغر بالكسر والصغير من صغر بالضم. قال الجامي:

اكر ننهد بكام من دكر پاي ازين پس كنج زندان سازمش جاي

نكردد مرغ وحشي جزبدان رام كه كيرد در قفس يك چند آرام

ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل، وينصحن له ويرشدن إلى موافقتها. قال الجامي:

بدو كفتند اي عمر كرامي دريده پيرهن درنيك نامي

درين بستان كه كل باخار جفت است كل بي خار چون توكم شكفت است

زليخا خاك شد درراهت اي پاك همي كش كه كهي دامن برين خاك

حذر كن زانكه چون مضطر شوددوست بخوارى دوست را از سركشد پوست

چو از سر بكذرد سيل خطر مند نهد ما در بزير پاي فرزند

دهد هر لحظه تهديدت بزندان كه هست آرامكاه نا پسندان

كجا شابد چنين محنت سرايي كه باشد جاي چون تو دلربابي

خدارا بر وجود خود ببخشاي بروى أو دري از مهر بكشاي

وكر باشد ترا ازوى ملالي كه چندانش نمى بيني جمالي

چو زو ايمن شوى دمساز ما باش نهاني همدم وهمراز ما باش

كه ماهريك بخوبي بي نظيريم سپهر حسن را ماه منيريم

چو بكشاييم لبهاي شكرخا زخجلت لب فروبندد زليخا

چنين شيرين وشكرخا كه ما ييم زليخارا چه قدر آنجاكه ما ييم

چو يوسف كوش كردافسون كزايشان ... پي كـام زلـيـخـا يـاوريـشـان
كـذشـتـنـد ازره ديـن وخـردنـيـز ... نـه تـنـهـا بـهـروي از بـهـر خـود نـيـز

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قال﴾ مناجياً لربه ﴿رب السجن﴾ الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وهوه بالفارسية [زندان] ﴿أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ أي: آثر عندي من موافقتها لأن للأول حسن العاقبة دون الثاني:

عـجـب درمـانـده ام دركـار ايـنـان ... مـرازنـدان بـه از ديـدار ايـنـان
بـه از صـد سـال درزنـدان نـشـيـنـم ... كـه يـكـدم طـلـعـت ايـنـان بـه بـيـنـم
بـنـا مـحـرم نـظـر دلـرا كـنـد كـور ... زدولـخـانـهٔ قـرب افـكـنـد دور

وعند ذلك بكت الملائكة رحمة له وهبط إليه جبريل فقال له: يا يوسف ربك يقرئك السلام ويقول لك اصبر فإن الصبر مفتاح الفرج وعاقبته محمودة، وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن تنصحن له، وخوفنه من مخالفتها، أو لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن كما ذكر.

قال بعض الحكماء لو قال: رب العافية أحب إليّ لعافاه الله، ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه في الله، والبلاء موكل بالمنطق.

وعن معاذ سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك الصبر قال: سألت البلاء فاسأله العافية».

قال الشيخ سعدي: [في كتاب الكلستان پار سايى را ديدم كه بركنار دريا زحم پلنك داشت وبه هيچ دارو به نمى شد ومدتها درا رنجورى بودومدام شكر خدا مى كزاريد پرسيدندش كه چه شكر كنى كفت شكر آنكه بمصيبتي كر فتارم نه بمعصيتي بلى مردان خدا مصيبت را برمعصيت اختيار كنند نه بيني كه يوسف صديق دران حالت چه كفت ﴿قال رب السجن﴾ الآية]

كرمي آزار بكشتن دهد آن يار عزيز ... تانكويى كه دران دم غم جانم باشد
كويم از بندهٔ مسكين چه كنه صادر شد ... كودل آزرده شد ازمن غم آنم باشد

﴿وإلا﴾ وإن لم ﴿تصرف عني كيدهن﴾ [واكر نكرداني از من مكر وفريب ايشانرا يعني مرا در پناه عصمت نكيري]. ﴿أصب إليهن﴾ أمل إلى جانبهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية أي ميلاً اختيارياً قصدياً، والصبوة الميل إلى الهوى، ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها، وهذا فزع منه إلى ألطاف الله جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث أدركني وإلا هلكت لأنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى هواهن. ﴿وأكن من الجاهلين﴾ أي: الذين لا يعملون بما يعلمون، لأن من لم يعمل بعلمه هو والجاهل سواء أو من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه لأن الحكيم لا يفعل القبيح.

وفيه دلالة بينة على أن ارتكاب الذنب والمعصية عن جهل وسفاهة وإن من زنى فقد

دخل من جملة الكاذبين في الجهال.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاءه الذي تضمنه قوله: **﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾** الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن والاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها نحو استجاب الله تعالى دعاءه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداع في الغالب فيقال استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه كما في «بحر العلوم» **﴿فصرف عنه كيدهن﴾** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى وطن نفسه على مقاساة السجن ومحنته واختارها على اللذة المتضمنة للمعصية **﴿إنه هو السميع﴾** لدعاء المتضرعين إليه **﴿العليم﴾** بأحوالهم وما يصلحهم.

وعن الشيخ أبي بكر الدقاق قدس سره قال: بقيت بمكة عشرين سنة وكنت اشتهي اللبن فغلبتني نفسي فخرجت إلى عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة، فاستضفت حياً من أحياء العرب فوقعت عيني على جارية حسناء أخذت بقلبي فقالت يا شيخ لو كنت صادقاً لذهبت عنك شهوة اللبن، فرجعت إلى مكة وطفت بالبيت، فأريت في منامي يوسف الصديق عليه السلام فقلت له: يا نبي الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا فقال: يا مبارك بل أقر الله عينك بسلامتك من العسفانية ثم تلا ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمان: ٤٦] وأنشدوا:

وأنـت إذا أرسـلـت طـرفـك رائـداً لـقـلـبـك يـومـاً أتـعـبـتـك الـمـنـاظـر

رأيـت الـذي لا كـلـه أنـت قـادر عـلـيـه ولا عـن بـعـضـه أنـت صـابـر

قال بعضهم: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وإنما يمكن الخروج عن النفس بالله.

وقال الشيخ أبو تراب النخشبي قدس سره: من شغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت في الوقت فليس للعصمة شيء يعادلها.

والإشارة: أن القلب إذا لم يتابع أمر الدنيا وهوى نفسه ولم يجب إلى ما تدعوه دواعي البشرية يكون مسجوناً في سجن الشرع والعصمة من الله تعالى، والقلب وإن كان في كمالية قلب نبي من الأنبياء لو خلي وطبعه ولم يعصمه الله من مكايد الدنيا وآفات دواعي البشرية وهواجس النفس ووساوس الشيطان يميل إلى ما يدعونه إليه ويكون من جملة النفوس الظلومة الجهولة كما في «التأويلات النجمية». قال الحافظ:

دام سخت است مكر لطف خدا يا رشود ورنه آدم نبرد صرفه ز شيطان رجيم

نسأل الله القوة والغلبة على الأعداء الظاهرة والباطنة إنه هو المعين.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ثم بدا لهم﴾ أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصدين للحل والعقد رأي، وثم يدل على تغير رأيهم في حقه. **﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾** أي: الشواهد على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وغيرهما. **﴿ليسجننه﴾** [هر آيينه در زندان كنند اورا] أي قائلين والله ليسجننه **﴿حتى حين﴾** حتى جارة بمعنى إلى أي إلى حين انقطاع قالة الناس، وهذا بادي الرأي عند العزيز وخواصه، وأما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن خمس سنين أو سبع سنين والمشهور أنه لبث اثنتي عشرة سنة كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢] وقال ابن الشيخ لا دلالة في الآية على

تعيين مدة حبسه وإنما القدر المعلوم إنه بقي محبوساً مدة طويلة لقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] والحين عند أهل اللغة وقت من الزمان غير محدود ويقع على القصير منه والطويل، وأما عند الفقهاء فلو حلف والله لا أكلم فلاناً حيناً أو زماناً بلا نية على شيء من الوقت فهو محمول على نصف سنة، ومع نية شيء معين من الوقت فما نوى من الوقت. وفي الآية محذوف والتقدير لما تغير رأيهم في حقه ورأوا حبسه حبسوه وحذف لدلالة قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ [يوسف: ٣٦] وذلك أن زوج المرأة قد ظهر له براءة يوسف فلا جرم لم يتعرض له واحتالت المرأة في طريق آخر، فقالت لزوجها: هذا العبد العبراني فضحني في الناس.

درين قولند مرد وزن موافق   كه من بروى بجانم كشته عاشق

كما قال: هي راودتني عن نفسي وأنا لا أقدر على إظهار عذري فأرى أن الأصلح أن تحبسه لينقطع عن الناس ذكر هذا الحديث، وكان العزيز مطاعاً لها وجملاً ذلولاً زمامه في يدها فاغتر بقولها، ونسي ما عاين من الآيات وعمل برأيها وإلحاق الصغار به كما أوعدته به.

وقال الكاشفي: [آورده اندكه بعد از نوميدىٔ زنان ازوى زليخارا كفتند صلاح آنست كه اورا دوسه روزي بزندان بازداري شايد بسبب رياضت رام كردد وقدر نعمت وراحت را دانسته سر تسليم را بر خط فرمان نهد]

چو كوره ساز زندانرا بروكرم   بود زان كوره كردد آهنش نرم
چوكردد كرم زآتش طبع فولاد   از چيزى تواند ساخت استاد
نه كرمى نرم اكر نتواندش كرد   چه حاصل زانكه كوبد آهن سرد
زليخارا چوزان جادو زبانان   شداز زندان اميد وصل جانان
براى راحت خود رنج او خواست   دران ويران اميد كنج او خواست
چو نبود عشق عاشق را كمالي   نه بندد جز مراد خود خيالي
طفيل خويش خواهد يار خودرا   بكام خويش خواهد كار خودرا
ببوى يك كل ازبستان معشوق   زند صد خار غم بر جان معشوق

وكان للعزيز ثلاثة سجون، سجن العذاب، وسجن القتل، وسجن العافية، فأما سجن العذاب فإنه محفور في الأرض، وفيه الحيات والعقارب وهو مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار، وأما سجن القتل: فإنه محفور في الأرض أربعين زراعاً وكان الملك إذا سخط على أحد يلقيه فيه على أم رأسه فلا يصل إلى قعره إلا وقد هلك، وأما سجن العافية: فإنه كان على وجه الأرض إلى جانب قصره فإذا غضب على أحد من حاشيته حبسه في ذلك السجن، فلما أرادت زليخا أن يسجن يوسف أرسلت إلى سجان سجن العافية وأمرته أن يصلح فيه مكاناً منفرداً ليوسف ثم قالت ليوسف: لقد أعييتني وانقطعت فيك حيلتي فلأسلمنك إلى المعذبين يعذبونك كما عذبتني، ولألبسنك بعد الحلي والحلل جبة صوف تأكل جلدك ولأقيدنك بقيد من حديد يأكل رجليك ثم نزعت ما كان عليه من اللباس وألبسته جبة صوف، وقيدته بقيد من حديد، كما قال المولى الجامي:

ز آهن بند بر سيمش نهادند   بكردن طوق تسليمش نهادند
بسان عيسى اش برخر نشاندند   بهر كويى ز مصران خر براندند

مـنـادي زن مـنـادي بـر كـشـيـده — كـه هـر سـركـش غـلام شـوخ ديـده
كـه كـيـرد شـيـوهٔ بـي حـرمـتـي پـيـش — نـهـد پـا در فـراش خـواجـهٔ خـويـش
بـود لائـق كـه هـمـچـون نـاپـسـنـدان — بـديـن خـواري بـرنـدش سـوى زنـدان
ولـي خـلـقـي زهـر سـو در تـمـاشـا — هـمـي كـفـتـنـد حـاشـا ثـم حـاشـا
كـزيـن روى نـكـوبـد كـارى آيـد — وزيـن دلـدار دل آزاري آيـد
فرشتست اين بصد پاكى سرشته — نـيـايـد كـار شـيـطـان از فـرشـتـه
چـنـان كـز زشـت نـيـكـويـى نـيـايـد — زنـيـكـونـيـز بـد خـويـى نـيـايـد
بـديـنـسـان تـا بـزنـدانـش بـبـردنـد — بـعـيـاران زنـدانـش سـپـردنـد

فلما دنا من باب السجن نكس رأسه، فلما دخل قال: بسم الله وجلس وأحاط به أهل السجن وهو يبكي، وأتاه جبريل وقال له: مم بكاؤك وأنت اخترت السجن لنفسك؟ فقال: إنما بكائي لأنه ليس في السجن مكان طاهر أصلي فيه، فقال له جبريل: صل حيث شئت فإن الله قد طهر خارج السجن وداخله أربعين ذراعاً لأجلك، فكان يصلي حيث شاء، وكان يصلي ليلة الجمعة عند باب السجن. قال المولى الجامي:

چـون آن دل زنـده در زنـدان در آمـد — بـجـسـم مـرده كـويـى جـان بـر آمـد
دران مـحـنـت سـرا افـتـاد جـوشـى — بـر آمـد زان كـرفـتـاران خـروشـي
بـشـادي شـد بـدل انـدوه ايـشـان — كـم از كـاهـى غـم چـون كـوه ايـشـان
بـهـرچـا يـاركـلـر خـسـار كـردد — اكـر كـلـخـن بـود كـلـزار كـردد

ـ حكي ـ أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن، فقال: اللهم اعطف عليهم الأخيار ولا تخفِ عنهم الأخبار فيقال: إنهم أعلم الناس بكل خبر.

چـون درزنـدان كـرفـت از جـنـبـش آرام — بـنـدانـيـان زلـيـخـا داد پـيـغـام
كـزيـن پـس مـحـنـتـش مـپـسـنـد بـر دل — ز كـردن غـل زپـايـش بـنـد بـكـسـل
تـن سـيـمـيـنـش از پـشـمـيـن مـفـرسـاي — بـذر كـش حـلـهٔ سـروش بـيـاراي
بـشـوى از فـرق او كـرد نـژنـدى — زتـاج حـشـمـتـش ده سـر بـلـنـدي
يـكـى خـانـه بـاري اوجـدا كـن — جـدا از ديـكـران آنـجـاش جـاكـن
زمـيـنـش راز سـنـدس فـرش انـداز — زاسـتـبـرق بـسـاط دلـكـش انـداز
دران خـانـه چـومـنـزل سـاخـت يـوسـف — بـسـاط بـنـدكـى انـداخـت يـوسـف
رخ آورد آنـچـنـان كـش بـود عـادت — دران مـنـزل بـمـحـراب عـبـادت
چـو مـردان در مـقـام صـبـر بـنـشـسـت — بـشـكـرانـه كـه ازكـيـد زنـان رسـت
نـيـفـتـد درجـهـان كـس را بـلايـى — كـه نـايـد زان بـلا بـوي عـطـايـي
اسـيـرى كـز بـلا بـاشـد هـراسـان — كـنـد بـوي عـطـا دشـوارس آسـان

ثم إن زليخا أثر في قلبها الفراق وإحراق نار الاشتياق.

چـو قـدر نـعـمـت ديـدار نـشـنـاخـت — بـداغ دورى ازديـدار بـكـداخـت

وصارت دارها عين السجن في عينها.

بـه تـنـك آمـد دران زنـدان دل او — يـكـى صـد شـد زهـجـران مـشـكـل او
چـه آسـايـش دران كـلـزار مـانـد — كـزان كـل رخـت بـنـدد خـار مـانـد

زدل خونين رقم بر رو همي زد   بحسرت دست بر زانو همي زد
كه اين كارى كه من كردم كه كردست   چنين زهري كه من خوردم كه خوردست
درين محنت سرايك عشق پيشه   نزد چون من بپاي خويش تيشه

وكانت تتفكر في إلقاء نفسها من أعلى القصر أو شرب السم حتى تهلك، وكانت لها داية تسليها وتحثها على الصبر.

زمن بشنوكه هشتم پير اين كار   شكيبايى بود تدبير اين كار
بصبر اندر صدف باران شود در   بصبر از لعل وكوهر كان شود پر

ثم إنها عيل صبرها فجاءت ليلة مع دايتها إلى السجن وطالعت جمال يوسف من بعيد.

بديدش بر سر سجاده ازدور   چو خورشيد در خشان غرقهٔ نور
كهى چون شمع برپا ايستاده   زرخ زندانيانرا نور داده
كهى خم كرده قامت چون مه نو   فكنده بربساط از چهره پرتو
كهى سر برزمين از عذر تقصير   چو شاخ تازه كل ازباد شبكير
كهى طرح تواضع در فكنده   نشسته چون بنفشه سر فكنده

ثم لما أصبحت جعلت تنظر من روزنة القصر إلى جانب السجن.

نبودي هيچكه خالي ازين كار   كهى ديوار ديدي كاه ديدار
زنعمتهاى خوش هر لحظه چيزى   نهادى بر كف محرم كنيزى
فرستادى بزندان سوى يوسف   كه تاديدي بجايش روى يوسف
بكشت از حال خودروزى مزاجش   بزخم نشتر افتاد احتياجش
ز خونش بر زمين دردیدهٔ کس   نيامد غير يوسف يوسف وبس
بكلك نشتر استاد سبك دست   بلوح خاك نقش اين حرف را بست
چنان ازدوست پر بودش رك وپوست   كه بيرون نا مدش از پوست جزدوست
خرش آنكس كورهايى يابداز خويش   نسيم آشنايى يابد از خويش
نه بويى باشدش ازخود نه رنكى   نه صلحي باشدش باكس نه جنكى
نيارد خويشتن را در شمارى   نكيرد پيش غير ازعشق كارى

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ أي: أدخل يوسف السجن واتفق أن أدخل حينئذٍ آخران من عبيد الملك الأكبر وهو ريان بن الوليد، أحداهما شرابيه، واسمه أبروها أويونا، والآخر خبازه واسمه غالب أو مخلب - روي - أن جماعة من أهل مصر ضمنوا لهما مالاً لَيَسمَّا الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم إلى ذلك، ثم إن الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز، فلما حضر الطعام قال الساقي: لا تأكل أيها الملك فإن الخبز مسموم وقال الخباز: لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم، قال الملك: للساقي أشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجربه بدابة فهلكت، فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلاه معه، وكأنه قيل ماذا صنعا بعد ما دخلا معه السجن فأجيب بأن **﴿قال أحدهما﴾** وهو الشرابي **﴿إني أراني﴾** في المنام كأني في

بستان، فإذا أنا بأصل حبلة حسنة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرها فيه وسقيت الملك فشربه، وذلك قوله تعالى: ﴿أعصر خمراً﴾ أي: عنباً سماه بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر ﴿وقال الآخر﴾ وهو الخباز ﴿إني أراني﴾ كأني في مطبخ الملك ﴿أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ فوق بمعنى على، أي: على رأسي، ومثله. ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] كما في «التبيان» ثم وصف الخبز بقوله. ﴿تأكل الطير منه﴾ يعني كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وألوان الأطعمة وأرى سباع الطير يأكلن من السلة العليا.

واختلف في أنهما هل رأيا رؤيا أو لم يريا شيئاً فتحالما اختباراً ليوسف، لأنه لما دخل السجن، قال لأهله: إني أعبر الأحلام ورأى أحدهما وهو الناجي وكذب الآخر وهو المصلوب. ﴿نبئنا بتأويله﴾ أي: أخبرنا بتفسير ما ذكر من الرؤيين وما يؤول إليه أمرهما وعبارة كل واحد منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] فإنهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به ﴿إنا نراك﴾ يجوز أن تكون من الرؤية بالعين وأن يكون من الرؤية بالقلب كما في «بحر العلوم» ﴿من المحسنين﴾ الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلاً حسناً ويقع الأمر على ما عبر به أو من المحسنين إلى أهل السجن، أي فأحس إلينا بكشف غمتنا إن كنت قادراً على ذلك، كما قال المولى الجامي:

چو زندان بركر فتاران زندان ... شد از ديدار يوسف باغ خندان
همه از مقدم او شاد كشتند ... زبند دردورنج آزاد كشتند
بكردن غلشان شد طوق اقبال ... بپا زنجير شان فرخنده خلخال
اكر زندانئ بيمار كشتى ... اسير محنت وتيمار كشتى
كمر بستي پي بيمار داريش ... خلاصي دادي از تيمار اريش
اكر جابر كرفتارى شدى تنك ... سوى تدبير كارش كردي آهنك
كشاده روشدي اورا دوا جوى ... زتنكى دركشاد آورديش روى
وكر بر مفلسي عشرت شدى تلخ ... زنا داري نموده غره اش سلخ
ززرداران كليد زر كرفتي ... زعيشش قفل تنكى بر كرفتي
وكر خوابي بديدي تنك بختي ... بكرداب بلا افتاده رختي
شنيدي ازلبش تعبير آن خواب ... بخشكي آمدي رختش زكرداب

وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول: ابشروا واصبروا تؤجروا.

صبوري مايهٔ اميدت آرد ... صبوري دولت جاويدت آرد

فقالوا: بارك الله عليك ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك، لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك، فكن في أي بيوت السجن شئت ـ وروي ـ أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك، فقال:

أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبني زوجة صاحبي، فدخل عليّ من حبها بلاء، فلا تحباني بارك الله فيكما.

قال بعضهم: ابتلى يوسف بالعبودية والسجن ليرحم المماليك والمسجونين إذا صار خليفة وملكاً في الأرض، وابتلى بجفاء الأقارب والحساد ليعتاد الاحتمال من القريب والبعيد وابتلى بالغربة ليرحم الغرباء وفي الخبر «يجاء بالعبد يوم القيامة فيقال له ما منعك أن تكون عبدتني؟ فيقول: ابتليتني فجعلت علي أرباباً فشغلوني فيجاء بيوسف عليه السلام في عبوديته فيقال: أنت أشد أم هذا؟ فيقول: بل هذا، فيقال لِمَ لم يمنعه ذلك أن عبدني، ويجاء بالغني فيقال ما منعك أن تكون عبدتني فيقول يا رب كثرت لي من المال فيذكر ما ابتلى به فيجاء بسليمان عليه السلام فيقال ءانت أغنى أم هذا؟ فيقول: بل هذا فيقول: لِمَ لم يمنعه ذلك أن عبدني، ويجاء بالمريض فيقال له ما منعك أن تعبدني فيقول: رب ابتليتني، فيجاء بأيوب عليه السلام فيقال: ءانت أشد ضراً وبلاء أم هذا؟ فيقول: بل هذا فيقال: لِمَ لم يمنعه ذلك إن عبدني، ويجاء بيائس من رحمة الله بسبب عصيانه، فيقال: لِمَ يئست من رحمتي؟ فيقول: لكثرة عصياني، فيجاء بفرعون فيقال أأنت كنت أكثر عصياناً أم هذا؟ فيقول بل هذا: فيقال له: ما هو يائس من الرحمة التي وسعت كل شيء حيث أجرى كلمة التوحيد على لسانه عند الغرق، فيوسف حجة على من ابتلى بالرق، والعبودية، إذا قصر في حق الله تعالى. وسليمان حجة على الملوك والأغنياء. وأيوب حجة على أهل البلاء. وفرعون حجة على أهل اليأس نعوذ برب الناس» أي بالنسبة إلى ظاهر الحال عند الغرق وإن كان كافراً في الحقيقة بإجماع العلماء وليس ما جرى على الأنبياء والأولياء من المحن والبلايا عقوبات لهم بل هي تحف وهدايا وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً».

جاميا دل بغم ودردنه اندرره عشق كه نشد مردره آنكس كه نه اين درد كشيد

والإشارة أنه لما دخل يوسف القلب سجن الشريعة، دخل معه السجن فتيان وهما ساقي النفس وخباز البدن غلامان لملك الروح أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فالنفس صاحب شرابه تهيىء لملك الروح ما يصلح له شربه منه فإن الروح العلوي الأخروي لا يعمل عملاً في السفلى البدني إلا بشرب يشربه النفس، والبدن صاحب طعامه الذي يهيىء من الأعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح، والروح لا يبقى إلا بغذاء روحاني باق، كما أن الجسم لا يبقى إلا بغذاء جسماني، وإنما حبسا في سجن الشريعة لأنهما مهتمان بأن يجعلا السم في شراب ملك الروح وطعامه فيهلكاه وهو سم الهوى والمعصية، فإذا كانا محبوسين في سجن الشريعة أمن ملك الروح من شرهما، والنفس والبدن كلاهما دنيوي وأهل الدنيا نيام، فإذا ماتوا انتبهوا وكل عمل يعمله أهل الدنيا هو بمثابة الرؤيا التي يراها النائم، فإذا انتبه بالموت يكون لها تأويل يظهر لها في الآخرة ويوسف القلب بتأويل مقامات أهل الدنيا عالم، لأنه من المحسنين أي الذين يعبدون الله على الرؤية والمشاهدة بقلوب حاضرة عند مولاهم وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة، وكل حكم صدر من تلك الحضرة فهم شاهدوه في الغيب، كما قبل نزوله إلى عالم الغيب، فكسته القوة المتخيلة عند عبوره عليها كسوة خيالية تناسب معناه، فصاحب الرؤيا إن كان عالماً بلسان الخيال يعبره ولا يعرضه على المعبر ليكون ترجماناً له

فيترجم له بلسان الخيال، فيخبره عن الحكم الصادر من الحضرة الإلهية، فلهذا كانت الرؤيا الصالحة جزءاً من أجزاء النبوة لأنها فرع من الوحي الصادر من الله وتأويل الرؤيا جزء أيضاً من أجزاء النبوة لأنه علم لدني يعلمه الله من يشاء من عباده.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿قال﴾ يوسف أراد أن يدعو الفتيين إلى التوحيد الذي هو أولى بهما وأوجب عليهما مما سألا منه ويرشدهما إلى الإيمان، ويزينه لهما قبل أن يسعفهما بذلك كما هو طريقة الأنبياء والعلماء الصالحين في الهداية والإرشاد والشفقة على الخلق، فقدم ما هو معجزة من الأخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير

﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ تطعمانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة. **﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يأتيكما طعام في حال من الأحوال إلا حال ما نبأتكما به بأن بينت لكما ماهيته من أي جنس هو ومقداره وكيفيته من اللون والطعم وسائر أحواله، وإطلاق التأويل عليه بطريق الاستعارة فإن ذلك بالنسبة إلى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر إلى ما رؤي في المنام وشبيه له. **﴿قبل أن يأتيكما﴾** قبل أن يصل إليكما، وكان يخبر بما غاب مثل عيسى عليه السلام كما قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وفي المثنوي:

اين طبيبان بدن دانشورند	بر سقام تو زتو واقفترند
تاز قاروره همي بينند حال	كه نداني توازان رو اعتدال
هم زنبض وهم زرنك وهم زدم	بو برند ازتو بهر كونه سقم
پس طبيبان الهي درجهان	چون ندانند ازتوبى كفت دهان
هم زنبضت هم زچشمت هم زرنك	صد سقم بينند درتو بي درنك
اين طبيبان نو آموزند خود	كه بدين آياتشان حاجت بود
كاملان ازدور نامت بشنوند	تا بقعر تارو بودت دررووند
بلكه پيش اززادن توسالها	ديده باشندت ترا با حالها

﴿ذلكما﴾ أي: ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات أيها الفتيان **﴿مما علمني ربي﴾** بالوحي والإلهام وليس من قبل التكهن والتنجم وذلك أنه لما نبأهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت وكم تأكلان فيجدان كما أخبرهما قالا: هذا من فعل العرافين والكهان، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ذلك العلم مما علمني ربي، وفيه دلالة على أن له علوماً جمة ما سمعناه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها وكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل: **﴿إني﴾** أي: لأني **﴿تركت﴾** رفضت **﴿ملة قوم﴾** أي: قوم كان من قوم مصر وغيره **﴿لا يؤمنون بالله﴾** والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام. **﴿وهم بالآخرة﴾** وما فيها من الجزاء **﴿هم كافرون﴾** على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في الكفر.

قال في «بحر العلوم»: هذا التعليل من أبين دليل على أن أفعال الله معللة بمصالح العباد كما هو رأي الحنفية مع أن الأصلح لا يكون واجباً عليه، قالوا: وما أبعد عن الحق قول من قال إنها غير معللة بها، فإن بعثة الأنبياء لاهتداء الخلق، وإظهار المعجزات لتصديقهم، وأيضاً لو لم يفعل لغرض يلزم العبث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: يعني لما تركت هذه الملة علمني ربي وفيه إشارة إلى أن القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة وملتهم أنهم قوم لا يؤمنون بالله لأن النفس تدعي الربوبية، كما قال نفس فرعون أنا ربكم الأعلى، والهوى يدعي الألوهية كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والطبيعة هي التي ضد الشريعة.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾ عرف شرف نسبه وأنه من أهل بيت النبوة لتتقوى رغبتهما في الاستماع منه والوثوق عليه، وكان فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أمراً مشهوراً في الدنيا فإذا ظهر أنه ولدهم عظموه ونظروا إليه بعين الإجلال وأخذوا منه، ولذلك جوز للعالم إذا جهلت منزلة في العلم أن يصف نفسه ويعلم الناس بفضله حتى يعرف فيقتبس منه وينتفع به في الدين، وفي الحديث: «إن الله يسأل الرجل عن فضل علمه كما يسأله عن فضل ماله» وقدم ذكر ترك ملة الكفرة على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة، وفيه إشارة إلى أن الاتباع سبب للفوز بالكمالات والظفر بجميع المرادات والإشارة أن ملة إبراهيم السر وإسحاق الخفاء ويعقوب الروح التوحيد والمعرفة، ﴿**ما كان**﴾ أي: ما صح وما استقام فضلاً عن الوقوع ﴿**لنا**﴾ معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا. ﴿**أن نشرك بالله من شيء**﴾ أي شيء كان من ملك أو جني أو أنسي فضلاً عن الجماد الذي لا يضر ولا ينفع ﴿**ذلك**﴾ التوحيد المدلول عليه بقوله ﴿**ما كان لنا**﴾ الخ ناشىء ﴿**من فضل الله علينا**﴾ بالوحي يعني [بوحي مارا آكاهى داده] ﴿**وعلى الناس**﴾ كافة بواسطتنا وأرسالنا لإرشادهم إذ وجود القائد للأعمى رحمة من الله أية رحمة ﴿**ولكن أكثر الناس**﴾ المبعوث إليهم ﴿**لا يشكرون**﴾ هذا فيعرضون عنه ولا ينتهون ولما كان الأنبياء وكمل الأولياء وسائط بين الله وخلقه لزم شكرهم تأكيداً للعبودية وقياماً بحق الحكمة.

﴿**يا صاحبي السجن**﴾ الإضافة بمعنى في، أي يا صاحبي في السجن لما ذكر ما هو عليه من الدين القويم تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتيين من عبادة الأصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي يخلص فيه المودة ويتمحض فهي النصيحة. ﴿**ءأرباب متفرقون**﴾ الاستفهام إنكاري [آيا خدايان پراكنده كه شما داريد اززر ونقره وآهن وچوب وسنك] أو من صغير وكبير ووسط كما في «التبيان». ﴿**خير**﴾ لكما ﴿**أم الله**﴾ المعبود بالحق ﴿**الواحد**﴾ المنفرد بالألوهية ﴿**القهار**﴾ الغالب الذي لا يغالبه أحد، وفيه إشارة إلى أن الله يقهر بوحدته الكثرة وأن الدنيا والهوى والشيطان وإن كان لها خيرية بحسب زعم أهلها لكنها شر محض عند الله تعالى لكونها مضلة عن طريق طلب أعلى المطالب وأشرف المقاصد.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ما تعبدون﴾ الخطاب لهما ولمن على دينهما. ﴿من دونه﴾ أي من دون الله شيئاً. ﴿إلا أسماء﴾ مجردة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط. ﴿سميتموها﴾ جعلتموها أسماء ﴿أنتم وآباؤكم﴾ بمحض جهلكم وضلالتكم. ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة. ﴿من سلطان﴾ من حجة تدل على صحتها ﴿إن الحكم﴾ في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية ﴿إلا لله﴾ لأنه المستحق لها بالذات؛ إذ هو الواجب بالذات الموجد للكل، والمالك لأمره، فكأنه قيل فماذا حكم الله في هذا الشأن فقيل: ﴿أمر﴾ على ألسنة الأنبياء ﴿أن لا تعبدوا﴾ أي بأن لا تعبدوا ﴿إلا إياه﴾ الذي دلت عليه الحجج ﴿ذلك﴾ تخصيصه تعالى بالعبادة ﴿الدين القيم﴾ أي الثابت أو المستقيم وهو دين الإسلام الذي لا عوج فيه وأنتم لا تميزون الثابت من غيره، ولا المعوج من القويم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وهو باعتبار الأصول واحد وباعتبار الفروع مختلف ولا يقدح الكثرة العارضة بحسب الشرائع المبنية على استعدادات الأمم في وحدته. ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فيخبطون في جهالتهم.

واعلم أن ما سوى الله تعالى ظل زائل، والعاقل لا يتبع الظل بل يتبع من خلق الظل، وهو الله تعالى واتباعه به هو تدينه بما أمر به، ومن جملته قصر العبادة له بالاجتناب عن الشرك الجلي والخفي وهو الإخلاص التام الموصل إلى الله الملك العلام.

قال بعض الفضلاء: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيد انتهى ـ وحكي ـ أن أمرة قالت لجماعة ما السخاء عندكم؟ قالوا: بذل المال قالت هو سخاء أهل الدنيا والعوام، فما سخاء الخواص؛ قالوا: بذل المجهود في الطاعة، قالت: ترجون الثواب قالوا: نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأين السخاء؟ قالوا: فما عندك قالت: العمل لله تعالى لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب، وذلك لا يمكن إلا بالتجريد والتفريد والوصول إلى حقيقة الوجود، وبمثل هذا العمل يصل المرء إلى الله تعالى ويجد الله أطوع له فيما أراد، ولا تزال العوالم في قبضته بإذن الله تعالى فيحكم بحكم الله تعالى ويعلم بعلم الله تعالى فيخبر عن المغيبات كما وقع ليوسف عليه السلام.

قال أبو بكر الكتاني قال لي الخضر كنت بمسجد صنعاء وكان الناس يستمعون الحديث من عبد الرزاق وفي زاوية المسجد شاب في المراقبة فقلت له لم لا تسمع كلام عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق، فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا؟ فقال: أنت الخضر؛ فللّه عباد قد بدلوا الحياة الفانية بالحياة الباقية وذلك ببذل الكل وإفنائه في تحصيل الوجود الحقاني وعملوا لله في الله بإسقاط ملاحظة الدارين، فكوشفوا عن صور الأكوان وحقائق المعاني.

وعن قدوة العارفين الشيخ عبد الله القرشي رحمه الله قال: دخلت مصر في أيام الغلاء

الكبير فعزمت أن ادعو الله لرفعه، فنوديت بالمنع فسافرت إلى الشام، فلما دنوت من قبل خليل الله تلقاني الخليل عليه السلام، فقلت يا خليل الله اجعل ضيافتي الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرج الله عنهم.

فقال الإمام اليافعي: قول الشيخ تلقاني الخليل حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السموات.

ثم اعلم أن جميع الأنبياء أمروا بالإيمان وإخلاص العبادة، والإيمان يقبل البلى كما دل عليه قوله عليه السلام: «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله» وذلك بزوال الحب فلا بد من تجديد عقد القلب بالتوحيد، وكلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات فتنفي ما سوى المعبود وتثبت ما هو المقصود، ويصل الموحد إلى كمال الشهود، وحصول ذلك بنور التلقين والكينونة مع أهل الصدق واليقين، وأقل الأمر ملازمة المجالس وربط القلب بواحد منهم نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتحصيل المناسبة المعنوية بعد المجالسة الصورية إنه وهاب العطايا فياض المعاني والحقائق.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿يا صاحبي السجن﴾ الإضافة بمعنى في كما سبق. والمعنى بالفارسية [اي ياران زندان]. **﴿أما أحدكما﴾** وهو الشرابي ولم يعينه لدلالة لتعبير عليه. **﴿فيسقي﴾** [بياشاماند] **﴿ربه﴾** سيده **﴿خمراً﴾** كما كان يسقيه قبل ـ روي ـ أنه عليه السلام قال له: أما ما رأيت من الكرمة وحسنها فهو الملك وحسن حالك عنده، أو قال له ما أحسن ما رأيت أما حسن الحبلة، وهي أصل من أصول الكرم فهو حسن حالك وسلطانك وعزك وأما القضبان الثلاثة، فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم يوجه الملك إليك عند انقضائهن فيردك إلى عملك فتصير كما كنت بل أحسن **﴿وأما الآخر﴾** وهو الخباز **﴿فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾** [ازكلهء سروى].

ـ روي ـ أنه عليه السلام قال له: بئس ما رأيت أما خروجك من المطبخ فخروجك من عملك وأما السلال الثلاثة فثلاثة أيام تمر ثم يوجه الملك إليك عند انقضائهن فيصلبك فتأكل الطير من رأسك.

وفي «الكواشي»: أكل الطير من أعلاها إخراجه في اليوم الثالث. **﴿قضي الأمر﴾** فرغ منه وأتم وأحكم وهو ما رأياه من الرؤيين وإسناد القضاء إليه مع أنه من أحوال مآله وهو نجاة أحدهما وهلاك الآخر لأنه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة **﴿الذي فيه تستفتيان﴾** تطلبان فتواه وتأويله ـ روي ـ أنه لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئاً، فأخبر أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما، ولعل الجحود من الخباز؛ إذ لا داعي إلى جحود الشرابي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه فكان كما عبر يوسف حيث أخرج الملك صاحب الشراب ورده إلى مكانه وخلع عليه وأحسن إليه لما تبين عنده حاله في الأمانة، وأخرج الخباز ونزع ثيابه وجلده بالسياط حتى مات لما ظهر عنده خيانته وصلبه على قارعة الطريق، وأقبلت طيور سود فأكلت من رأسه وهو أول من استعمل الصلب ثم استعمله فرعون موسى كما حكي عنه من قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] ـ وروي ـ أن النبي ﷺ

لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة ومر بعرق الظبية وهي شجرة يستظل بها أمر فصلب عقبة بن أبي معيط من الأسارى وهو أول مصلوب من الكفار في الإسلام وكان يفتري على رسول الله في مكة وبزق مرة في وجهه والصلب أصعب أنواع أسباب الهلاك لانحباس النفس في البدن ويفعله الحاكم بحسب ما رأى في بعض المجرمين تشديداً للجزاء وليكون عبرة للناس.

والإشارة: إما النفس فسقى الروح خمراً، وهو ما خامر العقل مرة من شراب الشهوات واللذات النفسانية وتارة بأقداح المعاملات والمجاهدات شراب الكشوف والمشاهدات الربانية وهي باقية في خدمة ملك الروح أبداً، وأما البدن فيصلب بحبل الموت فتأكل طير أعوان الملك من رأسه الخيالات الفاسدة التي جمعت في أم دماغه.

واعلم: أن الموت أشد شيء وأن المرء ينقطع عنده عن كل شيء ولا يبقى معه إلا ثلاث صفات صفاء القلب وأنسه بذكر الله وحبه لله، ولا يخفى إن صفاء القلب وطهارته عن أدناس الدنيا لا تكون إلا مع المعرفة، والمعرفة لا تكون إلا بدوام الذكر والفكر، وخير الأذكار التوحيد وفي الحديث: «ذكر الله علم الإيمان، وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار». قال المولى الجامي:

دلت آيينهٔ خداي نماست　　روى آيينهٔ توتيره چراست
صيقلى داري صيقلي ميزن　　باشد آيينهٔ ات شود روشن
صيقل آن اكرنهٔ آكاه　　نيست جز لا إله إلا الله

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وقال﴾ يوسف ﴿للذي ظن﴾ يوسف ﴿أنه ناج منهما﴾ [ازان هردو يعني ساقيرا] أي وثق وعلم لأن الظن من الأضداد يكون شكا ويقيناً فالتعبير بالوحي، كما ينبىء عنه قوله: ﴿قضي الأمر﴾ إذ لو بنى جوابه على التعبير لما قال قضي، لأن التعبير على الظن، والقضاء هو الإلزام الجازم والحكم القاطع الذي لا يصح ابتناؤه على الظن ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي: سيدك وقل له في السجن غلام محبوس ظلماً طال حبسه لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة.

بكو هست اند اران زندان غريبي　　زعدل شاه دوران بي نصيبي
چنينش بي كنه مپسند رنجور　　كه هست اين از طريق معدلت دور

[أما چون تقرب برسيد واز ساغر جاه ودولت سرخوش كرديد از زندان وازاهل آن غافل شد] ﴿فأنساه الشيطان﴾ أي أنسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه أشغالاً تعوقه عن الذكر وإلا فالإنساء في الحقيقة الله تعالى، والفاء للسببية فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيرة تعالى كانت باعثة لما ذكر من الإنساء ﴿ذكر ربه﴾ أي: ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والإضافة لأدنى ملابسة، يعني أن الظاهر أن يقال ذكره لربه على إضافة المصدر إلى مفعوله لأن الشائع في إضافته أن يضاف إلى الفاعل، أو المفعول به الصريح إلا أنه أضيف إلى غير الصريح للملابسة. قال المولى الجامي:

چنان رفت آن وصيت از خيالش　　كه بر خاطر نيامد چند سالش
نهال وعده اش مأيوسى آورد　　بزندان بلا محبوسي آورد

بـلـى آنـراكـه ايـزد بـركـزيـنـد بـصـدر عـز مـعـشـوقـي نـشـيـنـد
ره أسـبـاب درويـشـي بـه بـنـدد رهـيـن ايـن وآنـش كـم پـسـنـدد
نـخـواهـد دسـت او در دامـن كـس اسـيـردام خـويـشـش خـواهـد وبـس

وفي القصص أن زليخا سألت العزيز أن يخرج يوسف من السجن فلم يفعل وأنساهم الله أمر يوسف فلم يذكره ﴿فلبث﴾ يوسف بسبب ذلك الإنساء أو القول ﴿في السجن بضع سنين﴾ نصب على ظرف الزمان أي سبع سنين بعد الخمس لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس».

قال في «الفتح» لبث يوسف في السجن اثنتي عشرة سنة عدد حروف اذكرني عند ربك فصاحباه اللذان دخلا معه السجن بقيا محبوسين فيه خمس سنين، ثم رأيا رؤياهما قبل انقضاء تلك المدة بثلاثة أيام، وفي هذا العدد كمال القوة والتأثير كالأئمة الاثني عشر على عدد البروج الاثني عشر وملائكة البروج الاثني عشر أئمة العالم والعالم، تحت إحاطتهم وفي الخبر إشارة إلى قوة هذا العدد معنى إذ اثنا عشر ألفاً لن يغلب عن قلة أبداً، ولذلك وجب الثبات على العسكر إذا وجد العدد المذكور، ولا إله إلا الله اثنا عشر، حرفا وكذا محمد رسول الله، ولكل حرف ألف باب فيكون للتوحيد اثنا عشر الف باب.

يقول الفقير: حبس الله تعالى يوسف في السجن اثني عشر عاماً لتكميل وجوده بكمالات أهل الأرض، والسماء، ففي العدد المذكور إشارة إليه مع إخوته الأحد عشر فله القوة الجمعية الكمالية فافهم.

قال بعضهم: فأنساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره وليس ذلك من باب الإغواء حتى يخالف إلا عبادك منهم المخلصين فإن معناه الإضلال بل هو من ترك الأولى.

وفي «بحر العلوم» والاستعانة بغير الله في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء الذين هم أفضل الخلق وأهل الترقي فهي تنزل من باب ترك الأولى والأفضل، ولا شك أن الأنبياء يعاتبون على الصغائر معاتبة غيرهم على الكبائر كما في «الكواشي». وليس ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺلم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يغلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه مخالفاً له إذ ليس فيه استعانة في كشف الشدة النازلة بغير الله، بل هو استئناس كما في «حواشي سعدي المفتي» ـ وحكي ـ أن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين إن الله كرمني بك وبآبائك وهو يقرئك السلام، ويقول لك أما استحييت مني إذا استعنت بغيري، وعزتي لا لبثنك في السجن بضع سنين قال يا جبريل: وهو عني راض قال نعم، إذا لا أبالي، وكان الواجب عليه أن يقتدي بجده إبراهيم في ترك الاستعانة بالغير كما روي أنه قال له جبريل حين رمى به في النار: هل لك حاجة فقال: أما إليك فلا قال فسل ربك قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وعن مالك بن دينار لما قال يوسف للشرابي: اذكرني عند ربك قال الله تعالى يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال يا رب أقسى قلبي كثرة الأحزان والبلوى فقلت كلمة ولا أعود.

وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس. قال الكمال الحجندي:

كيست در خوركه رسد دوست بفرياد دلش   آنكه فرياد جور وستم او نكند

پارسا پشت فراغت ننهد بر محراب   كر كند تكيه چرا بر كرم او نكند

والإشارة: وقال يوسف القلب المسجون في حبس الصفات البشرية للنفس اذكرني عند الروح، يشير إلى أن القلب المسجون في بدء أمره يلهم النفس بأن يذكره بالمعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح، وينتبه من نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس، ويسعى في استخلاص القلب من أسر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمداً من الألطاف الربانية، والشيطان بوساوسه يمحو عن النفس أثر الهامات القلب لينسى النفس ذكر الروح بتلك المعاملات.

وفيه معنى آخر: وهو أن الشيطان أنسى القلب ذكر ربه، يعني: ذكر الله حتى استغاث بالنفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال. ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ يشير إلى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس، وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر، كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وقال الملك﴾ أي ملك مصر وهو الريان بن الوليد ﴿إني أرى﴾ في المنام ﴿سبع بقرات﴾ جمع بقرة بالفارسية [كاو] ﴿سمان﴾ جمع سمينة نعت لبقرات ﴿يأكلهن سبع عجاف﴾ [هفت كاو لاغر] أي سبع بقرات عجاف جمع عجفاء والقياس عجف، لأن أفعل وفعلاء لا يجمع على فعال لكنه حمل على نقيضه وهو سمان والعجف الهزال والأعجف المهزول ـ روي ـ إنه لما قرب خروج يوسف من السجن جعل الله لذلك سبباً لا يخطر بالبال:

بسا قفلاكه ناپيدا كليدست   برو راه كشايش نا بديدست

ز ناكه دست ضنعي درميان نى   بفتحش هيج صانع را كمان نى

بديد آيد زغيب آنر اكشادى   وديعت در كشادش هر مرادي

چو يوسف دل زحيلتهاى خود كند   بريد از رشتهٔ تدبير پيوند

بجز ايزد نماند اورا پناهى   كه باشد در نوائب تكيه كاهى

ز پندار خودي وبخردي رست   كرفتش فيض فضلي ايزدى دست

وذلك أن الملك أكبر كان يتخذ في كل سنة عيداً على شاطىء النيل ويحشر الناس إليه فيطعمهم أطيب الطعام، ويسقيهم ألذ الشراب، وهو جالس على سريره ينظر إليهم فرأى ليلة الجمعة في منامه سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس أو من البحر، كما في الكواشي وخرج عقيبهن سبع بقرات مهازيل في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيء ﴿وسبع﴾ أي: وأرى سبع ﴿سنبلات﴾ جمع سنبلة ﴿خضر﴾ جمع خضراء نعت لسنبلات والمعنى بالفارسية [هفت خوشهٔ سبزو تازه كه دانهاى ايشان منعقد شده بود] ﴿وأخر﴾ أي سبعاً أخر ﴿يابسات﴾ قد أدركت الحصاد والتوت على الخضر حتى غلبن عليها،

وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات فلما استيقظ من منامه اضطرب بسبب أنه شاهد أن الناقص الضعيف استولى على الكامل، القوي فشهدت فطرته بأن هذه الرؤيا صورة شر عظيم يقع في المملكة إلا أنه ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب في تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع أعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم: ﴿**يا أيها الملأ**﴾ فهو خطاب للأشراف من العلماء والحكماء أو للسحرة والكهنة والمنجمين وغيرهم.

كما قال الكاشفي: [اي كروه كاهنان ومعبران وأشراف قوم] ﴿**أفتوني في رؤياي**﴾ هذه، أي عبروها وبينوا حكمها وما يؤول إليه من العاقبة، وبالفارسية [فتوى دهيد يعني جواب كوييد مرا] ﴿**إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾ أي: تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستمراً وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صور أمثلة لها من الأمور الآفاقية والأنفسية الواقعة في الخارج فالتعبير والعبارة الجواز من صورة ما رأى إلى أمر آخر من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا أثبت من عبرتها تعبيراً واللام للبيان، كأنه لما قيل كنتم تعبرون قيل لأي شيء فقيل للرؤيا وهذه اللام لم تذكر في بحث اللامات في كتب النحو.

واعلم: أن الرؤيا تطلب التعبير، لأن المعاني تظهر في الصور الحسية منزلة على المرتبة الخيالية، وأما إبراهيم عليه السلام فقد جرى على ظاهر ما أري في ذبح ابنه لأن شأن مثله أن يعمل بالعزيمة دون الرخصة ولو لم يفعل ذلك لما ظهر للناس تسليمه وتسليم ابنه لأمر الحق تعالى ـ وحكي ـ أن الإمام تقي بن مخلد صاحب المسند في الحديث رأى النبي ﷺ في المنام وقد سقاه لبناً فلما استيقظ استقاء وقاء لبناً أي ليعلم حقيقة هذه الرؤيا وتحقيق قوله عليه السلام: «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي» ولو عبر رؤياه لكان ذلك اللبن علماً فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما شرب من اللبن، ثم قاء، ووجه كون اللبن علماً أنه أول ما يظهر بصورة الحياة ويغتذى به الحيوان فيصير حياً، كما أن العلم أول ما يتعين به الذات فيظهر عالماً، ثم إن رآه عليه السلام أحد في المنام بصورته التي مات عليها من غير نقصان من أجزائه ولا تغير في هيئته فإنه يأخذ عنه جميع ما يأمره به أو ينهاه أو يخبره من غير تعبير وتأويل، كما كان يأخذ عنه من الأحكام الشرعية لو أدركه في الحياة الدنيا إلا أن يكون اللفظ مجملاً فإنه يؤوله، فإن أعطاه شيئاً في المنام فإن ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير، فإن خرج في الحس كما كان في الخيال فتلك الرؤيا لا تعبير لها ـ وحكي ـ أن رجلاً من الصلحاء رأى في المنام أنه لطم النبي عليه السلام فانتبه فزعاً وهاله ما رأى مع جلالة النبي عليه السلام عنده فأتى بعض الشيوخ فعرض عليه رؤياه، فقال له الشيخ: اعلم أنه عليه السلام أعظم من أن يكون عليه يد لك أو لغيرك، والذي رأيته لم يكن النبي عليه السلام إنما هو شرعه، قد أخللت بحكم من أحكامه وكون اللطم في الوجه يدل على أنك ارتكبت أمراً محرماً من الكبائر فافتكر الرجل في نفسه فلم يذكر أنه أقدم على محرم من الكبائر وكان من أهل الدين ولم يتهم الشيخ في تعبيره لعلمه بإصابته فيما كان يعبره، فرجع إلى بيته حزيناً فسألته زوجته عن سبب حزنه فأخبرها برؤياه وتعبير الشيخ فتعجبت الزوجة وأظهرت التوبة وقالت أنا أصدقك كنت حلفت أني إن دخلت دار فلان أحد معارفك فإني طالق، فعبرت على بابهم فحلفوا عليّ فاستحييت من إلحاحهم فدخلت إليهم وخشيت أن اذكر لك ما جرى فكتمت الحال، فتاب الرجل واستغفر وتضرع إلى الحق واعتدت المرأة ثم جدد العقد عليها.

ومن رأى الحق تعالى في صورة يردها الدليل لزم أن يعبر تلك الصورة التي توجب النقصان ويردها إلى الصورة الكمالية التي جاء بها الشرع، فما لم يكن عليه لا ينسب إليه تعالى كما في الأسماء، فما لم يطلق الشرع عليه ما لنا أن ننسبه إليه، وتلك الصورة التي ردها الدليل وجعلها مفتقرة إلى التعبير ما في حق حال الرائي يحسب مناسبته لتلك الصورة المردودة والمكان الذي يراه فيه أو في حقهما معاً ـ حكي ـ أن بعض الصالحين في بلاد الغرب رأى الحق تعالى في المنام في دهليز بيته، فلم يلتفت إليه فلطمه في وجهه فلما استيقظ قلق قلقاً شديداً فأخبر الشيخ الأكبر قدس سره بما رأى وفعل، فلما رأى الشيخ ما به من القلق العظيم قال له: أين رأيته؟ قال: في بيت لي قد اشتريته، قال الشيخ: ذلك الموضع مغصوب وهو حق للحق المشروع اشتريته ولم تراع حاله ولم تف بحق الشرع فيه فاستدركه فتفحص الرجل عن ذلك فإذا هو من وقف المسجد وقد بيع بغصب، ولم يعلم الرجل ولم يلتفت إلى أمره فلما تحقق رده إلى وقف المسجد واستغفر الله ولعل الشيخ علم من صلاح الرائي وشدة قلقه أنه ليس من قبيل الرائي فسأله عن المكان الذي رأى فيه فمثل هذا إذا رؤي يجب تأويله، وأما إذا كان التجلي في الصورة النورية كصورة الشمس أو غيرها من صور الأنوار كالنور الأبيض والأخضر وغير ذلك أبقينا تلك الصورة المرئية على ما رأينا كما نرى الحق في الآخرة فإن تلك الرؤية تكون على قدر استعدادنا فافهم المراتب والمواطن حتى لا تزل قدمك عن رعاية الظاهر والباطن.

وقد جاء في الحديث: «أن الحق يتجلى بصورة النقصان فينكرونه، ثم يتحول ويتجلى بصورة الكمال والعظمة فيقبلونه ويسجدون له» فمن صورة مقبولة ومن صورة مردودة فما يحتاج إلى التعبير ينبغي أن لا يترك على حاله فإن موطن الرؤيا وهو عالم المثال يقتضي التعبير ولذا قال ملك مصر. ﴿**أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**قالوا**﴾ استئناف بياني فكأنه قيل فماذا قال: الملأ للملك فقيل قالوا هي: ﴿**أضغاث أحلام**﴾ تخاليطها أي أباطيلها وأكاذيبها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، فإن الرؤيا ثلاث، رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما حدث المرء نفسه على ما ورد في الحديث. والاضغاث جمع ضغث.

قال في «القاموس» الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها انتهى. والأحلام جمع حلم بضم اللام وسكونها وهي الرؤيا الكاذبة لا حقيقة لها، لقوله عليه السلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، وإضافة الأضغاث إلى الأحلام من قبيل لجين الماء وهو الظاهر كما في «حواشي سعد المفتي» وجمعوا الضغث مع أن الرؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان فإن لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل لمن لا يركب إلا فرساً واحداً أو لتضمنها أشياء مختلفة من السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والآخر اليابسات فتأمل حسن موضع الأضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل. ﴿**وما نحن**

بتأويل الأحلام﴾ أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها **﴿بعالمين﴾** لا لأن لها تأويلاً ولكن لا نعلمه، بل لأنه لا تأويل لها، وإنما التأويل للمنامات الصادقة، ويجوز أن يكون ذلك اعترافاً منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير في تأويل الأحلام مع أن لها تأويلاً فكأنهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة والانتقال فيها من الأمور المخيلة إلى الحقائق العقلية الروحانية ليس بسهل وما نحن بمتبحرين في علم التعبير حتى نهتدي إلى تعبير مثلها، ويدل على قصورهم قول الملك **﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾** فإنه لو كان هناك متبحر لبت القول بالإفتاء ولم يعلقه بالشرط وهو اللائح بالبال وعلى تقدير تبحرهم عمى الله عليهم، وأعجزهم عن الجواب ليصير ذلك سبباً لخلاص يوسف من الحبس وظهور كماله.

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من صاحبي يوسف وهو الشرابي **﴿وادكر﴾** أصله اذتكر فقلبت التاء دالاً والذال دالاً وأدغمت، والمعنى تذكر يوسف وما قاله. **﴿بعد أمة﴾** أي مدة طويلة حاصلة من اجتماع الأيام الكثيرة وهي سبع سنين كما أن الأمة إنما تحصل من اجتماع الجمع العظيم، فالمدة الطويلة كأنها أمة من الأيام والساعات والجملة حال من الموصول.

قال الكاشفي: [ملك ريان وليد از جواب ايشان متحير كشته در درياي تفكر غوطه خورده كه آيا اين مشكل من كه كشايد وراه تعبير اين واقعه كه بمن نمايد]

يا رب اين خواب پريشان مرا تعبير چيست

[ساقى كه ملك را متفكر ديد از حال يوسفش ياد آمدى] أي تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه أن يذكره عند الملك فجثا بين يدي الملك أي جلس على ركبتيه فقال: **﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾** أي: أخبركم به خاطبه بلفظ الجماعة تعظيماً **﴿فأرسلون﴾** فابعثون إلى السجن فإن فيه رجلاً حكيماً من آل يعقوب يقال له يوسف يعرف تعبير الرؤيا قد عبر لنا قبل ذلك.

بود بيدار در تعبير هر خواب دلش از غوص اين دريا كهرياب
اكر كويى برو بكشايم اين راز وزو تعبير خوابت آورم باز
بكفتا اذن خواهي چيست ازمن چه بهتر كوررا از چشم روشن
مراچشم خرداين لحظه كورست كه از دانستن اين راز دورست

فارسلوه إلى يوسف فأتاه فاعتذر إليه وقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يا **﴿يوسف أيها الصديق﴾** البليغ في الصدق وإنما وصفه بذلك؛ لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه **﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾** أي: في رؤيا ذلك فإن الملك قد رأى هذه الرؤيا ففي قوله أفتنا مع أن المستفتي واحد إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة، وأنه في ذلك سفير، ولم يغير لفظ الملك وأصاب فيه إذ قد يكون بعض عبارات الرؤيا

متعلقة باللفظ ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ [تا باشدكه بازكردم بآن جواب تمام بسوى مردمان يعني ملك وملازمان او] ﴿لعلهم يعلمون﴾ [تاباشدكه ايشان ببركت تو بدانند تأويل اين واقعه را] كأنه قيل فما ذا قال يوسف في التأويل فقيل:

﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ مصدر دأب في العمل إذا جدّ فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون بمعنى دائبين أي مستمرين على الزراعة على عادتكم بجد واجتهاد، والفرق بين الحرث والزرع أن الحرث القاء البذر وتهيئة الأرض، والزرع مراعاته وإنباته ولهذا قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع فالزرع أعم لأنه يقال زرع أي طرح البذر وزرع الله، أي أنبت كما في «القاموس» أخبرهم أنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال ﴿فما حصدتم﴾ [پس آنچه بدرويد ازغلات در هر سال] ﴿فذروه في سنبله﴾ أي: اتركوه فيه ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وإنما أمرهم بذلك إذ لم يكن معتاداً فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمراً محقق الوقوع وتأويلاً للرؤيا ومصداقاً لما فيها من البقرات السمان. ﴿إلا قليلاً﴾ [مكراندكى بقدر حاجت] ﴿مما تأكلون﴾ في تلك السنين فأنتم تدرسون وقت حاجتكم إليه. وفيه إرشاد منه عليه السلام لهم إلى التقليل في الأكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر، لكون ذلك معلوماً من قوله قال تزرعون سبع سنين وبعد إتمام ما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي من بعد السنين المذكورات وهو عطف على تزرعون ﴿سبع شداد﴾ جمع شديدة، أي: سبع سنين صعاب على الناس لأن الجوع أشد من الأسر والقتل ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي يأكل أهلهن ما ادخرتم من الحبوب المتروكة في سنابلها، وفيه تنبيه على أن أمره بذلك كان لوقت الضرورة وإسناد الأكل إليهم مع أنه حال الناس فيهن مجاز كما في نهاره صائم. وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان، واللام في لهن ترشيح لذلك فكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيىء وقدم لهن، كالذي يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن. ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحرزون وتدخرون للبذر ﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ أي: من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة ﴿عام فيه﴾ [سالى كه درو] ﴿يغاث الناس﴾ من الغيث، أي يمطرون فيكون بناؤه من ثلاثي وألفه مقلوبة من الياء يقال غاثنا الله من الغيث، وبابه باع ويجوز أن يكون من الغوث، أي: ينقذون من الشدة، فيكون بناؤه من رباعي تقول أغاثنا من الغوث فالألف مقلوبة من الواو. ﴿وفيه يعصرون﴾ أي: ما شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها، وتكرير فيه لأن الغيث والغوث من فعل الله والعصر من فعل الناس، وأحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك، وإنما تلقاه من جهة الوحي فبشرهم بها، أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف للسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة وبيانه أن البقر في جنس الحيوانات هو المخصوص بالعجافة وتناول النباتات حلوها ومرها وشرب المياه صافيها

وكدرها، كما أن السنة هي التي تسع الأمور كلها مرغوبها ومكروهها وتأتي بالحوادث حسنها وسيئها، وأيضاً المعتبر في أمر التعبير هو عبارة الرائي وقد عبر الملك عن رؤياه ببقرات وسنبلات فاستشعر يوسف من الأول بالاشتقاق الكبير على ما هو المعول عليه عند الأكابر آت قرب ومن الثاني سنة بلاء، ثم إن البلاء مشترك بين الخير والشر والخضر فيه حرفان من الخير مع ظهور ضاد الضوء بها واليابس هو البائس كذا في «شرح الفصوص» للشيخ مؤيد الدين الجندي قدس سره.

يقول الفقير أصلحه الله القدير: وجه تخصيص البقرات والسنابل أن البقر عليه في الأكل والحنطة معظم معاش الناس، فأشارت الرؤيا إلى أن الناس يقعون في ضيق معاش من جهة الحنطة التي هي أول مأكولاتهم، ومعظم أغذيتهم، ولا ينافيه وجود قحط آخر من سائر الأنواع.

والإشارة: أن السبع البقرات السمان صفات البشرية السبع التي هي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر، والعجاف صفات الروحانية السبع التي هي أضداد صفات البشرية، وهي القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع، والملك الروح وهو ملك مصر القالب، والملأ الأعضاء والجوارح والحواس والقوى، وليس التصرف في الملكوت ومعرفة شواهده من شأنها، والناجي هي النفس الملهمة وهي إذا أرادت أن تعلم شيئاً مما يجري في الملكوت ترجع بقوة التفكر إلى القلب فتستخبر منه، فالقلب يخبرها لأنه يشاهد الملكوت ويطالع شواهده، وهو واقف بلسان القلب، وهو ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب الروحاني يؤول للنفس، ويفهمها تارة بلسان الخيال، وتارة بالفكر السليم وتارة بالإلهام، وقوله: **﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾** يشير إلى تربية صفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة، وذلك في سني أوان الطفولية قبل البلوغ وظهور العقل، وجريان قلم التكليف عليه **﴿فما حصدتم﴾** من هذه الصفات عند كماله فلا تستعملوه **﴿فذروه﴾** في أماكنه **﴿إلا قليلاً﴾** مما تعيشون به وهو بمنزلة الغذاء لمصالح قيام القالب إلى أن تبلغوا حد البلاغة، ويظهر نور العقل في مصباح السر عن زجاجة القلب كأنه كوكب دريّ، ونور العقل إذا أيد بتأييد أنوار تكاليف الشرع بعد البلوغ وشرف بإلهام الحق في إظهار فجور النفس، وهو صفات البشرية السبع وتقواها وهو الاجتناب بالتزكية عن هذه الصفات، والتحلية بصفات الروحانية السبع وكان السبع العجاف قد أكلن السبع السمان، وإنما سمي السبع العجاف لأنها من عالم الأرواح وهو لطيف، وصفات البشرية من عالم الأجساد تنشأ وهو كثيف، فسميت السمان، ولا يبقى من صفات البشرية عند غلبات صفات الروحانية إلا قليلاً يحصن به الإنسان حياة قالبه وبقاء صورته، وبعد غلبات صفات الروحانية واضمحلال صفات البشرية يظهر مقام، فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه يتبرأ العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب أنانيته، وكان حصنه وملجأه الحق تعالى كذا في «التأويلات النجمية». قال الكمال الخجندي:

جامه بده جان ستان روى مپيج اززيان عاشق بي مايه را عين زيانست سود
سر فناكوش كن جام بقا نوش كن حاجت تقرير نيست كزعدم آمد وجود

اللهم اجعلنا من أصحاب الفناء والبقاء وأرباب اللقاء.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وقال الملك﴾ أي ملك مصر وهو الريان ﴿ائتوني به﴾ أي بيوسف وذلك أن الساقي لما رجع بتعبير الواقعة من عند يوسف إلى الملك، وفي محضره الأشراف أعجب به تعبيره وعلم أن له علماً وفضلاً فأراد أن يكرمه ويقربه ويستمع التعبير المذكور من فمه بالذات.

سخن كزدوست آرى شكراست آن ... ولى كرخود بكويد خوشتراست آن

ولذا قال: ائتوني به فعاد الساقي. ﴿فلما جاءه﴾ أي: يوسف ﴿الرسول﴾ وهو الساقي ليخرجه:

كه اي سرو رياض قدس بخرام ... سوى بستان سراي شاه نه كام

وقال إن الملك يدعوك فأبى أن يخرج معه ﴿قال﴾ للرسول ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي سيدك ﴿فاسأله﴾ ليسأل ويتفحص ﴿ما بال النسوة اللاتي﴾ [كه چه حال بود حال آن زنان كه] ﴿قطعن أيديهن﴾ في مجلس زليخا كما سبق مفصلاً:

بكفتا من چه آيم سوى شاهى ... كه چون من بيكسى را بي كناهي
بزندان سالها محبوس كردست ... ز آثار كرم مأيوس كردست
اكر خواهدكه من بيرون نهم پاي ... ازين غمخانه كو اول بفرماي
كه آناني كه چون رويم بديدند ... زحيرت دررحم كفها بريدند
كه جرم من چه بوداز من چه ديدند ... چرا رختم سوى زندان كشيدند
بودكين سر شود بر شاه روشن ... كه پاكست از خيانت دامن من
مرا به كرزن ثقب خزائن ... كه باشم درفراش خانه خائن

ولم يذكر سيدته تأدباً ومراعاة لحقها واحترازاً عن مكرها، حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم.

قال العلماء: إنما أبى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن إلا بعد أن يتفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال عنده لا سيما عند العزيز ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد إلى تقبيح أمره وليظهر كمال عقله وصبره ووقاره، فإن من بقي في السجن ثنتي عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه ولم يبادر إلى الخروج وصبر إلى أن تتبين براءته من الخيانة في حق العزيز وأهله، دل ذلك على براءته من جميع أنواع التهم، وعلى أن كل ما قيل فيه كان كذباً وبهتاناً، وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهمة ويتقي مواضعها، وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعن مواقع التهم» ومنه قال عليه السلام للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه «هي فلانة» نفياً للتهمة.

وروي عن النبي عليه السلام أنه استحسن حزم يوسف وصبره، حين دعاه الملك فلم يبادر إلى الخروج حيث قال عليه السلام: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجوني، ولقد عجبت حين أتاه الرسول فقال ﴿ارجع إلى ربك﴾ الآية ولو كنت مكانه ولبثت

في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر إنه كان حليماً ذا أناة» الحلم بكسر الحاء تأخير مكافاة الظالم. والأناة على وزن القناة التأني وترك العجلة.

قال ابن الملك: هذا ليس إخباراً عن نبينا عليه السلام بتضجره وقلة صبره، بل فيه دلالة على مدح صبر يوسف وترك الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك ما كان متهماً به من الفاحشة ولا ينظر إليه بعين مشكوكة انتهى.

وقال الطيبي: هذا من رسول الله ﷺ على سبيل التواضع لا أنه كان مستعجلاً في الأمور غير متأن والتواضع لا يصغر كبيراً ولا يضع رفيعاً، بل يوجب لصاحبه فضلاً ويورثه جلالاً وقدراً. **﴿إن ربي﴾** إن الله **﴿بكيدهن﴾** بمكرزنان وقريب ايشان **﴿عليم﴾** حين قلن لي أطع مولاتك. وفيه استشهاد بعلم الله على أنهن كذنه وأنه بريء من التهمة، كأنه قيل احمله على التعرف يتبين له براءة ساحتي فإن الله يعلم أن ذلك كان كيداً منهن.

جوانمر داين سخن چون كفت باشاه زنان مصررا كردند آكاه
كه پيش شاه يكسر جمع كشتند همه پروانهٔ آن شمع كشتند

فلما حضرن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾

﴿قال﴾ الملك لهن **﴿ما خطبكن﴾** أي شأنكن العظيم **﴿إذ راودتن﴾** ظاهر الآية يدل على أنهن جميعاً قد راودن لا امرأة العزيز فقط، فلا يعدل عنه إلا بدليل والمراودة المطالبة **﴿يوسف﴾** وخادعتنه **﴿عن نفسه﴾** هل وجدتن منه ميلاً إليكن.

كزان شمع حريم جان چه ديديد كه بروى تيغ بدنامى كشيديد
زرويش در بهار وباغ بوديد چرا ره سوى زندانش نموديد
بتى كازار باشد برتنش كل كي ازدانا سزد بر كردنش غل
كلى كش نيست تاب باد شبكير بپايش چون نهد جزآب زنجير

﴿قلن﴾ أي: جماعة النساء مجيبة للملك. **﴿حاش لله﴾** أصله حاشا بالألف فحذفت للتخفيف وهو في الأصل حرف وضع هنا موضع المصدر أي التنزيه واللام لبيان من يبرأ وينزه وقد سبق في هذه السورة فهو تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله. والمعنى بالفارسية [پاكست خداي تعالى از آنكه عاجز باشد از آفريدن مرد پاكيزه چو يوسف] **﴿ما علمنا عليه من سوء﴾** من ذنب وخيانة.

زيوسف ما بجز پاكى نديديم بجز عز وشرفنا كي نديديم
نباشدد رصدف كوهر چنان پاك كه بودازتهمت آن جان جهان پاك

﴿قالت امرأة العزيز﴾ أي: زليخا وكانت حاضرة في المجلس.

قال الكاشفي: [چون زليخا ديدكه جزراستى فائدهٔ ديكر نيست وى نيز بپاكئ يوسف اقرار كرد] **﴿الآن﴾** أرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن. **﴿حصحص الحق﴾** أي وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس **﴿أنا راودته عن نفسه﴾** [مى جستم يوسف را از نفس او وآرزوى وصال كردم] لا أنه راودني عن نفسي **﴿وإنه لمن الصادقين﴾** أي

في قوله هي راودني عن نفسي. قال المولى الجامي:

بـجـرم خـويـش كـرد اقـرار مـطـلـق | بـر آمـد زوصـداي حـصـحـص الـحـق
بـكـفـتـا نـيـسـت يـوسـف را كـنـاهـي | مـنـم در عـشـق او كـم كـرده راهـي
نـخـسـت اورا بـوصـل خـويـش خـوانـدم | چـوكـام مـن نـدان از پـيـش رانـدم
بـزنـدان از سـتـمـهـاى مـن افـتـاد | دران غـمـهـا زغـمـهـاى مـن افـتـاد
غـم مـن چـون كـذشـت ازحـدو غـايـت | بـجـانـش كـرد حـال مـن سـرايـت
جـفـايـى كـر رسـيـد اورا زجـافـي | كـنـون واجـب بـود اورا تـلافـي
هـر احـسـان كـايـد ازشـاه نـكـوكـار | بـصـد چـنـدان بـود يـوسـف سـزاوار

قال ابن الشيخ: لما علمت زليخا أن يوسف راعى جانبها حيث قال ﴿ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ فذكرهن ولم يذكر إياها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جانبها وجزمت بأن رعايته إياها إنما كانت تعظيماً لجانبها وإخفاء للأمر عليها، فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها، وأن يوسف كان بريئاً من الكل - روي - أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضي وادعت عليه المهر، فأمر القاضي بأن تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من أداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لا حاجة إلى ذلك فإني مقر بصدقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتني إلى هذا الحد فاشهدوا أني أبرأت ذمتك عن كل حق كان لي عليك.

قال في «الإرشاد» فانظر أيها المتصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء عدم الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء.

قال بعض أرباب التأويل: أن قول نسوة القوى ﴿حاش لله﴾ وقول امرأة العزيز التي هي النفس الأمارة ﴿الآن حصحص الحق﴾ إشارة إلى تنور النفس والقوى بنور الحق واتصافها بصفة الانصاف والصدق، وحصول ذلك إنما هو بتكميل الأسماء السبعة أو الاثني عشر في سجن الخلوة، فإن القلب بهذه الخلوة والتكميل يصل إلى نور الوحدة ويحصل للنفس التزكية والاطمئنان والإقرار بفضيلة القلب وصدقه وبراءته فإن من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها مما فرط منها حالة كونها أمارة، والصدق في الأعمال كونها موافقة لرضى الله تعالى وخالية عن الأغراض وفي الأحوال كونها على وفق رضي الله تعالى وطاهرة عن الصفات النفسانية.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ من كلام يوم يوسف أي طلب البراءة أو ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة.

قال الكاشفي؟ [ملك يوسف راپيغام دادكه زنان بكناه معترف شدند بياتاً بحضور تو ايشانرا عقوبت كنم يوسف فرمودكه غرض من عقوبت نبود اين خواست براي آن كردم كه]

﴿ليعلم﴾ أي العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في حرمه لأن المعصية خيانة ﴿بالغيب﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أي لم أخنه وأنا غائب عنه خفي على عينه أو من المفعول أي وهو غائب عني خفي عن عيني أو ظرف أي بمكان الغيب أي وراء ستار والأبواب المغلقة ﴿وأن الله﴾ أي:

وليعلم أن الله ﴿لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه، كما لم يسدد كيد امرأته حتى اقرت بخيانة أمانة زوجها، وسمي فعل الخائن كيداً لأن شأنه أن يفعل بطريق الاحتيال والتلبيس فمعنى هداية الكيد إتمامه وجعله مؤدياً إلى ما قصد به، وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانته، وبنفس العزيز في خيانة أمانة الله حين ساعدها على حبس يوسف بعد ما رأوا الآيات نزاهته ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته لأنه لو كان خائناً لما هدى الله أمره وأحسن عاقبته. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يوصل عباده الصادقين بعد الغم إلى السرور ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

قال بعضهم: كنت أقرأ الحديث من الشيخ أبي حفص وكان بقربنا حانوت عطار فجاء رجل فأخذ منه العطر بعشرة دراهم فسقط من يده ففزع الرجل فقلنا تفزع على يسير من الدنيا قال لو فزعت على الدنيا لفزعت حين سقط مني ثلاثة آلاف دينار مع جوهرة قيمتها كذلك ولكن الليلة ولد ولد لي فكلفت بلوازمه ولم يكن لي غير هذه العشرة وقد ضاعت فلم يبق لي غير الفرار ففزعي لفراق الأهل والأولاد، فسمع جندي قوله فاخرج كيساً فيه الدنانير والجوهرة بالعلامة التي أخبر بها الرجل ولم يؤخذ منه شيء، فسبحان من ابتلى عبده أولاً بالشدائد ثم أنجاه قال المولى الجامي:

درين دهر كهن رسميست ديرين ... كه بي تلخى نباشد عيش شيرين
خورد نه ماه طفلي در رحم خود ... كه آيد بارخ چون ماه بيرون
بساختي كه بيند لعل درسنك ... كه خورشيد در خشانش دهدرنك

وفي الآية، دلالة على أن الخيانة من الصفات الذميمة، كما أن الأمانة من الخصائل المحمودة فالصلاة والصوم والوزن والكيل والعبيد والإماء والودائع كلها أمانات وكذا الإمامة والخطابة والتأذين ونحوها أمانات يلزم على الحكام تأديتها بأن يقلدوها أرباب الاستحقاق، ثم في الوجود الأنفسي أمانات مثل السمع والبصر واليد والرجل ونحوها وكل أولئك كان عنه مسؤولاً، والقلب أمانة فاحفظه عن الميل إلى ما سوى المولى. قال الصائب:

ترا بكوهر دل كرده اند امانتدار ... زدزد امانت حق رانكاه دار مخسب

فمن تيقن أنه تعالى حاضر لديه ناظر عليه، لم يجترىء على سوء الأدب بموافقة النفس التي هي منبع القباحة والخيانة ـ وحكي ـ أن شاباً كان له رائحة طيبة فقيل له لك مصرف عظيم في تلك الرائحة فقال هي عطاء من الله تعالى وذلك إن امرأة أدخلتني بحيلة في بيتها وراودتني فلطخت نفسي وثيابي بالنجاسة فخلتني بظن الجنون، فأعطاني الله تعالى تلك الرائحة، ورأى الشاب في المنام يوسف الصديق، فقال له طوبى لك حيث خلصك الله من كيد امرأة العزيز، فقال عليه السلام: طوبى لك خلصك الله من تلك المرأة بدون هم منك، وقد صدر مني هم، أي هجوم الطبيعة البشرية وإن لم يكن هناك وجود مقتضاها نسأل الله العصمة والتوفيق في الدارين.

تم الجزء الثاني عشر في العشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث ومائة وألف

﴿وما أبرىء نفسي﴾ من كلام يوسف عليه السلام أي لا أنزهها عن السوء ولا أشهد لها بالبراءة الكلية قاله تواضعاً لله تعالى وهضماً لنفسه الكريمة لا تزكية لها وعجباً بحاله في الأمانة، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر لي» أو تحديثاً بنعمة الله تعالى

عليه في توفيقه وعصمته، أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي، ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى ﴿إن النفس﴾ اللام للجنس، أي جميع النفوس التي من جملتها نفسي في حد ذاتها ﴿لأمارة بالسوء﴾ تأمر بالقبائح والمعاصي؛ لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات وأميل إلى أنواع المنكرات، ولولا ذلك لما صارت نفوس أكثر الخلق مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة، وما صدرت منها الشرور أكثر من ههنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلاً وأجل قدراً عند الله، كان أبصر بعيوب نفسه ومن كان أبصر بعيوبها كان أعظم اتهاماً لنفسه وأقل إعجاباً. ﴿إلا ما رحم ربي﴾ من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي ونفوس سائر الأنبياء ونفوس الملائكة، أما الملائكة فإنه لم تركب فيهم الشهوة، وأما الأنبياء فهم وإن ركبت هي فيهم لكنهم محفوظون بتأييد الله تعالى معصومون فما موصولة بمعنى من. وفيه إشارة إلى أن النفس من حيث هي كالبهائم، والاستثناء من النفس، أو من الضمير المستتر في أمارة كأنه قيل إن النفس لأمارة بالسوء إلا نفساً رحمها ربي فإنها لا تأمر بالسوء أو بمعنى الوقت، أي هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها، ودل على عموم الأوقات صيغة المبالغة في أمارة يقال في اللغة أمرت النفس بشيء فهي آمرة وإذا أكثرت الأمر فهي أمارة ﴿إن ربي غفور﴾ عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ﴿رحيم﴾ مبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك.

قال في «التأويلات النجمية» خلقت النفس على جبلة الأمارية بالسوء، طبعاً حين خليت إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر ولا تأمر إلا بالسوء ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقلبها من طبعها ويبدل صفاتها ويجعل أماريتها مبدلة بالمأمورية، وشريرتها بالخيرية، فإذا تنفس صبح الهداية في ليلة البشرية وأضاء أفق سماء القلب صارت النفس لوامة، تلوم نفسها على سوء فعلها وندمت على ما صدر عنها من الأمارية بالسوء فيتوب الله عليها، فإن الندم توبة وإذا طلعت شمس العناية من أفق الهداية صارت النفس ملهمة، إذ هي تنورت بأنوار شمس العناية فألهمها نورها فجورها وتقواها، وإذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية وأشرقت الأرض بنور ربها صارت النفس مطمئنة مستعدة لخطاب ربها بجذبة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨] انتهى.

يقول الفقير: سلوك الأنبياء عليهم السلام وإن كان من النفس المطمئنة إلى الراضية والمرضية والصافية، إلا أن طبع النفوس مطلقاً أي سواء كانت نفوس الأنبياء أو غيرهم على الأمارية وكون طبعها عليها لا يوجب ظهور آثار الأمارة بالنسبة إلى الأنبياء، ولذا لم يقل يوسف عليه السلام إن نفسي لأمارة بالسوء بعد ما قال: وما أبرىء نفسي، بل أطلق القول في الأمارية واستثنى النفوس المعصومة فلولا العصمة لوقع من النفس ما وقع، ولذا قال عليه السلام: «رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك» فالدليل على أمارية مطلق النفوس هذه الآية.

وقد قال ابن الشيخ في هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً﴾ يحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارية بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها انتهى فأثبت الأمارية لنفس يوسف.

وقال سعدي المفتي عند قوله تعالى: ﴿أصب إليهن﴾ في هذه السورة أيضاً على قول

البيضاوي، أي أمل إلى جانبهن: أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي، قوله بطبعي أي بسبب طبعي ونفسي الأمارة بالسوء انتهى.

وقال حضرة الشيخ نجم الدين دايه قدس سره: عند قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فشيطان الإنس نفسه الأمارة بالسوء وهي أعدى الأعداء انتهى.

وصرح أيضاً بذلك في مواضع أخر من تأويلاته وهكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام فإنه من مزالق الأقدام، وقد رأيت من تحير فيه وزلق ووقع في هاوية الاضطراب والقلق، مع شهرته التامة والعامة في الأفواه القائلة بمكاشفاته ووصوله إلى الله، فليجتهد العبد مع النفس الأمارة حتى يصل إلى الاطمئنان فيتخلص من كيدها، والتوحيد أقوى الأمور في هذا الباب، لأنه أشد تأثيراً في تزكية النفس وطهارتها من الشرك الجلي والخفي.

قال في «نفائس المجالس»: النفس منبع العناد والخيانة ومعدن الشر والجناية فهي منشأ الفتن في الأنفس والآفاق، وسبب ظهور الظلم على الإطلاق، فلو حصل بين سلطان الروح ووزير العقل ومفتي القلب اتفاق لارتفع من القوى النفسانية والطبيعة خلاف وشقاق ـ وحكي ـ أن ثلاثة أثوار أحدها أصفر والثاني أزرق والثالث أسود استولت على جبل باتفاق منها بحيث لم يقدر غيرها أن يرعى في ذلك الجبل فتشاور الحيوانات يوماً في ذلك فقال أسد أنا أتدارك الأمر فجاء إلى سفح الجبل فلما هجم الأثوار لمنعه قال الأسد: يا إخوتي الأثوار اتركنني حتى أكون معكن فإنه يحصل بسببي زيادة قوة فرضين بإخوته وكونه بينهن، فيوماً قال للثور الأصفر والأزرق أيها الأخوان ألا تريان أن لا مناسبة بيننا وبين الأسود فلو دبرنا فيه لكان خيراً، قالا ماذا نفعل؟ قال: افعل ما أرى أن سامحتما وسكتيما قالا: فافعل ما شئت، فأتاه الأسد وهو يرعى فصال عليه فاستمد الثور الأسود من أخويه فلم يلتفتا فافترسه الأسد وأكله، ثم بعد زمان قال للأصفر يا أخي شعرك يشابه شعري فبيني وبينك مناسبة تامة ولكن أي مناسبة في أن يكون هذا الأزرق بيننا فتعال حتى نرفعه من البين ويخلو لنا الجبل، فقال: افعل ما شئت فأتاه وهو يرعى فلما أراد أن يتعرض له خار واستمد من أخيه فلم يرفع له أخوه رأساً فأكله، ثم بعد زمان قال للأصفر تهيأ فإني آكلك فإنه أي مناسبة في أن يكون بيننا إخوة واتفاق، فتضرع ولكن لم يسمعه الأسد فقال الثور: قد كنت أتصور مجيء هذا إلى رأسي منذ ما جاء إلى رأس أخي الثور الأسود ما جاء فافترسه وأكله، فالنفس مثل هذا الأسد إذا ظهرت في جبل الوجود غلبت على القوى وأكلتها، وفي هذا التمثيل مواعظ كثيرة لمن تأمل فيه. قال المولى جلال الدين الرومي قدس سره:

بيت من بيت نيست اقليمست   هزل من هزل نيست تعليمست

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وقال الملك﴾ [آورده اندكه چون باملك مصر سخنان يوسف باز كفتند آرزو منديء وى بديدار يوسف زياده شد] **﴿ائتوني به﴾** [بياريد يوسف را پيش من] **﴿أستخلصه﴾** اجعله خالصاً **﴿لنفسي﴾** وخاصاً بي.

قال سعدي المفتي: كان استدعاء الملك يوسف أولاً بسبب علم الرؤيا فلذلك قال ائتوني

به فقط فلما فعل يوسف ما فعل وظهرت أمانته وصبره وهمته وجودة نظره وتأنيه في عدم التسرع إليه بأول طلب عظمت منزلته عنده وطلبه ثانياً بقوله ائتوني به أستخلصه لنفسي. ﴿**فلما كلمه**﴾ أي: فأتوا به فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد من الرشد والدهاء وهو جودة الرأي ﴿**قال**﴾ له أيها الصديق ﴿**إنك اليوم لدينا**﴾ عندنا وبحضرتنا ﴿**مكين**﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة ﴿**أمين**﴾ مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدأهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين ـ روي ـ أن الرسول أي الساقي جاء إلى يوسف فقال أجب الملك. قال الحافظ:

ماه كنعانئ من مسند مصر آن توشد كاه آنست كه بدرود كنى زندانرا

قال المولى الجامي:

شب يوسف بكذشت از درازى طلوع صبح كردش كار سازى

چو شد كوه كران بر جانش اندوه بر آمد آفتابش از پس كوه

فخرج من السجن وودع أهل السجن ودعا لهم وقال لهم أعطف قلوب الصالحين عليهم ولا تستر لأخبار عنهم فمن ثم تقع الأخبار عند أهل السجن قبل أن تقع عند عامة الناس وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً [در تيسير آورده كه ملك هفتاد حاجب را باهفتاد مركب آراسته با تاج ولباس ملكوانه بزندان فرستاد]

چو يوسف شد سوى خسرو روانه بخلعتهاى خاص خسروانه

فراز مركبي از پاي تا فرق چو كوهى كشته دردرو كهر غرق

بهر جا طبلهاى مشك و عنبر زهر سو بدرهاى زر وكوهر

براه مركب او مى فشاندند كدا را از كدايى مى رهاندند

[وچون نزديك ملك رسيد اورا احترام تمام نموده استقبال فرمود]

زقرب مقدمش شه چون خبر يافت باستقبال أو چون بخت بشتافت

كشيدش دركنار خويشتن تنك چو سرو كلرخ وشمشاد كلرنك

به پهلوى خودش بر تخت بنشاند به پر سشهاى خوش با او سخن راند

ـ روي ـ أنه لما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية وكان يوسف يتكلم باثنين وسبعين لساناً فلم يفهمها الملك فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم كلمه بالعربية فلم يفهمها الملك فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه، وفيه إشارة إلى حال أهل الكشف مع أهل الحجاب فإن أصحاب الحقيقة، يتكلمونَ في كل مرتبة شريعة كانت أو طريقة أو معرفة أو حقيقة وأما أرباب الظاهر فلا قدرة لهم على التكلم إلا في مرتبة الشريعة وعلمان خير من علم واحد، وقال الملك: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها فعبرها يوسف على وجه بديع وأجاب لكل ما سأل بأسلوب عجيب:

جوابي دلكشن ومطبوع كفتش چنان كامدازان كفتن شكفتش

وفي الآية إشارتان. الأولى أن الروح يسعى في خلاص القلب من سجن صفات البشرية

ليكون خالصاً له في كشف حقائق الأشياء ولم يعلم أنه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته روحانية وجسمانية كما قال عليه السلام: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب». والثانية: أن الله استحسن من الملك إحسانه مع يوسف واستخلاصه من السجن فأحسن إليه بأن رزقه الإيمان واستخلصه من سجن الكفر والجهل وجعله خالصاً لحضرته بالعبودية وترك الدنيا وزخارفها وطلب الآخرة ودرجاتها.

قال مجاهد: أسلم الملك على يده وجمع كثير من الناس لأنه كان مبعوثاً إلى القوم الذين كان بين أظهرهم.

يقول الفقير أيده الله القدير: إذا كان الإحسان إلى يوسف والإكرام له سبباً للإيمان والعرفان فما ظنك بمن آسى رسول الله ﷺ وذب عنه ما دام حياً وهو عمه أبو طالب فالأصح أنه ممن أحياه الله للإيمان كما سبق في الجلد الأول.

واعلم: أن اللطف والكرم من آثار السعادة الأزلية فلو صدر من الكافر يرجى أن ذلك يدعوه إلى الإيمان والتوحيد ويصير عاقبته إلى الفلاح والنجاح ولو صدر من أهل الإنكار أداه إلى الاستسعاد بسعادة التوفيق الخاص كما لا يخفى على أهل المشاهدة.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾

﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أي أرض مصر فاللام للعهد، أي ولني أمرها من الإيراد والصرف [يعني مرا بر آنچه حاصل ولايت مصر باشد از نقود واطعمه خازن كردان] ﴿إني حفيظ﴾ لها عمن لا يستحقها ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف فيها.

وذلك أنه لما عبر رؤيا الملك وأخبر بإتيان السنين المجدبة قال له: فما ترى يا يوسف؟ قال: تزرع زرعاً كثيراً وتأخذ من الناس خمس زروعهم في السنين المخصبة وتدخر الجميع في سنبله فيكفيك وأهل مصر مدة السنين المجدبة.

وفي «بحر العلوم» قال له: من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك، فقال الملك: ومن لي بذاك فقال ﴿اجعلني﴾ الآية.

ولى هركاررا بايد كفيلى كه از دانش بود باوى دليلى
بدانش غايت آن كار داند چو داند كاررا كردن تواند
زهر چيزى كه در عالم توان يافت چو من دانا كفيلي كم توان يافت
بمن تفويض كن تدبير اين كار كه نابد ديكرى چون من بدايدار

وذلك لأنه علم في الرؤيا التي رآها الملك أن الناس يصيبهم القحط فخاف عليهم القحط والتلف، فأحب أن تكون يداه على الخزانة ليعينهم وقت الحاجة شفقة على عباد الله وهي من أخلاق الخلفاء، وكانت خدمته معجزة لفراعنة مصر ولهذا قال فرعون زمانه حين بنى الفيوم له: هذا من ملكوت السماء، وهو أول من دون الدفاتر وعين علوم الحساب والهندسة بأنواع الأقلام والحروف.

وفي الآية: دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة.

قال العلماء: سؤال تولية الأوقاف مكروه كسؤال تولية الأمارة والقضاء ـ روي ـ أن قوماً جاؤوا إلى النبي عليه السلام فسألوه ولاية فقال: «إنا لن نستعمل على عملنا من أراده» وذلك لأن الله تعالى يعين المجبور ويسدده ويكل الطالب إلى نفسه، والولاية أمور ثقيلة فلا يقدر الإنسان على رعاية حقوقها وإذا تعين أحد للقضاء أو الأمارة أو نحوهما لزمه القبول، لأنها من فروض الكفاية فلا يجوز إهمالها ويوسف عليه السلام كان أصلح من يقوم بما ذكر من التدبير في ذلك الوقت فاقتضت الحال تقلده وتطلبه إصلاحاً للعالم.

وفي الآية دلالة أيضاً على جواز التقلد من يد الكافر والسلطان الجائر، إذا علم إنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الباطل وإقامة الحق إلا بالاستظهار به وتمكينه، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه ـ وحكى ـ الشيخ العلامة ابن الشحنة: أن تيمورلنك ذكروا عنه كان يتعنت على العلماء في الأسئلة، ويجعل ذلك سبباً لقتلهم وتعذيبهم مثل الحجاج، فلما دخل حلب فتحها عنوة وقتل وأسر كثيراً من المسلمين وصعد نواب المملكة وسائر الخواص إلى القلعة وطلب علماءها وقضاتها فحضرنا إليه، وأوقفنا ساعة بين يديه، ثم أمرنا بالجلوس فقال لمقدم أهل العلم عنده وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفي، قل لهم: إني سائلهم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها ولم يفصحوا عن الجواب، فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني إلا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم به فقال لي عبد الجبار: سلطاننا يقول: بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم؟ ففتح الله عليّ بجواب حسن بديع فقلت جاء أعرابي إلى النبي عليه السلام، فقال «الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله» ومن قتل منا ومنكم لإعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمورلنك: «خوب خوب» وقال عبد الجبار: ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة فتكررت الأسئلة والأجوبة وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فقلت: لا شك أن الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء، فقال: قل عليّ على الحق ومعاوية ظالم، ويزيد فاسق قلت: قال صاحت الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فإن كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع على في توبته فسر لذلك، وأحسن إلينا وإلى من يتعلق بنا في البلدة ـ وروي ـ أن الملك لما عين يوسف عليه السلام لأمر الخزائن توفي قطفير في تلك الليالي كما قال المولى الجامي:

چو يوسف را خدا داد اين بلندي	بقدر اين بلندي ار جمندي
عزيز مصررا دولت زبون كشت	لو أي حشمت أو سر نكون كشت
دلش طاقت نياورد اين خلل را	بزودي شد هدف تير اجل را
زليخا روى در ديوار غم كرد	زبار هجر يوسف پشت خم كرد
نه از جاي عزيزش خانه آباد	نه ازاندوه يوسف خاطر آزاد
فلك كو دير مهر وتيز كين است	درين حرمان سرا كاروى اينست
يكى را بركشد چون خور بافلاك	يكى را افكند چون سايه برخاك
خوش آن دانا بهر كارى وبارى	كه از كارش بكيرد اعتباري
نه از اقبال او كردن فرازد	نه از ادبار او جانش كدازد

ـ حكي ـ أن زليخا بعد ما توفي قطفير انقطعت عن كل شيء وسكنت في خرابة من خرابات مصر سنين كثيرة، وكانت لها جواهر كثيرة جمعت في زمان زوجها، فإذا سمعت من واحد خبر يوسف أو اسمه بذلت منها محبة له حتى نفدت ولم يبق لها شيء.

وقال بعضهم: أصاب زليخا ما أصاب الناس من الضر والجوع في أيام القحط فباعت حليها وحللها وجميع ما كانت تملكه وذهب نعمتها وبكت بكاء الشوق ليوسف وهرمت.

جواني تيره كشت از چرخ پيرش   برنك شير شد موى چو قيرش
بر آمد صبح وشب هنكامه بر چيد   بمشكستان او كافور باريد
به پشت خم آزان بودي سرش پيش   كهجستى كم شده مايهٔ خويش

ثم لما غيرها الجهد واشتد حالها بمقاساة شدائد الخلوة في تلك الخرابة اتخذت لنفسها بيتاً من القصب على قارعة الطريق التي هي ممر يوسف، وكان يوسف يركب في بعض الأحيان وله فرس يسمع صهيله على ميلين، ولا يصهل إلا وقت الركوب فيعلم الناس أنه قد ركب فتقف زليخا على قارعة الطريق، فإذا مرَّ بها يوسف تناديه بأعلى صوتها فلا يسمع لكثرة اختلاط الأصوات:

زبس بر كوشها ميزد زهرجا   صهيل مركبان باد پيما
زبس بر آسمان ميشد زهر سوى   نفير چاوشان طرقوا كوى
كس از غوغا بحال اونيفتاد   بحالي شدكه اوراكس مبيناد
چو كردى كوش آن حيران ومهجور   زچاووشان صداي دور شودور
زدي افغان كه من عمريست دورم   بصد محنت دران دوري صبورم
زجانان تا بكى مهجور باشم   همان بهتركه از خود دور باشم
بكفتى اين وبيهوش اوفتادى   زخود كرده فراموش او فتادى

فأقبلت يوماً على صنمها الذي كانت تعبده ولا تفارقه، وقالت له تباً لك ولمن يسجد لك أما ترحم كبري وعماي، وفقري، وضعفي في قواي فأنا اليوم كافرة بك

بكفت اين را بزد برسنك خاره   خليل آسا شكستش پاره پاره
تضرع كرد ورو بر خاك ماليد   بدركاه خداي پاك ناليد
اكر رودربت آوردم خدايا   بآن بر خود جفا كردم خدايا
بلطف خود جفاي من بيامرز   خطا كردم خطاي من بيامرز
زپس راه خطا پيمايى از من   ستاندي كوهر بينايى ازمن
چو آن كرد خطا از من فشاندي   بمن ده باز آنچه از من ستاندي
بود دل فارغ ازداغ تأسف   بچنيم لا لهٔ ازباغ يوسف

فآمنت برب يوسف وصارت تذكر الله تعالى صباحاً ومساء، فركب يوسف يوماً بعد ذلك فلما صهل فرسه علم الناس أنه ركب، فاجتمعوا لمطالعة جماله ورؤية احتشامه، فسمعت زليخا الصهيل فخرجت من بيت القصب فلما مرَّ بها يوسف نادت بأعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية، وجعل العبيد ملوكاً بالطاعة، فأمر الله تعالى الريح فألقت كلامها في مسامع يوسف فأثر فيه فبكى، ثم التفت فرآها فقال لغلامه اقضِ لهذه المرأة حاجتها فقال لها: ما حاجتك قالت: إن حاجتي لا يقضيها إلا يوسف فحملهاَ إلى دار يوسف فلما رجع

يوسف إلى قصر نزع ثياب الملك، ولبس مدرعة من الشعر وجلس في بيت عبادته يذكر الله تعالى فذكر العجوز ودعا بالغلام وقال له: ما فعلت العجوز؟ فقال: إنها زعمت إن حاجتها لا يقضيها غيرك فقال ائتني بها فأحضرها بين يديه، فسلمت عليه وهو منكس الرأس فرق لها، ورد عليها السلام وقال لها: يا عجوز إني سمعت منك كلاماً فأعيديه فقالت: إني قلت سبحان من جعل العبيد ملوكاً بالطاعة، وجعل الملوك عبيداً بالمعصية فقال: نعم ما قلت، فما حاجتك؟ قالت يا يوسف ما أسرع ما نسيتني فقال من أنت؟ وما لي بك معرفة.

بكفت آنم كه چون روى توديدم ترا از جملهٔ عالم بر كزيدم
فشاندم كنج وكوهر در بهايت دل وجان وقف كردم درهوايت
جواني درغمت بر باد دادم بدين پيرى كه مي بيني فتادم
كرفتي شاهد ملك اندر آغوش مرا يكبار تو كردى فراموش

أما أنا زليخا، فقال: يوسف لا إله إلا الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وأنت بعد في الدنيا يا رأس الفتنة وأساس البلية، فقالت: يا يوسف أبخلت عليّ بحياة الدنيا، فبكى يوسف وقال ما صنع حسنك وجمالك ومالك، قالت ذهب به الذي أخرجك من السجن وأورثك هذا الملك، فقال لها: ما حاجتك قالت: أو تفعل؟ قال: نعم وحق شيبة إبراهيم، فقالت لي ثلاث حوائج الأولى والثانية: أن تسأل الله أن يرد عليّ بصري وشبابي وجمالي، فإني بكيت عليك حتى ذهب بصري ونحل جسمي فدعا لها يوسف فرد الله عليها بصرها وشبابها وحسنها.

سفيدي شد زمشكين مهره اش دور در آمد در سواد نركسش نور
جواني پيريش را كشت هاله پس از چل سالكي شد هژده ساله

وقال بعضهم: كان عمرها يومئذٍ تسعين سنة، والحاجة الثالثة: أن تتزوجني فسكت يوسف وأطرق رأسه زماناً فأتاه جبريل وقال له يا يوسف ربك يقرأك السلام ويقول لك لا تبخل عليها بما طلبت.

كه ما عجز زليخارا چو ديديم بتو عرض نيازش را شنيديم
دلش ار تيغ نوميدي نخستيم بتو بالاي عرشش عقد بستيم

فتزوج بها، فإنها زوجتك في الدنيا والآخرة.

چو فرمان يافت يوسف از خداوند كه بندد با زليخا عقد وپيوند

دعا سلطان مصر وجميع الأشراف وضاف لهم

بقانون خليل ودين يعقوب بر آيين جميل وصورت خوب
زليخارا بعقد خود در آورد بعقد خويش يكتا كوهر آورد

ونزلت عليه الملائكة تهنئة بزواجه بها، وقالوا هناك الله بما أعطاك، فهذا ما وعدك ربك وأنت في الجب فقال يوسف الحمد لله الذي أنعم علي وأحسن إليّ وهو أرحم الراحمين ثم قال إلهي وسيدي أسألك أن تتم هذه النعمة وتريني وجه يعقوب وتقر عينه بالنظر إليّ وتسهل لإخوتي طريقاً إلى الاجتماع بي فإنك سميع الدعاء، وأنت على كل شيء قدير، وأرسلت زليخا إلى بيت الخلوة فاستقبلتها الجواري بأنواع الحلي والحلل فتزينت بها فلما جن الليل ودخل يوسف عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني

فإني كنت امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان زوجي عنيناً لا يصل إلى النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك الحسنة فغلبتني نفسي.

شكيبايي نبود از تو حد من بكش دامان عفوي از بد من

ز جرمي كز كمال عشق خيزد كجا معشوق با عاشق ستيزد

فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء وأصابها وفك الخاتم:

كليد حقه از ياقوت ترساخت كشادش قفل دروي كوهر انداخت

فحملت من يوسف وولدت له ابنين في بطن أحدهما أفراييم والآخر ميشا، وكانا كالشمس والقمر في الحسن والبهاء وباهى الله بحسنهما ملائكة السموات السبع، وأحب يوسف زليخا حباً شديداً وتحول عشق زليخا وحبها الأول إليه حتى لم يبق له بدونها قرار.

چو صدقش بود بيرون از نهايت در آخر كرد بر يوسف سرايت

وحول الله تعالى عشق زليخا المجازي إلى العشق الحقيقي، فجعل ميلها إلى الطاعة والعبادة وراودها يوسف يوماً ففررت منه فتبعها وقّد قميصها من دبر فقالت، فإن قددت قميصك من قبل فقد قددت قميصي الآن فهذا بذاك.

درين كار ازتفاوت بي هراسيم به پيراهن درى رأساً برأسيم

چو يوسف روى او در بندكى ديد وزان نيت دلش را زندكى ديد

بنام او ز زر كاشانهٔ ساخت نه كاشانه عبادت خانهٔ ساخت

ووضع في البيت الذي بناه سريراً مرصعاً بالجواهر فأخذ بيدها وأجلسها عليه وقال:

درو بنشين پي شكر خدايي كزو داري بهر مو يى عطايي

توانكر ساختت بعد از فقيري جواني داد بعد از ضعف پيرى

بچشم نور رفته نور دادت وزان بررو در رحمت كشادت

پس از عمرى كه زهر غم چشاندت بتر ياك وصال من رساندت

ز ليخاهم بتوفيق الهي نشسته بر سرير پادشاهى

دران خلوت سرامى بود خرسند بوصل يوسف وفضل خداوند

وسيأتي وفاتهما في آخر السورة فانظر أيها المنصف إن الدنيا ما شغلتهما عن الله تعالى فاستعملا الأعضاء والجوارح في خدمة الله تعالى.

والإشارة: قال يوسف القلب لملك الروح ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أرض الجسد فإن لله تعالى في كل شيء، وعضو من أعضاء ظاهر الجسد وباطنه خزانة من القهر واللطف فيها نعمة أخرى كالعين فيها نعمة البصر فإن استعملها في رؤية العين، ورؤية الآيات والصنائع فيجد اللطف وينتفع به وإن استعملها في مستلذاتها وشهوات النفس ولم يحفظ نفسه منها فيجد القهر ويضره ذلك فقس الباقي على هذا المثال، ولهذا قال يوسف ﴿إني حفيظ عليم﴾ أي: حافظ نفسي فيها عما يضرها عليم بنفعها وضرها واستعمالها فيما ينفع ولا يضر.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ الكاف منصوبة بالتمكين وذلك إشارة إلى ما أنعم الله به عليه من إنجائه من

غم الحبس وجعل الملك الريان إياه خالصاً لنفسه ﴿مكنا ليوسف﴾ أي: جعلنا له مكاناً ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر وكانت أربعين فرسخاً في أربعين كما في «الإرشاد».

وقال في «المدارك» التمكين الأقدار وأعطاء القدرة.

وفي «تاج المصادر»: مكنه في الأرض بوأه إياها يتعدى بنفسه واللام كنصحته ونصحت له.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون على حد ردف لكم ﴿يتبوأ منها﴾ حال من يوسف أي ينزل من بلادها ﴿حيث يشاء﴾ ويتخذه مباءة ومنزلاً وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت سلطانه، فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله، وفي الحديث: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة» وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوجه وختمه بخاتمه وردّاه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت وطول السرير ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشاً فقال يوسف أما السرير فأشدّ به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال الملك فقد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك فجلس على السرير وأتت له الملوك وفوض إليه الملك أمره كما قال المولى الجامي:

چوشاه ازوى بديد اين كار سازى بملك مصر دادش سرفرازي
سبه را بندهٔ فرمان او كرد زمين را عرصهٔ ميدان او كرد

ونعم ما قيل:

پيرست چرخ واختر بخت تو نوجوان آن به كه پير نوبت خود باجوان دهد

وكان يوسف يومئذٍ ابن ثلاثين سنة كما في «التبيان» وأقام العدل في مصر وأحبته الرجال والنساء وأمر أهل كل قرية وبلدة بالاشتغال بالزرع وترك غيره فلم يدعوا مكاناً إلا زرعوه حتى بطون الأودية ورؤوس الجبال مدة سبع سنين وهو يأمرهم أن يدعوه في سنبله فأخذ منهم الخمس وجعله في الإهداء وكذا ما زرعه السلطان ثم أقبلت السنون المجدبة فحبس الله عنهم القطر من السماء والنبات من الأرض حتى لم ينبت لهم حبة واحدة، فاجتمع الناس وجاؤوا له وقالوا له يا يوسف قد فني ما في بيوتنا من الطعام فبعنا مما عندك فأمر يوسف بفتح الإهراء وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدراهم والدنانير وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالعبيد والإماء وفي الخامسة بالضياع والعقار وفي السادسة بأولادهم وفي السابقة برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا ما رأينا ملكاً أجل وأعظم منه فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى؟ فقال: أرى رأيك ونحن لك فقال إني أشهد الله وأشهدك إني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم.

قال الكاشفي: [حكمت درين آن بودكه مصريان يوسف را بوقت خريد وفروخت در صورت بندكي ديده بودند قدرت أزلي همه را طوق بندكىٔ او دركردن نهار تاكسي راكه دربارهٔ او سختى بي أدبانه نرسد] وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس وكان لم يشبع مدة القحط مخافة نسيان الجياع. قال السعدي قدس سره:

آنكه در راحت وتنعم زيست اوچه داندكه حال كرسنه چيست
حال درماندكى كسى داند كه باحوال خود فرومانند

﴿نصيب برحمتنا﴾ [ميرسانيم برحمت خود از نعيم ديني ودنيوي وصوري ومعنوي] فالباء للتعدية. ﴿من نشاء﴾ كل من نريد له ذلك لا يمنعنا منه شيء ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ عملهم بل نوفيه بكماله في الدنيا والآخرة ـ روي ـ عن سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية وفي الحديث: «إن للمحسنين في الجنة منازل حتى المحسن إلى أهله وأتباعه» والإحسان وإن كان يعم أموراً كثيرة ولكن حقيقته المشاهدة والعيان وهي ليست رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر، بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ في كمال الإعراض عما سوى الله تعالى، وتمام توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه وهمه غير الله تعالى،وسميت هذه الحالة مشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه تعالى كما أشار إليها بعض العارفين بقوله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له. ﴿خير﴾ لأنه أفضل في نفسه وأعظم وأدوم ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الكفر والفواحش [چون يوسف بإحسان وتقوى ازقعر چاه بتخت وجاه رسيد]

بديني وعقبى كسى قدر يافت كه او جانب صبر وتقوى شتافت

وفي الآية: إشارة إلى أن غير المؤمن المتقي لا نصيب له في الآخرة.

قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خذف فإن والآخرة ذهب باق.

وعن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله: مم خلق الخلق؟ قال: «من الماء» قلنا: أخبرنا عن بنائها قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الإذفر وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ومن يدخلها ينعم ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وإن أهل الجنة ليزدادون كل يوم جمالاً وحسناً كما يزدادون في الدنيا هرماً» ولا بد من الطاعات فإنها بذر الدرجات وأجرة الجنات ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم أراد أن يدخل الحمام فمنعه الحمامي أن يدخله بدون الأجرة فبكى إبراهيم وقال إذا لم يؤذن أن أدخل في بيت الشيطان مجاناً فكيف لي بالدخول في بيت النبيين والصديقين.

يقول الفقير: فإن كان المراد ببيت النبيين الجنة، فلا بد في دخولها من صدق الأعمال وإن كان المراد القلب فلا بد في دخوله من صدق الأحوال، وعلى كلا التقديرين لا بد من العبودية لأنها مقتضى الحكمة ولذا قال: ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فمن لا عبودية له لم تكن الآخرة عنده خيراً من الدنيا، إذ لو علم خيريتها يقينها لاجتهد في العبودية لله تعالى والامتثال بالأمر والاجتناب عن النهي، وقد جعل الله التصرف في عالم الملك والملكوت في العمل على وفق الشرع وخلاف الطبع إذ فيه المجاهدة التي هي حمل النفس على المكاره وترك الشهوات،

ألا ترى أن يوسف عليه السلام لما خالف الطبع ومقتضاه ونهى النفس عن الهوى ورضي بما قسم المولى وصبر على مقاساة شدائد الجب والسجن والعبودية جعله الله تعالى سلطاناً في أرض مصر، ففسح له في مكانه فكان مكافاة لضيق الجب والسجن وسخر له أهل مصر مجازاة للعبودية وزوجه زليخا بمقابلة كف طبعه عن مقتضاه.

والتقوى لا بد منها لأهل النعمة والمحنة، أما أهل النعمة فتقواهم الشكر لأنه وقاية من الكفران وجنة منه، وأما أهل المحنة فتقواهم الصبر لأنه جنة من الجزع والاضطراب.

فعلى العاقل أن يتمسك بعروة التقوى، فإنها لا انفصام لها، ولها عاقبة حميدة، وأما غيرها من العرى فلها انفصام وانقطاع وليس لها نتيجة مفيدة، كما شوهد مرة بعد أخرى، اللهم أعصمنا من الزلل في طريق الهدى واحفظنا عن متابعة النفس والهوى واجعلنا من الذين عرفوك فوقفوا عند أمرك وتوجهوا إليك فرفضوا علاقة المحبة لغيرك

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وجاء إخوة يوسف﴾ [آورده اندكه اثر قحط بكنعان وبلاد شام رسيده كار بر أولاد يعقوب تنك كرديد وكفتند أي پدر درشهر مصر ملكيست كه همه قحط زدكانرا مى نوازد وكار غرباً وأبناء سبيل بد لخواه ايشان مي سازد]

زاحسانش آسوده بر ناوپير وزوكشته خوش دل غريب وفقير
ببخشش زابر بهارى فزون صفات كمالش زغايت برون

[اكر فرمايى برويم وطعامي جهت كرسنكان كنعان بياريم يعقوب أجازت فرمود وبنيامين را جهت خدمت خود باز كرفت وده فرزند ديكر هريك باشترى وبضاعتي كه داشتند روى براه آوردند ويك شترجهت بنيامين بابضاعت او همراه بردند] وقال بعضهم: لما أجدبت بلاد الشام وغلت أسعارها جمع يعقوب بنيه وقال لهم يا بني أما ترون ما نحن فيه من القحط فقالوا: يا أبانا وما حيلتنا؟ قال: اذهبوا إلى مصر واشتروا منها طعاماً من العزيز قالوا: يا نبي الله كيف يطيب قلبك ترسلنا إلى فراعنة الأرض وأنت تعلم عدواتهم لنا ولا نأمن أن ينالنا منهم شر، وكانت تسمى أرض مصر بأرض الجبابرة لزيادة الظلم والجور فقال لهم يا بني قد بلغني إنه ولي أهل مصر ملك عادل فاذهبوا إليه واقرئوه مني السلام فإنه يقضي حاجتكم ثم جهز أولاده العشرة وأرسلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ أي: ممتارين قالوا: لما دنا ملاقاة يعقوب بيوسف وتحول الحال من الفرقة إلى الوصلة ومن الألم إلى الراحة ابتلى الله الخلق ببلاء القحط، ليكون ذلك وسيلة إلى خروج أبناء يعقوب لطلب المعاش وهو إلى المعارفة والمواصلة، وكانت بين كنعان ومصر ثماني مراحل لكن أبهم الله تعالى ليعقوب عليه السلام مكان يوسف ولم يأذن ليوسف في تعريف حاله له إلى مجيء الوقت المسمى عند الله تعالى فجاؤوا بهذا السبب إلى يوسف في مصر. ﴿فدخلوا عليه﴾ أي على يوسف وهو في مجلس حكومته على زينة واحتشام ﴿فعرفهم﴾ في بادىء الرأي وأول النظر لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذٍ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمان القحط، وقد أخبره الله حين ما

ألقاه إخوته في الجب لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، فعلم بذلك أنهم يدخلون عليه البتة فلذلك كان مترصداً لوصولهم إليه فلما رآهم عرفهم ﴿وهم له منكرون﴾ أي والحال إنهم منكرون ليوسف لطول العهد، لما قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه كان بين أن قذفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه ولبعد حاله التي رأوه عليها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدراهم معدودة وقلة تأملهم في حلاه من الهيبة والاستعظام.

وفي «التأويلات النجمية» عرفهم بنور المعرفة والنبوة ﴿وهم له منكرون﴾ لبقاء ظلمة معاصيهم وحرمانهم من نور التوبة والاستغفار ولو عرفوه حق المعرفة ما باعوه بثمن بخس ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي: أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافر وأوقر ركائبهم، أي: أثقل بما جاؤوا لأجله من الميرة، وهي بكسر الميم وسون الياء طعام يمتاره الإنسان أي يجلبه من بلد إلى بلد ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ [بياريد بمن برادرى كه شماراست ازپدر شما يعني علاتيست نه اعياني] والعلة الضرة وبنو العلات بنو أمهات شتى من رجل لأن الذي تزوجها على الأولى قد كانت قبلها تأهل ثم عل من هذه، وبنو الأعيان إخوة لأب وأم وبنو الأخياف إخوة، أمهم واحدة والأباء شتى، ولم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم فإنه فرق بين مررت بغلامك ومررت بغلام لك، فإنك في التعريف تكون عارفاً بالغلام وفي التنكير أنت جاهل به، ولعله إنما قاله لما قيل من إنهم سألوه حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به ليعلم صدقهم، وكان يوسف يعطي لكل نفس حملاً لا غير تقسيطاً بين الناس.

وقال الكاشفي: [هريك را يك شتر بار كندم دادند كفتنديك شتروار ديكر بجهت برادر ماكه در خدمت پدر است بدهيد يوسف كفت من شمار مردم ميدهم نه بشمار شتر ايشان مبالغه نمودند ﴿قال ائتوني﴾] الآية.

وقال في «بحر العلوم» لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترأ القول هذه المسألة ـ روي ـ أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي، قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة قال: فأين الآخر الحادي عشر؟ قالوا: عند أبيه ليتسلى به من الهالك، قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق؟ قالوا: أنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده ﴿ألا ترون﴾ [ايا نمى بينيد] ﴿أني أوفي الكيل﴾ أتمه لكم.

قال الكاشفي: [من تمام مى بيمايم پيمانه را وحق كسى بازنمى كيرم] ﴿وأنا خير المنزلين﴾ والحال أني في غاية الإحسان وفي إنزالكم وضيافتكم، وقد كان الأمر كذلك [يعني در انزال مهمانان وإكرام وإحسان باايشان دقيقهٔ فرونميكذاريم] ولم يقله عليه السلام بطريق

الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فإن لم تأتوني به﴾ [پس اكرنيارد بمن آن برادررا] ﴿فلا كيل لكم عندي﴾ من بعد، أي في المستقبل فضلاً عن إيفائه والمقصود عدم إعطاء الطعام كيلاً ﴿ولا تقربون﴾ بدخول بلادي فضلاً عن الإحسان في الإنزال والضيافة.

قالوا: الله أمره بطلب أخيه ليعظم أجر أبيه على فراقه، وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء، كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، يعني أنه سواء كان خبراً أو نهياً يكون داخلاً في حكم الجزاء معطوفاً عليه لكن جزمه على الثاني بلا الناهية، وعلى الأول بالعطف على ما هو في محل الجزم.

قال في «الإرشاد» وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوماً له عليه السلام.

﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله ﴿وإنا لفاعلون﴾ ذلك غير مفرطين ولا متوانين عبروا بما يدل على الحال تنبيهاً على تحقيق وقوعه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ٦] وفيه إشارة إلى أن لطائف الحيل وسائل في الوصول إلى المراد وأن الانخداع كما أنه من شأن العامة كذلك هو من شأن خواص العباد بموجب البشرية التي ركبها الله على السوية بين الأفراد [آورده اندكه چهار كس درباغي رفتند بي أجازت مالك وبخوردن ميوه مشغول كشتند. يكى ازان جمله دانشمندي بود. ودوم علوي. وسوم لشكري. وچهارم بازاری خداوند باغ در آمد چون ديدكه دست خيانت دراز كرده اند وميوهٔ بسيار تلف شده باخود انديشه كردكه اكرنه بنوع از فريب ومكر وحيلت درپيش آيم باايشان برنيايم. اول روی بمرد عالم آورد وكفت تومردد انشمندي ومقتداي مايى ومصالح معاش ومعاد ما ببركت اقلام وحركت أقدام شما منوطست وأين بزرك ديكر ازخاندان نبوت وازاهل فتوت است وما ازجملهٔ چاكران خاندان ويم ودوستى ايشان بر ما واجبست چنانكه حق تعالى ميفر مايد ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] واين عزيز ديكر مرد لشكريست وخانمان وجان ما بتيغ بران وسعى وتدبيرايشان آباذان وباقيست شما اكر درباغ من آييد وتمام ميوها بمصلحت خود صرف كنيد جان ما وباغ ما فداي شما باد اين مرد بازاری كيست واورا حجت چيست وبچه سبب درباغ من آمده است ودست دراز كرده كريبان وی بكرفت واورا دست بردی تمام نمودكه آواز پاي در آمد ودست وپايش محكم ببست وبينداخت بعد ازان روی بلشكری نهاد وكفت من بندهٔ سادات وعلما ام توندانستهٔ كه من خراج اين باغ بسلطان داده أم اكر سادات وائمه بجان ما حكم فرمايند حاكم باشند أما بكوی كه توكيستی وبچه سبب درباغ من آمدی اورانيز بكرفت وكوشمالي تمام بتقديم رسانيد واورا نيز محكم دربست بعد ازان روی بدانشمند آوردكه همه عالم بندكان ساداتند وحرمت داشتن ايشان برهمه كس واجبست أما توكه مرد عالمي اين قدر ندانی كه درملك ديكران بي أجازت نبايد رفت ومال مسلمانان بغصب نبايد برد جان من وخانمان من فدای سادات بادهر جاهل كه خودرا دانشمند خواند وهيچ نداند درخور تأديب ومستحق تعذيب باشد

اورا نيزتمام بر نجانيد ومقيد كردانيد بعدازان روى بعلوى آورد وكفت اي لا سيد مكار وأي مدعى نابكار أي ننك سادات عظام وأي عاروشين شرفاء كرام بچه سبب درباغ من آمده وبكدام دل وزهره اين دليرى نموده رسول فرموده است كه مال امت من بر لا علويان حلالست اورانيز أدب بليغ بتقديم رسانيد ومحكم دست وپاى وى دربست وبلطف حيل هر چاررا تأديب كرد وبهاي ميوه كه خورده بودند ازايشان بستاد وبشفاعت ديكران دست ازايشان بداشت اكر حيله درامور دنيوي نبودي صاحب باغ كه يك تن بود تأديب چهار مرد نتوانستي كرد ومقصود أو بحصول موصول نكشتى] فإذا انقطع أسباب الحيل يلزم حينئذ الغلظة في المعاملة إن اقتضت الحال ذلك وإلايسكت ويسلم

چو دست ازهمه حيلتي دركسست حلالست بردن بشمشير دست

﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وقال﴾ يوسف ﴿لفتيانه﴾ غلمانه الكيالين، أي الموكلين على خدمة الكيل جمع فتى وهو المملوك شاباً كان أو شيخاً. ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ دسوها في جواليقهم وذلك بعد أخذها وقبولها وإعطاء بدلها من الطعام، والبضاعة من البضع بمعنى الشق والقطع لأنها قطعة من المال. والرحل الوعاء ويقال لمنزل الإنسان ومأواه رحل أيضاً، ومنه نسي الماء في رحله، وكل بكل رحل من يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالاً وأدماً وقيل دراهم، فإن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد بالآحاد وإنما فعله عليه السلام تفضلاً عليهم وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى ﴿لعلهم يعرفونها﴾ أي: يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين. ﴿إذا انقلبوا﴾ أي: رجعوا ﴿إلى أهلهم﴾ وفتحوا أوعيتهم فالمعرفة مقيدة بالرجوع وتفريغ الأوعية ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا مرة أخرى بأخيهم بنيامين، فإن التفضل عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند إعادة البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فلما رجعوا﴾ من مصر ﴿إلى أبيهم﴾ في كنعان ﴿قالوا﴾ قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع. ﴿يا أبانا منع منا الكيل﴾ مصدر كلت الطعام إذا أعطيته كيلاً ويجوز أن يراد به المكيال أيضاً على طريقة ذكر المحل وإرادة الحال، أي منع ذلك فيما بعد في المستقبل وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد أخرى معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام.

قال الكاشفي: [يعني ملك مصر حكم كردكه ديكر طعام برمانه پيمانند اكر بنيامين را نبريم] وذكروا له إحسانه، وقالوا: إنا قدمنا على خير رجل نزلنا، وأكرمنا بكرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وذكروا أنه ارتهن شمعون. ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ بنيامين إلى مصر وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم ﴿نكتل﴾ بسببه ما نشاء من الطعام من الاكتيال يقال اكتلت عليه، أي: أخذت منه كيلاً ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يصيبه مكروه ضامنون برده.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿قال﴾ يعقوب ﴿هل آمنكم عليه﴾ استفهام في معنى النفي، وآمن فعل مضارع والأمن والائتمان بمعنى وهو بالفارسية [أمين داشتن كسى را]. ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه﴾ منصوب على أنه نعت مصدر منصوب أي إلا أمنا كامني إياكم على أخيه يوسف ﴿من قبل﴾ وقد قلتم في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم، فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوض الأمر إلى الله تعالى ﴿فالله خير﴾ مني ومنكم ﴿حافظاً﴾ تمييز أو حال، مثل: لله دره فارساً. ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ من أهل السموات والأرضين فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع عليّ مصيبتين، وهذا كما ترى ميل منه إلى الإذن والإرسال لما رأى فيه من المصلحة.

قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً قال الله تعالى: وعزتي لأردنّ عليك كليهما بعد ما توكلت عليّ فينبغي أن يتوكل على الله ويعتمد على حفظه دون حفظ ما سواه فإن ما سواه محتاج في حفظه إلى الأسباب والآلات والله تعالى غني بالذات مستغن عن الوسائط في كل الأمور وفي جميع الحالات ولذا حفظ يوسف في الجب وكذا دانيال عليه السلام فإن بخت نصر طرحه في الجب وألقى عليه أسدين فلم يضراه، وجعلا يلحسانه ويتبصبصان إليه فأتاه رسول فقال يا دانيال فقال: من أنت؟ قال: أنا رسول ربك إليك أرسلني إليك بطعام فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره.

ومن حفظه تعالى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوماً تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلق به في السماء فانفلت منه أسود سالخ وهو نوع من الأفعوان شديد السواد وسمي بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام فقال النبي عليه السلام: «هذه كرامة أكرمني الله بها اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على رجلين ومن شر من يمشي على أربع ومن شر من يمشي على بطنه».

ومن لطائف الأخبار ما ذكر في «أنيس الوحدة» بالفارسية: [مردى رازنى بود صاحب جمال واوازغايت غيرت كه از لوازم محبت است طاقتي نداشتى كه باد بر سر زلف أو كذر يا فتى يا آفتاب جهان تاب دروى تافتي:

بادرا كر خبر ازغيرت عاشق بودي بر سر سنبل زلفش نكذشتى ازبيم

أطراف وجوانب خانه چنان محفوظ ومضبوط كردانيده كه ازنظر غير دائماً مصون ومستور بودي زن چون روزي چند دران خانهٔ ضيق بماند بتنك آمد شوهر را كفت مراتا اين غايت چرادر بند ميدارى:

در قفص طلبد هر كجا كرفتاريست

پيش ازين مرا كرفتار مدارزن اكر بد كار ونابكار باشد هيچ افريده اورا نكاه نتواند داشت ونداردواكر پارسا وعفيفه ونيكو كار باشد سر بهركه درجهان بلكه بماه آسمان فرونيارد ازين بندو حبس دست بدار ومرا بامستورى من سپاركه عفت من مرا حافظي بي مثل وراقبي بي نظيرست ازين نوع چند انكه كفت درنكرفت بلكه در محافظت أو بيشترمى كوشيد زن خواست

که اورا برهاني نمايد در جوار اوزالي بودکه كاه كاهي ازشكاف دربا اوسخن كفتي روزي اورابخواند وبجواني که دران همسایه بود پیغام فرستاد وکفت مدتي است تادر عشق كرفتارم وپی تو عاشق زارم وخواهان دولت مواصلت وآرزومند سعادت ملاقات زال تبليغ رسالت کرد جوان چون وصف حسن وجمال اوشنیده بود ازشادی در طرب واهتزاز آمد واز مسرت وابتهاج در هوای عشق جون باز بپرواز جواب فرستاد که:

جانا بزبان من سخن میکویی باخود سخن از زبان تو میکویی
کیست آنکس که نخوهدکه توجانش باشی

من بعد در سراین کارم وعشق ترا بجان خريدار أما شوهر مردي عظيم غيورست وتمناي وصالت اندیشهٔ دور کفت

راه وصل ما بپای عاشقان کر ترا رغبت بود کامی بود

مصلحت آنست که بعزم سفر آوازه دراندازی وصندوقي بزرك بسازی وبشوهر من فرستي که بسفر میروم وصندوقي پر ازمتاع دارم وبجز ازتو بهيچ كس اعتماد ندارم میخواهم که بخانهٔ ثو آرم وبامانت بسپارم اکر قبول کنی لطفي بموقع خود بود ورهين منت کردم اورا وداع کنی وبروی وبعد ازان درین صندوق روی وغلامت بخانهٔ ما آرد وهرکاه که شوهرم بیرون رود

تو ز صندوق خویش بیرون آي وز جمالم همیشه می آساي

جوانرا این تدبیر خوش آمد وبران موجب کار پیش کرفت چون صندوق را بخانهٔ آن فرستاد وموضعي معين کرد که صندوق بنهد زن پیش شوهر آمد وکفت این چیست وصندوق کیست شوهر حال بازکفت زن کفت میدانیکه در صندوق چیست کفت نمی دانم کفت از عقل دور باشدکه صندوقي مقفل بخانه آری وندانیکه درانجا چیست اکر فردا خصم بیاید وکوید درابحا أنواع جواهر ولآلی بود وخلاف آن باشد چون از عهدهٔ آن بیرون آبی صواب آن باشد که یکی را ازخانهٔ او بیاري وجمعي از محلت حاضر کر داني تاسر صندوق بکشایند وهرچه در آنجا باشد بنمایند تادر وقت مطالبت أمانت طرق قيل وقال مسدود باشد مرد چون سخن مقبول شنید صلاح درین دید غلام آن مرد وجماعتي چند حاضر کردانید وسر صندوق بکشادند وجوانرا دیدند در آنجا چون مغزدر پسته نشسته وازغايت خجالت وشر مساری زبان نطق بسته شوهر زن صاحب جمال نيك متحير ومتغير شد زن کفت أي خواجه این جوانرا هیچ کناهی نیست این کار منست وپیشهٔ من غرض آن بودکه چون پیوسته مرا مقید ومعذب میداشتی خواستم که باتو نمایم که زنانر هرکز نکاه نتوان داشت زن بایدکه خود مستور ونيك نام بود اکرچه از آنچه احتراز میکردي مرا بدان ميل والتفاتي بودي يانه عفت من مانع آن حالت کشتی تو بدست خود یاری آورده بودي أما غرض من نمودن بر هانست واظهار عفت خود اکنون مرا باعفت خود سپار ودست از محافظت ومراقبت من بدار مرد چون آن حال مشاهده کرد دست ازرعایت أو بداشت وبيش ازان اورا مقيد نداشت وبحفظ حق حواله کرد].

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ الذي حملوه من مصر وهو اسم من متع كالكلام والسلام من كلم

وسلم، وهو في الأصل كل ما انتفع به والمراد به هنا أوعية الطعام مجازاً إطلاقاً للكل على بعض مسمياته، ويسمى بعضهم هذا النوع من المجاز أعني إطلاق الكل على البعض حقيقة قاصرة ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ [يافتند بضاعت خو دراكه تسليم ملك كرده بودند] ﴿ردت إليهم﴾ تفضلاً وقد علموا ذلك بدلالة الحال، كأنه قيل ماذا قالوا حينئذٍ؟ فقيل: ﴿قالوا﴾ لأبيهم ولعله كان حاضراً عند الفتح كما في «الإرشاد» ويؤيده ما في القصص من أن يعقوب قال لهم: يا بني قدموا أحمالكم لأدعو لكم فيها بالبركة فقدموا أحمالهم وفتحوها بين يديه فرأوا بضاعتهم في رؤوس أحمالهم فقالوا عند ذلك ﴿يا أبانا ما نبغي﴾ ما استفهامية منصوبة بنبغي وهو من البغي بمعنى الطلب أي أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان. ﴿هذه بضاعتنا﴾ [اينست بضاعت ماكه غله بدين بضاعت بما فروخته اند] ﴿ردت إلينا﴾ أي: حال كونها مردودة إلينا تفضلاً من حيث لا ندري بعد ما من علينا بالمنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب المزيد ﴿ونمير أهلنا﴾ أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك، وهو معطوف على مقدر أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك يقال مار أهله يميرهم ميرا إذا أتاهم بالميرة وهي الطعام المجلوب من بلد إلى بلد ومثله امتار. ﴿ونحفظ أخانا﴾ من الجوع والعطش وسائر المكاره ﴿ونزداد﴾ [وزياده بستانيم بواسطه او] ﴿كيل بعير﴾ أي حمل بعير يكال لنا من أجل أخينا لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير كأنه قيل أي حاجة إلى الازدياد فقيل: ﴿ذلك﴾ أي: ما يحمله أباعرنا ﴿كيل يسير﴾ أي: مكيل قليل لا يقوم بأودنا أي قوتنا.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قال﴾ أبوهم ﴿لن أرسله معكم﴾ بعد ما عاينت منكم ما عاينت ﴿حتى تؤتون﴾ [تابدهيد مرا] ﴿موثقاً من الله﴾ أي عهداً موثوقاً به أي معتمداً مؤكداً بالحلف وذكر الله، وهو مصدر ميمي بمعنى الثقة استعمل في الآية بمعنى اسم المفعول أي الموثوق به، وإنما جعله موثقاً منه تعالى لأن توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن منه تعالى ﴿لتأتنني به﴾ جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به في كل الأوقات ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ إلا وقت الإحاطة بكم وكونهم محاطاً بهم إما كناية عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لا يقدرون على إتيانه البتة أو عن هلاكهم وموتهم جميعاً وأصله من العدو فإن من أحاط به العدو يصير مغلوباً عاجزاً عن تنفيذ مراده أو هالكاً بالكلية، ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] فابتلي من ناحية هذا القول حيث قالوا أكله الذئب وقال ههنا ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾ فابتلي أيضاً بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه كما سيأتي.

قال الكاشفي: [درتبيان فرموده كه اورا بشما ندهم تا سوكند خوريد بحق محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ايشان قبول نموده بمنزلت حضرت پيغمبر ما سوكند خوردند كه درمهم بنيامين غدر نكنند]. ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله وحثهم على مراعاة ميثاقهم.

وفيه إشارة إلى أن التوكل بعد التوكيد كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي «الكواشي» في قول يعقوب ﴿لن أرسله معكم﴾ الآية دليل على جواز التعلق بالأسباب الظاهرة مع صحة التوكل. وفي «المثنوي»:

كر توكل ميكني در كار كن كشت كن پس تكيه برجبار كن

فينبغي للإنسان أن يجمع بين رعاية الأسباب المعتبرة في هذا العالم وبين أن لا يعتمد عليها وأن لا يراعيها إلا لمحض التعبد، بل بربط قلبه بالله وبتقديره ويعتمد عليه وعلى تدبيره، ويقطع رجاه عن كل شيء سواه وليس الشأن أن لا تترك السبب بل الشأن أن تترك السبب، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية لأن التجريد حال الآخذ من الله بلا واسطة فالمتجرد في هذه الحالة كمن خلع عليه الملك خلعة الرضى فجعل يتشوف لسياسة الدواب.

قال بعض المشايخ مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما اعمل وكل من عمل يدك، وقال للآخر الزم أنت حضرتي وأنا أقوم لك بقسمتي فمتى خرج واحد منهما عن مراد السيد منه فقد أساء الأدب وتعرض لأسباب المقت والعطب والأسباب على أنواع.

فقد قيل: من وقع في مكان بحيث لم يقدر على الطعام والشراب فاشتغل باسم الصمد كفاه والصمدية هي الاستغناء عن الأكل والشرب.

وعن بعضهم أنه سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله سبحانه أن لا يسأل أحداً شيئاً فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه شيء فعجز عن المشيء ثم قال هذا حال ضرورة تؤدي إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدي إلى الانقطاع، وقد نهى الله عن الإلقاء إلى التهلكة ثم عزم على السؤال فلما همّ بذلك انبعث من خاطره رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا انقض عهداً بيني وبين الله تعالى، فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضجعاً، ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا هو بفارس قائم على رأسه معه إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرورة فقال له أتريد القافلة؟ فقال: وأين مني القافلة؟ فقال قم وسار معه خطوات ثم قال قف هنا والقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه فانظر إن البقاء فرع الفناء، فما دام لم يحصل للمرء الفناء عن الوجود لم يجد البقاء من الله ذي الفيض والجود:

يكجو از خر من هستي نتواند برداشت هركه در كوى فنا درره حق دانه نكشت

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وقال﴾ يعقوب ناصحاً لبنيه لما ازمع على إرسالهم جميعاً ﴿يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد﴾ وكان لها أربعة أبواب ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي: من طرق شتى وسكك مختلفة مخافة العين فإن العين والسحر حق، أي كائن أثرهما في المعين والمسحور، وصاهم بذلك في هذه الكرة لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة مشتهرين في مصر بالقربة عند الملك فخاف عليهم إن دخلوا جماعة واحدة أن يصابوا بالعين ولم يوصهم في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذٍ مغمورين بين الناس غير متجملين تجملهم في الثانية، وكان الداعي إليها خوفه على بنيامين [در لطائف آورده كه يعقوب در اول مهر پدري پيداكرد وآخر عجز

بندكي آشكار كرد كه كفت] ﴿وما أغني عنكم﴾ أي: لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيري ﴿من الله﴾ وقضائه ﴿من﴾ من زائدة لتأكيد النفي ﴿شيء﴾ أي: شيئاً فإن الحذر لا يمنع القدر.

من جهد همي كنم قضا ميكويد   بيرون ز كفايت تو كار دكرست

ولم يرد به الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة، بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير، وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله وهرب منه إليه. ﴿إن الحكم﴾ أي: ما الحكم مطلقاً ﴿إلا لله﴾ لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء فلا يحكم أحد سواه بشيء من السوء وغيره ﴿عليه﴾ لا على أحد سواه ﴿توكلت﴾ في كل ما آتى واذر، وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل ﴿وعليه﴾ دون غيره ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ الفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم.

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره للعباد على الله ثلاثة أشياء تكليفهم وآجالهم والقيام بأمرهم، ولله على العباد ثلاثة التوكل عليه واتباع نبيه والصبر على ذلك إلى الموت. ومعنى ذلك أن الثلاثة الأول دخول العبد فيها تكلف إذ لا يتصور وجودها بسبب منه، ولا يجب على الله شيء. والثلاثة الآخر لا بد من قيام العبد بها إذ لا بد من تسببه فيها.

واعلم أنه قد شهدت بإصابة العين تجاريب العلماء من الزمن الأقدم وتطابق ألسنة الأنبياء على حقيتها: قال الكمال الجندي:

عقل باطل شمرد چشم توهر خون كه كند   ظاهراً بي خبر ازنكتهٔ العين حقست

وفي الحديث: «إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» وعن علي رضي الله عنه إن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك فقال «الحسن والحسين أصابهما عين» فقال يا محمد صدقت فإن العين حق وتحقيقه أن الشيء لا يعان إلا بعد كماله وكل كامل فإنه يعقبه النقص بقضاء، ولما كان ظهور القضاء بعد العين أضيف ذلك إليها فالتأثير الحاصل عقيبه هو فعل الله على وفق إجراء عادته إذ لا تأثير للعين حقيقة على ما هو مذهب أهل السنة.

وقال بعضهم تأثير المؤثر في غيره لا يجب أن يكون مستنداً إلى القوى الجسمانية بل قد يكون التأثير نفسانياً محضاً، ويدل عليه أن اللوح الذي يكون قليل العرض إذا كان موضوعاً على الأرض يقدر الإنسان على المشي عليه، ولو كان موضوعاً فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشي عليه وما ذلك إلا لأن خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه، فعلمنا أن التأثيرات النفسانية موجودة من غير أن يكون للقوى الجسمانية مدخل لها، وأيضاً إذ تصور الإنسان كون فلان مؤذياً له حصل في قلبه غضب يسخن بذلك مزاجه جداً، فمبدأ تلك السخونة ليس إلا ذاك التصور النفساني ولأن مبدأ الحركات البدنية ليس إلا التصورات النفسانية، فلما ثبت أن تصور النفس يوجب تغير بدنه الخاص لم يبعد أيضاً أن يكون بعض النفوس بحيث تتعدى تأثيراتها إلى سائر الأبدان فثبت أنه لا يمتنع في العقل أن يكون بعض النفوس مؤثراً في سائر الأبدان فإن جواهر النفس مختلفة بالماهية فجاز أن يكون بعض النفوس بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط أن يراه ويتعجب منه.

وقال بعضهم: وجه إصابة العين أن الناظر إذا نظر إلى شيء واستحسنه ولم يرجع إلى الله وإلى رؤية صنعه قد يحدث الله في المنظور علة بجناية نظره على غفلة، ابتلاء من الله لعباده ليقول المحق إنه من الله، وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سبباً.

وقال بعضهم: صاحب العين إذا شاهد الشيء وأعجب به كانت المصلحة له في تكليفه أن يغير الله ذلك الشيء حتى لا يبقى قلب المكلف متعلقاً به.

وقال بعضهم: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين فيتضرر بالهلاك والفساد، كما قيل مثل ذلك في بعض الحيات فإن من أنواع الأفاعي ما إذا وقع بصرها على عين إنسان مات من ساعته، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضها بالمقابلة والرؤية وبعضها لا يحتاج إلى المقابلة بل يتوجه الروح إليه ونحوه، ومن هذا القبيل شر الحسود المستعاذ منه، حتى قال بعضهم إن بعض العائنين لا يتوقف عينهم على الرؤية بل ربما يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير رؤية.

قال القزويني ويختص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجب مثله لغيرها، كما ذكر أن في الهند قوماً إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم. ومن هذا القبيل ما ذكر أن السلطان محمود غزا بلاد الهند وكان فيها مدينة كلما قصدها مرض، فسأل عن ذلك فقيل له إن عندهم جمعاً من الهند إذا صرفوا همتهم إلى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشويش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فهذا تأثير الهمة، وأما تأثير المحبة فقد حكى أن بعض الناس كان يهوى شاباً يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبه رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر.

شقيقك غيب في لحده ... وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف ... لباس الحداد على فقده

فخسف القمر من ساعته، فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن المحبة مغناطيس القلوب، وتأثير الأرواح في الأجسام أمر مشاهد محسوس فالتأثير للأرواح ولشدة ارتباطها بالعين نسبت إليها.

قال بعض الحكماء: ودليل ذلك أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خف أثر لسعها لأن الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلاً للانحراف، فما دامت حية فإن نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق اللمسوع به وهذا مشاهد، ولا أقول إن خاصية قتلها منحصرة فيها فقط بل هي إحدى فوائدها المنقولة عنها، وأصل ذلك كله من إعجاب العائن بالشيء فيتبعه كيفية نفسه الخبيثة فيستعين على تنفيذ سميتها بعينه وقد يعين الرجل نفسَه بغير إرادة منه وهذا أردى ما يكون.

وينبغي أن يعلم أن ذلك لا يختص بالإنس بل قد يكون في الجن أيضاً وقيل عيونهم أنفذ من اسنة الرماح.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام رأى في بيتها جارية وفي وجهها صفرة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة» وأراد بها العين أصابتها من الجن.

قال الفقهاء: من عرف بذلك حبسه الإمام وأجرى له النفقة إلى الموت فلما كان أصل ذلك استحسانه.

قال عثمان رضي الله عنه: لما رأى صبياً مليحاً، «دسموا نونته لئلا تصيبه العين» أي سودوا نقرة ذقنه.

قالوا: ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه أن النظر الشؤم يقع عليه أولاً فتنكسر سورته فلا يظهر أثره، وقد جعل الله لكل داء دواء ولكل شي ضداً فالدعوات والأنفاس الطيبة تقابل الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، والحواس الفاسدة فتزيله ـ وروي ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافى فقال «إن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني وقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فأفقت» وفيه وفيما ذكر من حديث أم سلمة دلالة على جواز الاسترقاء وعليه عامة العلماء هذا إذا كانت الرقى من القرآن أو الاذكار المعروفة أما الرقى التي لا يعرف معناه فمكروهة.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ «هلا تنشرت» أي تعلمت النشرة وهي الرقية.

قال بعضهم: وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليه السلام ذلك عليها، وكرهها جمع، واستدلوا بحديث في سنن أبي داود مرفوعاً «النشرة من عمل الشيطان» وحمل ذلك على النشرة التي تصحبها العزائم المشتملة على الأسماء التي لا تفهم كما قال المطرزي في «المغرب» إنما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخل فيه سحراً وكفراً.

وأما ما كان من القرآن وشيء من الدعوات فلا بأس به.

وأما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب أو الآية المجربة أو بعض أسماء الله لدفع البلاء فلا بأس به ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان إلى النساء كذا في «التتارخانية» وعند البعض يجوز عدم النزع، إذا كان مستوراً بشيء والأولى النزع. وكان عليه السلام يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فعوذوا بها أولادكم فإن إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق» رواه البخاري في «صحيحه». وكلمات الله كتبه المنزلة على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وغيرهما وكونها تامة لعرائها عن النقص والانفصام. وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله بكلمات الله التامة على أن القرآن غير مخلوق ويقول إن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام غير مخلوق وهو كلام الله تعالى.

يقول الفقير: جاءت الاستعاذة بمخلوق في قول علي رضي الله عنه: إذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد وذلك أن دانيال لما ابتلى بالسباع كما ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ جعل الله الاستعاذة به في ذلك تمنع شر الذي لا يستطاع كما في «حياة الحيوان».

قال بعضهم: هذا مقام من بقي له التفات إلى غير الله فأما من توغل في بحر التوحيد حيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام قال «أعوذ بك منك».

وإلهامه إحدى الهوام وهي حشرات الأرض.

وقال الخطابي: ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما، وأما حديث ابن عجرة «أيؤذيك هوام رأسك» فالمراد بها القمل على الاستعارة.

واللامة الملمة، من المت به أي نزلت، وجيء على فاعلة ولم يقل ملمة للازدواج بهامة ويجوز أن يكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه يلمه إذا جمعه يقال إن دارك تلم الناس أي تجمعهم.

وفي «الفتوحات المكية» إن التأثير الحاصل من الحروف وأسماء الله تعالى من جنس الكرامات أي إظهار الخواص بالكرامة فإن كل أحد لا يقدر استخراج خواص الأشياء.

وعن عائشة رضي الله عنها يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذي أصيب بالعين.

وعن الحسن دواء إصابة العين أن تقرأ هذه الآية ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥١-٥٢] وليس في الباب أنفع من هذه الآية لدفع العين.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي عليه السلام «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين فنفث فيهما ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه يفعل ذلك ثلاث مرات» وقد قيل إن ذلك أمان من السحر والعين والهوام وسائر الأمراض والجراحات.

والسنة لمن رأى شيئاً فأعجبه، فخاف عليه العين أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم يبرك عليه تبريكاً، فيقول: بارك الله فيك وعليك.

وذكر أن أعجب ما في الدنيا ثلاثة، البوم لا تظهر بالنهار خوف أن تصيبها لعين لحسنها كما قال في «حياة الحيوان» ولما تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان لم تظهر إلا بالليل. والثاني الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحداهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوف أن تخسف الأرض. والثالث الطائر الذي يقف على سوقه في الماء من الأنهار ويعرف بمالك حزين يشبه الكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشاً، ونظيره أن دوداً بطبرستان يكون بالنهار من المثقال إلى الثلاثة يضيء في الليل كضوء الشمع ويطير بالنهار فيرى له أجنحة وهي خضراء ملساء لا جناحين له في الحقيقة غذاؤه التراب لم يشبع قط منه خوفاً من أن يفنى تراب الأرض فيهلك جوعاً.

يقول الفقير: ذلك الطائر وهذا الدود إشارة إلى أهل الحرص والبخل من أهل الثروة فإنهم لا يشبعون من الطعام بل من الخبز خوفاً من نفاد أموالهم مع كثرتها، ونعوذ بالله وقد التقطت إلى هنا من «إنسان العيون» و«شرح المشارق» لابن الملك و«شرح الشرعة» لابن السيد على أنوار المشارق و«شرح الطريقة» لمحمد الكردي و«الأسرار المحمدية» ولغة «المغرب» و«حياة الحيوان» و«شرح الحكم» و«حواشي» ابن الشيخ و«حواشي» سعد المفتي.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾.

﴿ولما دخلوا﴾ [آن هنكام كه در آمدند اولاد يعقوب] ﴿من حيث أمرهم أبوهم﴾ من الأبواب المتفرقة في البلد والجار والمجرور في موضع الحال، أي دخلوا متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم﴾ رأي يعقوب ودخولهم متفرقين ﴿من الله﴾ من جهته تعالى ﴿من شيء﴾ أي: شيئاً مما قضاه عليهم والجملة جواب لما ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ حاجة منصوبة بإلا لكونها بمعنى لكن، وقضاها بمعنى أظهرها، ووصى بها خبر لكن، والمعنى أن رأي يعقوب في حق بنيه وهو أن يدخلوا من الأبواب المتفرقة واتباع بنيه له في ذلك الرأي ما كان يدفع عنهم شيئاً مما قضاه الله عليهم، ولكن يعقوب أظهر بذلك الرأي ما في نفسه من الشفقة والاحتراز من أن يعانوا، أي: يصابوا بالعين ووصى به، أي لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر من غير اعتقاد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقرير، وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم. قال في «المثنوي»:

كرشود ذرات عالم حيله پيچ ... باقضاى آسمان هيچست هيچ
هرچه آيد زآسمان سوى زمين ... نى مقر دارد نه چاهره نه كمين
حيله ها وچارها كز اژ دهاست ... پيش إلا الله إنها جمله لاست

﴿وإنه﴾ أي يعقوب ﴿لذو علم﴾ جليل ﴿لما علمناه﴾ بالوحي ونصب الأدلة ولذلك قال ﴿وما يغني عنكم من الله من شيء﴾ لأن العين لو قدر أن تصيبهم أصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أسرار القدر ويزعمون أن يغني الحذر.

تدبير كند بنده وتدبير نداند ... تقدير خدارند بتدبير نماند

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ولكن﴾ أرباب الصورة ﴿لا يعلمون﴾ أن ما يجري على خواص العباد إنما هو بوحينا وإلهامنا وتعليمنا فهم يعلمون بما نأمرهم ونحن نفعل ما نشاء بحكمتنا.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولما دخلوا على يوسف﴾ [وآن وقت كه در آمدند اولاد يعقوب بر يوسف بباركاه او رسيدند يوسف بر تخت نشسته بود ونقاب فرو كذاشته پرسيدكه چه كسانيد كفتند كنعا نيانيم كه مارا فرموده بوديد كه برادر خودرا بياريد اورا ازپدر خواستيم وبعهد وپيمان آورديم] فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فاجلسوا فجلسوا على حاشية البساط فأكرمهم ثم أضافهم واجلسهم مثنى مثنى أي كل اثنين منهم على قصعة.

وفي «التبيان» على خوان.

قال الكاشفي [يوسف فرمودكه هر دو برادر كه ازيك پدر ومادرند بريك خوان طعام خورند هر دو كس بريك خوان بنشستند بنيامين تنها مانده بكريه در آمد وميكريست تابيهوش شد يوسف بفر مود تاكلاب بروى او زدنن چون بهوش آمد پرسيدكه اي جوان كنعاني تراچه شدكه بيهوش شدي كفت أي ملك حكم فرموديكه هركس بابرادر أعياني طعام خورد مرا برادري ازمادر وپدر بودكه يوسف نام داشت بياد آمد باخود كفتم لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه از شوق اين حال بي طاقت شدم سبب كريه وبيهو شيء من أين بود كفت بياتاً

من برادر توباشم وبا توبريك خوان نشيم پس بفرمود تا خوان وبرابر داشتند ودرپس پرده آوردند واورانيز طلبيده وبدين بهانه] ﴿آوى إليه﴾ في الطعام ﴿أخاه﴾ بنيامين، وكذا في المنزل والمبيت وأنزل كل اثنين منهم بيتاً ثم قال له: هل تزوجت؟ قال نعم ولي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك.

وفي «القصص» رزقت ثلاثة أولاد ذكور قال فما أسماؤهم؟ قال: اسم أحدهم ذئب، فقال له يوسف أنت ابن نبي فكيف تسمى ولدك بأسماء الوحوش؟ فقال: إن إخوتي لما زعموا أن أخي أكله الذئب سميت ابني ذئباً حتى إذا صحت به ذكرت أخي فأبكي، فبكى يوسف وقال: ما اسم الآخر قال: دم قال ولم سميت بهذا الاسم فقال إخوتي جاؤوا بقميص أخي متضمخاً بالدم، فسميته بذلك حتى إذا صحت به ذكرت أخي يوسف فأبكي فبكى يوسف وقال وما اسم الثالث؟ قال: يوسف سميت به حتى إذا صحت به ذكرت أخي فأبكي، فبكى يوسف وقال في نفسه: إلهي وسيدي هذا أخي أراه بهذا الحزن فكيف يكون حال الشيخ يعقوب، اللهم أجمع بيني وبينه قبل فراق الدنيا ثم قال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال: من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك ﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف.

قال الكاشفي [يوسف نقاب بسته دست بطعام كردچون بنيامين را نظر بر دست يوسف افتاد بكريست يوسف اورا پرسيدكه اين چه كريه است كفت أي ملك چه ما نندست دست تو بدست برادرم يوسف كه اين كلمه را شنيد طاقتش نماند نقاب ازچهره برداشت وبنيامين را كفت منم برادر تو].

وفي القصص جعل بنيامين يأكل ويغص بأكله ويطيل النظر إلى يوسف فقال له يوسف أراك تطيل النظر إليّ فقال إني أخي الذي أكله الذئب يشبهك فقال له يوسف أنا أخوك ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن.

قال في تهذيب المصادر [الابتئاس: اندو هكين شدن] ﴿بما كانوا يعملون﴾ بناء فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا بخير وأمره أن لا يخبرهم بل يخفى الحال عنهم. وفيه تنبيه على أن إخفاء المرام وكتمه مما يستحب في بعض المكان ويعين على تحصيل المقاصد ولذلك ورد في الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» وأيضاً في الضيافة المذكورة إشارة إلى أن إطعام الطعام من سنن الأنبياء العظام كان إبراهيم عليه السلام مضيافاً لا يأكل طعاماً بلا ضيف.

وعن جابر رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أحدثكم بغرف الجنة» قلنا بلى يا رسول الله بأبينا وأمنا قال «إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال قلت لمن هذه الغرف يا رسول الله قال: «لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

ثم إن في قوله: ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ إشارة إلى أن الله تعالى لا يهدي كيد الحاسدين بل النصر الإلهي والتأييد الرباني مع القوم الصالحين ولذلك قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ألا ترى إلى ما فعل أولاد يعقوب في حق يوسف وأخيه من

الحسد والأذى فما وصلوا إلى ما أملوا بل الله تعالى جمع بينهما أي الأخوين ولو بعد حين وكذا بين يعقوب ويوسف.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ الجهاز المتاع وهو كل ما ينتفع به أي كال كيلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير وأصلحهم بعدتهم وهي الزاد في السفر.

وفي القصص قال يوسف لإخوته أتحبون سرعة الرجوع إلى أبيكم قالوا نعم فأمر الكيال بكيل الطعام وقال له زدهم وقر بعير ثم جهزهم بأحسن جهاز وأمرهم بالمسير - روي - إن يوسف لما تعرف إلى أخيه بنيامين [از هوش برفت وباخود آمده دست دركردن يوسف افكند وبزبان حال كفت

اين كه مى بينم به بيداريست يا رب يا بخواب

خويشتن رادر چنين راحت پس از چندين عذاب

آنكه دست در دامن زد] قائلاً له فأنا لا أفارقك قال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أشهرك بأمر فظيع قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم ﴿جعل السقاية﴾ هي مشربة بكسر الميم أي إناء يشرب منه جعلت صواعاً يكال به وكانت من فضة وكان الشرب في إناء الفضة مباحاً في الشريعة الأولى أو من بلور أو زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء تساوي مائتي ألف دينار ويشرب يوسف منها وقال في الكواشي كانت من ذهب مرصعة بالجواهر كال بها لإخوته إكراماً لهم.

وقال الكاشفي [ملك ازان آب خوردي درين وقت بجهت عزت ونفاست طعام آنرا پيمانه ساخته بود] ﴿في رحل أخيه﴾ بنيامين ولما انفصلوا عن مصر نحو الشام أرسل يوسف من استوقفهم فوقفوا ﴿ثم أذن مؤذن﴾ أي نادى مناد من فتيان يوسف واسمه أفراييم ﴿أيتها العير﴾ [اي كاروانيان] وهي الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب الإبل ﴿إنكم لسارقون﴾ قال بعضهم هذا الخطاب بأمر يوسف فلعله أراد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب وهو من قبيل المبالغة في التشبيه أي أخذتم يوسف من أبيه على وجه الخيانة كالسراق وقد صدر التعريض والتورية من الأبناء عليهم السلام - روي - إن رسول الله ﷺ لما نزل قريباً من بدر ركب هو وأبو بكر حتى وقفا على شيخ من العرب يقال له سفيان فسأله عليه السلام عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال له عليه السلام إذا أخبرتنا أخبرناك فأخبر الشيخ حسبما بلغه خبرهم فلما فرغ قال من أنتما فقال عليه السلام: «نحن من ماء دافق» وأوهم إنه من ماء العراق ففيه تورية وأضيف الماء إلى العراق لكثرته به - وروي - أن رسول الله ﷺ لما خرج من الغار وتوجه إلى المدينة كان أبو بكر رضي الله عنه رديفاً له وإذا سأله أي أبا بكر سائل من هذا الذي معك يقول هذا الرجل يهديني الطريق يعني طريق الخير كذا في إنسان العيون.

قال في حواشي سعدي المفتي الكذب إذا تضمن مصلحة يرخص فيه [دروغ مصلحت

آميز به ازراست فتنه انكيز] وقال بعضهم هذا الخطاب من قبل المؤذن بناء على عزمه وذلك أن يوسف وضع السقاية بنفسه في رحل أخيه وأخفى الأمر عن الكل أو أمر بذلك بعض خواصه.

قال في القصص إنه ابنه وأمره بإخفاء ذلك عن الكل ثم إن أصحاب يوسف لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم إنهم هم الذين أخذوها فنادى المنادي من بينهم على حسب ظنه إنكم لسارقون **﴿قالوا﴾** أي الإخوة **﴿وأقبلوا عليهم﴾** جملة حالية من قالوا جيء بها للدلالة على إزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم أي وقد أقبلوا على طالبي السقاية **﴿ماذا تفقدون﴾** أي تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ما الذي ضاع منكم.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ في جوابهم **﴿نفقد صواع الملك﴾** وصيغة المضارع في كلا المحلين لاستحضار الصورة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وإراءة لاعتقاد إنه إنما بقي في رحلهم اتفاقاً **﴿ولمن جاء به﴾** من عند نفسه مظهراً له قبل التفتيش.

وفي «البحر» ولمن دل على سارقه وفضحه **﴿حمل بعير﴾** من البر جعلا له **﴿وأنا به زعيم﴾** كفيل أؤديه إلى من جاء به ورده لأن الملك يتهمني في ذلك وهو قول المؤذن.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أن من يكون مستأهلاً لحمل البعير الذي هو علف الدواب متى يكون مستحقاً لمشربة هي من مشارب الملوك **﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾** قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم والجمهور على أن التاء بدل من الواو مختصة باسم الله تعالى. والمعنى ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علماً جلياً من ديانتنا وفرط أمانتنا إننا بريئون مما تنسبون إلينا فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون. وقوله لنفسد أي لنسرق فإنه من أعظم أنواع الفساد **﴿وما كنا سارقين﴾** أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي أصحاب يوسف **﴿فما جزاؤه﴾** على حذف المضاف أي فما جزاء سرقة الصواع عندكم وفي شريعتكم **﴿إن كنتم كاذبين﴾** في جحودكم ونفى كون الصواع فيكم **﴿قالوا جزاؤه من وجد﴾** أي أخذ من وجد الصواع **﴿في رحله﴾** واسترقاقه وكان حكم السارق في شرع يعقوب أن يسترق سنة بدل القطع في شريعتنا **﴿فهو جزاؤه﴾** تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه **﴿كذلك﴾** أي مثل ذلك الجزاء الأدنى **﴿نجزي الظالمين﴾** بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان بقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم منها وهم عما فعل بهم غافلون.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فبدأ﴾ يوسف بعد ما رجعوا إليه التفتيش ﴿بأوعيتهم﴾ بأوعية الإخوة العشرة أي بتفتيشها ﴿قبل﴾ تفتيش ﴿وعاء أخيه﴾ بنيامين لنفي التهمة ـ روي ـ أن أصحاب يوسف قالوا انيخوا نفتش رحالكم فأناخوا وواثقين ببراءتهم ففتشوا رحل الأخ الأكبر ثم الذي يليه ثم وثم إلى أن بلغت النوبة إلى رحل بنيامين فقال يوسف ما أظن أخذ هذا شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه وذلك قوله ﴿ثم استخرجها﴾ أي الصواع لأنه يذكر ويؤنث ﴿من وعاء أخيه﴾ فلما وجد الصاع مدسوساً في رحل بنيامين واستخرج منه نكسوا رؤوسهم وانقطت ألسنتهم فأخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع وردوه إلى يوسف وأخذوا يشتمونه بالعبرانية وقالوا له يا لص ما حملك على سرقة صاع الملك ولا يزال ينالنا منك بلاء كما لقينا من ابن راحيل فقال بنيامين بل ما لقي ابنا راحيل البلاء إلا منكم فأما يوسف فقد عملتم به ما فعلتم وأما أنا فسرّقتموني أي نسبتموني إلى السرقة قالوا فمن جعل الإناء في متاعك أليس قد خرج من رحلك قال إن كنتم سرقتم بضاعتكم الأولى وجعلتموها في رحالكم فكذلك انا سرقت الصاع وجعلته في رحلي فقال روبيل والله لقد صدق وأراد بنيامين أن يخبرهم بخبر يوسف فذكر وصيته له فسكت ﴿كذلك﴾ نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار إليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد أي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الافتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله تعالى ﴿كدنا ليوسف﴾ صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله: ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ فإنها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع. والكيد في الأصل عبارة عن المكر والخديعة وهو أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه كأنه قيل لماذا فعل يوسف ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعل في دين ملك مصر في أمر السارق أي في حكمه وقضائه إلا به لأن جزاء السارق في دينه إنما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أي إلا حال مشيئته التي هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد وإلا حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه.

قال الكواشي لولا شريعة أبيه لما تمكن من أخذ أخيه انتهى.

قال في «بحر العلوم» وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله لأيوب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم «هي أختي» لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلماً وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح ﴿نرفع درجات﴾ أي رتباً كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى ﴿من نشاء﴾ أي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ من الخلق ﴿عليم﴾ ارفع درجة منه في العلم يعني ليس من عالم إلا وفوقه اعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى.

دست شد بالاي دست اين تاكجا تا بيزدان كه إليه المنتهى
كان يكى درياست بي غور وكران جمله درياها چوسيلي پيش آن

وعن محمد بن كعب أن رجلاً سأل علياً رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها قولاً فقال الرجل ليس هو كذا ولكنه كذا وكذا فقال علي أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ من عبادنا بأن نؤتيه علم الصعود من حضيض البشرية إلى ذروة العبودية بتوفيق الربوبية ﴿وفوق كل ذي علم﴾ آتيناه علم الصعود ﴿عليم﴾ يجذبه من المصعد الذي يصعد إليه بالعلم المخلوق إلى مصعد لا يصعد إليه إلا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله إلى الله وهذا صواع لا يسعه أوعية الإنسانية انتهى كلام التأويلات.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾

﴿قالوا﴾ أن الصواع لما خرج من رحل بنيامين افتضح الإخوة ونكسوا رؤوسهم حياء فقالوا تبرئة لساحتهم ﴿إن يسرق﴾ بنيامين فلا عجب ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يريدون به يوسف.

واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنماً كان لجده أبي أمه لأنه كان يعبد الأصنام بحران وهي بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء قرية في جانب دمشق فقالت رحيل لابنها يوسف خذ الصنم واكسره لعله يترك عبادة الصنم فأخذه يوسف وكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وهو الأصح لما ذكر في الفردوس أن النبي ﷺ قال: «سرق يوسف صنماً لجده أبي أمه من فضة وذهب فكسره وألقاه على الطريق» وعيره إخوته بذلك.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان الكامل قابل لتهمة السرقة في بدء الأمر وهي الاستراق من الشهوات الدنيوية النفسانية ويخلص في النهاية للأمور الأخروية الروحانية فبين أول الأمر وآخره فرق كثير.

وقيل كانت لإبراهيم منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه راحيل وكانت تحبه حباً شديداً بحيث لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فاحتالت بأن شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو نائم وقالت فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها ففتشوا فوجدوها مشدودة علي يوسف تحت ثيابه فقالت إنه سرقها مني فكان سلماً لي وكان حكمهم إن من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها إلى أن ماتت ﴿فأسرّها يوسف﴾ أي أكن الحزازة الحاصلة مما قالوا والحزازة وجع في القلب من غيظ ونحوه كما في القاموس.

وقال في الكواشي فأسرها أي كلمتهم إنه سرق ﴿في نفسه﴾ لا إنه أسرها في بعض أصحابه كما في قوله: ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ [نوح: ٩] ﴿ولم يبدها لهم﴾ أي: لم يظهرها لهم لا قولاً ولا فعلاً صفحاً عنهم وحلماً كأنه قيل فماذا قال في نفسه عند تضاعيف ذلك

الاسرار، فقيل: ﴿**قال أنتم شر مكاناً**﴾ أي: منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البريء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عوقب يوسف بثلاث حين همّ بزليخا فسجن، وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال إنكم لسارقون فردوا عليه وقالوا فقد سرق أخ له من قبل ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ أي: عالم علماً بالغاً إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا، بل إنما هو افتراء علينا، فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم.

وفي «البحر» أعلم بما تصفون منكم لأنه عالم بحقائق الأمور وكيف كانت سرقة أخيه الذي أحلتم سرقته عليه انتهى.

فأعلم على ما قرره على معناه التفضيلي، فإن قيل: لم يكن فيهم علم والتفضيل يقتضي الشركة قلنا: يكفي الشركة بحسب زعمهم فإنهم كانوا يدعون العلم لأنفسهم ألا يرى إلى قولهم فقد سرق أخ له من قبل على سبيل الجزم كما في «الحواشي السعدية» ـ روي ـ أنهم أكلوا العزيز في إطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردّن إلينا أخانا أو لأصيحنّ صيحة تضع منها الحوامل في مصر وقامت شعور جسده فخرجت من ثيابه، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون خلا أنه إذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه، فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه ويروى خذ بيده فمسه فسكن غضبه فقال روبيل إن هنا لبذراً من بذر يعقوب، فقال يوسف من يعقوب؟ وروي إنه غضب ثانياً، فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض، فقال: أنتم معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم:

خدايى كه بالا وبست آفريد ز بردست هردست دست آفريد

قال السعدي:

كرچه شاطر بودخروس بجنك چه زند پيش باز رويين چنك

كربه شيرست در كر فتن موش ليك موشست در مصاف پلنك

ولما رأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا، حيث ﴿**قالوا**﴾ مستعطفين ﴿**يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً**﴾ في السن لا يكاد يستطيع فراقه [وبعد ازهلاك پسر خود يوسف بدو انس والفت دارد] ﴿**فخذ أحدنا مكانه**﴾ بدله على وجه الاسترهان أو الاسترقاق، فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة ﴿**إنا نراك من المحسنين**﴾ إلينا في الكيل والضيافة، فأتمم إحسانك بهذه النعمة.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿**قال**﴾ يوسف ﴿**معاذ الله**﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي نعوذ بالله معاذاً من ﴿**أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده**﴾ غير من وجد الصواع في رحله، لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الإخلال بموجبها ﴿**إنا إذاً**﴾ أي: إذا أخذنا غير من وجد متاعنا عنده، ولو برضاه ﴿**لظالمون**﴾ في مذهبكم وما لنا ذلك.

قال في «بحر العلوم» وإذا جواب لهم وجزاء، لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا، هذا ظاهره، وأما باطنه فهو أن الله أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك، فلو أخذت غيره لكنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي.

وفيه إشارة إلى أن العمل بخلاف الإلهام أيضاً ظلم، لأن كل وارد يرد من الله تعالى لا بد أن يعمل به النبي والولي ويضعه في المحل الذي عينه الله، فالأنبياء والأولياء منتظرون لأمر الله في كل حادثة، فما لم يأمروا به ولم يخبروا لا يصدقونه ولا يتبعونه.

وكان لسري تلميذة ولها ولد عند المعلم فبعث به المعلم إلى الرحى، فنزل الصبي في الماء فغرق فاعلم المعلم سرياً بذلك، فقال السري: قوموا بنا إلى أمه فمضوا إليها، وتكلم السري عليها في علم الصبر، ثم تكلم في علم الرضى فقالت يا أستاذ وأي شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق فقالت ابني؟ فقال: نعم فقالت إن الله تعالى ما فعل هذا، ثم عاد السري في كلامه في الصبر والرضى فقالت: قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت: اين غرق؟ قالوا ههنا فصاحت ابني محمد فأجابها لبيك يا أماه، فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها فالتفت السري إلى الجنيد وقال أي شيء؟ هذا فقال أقول قال قل قال إن المرأة مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعياً لما لله عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلم بها فلما لم تكن تعلم هذه الحادثة أنكرت، فقالت: إن ربي ما فعل هذا.

ثم إن الظلم على أنواع فالحكم بغير ما حكم الله به ظلم، وطلب الظلم ظلم، والصحبة بغير المجانس ظلم، ومن ابتلي بالظلم وسائر الأوزار فعليه التدارك بالتوبة والاستغفار.

قال سهل: إذا أحب الله عبداً جعل ذنبه عظيماً في نفسه، وفتح له باباً من التوبة إلى رياض أنسه، وإذا غضب على عبد جعل ذنبه صغيراً في عينيه، فكلما أدبه لا يتعظ نسأل الله التوبة **﴿فلما استيأسوا منه﴾** يئسوا غاية اليأس بدلالة صيغة الاستفعال.

قال الكاشفي: [پس آن وقت كه نوميد شدند از يوسف ودانستند كه برادررا بديشان نمى دهد] **﴿خلصوا﴾** اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم **﴿نجياً﴾** متناجين في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون، وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم.

قال في «الكواشي» جماعة يتناجون سراً، لأن النجي من تساره، وهو مصدر يعم الواحد والجمع والذكر والأنثى **﴿قال كبيرهم﴾** في السن وهو روبيل أو في العقل وهو يهوداً أو رئيسهم وهو شمعون، وكانت له الرياسة على إخوته كأنهم أجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض، فقال: منكراً عليهم **﴿ألم تعلموا﴾** أي قد علمتم يقيناً **﴿أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾** عهداً وثيقاً، وهو حلفهم بالله وكونه من الله لإذنه فيه.

وقال الكاشفي: [وشما سوكند خوريد بمحمد آخر زمان كه درشان وى غدر نكنيد اكنون اين صورت واقع شد]. **﴿ومن قبل﴾** أي من قبل هذا وهو متعلق بالفعل الآتي. **﴿ما﴾** مزيدة **﴿فرطتم في يوسف﴾** أي: قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم وقد قلتم وإنا لناصحون وإنا له لحافظون، فنحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة **﴿فلن أبرح الأرض﴾** ضمن معنى المفارقة فعدي إلى المفعول، أي لن أفارق أرض مصر ذاهباً منها فلن أبرح تامة لا ناقصة، لأن الأرض لا تحمل على المتكلم. **﴿حتى يأذن لي أبي﴾** في العود إليه وكأن أيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب. **﴿أو يحكم الله لي﴾** بالخروج

منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو بخلاص أخي بسبب من الأسباب. ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إذ لا يحكم إلا بالحق والعدل.

قال الكاشفي: [وميل ومداهنه در حكم او نيست].

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿ارجعوا﴾ أنتم ﴿إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ على ظاهر الحال ﴿وما شهدنا﴾ عليه بالسرقة ﴿إلا بما علمنا﴾ وشاهدنا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿وما كنا للغيب﴾ أي باطن الحال ﴿حافظين﴾ فما ندري أحقيقة الأمر كما شاهدنا أم هي بخلافه؟ يعني: [بظاهر دزدي أو ديدم أما ازنفس الأمر خبر نداريم كه بروتهمت كردند وصاع را درباراو نهادند يا خود مباشر اين أمر بوده]. ثم إنهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف أمرهم كبيرهم بأن يبالغوا في إزالة التهمة عن أنفسهم ويقولوا:

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: وقولوا لأبيكم أرسل إلى أهل مصر واسألهم عن كنه القصة لتبين لك صدقنا ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ العير الإبل التي عليها الأحمال، أي أصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب. ﴿وإنا لصادقون﴾ ثم رجع كبيرهم فدخل على يوسف، فقال له: لِمَ رجعت؟ قال إنك اتخذت أخي رهينة فخذني معه فجعله عند أخيه وأحسن إليهما، كأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لإخوته ما قال فقيل:

﴿قال﴾ يعقوب عندما رجعوا إليه فقالوا له ما قال لهم أخوهم. ﴿بل﴾ اضراب عما يتضمن كلامهم من ادعاء البراءة من التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر منهم ما يؤدي إلى ذلك من قول أو فعل، كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل ﴿سولت لكم﴾ زينت وسهلت ﴿أنفسكم أمراً﴾ من الأمور اردتموه ففعلتموه وهو فتواكم أن جزاء السارق أن يؤخذ ويسترق، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته لأن ذلك إنما هو من دين يعقوب لا من دين الملك ولولا فتواكم وتعليمكم لما حكم الملك بذلك، ظن يعقوب عليه السلام سوءاً بهم كما كان في قصة يوسف قبل فاتفق أن صدق ظنه هناك ولم يتحقق هنا.

قال السعدي: [دروغ كفتن بضربت لازب ما ندكه اكر نيز جراحت درست شود نشان بماند چون برادران يوسف بدروغي موسوم شدند بر راست كفتن ايشان نيز اعتماد نماند] قال الله تعالى: ﴿بل سولت لكم﴾ الآية.

كسى را كه عادت بود راستي خطا كر كند در كذا رند ازو
وكر نامور شد بناراستي دكر راست باور ندارند ازو

﴿فصبر جميل﴾ أي: فأمري صبر جميل وهو أن لا يكون فيه شكوى إلى الخلق.

وعن أبي الحسن قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فقلت: والله ما رأيت إلى اليوم قط نضارة وحسناً مثل هذه المرأة، وما

ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك القول مني فقالت كيف قلت يا هذا الرجل؟ والله إني لوثيقة بالأحزان مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركني فيها أحد، فقلت وكيف ذلك قال ذبح زوجي شاة ضحينا بها ولي ولدان صغيران يلعبان وعلى يدي طفل يرضع فقمت لأصنع لهم طعاماً إذ قال ابني الكبير للصغير، ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة؟ قال بلى فاضجعه وذبحه وخرج هارباً نحو الجبل فأكله ذئب، فانطلق أبوه في طلبه فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب انظر ما فعل أبوهم فدب الطفل إلى البرمة وهي على النار فألقى يده فيها وصبها على نفسه وهي تغلي فانتشر لحمه عن عظمه فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها فأفردني الدهر من بينهم، فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة فقالت: ما من أحد ميز الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجاً متفاوتاً فأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة وأما الجزع فصاحبه غير معوض ثم أعرضت وهي تنشدني:

صبرت وكان الصبر خير معول ... وهل جزع يجدي علـيّ فاجزع
صبرت على ما لو تحمل بعضه ... جبال غرور أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين حتى رددتها ... إلى ناظري فالعين في القلب تدمع

﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ [شايدكه خداي تعالى آورد همه ايشانرا بمن]. أي: بيوسف وأخيه والمتوقف بمصر، فإنهم حين ذهبوا إلى البادية أول مرة كانوا اثني عشر فضاع يوسف وبقي أحد عشر، ولما أرسلهم إلى مصر في الكرة الثانية عادوا تسعة لأن بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذي قال فلن أبرح الأرض فلما بلغ الغائبون ثلاثة لاجرام أورد صيغة الجمع ﴿إنه هو العليم﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿الحكيم﴾ الذي لم يبتلني إلا لحكمة بالغة.

واعلم أن البلاء على ثلاثة أضرب، منها تعجيل عقوبة للعبد، ومنها امتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته اين هو من ربه، ومنها كرامة ليزداد عنده قربة وكرامة، وأما تعجيل العقوبة فمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن بالهم الذي هم به ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن. بقوله: ﴿اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ ومثل ما نزل بيعقوب كما قال وهب: أوحى الله إلى يعقوب أتدري لما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا إلهي، قال لأنك شويت عناقاً وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ـ وروي ـ أن سبب ابتلاء يعقوب إنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهو يخور.

وقيل: اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت ـ وروي ـ أنه أوحى إليه إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيئاً. وأما الامتحان فمثل ما نزل بأيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. وأما الكرامة فمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما السلام ولم يعمل خطيئة قط ولم يهم بها فذبح ذبحاً وأهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وفي الكل عظم الأجر والثواب بالصبر وعدم الاضطراب.

وقام بعضهم ليقضي ورده من الليل فأصابه البرد فبكى من شدته فجازت عليه سنة فقال له قائل ما جزاء إن أنمناهم وأقمناك إلا أن تبكي علينا فانتبه واستغفر.

قال أبو القاسم القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول في آخر عمره، وقد اشتدت به العلة: من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم، ثم قال: كالمفسر لفعله مفسراً لما كان فيه من حاله: وهو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد قال الحافظ:

عاشقا نرا كردر آتش مى پسندد لطف يار تنك چشمم كر نظر در چشمهٔ كوثر كنم

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض يعقوب عنهم كراهة لما سمع منهم.

قال الكاشفي: [پس يعقوب ازغايت ملال توجه به بيت الأحزان فرمود] قال الجامي:

روای همدم تودر بزم طرب بادوستان خوش زي

مرا بكذار تاتنها درين بيت الحزن ميرم

﴿وقال يا أسفي على يوسف﴾ الأسف: أشد الحزن والحسرة، وأصله يا أسفي بإضافة الأسف إلى ياء المتكلم فقلبت الياء ألفاً طلباً للتخفيف لأن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء نادى أسفه وقال يا أسفا تعال واحضر فهذا أوانك. قال الجامي:

كرچو يوسف زما شوى غائب همچو يعقوب ما ويا أسفا

وقال الحافظ:

يوسف عز يزم رفعت أي برادران رحمي كز غمش عجب ديدام حال پير كنعاني

وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه بنيامين والمحتبس والحادث أشد على النفس، دلالة به على تمادي أسفه على يوسف وإن زرأه أي مصيبته مع تقادم عهده كان غضاً عنده طرياً، ولأن زرأ يوسف كان قاعدة المصيبات ولأنه كان واثقاً بحياتهما عالماً بمكانهما طامعاً في إيابهما، وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي الحديث: «لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد ﷺ» ألا يرى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال يا أسفاً على يوسف.

وعن أبي ميسرة قال لو إن الله أدخلني الجنة لعاتبت يوسف بما فعل بأبيه حيث لم يكتب كتاباً ولم يعلم حاله ليسكن ما به من الغم انتهى.

يقول الفقير: هذا كلام ظاهري وذهول عما سيأتي من الخبر الصحيح أن هذا كان بأمر جبرائيل عن أمر الله تعالى، وإلا فكيف يتصور من الأنبياء قطع الرحم، وقد كان بين مصر وكنعان ثماني مراحل. ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته إلى بياض وقد تعميها كما أخبر عن شعيب عليه السلام، فإنه بكى من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره، وكذا بكى يعقوب حتى عمي وهو الأصح لقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩]. قال الكمال الخجندي:

زكريه برسر مردم يقين كه خانهٔ چشم فرو رود شب هجران زبس كه بارانست

ـ روي ـ أنه ما جفت عيناً يعقوب من يوم فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين سنة، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

فإن قلت: لم ذهب بصر يعقوب بفراقه واشتياقه إلى يوسف.

قلت: لئلا يزيد حزنه النظر إلى أولاده ولسر شهود الجمال، لما ورد في الخبر النبوي يرويه عن جبريل عن ربه قال: «يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه» يعني: عينيه قال: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال تعالى: «جزؤاه الخلود في داري؛ والنظر إلى وجهي» وفي الخبر «أول من ينظر إلى وجه الرب تعالى الأعمى» قال بعض الكبار: أورث ذلك العمى بذهاب بصره النظر إلى الجمال اليوسفي الذي هو مظهر من مظاهر الجمال المطلق؛ لأن الحق تعالى تجلى بنور الجمال في المجلى اليوسفي فأحبه أبوه وابتلى بحبه أهل مصر من وراء الحجاب.

وفيه إشارة: إلى أنه ما لم يفن العارف العين الكوني الشهادي لا يصل إلى شهود الجمال المطلق:

هر محنتي مقدمهٔ راحتي بود شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت

فالعارف يشاهد الجمال المطلق بعين السر في مصر الوجود الإنساني، وينقاد له القوى والحواس جميعاً.

واستدل بالآية على جواز التأسف والبكاء عند النوائب، فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد.

قال أنس ـ رضي الله عنه ـ دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم ولده عليه السلام فأخذ رسول الله إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله قال: «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم اتبعها أخرى أي دمعة أخرى فقال: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

قال في الروضة: وإبراهيم ابن النبي عليه السلام مات في المدينة وهو ابن ثمانية عشر شهراً انتهى. وإنما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الحدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب. وعنه عليه السلام أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال: «ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح» قال في «المغرب» الحمق: نقصان العقل وإنما قيل لصوتي النياحة والترنم في اللعب أحمقان لحمق صاحبهما.

والبكاء على ثلاثة أوجه، من الله وعلى الله وإلى الله، فالبكاء منه من توبيخه وتهديده، والبكاء إليه من شوقه ومحبته، والبكاء عليه من خوف الفراق، وفرق الله بين يوسف وأبيه لميله إليه ومحبته عليه والمحبوب يورث المحنة. والعميان من الأنبياء إسحاق ويعقوب وشعيب. ومن الأشراف عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وزهرة بن كلاب، ومطعم بن عدي. ومن الصحابة سواء كان أعمى في عهده أو حدث له بعد وفاته عليه السلام البراء بن عازب، وجابر بن عبد الله، وحسان بن ثابت، والحكم بن أبي العاص، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن يربوع، وصخر بن حرب أبو سفيان، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمير، وعبد الله بن أبي أوفى، وعتبان بن مالك، وعتبة بن مسعود الهذلي، وعثمان بن عامر أبو قحافة، وعقيل بن أبي طالب، وعمرو ابن أم مكتوم المؤذن، وقتادة بن النعمان. ﴿فهو كظيم﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه.

در ديست درين سينه كه كفتن نتوانيم

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُوا۟ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿**قالوا تالله تفتؤا**﴾ أي لا تفتأ ولا تزال وحذفت لا لعدم الالتباس؛ لأنه لو كان إثباتاً للزمه اللام والنون أو إحداهما ﴿**تذكر يوسف**﴾ تفجعاً عليه ﴿**حتى تكون حرضاً**﴾ مريضاً مشرفاً على الهلاك ﴿**أو تكون من الهالكين**﴾ أي الميتين.

وفيه إشارة إلى أنه لا بد للمحب من ملامة الخلق فأول ملامتي في العالم آدم عليه السلام حين طعن فيه الملائكة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ولو امعنت النظر رأيت أول ملامتي على الحقيقة حضرة الربوبية لقولهم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وذلك لأنه تعالى كان أول محب ادعى المحبة، وهو قوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٤] فطالما يلوم أهل السلوّ المحبين ومن علامة المحب أن لا يخاف في الله لومة لائم:

ملامت كن مرا چندانكه خواهى   كه نتوان شستن اززنكى سياهى

﴿**قال إنما أشكو بثي**﴾ البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس، أي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء، فقال لهم إني لا أشكو ما بي إليكم أو إلى غيركم حتى تتصدوا للتسلي، وإنما أشكو همي ﴿**وحزني إلى الله**﴾ ملتجئاً إلى جنابه تضرعاً لدى بابه في دفعه.

رازكويم بخلق وخوار شوم   باتو كويم بزر كوار شوم

والحزن أعم من البث، فإذا عطف على الخاص يراد به الأفراد الباقية، فيكون المعنى لا اذكر الحزن العظيم والحزن القليل إلا مع الله.

فإن قيل: لم قال يعقوب فصبر جميل ثم قال يا اسفا على يوسف وقال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله فكيف يكون الصبر مع الشكوى؟

قيل: ليس هذا إلا شكاية من النفس إلى خالقها وهو جائز، ألا ترى أن أيوب عليه السلام قال: ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وقال تعالى مع شكواه إلى ربه في حقه ﴿إِنَّا وَجَدۡنَـٰهُ صَابِرًا نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص: ٤٤] لأنه شكا منه إليه وبكى منه عليه فهو المعذور لديه، لأن حقيقة الصبر ومعناه الحقيقي حبس النفس ومنعها عن الشكوى إلى الغير وترك الركون إلى الغير وتحمل الأذى والابتلاء لصدوره من قضائه وقدره، كما قيل بلسان الحقيقة:

كل شيء من المليح مليح   لكن الصبر عنه غير مليح

وقيل:

والصبر عنك فمذموم عواقبه   والصبر في سائر الأشياء محمود

وذلك لأن المحب لا يصبر عن حضرة المحبوب، فلا يزال يعرض حاله وافتقاره إلى حضرته، ولسان العشق لسان التضرع والحكاية لا لسان الجزع والشكاية كما أشار العاشق:

بشنوازنى چون حكايت ميكند   از جداييها شكايت ميكند

يعني: شكاية العارف الواقف في صورة الشكوى حكاية حاله وتضرعه وافتقاره إلى حبيبه.

وعن أنس رضي الله عنه رفعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام: «أن رجلاً قال ليعقوب:

ما الذي اذهب بصرك وحنى ظهرك؟ قال: أما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين؟ فأتاه جبريل فقال: أتشكو إلى غير الله؟ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، قال جبريل: الله أعلم بما قلت منك، قال ثم انطلق جبريل ودخل يعقوب بيته، فقال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وحنيت ظهري فرد على ريحانتي فأشمهما شمة واحدة ثم اصنع بي بعد ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقربهما عينك، ويقول لك يا يعقوب أتدري لِمَ أذهبت بصرك وحنيت ظهرك ولِمَ فعل إخوة يوسف بيوسف ما فعلوه؟ قال: لا، قال إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع وذبحت أنت وأهلك شاة فطعمتموها ولم تطعموه، ويقول: إني لم أحب من خلقي شيئاً حبي اليتامى والمساكين فاصنع طعاماً وادع المساكين» قال أنس قال عليه السلام: «فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه من كان صائماً فليحضر طعام يعقوب، وإذا أصبح نادى مناديه من كان مفطراً فليفطر على طعام يعقوب» ذكره في «الترغيب والترهيب». قال السعدي قدس سره:

نخواهى كه باشى برا كنده دل پرا اكند كانرا زخاطر مهل

كسى نيك بيند بهر دو سراى كه نيكي رساند بخلق خداي

﴿وأعلم من الله﴾ من لطفه ورحمته ﴿ما لا تعلمون﴾ فأرجو أن يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي أو أعلم من الله بنوع من الإلهام ما لا تعلمون من حياة يوسف ـ وروي ـ أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله عنه فقال هو حي، وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخروا له سجداً ـ وروي ـ أن يوسف قال لجبريل: أيها الروح الأمين هل لك علم بيعقوب قال نعم وهب الله له الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم، قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر قال أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله ساعة قط.

وقال السدي: لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفسه فطمع وقال لعله يوسف فقال:

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿يا بني اذهبوا﴾ إلى مصر ﴿فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ أي تعرفوا من خبرهما بحواسكم فإن التحسس طلب الشيء بالحاسة.

قال في «تهذيب المصادر» [التحسس مثل التجسس: آكاهى جستن] وفي «الإحياء» بالجيم في تطلع الأخبار وبالحاء في المراقبة بالعين.

وقال في «إنسان العيون» ما بالحاء أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وما بالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى.

والمراد بأخيه بنيامين، ولم يذكر الثالث وهو الذي قال فلن أبرح الأرض واحتبس بمصر لأن غيبته اختيارية لا يعسر إزالتها.

قال ابن الشيخ: فإن قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم؟ فالجواب أن التولي التجاء إلى الله والشكاية إليه والإعراض عن الشكاية إلى أحد منهم ومن غيرهم، لا ينافي الملاطفة والمكالمة معهم في أمر آخر انتهى.

قالوا لها أما بنيامين فلا نترك الجهد في أمره، وأما يوسف فإنه ميت وإنا لا نطلب الأموات فإنه أكله الذئب منذ زمان، فقال لهم يعقوب: ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه واليأس والقنوط انقطاع الرجاء.

وعن الأصمعي: إن الروح ما يجد الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز فكل ما يلتذ الإنسان ويهتز بوجوده فهو روح.

قال في «الكواشي»: أصله استراحة القلب من غمه؛ والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله انتهى.

وقرىء ﴿من روح الله﴾ بالضم أي من رحمته التي يحيي بها العباد. ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ لعدم علمهم بالله وصفاته فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال، أي في الضراء والسراء ويلاحظ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥] فصنع الله عجيب وفرج الله قريب، وفي الحديث: «الفاجر الراجي أقرب إلى الله من العابد القانط» ـ وروي ـ أن رجلاً مات فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام مات ولي من أوليائي فاغسله، فجاء موسى عليه السلام فوجده قد طرحه الناس في المزابل لفسقه، فقال موسى يا رب أنت تسمع مقالة الناس في حقه، فقال الله تعالى يا موسى إنه تشفع عند موته بثلاثة أشياء، لو سأل بها جميع المذنبين لغفرت، الأول أنه قال: يا رب أنت تعلم أني وإن كنت ارتكبت المعاصي بفعل الشيطان والقرين السوء ولكني كنت أكرهها بقلبي، والثاني أني وإن كنت مع الفسقة بارتكاب المعاصي ولكن الجلوس مع الصالحين كان أحب إلي. والثالث لو استقبلني صالح وفاجر كنت أقدم حاجة الصالح.

وفي رواية وهب بن منبه قال: يا رب لو عفوت عني لفرح أنبياؤك وأولياؤك وحزن عدوك الشيطان ولو عذبتني لكان الأمر بالعكس ولا ريب أن فرح الأولياء أحب إليك من فرح الأعداء فارحمني وتجاوز عني قال الله تعالى فرحمته فإني غفور رحيم خاصة لمن أقر بالذنب.

فعلى العاقل أن لا يقنط من رحمة ربه فإنه تعالى يكشف الشدائد في الدنيا والآخرة ـ حكي ـ أن رجلاً بقي في جزيرة بلا زاد فقال بطريق اليأس:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

فسمع قائلاً يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فلما نظر رأى سفينة فوصل بها إلى أهله.

قال في «التأويلات النجمية» في الآية إشارة إلى أن الواجب على كل مسلم أن يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره، ولا ييأس أن يجد روح الله أي ريحه منهما بل من وجد قلبه وجد فيه ربه إذ هو سبحانه متجل لقلوب أوليائه المؤمنين وقد وعد الله بوجدانه الطالبين فقال: «ألا من طلبني وجدني» والسر فيه إن طلب الحق تعالى يكون بالقلب لا بالقالب ووجدانه أيضاً يكون في القلب كما قال موسى عليه السلام إلهي أين أطلبك؟ قال: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» أي من محبتي، وفي قوله: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ إشارة إلى أن ترك طلب الله واليأس من وجدانه كفر انتهى. وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود ... آنكه جوينده است يابنده بود

در طلب زن دائماً توهر دودست	كه طلب درراه نيكو رهبرست
لنك ولوك وخفته شكل بي أدب	سوى اومى غيثر واو رامى طلب
كه بكفت وكه بخاموشى وكه	بوي كردن كير هرسو بوي شه
كفت آن يعقوب با اولاد خويش	جستن يوسف كنيد از حد ببيش
هرخسى خودرا درين جستن بجد	هر طرف رانيد شكل مستعد
كفت از روح خدا لا تيأسوا	همچو كم كرده پسر رو سوبسو
ازره حس دهان پرسان شويد	كوش را بر چار راه او نهيد
هركجا بوي خوش آيد بوبريد	سوى آن سركاشناى آن سريد
هر كجا لطفي ببيني ازكسى	سوى أصل لطف ره يابى عسى
اين همه خوشها زدر يابيست ژرف	جزوراً بكذار وبر كل دار طرف

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾ ـ روي ـ أن يعقوب أمر بعض أولاده فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي إبرهيم فإنه ابتلى بنار النمرود، فصبر وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي إسحاق فابتلي بالذبح فصبر ففداه الله بذبح عظيم، وأما أنا فابتلاني الله بفقد ولدي يوسف فبكيت عليه حتى ذهب بصري ونحل جسمي، وقد كنت اتسلى بهذا الغلام الذي أمسكته عندك وزعمت أنه سارق، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام [پس نامه بفر زندان داد واندك بضاعتي ازپشم وروغن وأمثال آن ترتيب نموده ايشانرا بمصر فرستاد ايشان بمصر آمده براد ريراكه آنجا بود ملاقات كردند وباتفاق روى بباركاه يوسف نهادند پس آن هنكام در آمدند برادران يوسف بروى] **﴿قالوا يا أيها العزيز﴾** أي: الملك القادر الغالب **﴿مسنا﴾** أصابنا **﴿وأهلنا﴾** وهم من خلفوهم **﴿الضر﴾** الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام. **﴿وجئنا ببضاعة﴾** [وآورده ايم بضاعتي] **﴿مزجاة﴾** [اندك وبى اعتبار] أي مردودة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من ازجيته إذا دفعته وطردته وكان بضاعتهم من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: هي الصنوبر والحبة الخضراء، وهي الفستق أو دراهم زيوف لا تؤخذ إلا بنقصانها **﴿فأوف لنا الكيل﴾** فأتم لنا الكيل الذي هو حقنا.

قال بعضهم أعطنا بالزيف كما تبيع بالدراهم الجياد ولا تنقصنا شيئاً **﴿وتصدق علينا﴾** تفضل بالمسامحة وقبول المزجاة فإن التصدق التفضل مطلقاً، واختص عرفاً بما يبتغي به ثواب الله ولذا لا يقال في العرف اللهم تصدق عليّ؛ لأنه لا يطلب الثواب من العبد بل يقال أعطني أو تفضل عليّ وارحمني.

ثم هذا، أي: حمل التصدق على المساهلة في المعاملة على قول من يرى تحريم الصدقة على جميع الأنبياء وأهليهم أجمعين، وأما على قول من جعله مختصاً بنبينا عليه السلام فالمراد حقيقة الصدقة **﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾** يثيب المتفضلين أحسن الجزاء والثواب.

قال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

يقول الفقير: دخل يوسف في لفظ الجمع سواء شافهوه بالجزاء أولاً مع أن الجزاء ليس بمقصور على الجزاء الأخروي بل قد يكون دنيوياً وهو أعم فافهم.

ومن آثار الثواب الدنيوي: ما حكي عن الشيخ أبي الربيع أنه قال: سمعت امرأة في بعض القرى أكرمها الله بشاة تحلب لبناً وعسلاً فجئت إليها وحلبت الشاة فوجدتها كما سمعت وسألت عن سببها، قالت: كانت لنا شاة نتقوّت بلبنها فنزلت علينا ضيف وقد أمرنا بإكرامه فذبحناها له لوجه الله تعالى، فعوضنا الله تعالى هذه الشاة ثم قالت: إنها ترعى في قلوب المريدين يعني لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم فالاعتقاد الصحيح والنية الخالصة وطيب الخاطر لها تأثير عظيم ـ حكي ـ أن السلطان محمود مر على أرض قوم يكثر فيها قصب السكر وكان لم يره بعد فقشر له بعض القصبات فلما مص منه السكر استحسنه والتذ منه في الغاية فخطر بباله أن يضع فيه شيئاً من الرسوم كالباج والخراج حتى يحصل له من هذا القصب في كل سنة كذا وكذا فلما مص بعد هذه الخاطرة وجده قصباً يابساً خالياً عن السكر فسمعه من تلك القبيلة شيخ عتيق وقال قد همّ الملك بأن يفعل بدعة وظلماً في مملكته أو فعلها فلذلك نفد سكر القصب فاستتاب السلطان في نفسه ورجع عما خطر بباله فلما مصه ثانياً بعد ذلك وجده مملوءاً من السكر كما كان فهذا من تأثير النية والهمة.

ثم إن الصدقة لا تختص بالمال بل كل معروف صدقة، ومنها العدالة بين الاثنين، والإعانة والكلمة الطيبة والمشي إلى الصلاة وإماطة الأذى عن الطريق ونحوها، وكذا النوافل لا تختص عند أهل الإشارة بالصلوات بل تعم كل خير زائد وفي الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره» فعلى العاقل الاشتغال بنوافل الخيرات من الصدقات وغيرها. قال السعدي قدس سره:

يكى دربيابان سكى تشنه يافت	برون ازرمق در حياتش نه يافت
كله دلو كرد آن بسنديده كيش	چو حبل اندران بست دستار خويش
به خدمت ميان بست وباز وكشاد	سك ناتون را دمي آب داد
خبر داد پيغمبر از حال مرد	كه داور كناهان او عفو كرد
ألا كر جفا كارى انديشه كن	وفا پيش كيرو كرم پيشه كن
كسى باسكى نيكوى كم نكرد	كجاكم شود خير بانيك مرد
كرم كن چنان كت بر آيدزدست	جهانبان در خير بر كس نبست
كرت در بيابان نباشد چهى	چراغى بنه در زيارتكهي
به قنطار زربخش كردن زكنج	نباشد چو قيراطي ازدست رنج
بردهر كسى بار در خور دزور	كرانست پاي ملخ پيش مور

ثم في قوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ الآية إشارة إلى أن طالب الحق ينبغي له عرض الحاجة والفقر والافتقار ورؤية تقصيره، فإن الفناء محبوب المحبوب، وطريق حسن لنيل المطلوب ولذلك لما سمع يوسف كلامهم هذا أدركته الرحمة فرفع الحجاب وخلصهم من ألم الفرقة والاضطراب.

ومن هذا المقام ما قيل لأبي يزيد البسطامي قدس سره: خزائننا مملوءة بالأعمال فأين

العجز والافتقار والتضرع والسؤال؟ ولا يلزم من هذا ترك العمل فإنه لا بد منه في مقامه ألا ترى أن الإخوة إنما قالوا ما قالوا بعد أن جاؤوا ببعض الأمتعة، فللطالب أن يعمل قدر طاقته ولكن لا يغتر بعلمه بل يتقرب إليه بالفناء وترك الرؤية ليكون ذلك وسيلة إلى المعرفة والقربة والوصلة. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره:

چار چيز آورده ام شاهاكه در كنج تو نيست نيستى وحاجت وعجز ونياز آورده ام

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾.

﴿قال﴾ لما رأى يوسف تمسكن إخوته رق لهم فلم يتمالك من أن عرفهم نفسه.

قال الكاشفي [آن نامهٔ يعقوب بركوشهٔ تخت نهادند يوسف نامه را بخواند كريه بروى غلبه كرد عنان تمالك ازدست داده كفت اي برادران].

﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ أي: هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم، والمراد لازمه وفعلهم بأخيه بنيامين إفراده عن يوسف وأذاه بأنواع الأذى وإذلاله حتى كان لا يقدر أن يكلمهم إلا بعجز وذلة. ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ [چه آن وقت نادان بوديد بقبح آن] فلذلك أقدمتم على ذلك أو جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، وإنما كان كلامه هذا شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين وتحريضاً على التوبة لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله على حق نفسه ـ روي ـ أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب إليه «بسم الله الرحمن الرحيم إلى يعقوب إسرائيل الله من ملك مصر أما بعد أيها الشيخ فقد بلغني كتابك وقرأته وأحطت به علماً وذكرت فيه آباءك الصالحين، وذكرت أنهم كانوا أصحاب البلايا فإنهم إن ابتلوا وصبروا ظفروا، فاصبر كما صبروا والسلام، فلما قرأ يعقوب الكتاب، قال: والله ما هذا كتاب الملوك ولكنه كتاب الأنبياء ولعل صاحب الكتاب هو يوسف».

قال الكاشفي: [آنكه نقاب افكند وتاج ازسر بر داشت ايشانرا نظر بران شكل وشمائل افتاد] ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ استفهام تقرير [يعني البته تويى يوسف كه باين جمال وكمال ديكرى نتواند بود]

كه دارد ازهمه خوبان رخى چنين كه تو دارى

تبارك الله ازين روى نازنين كه تودارى

﴿قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ من أبي وأمي ذكره مبالغة في تعريف نفسه وتفخيماً لشأن أخيه وإدخالاً له في قوله: ﴿قد منّ الله علينا﴾ فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والإذلال، فأنا يوسف وهذا أخي قد أنعم الله علينا بالخلاص مما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والأنس بعد الوحشة. ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿من﴾ [هركه] ﴿يتق﴾ أي يفعل التقوى في جميع أحواله أويق نفسه عما يوجب سخط الله وعذابه. ﴿ويصبر﴾ على المحن كمفارقة الأوطان والأهل والعشائر والسجن ونحوها، أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصي التي تستلذها النفس ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: أجرهم وإنما وضع المظهر موضع المضمر

للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر [چون برادران يوسف را بشناختند روى بتخت آورده خواستند كه درپاى وى افتند يوسف ازتخت فروده آمده ايشانرا در كنار كرفت].

﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ اختارك وفضلك علينا بالجمال والكمال والجاه والمال ﴿وإن﴾ أي: وإن شأننا وحالنا ﴿كنا لخاطئين﴾ يقال خطىء فعل الأثم عمداً، وأخطأ فعله غير عمد أي لمتعمدين بالذنب إذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا، وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك.

﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾ [هيچ سرزنش نيست برشما امروز ومن هركز ديكر كناه شمارا باروى شمانيارم] وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش، ومعناه إزالة الثرب فكأن التعبير والاستقصاء في اللوم يذيب جسم الكريم وثربه لشدته عليه كما في الكواشي.

وقال ابن الشيخ: سمي التقريع تثريباً تشبيهاً له بالتثريب في اشتمال كل منهما على معنى التمزيق فإن التقريع يمزق العرض ويذهب ماء الوجه. واليوم منصوب بالتثريب أي لا تثريب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بسائر الأيام؟ باليوم الزمان مطلقاً ثم ابتدأ فقال ﴿يغفر الله لكم﴾ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم أو منصوب بيغفر وذلك أن يوسف صفح عن جريمتهم يومئذٍ فسقط حق العبد وتابوا إلى الله فلم يبق حق الله لأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده فلذلك قال ﴿يغفر الله لكم﴾.

وفي «التأويلات النجمية» أخبر بصنيعهم في البداية ولكنه كان سبب رفعة منزلته ونيل مملكته في النهاية فلذلك قال: ﴿يغفر الله لكم﴾ انتهى.

ومن كرم يوسف أن إخوته أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال: إن أهل مصر وإن ملكت فيهم، كانوا ينظرون إليّ بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام ـ وروي ـ أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش «ما ترونني فاعلاً بكم»؟ قالوا نظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال: «أقول ما قال أخي يوسف ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾» ـ وروي ـ أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت الرسول فاتل عليه ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ ففعل فقال عليه السلام: «غفر الله لك ولمن علمك» ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ لأن رحمة الراحمين أيضاً برحمته، أو لأن رحمتهم جزء من مائة جزء من رحمته تعالى والمخلوق إذا رحم فكيف الخالق.

بآهى بسوزد جهاني كناه ... بأشكى بشويد درون سياه
بدر ماندهٔ تخت شاهى دهد ... بدر ماند كان هر چه خواهى دهد

قال السعدي قدس سره:

نه يوسف كه چندان بلاديد وبند ... چو حكمش روان كشت وقدرش بلند
كنه عفو كرد آل يعقوب را ... كه معنى بود صورت خوب را
بكر دار پدشان مقيد نكرد ... بضاعات مزجات شان رد نكرد
ز لطف همين چشم داريم نيز ... درين بي بضاعت ببخش اي عزيز
بضاعت نياوردم إلا اميد ... خدايا ز عقوم مكن نا اميد

قال في «بحر العلوم» الذنب للمؤمن سبب للوصلة والقرب من الله فإنه سبب لتوبته وإقباله على الله. قال أبو سليمان الداراني ما عمل داود عليه السلام عملاً أنفع له من الخطيئة ما زال يهرب منها إلى الله حتى اتصل.

وقال في «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ إشارة إلى أنه أرحم من أن يجري على عبد من عباده المقبولين أمراً يكون فيه ضرر لعبد آخر في الحال وأنفع في المآل، ثم لا يوفقه لاسترضاء الخصم ليعفو عنه ما جرى منه ويستغفر له حتى يرحمه الله، وأيضاً إنه تعالى أرحم للعبد المؤمن من والديه وجميع الرحماء انتهى ـ حكي ـ أنه اعتقل لسان فتى عن الشهادة حين أشرف على الموت فأخبروا النبي ﷺ فدخل عليه وعرض الشهادة فاضطرب ولم يعمل لسانه فقال عليه السلام: «أما كان يصلي أما كان يزكي أما كان يصوم» قالوا بلى قال: «فهل عق والديه» قالوا نعم قال: «هاتوا بأمه» فجاءت وهي عجوز عوراء فقال عليه السلام «هلا عفوت أللنار حملته تسعة أشهر؟ أللنار أرضعته سنتين؟ فأين رحمة الأم» فعند ذلك انطلق لسانه بالكلمة والنكتة أنها كانت رحيمة لا رحمانة فللقليل من رحمتها ما جوزت إحراقه بالنار فالرحمن الرحيم الذي لا يتضرر بجناية العباد كيف يستجيز إحراق المؤمنين المواظب على كلمة الشهادة سبعين سنة.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿اذهبوا﴾ لما عرفهم يوسف نفسه وعرفوه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدي قالوا اذهبت عيناه فأعطاهم قميصه، وقال: اذهبوا يا إخوتي. ﴿بقميصي هذا﴾ حال والباء للملابسة والمصاحبة ويجوز أن تكون للتعدية. فالمعنى بالفارسية [ببريد اين پيراهن مرا] وهو القميص المتوارث، كما روي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «أما قوله اذهبوا بقميصي هذا فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل الله جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يحدثه فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها» أي للحفظ من العين وغيرها.

وفي «التبيان» مخافة من إخوته عليه فألقي في الجب والقميص في عنقه وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفي.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى أن قميص يوسف القلب من ثياب الجنة وهو كسوة كساه الله تعالى من أنوار جماله إذا ألقى على وجه يعقوب الروح الأعمى يرتد بصيراً، ومن هذا السر أرباب القلوب من المشايخ يلبسون المريدين، خرقتهم لتعود بركة الخرقة إلى أرواح المريدين فيذهب عنهم العمى الذي حصل من حب الدنيا والتصرف فيها انتهى.

قال بعض الحفاظ: من الكذب قول من قال إن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة انتهى.

يقول الفقير هذا من سنة المشايخ قدس الله أسرارهم فإنهم لبسوا الخرقة وألبسوها تبركاً وتيمناً وهم قد فعلوا ذلك بإلهام من الله تعالى وإشارة فليس لأحد أن يدعي أنه من الزيادات والبدع القبيحة.

وزرت في بلدة قونية مرقد حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره وله في حجرة الكتب خرقة لطيفة محفوظة يقال إنها من ألبسة الجنة وغسلت طرفاً من ذيلها في طست له يستشفى بمائه وشربت على نية زوال الأمراض الظاهرة والباطنة والحمد لله. ﴿**فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً**﴾ يصير بصيراً، كقولك: جاء البناء محكماً بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيراً ويأتي إليّ حال كونه بصيراً ذاهباً بياض عينه وراجعاً إليها الضوء وينصره قوله ﴿**وائتوني**﴾ [وبيايید بمن]. أي: أنتم وأبي ففيه تغلب المخاطبين ﴿**بأهلكم أجمعين**﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم، فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع ـ روي ـ أن يهوداً حمل القميص وقال أنا أحزنته، بحمل القميص الملطخ بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتاه وكانت المسافة ثمانين فرسخاً.

قال الكاشفي: [پيراهن بوي داد وأسباب راه جهت پدر ومتعلقان مهيا ساخنه برادران تسليم كرد].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

﴿**ولما فصلت العير**﴾ يقال فصل من البلد فصولاً إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وعمرانه.

قال الكاشفي [وآن وقت كه جدا شد يعني بيرون آمد كاروان از عمارت مصر وبفضاء صحرا رسيده]. ﴿**قال أبوهم**﴾ يعقوب لمن عنده من ولد ولده وغيرهم ﴿**إني لأجد ريح يوسف**﴾ أوجده الله، أي جعله واجداً ريح ما عبق أي لزق ولصق من ريح يوسف من ثمانين فرسخاً حين أقبل به يهودا.

أيها السالون قوموا واعشقوا تلك ريا يوسف فاستنشقوا

قال في «المثنوي»:

بوي پيراهان يوسف را شديد آنكه حافظ بود يعقوبش كشيد

وهذا البيت إشارة إلى حال أهل السلوك والسكر وأصحاب الزهد والعشق، وذلك لأن الزاهد ذاهل عما عنده كالحمار الغافل عما استصحبه من الكتب فكيف يعرف ما عند غيره، والعاشق يستنشق من كل مظهر ريح سر من الأسرار ويدخل في خيشومه من روائح النفس الرحماني ما لو عاش الزاهد الف سنة على حاله ما شم شيئاً منها.

قال أهل المعاني: إن الله أوصل إليه رائحة يوسف عند انقضاء المحنة ومجيء وقت الروح والفرح من المكان البعيد، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى، وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل.

وذكر أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص، فأذن لها فأتته بها. قال المولى الجامي:

ديرمى جنبد بشيراي باد بركنعان كذر مژدهٔ پيراهن يوسف ببر يعقوب را

ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون، فيجدون لها روحاً وهي التي تأتي من ناحية المشرق وفيها لين إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان قال الشاعر:

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست على نفس مهموم تجلت همومها

قال الحافظ:

باصبا همراه بفرست ازرحت كلدستهٔ بوكه بويي بشنويم از خاك بستان شما

وفي «التبيان» هاجت الريح فحملت ريح القميص من مسافة ثمانين فرسخاً واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص انتهى.

يقول الفقير: هذا موافق لما ذكر من أنه كان في القميص ريح الجنة لا يقع على مبتلى إلا صح فالخاصية في ريح الجنة لا في ريح يوسف كما ذهب إليه البيضاوي.

وأما الإضافة في قوله: ﴿ريح يوسف﴾ فللملابسة كما لا يخفى.

قال الامام الجلدكي في كتاب الإنسان من كتاب «البرهان» لعمري كلما كثفت طينة الإنسان وزادت كثافتها نقصت حواسه في مدركاتها لحجب الكثافة الطارية على ذات الإنسان من أصل فطرته، وأما جوهر ذات الإنسان إذا لطف وتزايدت لطافته فإن جميع حواسه تقوى ويزيد إدراكها وكثير من أشخاص النوع الإنسان يدركون بحاسة الشم الروائح العطرة من بعد المسافة على مسافة ميل، أو أكثر من ذلك على مسيرة أميال ولعل من تزايدت لطافته يدرك رائحة ما لا رائحة له من الروائح المعتادة كما قال الله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وهذه الحاسة مخصوصة بأهل الكشف لا بغيرهم من الناس انتهى. وفي «المثنوي»:

بود واي گشم باشد نور ساز شد زبويى ديدهٔ ديدهٔ يعقوب باز
بوي بد مريده را تارى كند بوي يوف ديده را يارى كند
بوي كل ديدي كه انجاكل نبود جوش مل ديدي كه انجامل نبود
آن شنيدي داستان بايزيد كه زحال بو الحسن پيشين چه ديد
روزي آن سلطان تقوى ميكذشت بامريدان جانب صحرا ودشمت
برى خوش آمد مراورا ناكهان از سوادري زسوى خارقان
هم برانجا نالهٔ مشتاق كرد بوي را ازباد استشاق كرد
چون در وآثار مستى شد بديد يك مريد اورا ازان دم بر رسيد
پس بپر سيدش كه اين أحوال خوش كه برونست از حجاب پنج وشش
كاه سرخ وكاه زرد وكه سپيد مى شود رويت چه حالست ونويد
مى كشى بوي وبظاهر نيست كل بي شك از غيبست واز كلزار كل
كفت بوي بو العجب آمد بمن همچنانكه مصطفى را از يمن
كه محمد كفت برست ضبا از يمن مي آيدم بوي خدا
از اويس واز قرن بوي عجب مر نبي را مست كرد وپر طرب
كفت ازين سوبوي يارى مي رسد اندرين ده شهرياري مي رسد
بعد چندين سال مي زايد شهى مي زند بر آسمانها خر كهي
رويش از كلزار حق كلبون بود از من او اندر مقام افزون بود

چيست نامش كفت نامش بو الحسن حليه اش واكفت از كيسو ذقن
قد او ورنك او وشكل او يك بيك واكفت از كيسو ورو
حليهاي روح اورا هم نمود از صفات واز طريق وجا وبود

﴿لولا أن تفندون﴾ أي تنسبوني إلى الفند وهو الخرف ونقصان العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة، إذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها، أي نقصان عقلها ذاتي لا حادث من عارض الهرم وجواب لولا محذوف تقديره لولا تفنيدكم لصدقتموني.

واعلم: أن الخرف بالفارسية: [فرتوت شدن] لا يطرأ على الأنبياء والورثة، لأنه نوع من الجنون الذي هو من النقائص وهم مبرأون مما يشين بهم من الآفات.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي الحاضرون عنده ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ [درهمان حيرت قديمي در أفراط محبت يوسف وبسياريء ذكر أو وتوقع ملاقات أو بعد از چهل سال يا هشتاد سال] وكان عندهم قد مات وفيه إشارة إلى أنه لا بد للعاشق من لائم:

يا عاذل العاشقين دع فئة أضلها الله كيف ترشدها
مكن بنامه سياهى ملامت من مست كه آكهست تقدير برسرش چه نوشت

﴿فلما أن﴾ إن صلة أي زائدة لتأكيد الفعلين واتصالهما حتى كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان من غير وقت ﴿جاء البشير﴾ [مژده دهنده] وهو يهودا. ﴿ألقاه على وجهه﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب. ﴿فارتد﴾ الارتداد انقلاب الشيء إلى حال كان عليها وهو من الأفعال الناقصة أي عاد ورجع. ﴿بصيراً﴾ بعدما كان قد عمي ورجعت قوته وسروره بعد الضعف والحزن:

داشت در بيت حزن جامى جاي جاءه منك بشير فنجا

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ من حضرة يوسف القلب إلى يعقوب الروح بقميص أنوار الجمال ﴿ألقاه على وجهه فارتد بصيراً﴾ يشير إلى أن الروح كان بصيراً في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم ارتد بصيراً بوارد من القلب.

ورد البشير بما أقر الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم قسما فكان أجلهم حظاً أنا

وفيه إشارة إلى أن القلب في بدو الأمر كان محتاجاً إلى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين الأصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة في النهاية صار الروح محتاجاً إليها لاستنارته بأنوار الحق، وذلك، لأن القلب بمثابة المصباح في قبول نار نور الإلهية والروح بمثابة الزيت، فيحتاج المصباح في البداية إلى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج إلى المصباح وتركيبه في النهاية ليقبل بواسطته النار، فإن الزيت بلا مصباح وآلاته ليس قابلاً للنار فافهم جداً. ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي: ألم أقل لكم يا بني حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتجسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله إني أعلم من

الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج ـ وروي ـ أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك وعلى أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ [آمرزش طلب براي ما ازخدا عز وجل] ﴿إنا كنا خاطئين﴾ متعمدين للخطيئة والإثم مذنبين بما فعلنا بك وبيوسف وبنيامين، ومن حق شفقتك علينا أن تستغفر لنا ذنوبنا فإنه لولا ذلك لكنا هالكين.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ سوف وعسى ولعل في وعد الأكابر والعظماء يدل على صدق الأمر وجده ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وترك استعجالهم فعلى ذلك جرى وعد يعقوب كأنه قال إني استغفر لكم لا محالة وإن تأخر كما في «بحر العلوم».

وعن شعبي قال: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ قال اسأل يوسف إن عفا عنكم استغفر لكم ربي، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة فأخر الاستغفار إلى وقت الاجتماع بيوسف، فلما قدموا عليه في مصر قام إلى الصلاة في السحر ليلة الجمعة، وكانت ليلة عاشوراء، فلما فرغ رفع يديه، وقال: اللهم اغفر جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا به أخاهم، وقام يوسف خلفه يؤمن، وقام إخوته خلفهما أذلة خاشعين، فأوحى الله إليه إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين ثم لم يزل يدعو لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة إلى أن حضره الوفاة.

والتحقيق في هذا المقام ما قاله حضرة شيخي وسندي قدس الله سره في بعض تحريراته وهو أنه تعالى قال في حكاية قول يوسف عليه السلام: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وقال في حكاية قول يعقوب عليه السلام: ﴿سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ وذلك لأنه انبعث من غيب قلب يوسف النظر إلى ما نال إليه بسبب إخوته من النعماء والآلاء وانبعث أيضاً من غيب قلبه النية والإرادة للاستغفار لهم، فقال بلا توقف ولا تأخر: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ أي: وهو أرحم بكم مني ومن أبي ومنكم ومن سائر الراحمين وهو يرحمكم ويغفر لكم بسبب استغفاري لكم قدر ما نلت إليه بسبب ابتلائي بكم بل فوقه، إذ لولا رحمته ومغفرته لكم لما ابتلاني بكم ولما أنالني إلى ما رأيتم من السلطنة الظاهرة والباطنة والنعمة التامة الكاملة، ولم ينبعث عن غيب قلب يعقوب عليه السلام ذلك، بل انبعث النظر إلى ما وصل إليه بسببهم من العناء والمحن، ولم ينبعث النية للاستغفار لهم، بل توقف وتأخر إلى انبعاث النية من جانب الغيب حتى يستغفر لهم بالنية الصادقة المأذونة من قبل الحق تعالى فقال إشارة إلى هذا وتنبيهاً لهم عليه. ﴿سوف أستغفر لكم﴾ ربي حين تنبعث نية الاستغفار إلى قلبي من قبل العزيز الغفار ولا تستعجلوا ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ لأنه كما أنزل عليّ هذه المنح في صورة المحن من قبلكم يرحمكم ويغفر لكم ولولا إرادته الرحمة والمغفرة لكم لما ابتلاكم بهذا البلاء ولكن هذه الوقعة نعمة في صورة النقمة ورحمة في صورة الغضب، الحمد لله على ما أنعم وهو الأكرم والأرحم وأصل ذلك إرادة الحق سبحانه أن يتجلى لهم بالقبض

والجلال من جانب أبيهم وبالبسط والجمال من جانب أخيهم حتى ينالوا إلى مرتبة الصبر بالتجلي الأول، ويصلوا إلى مرتبة الشكر التجلي الثاني وتكون تربيتهم بالقبضتين واليدين، ومرتبتهم جامعة بين المرتبتين فلو كان التجلي من كلا الجانبين بالقبضة واليد الواحدة لكان مخالفاً لسنته القديمة فإنه لا يتجلى لأحد من مجليين إلا بصورتين مختلفتين، وكذا لا يتجلى لشخصين من مجليين إلا بصورتين ألا ترى أنه لا يوجد شخصان في صورة واحدة وإن كانا من أب واحد، لأن في اتحاد التجلي فيهما تحصيل حاصل وهو نوع عبث تعالى شأنه عن العبث علواً كبيراً.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ ـ روي ـ أن يوسف وجه إلى أبيه جهازاً كثيراً ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر. قال الخجندي:

كرد شيرين دهن ما خبر يار عزيز   كه زمصرت دكرا اينك شكرى مي آيد

فتوجه مع أولاده وأهاليهم إلى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر أخبر بذلك يوسف.

صبا زدوست پيامي بسوى ما آورد   بهمدمان كهن دوستى بجا آورد

براي چشم ضعيف رمد كرفتهٔ ما   ز خاك مقدم محبوب توتيا آورد

فاستقبله يوسف والملك الريان في أربعة آلاف من الجند أو ثلاثمائة ألف فارس والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، ومع كل واحد من الفرسان جنة من فضة وراية من ذهب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفاً، وكان الكل غلمان يوسف ومراكبه، ولما صعد يعقوب تلاً ومعه أولاده وحفدته أي أولاد أولاده ونظر إلى الصحراء مملوءة من الفرسان مزينة بالألوان نظر إليهم متعجباً فقال له جبريل: انظر إلى الهواء فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالكم كما كانوا محزونين مدة لأجلك. يعني [ازين لشكر وتجمل عجب ميداري ببالا نكر جنود ملك از زمين تا فلك بتفرج آمده بشادىٔ تو مبتهج ومسرورند چنانچه درين مدت ازاندوه تومحزون ورنجور بودند]. ثم نظر يعقوب إلى الفرسان، فقال: أيهم ولدي يوسف، فقال جبريل: هو ذاك الذي فوق رأسه ظلة فلم يتمالك أن أوقع نفسه من البعير فجعل يمشي متوكئاً على يهودا:

راه نزديك و بماندم سخت دير   سير كشتم زين سواري سيرسير

سر نكون خودرا زاشتردر فكند   كفت سوزندم زغم تاچند چند

فقال جبريل: يا يوسف إن أباك يعقوب قد نزل لك فأنزل له فنزل من فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو إلى الآخر فلما تقربا قصد يوسف أن يبدأ بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب به؛ لأنه أفضل وأحق فابتدأ به وقال السلام عليك يا مذهب الأحزان.

چه جورها كه كشندند بلبلان ازدى   ببوى آنكه دكر نو بهار باز آيد

فتعانقا وبكيا سروراً وبكت ملائكة السموات وماج الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة.

چه خوش جاليست روى دوست ديدن   پس از عمري بيك ديكر رسيدن

بكام دل زماني آرميدن   بهم كفتن سخن وزهم شنيدن

قال يوسف: يا أبت بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك، نسأل الله الثبات على الإيمان إنه الكريم المنان.

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزي بود خاتمت

﴿آوى إليه أبويه﴾ الجمهور على أن المراد بأبويه أبوه وخالته ليا لأن أمه راحيل كانت قد ماتت في ولادة بنيامين ولذلك سمي بنيامين فإن يامين وجع الولادة بلسانهم كما في تفسير أبي الليث. والرابة وهي موطوءة الأب تدعى أماً لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب. والمعنى ضمهما إلى نفسه فاعتنقهما وكأنه عليه السلام حين استقبلهم نزلهم في خيمة أو بيت كان له هنالك فدخلوا عليه في ذلك البيت أو الخيمة وضمهما إليه.

وقال الكاشفي: [پس در نزديك مصر موضعي بود ازان يوسف وقصر رفيع در آنجا ساخته بودند يوسف در انجا نزول فرمود پس آن هنكام كه در آمد بر يوسف دران منزل آوى إليه أبويه جاي داد بسوى خود پدر وخاله• خودراكه بجاي ما درش بود وديكر باره برادران را دركنار كرفت خالته را پرسش فرمود وبرادر زادكانرا نوازش كرد]. ﴿وقال﴾ لهم قبل أن يدخلوا مصر ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ من الجوع والخوف وسائر المكاره قاطبة، لأنهم كانوا قبل ولاية يوسف يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بإجازتهم لكونهم جبابرة، والمشيئة متعلقة بالدخول والأمن معاً كقولك للغازي ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فالمشيئة متعلقة بالسلامة والغنم معاً والتقدير ادخلوا مصر آمنين وذو الحال هو فاعل ادخلوا.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ورفع أبويه﴾ عند نزولهم بمصر وكانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وكانوا حين خرجوا منها مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعا وتسعين أو سبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي ألف. ﴿على العرش﴾ وهو السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه يوسف وهو بالفارسية [تخت] أي اجلسهما معه على سرير الملك تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته، واشتركوا في دخول دار يوسف لكنهم تباينوا في الإيواء فانفرد الأبوان بالجلوس معه على سرير الملك لبعدهما من الجفاء كذا غداً إذا وصلوا إلى الغفران يشتركون فيه في دخول الجنة ولكنهم يتباينون في بساط القربة فيختص به أهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء.

هركسى ازهمت والاى خويش سود برد در خور كالاي خويش

﴿وخروا له﴾ [وبروى درافتادند پدر وخاله وبرادران مرورا] ﴿سجداً﴾ حال مقدرة لأن السجود بعد الخرور يكون؛ أي حال كونهم ساجدين تحية وتكرمة له، فإنه كان السجود عندهم جارياً مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير والرفع مؤخر عن الخرور إذ السجود له كان قبل الصعود على السرير في أول الملاقاة لأن ذلك هو وقت التحية إلا أنه قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما، والترتيب

الذكري لا يجب كونه على وقف الترتيب الوقوعي وليصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا.

قال الكاشفي: [يوسف كه آن حال مشاهده نمود إظهار مسرت وبهجت فرمود] **﴿وقال يا أبت﴾** [أي پدرمن] **﴿هذا﴾** [اين سجده كردن شمارا]. **﴿تأويل رؤياي﴾** التي رأيتها وقصصتها عليك **﴿من قبل﴾** في زمن الصبى يريد قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝﴾ [يوسف: ٤] **﴿قد جعلها ربي حقاً﴾** صدقاً في اليقظة واقعاً بعينها.

قال بعضهم: وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة وإليها ينتهي الرؤيا. يقول الفقير: فيكون القول بأن الاجتماع كان بعد ثمانين سنة مرجوحاً.

واعلم أن السبب في تأخير ظهور المنامات الجيدة وسرعة الرديئة هو أن القدرة الإلهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكامنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة السرور أطول وتؤخر الانذار بالشرور الكامنة إلى زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والحزن.

قال الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: في شرح قوله عليه السلام: «أصدق المنامات ما رؤي في السحر»: اعلم أن السحر هو زمان أواخر الليل واستقبال أول النهار، والليل مظهر الغيب والظلمة، والنهار هو زمان الكشف والوضوح ومنتهى سير المغيبات والمقدرات الغيبية في العلم الإلهي ثم في عالم المعاني والأرواح ولما كان زمان السحر هو مبدأ زمان استقبال كمال الانكشاف والتحقق، لزم أن الذي يرى إذ ذاك يكون قريب الظهور والتحقق وإلى ذلك أشار يوسف بقوله: هذا **﴿تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾** أي: ما كملت حقية الرؤيا إلا بظهورها في الحس فإن فيه ظهر المقصود من تلك الصورة الممثلة وأينعت ثمراتها انتهى.

وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر. **﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾** أي: أظهرها في الحس بعد ما كانت في صورة الخيال، فقال النبي عليه السلام: «الناس نيام» أي جعل النبي عليه السلام اليقظة أيضاً نوعاً من أنواع النوم لغفلة الناس فيها عن المعاني الغيبية والحقائق الإلهية، كما يغفل النائم عنها فكان قول يوسف **﴿قد جعلها ربي حقاً﴾** بمنزلة من رأى في نومه أنه استيقظ من رؤيا رآها ثم ذكرها وعبرها ولم يعلم أنه في النوم عينه ما برح فإذا استيقظ، يقول: رأيت كذا ورأيت كأني استيقظت وأولتها بكذا هذا مثل ذلك، كما قال في «المثنوي»:

اين جهانراكه بصورت قائمست ... كفت پيغمبر كه حلم نائمست

او كمان برده كه اين دم خفته ام ... بي خبر زان كوست در خواب دوم

فانظر كم بين إدراك محمد وبين إدراك يوسف عليهما السلام في آخر أمره حين قال: **﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾** معناه ثابتاً حساً، أي محسوساً وما كان إلا محسوساً فإن الخيال لا يعطى أبداً إلا المحسوسات ليس له غير ذلك، فالنبي عليه السلام جعل الصورة الحسية أيضاً كالصورة الخيالية التي تجلى الحق والمعاني الغيبية فيها، وجعل يوسف الصور الحسية حقاً ثابتاً والصور الخيالية غير ذلك فصار الحس عنده مجالي للحق والمعاني الغيبية دون الخيال، فانظر ما أشرف علم ورثة سيد الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وهم، أي: الورثة الأولياء الكاملون المطلعون على هذه الأسرار.

والإشارة: أن يعقوب هو الروح، وزوجته النفس، وأولاده أوصاف البشرية والقوى والحواس، ويوسف هو القلب والقلب بمثابة العرش، وهو على الحقيقة عرش الرحمن والسجدة كانت على الحقيقة لرب لعرش لا للعرش، وقوله: ﴿إن شاء الله﴾ لأنه لا يصل إلى مصر حضرة الملك العزيز أحد إلا بجذبة مشيئته وقوله ﴿آمنين﴾ أي: من الانقطاع عن تلك الحضرة فإنها منزهة عن الاتصال والانفصال والانقطاع عنها.

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الوصول إلى أن تنفتح بصيرته ويتخلص من الظلمة ولا يقول أين هو كما قال في «المثنوي»:

اين جهان پر آفتاب ونورماه   أو بهشت سر فرو برده بچاه
كه اكر حقست پس كوروشنى   سر زچه بردار وبنكراي دنى
جمله عالم شرق وغرب آن نور يافت   تاتودر چاهى نخواهد برتوتافت

وصحبة هذا النور إنما تحصل بالصبر على المعاصي والشرور، وإصلاح الطبيعة والنفس بالشريعة والطريقة، وحبس الوجود في ظلمة بيت الخلوة إلى إشراق نور الحقيقة ألا ترى إلى قول الحافظ الشيرازي:

آنكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت   اجر صبريست كه در كلبهٔ احزان كردم

اللهم اجعلنا من الواصلين ﴿وقد أحسن بي﴾ قال في «الكواشي» المفعول محذوف تقديره أحسن بي صنعه والمشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستمل بالباء أيضاً كما في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣] والمعنى بالفارسية [وبدرستى كه نيكويي كرده است بمن آفرين كارمن] ﴿إذ أخرجني من السجن﴾ [چون بيرون آورد مرا اززندان] ولم يذكر الجب لئلا يستحي إخوته ومن تمام الصفح والعفو أن لا يذكر ما تقدم من الذنب، ولأنه كان في السجن مع الكفار وفي الجب مع جبرائيل ولأنه كان في وقت دخول الجب صغيراً ولا يجب الشكر على الصبيان ولأن عهده بالسجن أقرب من الجب فلذا ذكره والوجه الأول أرجح، وقد سبق مثله في حق زليخا أيضاً حيث قال: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ ولم يذكر زليخا.

قال لقمان رضي الله عنه: خدمت أربعة آلاف نبي واخترت من كلامهم ثماني كلمات. إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذكر اثنين، وانسَ اثنين، أما اللذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك.

وفي «التأويلات» أخرجني من سجن الوجود، ولهذا لم يقل من الجب جب البشرية ونعمة إخراجه من سجن الوجود أكبر من نعمة إخراجه من جب البشرية. ﴿وجاء بكم﴾ [وآورد شمارا] ﴿من البدو﴾ قال في «القاموس» والبدو والبادية خلاف الحضر لكون الصحراء بادية على العين أي ظاهرة سميت بها وكانوا أصحاب المواشي والعمد أي الأخبية ينتقلون في الماء والمرعى.

وقال الكاشفي: [وآن موضعي بود اززمين فلسطين درزمين شام كه يعقوب آنجا نشستى وآن نزديك كنعان بود يوسف جهت شكر نعمت فرمودكه حق سبحانه وتعالى مرا اززندان بتخت رسانيد وشمارا ازباديه نزديك من آورد تابايكديرك برنشينيم] ﴿من بعد أن نزغ الشيطان

بيني وبين إخوتي﴾ أي أفسد بيننا وحرش واغرى من نزغ الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري والحركة ولقد بالغ في الإحسان حيث نسب ذلك إلى الشيطان.

يقول الفقير: الأدب أن يسند الشر إلى النفس والشيطال لأنهما معدنه ومنشأه، وإن كان الكل بخلق الله تعالى ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ أي: لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل.

وقال في «الكواشي»: ذو لطف بمن يشاء واللطف الإحسان الخفي.

قال الامام الغزالي رحمه الله: إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى، وحظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الآخرة، من غير إزراء وعنف ومن غير تعصب وخصام وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والأعمال الصالحة فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة. وفي «المثنوي»:

پند فعلى خلق را جذابتر كه رسد رجان هربا كوش كر

﴿إنه هو العليم﴾ بليغ العلم بوجوه المصالح والتدابير. ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة وقد سبق في أوائل هذه السورة سر التقدم والتأخر بين اسمي العليم والحكيم ـ روي ـ أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس وهو أول من عملها قال يا بني ما أعقك؟ عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثماني مراحل.

صدبارشد ازعشق توام حال دكر كون يكبار نكفتي فلان حال توچون شد

قال: أمرني جبريل، قال أو ما تسأله؟ قال: أنت ابسط إليه مني فاسأله، قال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني. قال المولى الجامي:

زليخا چون زيوسف كام دل يافت بوصل دائمش آرام دل يافت
تمادى يافت أيام وصالش دران دولت زچل بكذشت سالش
پياپي داد آن نخل برومند بر فرزند بل فرزند فرزند
مرادي درجهان دردل نبودش كه برخوان امل حاصل نبودش

وولد ليوسف من راعيل، أي زليخا إفراييم وميشا وحمة امرأة أيوب علي السلام، وولد لإفراييم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولما نزل يعقوب في قصر يوسف جاء أولاد يوسف فوقفوا بين يدي يعقوب ففرح بهم وقبلهم، وحدثه يوسف بحديثه مع زليخا وما كان منه ومنها وأخبره أن هؤلاء أولاده منها فاستدعاها يعقوب فحضرت وقبلت يده وسألته زليخا أن ينزل عندها فقال لا أرضى بزينتكم هذه ولكن اصنعوا لي عريشاً من البردى والقصب مثل عريشي بأرض كنعان فصنعوا له عريشاً كما أراد ونزل فيه في أتم سرور وغبطة.

قال السهيلي: كان مساكن نبينا ﷺ مبنية من جريد النخل عليه طين وبعضها من حجارة مرصوصة وسقفها كلها من جريد.

وعن الحسن البصري: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي عليه السلام في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي، وهدمها عمر بن عبد العزيز بعد موت أزواجه عليه السلام وأدخلها في المسجد.

قال بعضهم: ما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم، وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرضون بما رضي الله لنبيه عليه السلام، ومفاتيح خزائن الأرض بيده عليه السلام، أي فإن ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان، وفي الحديث: «إن شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان».

وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه أخوه الخليفة هارون؛ يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص، إن كان من مالك فقد أسرفت، إن الله لا يحب المسرفين، وإن كان من مال غيرك ظلمت إن الله لا يحب الظالمين.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿رب﴾ ـ روي ـ أن يعقوب أقام مع يوسف أربعاً وعشرين سنة، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فنقله يوسف بنفسه في تابوت من ساج فوافق يوم وفاة عيص فدفنا في قبر واحد وكانا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعاً وأربعين سنة كما في «تفسير أبي الليث» ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، وكان عمره مائة وعشرين سنة فلما جمع الله شمله وانتظمت أسبابه واطردت أحواله ورأى أمره على الكمال علم أنه أشرف على الزوال وأن نعيم الدنيا لا يدوم على كل حال قال قائلهم:

إذا تـم أمـر دنـا نـقـصـه تـوقـع زوالا إذا قـيـل تـم

فاسألِ الله الموت بحسن العاقبة.

قال الكاشفي [يوسف پدررا بخواب ديدكه ميكويد اي يوسف بغايت مشاق لقاي توام بشتاب تاسه روز ديكر نزد من آيى يوسف از خواب در آمد وبرادرانرا طلبيد ووصيتها كرد ويهودا ولي عهد ساخته فرزندانرا بروسپرد وبطريق مناجات كفت اي پروردكار من] ﴿قد آتيتني من الملك﴾ أي أعطيتني بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر إذ لم يكن له ملك كل الدنيا.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: كان في وجود يوسف عليه السلام قابلية السلطنة وأما سلطان الأنبياء ﷺ فقد أفنى جميع ما في ملك وجوده من جهة الأفعال والصفات فلم يبق شيء، فظهر مكانه شيء لا يوصف بحيث وقع تجلى الذات فملكه وسلطانه لا يدانيه شيء ولذا لو قال أحد على وجه التحقير إنه كان فقيراً يكفر.

شمع سراجهٔ أبيت اختر برج لو دنوت تـارك ديـنـئ دنى مـالـك مـلـكـت دنـا

﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ [وبياموختى مرا از تعبير خوابها] ومن للتبعيض أيضاً لأنه لم يؤت علم كل التأويل على التفصيل وإن جاز أن يؤتى ملكته، ويقال من هنا لإبانة الجنس لا للتبعيض.

قال ابن الكمال: الأحاديث مبني على واحده المستعمل وهو الحديث، كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع واقطعه وأقاطيع، والمراد بالأحاديث

الرؤي جمع الرؤيا وتأويلها بيان ما تؤول هي إليه في الخارج وعلم التعبير من العلوم الجليلة لكنه ليس من لوزم النبوة والولاية، فقد يعطيه الله بعض خواصه على التفصيل وبعضهم على الإجمال. ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي: خالقهما وموجدهما من العدم إلى الوجود.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان معنى الفاطر غير ظاهر لي إلى أن تقدم رجلان من العرب يدعي كل منهما الملكية في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها فعرفت ذلك ﴿أنت وليي﴾ سيدي وأنا عبدك.

وقال الكاشفي: [تويى يا رمن ومتولىٔ كارمن] أي القائم بأمري ﴿في الدنيا والآخرة﴾ [درين سراي ودران سراي] واعلم أن من عرض له حاجة فأراد أن يدعو فعليه أن يقدم الثناء على الله تعالى ولذا قدم يوسف عليه السلام الثناء، ثم قال داعياً. ﴿توفني مسلماً﴾ وهو طلب للوفاة على حال الإسلام لأنها تمام النعمة ونحوه ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ويجوز أن يكون تمنيا للموت أي اقبضني إليك مخلصاً بتوحيدك.

قيل: ما تمنى الموت نبي قبله ولا بعده إلا هو. وفي «المثنوي»:

پس رجال از نقل عالم شادمان وزبقا اش شادمان اين كودكان

همچنين باد اجل بر عارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان

آتش إبراهيم را دندان نزد چون كزيده حق بود چونش كزد

وفي الحديث: «الموت تحفة المؤمن» لأن الدنيا سجنه لا يزال منها في عناء بمقاساة نفسه ورياضتها في شهواتها ومدافعة شيطانه فالموت إطلاقه واستراحته، كما قيل موت الأمراء فتنة وموت العلماء مصيبة وموت الأغنياء محنة، وموت الفقراء راحة، وفي الحديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وقالوا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال: «ليس ذلك بكراهة للموت ولكن المؤمن إذا احتضر جاء البشير من الله بما يرجع إليه، فليس شيء أحب إليه من لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا احتضر جاءه النذير بما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه» ومعنى محبة الله أفاضة فضله على المؤمن وإكثار العطايا له ومعنى كراهته تبعيد الكافر عن رحمته وإرادة نقمته.

وإنما دعا يوسف بهذا الدعاء وهو التوفي مسلماً ليقتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بآمن على ختمه فلا يترك الدعاء امتثالاً له، لأن ظواهر الأنبياء عليهم السلام كانت لنظر الأمم إليهم ليعلموا موضع الشكر من موضع الاستغفار. ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي بآبائي المرسلين في الجنة أو بعامة الصالحين في النعمة والكرامة وهو اسم للأنبياء لكمال حالهم واستجماع خصال الخير فيهم قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٦].

قال سعدي المفتي: فيه بحث فإن يوسف من أكابر الأنبياء والصلاح أول درجات المؤمنين فكيف يليق به أن يطلب اللحاق بمن هو في البداية ثم قال ويمكن أن يقال سبيله الاستغفار عن نبينا عليه السلام فإن أمثاله تصدر عن الأنبياء هضماً للنفس انتهى.

يقول الفقير: هذا معنى ساقط ذهول عن حقيقة الحال وكأنه ذهب بوهمه إلى ترتيب قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ولم يعرف أن مرتبة الصلاح مرتبة عظيمة جامعة لجميع المراتب، فإن الصالح إذا ترقى من مقامه يسمى شهيداً ثم صديقاً ثم نبياً ويلزم منه أن لا يتصف الشهيد مثلاً بالصلاح، فإن تسميته شهيداً

إنما هي باعتبار صفة غالبة كتسمية الإنسان أميراً ثم وزيراً باعتبار تفاوت درجات ولايته مع كونه إنساناً في نفسه، فكما أن أرباب البداية يسمون صلحاء كذلك أصحاب النهاية بشهادة الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٦] وقال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦] ووجهه أن النهاية هي الرجوع إلى البداية فالتوفي مسلماً إشارة إلى مرتبة الفناء في الله، والإلحاق بالصالحين إشارة إلى مرتبة البقاء بالله فإن المعنى عند أهل الإشارة توفتني مسلماً أي افنى عني بك مستسلماً والحقني بالصالحين للبقاء بك بأن تغنيني عني وتبقيني ببقائك الأزلي الأبدي فافهم وفقك الله ـ روي ـ أن يوسف عليه السلام قص رؤياه المذكورة كما نقل عن الكاشفي على زليخا ودعا بهذا الدعاء فعلمت أن الله يقبل دعاءه وأن الأمر يصير إلى الفرقة بعد الوصلة فبكت وقالت إلهي:

ندارم طاقت هجران يوسف ... زتن كش جان من باجان يوسف
بقاثون وفانيكو نباشد ... كه من باشم بدنيا اونباشد
وكر بامن نسازى همره اورا ... مرا بيرون براول آنكه اورا
بديكر اوز يوسف بامدادان ... كه شد دلها زفيض صبح شاذان
ببر كرده لباس شهرياري ... برون آمد باآهنك سوازي
چو پا دريك ركاب آورد جبريل ... بدو كفتا مكن زين بش تعجيل
امان نبود زچرخ عمر فرساي ... كه سايد درركاب ديكرت پاي
عنان بكسل زآمال اماني ... بكش پا از ركاب زندكاني
چو يوسف اين بشارت كرد ازوكوش ... زشادى شد بروهستى فراموش
زشاهى دامن همت بر افشاند ... يكى از وارثان ملك برخواند
بجاي خودشه آن مر زكردش ... بخصلتهاي نيك اندر زكردش
دكر كفتار زليخارا بخوانيد ... بميعاد وداع من رسانيد
بكفتند او زدست غم زبونست ... فتاده درميان خاك وخونست
ندارد طاقت اين باد جانش ... بحال خويش بكذار آنجنانش
بكف جبريل حاضر داشت سيبى ... كه باغ خلد ازان ميداشت زيبى
چو يوسف را بدست آن سيب بنهاد ... روان آن سيب را بويدو جان داد
چو يوسف را ازان بوجان بر آمد ... زجان حاضران افغان بر آمد
زليخا كفت اين سوز وفغان چيست ... پراز غوغا زمين وآسمان چيست
بدو كفتند كان شاه جوان بخت ... بسوى تخته رو كرد از سر تخت
وداع كلبهٔ تنك جهان كرد ... وطن بر اوج كاخ لامكان كرد
زهول اين سخن آن سرو چالاك ... سه روز افتاد همچون سايه بر خاك
چو چارم روز شد زان خواب بيدار ... سماع آن زخود بر دش دكر بار
سه باراينسان سه روز از خود همي رفت ... بداغ سينه سوز خود همي رفت
چهارم بار چون آمد بخود باز ... ز يوسف كرد اول پرسش آغاز
جز اين ازوى خبر بازش ندادند ... كه همچون كنج درخاكش نهادند
بيك جنيش ازين اندوه خانه ... بر حلت كاه يوسف شد روانه

كهى فرقش همي بوسيدو كه پاي فغان ميزد زدل كاي واي من واي
فرو رفته توهمچون آب در خاك به بيرون مانده منّ چون خار وخاشاك
چو درد وحسرتش از حد برون شد برسم خاك بوسى سر نكون شد
بچشمان خود انكشتان در آورد دو نركس را زنركسدان بر آورد
بخاك وى فكند از كاسهٔ سر كه نركس كاشتن درخاك بهتر
بخاكش روى خو آلوده بنهاد بمسكيني زمين بوسيد وجان داد
خوش آن عاشق كه در هجران چنان مرد بخلوتكاه جانان جان چنان برد
نخست از غير جانان ديده بركند وزان پس نقد جان برخا كش افكند
هزاران فيض بر جان وتنش باد بجانان ديدهٔ جان روشنش باد
حريفان حال اورا چون بديدند فغان وناله بر كردون كشيدند
ز كرد فرقتش رخ پاك كردند بجنب يوسفش درخاك كرند

وقال في «القصص»: ماتت زليخا قبله فحزن عليها ولم يتزوج بعدها ولما دنت وفاة يوسف وصى إلى ولده افراييم أن يسوس الناس، وقال: إن يوسف خرج بأهله وأولاده وإخوته ومن آمن معه من مصر ونزل عليه جبريل فخرق له من النيل خليجاً إلى الفيوم ولحق به كثير من الناس وبنوا هناك مدينتين وسموهما الحرمين، فكان يوسف هناك سنين إلى أن مات فتخاصم المصريون في مدفنه من جانبي النيل كل طائفة أرادت أن يدفن يوسف في جانبه وسمته تبركاً بقبره الشريف وجلباً للخصب حتى هموا بالقتال، ثم تصالحوا على أن يدفن سنة في جانب مصر وسنة في جانب آخر من البدو، فدفن في الجانب المصري فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر من البدو ثم نقل إلى الجانب البدوي فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر المصري، ثم اتفقوا على دفنه في وسط النيل، وقدروا ذلك بسلسلة وعملوا له صندوقاً من مرمر.

شكاف سنك قيراندای كردند ميان قعر نيلش جاي كردند
يكى شد غرق بحر آشنايي يكى لب تشنه در بر جدايي
به بين حيله كه چرخ بي وفاكرد كه بعد مركش از يوسف جدا كرد
نمى دانم كه باايشان چه كين داشت كه زير خاكشان آسوده نكذاشت

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى حين أمر موسى عليه السلام بالسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل معه عظام يوسف وأن لا يخلفها بأرض مصر وأن يسير بها حتى يضعها في الأرض المقدسة أي وفاء بما أوصى به يوسف، فقد ذكر أنه لما أدركته الوفاة أوصى أن يحمل إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أوليائه من ذلك، فسأل موسى عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد أحداً يعرفه إلا عجوزاً في بني إسرائيل فقالت له يا نبي الله أنا أعرف مكانه وأدلك عليه إن أنت أخرجتني معك ولم تخلفني بأرض مصر قال افعل، وفي لفظ أنها قالت أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له: أعطها طلبتها فأعطاها وقد كان موسى وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع القمر فدعا ربه أن يؤخر طلوع القمر حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل. وفي لفظ في مستنقعة ماء أي وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم: انضبوا عنها الماء أي ارفعوه

عنها ففعلوا فقالت: احفروا فحفروا وأخرجوه. وفي لفظ أنها انتهت به إلى عمود على شاطىء النيل، أي في ناحية منه فلا يخالفه ما سبق في أصله سكة من حديد فيها سلسلة، ويجوز أن يكون حفرهم الواقع في تلك الرواية كان على إظهار تلك السلسلة فلا مخالفة، ووجده في صندوق من حديد في وسط النيل في الماء استخرجه موسى وهو في صندوق من مرمر أي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله.

وفي «أنيس الجليس» أن موسى جاءه شيخ له ثلاثمائة سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف إلا والدتي فقال له موسى: قم معي إلى والدتك فقام الرجل ودخل منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها: ألك علم بقبر يوسف قالت نعم ولا أدلك على قبره إلا أن دعوت الله أن يرد عليّ شبابي إلى سبع عشرة سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت تسعمائة سنة فعاشت الفا وثمانمائة سنة فأرته قبر يوسف وكان في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل إلى جميع مصر فيكونوا شركاء في بركته فأخصب الجانبان وكان بين دخول يوسف مصر إلى يوم خروج موسى أربعمائة سنة وهو أي يوسف أول نبيّ من بني إسرائيل.

قال في «بحر العلوم» ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى فنجاهم من الفراعنة بعونه وتيسيره.

وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال: صنع الله على يديك خيراً كثيراً أحييت سنناً وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين، فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

كرت ملك جهان زير نكين است بآخر جاي تو زير زمين است

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ المذكور من نبأ يوسف يا محمد **﴿من أنباء الغيب﴾** من الأخبار التي غاب عنك علمها **﴿نوحيه إليك﴾** على لسان جبريل وهو خبر ثانٍ لقوله: **﴿ذلك﴾**. **﴿وما كنت﴾** حاضراً **﴿لديهم﴾** أي: عند إخوة يوسف **﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾** حين عزموا على إلقائه في غيابة الجب فإن الإجماع العزم على الأمر يقال أجمعت الأمر وعليه **﴿وهم يمكرون﴾** به وبابيه ليرسله معهم وإنما نفى الحضور وانتفاؤه معلوم بغير شبهة تهكماً بالمنكرين للوحي من قريش وغيرهم لأنه كان معلوماً عند المكذبين علماً يقيناً أنه عليه السلام ليس من جملة هذا الحديث وأشباهه ولا قرأ على أحد ولا سمع منه، وليس من علم قومه فإذا أخبر به لم يبق شبهة في أنه من جهة الوحي لا من عنده فإذا أنكروه تهكم بهم.

وقيل لهم قد علمتم يا مكابرين أنه لا سماع له من أحد ولا قراءة ولا حضور ولا مشاهدة لمن مضى من القرون الخالية ـ روي ـ أن كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف على سبيل التعنت، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي عليه السلام فعزاه الله بقوله:

﴿وما أكثر الناس﴾ عام لأهل مكة وغيرهم. **﴿ولو حرصت﴾** على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات لهم، والحرص طلب شيء باجتهاد في إصابته **﴿بمؤمنين﴾** لعنادهم وتصميمهم على الكفر وهذا في الحقيقة من أسرار القدر؛ لأن عدم إيمانهم من مقتضيات استعداداتهم الأزلية الغير المجعولة وأحوال أعيانهم الثابتة.

فإن قلت: فما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه؟ قلت: فائدته تمييز من له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما.

فإن قلت: لم كان الكفرة أكثر مع أن الله تعالى خلق الخلق للعبادة.

قلت: المقصود ظهور الإنسان الكامل وهو واحد كألف.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿وما تسألهم عليه﴾ أي على الإنباء أو الإرشاد بالقرآن **﴿من أجر﴾** مال يعطونك كما يفعله حملة الأخبار والمراد إنا أرخينا العلة في التكذيب حيث بعثناك مبلغاً بلا أجر **﴿إن هو﴾** أي ما القرآن **﴿إلا ذكر﴾** عظة من الله وانذار **﴿للعالمين﴾** عامة بعثاً لهم على طلب النجاة.

وفيه إشارة إلى أن الدعوة والإرشاد وسائر أفعال الخير لا يطلب فيها المنفعة من الناس فإنها لله تعالى، وما كان لله لا يجوز أن يشوبه شيء من أعراض الدنيا والآخرة. وفي «المثنوي»:

عاشقا نرا شادماني وغم اوست دست مزدو اجرت خدمت هم اوست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن اللاهوتية غير محتاجة إلى الناسوتية وإن دعتها إلى الاستكمال لأنها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها.

﴿وكأين﴾ قال المولى الجامي في شرح الكافية من الكناية كأين وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أي، وأي كان معرباً لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد، بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن، ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن نون التنوين لا صورة لها في الخط. اهـ **﴿من آية﴾** أي: كثير من الآيات الدالة على وجود الصانع وتوحيده وصفاته من العلم والقدرة وغير ذلك **﴿في السموات والأرض﴾** صفة آية كالشمس والقمر والنجوم والمطر والشجر والدواب والبحار والأنهار **﴿يمرون عليها﴾** خبر كأين أي يمرون على الآيات ويشاهدونها **﴿وهم عنها معرضون﴾** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها والقرآن هو المبين لتلك الآيات فمن لم يكن متصفاً بأخلاقه إذا قرأ القرآن ناداه الله ما لك ولكلامي؟ وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ، ولما سمع المشركون قوله **﴿وكأين من آية﴾** الآية قالوا إنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء فانزل الله.

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ حيث يثبت له شريكاً في المعبودية تقول العرب في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقول أهل مكة الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل اشركوا ويقول عبدة الأصنام: الله ربنا وحده والأصنام شركاؤه في استحقاق العبادة، وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزيز ابن الله، وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابنه.

وفي «التأويلات» ﴿وما يؤمن أكثرهم﴾ أكثر الخلق ﴿بالله﴾ وطلبه ﴿إلا وهم مشركون﴾ برؤية الإيمان والطلب إنهما منهم لا من الله فإن من يرى السبب فهو مشرك ومن يرى المسبب فهو موحد وإن كل شيء هالك في نظر الموحد إلا وجهه انتهى.

ولما دخل الواسطي نيسابور سأل أصحاب الشيخ أبي عثمان المغربي بم يأمركم شيخكم؟ قالوا: يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير عنها، فقال: أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشأها ومجراها.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركون ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم. ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ مصدر في موضع الحال بالفارسية [ناكاه] أي فجأة من غير سابقة علامة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإيانها غير مستعدين لها.

فإن قيل: أما يؤدي قوله بغتة مؤدّى قوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيستغنى عنه.

قيل: لا فإن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون، وفي الحديث: «موت الفجأ أخذة أسف» بكسر السين أي غضبان، يعني: موت الفجأة أثر غضب الله على العبد، والفجاءة بالمد مع الضم وبالقصر مع فتح الفاء هي البغتة دون تقدم مرض ولا سبب، وفي الحديث: «أكره موتاً كموت الحمار» قيل: وما موت الحمار قال: «موت الفجأة» وإنما كره لئلا يلقي المؤمن ربه على غفلة من غير أن يقدم لنفسه عذراً ويجدد توبة ويرد مظالمه ـ وروي ـ أن إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام ماتوا فجأة، ويقال إنه موت الصالحين وحمل الجمهور الأول على من له تعلقات يحتاج إلى الإيصاء أما المنقطعون المستعدون فإنه تخفيف ورفق بهم، كذا في «شرح الترغيب» المسمى «بالفتح القريب».

ذكر بعض السلف أن الخضر عليه السلام هو الذي يقتل الذين يموتون فجأة كما في «إنسان العيون».

قال في «التأويلات النجمية» وفي الحقيقة يشير بالساعة إلى عشق ومحبة من الله بلا سبب من الأسباب وقيل العشق عذاب الله والعشق أخص من المحبة لأنه محبة مفرطة والعشق عبارة عن هيجان القلب عند ذكر المحبوب والشوق عبارة عن انزعاج القلب إلى لقاء المحبوب.

وقال حكيم: الشوق نور شجرة المحبة والعشق ثمرتها.

وقال بعض أهل الرياضة: الشوق في قلب المحب كالفتيل في المصباح والعشق كالدهن. قال المولى الجامي:

اسير عشق شو كآزاد باشي ... غمش برسينه نه تاشاد باشي

نى عشقت دهد كرمى وهستى ... ذكر افسردكى وخود پرستى

﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي أي طريقي وهما يذكران ويؤنثان، ثم فسرها بقوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ إلى دينه وطاعته وثوابه الموعود يوم البعث ﴿على بصيرة﴾ بيان وحجة بصيرة أي واضحة مرشدة إلى المطلوب فإن

الدليل إذا كان بصيراً يتمكن من الإرشاد والهداية بخلاف ما إذا كان أعمى. ﴿أنا﴾ تأكيد للمستتر في «ادعو» ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه أي ادعو إليه إنا ويدعوا إليه من اتبعني ﴿وسبحان الله﴾ اسم من التسبيح منصوب بفعل مضمر وهو اسبح، أي أسبح الله تسبيحاً، أي انزهه تنزيهاً من الشركاء. ﴿وما أنا من المشركين﴾ عطف على وسبحان الله عطف الجملة على الجملة.

وفي «نفائس المجالس» قل هذه سبيلي أي الدعوة إلى التوحيد الذاتي طريقي المخصوصة بي ثم فسر السبيل بقوله ادعو إلى الله إلى الذات الأحدية الموصوفة بجميع الصفات على بصيرة أنا ومن اتبعني فكل من يدعو إلى ذلك السبيل فهو من أتباعي. قال في «المثنوي»:

اين چنين فرمود آن شاه رسل | كه منم كشتى درين درياي كل
با كسى كودر بصيرتهاى من | شد خليفه راستي برجاي من
كشتى نوحيم در درياكه نا | رو نكرداني زكشتى اي فتا

وكان الأنبياء قبله عليه السلام يدعون إلى المبدأ والمعاد وإلى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات الإلهية إلا إبراهيم عليه السلام فإنه قطب التوحيد ولذا أمر الله نبينا عليه السلام باتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] فهو من أتباع إبراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل، إذ لا متمم لتفاصيل الصفات إلا هو ولذا لم يكن غيره خاتماً. ﴿وسبحان الله﴾ أنزهه عن اشتراك الغير، بل هو الداعي إلى ذاته. ﴿وما أنا من المشركين﴾ المثبتين للغير في مقام التوحيد.

قال بعضهم: الداعي إلى الله يدعو الخلق به والداعي إلى سبيله يدعوهم بنفسه ولذلك كثرت الإجابة إلى الثاني لمشاركته الطبع، ثم الاتباع شامل للاتباع على الظاهر كما هو حال العامة وللاتباع على الحقيقة كما هو حال الخاصة، ولا سبيل إلى الدعوة على بصيرة إلا بعد الاتباع قولاً وفعلاً وحالاً، وهو النتيجة من الاتباع على الظاهر ـ حكي ـ أن فقيهاً قصد إلى زيارة أبي مسلم المغربي فسمعه يلحن في القرآن فقال في نفسه: قد ضاع سعيي ثم سلط أسدين على الفقيه حين خرج للوضوء وقت التهجد فهرب وصاح ودفعهما أبو مسلم ثم قال للفقيه: إن كنت لحنت في القرآن فقد لحنت في الإيمان فنحن نسعى في تصحيح الباطن فيخاف منا المخلوق وأنتم تسعون في الظاهر فتخافون الخلق ـ وحكي ـ أن ابن الرشيد اختار البقاء على الفناء فعيره أبوه يوماً وقال لحقني العار منك بين الملوك فدعا طيراً فأجابه ثم قال لأبيه ادع أنت فدعاه فلم يجب فقال لحقني العاربين أولياء الله لأنك كنت أسير الدنيا، والبصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية، والقوة القدسية، وجميع قلوب بني آدم في الأصل مائلة للبصيرة بحسب الفطرة لكنها لاشتغالها بالذات والشهوات والإعراض عن الطاعات والعبادات أظلمت وبنور البصيرة والتوفيق آمنت بلقيس وسحرة فرعون ونحوهم.

واعلم أن اتباع الرسول ﷺ باب النجاة وطريق السعادة العظمى.

قال سهل: محب الله على الحقيقة يكون اقتداؤه في أحواله وأقواله وأفعاله بالنبي عليه السلام.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره سأل أمام إبراهيم باشا مني يوماً عن تأويلات السلمى لأجل الأذية فقلت له نخلي ذلك فإننا لسنا من أهله ولكن نفتح «المثنوي» بنيتك ففتحت فجاء.

رهــو و راه طــريــقــت ايــن بــود — كــاو بــاحــكــام شــريــعــت مــيــرود

فتعجب المرحوم وترك الإنكار بعد ذلك على أولياء الله تعالى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ لا ملائكة، فهو رد لقولهم لو شاء ربنا لا نزل ملائكة قالوا ذلك تعجباً وإنكاراً لنبوته فقال تعالى كيف يتعجبون من إرسالنا إياك والحال أن من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك لأن الاستفاضة منوطة بالجنسية، وبين البشر والملك مباينة من جهة اللطافة والكثافة ولو أرسل ملك لكان في صورة البشر كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] وقس عليه الجن فلا يكون من الجن رسول إلى البشر، وفي عبارة الرجال دلالة على أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلى الخلق من النسوان، لأن مبنى حالهن على التستر ومنتهى كمالهن هي الصديقية لا النبوة، فمنها آسية ومريم وخديجة وفاطمة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين.

قال الكاشفي: [ودر باب سجاح كاهنه كه دعوىء نبوت مي كرده كفته اند]

أصــحــت نــبــيــتــنــا أنــثــى نــطــوف بــهــا — ولــم تــزل أنــبــيــاء الله ذكــرانــا

﴿نوحي إليهم﴾ على لسان الملك كما نوحي إليك. ﴿من أهل القرى﴾ من أهل الأمصار دون أهل البوادي لغلبة الجهل والقسوة والجفاء عليهم. والمراد بالقرية الحضر خلاف البادية فتشمل المصر الجامع وغيره، أي ما يسمى بالفارسية [ده وشهر] لكنه فرق كثير بين المصر الجامع وغيره، ولذا قال عليه السلام: «لا تسكنوا الكفور فإن ساكني الكفور ساكنوا القبور» والكفور القرى واحدها كفر يريد بها القرى النائية البعيدة عن الأمصار ومجتمع أهل العلم لكون الجهل عليهم أغلب وهم إلى التبدع أسرع. وفي «المثنوي»:

ده مــرو ده مــر درا أحــمــق كــنــد — عــقــل را بــي نــور وبــي رونــق كــنــد

قــول بــيــغــمــبــر شــنــو أي مــجــتــبــى — كــور عــقــل آمــد وطــن درروســتــا

هــركــه دررســتــابــود روزى وشــام — تــا بــمــاهــى عــقــل او نــبــود تــمــام

تــابــمــاهــى احــمــقــي بــا او بــود — ازحــشــيــش ده جــزايــنــهــا چــه درود

وانــكــه مــاهــى بــاشــد انــدر روســتــا — روز كــارى بــاشــدش جــهــل وعــمــى

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قلنا لم يكن يعقوب وبنوه من أهل البادية بل خرجوا إليها لمواشيهم.

وفي «التأويلات النجمية» إن الرسالة لا تستحقها إلا الرجال البالغون المستعدون للوحي من أهل قرى الملكوت والأرواح لا من أهل المدائن الملك والأجساد ولذا قيل الرجال من القرى انتهى. وفي «المثنوي»:

ده چــه بــاشــد شــيــخ واصــل نــاشــده — دســت در تــقــلــيــد درحــجــت زده

پــيــش شــهــر عــقــل كــلي ايــن حــواس — چــون خــران چــشــم بــســتــه در خــراس

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ آياسير نمى كنند كافران درزمين شام ويمن وبرديار عادو ثمود نميكذرند يعني بايدكه بكذرند] ﴿فينظروا﴾ [پس به بينند بنظر عبرت]. ﴿كيف كان﴾ [چه كونه بود] ﴿عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المشركين المكذبين الذين أهلكوا بشؤم إشراكهم وتكذيبهم فيحذروهم وينتهوا عنهم وإلا يحيق بهم مثل ما حاق بهم لأن التماثل في الأسباب يوجب التماثل في المسببات ﴿ولدار الآخرة﴾ [وهر آيينه سراي آخرت يعني بهشت ونعمت او] وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وأصله وللدار الآخرة، كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣] ﴿خير﴾ بهتراست از لذات فانيهء دنيا] ﴿للذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿أفلا تعقلون﴾ تستعملون عقولكم لتعرفوا إنها خير.

چه نسبت چاه سفلى را بنزهتكا روحاني چه ماند كلخن تيره بكاشنهاى سلطاني

ـ روي ـ أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لأصحابه لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قالوا: ومن الموتى قال الراغبون في الدنيا والمحبون لها.

وقال بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لصدر التابعين: إنكم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قيل ولم ذاك؟ قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ حتى غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم، فإن من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير رادع. ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول، والمكذوب من كان مخاطباً بالكلام الغير المطابق للواقع حتى ألقى خبر كاذب، والمعنى وظنوا أنهم قد كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا إنهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر، وقال كانوا بشراً وتلا قوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٤] فأراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية دون ترجح أحد الجائزين على الآخر، لأن ذلك غير جائز على المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الخلق بربهم وإنه متعال عن خلف الميعاد ﴿جاءهم نصرنا﴾ فجأة من غير احتساب، والمعنى أن زمان الإمهال قد تطاول عليهم حتى توهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا بغتة بغير سبق علامة. ﴿فنجي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء. ﴿من نشاء﴾ قائم مقام الفعل وهم الأنبياء والمؤمنون التابعون لهم، وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن شأن نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم ﴿ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ إذا نزل بهم.

قال في «التأويلات النجمية»: وفي قوله تعالى: ﴿إذا استيأس الرسول وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء﴾ إشارة إلى أن النصر كان للرسل منجياً من الابتلاء وللأمم المكذبة مهلكاً بالعذاب، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ أي المكذبين. والمعنى ويرد بأسنا عن القوم المطيعين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لقد كان في قصصهم﴾ الضمير للرسل وأممهم أي أخبارهم. وقرىء بكسر القاف جمع قصة. **﴿عبرة﴾** اسم من الاعتبار وهو الاتعاظ حقيقته تتبع الشيء بالتأمل **﴿لأولي الألباب﴾** لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف والركون إلى الحس.

قال في «بحر العلوم»: أي عظة يتعظ بها ذوو العقول بعدهم فلا يجترئون على نحو ما أخبر هؤلاء من أسباب بأس الله والإهلاك بل يجتنبون عن مثلها، لأنهم إن أتوا بمثلها يترتب على فعلهم مثل ذلك الجزاء ويسعون في أسباب النصرة والنجاة إذا سمعوا بحال الأمم الماضية وهوانهم على الله.

والحاصل أن في قصص إخوة يوسف فكرة وتدبرا لأولي الألباب وذلك أن من قدر على اعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد ما كان عبداً لبعض أهلها قادر على أن يعز محمداً وينصره.

قال الكاشفي: [سلمى از جعفر صادق نقل ميكند كه مراد از أولي الألباب أرباب اسرارست پس اعتبار ازين قصها أرباب أسرار باشد وحقائق الكلام در آينهٔ دل بي غل ايشان روى نمايد]

ولى در يابد أسرار معاني كه روشن شد بنور جاوداني

﴿ما كان﴾ القرآن وما ذكر فيه **﴿حديثاً يفترى﴾** يتقوله بشر **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾** أي ولكن كان تصديق ما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء ودليل صحتها؛ لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المجتمع عليه إلى شهادة الحجة. **﴿وتفصيل كل شيء﴾** وتبيين كل شيء من أمور الدين لاستنادها كلها إليه على التفصيل أو الإجمال إذ ما من أمر منها إلا وهو مبتنى على الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس والثلاثة الأخيرة مستندة إليه بوسط أو بغير وسط. **﴿وهدى﴾** من الضلالة **﴿ورحمة﴾** من العذاب **﴿لقوم يؤمنون﴾** من آمن وأيقن وانتصاب الأربعة بعد لكن للعطف على خبر كان.

واعلم أن القرآن جامع لجميع المراتب، ففيه تفصيل ظاهر الدين وباطنه. فالأول للمؤمن بالإيمان الرسمي البرهاني، والثاني للمؤمن بالإيمان الحقيقي العياني، وأيضاً هو هدى على العموم والخصوص ورحمة من عذاب جهنم وعذاب الفرقة والقطيعة، فإن من اهتدى إلى أنواره واطلع على أسراره دخل جنة الذوق والحضور والشهود وأمن من بلاء البشرية والوجود ولله تعالى عباد، لهم تجلى حقائق الآفاق ثم تجلى حقائق الأنفس ثم تجلى حقائق القرآن، فهذه نسخ ثلاث لا بد للواصل من تلاوة آياته وأصل تلك النسخ الثلاثة ومبدأها نسخة حقائق الرحمن وإلى تلك النسخ الأربع الإشارة بالكتب الأربعة الإلهية.

فعلى العاقل أن يتعظ بمواعظ القرآن، ويهتدي إلى حقائقه، ويتخلق بأخلاقه، ولا يقتصر على تلاوة نظمه وأنشد ذو النون المصري.

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

اللهم اجعل القرآن خلق الجنان وسائر الأركان

تمت سورة يوسف في أواسط شهر الله رجب من سنة ثلاث ومائة وألف

تفسير سورة الرعد

وهي مدنية وقيل مكية إلا قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ وآيها ثلاث وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿المر﴾ في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] إن الشعر محل للإجمال واللغز والتورية، أي وما رمزنا لمحمد ﷺ شيئاً ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً، ولا أجملنا له الخطاب حيث لم يفهمه وأطال في ذلك، وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة في أوائل السور ولعله ـ رضي الله عنه ـ لا يرى أن ذلك من المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه كذا في «إنسان العيون».

قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى ما لا يعلم الخلق وما لا يرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى، فتكون الألف واللام مختصرتين من أنا الله الدالين على الذات والميم والراء من أعلم وأرى الدالين على الصفة.

وقال الكاشفي: [الف آلاي اوست ولام لطف بي منتهاي أو وميم ملك بي زوال وراء رأفت بركمال] فتكون كل واحدة منها مختصرة من الكلمات الدالة على الصفات الإلهية.

وفي «التبيان» الألف الله واللام جبريل والميم محمد والراء الرسل، أي: أنا الله الذي أرسل جبريل إلى محمد بالقرآن وإلى الرسل بغيره من الكتب الإلهية والصحف الربانية.

وقال ابن الشيخ: الظاهر أن ﴿المر﴾ مستقل والتقدير هذه السورة مسماة بألمر ﴿تلك﴾ أي آيات هذه السورة ﴿آيات الكتاب﴾ أي القرآن.

وفي «التأويلات» إن حروف ﴿المر﴾ آيات القرآن. فبالألف يشير إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية. وباللام يشير إلى قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣] وبالميم إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] وبالراء إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزخرف: ٨٢] كما أن ق إشارة إلى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] وهو مرتبة الأحدية التي هي التعين الأول. وص إشارة إلى ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ٢] وهو مرتبة الصمدية التي هي التعين الثاني ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾ [الصافات: ١٠] إشارة إلى التعينات التابعة له ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الحق﴾ ليس كما يقول المشركون إنك تأتي به من قبل نفسك باطلاً فالإيمان به

والعمل بأحكامه واجب فمن اعتصم به وهو حبل الله ينجيه من الأسفل الذي هبط إليه بقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ [البقرة: ٣٨].

واعلم أن المنزل من عند الله أعم من الحكم المنزل صريحاً كالأحكام الثابتة بصريح نص القرآن ومن الحكم المنزل ضمناً كالتي تثبت بالسنة والإجماع والقياس فالكل حق ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالقرآن ويجحدون بحقيته وأنه حبل من الله يوصل المعتصم به إليه، لإفراطهم في العناد، وخروجهم عن طريق السداد، وعدم تفكرهم في معانيه وإحاطتهم بما فيه، وكفرهم به لا ينافي كونه حقاً منزلاً من عند الله تعالى فإن الشمس شمس وإن لم يرها الضرير والشهد شهد وإن لم يجد طعمه المرور والتربية إنما تفيد المستعد والقابل دون المنكر والباطل. قال المولى الجامي:

هيچ سودى نكند تر بيت نا قابل كرچه بر تر نهى از خلق جهان مقدارش
سبز وخرم نشود از نم باران هركز خار خشكى كه نشاني بسر ديوارش

ثم بين دلائل ربوبيته وأحديته بقوله:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الذي رفع السموات﴾ خلقها مرفوعة بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام لا أن تكون موضوعة فرفعها. ﴿بغير عمد﴾ بالفتح جمع عماد أو عمود وهو بالفارسية [استون] حال من السموات، أي رفعها خالية من عمد وأساطين ﴿ترونها﴾ الضمير راجع إلى عمد والجملة صفة لها، أي خالية من عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل أن يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعاً، أي لا عمد لها فلا ترى، ويحتمل أن يكون لانتفاء الرؤية فقط بأن يكون لها عماد غير مرئي وهو القدرة، فإنه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها، أو العدل، لأن بالعدل قامت السموات، أي العلويات والسفليات.

آسمان وزمين بعدل بپاست شد زشاهان بغير عدل نخاست
كر نباشد ستون خيمه بجاي كي بود خيمه بي ستون برپاي

ويجوز أن يكون ترونها جملة مستأنفة فالضمير راجع إلى السموات، كأنه قيل ما الدليل على أن السموات مرفوعة بغير عمد فأجيب بأنكم ترونها غير معمودة ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم لبيان تفاضل الخلقين وتفاوتهما، فإن العرش أفضل من السموات، لا للتراخي في الوقت لتقدمه عليها والاستواء في اللغة بالفارسية [راست بيستادن] والعرش سرير الملك وهو هنا مخلوق عظيم موجود هو أعظم المخلوقات وتحته الماء العذب كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] وهو بحر عظيم لا يعلم مقدار عظمته إلا الله، والمعنى على ما في «بحر العلوم» ثم أوفى على العرش يقال أوفى على الشيء إذا أشرف عليه أي اطلع عليه من فوق، وفي الحديث: «إن الله كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى، وغرس فيها من كل طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على عرشه فنظر إليها فقال وعزتي وجلالي لا يدخلك مدمن خمر، ولا مصرّ على زنى، ولا ديوث، ولا قتات، ولا قلاع، ولا جياف، ولا ختار».

وقال البيضاوي: ﴿ثم استوى على العرش﴾ بالحفظ والتدبير فالاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه بلا عمد، يقال: استوى فلان على العرش إذا ملك وإن لم يقعد عليه البتة.

قال ابن الشيخ: الظاهر أن كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخي، لأن استيلاءه تعالى على التصرف فيما رفعه، ليس بمتراخ عن رفعه والتحقيق أن المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه الحبي الأحدي، وإنما كان العرش محلى هذه الاستواء لأن التجليات التي هي شروط التجليات المتعينة، والأحكام الظاهرة والأمور البارزة والشؤون المتحققة في السماء والأرض وفيما بينهما من عالم الكون والفساد بالأمر الإلهي والإيجاد الأزلي إنما تمت باستيفاء لوازمها واستكمال جوانبها واستجماع أركانها الأربعة المستوية في ظهور العرش بروحه وصورته وحركته الدورية، لأنه لا بد في استواء تجليات الحق في هذه العوالم بتجليه الحبي وأمره الايجادي من الأمور الأربعة التي هي من هذه التجليات الحبية والإيجادية الحسية هي حركة العرش وهي بمنزلة الحد الأكبر، ولما استوى أمر تمام حصول الأركان الأربعة الموقوف عليها بتوقيف الله التجليات الإيجادية الأمرية المتنزلة بين السموات السبع والأرضين السبع بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر، وموجبات قابليات أصحاب الزمان في كل يوم بل في كل آن، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمان: ٢٩] في العرش كان العرش مستوى الحق بهذا الاعتبار، واستواء الأمر الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع، وكل منهما مقلوب الآخر كذا في «الأبحاث البرقيات» لحضرة شيخنا الأجل قدس الله سره ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما لما يراد منهما وهو انتفاع الخلق بهما كما قال في «بحر العلوم» معيني تسخيرهما نافعتين للناس حيث يعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، وينوران لهم في الليل والنهار ويدرآن الظلمات ويصلحان الأرض والأبدان والأشجار والنباتات. ﴿كل﴾ منهما ﴿يجري لأجل مسمى﴾ اللام بمعنى إلى، أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا أو تمام، دوره وللشمس والقمر منازل كل منهما يغرب في كل ليلة في منزل ويطلع في منزل حتى ينتهي إلى أقصى المنازل. ﴿يدبر الأمر﴾ يقضي ويدبر أمر ملكوته من الإعطاء والمنع والإحياء والإماتة ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب ورفع قوم ووضع آخرين وغير ذلك.

وفي «التأويلات» ﴿يدبر الأمر﴾ أمر العالم وحده وهو يدل على أن الاستواء أي العلو على العرش بالقدرة لتدبير المكونات لا للتشبيه. ﴿يفصل الآيات﴾ يبين البراهين الدالة على التوحيد والبعث وكمال القدرة والحكمة ﴿لعلكم﴾ [شايدكه شما] ﴿بلقاء ربكم﴾ [بديدار پروردكار خود يعني بديدن جزاكه خواهد دادسر قيامت]. ﴿توقنون﴾ [بي كمان كرديد ودانيدكه هركه قادرست بر آفريدن اين اشيا قدرت دارد براعاده واحيا].

قال في «بحر العلوم» لعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي يفصل الآيات إرادة أن تتأملوا فيها وتنظروا فتستدلوا بها عليه ووحدته وقدرته وحكمته وتيقنوا أن من قدر على خلق السموات والعرش وتسخير الشمس والقمر مع عظمها وتدبير الأمور كلها كان على خلق الإنسان مع مهانته وعلى إعادته وجزائه أقدر.

واعلم أنه كان ما كان من إيجاد عالم الإمكان ليحصل للناس المشاهدة والاطمئنان والإيقان. قال المولى الجامي:

سير آب كن زبحر يقين جان تشنه را زين پيش خشك لب منشين برسر آب ريب

وعن سيدنا علي رضي الله عنه «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وذلك أن أهل المكاشفة وصلوا من علم اليقين إلى عين اليقين الذي يحصل لأهل الحجاب يوم القيامة فلو ارتفع الغطاء وهو دار الدنيا وظهرت الآخرة ما ازدادوا يقيناً بل كانوا على ما كانوا عليه في الدنيا بخلاف أهل الحجاب فإن علمهم إنما يكون عين اليقين يوم القيامة، ويدل عليه قوله عليه السلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» أي: ماتوا موتاً اختيارياً أو اضطرارياً حصل لهم اليقظة.

فعلى العاقل تحصيل اليقين والنظر بالعبرة في آيات العالمين.

قال الفقيه: لا غنية للمؤمن عن ست خصال. أولاها علم يدله على الآخرة والثانية رفيق يعينه على طاعة الله ويمنعه عن معصية الله. والثالثة معرفة عدوه والحذر منه. والرابعة عبرة يعتبر بها في آيات الله وفي اختلاف الليل والنهار. والخامسة إنصاف الخلق لكيلا يكون له يوم القيامة خصماء. والسادسة الاستعداد للموت ولقاء الرب قبل نزوله كيلاً يكون مفتضحاً يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وهو الذي﴾ [اوست آن قادر مطلق كه] ﴿مدّ الأرض﴾ بسطها طولاً وعرضاً ووسعها لتثبت عليها الأقدام ويتقلب الحيوان أي أنشأها ممدودة لا أنها كانت مجموعة في مكان فبسطها، وكونها بسيطة لا ينافي كريتها لأن جميع الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح.

وفي «تفسير أبي الليث» بسطها من تحت الكعبة على الماء وكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة بأهلها فأرساها بالجبال الثقال.

وفي بعض الآثار: إن الله تعالى قبل أن يخلق السموات والأرض أرسل على الماء، ريحاً هفافة فصفقت الريح الماء أي ضرب بعضه بعضاً فأبرز منه خشفة بالخاء المعجمة وهي حجارة يبست بالأرض في موضع البيت كأنها قبة وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الأرض طولها والعرض فهي أصل الأرض وسرتها في الكعبة وسط الأرض المسكونة وأما وسط الأرض كلها عامرها وخرابها فهي قبة الأرض وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار فيه أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص واصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الأرض بمكة ولما تموج الماء رمى بتلك الطينة إلى محل مدفنه بالمدينة فلذلك دفن عليه السلام فيها.

قال بعضهم: الأرض مضجعنا وكانت أمنا فيها معايشنا وفيها نقبر. ﴿وجعل فيها رواسي﴾ من رسا الشي إذا ثبت جمع راسية والتاء للمبالغة كما في علاّمة لا للتأنيث؛ إذ لا يقال جبل راسية. والمعنى وجعل فيها جبالاً ثابتة أوتاداً للأرض لئلا تضطرب فتستقر ويستقر عليها وكان اضطرابها من عظمة الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض.

قال في «القاموس»: أبو قبيس جبل بمكة سمي برجل حداد من مذحج كمجلس لأنه أول من بنى فيه وكان يسمى الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه.

قال في «إنسان العيون»: وكان أول جبل وضع عليها أبا قبيس وحينئذٍ كان ينبغي أن يسمى أبا الجبال وأن يكون أفضلها مع أن أفضلها كما قال السيوطي أحد لقوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه» وهو بضمتين جبل بالمدينة. ذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلاً منها ما طوله عشرون فرسخاً، ومنها مائة فرسخ إلى ألف فرسخ ويقال ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول، وليس فيها جبل إلا وله عروق من جبل قاف، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل الأرض أوحى إلى جبل قاف، فيحرك ذلك العرق من الجبل فتزلزل. وفي «المثنوي»:

رفت ذو القرنين سوى كوه قاف ... ديدكه را كز زمرد بود صاف
كرد عالم حلقه كشته أو محيط ... ماند حيران اندران خلق بسيط
كفت تو كوهى دكرها چيستند ... كه به پيش عظم توباز ايستند
كفت ركهاى منند آن كوهها ... مثل من نبود در حسن وبها
من بهر شهري ركى دارم نهان ... بر عروقم بسته أطراف جهان
حق چو خواهد زلزلهٔ شهري مرا ... كويد او من برجهانم عرق را
پس بجنبانم من آن رك را بقهر ... كه بدان رك متصل كشتست شهر
چون بكويد بس شود ساكن ركم ... ساكتم وز روى فعل اندرتكم
همچو مرهم ساكن وبس كاركن ... چون خرد ساكن و زوجنبان سخن
نزد انكس كه نداند عقلش اين ... زلزله هست از بخارات زمين

﴿وأنهاراً﴾ جارية ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلاً واحداً من حيث إن الجبال أسباب لتولدها وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة ثم إنها لكثرتها وقوتها تنقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الأرض، وفي الملكوت إن الله يرسل على الأرض الثلوج والأمطار فتشربها الأرض حتى يعدلها في طبعها ومشربها فتصير عيوناً في عروق الأرض ثم تنشق الأرض عنها في المكان الذي يؤمر بالانشقاق فيه فتظهر على وجه الأرض منفعة للخلائق والملك الموكل بذلك ميكائيل وأعوانه.

ومن الأنهار العظيمة: الفرات وهو نهر الكوفة، ودجلة وهو نهر بغداد، وسيحان بفتح السين المهملة نهر المصيصة، وسيحون وهو نهر بالهند، وجيحان بفتح الجيم نهر أذنة في بلاد الأرمن، وجيحون وهو نهر بلخ والنيل وهو نهر مصر.

يقال: إن واحداً من الملوك جمع قوماً وهيأ لهم السفن ومكنهم من زاد سنة وأمرهم أن يسيروا في النيل حتى يقفوا على آخره فخرجوا ستة أشهر ولم يصلوا إلى آخره إلا أنهم رأوا هناك قبة فيها خلق على صورة الآدميين، خضر الأبدان فاصطادوا منه ليحملوه فلم يزل يضطرب عليهم حتى مات فعالجوه وملحوه واحتملوه ليراه الناس.

وفي «الواقعات المحمودية» أن ذا القرنين طلب رأس النيل فلم يجد ـ وحكي ـ أنهم وصلوا إلى جبل فكل من نظر وراءه لم يأت، فربطوا في وسط شخص حبلاً فبعد أن نظر

جذبوه وسألوا منه فلم ينطق حتى مات.

قال بعضهم: لولا دخول بحر النيل في الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته، ولذا يقال: إن النيل نهر العسل في الجنة ومن الأنهار نهر أرس كما قال الشاعر:

ارس را در بيابان جوش باشد بدريا چون رسد خاموش باشد

﴿ومن كل الثمرات﴾ متعلق بقوله: ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ اثنين تأكيد للزوجين كما هو دأب العرب في كلامهم، أي: وخلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والأصفر والأحمر والصغير والكبير. ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي يجعل الليل غاشياً يغشي النهار بظلمته فيذهب بنور النهار أي يجعله مستوراً بالليل ويغطيه بظلمته ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين.

قال البيضاوي: يلبسه مكانه فيصير الجوّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً يعني أن الإغشاء إلباس الشيء الشيء ولما كان إلباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لأنهما متضادان لا يجتمعان واللباس لا بد أن يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل، شبه أحداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطيه بها فأطلق عليه اسم الاغشاء والإلباس فاشتق منه لفظ يغشي فصار استعارة تبعية. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في كل من الأرض والجبال والأنهار والثمار والملوين. ﴿لآيات﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره.

أما في الأرض: فمن حيث هي ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للماشين في مناكبها وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلاً.

وأما الجبال: فمن جهة رسوها وعلوها وصلابتها وثقلها وقد أرسيت الأرض بها كما يرسى البيت بالأوتاد. وأما الأنهار: فحصولها في بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد أن يستند إلى الفاعل المختار الحكيم.

وأما الثمار: فالحبة إذا وقعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فتخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة، وتخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا من العجائب لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من أحد جانبي تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص في الأرض، ومن المحال أن يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم، ثم إن الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشباً وبعضها يكون نورة، وبضعها يكون ثمرة ثم إن تلك الثمرة، أيضاً يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع، فالجوز له أربعة أنواع من القشور، قشره الأعلى، وتحته القشرة الخشبية، وتحته القشرة المحيطة باللب، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطباً، وأيضاً قد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلاً وعجمه باردان يابسان، ولحمه وماؤه حاران رطبان، فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القدير، وأما الملوان فلا يخفى ما في اختلافهما

ووجودهما من الآية أي الدلالة الواضحة. ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء وكما أن في العالم الكبير أرضاً وجبالاً ومعادن وبحاراً وأنهاراً وجداول وسواقي فكذلك في الإنسان الذي هو العالم الصغير مثله، فجسده كالأرض وعظامه كالجبال ومخه كالمعادن وجوفه كالبحر وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول وشحمه كالطين وشعره كالنبات ومنبت الشعر كالتربة الطيبة وأنسه كالعمران وظهره كالمفاوز ووحشته كالخراب وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطى فكلما تنفس نفساً كان يخطو خطوة إلى أجله فلا بد من التفكر في هذه الأمور.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدور، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الأشياء، وعبرة من الأشياء.

وعن النبي عليه السلام أنه مر على قوم يتفكرون فقال لهم «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» كذا في تنبيه «الغافلين» وفي «المثنوي»:

بى تعلق نيست مخلوقي بدو	آن تعلق هست بيچون اي عمو
اين تعلق را خرد چون ره برد	بستهٔ وصلست وفصلست اين خرد
زين وصيت كرد مارا مصطفى	بحث كم جوئيد درذات خدا
آنكه درذاتش تفكر كرد نيست	در حقيقت آن نظر در ذات نيست
هست آن پندار اوزيرا براه	صد هزاران پرده آمد تا اله
هريكي در پردهٔ موصول جوست	وهم او آنست كان خود عين هوست
پس پيمبر دفع كرد اين وهم ازو	تانباشد در غلط سودا پز او

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾.

﴿وفي الأرض﴾ خبر مقدم لقوله ﴿قطع﴾ جمع قطعة بالفارسية [پاره] ﴿متجاورات﴾ أي بقاع متلاصقات بعضها طيبة تنبت شيئاً وبعضها سبخة لا تنبت وبعضها قليلة الريع وبعضها صلبة وبعضها كثيرة الريع وبعضها رخوة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع وانتظامها في جنس الأرضية ﴿وجنات﴾ عطف على قطع أي: بساتين. ﴿من أعناب﴾ جمع عنب بالفارسية [انكور] وسمت العرب العنب الكرم لكرم ثمرته وكثرة حمله وتذلله للقطف ليس بذي شوك ولا بشاق المصعد ويؤكل غضاً ويابساً وأصل الكرم الكثرة والجمع للخير، وبه سمي الرجل كرماً لكثرة خصال الخير فيه.

واعلم: أن قلب المؤمن لما فيه من نور الإيمان أولى بهذا الاسم، ولذا قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن» قال ابن الملك: سبب النهي أن

العرب كانوا يسمون العنب وشجرته كرماً؛ لأن الخمر المتخذة منه تحمل شاربها على الكرم، فكره النبي ﷺ هذه التسمية لئلا يتذاكروا به الخمر ويدعوهم حسن الاسم إلى شربها، وجعل المؤمن وقلبه أحق أن يتصف به لطيبه وذكائه، والغرض منه تحريض المؤمن على التقوى وكونه أهلا لهذه التسمية. ﴿**وزرع**﴾ بالرفع عطف على جنات وتوحيده لأنه مصدر في أصله. ﴿**ونخيل**﴾ النخل والنخيل بمعنى واحد. بالفارسية [خرما بنان]. ﴿**صنوان**﴾ نعت لنخيل جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد أي نخلات يجمعهن أصل واحد. وبالفارسية [چند شاخ ازيك اصل رسته] وفي الحديث: «لا تؤذوني في العباس فإنه بقية آبائي وإن عم الرجل صنو أبيه» قال في «القاموس» ما زاد في الأصل الواحد كل واحد منهما صنو، ويضم ويقال هو عام في جميع الشجر ﴿**وغير صنوان**﴾ ومتفرقات مختلفة الأصول، وفي الحديث: «اكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» ـ وحكى ـ المسعودي أن آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر فيها.

منها عشرة لها قشر الجوز واللوز والفستق والبندق والشاه بلوط والصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش. ومنها عشرة لا قشر لها ولثمرها نوى الرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعناب والغبيراء والدوابق والزعرور والنبق.

ومنها عشرة لها قشر ولا نوى: التفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والقثاء والخيار والبطيخ، وهذا لا ينافي كون هذه الثمرات مخلوقة في الأرض كما لا يخفى. ﴿**يسقى**﴾ المذكور من القطع والجنات والزرع والنخيل ﴿**بماء واحد**﴾ والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام ﴿**ونفضل**﴾ بنون العظمة أي ونحن نفضل ﴿**بعضها على بعض في الأكل**﴾ في الثمر شكلاً وقدراً وطعماً ورائحة فمنها بياض وسواد وصغير وكبير وحلو ومر وحامض وجيد ورديء وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم وقدرته، فإن إنبات الأشجار بالثمار المختلفة الأصناف والأشكال والألوان والطعوم والروائح مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار، لأنه لو كان ظهور الثمار بالماء والتراب لوجب في القياس أن لا يختلف الألوان والطعوم ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد بماء واحد. والأكل بضم الكاف وسكونها ما يتهيأ للأكل ثمراً كان أو غيره كقوله تعالى في صفة الجنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] فإنه عام في جميع المطعومات وإطلاق الثمر على الحب لا يصح إلا باعتبار التغليب فإن الثمر حمل الشجر على ما في «القاموس».

قال الكاشفي: [درتبيان آورده كه اين مثل بني آدم در اختلاف الوان واشكال وهيآت وأصوات باوجود آنكه پدر همه يكيست. در مدارك كفته كه مثل اختلاف قلوبست در آثار وأنوار وأسرار وهردلي را صفتي وهر صفت را نتيجه‌ دمي باشد موصوف بانكار واستكبار كه ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢] وباز دمي آرميده بذكر حضرت پرورد كاركه ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

ببين تفاوت ره كز كجاست تابكجا

قال بعض الكبار: العلم الحاصل لأهل الله كالماء، فإن الماء حياة الأشباح، والعلم حياة

الأرواح واختلاف العلم مع كونه حقيقة واحدة باختلاف الجوارح والأشخاص، كاختلاف الماء في الطعوم باختلاف البقاع مع كونه حقيقة واحدة، فمن الماء عذب فرات كعلم الموحد العارف بالله ومنه ملح أجاج كعلم الجاهل المحجوب بالسوي والغير، فإنه شاب اللطيفة العلمية عند مروروه عليها بما يكفيها ويغيرها عن لطفها الطبيعي. قال الحافظ:

پاك وصافى شو واز چاه طبيعت بدرآى — كه صفايي ندهد آب تراب آلوده

وقال في المولى الجامي:

نكتهٔ عرفان مجو از خاطر آلودكان — كهور مقصودرا دلهاي پاك آمد صدف

﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ لدلالات واضحة ﴿لقوم يعقلون﴾ يعملون على قضية عقولهم وأن من قدر على خلق الثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والروائح من الأرض والماء ولا تناسب بين التراب والماء، وقدر على إحياء الأرض بالماء وجعلها قطعاً متجاورات وحدائق ذات بهجة قدر على إعادة ما ابدأه بل هذا ادخل في القدرة من ذلك وأهون في القياس.

والإشارة في أرض الإنسانية قطع من النفس والقلب والروح والسر والخفي متقاربات بقرب الجوار مختلفات في الحقائق فمنها حيوانية، ومنها ملكوتية ومنها روحانية ومنها جبروتية ومنها عظموتية، وبالجنات يشير إلى هذه الأعيان المستعدة لقبول الفيض عند قبولها وتثميرها من أعناب وهي ثمرة النفس، فمن الصفات ما تدل على الغفلة والحماقة والسهو واللهو فإنها أصل السكر، وزرع وهو ثمرة القلب فإن القلب بمثابة الأرض الطيبة القابلة للزرع من بذر الصفات الروحانية والنفسانية، فبأي بذر صفة من الصفات ازدرعت يتجوهر القلب بجوهر تلك الصفة فتارة يصير بظلمات النفس ظلمانياً، وتارة يصير بنور الروح نورانياً، وتارة يصير بنور الرب ربانياً كما قال: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ﴿ونخيل﴾ وهو الروح ذو فنون من الأخلاق الحميدة الروحانية كالكرم والجود والسخاء والشجاعة والقناعة والحلم والحياء والتواضع والشفقة ﴿صنوان﴾ وهو السر الجبروتي وبه يكشف أسرار الجبروت التي بين الرب والعبد ولها مثل ومثال ويحكى عنها. ﴿وغير صنوان﴾ وهو الخفي المكاشف بحقائق العظموت التي لا مثل لها ولا مثال ولا يحكى عنها، كما قال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠] وكما قيل:

بين المحبين سر ليس يفشيه

﴿يسقى بماء واحد﴾ وهو ماء القدرة والحكمة ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ في الثمرات والنتائج فبعضها أشرف من بعضها، وإن كان لكل واحدة منها شرف في موضعه لاحتياج الإنسان في أثناء السلوك. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ الذين يلتمسون من القرآن أسراراً وآيات تدلهم على السير إلى الله وتهديهم إلى الصراط المستقيم إليه كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾.

﴿وإن تعجب﴾ أي إن يقع منك عجب وتعجبت من شيء يا محمد أو أيها السامع

﴿فعجب قولهم﴾ خبر ومبتدأ أي فليكن ذلك العجب من قول المشركين. ﴿ءاذا كنا تراباً﴾ [آيا آن وقت كه ما باشيم خاك يعني بعد ازمرك كه ما خاك باشيم] والجملة الاستفهامية منصوبة المحل على أنها محكية بالقول، وإذا ظرف محض ليس فيها معنى الشرط والعامل محذوف دل عليه قوله ﴿أئنا﴾ [أياما] ﴿لفي خلق جديد﴾ [باشيم در آفرينش نو] والتقدير إذا كنا تراباً أنبعث ونخلق لا كنا لأنه مضاف إليه فلا يعمل ولا خلق جديد لأن ما بعد أداة الاستفهام وكذا أن لا يعمل فيما قبله.

وقال بعضهم: وإن تعجب من إنكار المشركين البعث وعبادتهم الأصنام بعد اعترافهم بالقدرة على ابتداء الخلق فحقيق بأن تتعجب منه أي فقد وضعت التعجب في موضعه لكونه جديراً لأن يتعجب منه فإن من قدر على إبداء هذه المخلوقات قدر على إعادتها.

آنكه پيدا ساختن كارش بود زندكى دادن چه دشوارتش بود

والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند إدراك ما لا يعرف سببه فهو مستحيل في حق الله تعالى فكان المراد إن تعجب فعجب عندك.

قال في «التأويلات النجمية» ﴿وإن تعجب﴾ أي تعلم إنك يا محمد لا تعجب شيئاً لأنك ترى الأشياء منا ومن قدرتنا وإنك تعلم أني على كل شيء قدير ولكن إن تعجب على عادة أهل الطبيعة إذا رأوا شيئاً غير معتاد لهم أو شيئاً ينافي نظر عقولهم ﴿فعجب قولهم﴾ أي فتعجب من قولهم ﴿ءإذا كنا تراباً﴾ أي صرنا تراباً بعد الموت ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ أي: بعود تراب أجسادنا أجساداً كما كان وتعود إليها أرواحنا فنحيي مرة أخرى. معنى الآية أنهم يتعجبون من قدرة الله لأن الله هو الذي خلقهم من لا شيء في البداية، إذ لم تكن الأرواح والأجساد ولا التراب فالآن أهون عليه أن يخلقهم من شيء وهو التراب والأرواح ولكن العجب تعجبهم بعد أن رأوا أن الله خلقهم من لا شيء من أن يخلقهم مرة أخرى من شيء. ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه منكرينند] ﴿الذين كفروا بربهم﴾ لأنهم كفروا بقدرته على البعث.

وفي «التأويلات» ﴿كفروا بربهم﴾ أنه خلقهم من لا شيء إذ أنكروا أنه لا يخلقهم من شيء ﴿وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ [وآن كر وهندكه غلها دركردنهاى ايشانست] أي مقيدون بالكفر والضلال لا يرجى خلاصهم، يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الرديء، ومعناه إنه لازم لك لا يرجى خلاصك منه، والغل طوق يقيد به اليد إلى العنق.

وفي «التأويلات» هي أغلال الشقاوة التي جعلها القدير الأزلي في أعناقهم كما قال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] ويجوز أن يكون على حقيقته أي يغلون يوم القيامة [يعني روز قيامت غل آتشين بركردن ايشان نهند وعلامت كفار در دوزخ اين باشد] وفي الحديث «ينشىء الله سحابة سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أيُّ شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون يا ربنا الشراب فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمراً يلتهب عليهم» ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ توسيط ضمير الفصيل وتقديم فيها يفيد الحصر أي هم الموصوفون بالخلود في النار لا غيرهم وأن خلودهم إنما هو في النار لا في غيرها فثبت أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

وفي «التأويلات» هم الذين قال الله تعالى فيهم في الأزل «وهؤلاء في النار ولا أبالي» فآل أمرهم إلى أن يكونوا أصحاب النار إلى الأبد، فالشرك والإنكار من أعظم المعاصي والأوزار

وعن النبي عليه السلام مخبراً عن الله تعالى أنه قال: «عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً لأستقبلتك بملئها مغفرة واغفر لك ولا أبالي» أي إن لم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك من نفي جميع الإشراك، لأن النكرة إذا وقعت في سياق النفي تفيد العموم، وهذا لا يحصل إلا بعد إصلاح النفس فالمرء أسير في يد نفسه، والهوى كالغل في عنقه، وهذا الغل الملازم له في دنياه معنوي وسيصير إلى الحس يوم القيامة، إذ الباطن يصير هناك ظاهراً ـ كما حكي ـ عن بعض العصاة أنه مات فلما حفروا قبره وجدوا فيه حية عظيمة، فحفروا له قبراً آخر فوجدوها فيه، ثم كذلك قبراً بعد قبر إلى أن حفروا نحواً من ثلاثين قبراً وفي كل قبر يجدونها فلما رأوا أنه لا يهرب من الله هارب ولا يغلب الله غالب دفنوه معها، وهذه الحية هي عمله، قال السعدي قدس سره:

برادر زكار بدان شرم دار ... كه درورى نيكان شوى شرمسار
ترا خود بماند سراز ننك پيش ... كه كرت بر آيد عملهاى خويش

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿ويستعجلونك﴾ الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، أي يطلب مشركو مكة منك العجلة ﴿بالسيئة﴾ بإتيان العقوبة المهلكة وسميت العقوبة سيئة لأنها تسؤوهم ﴿قبل الحسنة﴾ متعلق بالاستعجال ظرف له، أو بمحذوف على أنه حال مقدرة من السيئة أي قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال، ومعنى قبل العافية قبل انقضاء الزمان المقدر لعافيهم وذلك أنه عليه السلام كان يهدد مشركي مكة تارة بعذاب القيامة، وتارة بعذاب الدنيا، وكلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه، وقالوا متى تجيئنا به؟ فيطلبون العقوبة والعذاب والشر بدل العافية والرحمة والخير، استهزاء منهم وإظهاراً أن الذي يقوله لا أصل له ولذا قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] والله تعالى صرف عن هذه الأمة عقوبة الاستئصال، وأخر تعذيب المكذبين إلى يوم القيامة فذلك التأخير هو الحسنة في حقهم فهؤلاء طلبوا منه عليه السلام نزول ملك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة في حقهم.

واعلم: أن استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة استعجالهم بالكفر والمعاصي قبل الإيمان والطاعات فإن منشأ كل سعادة ورحمة هو الإيمان الكامل والعمل الصالح، ومنشأ كل شقاوة وعذاب هو الكفر والشرك والعمل الفاسد. ﴿وقد خلت﴾ حال من المستعجلين: أي مضت ﴿من قبلهم المثلات﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين كالخسف والمسخ والرجفة، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا.

نرود مرغ سوى دانه فراز ... چون دكر مرغ بيند اندر بند
پند كير از مصائب دكران ... تا نكيرند ديكران زتو پند

جمع مثلة بفتح الثاء وضمها وهي العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه وهو الجريمة.

وفي «التبيان» أي العقوبات المهلكات يماثل بعضها بعضاً ﴿وإن ربك لذو مغفرة﴾ ستر وتجاوز ﴿للناس على ظلمهم﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب وإلا لما ترك على ظهر الأرض من دابة

پس پرده بيند عملهاي بد هم او پرده پوشد بآلاى خود
وكر برجفا پيشه بشتافتى هميشه زقهرش امان يافتى

وهو حال من الناس، أي: حال اشتغالهم بالظلم كما يقال رأيت فلاناً على أكله والمراد حال اشتغاله بالأكل.

فدلت الآية على جواز العقوبة بدون التوبة في حق أهل الكبيرة من الموحدين.

قال في «التأويلات النجمية»: هم الذين قال تعالى فيهم «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن شاء من العصاة.

وفي التأويلات لمن قال فيهم «هؤلاء في النار ولا أبالي» - روي - إنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ «لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد» وبالفارسية. [اكر عفو خداي نبود عيش هيچ احدى كوارنده نشدى واكر وعيد حق نبودي همه كس تكيه برعفو كرده از عمل بازماندى

زحق مي ترس تا غافل نكردى مشو نوميد تابد دل نكردي

محققان بر آنندكه تمهيد قواعد خوف ورجا درين آيت است ميفر ما يدكه آمر زنده است تا ازرحمت او نوميد نشوند عقوبت كننده است تا ازهيبت او ايمن نباشد] ونظير الآية قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

لقي يحيى عيسى عليهما السلام: فتبسم عيسى على وجه يحيى، فقال: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال الآخر ما لي أراك عابساً، كأنك آيس، فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي.

يقال: الخوف ما دام الرجل صحيحاً أفضل، وإذا مرض فالرجاء أفضل، يعني إذا كان الرجل صحيحاً كان الخوف أفضل حتى يجتهد في الطاعات ويجتنب المعاصي، فإذا مرض وعجز عن العمل كان الرجاء له أفضل.

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: يا رب كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال بشر المذنبين أنى لا يتعاظمني ذنب إلا أغفره وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم وإني لا أضع عدلي وحسابي على أحد إلا هلك.

كر بمحشر خطاب قهر كند انبيارا چه جاي معذرتست
پرده ازروى لطف كو بردار كاشقيارا اميد مغفرتست

واعلم أن الله تعالى ركب في الإنسان الجمال والجلال، فرجاؤه ناظر إلى الجمال وخوفه ناظر إلى الجلال وإلى كليها الإشارة بالجسم والروح لكن رحمته وهو الروح وحاله سبقت على غضبه وهو الجسد وما تبعه، والحكم للسابق لا للاحق فعليك بالرجاء مع العمل إلى حلول الأجل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل﴾ حرف تحضيض. والمعنى بالفارسية [چر افرو فرستاده

نمى شود] ﴿عليه﴾ محمد ﴿آية من ربه﴾ التنوين للتعظيم، أي آية جلية يستعظمها من يدركها في بادىء نظره، وعلامة ظاهرة يستدل بها على صحة نبوته، وذلك لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ وتهاونهم فاقترحوا عليه آيات تعنتاً لا استرشاداً، وإلا لأجيبوا إلى مقترحهم وذلك مثل ما أوتي موسى وعيسى وصالح من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى وخروج الناقة من الصخرة فقيل لرسول الله: ﴿إنما أنت منذر﴾ مرسل للإنذار والتخويف لهم من سوء العاقبة كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، ولو أجيب إلى كل ما اقترحوا لأدى إلى إتيان ما لا نهاية له لأنه كلما أتى بمعجزة جاء واحد آخر فطلب منه معجزة أخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الأنبياء. ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي ولكل قوم نبي مخصوص بمعجزة من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب، ولما كان الغالب في زمان موسى هو السحر جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقهم، ولما كان الغالب في أيام عيسى الطب جعل معجزته ما يناسب الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه، ولما كان الغالب في زمان نبينا ﷺ الفصاحة والبلاغة جعل معجزته فصاحة القرآن وبلوغه في باب البلاغة إلى حد خارج عن قدرة الإنسان، فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع أنها أقرب إلى طريقهم وأليق بطباعهم فإن لا يؤمنوا عند إظهار سائر المعجزات أولى.

والمراد بالهادي هو الله، أي إنما أنت منذر وليس لك هدايتهم ولكل قوم من الفريقين هاد يهديهم، هادٍ لأهل العناية بالإيمان والطاعة إلى الجنة، وهادٍ لأهل الخذلان بالكفر والعصيان إلى النار كما في «التأويلات النجمية».

قال الغزالي في «شرح الأسماء الحسنى»: الهادي هو الذي هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا على الأشياء به وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله والفرخ إلى التقاط الحب عند خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه، والهداة من العباد الأنبياء عليهم السلام ثم العلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية وهدوهم إلى صراط الله المستقيم، بل الله الهادي لهم على ألسنتهم وهم مسخرون تحت قدرته وتدبيره.

وفي «تفسير الكواشي» أو المنذر محمد، والهادي علي رضي الله عنه احتجاجاً بقوله عليه السلام: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» والغرض من الإرشاد إقامة جاه محمد عليه السلام بتكثير اتباعه الكاملين، وفي الحديث «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم» وهذا التناكح والتناسل يشمل ما كان صوريا وما كان معنوياً فإن السلسلة ممدودة من الطرفين إلى آخر الزمان، وسيخرج في أمته مهدي يحكم بشريعته وينفي تحريف المائلين وزيغ الزائغين في خلافته عن ملته.

وأخرج الطبراني أنه عليه السلام قال لفاطمة رضي الله عنها «نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطاً هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي».

وروى أبو داود في سننه: أنه من ولد الحسن، وكان سر ترك الحسن الخلافة لله تعالى

شفقة على الأمة فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلاً وظهوره يكون بعد أن يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه، فإن ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والأرض عمره عشرون سنة وقيل أربعون ووجهه كوكب دريّ على خده الأيمن خال أسود ومولده بالمدينة المنورة، ويظهر قبل الدجال بسبع سنين ويخرج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها بعشر سنين، وقبل ظهور المهدي أشراط وفتن. قال الحافظ:

تو عمر خواه وصبوري كه چرخ شعبده باز   هزار بازى ازين طرفه تر برانكيزد

حفظنا الله وإياكم من الأكدار وجعلنا في خير الدار وحسن الجوار.

﴿الله﴾ وحده ﴿يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ أي حملها على أن ما مصدرية، والحمل بمعنى المحمول أو ما تحمله من الولدان ذكر أو أنثى تام أو ناقص حسن أو قبيح طويل أو قصير سعيد أو شقي ولي أو عدو جواد أو بخيل عالم أو جاهل عاقل، أو سفيه كريم، أو لئيم، حسن الخلق أو سيىء الخلق إلى غير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة فما موصولة والعائد محذوف، كما في قوله: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ أي: نقص جميع الأرحام وزيادتها، أو ما تغيضه وما تزداده فإن كلا من غاض وازداد يستعمل لازماً ومتعدياً. يقال غاض الماء يغيض غيضاً إذا قل ونضب، وغاضه الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤] ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وأخذت منه حقي وازددت منه كذا فإن كان لازماً فالغيوض والزيادة لنفس الأرحام في الظاهر، ولما فيها في الحقيقة وإن كان متعدياً فهما لله تعالى وعلى كلا التقديرين فالإسناد مجازي، والأرحام جمع رحم وهو مبيت للولد في البطن ووعاؤه.

واعلم أن رحم المرأة عضلة وعصب وعروق ورأس عصبها في الدماغ، وهي على هيئة الكيس ولها فم بإزاء قبلها، ولها قرنان شبه الجناحين تجذب بهما النطفة وفيها قوة الإمساك لئلا ينزل من المني شيء وقد أودع الله في ماء الرجل قوة الفعل، وفي ماء المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالأنفحة الممتزجة. باللبن واختلفوا فيما تغيضه الأرحام وما تزداده، فقيل هو جثة الولد فإنه قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً وقد يكون تام الأعضاء وقد يكون ناقصا، وقيل هو مدة ولادته فإن أقلها ستة أشهر عند الكل وقد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك ـ روي ـ أن الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين وأن مالكاً مكث في بطن أمه ثلاث سنين على ما في «المحاضرات» للجلال السيوطي وأخبر مالك إن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين وهرم بن حبان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك تسمى هرماً.

وعن الحسن: الغيوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر.

وعنه الغيض الجنين الذي يكون سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام.

وفي «إنسان العيون» وقع الاختلاف في مدة حمله ﷺ فقيل: بقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً، وقيل: عشرة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر فيكون ذلك آية كما أن عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به، مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد في الشهر الثامن لا يعيش، بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو أقل مدة حمل.

وقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك: أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس، فإن خرج عاش وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضنية له فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك نقل حركته في البطن في ذلك الشهر فإذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه.

وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش، وعلى فرض أن يعيش يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه، وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت انتهى.

وقيل: هو عدة الولد فإن الرحم قد يشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وثلاثة وأربعة ـ روي ـ أن شريكاً التابعي وهو أحد فقهاء المدينة كان رابع أربعة في بطن أمه.

وقال الشافعي: أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطوناً في كل بطن خمسة، وقيل هو دم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: غيض الأرحام الحيض على الحمل فإذا حاضت المرأة الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهراقت الدم ينتقص الغذاء فينتقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. ﴿وكل شي عنده﴾ تعالى ﴿بمقدار﴾ [باندازه است كه ازان زياده وكم نشود].

وفي «بحر العلوم» مقدر مكتوب في اللوح معلوم قبل كونه قد علم حاله وزمانه ومتعلقه.

وفي «التبيان» أي بحد لا يجاوزه من رزق وأجل.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾.

﴿عالم الغيب﴾ خبر مبتدأ محذوف واللام للاستغراق أي هو تعالى عالم كل ما يطلق عليه اسم الغيب وهو ما غاب عن الحس فيدخل فيه المعلومات والأسرار الخفية والآخرة.

قال بعضهم: ما ورد في القرآن من إسناد علم الغيب إلى الله تعالى إنما هو بالنسبة إلينا إذ لا غيب بالنسبة إلى الله تعالى.

وقال بعض سادات الصوفية قدس الله أسرارهم: لما سقطت جميع النسب والإضافات في مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية فانتفى العلم بالغيب، يعني: بهذا الاعتبار وأما باعتبار التعينات، وإثبات الوجودات في مرتبة الصفات وهي مرتبة الذات الواحدية فالعلم على حاله فافهم.

برو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

﴿والشهادة﴾ أي: كل ما يطلق عليه اسم الشهادة وهو ما حضر للحس فيدخل فيه الموجودات المدركة والعلانية والدنيا. ﴿الكبير﴾ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء ﴿المتعال﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته.

وفي «الكواشي»: عن صفات المخلوقين وقول المشركين.

وفي «التأويلات» ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ ذرة من ذرات المكونات من الآيات الدالة على وحدانيته لأنه أودعه فيها وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. قال الشاعر:

ففي كل شيء له آية تدل على إنه الواحد

وقال:

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

وأيضاً يعلم ما أودع فيها من الخواص والطبائع ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أرحام الموجودات وأرحام المعدومات، أي وما تغيض من المقدرات أرحام الموجودات بحيث تبقى في الأرحام ولا تخرج منها ﴿وما تزداد﴾ أي وما تخرج منها ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: وكل شيء مما يخرج من أرحام الموجودات والمعدومات وما يبقى فيها عند علمه وحكمته بمقدار معين موافق لحكمة خروج ما خرج وبقاء ما بقي لأنه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم بما غاب عن الوجود والخروج بحكمته وبما شاهد في الوجود والخروج ﴿الكبير المتعال﴾ في ذاته وإحاطة علمه بالموجودات والمعدومات وبما في أرحامهما المتعال في صفته بأنه متفرد بها.

وفي «شرح الأسماء الحسنى» الكبير هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، وأعني بكمال الذت كمال الوجود، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين أحدهما دوامه أزلاً وأبداً وكل موجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص، ولذلك يقال للإنسان إذا طالت مدة وجوده إنه كبير أي كبير السن طويل مدة البقاء، ولا يقال عظيم السن فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم وإن كان ما طالت مدة وجوده مع كونه محدود مدة البقاء كبيراً، فالدائم الأزلي الأبدي الذي يستحيل عليه العدم أولى بأن يكون كبيراً، والثاني أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود فإن كان الذي تم وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً، فالذي فاض منه الوجود لجميع الموجودات أولى بأن يكون كاملاً كبيراً، والكبير من العباد هو الكامل الذي لا يقتصر عليه صفات كمال، بل ينتهي إلى غيره ولا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه من كماله شيء، وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه، فالكبير هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء، والمتعال بمعنى العلي إلا أن فيه نوع مبالغة وهو الذي لا رتبة فوق رتبته، والعبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً، إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة، نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأن علوه بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر علوه بالإضافة إلى الموجودات لا بطريق الوجوب، بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجد الذي يقارنه إمكان نقيضه.

﴿سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به﴾ من مبتدأ خبره سواء؛ ومنكم حال من ضمير سواء لأنه بمعنى مستو، ولم يثن الخبر مع إنه خبر عن شيئين، لأنه في الأصل مصدر وإن كان هنا بمعنى مستو، والاستواء يقتضي شيئين وهما الشخصان المرادان بمن. والمعنى مستو في علم الله تعالى من أضمر القول في نفسه ومن أظهره بلسانه منكم أيها الناس. ﴿ومن هو

مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ الاستخفاء [پنهان شدن] والسروب [برفتن بروز] كما في «تهذيب المصادر». والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق كما في «القاموس» وسارب معطوف على من فيتحقق شيآن ومن موصوفة كأنه قيل سواء منكم إنسان هو مستتر ومتوار في الظلمات وآخر ظاهر في الطرقات كما قال في «بحر العلوم». وسارب أي ذاهب في سربه بارز بالنهار يراه كل واحد.

وقال الكاشفي: [وهركه طلب خفاء ميكند ومى پوسد عمل خودرا بشب وهركه ظاهرست وآشكارا ميكند عمل خودرا بروز يعني مطلقاً هيچ چيز از قول وفعل سر وعلانيه برو پوشيده نيست].

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿له﴾ أي الله تعالى، أو للإنسان الموصوف بما ذكر ﴿معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ جمع معقبة والتاء للمبالغة كما في علامة لا للتأنيث، فإن الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالأنوثة وصيغة التفعيل للمبالغة والتكثير، كما في قولك طوف البيت لا للتعدية. والتعقيب [در عقب كسى بيامدن] كما في «التهذيب» يقال عقبه تعقيباً جاء بعقبه. والمعقبات ملائكة الليل والنهار كما في «القاموس». وقيل للملائكة الحفظة معقبات لكثرة تعاقب بعضهم بعضاً في النزول إلى الأرض بعضهم بالليل وبعضهم بالنهار إذا مضى فريق، خلفه فريق أي يعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، والمعنى له ملائكة يتعاقب بعضهم بعضاً كائنون من أمام الإنسان ووراء ظهره أي يحيطون به من جوانبه. ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ من بأسه ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب من ذنبه وينيب أو يحفظونه من المضار التي أمر الله بالحفظ منها.

قال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما يأتيه منهم شيء يريده إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه ـ وروي ـ عن عمرو بن أبي جندب قال: كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين فأقبل علي رضي الله عنه يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد أأمير المؤمنين؟ قال: نعم قال: أما تخاف أن يغتالك أحد قال إنه ليس من أحد إلا ومعه من الله حفظة من أن يتردى في بئر أو يخر من جبل أو يصيبه حجر أو تصيبه دابة فإذ جاء القدر خلوا بينه وبين القدر.

قال في «أسئلة الحكم» اختلف العلماء في عدد الملائكة التي وكلت على كل إنسان، فقيل: عشرون ملكاً، وقيل أكثر والأول أصح لأن عثمان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فذكر عشرين ملكاً وقال: «ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمير على الملك الذي عن يسارك» كما. قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] وملكان بين يديك ومن خلفك لقوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ و«ملك قائم على ناصيته إذا تواضع لله رفعه وإذا تجبر على الله قصمه وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة على النبي عليه السلام وملك على فيك لا يدع الحية تدخل فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً» على كل آدمي وإبليس بالنهار وأولاده بالليل.

قال بعض الأئمة: إن قلت الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين يأتون أم غيرهم؟ قلت: الظاهر أنهم هم وأن ملكي الإنسان لا يتغيران عليه ما دام حياً، فإذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فإلى أين نذهب قال تعالى: «سمائي مملوءة من ملائكتي وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وحمداني وهللاني وكبراني ومجداني وعظماني واكتبا ذلك كله لعبدي إلى يوم القيامة» وقيل المعقبات أعوان السلطان فهو توبيخ الغافل المتمادي في غروره والتهكم به على اتخاذه الحراس بناء على توهم أنهم يحفظونه من أمر الله وقضائه كما يشاهد من بعض الملوك والسلاطين.

والعاقل يعلم أن القضايا الإلهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ منه فانظروا رأيهم وما ذهبوا إليه.

از كمان قضا چوتير قدر بدر آمد نشد مفيد سپر

ويقال للمؤمن طاعات وصدقات يحفظونه من عذاب الله عند الموت وفي القبر وفي القيامة.

قال بعض السلف: إذ احتضر المؤمن يقال للملك: شم رأسه فيقول: أجد في رأسه القرآن فيقال: شم قلبه فيقول أجد في قلبه الصيام فيقال: شم قدميه فيقول أجد في قدميه القيام فيقال حفظ نفسه حفظه الله ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ حتى يتركوا الشكر وينقلبوا من الأحوال الجميلة إلى القبيحة.

كرت هواست كه معشوق نكسلد پيوند نكاه دار سر رشته تانكه دارد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من الوجود والعدم ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ باستدعاء الوجود والعدم بلسان الاستحقاق للوجود والعدم على مقتضي حكمته ووفق مشيئته انتهى.

وفي الآية: تنبيه لجميع الناس ليعرفوا نعمة الله عليهم ويشكروا له كيلا تزول، فدوران اللسان بالذكر والجنان بالفكر من الأمور الجميلة، فإذا تحول المرء من الذكر إلى النسيان فقد تحول إلى الحالة القبيحة، فإذا لا يجد من الفيض الإلهي ما يجده قبل وقد غير الله بشؤوم المعصية أشياء كثيرة غير إبليس وكان اسمه عزازيل فسماه إبليس.

قال إبراهيم بن أدهم مشيت في زرع إنسان فناداني صاحبه يا بقر فقلت غير اسمي بزلة فلو كثرت لغير الله معرفتي، وكذا غير اسمي هاروت وماروت وكان اسمهما قبل اقتراف الذنب عزلا وعزايا، وكذا غير لون حام بن نوح إذ نظر إلى عورة أبيه وكان نائماً فأخبر نوح بذلك فدعا عليه فسوده الله فالهند والحبشة من نسله، وقيل إن نوحاً قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق إنكم في حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدى ولده حام ووطىء زوجته فدعا الله عليه بأن يسود لون بنيه فأجاب الله دعاءه، وغير الصورة على داود بزلة واحدة وغير الصورة على قوم موسى لأخذهم الحيتان فصيرهم قردة، وعلى قوم عيسى فصيرهم خنازير وغير المال والبساطين على آل القطروس حيث منعوا الناس عنها فأحرقتها نار، وكذلك هلاك أموال القبط بدعاء موسى ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] الآية فصار ماؤهم دماً وأموالهم حجراً وغير العلم على أمية بن أبي الصلت، كان نائماً فأتاه طائر وأدخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسي جميع علومه، وكان من بلغاء قريش

وكان يرجو أن يكون هو نبي آخر الزمان أو وعد الإيمان به، فلما بعث نبينا ﷺ أنكره وغير المكان على آدم بزلة واحدة وخسف بقارون الأرض حيث منع الزكاة. قال الحافظ:

كنج قارون كه فروميرود از قهر هنوز خوانده باشى كه هم ازغيرت درويشانست

وغير اللسان على رجل بسبب العقوق، نادته والدته فلم يجبها فصار أخرس، وغير الإيمان على برصيصا بعد ما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين لأنه لم يشكر يوماً على نعمة الإسلام.

شكر نعمت نعمتت افزون كند كفر نعمت از كفت بيرون كند

﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ عذاباً وهلاكاً ﴿فلا مرد له﴾ فلا ردّ له، والعامل في إذا ما دل عليه، قوله ﴿فلا مرد له﴾ وهو لا يرد، وإذا عند نحاة البصرة حقيقة في الظرف وقد تجيء للشرط من غير سقوط معنى الظرف، نحو إذا قمت، قمت، أي: أقوم وقت قيامك تعليقاً لقيامك بقيامة بمنزلة تعليق الجزاء بالشرط ودخوله، إما في أمر كائن متحقق في الحال نحو:

إذا أرى الدنيا وأبناءها استعصم الرحمن من شرها

أوامر منتظر لا محالة مثل ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ [الواقعة: ١] و ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] فهي ترد الماضي إلى المستقبل لأنها حقيقة في الاستقبال وعند الكوفيين يجيء للظرف والشرط نحو:

وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

ونحو:

وإذا تصبك خصاصة فتحمل

﴿وما لهم﴾ أي: لمن أراد تعالى إهلاكه ﴿من دونه﴾ سوى الله تعالى ﴿من وال﴾ ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء. والوالي من أسماء الله تعالى وهو من ولي الأمور وملك الجمهور والولاية تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى.

وفيه دليل على أن خلاف مراد الله محال فإنه المتفرد بتدبير الأشياء المنفذ للتدبير ولا معقب لحكمه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢﴾

﴿هو﴾ تعالى وحده. ﴿الذي يريكم البرق﴾ هو الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً إذا لمع. ﴿خوفاً﴾ أي: إرادة خوف أو إخافة من الصاعقة وخراب البيوت ﴿وطمعاً﴾ أي إرادة طمع أو إطماعاً في الغيب ورجاء بركته وزوال المشقة، والمطر يكون لبعض الأشياء ضرراً ولبعضها رحمة فيخاف مه المسافر ومن في خزينته التمر والزبيب ومن له بيت لا يكف ويطمع فيه المقيم وأهل الزرع والبساتين، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر فإن انتفاعهم إنما هو بالنيل وبالمطر يحصل الوطر.

وفيه إشارة إلى أن في باطن جمال الله تعالى جلالاً وفي باطن جلاله جمالاً وأسند الإراءة إلى ذاته لأنه الخالق في الأبصار نوراً يحصل به الرؤية للخلائق، وهذه الإراءة إما متعلقة بعالم الملك وهي ظاهرة وإما متعلقة بعالم الملكوت، فمعناها أن الله تعالى إذا أرى السائر برقاً من لمعان أنوار الجلال يغلب عليه خوف الانقطاع واليأس، وإذا أراه برقاً من تلألؤ أنوار الجمال

يغلب عليه الرجاء والاستثناء ﴿وينشىء السحاب﴾ أي: يبتدىء إنشاء السحاب، أي: خلقه وفيه دلالة على أن السحاب يعدمه الله تعالى ثم يخلقه جديداً والسحاب اسم جنس والواحدة سحابة، ولذا وصف بقوله: ﴿الثقال﴾ بالماء جمع.

واختلف في أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، أو يخلقه الله في السحاب فيمطر.

وفي «حواشي ابن الشيخ»: السحاب جسم مركب من أجزاء رطبة مائية ومن أجزاء هوائية وهذه الأجزاء المائية المشوبة بالأجزاء الهوائية إنما حدثت وتكونت في جو الهواء بقدرة المحدث القادر على ما شاء، والقول بأن تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت إلى الأرض باطل؛ لأن الأمطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة، وتارة تكون صغيرة، وتارة متقاربة، وتارة متباعدة، وتارة تدوم زماناً طويلاً، وتارة لا تدوم فاختلاف الأمطار في هذه الصفات مع أن طبيعة الأرض واحدة، وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد أن يكون بتخصيص الفاعل المختار.

وأيضاً فالتجربة دلت على أن للدعاء والتضرع في نزول الغيث أثراً عظيماً ولذلك كان صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا أن المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصية.

يقول الفقير: إن المردود هو إسناد الحوادث إلى الكون من غير ملاحظة تأثير الله تعالى فيها وأما إذا أسندت إلى الأسباب مع ملاحظة المسبب فهو مقبول، لأن هذا العالم عالم الأسباب والحكمة، وما هو أدخل في القدرة الإلهية فهو أولى بالاعتبار.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ويسبح الرعد﴾ اختلف العلماء فيه والتحقيق أنه اسم ملك خلق من نور الهيبة الجلالية والرعد صوته الشديد أيضاً يسوق السحاب بصوته كما يسوق الحادي الإبل بحدائه، فإذا سبح أوقع الهيبة على الخلق كلهم حتى الملائكة.

يقول الفقير: لعل الرعد صوت ذلك الملك وإسناد التسبيح إلى صوته لكمال فيه ﴿بحمده﴾ في موقع الحال أي حامدين له وملتبسين بحمده [يعني تسبيح را باتحميد مقترن ميسازد] فيصيح سبحان الله والحمد لله، وفي الحديث: «البرق والرعد وعيد لأهل الأرض فإذا رأيتموه فكفوا عن الحديث وعليكم بالاستغفار» وإذا اشتد الرعد قال عليه السلام: «لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» ﴿والملائكة من خيفته﴾ من عطف العام على الخاص أي ويسبح الملائكة من خوف الله وخشيته وهيبته وجلاله وذلك لأنه إذا سبح الرعد وتسبيحه ما يسمع من صوته لم يبق ملك إلا رفع صوته بالتسبيح، فينزل القطر والملائكة خائفون من الله وليس خوفهم كخوف ابن آدم فإنه لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء أصلاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من سمع الرعد فقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فأصابته صاعقة فعليّ ديته» ﴿ويرسل الصواعق﴾ جمع صاعقة، هي نار لا دخان لها تسقط من السماء، وتتولد في السحاب، وهي أقوى نيران هذا العالم، فإنها إذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان تحت البحر

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي عليه السلام عن الرعد ما هو؟ فقال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله» قالوا فما الصوت الذي يسمع «قال زجره السحاب فإذا شدت سحابة ضمها، وإذا اشتد غضبه طارت من فيه نار هي الصاعقة» والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملك السحاب ﴿**فيصيب بها**﴾ الباء للتعدية. والمعنى بالفارسية [پس ميرساند آنرا] ﴿**من يشاء**﴾ أصابته فيهلكه والصاعقة تصيب المسلم وغيره ولا تصيب الذاكر.

يقول الفقير: لعل وجهه أن الصاعقة عذاب عاجل ولا يصيب إلا الغافل وأما الذاكر فهو مع الله ورحمته، وبين الغضب والرحمة تباعد، وقولهم تصيب المسلم بشير إلى أن المصاب بالصاعقة على حاله من الإيمان والإسلام ولا أثر لها فيه كما في اعتقاد بعض العوام ﴿**وهم**﴾ أي هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل. ﴿**يجادلون في الله**﴾ حيث يكذبون رسوله فيما يصفه به من العظمة والتوحيد والقدرة التامة، والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل. ﴿**وهو شديد المحال**﴾ أي شديد المكر والكيد لأعدائه يهلكهم من حيث لا يحتسبون من محل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه تمحل لكذا إذا تكلف في استعمال الحيلة واجتهد فيه.

قال في «أسباب النزول» إن رسول الله عليه السلام بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب قال: «فاذهب فادعه لي» فقال يا رسول الله إنه أعتى من ذلك قال: «فاذهب فادعه لي» قال فذهبت إليه فقلت يدعوك رسول الله، فقال: وما الله أمن ذهب هو أمن فضة أو من نحاس؟ قال الراوي وهو أنس فرجع إلى رسول فأخبره وقال قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا قال: «فارجع إليه الثانية فادعه» فرجع إليه فأعاد عليه مثل الكلام الأول ورجع إلى النبي عليه السلام فأخبره فقال: «ارجع إليه» فرجع إليه الثالثة فأعاد عليه مثل ذلك الكلام فبينما هو يكلمه؛ إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت فوقع منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله تعالى: ﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال**﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وهو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال: «دعه فإن يرد الله به خيراً يهده» فأقبل حتى قام عليه قال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم» قال تجعل لي الأمر بعدك قال: «لا ليس ذلك إليّ إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث شاء» قال أسلم على أن لك المدر ولي الوبر، يعني: لك ولاية القرى ولي ولاية البوادي قال: «لا» قال فماذا تجعل لي قال: «أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها» قال أو ليس ذلك إليّ اليوم وكان أوصى إلى أربد إذا رأيتني أكلمه قدر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أربد خلفه عليه السلام ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي إليه فالتفت رسول الله فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاحي فأحرقته، وولى عامر هارباً فقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأن عليك الأرض

رجالاً ألفاً أشعر وألفاً أمرد فقال عليه السلام: «يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة» يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم إليه سلاحه وخرج، وهو يقول: واللات لئن اصحر محمد إليّ وصاحبه، يعني: ملك الموت لأنفذنهما برمحي.

صعوه كاو باعقاب سازد جنك   دهد ازخون خود پرش رارنك

فلما رأى الله ذلك منه أرسل ملكاً فلطمه بجناحه فأذراه بالتراب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات على ظهر فرسه فأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ حتى بلغ ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ قالوا في قوله ﴿وهم يجادلون في الله﴾ على هذا للحال أي يصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، فإن أربد وكذا فرعون العرب في الرواية الأولى لما جادل في الله أحرقته الصاعقة، وقوله: غدة كغدة البعير أي أصابتني غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، وسلول قبيلة من العرب أقلهم وأرذلهم قال قائل في حقهم.

إلى الله أشكو أنني بت طاهراً   فجاء سلولي فبال على نعلي
فقلت اقطعوها بارك الله فيكمو   فإني كريم غير مدخلها رجلي

كأن عامراً يقول ابتليت بأمرين كل واحد منهما شر من الآخر، أحدهما: أن غدتي غدة مثل غدة البعير وأن موتي موت في بيت أرذل الخلائق، والغدة الطاعون للإبل وقلما يسلم منه يقال أغد البعير، أي صار ذا غدة وهي طاعونة.

وفي الآية: إشارة إلى أن أهل الجدال في ذات الله وفي صفاته مثل الفلاسفة والحكماء اليونانية الذين لم يتابعوا الأنبياء وما آمنوا بهم وتابعوا العقل دون أدلة السمع. وبعض المتكلمين من أهل الأهواء والبدع هم الذين أصابهم صواعق القهر، واحترقت استعداداتهم في قبول الإيمان فظلوا يجادلون في الله هل هو فاعل مختار أو موجب بالذات لا بالاختيار، ويجادلون في صفات الله هل لذاته صفات قائمة به، أو هو قادر بالذات ولا صفات له ومثل هذه الشبهات المكفرة المضلة عن سبيل الرشاد والله تعالى شديد العقوبة والأخذ لمن جادل فيه بالباطل، كذا في «التأويلات النجمية».

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿له﴾ [مرخدايراست] وتقديم الخبر لإفادة التخصيص. ﴿دعوة الحق﴾ أي: الدعاء الحق على أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة والدعوة بمعنى العبادة والحق بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل. والمعنى أن الدعوة التي هي التضرع والعبادة قسمان ما يكون حقاً وصواباً وما يكون باطلاً وخطأ، فالتي تكون حقاً منها مختصة به تعالى لا يشاركه فيها غيره أو له الدعوة المجابة على أن يكون الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل، فإنه الذي يجيب لمن دعاه دون غيره.

قال في «المدارك» المعنى أن الله يدعى فيستجيب الدعوة. ويعطي السائل الداعي سؤاله فكانت دعوة ملابسة لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء بخلاف ما لا ينفع دعاؤه.

فرو ماند كانرا برحمت قريب   تضرع كنانرا بدعوت مجيب

﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي والأصنام الذين يدعونهم الكفار متجاوزين الله في الدعاء إلى الأصنام فحذف الراجع، أو والكفار الذين يدعون الأصنام من دونه تعالى فحذف المفعول ﴿لا يستجيبون﴾ أي: لا يجيب الأصنام وضمير العقلاء لمعاملتهم إياها معاملة العقلاء. ﴿لهم﴾ أي: الكفار﴿بشيء﴾ من مراداتهم﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾ استثناء مفرغ من أعم عام المصدر أي إلا استجابة مثل استجابة مادِ يديه، أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه.

قال الكاشفي: [مكر همچون اجابت كسى كه بكشاده هرد وكف خودار بسوى آب يعني تشنهء كه بر سر چاهى رسد ويااو دلو رسنى نبود هردودست خود بسوى چاه بكشايد وبفرياد وزارى آب رامي طلبد]. ﴿ليبلغ فاه﴾ [تا بدهن او برسد]. أي: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ليصل إلى فمه فاللام متعلق بباسط ففاعل يبلغ هو الماء﴿وما هو﴾ أي: الماء﴿ببالغه﴾ ببالغ فيه لأنه جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر على نفعهم، والتشبيه من المركب التمثيلي شبه حال الأصنام مع من دعاءهم من المشركين وهو عدم استجابتهم دعاء المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الأصنام شيئاً من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى من العطشان الذي يبسط إليه كفيه يطلب منه، أي يبلغ فاه وينفعه من احتراق كبده ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب، منه إجابة الدعاء وخيبة الطالب عن نيل ما هو أحوج إليه من المطلوب وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة أمور. ﴿وما دعاء الكافرين﴾ يعني لأصنامهم ﴿إلا في ضلال﴾ في ضياع وخسار وباطل، لأن الآلهة لا تقدر على إجابتهم وأما دعاؤهم له تعالى فالمذهب جواز استجابته كما في كتب الكلام والفتاوى، وقد أجاب الله دعاء إبليس وغيره ألا ترى أن فرعون كان يدعو الله في مكان خال عند نقصان النيل فيستجيب الله دعاءه ويمده فإذا كان الله لا يضيع دعاء الكافرين فما ظنك بالمؤمن، والماء وإن كان من طبعه التسفل ولكن الله تعالى إذا أراد يحركه من المركز إلى جانب المحيط على خلاف طبعه بطريق خرق العادة كما وقع لبعض أولياء الله تعالى فإنهم لوصولهم إلى المسبب قد لا يحتاجون إلى الأسباب ـ حكي ـ عن الشيخ أبي عبد الله بن حفيف ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلتُ بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية، يعني: حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله تعالى، قال: ولم آكل أربعين يوماً، ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً في البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشان فلما دنوت من البئر ولى الظبي، وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت يا سيدي ما لي عندك محل هذا الظبي، فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي فكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد عليّ، قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك.

والإشارة في الآية: أن الله تعالى دعاة يدعون الخلق بالحق إلى الحق والذين يدعون لغير الحق لا يقبلون النصح إذا خرج من القلب الساهي ولا يتأثر، فهم كمن بسط يده إلى الماء إراءة للخلق بأن يريد شربه وما هو ببالغه أي فمه فلا حصل الشرب على الحقيقة وإن توهم الخلق أنه شارب وهذا مثل ضربه الله للدعاة من أهل الأهواء والبدع يدعون الخلق إلى الله لغير الله فلا يستجابون على الحقيقة وإن استجيبوا في الظاهر لأنهم استجابوا لهم على الضلال يدل

عليه قوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ الخلق عن الحق كما في «التأويلات النجمية».

ترسم نرسى بكعبه أي أعرابي كاين ره كه توميروي بتركستانست

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ولله يسجد﴾ حقيقة وهو بوضع الجبهة على الأرض. ﴿من في السموات﴾ يعني الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء وأهل الدرجات من المؤمنين. ﴿والأرض﴾ من الملائكة والمؤمنين من الثقلين ﴿طوعاً﴾ حال أي طائعين حالتي الشدة والرخاء ﴿وكرهاً﴾ أي: كارهين حالة الشدة والضرورة وذلك من الكافرين والمنافقين والشياطين، ويقال من ولد في الإسلام طوعاً ومن سبى من دار الحرب كرهاً، وفي الحديث: «عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل» وفيه إشارة إلى أن من أهل المحبة والوفاء من يطلب لدخول الجنة فيأبى ذلك طلباً للقيام بالخدمة فتوضع في أعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة. قال الكمال الخجندي:

نيست ما راغم طوبى وتمناي بهشت شيوۀ مردم نا اهل بودهمت پست

﴿وظلالهم﴾ على حذف الفعل، أي: ويسجد ظلال أهل السموات والأرض بالعرض أي تبعاً لذي الظل ويجوز أن يراد بالسجود معناه المجازي وهو انقيادهم لإحداث ما أراده الله فيهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص ونقلها من جانب إلى جانب فالكل مذلل ومسخر تحت الأحكام والتقدير ﴿بالغدو والآصال﴾ الغدو جمع غداة وهي البكرة والآصال جمع أصيل وهو العشي من حين زوال الشمس إلى غيبوبتها كما في «بحر العلوم».

وقال في «الكواشي» وغيره: الأصيل ما بين العصر وغروب الشمس والباء بمعنى في ظرف ليسجد أي يسجد في هذين الوقتين والمراد بهما الدوام؛ لأن السجود سواء أريد به حقيقته أو الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين، وتخصيصهما مع أن انقياد الظلال وميلانها من جانب إلى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها لا يختص بوقت دون وقت بل هي مستسلمة منقادة لله تعالى في عموم الأوقات لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما.

قال في «التأويلات النجمية» وظلالهم أي نفوسهم فإن النفوس ظلال الأرواح وليس السجود بالطوع من شأن النفوس، لأن النفس أمارة بالسوء طبعاً إلا ما رحم الرب تعالى لتسجد طوعاً والإكراه على السجود بتبعية الأرواح وأيضاً ولله يسجد من في السموات أي سموات القلوب من صفت القلوب والأرواح والعقول طوعاً والأرض أي ومن في أرض النفوس من صفات النفس والحيوانية والسبعية والشيطانية كرهاً لأنه ليس من طبعهم السجود والانقياد اهـ.

قال بعض الكبار: من أسرار هذا العالم أنه ما من حادث إلا وله ظل يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الحادث مطيعاً أو عاصياً فإن كان من أهل الموافقة فهو ساجد مع ظلاله وإن كان من أهل المخالفة فالظل نائب منابه في الطاعة [وحقيقت آنست كه طوع ورغبت صفت آنهاست كه لطف ازل نهال ايمان درز مين دل ايشان نشانده ونفرت وكراهيت خاصيت آنانكه قهر لم يزل تخم خذلان در مزرعۀ نفس نافرمان ايشان فشانده]

برآن زخمى زندكين بي نيازيست برين مرهم نهدكين دلنوازيست

قال الكاشفي: [اين سجده دوم است از سجدات قرآني وحضرت شيخ رضي الله عنه در سفر سابع ازفتوحات كه ذكر سجده قرآني ميكند اين را سجود الظلال وسجود العام كفه وفرموده كه لازم است بنده تصديق كند خدايرا درين خبر وسجده آرد] وقد سبق في آخر الأعراف ما يتعلق بسجدة التلاوة فارجع.

وأما سجدة الشكر وهي أن يكبر ويخر ساجداً مستقبل القبلة، فيحمده تعالى ويشكره ويسبح ثم يكبر فيرفع رأسه فقد قال الشافعي يستحب سجود الشكر عند تجدد النعم كحدوث ولد أو نصر على الأعداء ونحوه، وعند دفع نقمة كنجاة من عدو أو غرق ونحو ذلك، وعن أبي حنيفة ومالك أن سجود الشكر مكروه، ولو خضع فتقرب لله تعالى بسجدة واحدة من غير سبب فالأرجح إنه حرام قال النووي: ومن هذا ما يفعله كثير من الجهلة الضالين من السجود بين يدي المشايخ فإن ذلك حرام قطعاً بكل حال، سواء كان إلى القبلة أو لغيرها وسواء قصد السجود لله أو غفل وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر كذا في «الفتح القريب».

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد للمشركين **﴿من﴾** [كيست] **﴿رب السموات والأرض﴾** خالقهما ومالكهما ومتولي أمرهما **﴿قل﴾** في الجواب **﴿الله﴾** إذ لا جواب لهم سواه لأنه البين الذي لا مراء فيه فكأنه حكاية لاعترافهم به. **﴿قل﴾** إلزاماً لهم **﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾** الهمزة للإنكار والفاء للاستبعاد أي أبعد إقراركم هذا وعلمكم بأنه تعالى صانع العالم ومالكه اتخذتم من دونه تعالى أصناماً وهو منكر بعيد من مقتضى العقل **﴿لا يملكون﴾** أي: تلك الأولياء **﴿لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾** لا يستطيعون لأنفسهم جلب نفع إليها ولا دفع ضرر عنها وإذا عجزوا عن جلب النفع إلى أنفسهم ودفع الضرر عنها كانوا عن نفع الغير ودفع الضر عنه أعجز، ومن هو كذلك فكيف يعبد ويتخذ ولياً وهذا تجهيل لهم وشهادة على غباوتهم وضلالتهم التي ليس بعدها.

والإشارة: قل من رب السموات القلوب وأرض النفوس ومن دبر فيهما درجات الجنان بالأخلاق الحميدة ودركات النيران بالأخلاق الذميمة وجعل مشاهدة القلوب مقامات القرب وشواهد الحق ومراتع النفوس شهوات الدنيا ومنازل البعد، قل الله أي أجب أنت عن هذا السؤال لأن الأجانب منه بمعزل قل للأجانب أفأتخذتم من دونه أولياء من الشياطين والدنيا والهوى لا يملكون لأنفسهم ولا لكم نفعاً ولا ضراً في الدنيا والآخرة؛ لأنهم مملوكون والمملوك لا يملك شيئاً. **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾** وارد على التشبيه، أي: فكما لا يستوي الأعمى والبصير في الحس كذلك لا يستوي المشرك الجاهل بعظمة الله وثوابه وعقابه وقدرته مع الموحد العالم بذلك.

قال في «التأويلات النجمية» الأعمى من يرى غير الله مالكاً ومتصرفاً في الوجود والبصير من لا يرى مالكاً ولا متصرفاً في الوجود غير الله وأيضاً الأعمى هو النفوس لأنها تتعلق بغير الله وتحب غيره، والبصير القلوب لأنها تتعلق بالله وتحبه فالأعمى من عمي بالحق وأبصر بالباطل

والبصير من أبصر بالحق وعمي بالباطل، وأيضاً الأعمى من أبصر بظلمات الهوى والبصير من أبصر بأنوار المولى. ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ هذا وارد على التشبيه أيضاً، أي فكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الشرك والإنكار والتوحيد والمعرفة، وعبر عن الشرك بصيغة الجمع لأنه أنواع؛ شرك النصارى وشرك اليهود وشرك عبدة الأوثان وشرك المجوس وغيرها بخلاف التوحيد.

وفي «التأويلات» هل يستوي المستكن في ظلمات الطبيعة والهوى ومن هو مستغرق في بحر نور جمال المولى فالأول كالأعمى إذ لا يقدر أن يرى الملكوت من ظلمات الملك والثاني كالبصير فكما أن المستغرق في البحر والغائص فيه لا يرى غير الماء فكذا لا يرى أهل البصيرة سوى الله. قال المولى الجامي:

عاشق اندر ظاهر وباطن نه بيند غير دوست   پيش اهل باطن اين معنى كه كفتم ظاهرست

﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ بل اجعلوا فأم منقطعة، والهمزة للإنكار بمعنى لم يكن. والمعنى بالفارسية [يا آيا كافران ساختند براي خداي انبازاني كه] ﴿خلقوا كخلقه﴾ صفة شركاء داخلة في حكم الإنكار يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين مثل خلق الله ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ حتى يتشابه ويلتبس عليهم خلق الله وخلقهم، فيقولوا هؤلاء قدروا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه أقل خلق الله وأذله وأصغره وأحقره فضلاً عن أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق. ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ من الأجسام والأعراض لا خالق غير الله فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها، ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله ﴿وهو الواحد القهار﴾ يحتمل أن يكون هذا القول داخلاً تحت الأمر بقل، ويحتمل أن يكون استئنافاً إخباراً منه تعالى بهذين الوصفين أي المتوحد بالألوهية الغالب على كل شيء فما سواه مقهور مغلوب له ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يتوهم أن يكونوا له أولياء وشركاء:

نرد خدمت چون بنا موضع بباخت   شير سنكين را شقى شيرى شناخت

قال المولى الجامي:

مده بعشوهٔ صورت عنان دل جامي   كه هست درپس اين پرده صورت آرايى

وفي «التأويلات النجمية» الواحد في ذاته وصفاته القهار لمن دونه أي هو الواحد في خلق الأشياء وقهرها لا شريك له فيه ولا في المطلوبية والمحبوبية، فالعارف لا يطلب غير الله ولا يرى في مرآة الأشياء إلا الله.

شهود يار در ايغار مشرب جاميست   كدام غيركه لا شيء في الوجود سواه

والآية: إشارة إلى أنه تعالى خالق الخير والشر ـ روى ـ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل أبو بكر وعمر في جمعة من الناس فلما دنوا سلموا على رسول الله فقال بعض القوم: يا رسول الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيئات منا وقال عمر الحسنات والسيئات كلها من الله تعالى فتابع بعض القوم أبا بكر وبعض القوم عمر فقال عليه السلام: «ما أقضي بينكما إلا كما قضى إسرافيل بين جبرائيل وميكائيل أما جبرائيل فقال مثل مقالتك يا عمر وأما ميكائيل فقال مثل مقالتك يا أبا بكر، فقال جبرائيل: إذا اختلف أهل السماء اختلف أهل الأرض فهلم نتحاكم إلى إسرافيل فقصا عليه القصة فقضى

بينهما أن القدر خيره وشره من الله تعالى» ثم قال النبي عليه السلام: «فهذا قضائي بينكما» قال: «يا أبا بكر لو شاء الله أن لا يعصي في الأرض لم يخلق إبليس». قال الحافظ:

دركار خانه عشق در كفرنا كزيرست آتش كرا بسوز دكر بو لهب نباشد

نسأل الله التوفيق إلى الخير والفلاح والرشاد.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أنزل﴾ أي الله تعالى ﴿من السماء ماء﴾ أي مطراً ينحدر منها إلى السحاب، ومنه إلى الأرض وهو رد لمن زعم أنه يأخذه من البحر ومن زعم أن المطر إنما يتحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض إلى الهواء فينعقد هناك من شدة برد الهواء ثم ينزل مرة أخرى، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن تحت العرش بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء الدنيا، ويوحي إلى السحاب أن غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان من ماء فإنه نزل بغير كيل ولا وزن.

يقول الفقير: هذه الرواية أدل على قدرة الله تعالى مما ذهب إليه الحكماء كما لا يخفى فقول من قال في التفسير أي من السماء نفسها، فإن مبادي الماء منها ففي لفظة من مجاز تضييق للأمر وعدول عن الحقيقة من غير وجه معتد به والله على كل شيء قدير ﴿فسالت﴾ من ذلك الماء والسيلان الجريان. ﴿أودية﴾ جمع واد كأندية جمع ناد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة والمراد ههنا الأنهار بطريق ذكر المحل وإرادة الحال، ونكرها لأن المطر يأتي على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية دون بعض ﴿بقدرها﴾ بفتح الدال وسكونها صفة لأودية أو متعلق بسالت والضمير راجع إلى المعنى المجازي للأودية أي بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار أي بالقدر الذي لا يتضرر الناس به. وبالفارسية [باندازه كه خداي تعالى مقرر كرده كه آن سود رساند وزيان نكند] وذلك لأن ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف، ويجوز أن يكون الضمير راجعاً إلى المعنى الحقيقي لها على طريق الاستخدام أي بمقدارها في الصغر والكبر أي إن صغر الوادي قل الماء وإن اتسع الوادي كثر الماء، وبالفارسية [بقدرها باندازه خود يعني هر وادي بمقدار خود در جزوى وبزركى وتنكى وفراخي برداشت] ﴿فاحتمل السيل﴾ أي حمل ورفع. ﴿زبداً﴾ هو اسم لكل ما علا وجه الماء من رغوة وغيرها سواء حصل بالغليان أو بغيره. وبالفارسية [كف] واصله كل شيء تولد من شيء مع مشابهته له ومنه الزبد. ﴿رابياً﴾ عالياً فوق الماء ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ خبر مقدم لقوله زبد مثله وعليه متعلق بيوقدون. والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، وفي النار حال من الضمير في عليه، أي ومن الذي يوقد الناس عليه يعني [ميكذارند] حال كونه ثابتاً في النار وهو يعم الفلزات، والفلز بكسر الفاء واللام وشد الزاي جوهر الأرض أي الأجساد السبعة المعدنية التي تذاب وهي الذهب والفضة والحديد والنحاس والآنك والزئبق والصفر ﴿ابتغاء

حلية﴾ مفعول له، أي طلب زينة فإن أكثر الزين من الذهب والفضة **﴿أو متاع﴾** عطف على حلية وهو ما يتمتع به أي ينتفع به كالنحاس والحديد والرصاص يذاب فيتخذ منه الأواني وآلات الحروب والحرث. **﴿زبد مثله﴾** قوله: مثله صفة زبد، أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء يعلو عليه إذا أذيب وهو الخبث على أن تكون من ابتدائية أو بعضه زبد مثله على أن تكون تبعيضية. **﴿كذلك﴾** في محل النصب أي مثل ذلك الضرب والبيان والتمثيل **﴿يضرب الله الحق والباطل﴾** أي: بينهما ويمثلهما فإنه تعالى مثل الحق في الثبات والنفع بالماء النافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأمتعة المختلفة، وشبه الباطل في سرعة زواله وقلة نفعه بالزبد الضائع، أي بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب، فالزبد وإن علا الماء فهو ينمحق وكذا الباطل وإن علا الحق في بعض الأحوال فإن الله سيمحقه ويبطله بجعل العاقبة للحق وأهله، كما قيل: للحق دولة وللباطل صولة. قال الحافظ:

سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش   سامرى كيست كه دست از يد بيضا ببرد

وبين وجه الشبه وهو الذهاب باطلاً مطروحاً والثبات نافعاً مقبولاً بقوله: **﴿فأما الزبد﴾** [اما كف روى آب وخبث بالاي فلز] وبدأ بالزبد مع تأخره فإن ذا الزبد يبقى بعد الزبد ويتأخر وجوده الاستمراري **﴿فيذهب جفاء﴾** قال في «القاموس» الجفاء كغراب الباطل وهو حال، أي باطلاً مرمياً به. **﴿وأما ما ينفع الناس﴾** كالماء وخلاصة الفلز. **﴿فيمكث في الأرض﴾** أي يبقى ولا يذهب فينتفع به الناس أما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار وأما الفلز فيبقى أزمنة متطاولة **﴿كذلك﴾** [همچنين كه ذكر كرده شد] **﴿يضرب الله الأمثال﴾** ويبينها لإيضاح المشتبهات، والمثل القول الدائر بين الناس، والتمثيل أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وهو إظهار للوحشي في صورة المألوف.

قال الكاشفي: [بعضي بدانندكه مراد ازين آب قر آنست كه حيات دل اهل ايمانست وأودية دلها اندكه فراخور استعداد خود ازان فيض ميكيرند وزبد هواجس نفساني ووساوس شيطاني است].

وقال أبو الليث في «تفسيره» شبه الباطل بالزبد يعني احتملت القلوب على قدر هواها باطلاً كثيراً فكما أن السيل يجمع كل قذر فكذلك الهوى يحتمل الباطل وكما أن الزبد لا وزن له فكذلك الباطل لا ثواب له، والإيمان واليقين ينتفع به أهله في الآخرة كما ينتفع بالماء الصافي في الدنيا، والكفر والشك لا ينتفع به في الدنيا والآخرة.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿أنزل من السماء﴾** من سماء القلوب **﴿ماء﴾** المحبة **﴿فسالت أودية﴾** النفوس **﴿بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾** من الأخلاق الذميمة النفسانية والصفات البهيمية الحيوانية وأنزل من سماء الأرواح ماء مشاهدات أنوار الجمال فسالت أودية القلوب بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً من أنانية الروحانية وأنزل من سماء الجبروت ماء تجلى صفة الألوهية فسالت أودية الأسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي. قال في «المثنوي»:

چون تجلى كرد اوصاف قديم   پس بسوزد وصف حادث را كليم

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)﴾.

﴿للذين استجابوا لربهم﴾ خبر مقدم لقوله ﴿الحسنى﴾ أي للمؤمنين الذين أجابوا في الدنيا إلى ما دعا الله إليه من التوحيد والطاعة المثوبة الحسنى في الآخرة، وهي الجنة وسميت بذلك لأنها في نهاية الحسن لكونها من آثار الجمال الصفاتي، وأما الأحسن فهو الله تعالى وحسنه الأزلي من ذاته لا من غيره فقد علم من هذا أن الداعي إلى الحسنى هو الله تعالى والمجيب إلى تلك الدعوة الإلهية هم المؤمنون، والجنة ونعيمها هي الضيافة العظمى وقد ورد «اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل».

قال بعض الكبار: من أحب رؤية الله أحب الجنة لأنها محلها.

يقول الفقير: فيه تصريح بأن الجنة محل الرؤية لا محل الله تعالى حتى يلزم إثبات المكان له ولا يلزم من كونها محل الرؤية كونها محله تعالى لأن التقيد بالمكان حال الرائي لا حال المرئي والدنيا والآخرة سواء بالنسبة إلى الرائي كما أنهما سيان بالنسبة إلى المرئي إذ لو رؤي في الدنيا بحسب ارتفاع الموانع لكان لا يضر إطلاقه وتنزهه، وكذا لو رؤي في الجنة وقد ثبت أن رسول الله ﷺ رآه في الدنيا فجعلت الدنيا ظرفاً لرؤيته مع أن الله تعالى على تنزهه الأزلي وإذا عرفت هذا عرفت ضعف قول الفقهاء لو قال أرى الله في الجنة يكفر لأنه يزعم أن الله تعالى في الجنة والحق أن يقال نرى الله في الجنة انتهى قولهم.

مجرد پابيش ز اطلاق وتقييد اكر جلباب هستى راكنى شق

﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكافرون بالله الخارجون عن الطاعة وهو مبتدأ خبره قوله ﴿لو أن لهم﴾ [اكر باشد مرايشانرا] ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ من نقودها وأمتعتها وضياعها ﴿ومثله معه﴾ وضعفه معه [يعني آن قدركه نقود وأقمشهٔ ديني هست باآن اضافت كنند وهمه در تصرف كافران باشد روز قيامت] ﴿لافتدوا به﴾ جعلوه فداء أنفسهم من العذاب ولو فادوا به لا يقبل منهم.

يقول الفقير: سر هذا أنهم بسبب الدنيا غفلوا عن الله تعالى وحين الانتباه بالموت والبعث صغر في أعينهم الدنيا وما فيها فلو قدروا لبذلوا الكل وأخذوا الله تعالى بدلاً منه فقد قصروا في وقت القبول وتمنوا ما تمنوا حين لا درهم ولا دينار.

مده براحت فاني حيات باقي را بمحنت دوسه روز ازغم ابد بكريز

﴿أولئك﴾ [آن كروه] ﴿لهم سوء الحساب﴾ هو المناقشة بأن يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» قلت أو ليس يقول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب يهلك» والمناقشة الاستقصاء في الحساب بحيث لا يترك منه شيء يقال ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً، ومعنى الحديث أن المناقشة في الحساب وعدم المسامحة مفض إلى الهلاك ودخول النار ولكن الله يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء.

قال النووي: وهذا لمن لم يحاسب نفسه في الدنيا فيناقش بالصغيرة والكبيرة فأما من تاب وحاسب نفسه فلا يناقش كما في «الفتح القريب».

نريزد خدا آب روى كسى كه ريزد كناه آب چشمش بسى

﴿ومأواهم﴾ مرجعهم بعد المناقشة ﴿جهنم﴾

فإن قلت: هلا قيل مأواهم النار.

قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً ويحتمل أن يكون جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر.

قال بعضهم: جهنم معرب وكأنه في الفرس [چه نم] ﴿وبئس المهاد﴾ [وبد جايكاهست دوزخ] وهو بمعنى الممهود المبسوط يقال مهدت الفراش مهداً أي بسطته، أطلق ههنا بمعنى المستقر مطلقاً أي بئس موضع القرار جهنم ـ وروى ـ أحمد أنه عليه السلام قال لجبريل «ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً» فقال: «ما ضحك منذ خلقت النار» ـ وروي ـ أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يا رب خلقت خلقاً وربيتهم بنعمتك ثم تجعلهم يوم القيامة في نارك قال في «المثنوي»:

مستفيدي اعجمي شد آن كليم   تا عجميا نرا كند زين سر عليم

فأوحى الله تعالى إليه آن يا موسى قم فازرع زرعاً فزرعه فسقاه وقام عليه وحصده وداسه فقال له: ما فعلت بزرعك يا موسى قال قد رفعته قال: فما تركت منه شيئاً قال: يا رب تركت ما لا خير فيه قال يا موسى: فإني أدخل النار ما لا خير فيه وهو الذي يستنكف أن يقول لا إله إلا الله وفي «المثنوي».

چونكه موسى كشت وشد كشتش تمام   خوشهايش يافت خوبى ونظام
داس بكرفت ومران را مى بريد   پس ندا ازغيب دركوشش رسيد
كه چرا كشتى كنى وپرورى   چون كمالى يافت آنرا مى برى
كفت يا رب زان كنم ويران وپست   كه در اينجا دانه هست وكاه هست
دانه لايق نيست در انبار كاه   كاه در انبار كندم هم تباه
نيست حكمت اين دورا آميختن   فرق واجب مى كند در بيختن
كفت اين دانش تو ازكه يا فتى   كه بدانش بيدرى برساختى
كفت تميزم تودادي اي خدا   كفت پس تميز چون نبود مرا
در خلايق روحهاى پاك هست   روحهاى تيره وكلناك هست
اين صدفها نيست دريك مرتبه   در يكى دراست ودر ديكر شبه
واجبست اظهار اين نيك وتباه   همچنا كاظهار كندمها زكاه

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أفمن يعلم﴾ [آيا كسى ميداندكه] ﴿أنما أنزل إليك من ربك﴾ [آنكه هرچه فرو فرستاده اند بسوى تو از پروردكار تو] ﴿الحق﴾ [درست وراستست] يعني يعلم أن القرآن الذي أنزل الله تعالى هو الحق وهو حمزة بن عبد المطلب أو عمار ﴿كمن هو أعمى﴾ قلبه فينكر القرآن وهو أبو جهل أي لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه وهذا عام فيمن كان كذلك. وفي «المثنوي»:

در سرورو در كشيده چادرى   رونهان كرده زچشمت دلبرى

شاه نامه يا كليله پيش تو همچنان باشد كه قرآن ازعتو
فرق آنكه باشد ازحق ومجاز كه كند كحل عنايت چشم باز
وزنه پشك ومشك پيش اخشمى هردويكسانست چون نبودشمى
كفت يزدان كه ترا هم ينظرون نقش حمامند هم لا يبصرون

﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾أي لا يقبل نصح القرآن ولا يعمل به إلا ذوو العقول الصافية من معارضة الوهم.

قال في «التأويلات» هم المستخرجة عقولهم من قشور آفات الحواس والوهم والخيال المؤيدة بتجلي أنوار الجمال والجلال.

اعلم أن طالب الحق لا بد له في التزكية من التفكر ثم التذكر وبينهما فرق فإن التذكر فوق التفكر فإن التفكر طلب، والتذكر وجود، يعني أن التفكر لا يكون إلا عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية فتلتمس البصيرة مطلوبه، وأما التذكر فعند رفع الحجاب وخلوص الخلاصة الإنسانية من قشور صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى فيتذكر ما انطبع في النفس في الأزل من التوحيد والمعارف بعد النسيان.

قال في «حياة الأرواح» التذكر لا يكون إلا لذي لب قد خلص من قشر غواشي النشأة قال تعالى: ﴿وما يتذكر إلا أولو الألباب﴾والنسيان إنما يحصل بسبب الغواشي كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥] وقد أمر الله بأحكام الشريعة لإزالة هذه الغواشي والملابس وعدد الأعضاء المكلفة ثمانية، وهي العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فعلى كل واحد من هذه الأعضاء تكليف يخصه من أنواع الأحكام الشرعية أو فعال المحمدة عند الله، فالمجمدة كالصلاة والصوم وما أشبه ذلك والمذمة كضربك نفسك بسكين لتقتلها ومنها ما لا يلحقك فيه مذمة ولا محمدة كصنف المباح، ولا يجوز ذلك هذا الفعل إلا في ذاتك وأما في غيرك فلا إلا بشرط ما، فالذي لذاتك كنظرك إلى عورتك والذي هو مع غيرك ثمانية أصناف المال والولد والزوجة وملك اليمين والبهيمة والجار والأجير والأخ الإيماني والطيني.

﴿الذين﴾الموصولات مع صلاتها مبتدأة خبرها قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

﴿يوفون بعهد الله﴾عهد الله مضاف إلى مفعوله، أي بما عقدوه على أنفسهم من الشهادة والاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى شهدنا، وبالفارسية: [آنانكه وفاميكنند به پيمان خداي تعالى كه درروز ميثاق بسته اند] ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾أي ذلك العهد بينهم وبين الله وكذا عهودهم بينهم وبين الناس فهو تعميم بعد تخصيص.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين يصلون﴾[وآنانكه پيوند ميكنند] ﴿ما أمر الله به أن يوصل﴾المفعول الأول محذوف تقديره ما أمرهم به وأن يوصل بدل من الضمير المجرور أي يوصله.

وهذه الآية يندرج فيها أمور.

الأول صلة الرحم واختلف في حد الرحم التي يجب صلتها. فقيل كل ذي رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام

والعمات وأولاد الخال والخالات. وقيل هو عام في كل ذي رحم محرماً كان أو غير محرم وارثاً كان أو غير وارث وهذا القول هو الصواب.

قال النووي: وهذا أصح والمحرم من لا يحل له نكاحها على التأبيد لحرمتها. فقولنا على التأبيد احتراز عن أخت الزوجة، وقولنا لحرمتها احتراز عن الملاعنة فإن تحريمها ليس لحرمتها بل للتغليظ.

واعلم أن قطع الرحم حرام والصلة واجبة، ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان، وأقله التسليم وإرسال السلام والمكتوب، ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة كذا في «شرح الطريقة». وصلة الرحم سبب لزيادة الرزق وزيادة العمر وهي أسرع أثراً كعقوق الوالدين فإن العاق لهما لا يمهل في الأغلب ولا تنزل الملائكة على قوم فيهم قاطع رحم.

والثاني الإيمان بكل الأنبياء عليهم السلام فقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض قطع لما أمر الله به أن يوصل.

والثالث موالاة المؤمنين فإنه يستحب استحباباً شديداً زيارة الإخوان والصالحين والجيران والأصدقاء والأقارب وإكرامهم وبرهم وصلتهم وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم وينبغي للزائر أن تكون زيارته على وجه لا يكرهون وفي وقت يرتضون فإن رأى أخاه يحب زيارته ويأنس به أكثر زيارته والجلوس عنده، وإن رآه مشتغلاً بعبادة أو غيرها أو رآه يحب الخلوة يقل زيارته حتى لا يشغله عن عمله، وكذا عائد المريض لا يطيل الجلوس عنده إلا أن يستأنس به المريض، ومن تمام المواصلة المصافحة عند الملاقاة ويستحب مع المصافحة البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها. قال الحافظ:

يارى اندركس نمى بينيم يارانرا چه شد دوستى كي آخر آمدد وستدارا نراچه شد
كسى نمى كويدكه يارى داشت حق دوستى حق شنا سانراچه حال افتاد ويار انراچه شد

والرابع: مراعاة حقوق كافة الخلق حتى الهرة والدجاجة.

وعن الفضيل أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ـ وروي ـ أن امرأة عذبت في هرة حبستها فلم تطعمها إلى أن ماتت وامرأة رحمها الله وغفر لها بسبب أن سقت كلباً عطشان بخفها.

وكان أويس القرني يقتات من المزابل ويكتسي منها فنبحه يوماً كلب على مزبلة فقال له أويس: كل مما يليك وأنا آكل مما يليني ولا تنبحني فإن جزت الصراط فأنا خير منك وإلا فأنت خير مني.

يقول الفقير: وذلك لأن الإنسان السعيد خير البرية والشقي شر البرية، والكلب داخل في البرية وهذا كلام من مقام الانصاف فإن أهل الحق لا يرون لأنفسهم فضلاً ولذا كانوا يعدون من سواهم أيّاما كان خيراً منهم، وورد: «رب بهيمة خير من راكبها» وهذا العلم أعطاهم مراعاة الحقوق مع جميع الحيوانات **﴿ويخشون ربهم﴾** أي وعيده عموماً **﴿ويخافون سوء الحساب﴾** خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

وقال أبو هلال العسكري الخوف يتعلق بالمكروه ومنزل المكروه يقال خفت زيداً وخفت

المرض كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ والخشية تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ولهذا قال ﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾ انتهى وسوء الحساب سبق قريباً والخوف من أجل المنازل وأنفعها للقلب وهو فرض على كل أحد.

هركه ترسد مرورا ايمن كنند   مر دل ترسنده را ساكن كنند

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿والذين صبروا﴾ على ما تكرهه النفوس من أنواع المصائب ومخالفة الهوى من مشاق التكاليف ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلباً لرضاه من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجبا.

واعلم أن مواد الصبر كثيرة منها. الصبر على العمى وفي الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه» أي العينين وسميتا بذلك لأنهما أحب الأشياء إلى الشخص «فصبر على البلاء راضياً بقضاء الله تعالى عوضته منهما الجنة» والأعمى أول من يرى الله تعالى يوم القيامة. ومنها الصبر على الحمى وصداع الرأس وموت الأولاد والأحباب وغير ذلك من أنواع الابتلاء، ومنها الصوم فإن فيه صبراً على ما تكرهه النفس من حيث إنها مألوفة بالأكل والشرب والصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله عليه السلام: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان». قال الحافظ:

ترسم كزين چمن نبرى آستين كل   كز كلشنش تحمل خارى نميكنى

- روي - أن شقيق بن إبراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكراً فقال له عبد الله من أين أتيت؟ فقال: من بلخ قال: وهل تعرف شقيقاً: قال نعم، قال كيف طريقة أصحابه؟ فقال: إذا منعوا صبروا وإذا أعطوا شكروا، فقال عبد الله: طريقة كلا بنا هكذا، فقال: وكيف ينبغي أن يكون الأمر فقال الكاملون هم الذين إذا منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في بعض مناجاته: اللهم إني أحمدك في السراء والضراء، وأقول في السراء الحمد لله المنعم المفضل نظراً إلى النعمة الظاهرة والمِنحة الجلية في السراء وأقول في الضراء الحمد لله على كل حال نظراً إلى النعمة الباطنة والمنحة الخفية في الضراء لكن أشكرك في السراء وأقول الشكر لله طمعاً في زيادة النعمة والمنحة بمقتضي وعدك في قولك ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فإذا دفعت عني البلية ورفعت المحنة فاشكرك مطلقاً كما أحمدك كذلك وأقول الشكر لله مطلقاً كما أقول الحمد لله كذلك انتهى.

وهذا كلام لم أر مثله من المتقدمين حقيق بالقبول والحفظ فرضي الله عن قائله ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة أي داوموا على إقامتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ أي بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه فمن للتبعيض والمراد بالبعض المتصدق به الزكاة المفروضة لاقترانه بالصلاة التي هي أخت الزكاة وشقيقتها أو مطلق ما ينفق في سبيل الله نظراً إلى إطلاق اللفظ من غير قرينة الخصوص ﴿سراً﴾ لمن لا يعرف بالمال يتناول النوافل لأنها في السر أفضل ﴿وعلانية﴾ لمن عرف به يشمل الفرائض لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة، وانتصابهما على الحال أي ذوي سر

وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي انفاق سر وعلانية. والمعنى إسرار النوافل من الصدقات والإعلان بالفرائض.

ومن الانفاق الواجب الانفاق على الأبوين إذا كانا فقيرين.

قال الفقهاء: تقدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة أوساخه وتمريضه وغير ذلك كما في «الفتح القريب».

قال الشيخ عز الدين: الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واجباً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة والنفقة الواجبة أو يؤديها بمشقة فإنه بخيل بالطبع متسخ بالتكلف، أو كان بحيث لا يطيب له أن يعطي من أطيب ماله أو من أوسطه فهذا كله بخل وأما واجب المروءة المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقبح واستقباحه يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة، فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة وجاء في وصف البخيل.

لو عبر البحر بأمواجه   في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوءة خردلاً   ما سقطت من كفه واحده

وفيه:

خواجه در ما هتاب نان ميخورد   در سرايى كه هيچ خلقي نبود
سايهٔ خويش را كسى پنداشت   كاسه از پيش خويشتن بربود

واعلم أن الله تعالى أسند الانفاق إليهم وإعطاء الرزق إلى ذاته تعالى تنبيهاً على أنهم أمناء الله فيما أعطاهم ووكلاؤه، والوكيل دخيل في التصرف لا أصيل، فينبغي له أن يلاحظ جانب الموكل لا جانب نفسه ولا جانب الخلق وقد قالوا من طمع في شكر أو ثناء فهو بياع لا جواد فإنه اشترى المدح بماله والمدح لذيذ مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير غرض.

كرم ولطف بي غرض بايد   تا ازان مردمتهم نبود
از كرم چون جزا طمع داري   آن تجارت بود كرم نبود

ومن الكرم ضيافة الإخوان في شهر رمضان، وفي الحديث: «يا أصحابي لا تنسوا أمواتكم في قبورهم خاصة في شهر رمضان فإن أرواحهم يأتون بيوتهم فينادي كل أحد منهم ألف مرة من الرجال والنساء أعطفوا علينا بدرهم أو برغيف أو بكسرة خبز أو بدعوة أو بقراءة آية أو بكسوة كساكم الله من لباس الجنة» كذا في «ربيع الأبرار» فإذا كان الرغيف أو الكسرة مفيداً مقبولاً عند الله تعالى فما ظنك بما فوقه من اللذائذ وفي الحديث: «من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة» ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعونها بها فيجاوزون الإساءة بالإحسان والظلم بالعفو والقطع بالوصل والحرمان بالعطاء.

كم مباش از درخت سايه فكن   هركه سنكش زند ثمر بخشش
از صدف يا دكير نكتهٔ حلم   هركه زد برسرش كهر بخشش

أو المعنى يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها وأحسن الحسنات كلمة لا إله إلا الله إذ التوحيد رأس الدين فلا أفضل منه كما أن الرأس أفضل الجوارح.

وعن ابن كيسان إذا اذنبوا تابوا فيكون المراد بالحسنة التوبة وبالسيئة المعصية.

قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خصال مسيرة إلى ثمانية أبواب الجنة ﴿أولئك﴾ [آن كروه كه بدين صفات موصوفند] ﴿لهم عقبى الدار﴾ عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وهي العاقبة المطلقة التي هي الجنة وأما النار فإنما كانت عقبى الكافرين لسوء اختيارهم وليس كونها عاقبة دار الدنيا مقصوداً بالذات بخلاف الجنة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من عقبى الدار والعدن الإقامة يقال عدن بالبلد يعدن بالكسر أي أقام وسمي منبت الجواهر من الذهب ونحوه المعدن بكسر الدال لقرارها فيه أو لأن الناس يقيمون فيه، الصيف والشتاء. ﴿يدخلونها﴾ أي جنات يقيمون فيها ولا يخرجون منها بعد الدخول.

وقيل: هو وسط الجنان وأفضلها وأعلاها وهو مقام التجلي الإلهي والانكشاف الإلهي خلقه الله بيده من غير واسطة.

يقول الفقير: الوجه الثاني أوجه عندي، لأن الإقامة في الجنة من شأن كل مؤمن كاملاً كان أو ناقصاً وأما الإقامة في جنة عدن فإنما هي من شأن المؤمن الكامل وليس الكمال إلا بإتيان هذه الخصال الثمان وليس كل أحد يكفل بمؤونتها ويتصف بها إلا من هداه الله من الخواص ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ عطف على المرفوع في يدخلونها وإنما ساغ للفصل بالضمير.

قال في «بحر العلوم» وآبائهم جمع أبوي كل واحد منهم، كأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم والمعنى إنه يلحق بهم الصلحاء من أبويهم ﴿وأزواجهم﴾ جمع زوج. بالفارسية [زن] ويقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح. ﴿وذرياتهم﴾ أولادهم وإن لم يبلغوا مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم وتكميلاً لفرحهم. ويقال من أعظم سرورهم أن يجتمعوا فيتذاكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله على الخلاص منها، والفوز بالجنة، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة فإنه إذا جاز أن تعلو بمجرد التبعية للكاملين في الإيمان تعظيماً لشأنهم فلان تعلو بشفاعتهم أولى والتقييد بالصلاح دليل على أن النسب المجرد لا ينفع قيل:

أتفخر باتصالك من عليّ ... وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي ... يدنسه صنائعك القباح
أصل را اعتبار چندان نيست ... روى تركل زخار خندان نيست
مى زغوره شود شكرازنى ... عسل از نحل حاصلست بقى

﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب المنازل فإنه يكون لمقامهم ومنازلهم أبواب فيدخلون عليهم من كل باب ملك.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿سلام عليكم﴾ في موقع الحال، لأن المعنى قائلين سلام عليكم يعني سلمكم الله من

العذاب سلامة وما تخافون منه وفي الحديث: «إن للعبد من أهل الجنة لسبعين ألف قهرمان إذ الملائكة يحبونه ويسلمون عليه ويخبرونه بما أعد الله تعالى».

قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله يقولون سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة ﴿بما صبرتم﴾ أي هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم في الدنيا على الفقر وملازمة الطاعة، تلخيصه تعبتم ثمة فاسترحتم هنا [در اخبار آمده كه حضرت رسالت عليه السلام بلال را كفت چنان فقيركن كه بخداي رسى نه غنى]

كـانـجـا فـقـرا از هـمـه مـقـبـولـتـرنـد

وعن أنس رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال: «مرحباً بك جئت من عند قوم هم أحب إلي» فقال يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله، هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه، ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم فقال عليه السلام: «بلغ الفقراء عني آن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء. أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام. والخصلة الثالثة إذ قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب» ﴿فنعم عقبى الدار﴾ المخصوص بالمدح محذوف أي فنعم عقبى الدار جنات عدن، واللام في الدار للجنس لا غير كما في «بحر العلوم» وقد وعدهم الله بثلاثة أمور الأول الجنة والثاني أن يضم إليهم من آمن من أهلهم ولم يعملوا مثل عملهم والثالث دخول الملائكة عليهم من كل باب مبشرين لهم بدوام السلامة.

وعن الشيخ عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجل يعبد صنماً فقلنا له: يا رجل من تعبد فاومأ إلى الصنم، فقلنا له: إن إلهك هذا مصنوع، عندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد، قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: نعبد الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه وفي الأحياء والأموات قضاؤه قال: ومن أعلمكم بهذا؟ قلنا وجه إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول فيكم؟ قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله إليه وترك عندنا كتاباً فأتيناه بالمصحف وقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ثم أسلم وعلمناه شرائع الدين وسوراً من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه ينام إذا جن الليل قلنا: لا قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه فقال: ما هذا؟ قلنا دراهم تنفقها فقال: لا إله إلا الله دللتموني على طريق لم تسلكوها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي: إنه في الموت فأتيته فقلت له هل من حاجة؟ قال قضى

حوائجي من جاء بكم إلى الجزيرة، قال عبد الواحد فغلبتني عيناي فنمت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفي القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهي تقول بالله إلا ما عجلتم به إليّ فقد اشتد شوقي إليه فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت في منامي تلك الروضة وفيها تلك القبة وفي القبة ذلك السرير وعلى السرير تلك الجارية وهو إلى جانبها وهو يقرأ هذه الآية **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.

واعلم أن استماع سلام الملائكة ورؤيتهم في الدنيا مخصوص بخواص البشر للطافة جوهرهم كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في «المنقذ من الضلال» إن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً وأما غيرهم فلا يراهم إلا في عالم المثال أو في النشأة الآخرة كما لا يخفى.

﴿والذين﴾ هم الكفار **﴿ينقضون عهد الله﴾** المأخوذ عليهم بالطاعة والإيمان **﴿من بعد ميثاقه﴾** أي من بعد توكيد ذلك العهد بالإقرار والقبول وهو العهد الذي جرى بينهم إذ أخرجهم من ظهر آدم وعاهدهم على التوحيد والعبودية كقوله: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾** [يس: ٦٠] الآية. فالعهد عهدان عهد على المحبة وهو للخواص وعهد على العبودية وهو للعوام فأهل عهد المحبة ما نقضوا عهودهم أبداً وأهل عهد العبودية من كان عهدهم مؤكداً بعهد المحبة ما نقضوه ومن لم يكن عهدهم مؤكداً نقضوه وعبدوا غيره وأشركوا به الأشياء وأحبوها للهوى.

واعلم أن هذا العهد يتذكره أهل اليقظة الكاملة المنسلخون عن كل لباس وغاشية كما قال ذو النون المصري: وقد سئل عن سر ميثاق **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** [الأعراف: ١٧٢] هل تذكره فقال: نعم كأنه الآن في أذني وكما قال بعضهم مستقرباً أي عاداً لعهد ألست قريباً كأنه بالأمس كان ولذا ما نسوه، وأما غيرهم وهم أهل الحجاب فاستبعدوه ولم يذكروا منه شيئاً **﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾** سبق إعرابه أي يقطعون الأرحام وموالاة المؤمنين وما بينه الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق حيث آمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم **﴿ويفسدون في الأرض﴾** بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى وبالظلم وتهييج الحروب والفتن وفي الحديث: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» وهي إيقاع الناس في الاضطراب والاختلال والاختلاف والمحنة والبلية بلا فائدة دينية وذلك حرام لأنه فساد في الأرض واضرار المسلمين وزيغ والحاد في الدين. قال السعدي قدس سره:

زان همنشين تاتواني كريز   كه مرفتنهٔ خفته را كفت خيز

فمن الفتنة أن يغرى الناس على البغي والخروج على السلطان وذلك لا يجوز وإن كان ظالماً لكونه فتنة وفساداً في الأرض، وكذا معاونه المظلومين إذا أرادوا الخروج عليه وكذا المعاونة له لكونه إعانة على الظلم وذلك لا يجوز، ومنها أن يقول للناس ما لا تصل عقولهم إليه وفي الحديث: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». ومنها أن يذكر للناس ما لا يعرفه بكهنه ولا يقدر على استخراجه فيوقعهم في الاختلاف والاختلال والفتنة والبلية كما هو شأن بعض الوعاظ في زماننا. ومنها أن يحكم أو يفتي بقول مهجور أو ضعيف أو قوي يعلم أن

الناس لا يعلمون به بل ينكرونه أو يتركون بسببه طاعة أخرى كمن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأساً وهي جائزة عند البعض وإن كان ضعيفاً، فالعمل به واجب وكمن يقول للناس لا يجوز البيع والشراء والاستقراض بالدراهم والدنانير إلا بالوزن لأن رسول الله ﷺ نص عليها بالوزن فهو وزني أبداً وإن ترك الناس فيه الوزن فهذا القول قوي في نفسه وهو قول الامام أبي حنيفة ومحمد مطلقاً وقول أبي يوسف في غير ظاهر الرواية وهي خروجها عن الوزنية بتعامل الناس إلى العددية فهذه الرواية وإن كانت ضعيفة فالقول بها واجب ولازم فراراً من الفتنة فيجب على القضاة والمفتين والوعاظ معرفة أحوال الناس وعاداتهم في القبول والرد والسعي والكسل ونحوها فيكلمونهم بالأصلح والأوفق لهم حتى لا يكون كلامهم فتنة للناس وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يجب على الآمر والناهي معرفة أحوال الناس وعاداتهم وطبائعهم ومذاهبهم لئلا يكون فتنة للناس وتهييجاً للشر وسبباً لزيادة المنكر وإشاعة المكروه **﴿أولئك لهم اللعنة﴾** في الآخرة والجملة خبر والذين ينقضون. واللعنة: الإبعاد من الرحمة والطرد من باب القرب **﴿ولهم سوء الدار﴾** أي: سوء عاقبة الدنيا وهي جهنم فاللعنة وسوء العاقبة لاصقان بهم لا يعدوانهم إلى غيرهم وفيه تنفير للمسلمين عن هذه الخصال الثلاث وإن لا ترفع همتهم حول ذلك الحمى، وفي الحديث: «ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر». وفي الحديث «من أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً» أي فريضة ونافلة كما في «الأسرار المحمدية».

وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى وكرنه هركه توبيني ستمكرى داند

واعلم أن اللعنة لعنتان: طرد عن الجنة وهو للكافرين وطرد عن ساحة القربة والوصلة وهو للمؤمنين الناقصين فمن قصر في العبودية وسعى في إفساد الأرض الاستعداد وقع في دار القطيعة والهجران وإن كان صورة في الجنان ورب كامل في الصورة ناقص في المعنى وبالعكس. قال المولى الجامي:

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را چوجان زروم بود كوتن از حبش مي باش

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام إذ ألقي في النار كانت برداً وسلاماً فلم يضره كونه في صورة النار والنمرود كان في صورة النعمة فلم ينفعه ذلك بل وجد في النعمة نقمة نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنة والقربة والوصلة.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿الله﴾ وحده **﴿يبسط الرزق﴾** يوسعه في الدنيا **﴿لمن يشاء﴾** بسطه وتوسيعه **﴿ويقدر﴾** قال في «تهذيب المصادر». القدر [تنك كردن] وهو من باب ضرب أي يضيق الرزق لمن يشاء ويعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء كأنه قيل لو كان من نقض عهد الله ملعونين في الدنيا ومعذبين في الآخرة لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا فقيل إن فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والإيمان بل هو متعلق بمجرد مشيئة الله فقد يضيق على المؤمن امتحاناً لصبره وتكفيراً لذنوبه ورفعاً لدرجاته ومن هذا القبيل ما وقع لأكثر الأصحاب رضي الله

عنهم من المضايقة ويوسع على الكافرين استدراجاً ومنه ما وقع لأكثر كفار قريش من الوسعة ثم إن الله تعالى جعل الغنى لبعضهم صلاحاً وجعل الفقر لبعضهم صلاحاً وقد جعل في غنى بعضهم فساداً كالفقر وفي الكل حكمة ومصلحة. قال الحافظ:

ازين رباط دو در چون ضرور تست رحيل رواق طاق معيشت چه سر بلندوچه پست

بهست ونيست مرنجان ضمير وخوش دل باش كه نيستيست سر انجام هر كمال كه هست

ببال وپرمرو ازره كه تر پر تابى هوا كرفت زماني ولى بخاك نشست

﴿وفرحوا﴾ يعني مشركي مكة. والفرح لذة في القلب لنيل المشتهى ﴿بالحياة الدنيا﴾ بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح شكر وسرور بفضل الله وإنعامه عليهم.

وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام.

افتخار ازرنك وبو واز مكان هست شادي وفريب كودكان

قال في «شرح الحكم» عند قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] إنما لم يؤمر العبد برفض الفرح جملة لأن ذلك من ضرورات البشر التي لا يمكن رفعها بل ينبغي صرفها للوجه اللائق بها وكذا جميع الأخلاق كالطمع والبخل والحرص والشهوة والغضب لا يمكن تبدلها بل يصح أن تصرف إلى وجه لائق بها حتى لا تتصرف إلا فيه. ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾ ليست ظرفاً للحياة ولا للدنيا لأنهما لا يقعان فيها بل هي حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة في جنب حياة الآخرة أي بالقياس إليها ففي للمقايسة وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق. ﴿إلا متاع﴾ إلا شيء قليل يتمتع به كزاد الراعي وعجالة الراكب وهي ما يتعجل به من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

قال الصاحب بن عباد: سمعت امرأة في بعض القبائل تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم أي الكلب وأخذ المتاع وهو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وفيه تقبيح لحال الدنيا.

قال الكاشفي: [بامتاعى از امتعه كه وفايي وبقايي ندارد چون ادوات خانه] مثل القصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب، والعاقل لا يفرح بما يفارقه عن قريب ويورثه حزناً طويلاً وإن حدثته نفسه بالفرح به يكذبها.

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

ـ حكي ـ أنه حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحاً شديداً فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ قال: أراه فقراً حاضراً ومصيبة عاجلة قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوماً فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.

قال في «الحكم العطائية» إن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك وكل ولايات الدنيا كذلك وإن لم تعزل عنها بالحياة عزلت عنها بالممات قال وقد جعل الله الدنيا محلاً للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها حتى لا يمكنك استناد إليها ولا تعريج عليها.

وقد قيل: إن الله تعالى أوحى إلى الدنيا «تضيقي وتشددي على أوليائي وترفهي وتوسعي

على أعدائي تضيقي على أوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الله يبسط الرزق﴾ الكشوف والشهود ﴿لمن يشاء﴾ من عباده المحبين والمحبوبين ويضيق لمن فتح عليهم أبواب الدنيا وشهواتها فأغرقهم فيها ﴿وفرحوا﴾ بها ﴿بالحياة الدنيا﴾ أي باستيفاء لذاتها وشهواتها ﴿وما الحياة الدنيا﴾ بالنسبة إلى من عبر عنها ولم يلتفت إليها فيجد في آخرتها ما يجد إلا تمتع أيام قلائل بأدنى شيء خسيس فان. قال الكمال الجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور وعسل مانـد

كه شير ينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

وقال المولى الجامي:

مرد جاهل چاه كيتي را لقلب دولت نهد همچنا نكه آماس بيند طفل كويد فربه است

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ويقول الذين كفروا﴾ ثبتوا واستمروا على كفرهم وعنادهم وهم كفار مكة ﴿لولا﴾ هلا وبالفارسية [چرا] ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﴿آية﴾ عظيمة كائنة ﴿من ربه﴾ [بران وجهي كه ما ميخواهيم] مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام من العصا وإحياء الموتى ونحوهما لكون دليلاً وعلامة على صدقه ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله باقتراح الآيات تعنتا بعد تبين الحق وظهور المعجزات فلا تغني عنه كثرة المعجزات شيئاً إذا لم يهده الله ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من أقبل إلى الحق ورجع عن العناد فضمير إليه راجع إلى الحق.

قال في «القاموس»: ناب إلى الله تاب كأناب، والإضلال خلق الضلالة في العبد والهداية خلق الاهتداء، والدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب مطلقاً، وقد يسند كل منهما إلى الغير مجازاً بطريق السبب والقرآن ناطق بكلا المعنيين فيسند الإضلال إلى الشيطان في مرتبة الشريعة وإلى النفس في مرتبة الطريقة وإلى الله في مرتبة الحقيقة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿الذين آمنوا﴾ بدل ممن أناب أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ [وآرام مى يا بدد لهاى ايشان] ﴿بذكر الله﴾ إذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به ودل في الذكر القرآن فالمؤمنون يستأنسون بالقرآن وذكر الله الذي هو الاسم الأعظم ويحبون استماعها، والكفار يفرحون بالدنيا ويستبشرون بذكر غير الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿ألا﴾ [بدانيدكه] ﴿بذكر الله تطمئن القلوب﴾ قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها فقلوب العوام تطمئن بالتسبيح والثناء وقلوب الخواص بحقائق الأسماء الحسنى وقلوب الأخص بمشاهدة الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿ويقول الذين كفروا﴾ أي: ستروا الحق بالباطل ﴿لولا أنزل عليه﴾ على من يدعو الخلق إلى الحق ﴿آية من ربه﴾ ظاهرة من المعجزات والكرامات كما نزل

على بعضهم ليستدلوا بها على صدق دعواهم ﴿قل الله يضل من يشاء﴾ أن يضله في الأزل بعين الآية ليراها سحراً ويحسبها باطلاً ويرشد إلى حضرة جلاله من يرجع إليه طالباً مشتاقاً إلى جماله.

وفيه إشارة إلى أن الطالب الصادق في الطلب هو من أهل الهداية في الهداية وليس ممن يشاء الله ضلالته في الأزل، وهم الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا بذكر غيره يعني أهل الهداية هم الذين آمنوا.

واعلم أن القلوب أربعة: قلب قاس: وهو قلب الكفار والمنافقين، فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها كقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧]. وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فاطمئنانه بالتوبة ونعيم الجنة كقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن المطيع فاطمئنانه بذكر الله كقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾. وقلب وحداني وهو قلب الأنبياء وخواص الأولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقوله تعالى لخليله عليه السلام في جواب قوله: ﴿كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] باراءتك إياي كيفية إحياء الموتى إذا تتجلى لقلبي بصفة محييك فأكون بك محيي الموتى ولهذا إذا تجلى الله لقلب العبد يطمئن به فينعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه إلى نفسه فتصير النفس مطمئنة به أيضاً فتستحق لجذبات العناية وهي خطاب ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] فافهم جداً انتهى.

قال في «نفائس المجالس» الذكر صيقل القلوب وسبب سرور المحبوب، فمن ذكر الله فالله يذكره كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فالمحجوبون تطمئن قلوبهم بذكرهم له تعالى وأما الواصلون فاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى - روي - أن النبي عليه السلام بعث بعثاً قبل نجد فغنموا ورجعوا، فقال رجل ما رأينا بعثاً أفضل غنيمة وأسرع رجعة من هذا البعث، فقال عليه السلام: «ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس» قال أبو سعيد: خرج رسول الله يوماً على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم»؟ فقالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذلك» قوله آلله بالجر والمد على القسم أي بالله ما أجلسكم قالوا بالله ما أجلسنا إلا ذاك قال: «أما إني لم استحلفكم تهمة ولكن أتاني جبرائيل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة».

فإن قلت: ما تقول فيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إنه سمع قوماً اجتمعوا في المسجد يهللون ويصلون على النبي عليه السلام برفع الصوت جهراً فراح إليهم وقال لهم ما عهدنا هذا على عهد رسول الله وما أراكم إلا مبتدعين فما زال يكرر ذلك حتى أخرجهم من المسجد.

قلت: أجاب عنه صاحب «الرسالة التحقيقية» في طريق الصوفية الشيخ سنبل الخلوتي قدس سره بأنه كذب وافتراء على ابن مسعود لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال الملائكة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾ [البقرة: ١١٤] ولو سلمنا صحة وقوعه فهو لا يعارض الأدلة المذكورة لأنه أثر، والأثر لا يعارض الحديث كما لا يخفى وبطلان الأدلة

يدل على بطلان المدلولات وفي الحديث: «علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله».

واعلم أن نور الذكر قدره على قدر حال الذاكر، وذلك بالفناء في الله والذاكرون على أربعة أصناف.

الصنف الأول: أهل الخلوة ووظيفتهم في اليوم والليلة من الذكر الخفي القوي بالنفي والإثبات والحركة الشديدة سبعون ألف لا إله إلا الله وهؤلاء مشتغلون بالحق لا بغيره.

الصنف الثاني أهل العزلة ووظيفتهم من الذكر الخفي في اليوم والليلة ثلاثون ألف لا إله إلا الله وهؤلاء مشتغلون تارة بالحق وتارة بأنفسهم.

الصنف الثالث أصحاب الأوقات وهؤلاء وظيفتهم من الذكر جهراً وخفية اثنا عشر ألفاً وهؤلاء مشغولون بالحق مرة وبمصالح أنفسهم مرة وبالخلق أخرى.

الصنف الرابع أصحاب الخدمة وهؤلاء وظيفتهم ذكر الجهر على كل حال من الأحوال ليلاً ونهاراً بعد المداومة على الوضوء.

قال بعض الأكابر: من قال في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء لا إله إلا الله ألف مرة بجمع همة وحضور قلب وأرسلها إلى ظالم عجل الله دماره وخرب دياره وسلط عليه الآفات وأهلكه بالعاهات.

قال الشيخ أبو العباس أحمد البوني قدس الله روحه من قال ألف مرة لا إله إلا الله وهو على طهارة في كل صبيحة يسر الله عليه أسباب الرزق من نسبته وكذلك من قالها عند منامه العدد المذكور باتت روحه تحت العرش تتغذى من ذلك العالم حسب قواها. قال المولى الجامي قدس سره:

دلت آيينهٔ خداي نماست روى آيينهٔ توتيره چراست
صيقلى وار صيقلى ميزن باشد آيينه ات شود روشن
صقل آن اكرنهٔ آكاه نيست جز لا إله إلا الله

ومن شرط الذكر أن يأخذه الذاكر بالتلقين من أهل الذكر كما أخذه الصحابة بالتلقين من رسول الله ﷺ ولقن الصحابة التابعين والتابعون المشايخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم القيامة كذا في «ترويح القلوب بلطائف الغيوب» للشيخ عبد الرحمن البسطامي قدس سره الخطير.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الذين جمعوا بين الإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح وهو مبتدأ خبره **﴿طوبى لهم﴾** [زند كانى خوش است ايشانرا] واللام للبيان كما في سلام لك، وهو مصدر من طاب كزلفى وبشرى، أصله طيبي انقلبت الياء واواً لضم ما قبلها كما في موقن.

وفي «التبيان»: غبطة وسرور لهم وفرح وقيل نعم حالهم **﴿وحسن مآب﴾** أي مرجع يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهو الجنة.

وقال بعضهم: طوبى علم الشيء بعينه كما قال كعب الأحبار: سألت رسول الله عن

أشجار الجنة فقال: «إن أكبر أشجارها شجرة طوبى وخيمتي تحتها أصلها من در وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس عليها سبعون ألف غصن أقصى أغصانها يلحق بساق العرش وأدنى أغصانها في سماء الدنيا ليس في الجنة دار ولا بحبوحة ولا قصر ولا قبة ولا غرفة ولا حجرة ولا سرير إلا وفيها غصن منها فتظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين».

قال في «الفتح القريب» أصلها في دار محمد ﷺ ثم تنقسم فروعها على جميع منازل أهل الجنة كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا وقد غرسها الله بيده وينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل، وفيها من جميع الثمار والأزهار والألوان إلا السواد وكل ورقة تظل أمة وعلى كل ورقة منها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح عظيمة الجسد لا يدرك آخرها يسير الراكب الجادّ تحت ظلها مائة عام وقيل ألف عام ما يقطعها.

قال بعض الكبار: المراد بالعمل الصالح التزكية وطوبى لهم بالوصول إلى الفطرة الأصلية وكمال الصفات وحسن مآب بالدخول في جنة القلب أعني جنة الصفات.

قال الحريري: طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة في عمره ورجع إلى ربه بقلبه في وقت من الأوقات.

قال الجنيد: طاب أوقات العارفين بمعرفتهم والعمل الصالح ما أريد به وجه الله تعالى وهو المثمر والمفيد لا غيره.

شاخ بي ميوه كرهمه طوبيست ... ببريدش بميوه پيونديد

فالعمل الذي للجنة ليس لوجه الله تعالى فإنه تعالى لو لم يخلق جنة ولا ناراً كان مستحقاً لأن يعبد.

هرزاهد خشكى چه سزاوار بهشت است ... شايستهٔ آتش شمر آنهاكه چنانند

وفي «التأويلات النجمية» ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يشير إلى الذين غرسوا غرس الإيمان، وهي كلمة لا إله إلا الله في أرض القلب وربوه بماء الشريعة ودهقنة الطريقه وهو الأعمال الصالحة حتى صار شجرة طيبة كما ضرب الله لهذا مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فلما كملت الشجرة وأثمرت الحقيقة كانت ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ وهي الرجوع والإياب إلى الله نفسه لا إلى ما سوا وهذا هو الثمرة الحقيقية يدل عليه قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩] فعلى هذا يشير بطوبى إلى حقيقة شجرة لا إله إلا الله في قلب النبي عليه السلام وفي قلب كل مؤمن منها غصن فافهم جداً. قال الشيخ العطار قدس سره:

هر دو عالم بستهٔ فتراك او ... عرش وكرسي كرده قبله خاك او

پيشواي اين جهان وآن جهان ... مقتداى اشكارا ونهارا

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي مثل إرسالنا الرسل إلى أممهم قبلك يا محمد ﴿أرسلناك في أمة﴾ بمعنى إلى كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] وفي «بحر العلوم» وإنما عدي الإرسال بفي وحقه أن يعدى بإلى؛ لأن الأمة موضع الإرسال ﴿قد خلت﴾ مضت وتقدمت

﴿من قبلها﴾ عائد إلى أمة على لفظها. ﴿أمم﴾ أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إلى أمتك ثم علل الإرسال فقال: ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ ضمير عليهم راجع إلى أمة على معناها، أي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وهو القرآن وما فيه من شرائع الإسلام وتزينهم بحلية الإيمان، فإن المقصود من نزول القرآن هو العمل بما فيه وتحصيل السيرة الحسنة لا التلاوة المحضة والاستماع المجرد فالعامي المتعبد راجل، سالك والعالم المتهاون راكب نائم. قال السعدي: [تلميذ بي ارادت عاشق بي زرست وروندهٔ بي معرفت مرغ بي پرو عالم بي عمل درخت بي بر وزاهد بي علم خانهٔ بي در] ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ حال من فاعل أرسلناك، أي وحالهم إنهم يكفرون بالله الواسع الرحمة، ولا يعرفون قدر رحمته وإنعامه إليهم بإرسالك وإنزال القرآن العظيم عليهم ـ وروي ـ أن أبا جهل سمع النبي عليه السلام وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعني، به مسليمة الكذاب صاحب اليمامة وهي بلدة في البادية فنزلت هذه الآية ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هو﴾ أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته ﴿ربي﴾ خالقي ومتولي أمري ﴿لا إله إلا هو﴾ خبر بعد خبر أي هو مجامع لهذين الوصفين من الربوبية والألوهية فلا مستحق للعبادة سواه ومعنى لا إله إلا هو الواحد المختص بالإلهية ﴿عليه توكلت﴾ إليه أسندت أمري في العصمة من شركم والنصرة عليكم ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره ﴿متاب﴾ مصدر تاب يتوب واصله متابي أي مرجعي ومرجعكم فيرحمني وينتقم لي منكم والانتقام من الرحمن أشد، ولذا قيل نعوذ بالله من غضب الحليم. قال الحافظ:

بمهلتي كه سپهرت دهد زراه مرو   تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كفت

والإشارة: أن الأمم لما كفروا بالله كفروا بالرحمن؛ لأن الرحمانية قد اقتضت إيجاد المخلوقات فإن القهارية كانت مقتضية الواحدية بأن لا يكون معه أحد، فسبقت الرحمانية القهارية في إيجاد المخلوقات ولهذا السر قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣] فأرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب ليقرأوا عليهم ويذكروهم بأيام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء ثم أوجدهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود وهو الذي رب كل شيء وخالقه ولا إله إلا هو وإليه المرجع والمآب كما في «التأويلات النجمية».

يقول الفقير: عبارة الخطاب في أرسلناك للنبي ﷺ فهو المرسل لغة واصطلاحاً وصاحب الوحي والدعوة وإشارته لكل واحد من ورثته الذين هم على مشربه إلى يوم القيامة بحسب كونه مظهراً لإرثه فهو المرسل لغة لا اصطلاحاً وصاحب الإلهام والإرشاد وكما أن لكل زمان صاحب دولة وظهور فكذا له صاحب رحمة وتصرف معنوي، ولذا قال عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأثبت لهم النبوة بمعنى الإخبار عن الله بالإلهام وفي قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ إشارة إلى أن المنعم عليه يجب أن لا يكفر المنعم بل يشكره بالإيمان والاعتقاد كما دل عليه ما قبله، والكفر والانكار من أقبح القبائح كما أن الإيمان والإقرار من أحسن المحاسن ولحسن الظن والاعتقاد الحسن تأثير بليغ ـ روي ـ أن جماعة من السراق نزلوا على أهل رباط فسأل عنهم صاحب الرباط فاستحيوا منه وقالوا نحن الغزاة فهيأ لهم طعاماً وجاءت امرأة بطست ليغسلوا أيديهم قبل الطعام وقالت إن لي بنتاً عمياء أغسلها تبركاً بغسالة

الغزاة فغسلوا فغسلت المرأة وجه ابنتها بها فأصبحت سالمة من العمى.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو أن قرآناً﴾ ـ روي ـ أن نفراً من مشركي مكة معهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قالوا يا محمد إن يسرك أن نتبعك فسير لنا بقرآنك الجبال عن حوالي مكة فإنها ضيقة حتى تتسع لنا الأرض فنتخذ البساتين والمحارث وشقق الأرض وفجر لنا الأنهار والعيون كما في أرض الشام وأحي رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب ليكلمونا ونسألهم عن أمرك أحق ما تقول أم باطل فلما اقترحوا عليه ﷺ هذه الآيات نزل قوله: ﴿ولو أن﴾ الخ وجواب الشرط محذوف كما سيأتي. والمعنى بالفارسية [واكر كتابي بودي كه درين عالم] ﴿سيرت به الجبال﴾ التسيير بالفارسية [برفتن آوردن] أي نقلت من أماكنها واذهبت عن وجه الأرض بالفارسية [رانده شدى بوي كوهها يعني در وقت خواندن وى از مواضع خود برفتي] ﴿أو قطعت به الأرض﴾ شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً. وبالفارسية [يا شكافته شدى بدو زمين چون برو خواندندى] ﴿أو كلم﴾ أحيي ﴿به الموتى﴾ [يا بسخن در آوردندى از بركت خواندن او مرد كانرا] أي لكان هذا القرآن لكونه غاية في الإعجاز ونهاية في التذكير، والمراد منه تعظيم شأن القرآن والرد على المشركين الذين كابروا في كون القرآن آية واقترحوا آية غيرها والتنبيه على أن ما ينفعهم في دينهم خير لهم مما ينفعهم في دنياهم كالزراعة ونحوها مع أن في القرآن تأثيرات وخاصيات أنفسية عجيبة فلو كان لهم استعداد لظهور تلك التأثيرات لسيرت به جبال نفوسهم وقطعت به أرض بشريتهم وأحيى به قلوبهم الموتى ﴿بل﴾ [نه چنانست كه كافران ميكويند بقرآن تويا بفرمان تو بايد اينها واقع شود] ﴿لله الأمر﴾ أي أمر خلقه ﴿جميعاً﴾ فله التصرف في كل شيء وله القدرة على ما أراد وهو قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تنفعهم الآيات ـ روي ـ أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكن خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فاخترت باب الرحمة وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أن يعذبكم عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين» كما في «أسباب النزول» للإمام الواحدي.

واعلم أن الكفار ما أبصروا نور القرآن فعموا عن رؤية البرهان، وكذا أهل الانكار غفلوا عن سر القرآن فحرموا من المشاهدة والعيان. وفي «المثنوي»:

تو ز قرآن اي پسر ظاهر مبين ... ديو آدم رانه بيند جز كه طين

ظاهر قرآن چو شخص آدميست ... كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

ولا شك أن من تخلق بالقرآن الذي هو صفة الله تعالى قدر على ما لم يقدر عليه غيره وفي الحديث: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» أي: لو صور القرآن وجعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركة القرآن فكيف بالمؤمن الحامل له المواظب على تلاوته.

ومن الحكايات اللطيفة أن علياً رضي الله عنه مرض فقال أبو بكر رضي الله عنه لعمر وعثمان رضي الله عنهما إن علياً قد مرض فعلينا العيادة فأتوا بابه وهو يجد خفة من المرض ففرح فرحاً فتموج بحر سخائه فدخل بيته فلم يجد شيئاً سوى عسل يكفي لواحد في طست وهو أبيض وأنور وفيه شعر أسود، فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لا يليق الأكل قبل المقالة فقالوا أنت أعزنا وأكرمنا وسيدنا فقل أولاً فقال: الدين أنور من الطست وذكر الله تعالى أحلى من العسل والشريعة أدق من الشعر فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ الجنة أنور من الطست ونعيمها أحلى من العسل والصراط أدق من الشعر فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ القرآن أنور من الطست وقراءة القرآن أحلى من العسل وتفسيره أدق من الشعر فقال علي ـ رضي الله عنه ـ الضيف أنور من الطست وكلام الضيف أحلى من العسل وقلبه أدق من الشعر نور الله تعالى قلوبنا بنور العرفان وأوصلنا وإياكم إلى سر القرآن آمين يا الله يا رحمن ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾ اليأس قطع الطمع عن الشيء والقنوط منه والاستفهام بمعنى الأمر ـ روي ـ أن طائفة من المؤمنين قالوا يا رسول الله أجب هؤلاء الكفار يعنون كفار مكة إلى ما اقترحوا من الآيات فعسى أن يؤمنوا فقال تعالى أفلم يقنط المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفرة بعد ما رأوا كثرة عنادهم بعد ما شاهدوا الآيات ﴿**أن**﴾ أي علماً منهم أنه ﴿**لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً**﴾ فآمنوا وقد يستعمل اليأس بمعنى العلم مجازاً لأنه مسبب عن العلم بأن ذلك الشيء لا يكون فإن المخففة مع ما في حيزها في محل النصب على أنهار مفعول اليأس بمعنى العلم. والمعنى أفلم يعلم الذين آمنوا أن الله تعالى لا يهدي الناس جميعاً لعدم تعلق مشيئته باهتداء الجميع فيهدي من يشاء ويضل من يشاء بمقتضى قبضتيه الجمالية والجلالية. قال الحافظ:

در كار خانهٔ عشق از كفرنا كزيرست آتش كرا بسوزد كربو لهب نباشد

﴿**ولا يزال الذين كفروا**﴾ بالرحمن وهم كفار مكة ﴿**تصيبهم بما صنعوا**﴾ أي بسبب ما فعلوا من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿**قارعة**﴾ داهية تقرعهم وتفجأهم من القتل والأسر والحرب والجدب وأصل القرع الضرب والصدع، تلخيصه لا يزال كفار مكة معذبين بقارعة ﴿**أو تحل**﴾ القارعة أي تنزل ﴿**قريباً**﴾ [بموضعي نزديك] ﴿**من دارهم**﴾ أي مكة فيفزعون فيها ويقلعون ويتطاير عليهم شرارها ويتعدى إليهم شرورها ويجوز أن يكون تحل خطاباً للنبي عليه السلام فإنه حل بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية فأغار على أموالهم ومواشيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**قارعة**﴾ من الأحكام الأزلية تقرعهم في أنواع المعاملات التي تصدر منهم موجبة للشقاوة وبقوله: ﴿**أو تحل قريباً من دارهم**﴾ يشير إلى أن الأحكام الأزلية تارة تصدر منهم وتارة من مصاحبهم فتوافقوا في أسباب الشقاوة وترافقوا إلى ما أوعدهم الله من درك الشقاء كما قال: ﴿**حتى**﴾ يعني [بلابديشان خواهد رسيد تاوقتى كه] ﴿**يأتي وعد الله**﴾ وهو موتهم أو يوم القيامة أو فتح مكة ﴿**إن الله لا يخلف الميعاد**﴾ لامتناع الخلف لكونه نقصاً منافياً للألوهية وكمال الشيء، والميعاد بمعنى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة، والوعد عبارة عن الأخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ

بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ كاستهزاء قومك بك والتنكير للتكثير أي بجميع الرسل من قبلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠] ومعنى الاستهزاء الاستحقار والاستهانة والأذى والتكذيب ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي للمستهزئين الذين كفروا. والإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان أي مدة طويلة منه في دعة وأمن، كالبهيمة في المرعى أي أطلت لهم المدة في أمن وسعة بتأخير العقوبة ليتمادوا في المعصية ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة بعد الإملاء والاستدراج ﴿فكيف كان﴾ [پس چه ونه بود] ﴿عقاب﴾ عقابي إياهم كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي ولم ير النبي عليه السلام عقوبتهم إلا أنه علم بالتحقيق فكأنه رأى عياناً.

وفي «بحر العلوم» فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتشاهدون أثر ذلك وهذا تعجيب من شدة أخذه لهم سلى رسول الله ﷺ عن استهزائهم به وأذاهم وتكذيبهم واقتراحهم الآيات بأن له في الأنبياء أسوة وأن جزاء ما يفعلون به ينزل بهم كما نزل بالمستهزئين بالأنبياء جزاء ما فعلوا.

وفيه إشارة إلى أن من أمارات الشقاء الاستهزاء بالأنبياء والأولياء وفي الحديث: «من أهان لي» ويروى «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي من أغضب وآذى واحداً من أوليائي فقد حاربني والله أسرع شيء إلى نصرة أوليائه لأن الولي ينصر الله فيكون الله ناصره ـ وروي ـ أن الله تعالى قال لبعض أوليائه: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت راحة نفسك وأما ذكرك إياي فقد تشرفت بي فهل واليت فيّ ولياً وهل عاديت فيّ عدواً، فمحبة أولياء الله تعالى وموالاتهم من أنفع الأعمال عند الله وبغضهم وعداوتهم واستحقارهم والطعن فيه من أضر الأعمال عنده تعالى وأكبر الكبائر [آورده انده كه سپهالارى بود ظالم وباتباع خود بخانهٔ يكى از مشايخ كبار فرود آمد خداوند خانه كفت من منشوري دارم بخانهٔ من فرود ميا كفت منشور بنما شيخ درخانه رفت ومصحفي عزيز داشت ودر پيش آمد وباز كرد اين آيت بر آمدكه] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] [سپهسا لا ركفت من پنداشتم كه منشور أمير داري بدان التفات نكرد ودرخانهٔ شيخ فرود آمد آن شب قو لنجش بكرفت وهلاك شد] قال الصائب:

نتيجهٔ نفس كرم عند ليبانست   كه عمر شبنم كستاخ يكزمان باشد

ولا شك أن مثل هذه المعاملات القبيحة من غلبة أوصاف النفس، فعلى العاقل أن يزكي نفسه عن سفساف الأخلاق حتى يتخلص من قهر القهار الخلاق ألا ترى أن المؤمنين نظروا إلى النبي عليه السلام بعين التعظيم وبدلوا الكبر بالتواضع والفناء ودخلوا في الاستسلام فاستسعدوا بسعادة الدارين وأما الكفرة فعتوا عتواً كبيراً فاستأصلهم الله من حيث لا يحتسبون فشقوا شقاوة أبدية وهكذا حال سائر المؤمنين والمنكرين إلى يوم القيامة فإن الأولياء ورثة الرسول عليه السلام والمعاملة معهم كالمعاملة معه. قال الكمال الخجندي:

مقربان خداانـد وارثـان رسـول   توازخداي چنين دور وازرسولى چيست

﴿أفمن﴾ [يا كسى كه] فمن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء والخبر محذوف والاستفهام بمعنى النفي أي فالله الذي ﴿هو قائم﴾ رقيب ﴿على كل نفس﴾ صالحة أو طالحة ﴿بما كسبت﴾ من خير وشر يحفظه عليها فيجازيها به يعني أراد المجازاة ولم يغفر كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وهذا كقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] أي لا يكون من هو قائم على كل نفس يعلم خيرها وشرها ويجازيها على حسب ذلك كمن ليس بقائم على شيء متناه في العجز والضعف والجهل ومعنى القيام التولي لأمور خلقه والتدبير للأرزاق والآجال وإحصاء الأعمال للجزاء يقال قام فلان إذا كفاه وتولاه ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي الأصنام وهو استئناف، يعني: أن الكفار سووا بين الله وبين الأصنام واتخذوها شركاء له في العبادة وإنما تكون سواء وشركاء فيها لو كانت سواء وشركاء في القيام على كل نفس فما أعجب كفرهم وإشراكهم وتسويتهم مع علمهم التفاوت بينهما أي تعجبوا من ذلك ﴿قل سموهم﴾ بينوا شركاءكم بأسمائهم وصفوهم بصفاتهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة والشركة يشير إلى أن الأسماء مأخذها من الصفات فإن لم تروا منهم شيئاً من صفات الله فكيف تسمونهم كما قال الكاشفي [مراد آنست كه حق را حى وقادر وخالق ورزاق وسميع وبصير وعليم وحكيم ميكويند واطلاق هيچ يك ازين اسما بر اصنام نمى تواندكرد] قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿قل سموهم﴾ من فن الكناية وذلك لأن معنى سموهم عينوا أساميهم، ولما كان تعيين الشي بالاسم من لوازم وجوده جعل عدم التعيين كناية عن عدم وجود الشيء، يعني ليس لهم عندنا أسام يستحقون بها العبادة وإن كانت عندكم فسموهم بها وانظروا هل يستحقون بها ولما لم تكن لهم عندهم أيضاً اسام تقتضي استحقاق العبادة لم يستحقوها ولم يتحقق لهم العبادة والشركة ﴿أم تنبئونه﴾ أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة الإنكارية أي بل أتخبرون الله تعالى ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ أي بما لا وجود له ولا علم الله متعلق بوجوده وهو الشركاء المستحقون للعبادة وهو نفي للملزوم ينفي اللازم بطريق الكناية، أي: لا شريك له ولا علم، إذ لو كان الشريك موجوداً لكان معلوماً لله تعالى لأن علم الله لازم لوجود الشيء وإلا يلزم جهله تعالى الله عن ذلك فإذا لم يكن وجوده معلوماً له وجب أن لا يكون موجوداً لاستلزام انتفاء اللازم ملزومه.

قال في «بحر العلوم» ﴿أم تنبئونه﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم وتعيين أساميهم إلى ذكر تنبئتهم ومعنى الهمز في أم الانكار بمعنى ما كان ينبغي أو لا ينبغي أن يكون ذلك.

وفي «التبيان» تأويل الآية فإن سموهم بصفات الله فقل أتبنئونه بما لا يعلم في الأرض ﴿أم بظاهر من القول﴾ بل تسمونهم شركاء بكلام لا حقيقة له كتسمية الزنجي كافوراً.

وفي «بحر العلوم» هو إضراب عن ذكر تنبئتهم وإخبارهم إلى ذكر تسميتهم الأصنام بشركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى، ومعنى الهمزة في «أم» الإنكار والتعجب كأنه قال دع ذلك المذكور واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن قولهم بالشركاء قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يتفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس لا تدل على معان ولا يتكلم بها عاقل تنفراً منها واستقباحاً ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أنفسهم بتخيلهم أباطيل ثم ظنهم إياها حقاً، وهو اتخاذهم الله شركاء خذلانا من الله. والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله

تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤] أو الله تعالى كقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] وفي الحديث: «بعثت داعياً ومبلغاً وليس لي من الهدى شيء وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء».

حق فاعل وهرچه جز حق آلات بود تأثير زآلت از محالات بود

﴿وصدوا﴾ من الصد وهو المنع ﴿عن السبيل﴾ سبيل الحق ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يضلل الله﴾ يخذله عن سبيله.

قال سعدي المفتي: ولا منع عند أهل السنة أن يفسر الاضلال بخلق الضلال وكذا الهداية يجوز أن تفسر بخلق الاهتداء ﴿فما له من هاد﴾ فما له من أحد يقدر على هدايته ويوفقه لها.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر وسائر ما ينالهم من المصائب والمحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذاباً، وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع يقال عذبته عذباً إذا منعته وسمي الماء عذباً لأنه يمنع العطش، وسمي العذاب عذاباً لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثله فعله.

وفي «التأويلات النجمية» وهو عذاب البعد والحجاب والغفلة والجهل وعذاب عبودية النفس والهوى والدنيا وشياطين الجن والإنس ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأصعب لدوامه وهو عذاب النار وعذاب نار القطيعة وألم البعد وحسرة التفريط في طاعة الله تعالى وندامة الإفراط في الذنوب والمعاصي والحصول على الخسارات والهبوط من الدرجات ونزول الدركات ﴿وما لهم من الله﴾ أي من عذابه ﴿من واق﴾ حافظ ومانع حتى لا يعذبوا. من الثانية زائدة والأولى متعلقة بواق.

وفي «التأويلات» ﴿وما لهم من الله﴾ من خذلان الله في الدنيا وعذاب الله في الآخرة ﴿من واق﴾ يقيهم من الخذلان والعذاب وفي حديث المعراج «ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً فقال يا جبريل ما هذا الصوت قال صوت جهنم تقول يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وغسليني وقد بعد قعري واشتد حري ائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وخبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت رضيت» كما في «الترغيب والترهيب».

وكان ابن مرثد لا تنقطع دموع عينيه ولا يزال باكياً فسئل عن ذلك فقال لو أن الله أوعدني بأني لو أذنبت لحبسني في الحمام أبداً لكان حقيقاً على أنها لا تنقطع دموعي، فكيف وقد أوعدني بأن يحبسني في نار قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أخرى حتى أبيضت ثم أخرى حتى اسودت فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم، فهذه حال المعذب بالنار الصغرى وأما المعذب بالنار الكبرى وهي نار القطيعة والهجر فحاله أشد وأعظم.

بررخ جامى بودبي رويت ازدوزخ درى كرز روضه خازن اندر قبر او روزن كند

نسأل الله العصمة والتوفيق لطريق الحق والتحقيق.

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ من الشرك والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة أي صفتها التي هي كالمثل السائر في الغرابة ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ حال من العائد المحذوف من الصلة والتقدير وعد بها المتقون مقدراً جريان أنهارها أربعة من تحت أشجارها بمقابلة المراتب الأربع التي هي الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة وتعطى هذه الأنهار على الكمال لمن جمع بين هذه المراتب الأربع وهم المقربون وأما غيرهم من الأبرار وأرباب البرازخ فإنهم وإن كانوا يشربون منها لكنهم لا يجدون فيها ما يجده أولئك المقربون من زيادة اللذة لتفاوت معرفتهم بالله.

هر كسى از همت والاي خويش سود برد در خور كالاي خويش

﴿أكلها﴾ [ميوهٔ آن بستان].

قال في «الكواشي» ما يؤكل فيها ﴿دائم﴾ لا ينقطع ولا يمنع منه بخلاف ثمر الدنيا.

﴿وظلها﴾ أي: وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس لأنه لا شمس في الجنة ولا حر ولا برد فالمراد بدوام الظل دوام الاستراحة، وإنما عبر عنه به لندرة الظل عند العرب وفيه معظم استراحاتهم في أرضهم، والمراد بدوام الأكل الدوام بالنوع لا الدوام بالجزء والشخص فإنه إذا فني منه شيء جيء ببدله وهذا لا ينافي الهلاك لحظة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] على أن دوامه مضاف إلى ما بعد دخول الجنة كما يقتضيه سوق الكلام فهلاكه لحظة عند هلاك كل شيء قبل الدخول لا ينافي وجوده وبقاءه بعده.

وفي الآية رد على الجهمية حيث قالوا إن نعم الجنة يفنى ومن مقالات لبيد قبل إسلامه.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ولما أنشده في مجلس من قريش وقال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت ولما قال:

وكل نعيم لا محالة زائل

قال: كذبت لما فهم أنه أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة [أمام قشيري فرموده كه اهل ايمان امروز در ظل رعايتند وفردا در ظل حمايت وعارفان بدنيا وعقبى در ظل عنايت كه پيوسته است]

سايهٔ دولت او در دوجهان جاويدست اي خوش آن بنده كه اين سايه فتدبر سراو

﴿تلك﴾ الجنة التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ مآلهم وعاقبة أمرهم ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ لا غيره فالتقوى طريق إلى الجنة والكفر طريق إلى النار.

والإشارة: أن الله تعالى يشير إلى حقيقة أمر الجنة التي وعدها للمتقين ووصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار وهي أنهار الفضل والكرم ومياه العناية والتوفيق ﴿أكلها دائم﴾ وهي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال ﴿وظلها﴾ أي وهم في ظل هذه المقامات والأحوال التي هي من وجوده لا من شمس وجودهم على الدوام بحيث لا تزول أبداً وتلك الأحوال والمقامات عاقبة من اتقى بالله عما سواه وعاقبة من أعرض عن هذه المقامات والأحوال نار القطيعة والحسرة كما في «التأويلات النجمية». وفي «المثنوي»:

جور دوران وهرآن رنجى كه هست   سهلتر از بعد حق وغفلتست
زانكه اينها بكذرد آن نكذرد   دولت آن دارد كه جان آكه برد

[شبلي ديد زنى راكه ميكريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدي. شبلي كريست وكفت يا ويلاه من فراق الأحد. آن زن كفت چرا چنين ميكويي. شبلي كفت تو كريه ميكنى بر فراق مخلوقي كه هر آينه فإني خواهد شد من چرا كريه نميكنم بر فراق خالقي كه باقي باشد]

فرزند ويا چونكه بميرند عاقبت   اي دوست دل مبند بجز حي لا يموت

عصمنا الله وإياكم من نار البعد والعذاب الأليم وشرفنا بالذوق الدائم والنعيم المقيم.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد المسلمين من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ بجميعه وهو القرآن كله، لأنه من فضل الله ورحمته على العباد ولا شك أن المؤمن الموقن يسره ما جاء إليه من باب الفضل والإحسان ﴿ومن الأحزاب﴾ ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن الأشرف واتباعه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما وبالفارسية [واز لشكرهاى كفر وضلالت] ﴿من ينكر بعضه﴾ وهو ما يخالف شرائعهم.

وفي «الكواشي»: لأنهم وافقوا في القصص وأنكروا غيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما آمن اليهود بسورة يوسف وكفر المشركون بجميعه.

واعلم أن القرآن يشتمل على التكاليف والأحكام وعلى الأسرار والحقائق فالروح والقلب والسر يفرحون بالكل. وأما النفس والهوى والقوى فينكر بعضه لثقل تكاليفه وجهل فوائده اللهم ارفع عنا تعب التكاليف واجعلنا بالقرآن خير أليف واحفظنا من المخالفة والانكار واحشرنا مع أهل القبول والإقرار.

مزن زچون وچرا دم كه بندهٔ مقبل   قبول كرد بجان هر سخن كه جانان كفت

﴿قل﴾ يا محمد في جواب المنكرين ﴿إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي: إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره. وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام لأن الله الحكيم ينزل بحسب ما يقتضيه صلاح أهل العالم كالطبيب يعامل المريض بما يناسب مزاجه من التدبير والعلاج ﴿إليه﴾ أي إلى الله وتوحيده لا إلى غيره ﴿أدعوا﴾ العباد أو أخصه بالدعاء إليه في جميع مهامي ﴿وإليه مآب﴾ أي مرجعي ومرجعكم للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء. فأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكار المخالف فيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلغة أممهم كما قال: ﴿كذلك أرسلناك

في أمة﴾ أو ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها كما هو المشهور في مثله. ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿حكماً﴾ يحكم في كل شيء يحتاج إليه العباد على مقتضى الحكمة والصواب، فالحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطاً من القرآن كان سبباً للحكم فأسند إليه الحكم إسناداً مجازياً ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ويقال حكماً أي محكماً لا يقبل النسخ والتغيير ﴿عربياً﴾ مترجماً بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه، وانتصاب حكماً على أنه حال موطئة وعربياً صفته والحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة لمجيئه قبلها موصوفاً بها - روي - أن المشركين كانوا يدعونه عليه السلام إلى اتباع ملة آبائهم المشركين وكاد اليهود يدعونه إلى الصلاة إلى قبلتهم أي بيت المقدس بعد ما حول عنها فقال تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها لتقرير دينهم جعل ما يدعونه إليه من الدين الباطل والطريق الزائغ هوى، وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هوى محضاً ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ من الدين المعلوم صحته بالبراهين ﴿ما لك من الله﴾ من عذابه ﴿من ولي﴾ ينصرك ﴿ولا واق﴾ يحفظك ويمنع عنك العذاب وهذا خطاب له عليه السلام والمراد تحريض أمته على التمسك بالدين وتحذيره من التزلزل فإنه إذا حذر من كان أرفع منزلة من الكل هذا التحذير، كان غيره أولى بذلك أعانك الله وإياي في كل مقام.

فعلى العاقل أن يسلك طريق العبودية إلى عالم الربوبية ولا يشرك شيئاً من الدنيا والآخرة بل يكون مخلصاً في طلبه، ومن اتبع الشرك بعد ما جاءه من العلم وهو طلب الوحدانية، ببذل الأنانية ما له من الله من ولي يخرجه من ظلمات الاثنينية إلى نور الوحدانية ولا واقٍ يقيه من عذاب البعد وحجاب الشركة في الوجود بالوجود فطريق الخلاص إنما هي العبودية.

قال الامام الفخر الرازي في «الكبير» وقد بلغ شرف العبودية مبلغاً بحيث اختلف العلماء في العبودية والرسالة المستجمعين في المرسلين أيهما أفضل فقالوا إن العبودية أفضل واستدلوا عليه بأنه بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق والعبودية أن يكل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل تعالى بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما هذا آخر كلامه.

والعبودية هي مقام الجمع، والرسالة مقام التفرقة، انظر إلى النبي ﷺ كان في تمحض عبوديته مع ربه كما أخبر عنه «أبيت عند ربي هو يطعمني ويسقيني» وفي حال رسالته يقول: «علميني يا حميراء» لينقطع من الحق إلى الخلق وكفى شرفاً تقديم العبد على الرسول في أشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وفي العبودية معنى الكرامة والتشريف كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. قال الحافظ:

كدايىء ذرجانان بسلطنت مفروش   كسى ز سايهٔ اين در بآفتاب رود

وعن علي رضي الله عنه كفاني شرفاً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً وكما أن الله تعالى هو خالق العبد فكذا لا جاعل للعبد عبداً وذلك برفع هواه إلا هو، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم

مِّنْ أَحَدٍ﴾ [النور: ٢١] أبداً ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] فإن المطهر بالكسر في الحقيقة هو الله تعالى وما سواه أسباب ووسائط.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴿٣٨﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ بشراً مثلك يا محمد وهو جواب لقول قريش إن الرسول لا بد وأن يكون من جنس الملائكة **﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾** أي نساء وأولاداً كما هي لك فلما جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز مثله أيضاً في حقك، وهو جواب لقول اليهود ما نرى لهذا الرجل همة إلا في النساء والنكاح ولو كان نبياً لاشتغل بالزهد والعبادة ـ روي ـ أنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة منكوحة وثلاثمائة سرية ولابنه سليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية فكيف يضر كثرة الأزواج لنبينا عليه السلام.

وفي «التأويلات النجمية» أن الرسل لما جذبتهم العناية في البداية رقتهم من دركات البشرية الحيوانية إلى درجات الولاية الروحانية ثم رقتهم منها إلى معارج النبوة والرسالة الربانية في النهار فلم يبق فيهم من دواعي البشرية وأحكام النفسانية ما يزعجهم إلى طلب الأزواج بالطبيعة والركون إلى الأولاد بخصائص الحيوانية بل جعل لهم رغبة في الأزواج والأولاد على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة في إظهار صفة الخالقية كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٩] انتهى.

وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: الأنبياء زيدوا في القوة بفضل نبوتهم وذلك إن النور إذا امتلأت منه الصدور ففاض في العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواه انتهى.

وفي الحديث: «فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع» وطاف عليه السلام على نسائه التسع ليلة، وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطيب وأطهر وأوتي عليه السلام قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة في الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطي عليه السلام قوة أربعة آلاف رجل، وسليمان عليه السلام قوة مائة رجل وقيل ألف رجل من رجال الدنيا.

قال في «إنسان العيون» لا يخفى أن أزواجه عليه السلام المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة وكان له أربع سراري.

وفي «بستان العارفين» ما تزوج من النساء أربع عشرة نسوة.

وفي «الواقعات المحمدية» إن فخر الأنبياء عليه وعليهم السلام قد تزوج إحدى وعشرين امرأة ومات عن تسع نسوة، قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي عليه السلام، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وتزوج المغيرة بن شعبة ثمانين امرأة.

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما منكاحاً حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وقد قال عليه السلام: «أشبهت خلقي وخلقي».

يقول الفقير: قد تزوج شيخي وسندي روح الله روحه قدر عشرين وجمع بين أربع مهرية

وخمس عشرة سرية، وكان يقول للعامي حين يسأل عن كثرة نكاحه أن لكل أحد ابتلاء في هذه الدار وقد ابتليت بكثرة النكاح ويقول لهذا الفقير في خلوته إنها من أسرار النبوة وخصائص خواص هذه الأمة وأشار به إلى الحديث المشهور «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فهذا العشق والمحبة إنما يكون لأصحاب النفوس القدسية وهم يطالعون في كل شيء ما لا يطالعه غيرهم. ونعم ما قيل:

منعم كنى زعشق وي اي مفتئ زمان معذور دارمت كه تو اورا نديدهٔ

﴿وما كان لرسول﴾ وما صح لواحد منهم ولم يكن في وسعه ﴿أن يأتي بآية﴾ تقترح عليه ﴿إلا بإذن الله﴾ أي بأمره لا باختيار نفسه ورأيه فإنهم عبيد مر بوبون وهو جواب لقول المشركين لو كان رسولاً من عند الله لكان عليه أن يأتي بأي شيء طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف فيه وفيه إشارة إلى أن حركات عامة الخلق وسكناتهم بمشيئة الله تعالى وإرادته وإن حركات الرسل وسكناتهم بإذن الله ورضاه ﴿لكل أجل﴾ وقت ﴿كتاب﴾ حكم مكتوب مفروض يليق بصلاح حال أهله فإن الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب اختلاف الأعصار والأمم، وهو جواب لقولهم لو كان نبياً ما نسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل.

وقال الشيخ في «تفسيره»: أي لكل شيء قضاه الله وقت مكتوب معلوم لا يزاد عليه ولا ينقص منه أو لا يتقدم ولا يتأخر عنه [ياهر أجلى را از آجال خلائق كتابيست نزديك خداي تعالى كه جزوى كسى را بر آجال خلق اطلاع نباشد].

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿يمحو الله ما يشاء﴾ محوه ﴿ويثبت﴾ ما يشاء إثباته فينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما هو خير منه أو مثله ويترك ما يقتضيه حكمته غير منسوخ. أو يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها. أو يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة وذلك لأنهم مأمورون بكتب جميع ما يقول الإنسان ويفعل فإذا كان يوم الاثنين والخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فينفي من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزاء من أحدهما ويترك مكتوباً كما هو، فإن كان في أول الديوان وآخره خير يمحو الله ما بينهما من السيئات وإن لم يكن في أوله وآخره حسنات أثبت ما فيه من السيئات.

واختلف هل يكتب الملك ذكر القلب فسئل سفيان بن عيينة هل يعلم الملكان الغيب؟ فقال: لا فقيل له: فكيف يكتبان ما لا يقع من عمل القلب؟ فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه إذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك فيعلمون ذلك فيثبتونها وإذا هم بسيئة واستقر عليها قلبه فاح منه ريح منتنة. وجعل النووي هذا أي كونهم يكتبون عمل القلب أصح.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبيد في قول أكثرهم انتهى. ويؤيده ما في «ريحان القلوب» أن الذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت وهو خاص به ﷺ ومن له أسوة حسنة انتهى.

يقول الفقير: يحتمل أن الإنسان الكامل لكونه حامل أمانة الله ومظهر أسراره وخير البرية لا يطلع عليه الملك ويطلع على حال غيره بعلامات خفية عن البشر إلزاماً وإحصاء لعمله، كما

قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَنهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] أو يمحو ويثبت في السعادة والشقاوة والرزق والأجل ـ روي ـ عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة لأنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

وفي الأثر أن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام ويكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد إلى ثلاثين سنة.

قال في «التأويلات النجمية» لأجل أهل المشيئة والإرادة في حركاتهم وقت معين لوقوع الفعل فيه وكذا لأهل الإذن والرضى ثم يمحو الله ما يشاء لأهل السعادة من أفاعيل أهل الشقاوة ويثبت لهم من أفاعيل أهل السعادة ويمحو ما يشاء لأهل الشقاوة من أفاعيل أهل السعادة ويثبت لهم من أفاعيل أهل الشقاوة وعنده أم الكتاب الذي مقدر فيه حاصل أمر كل واحد من الفريقين وخاتمتهم فلا يزيد ولا ينقص انتهى.

يقول الفقير: إن التغير والتبدل والمحو والإثبات إنما هو بالنسبة إلى السعادة والشقاوة العارضتين فإنهما تقبلان ذلك بخلاف الأصليتين كما روي أنه عليه السلام قال: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة يدخل الملك على تلك النطفة فيقول يا رب أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله ويكتب الملك فيقول يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ويكتب الملك فيقول عمله ورزقه فيقضي الله ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقض منها» فعلم أن بطن الأم ناظر إلى لوح الأزل فلا يتغير أبداً وأما عالم الحس فناظر إلى اللوح وعلى هذا يحمل قول بعضهم: «إن الله يمحو ما يشاء ويثبت» إلا الشقاوة والسعادة والموت والحياة والرزق والعمر والأجل والخلق والخلق. كما قال السعدي قدس سره:

خوى بد در طبيعتي كه نشست نرهد جز بوقت مرك ازدست

فمعنى زيادة العمر بصلة الرحم أن يكتب ثواب عمله بعد موته، فكأنه زيد في عمره أو هو من باب التعليق أو الفرض والتقدير ويمحو الأحوال ويثبت أضدادها من نحو تحويل النطفة علقة ثم مضغة إلى آخرها، ويمحو الأعمال إذا كان كافراً ثم أسلم في آخر عمره محيت الأعمال التي كانت في حال كفره فأبدلت حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] وإذا كان مسلماً ثم كفر في آخر عمره محيت أعماله الصالحة فلم ينتفع بها كما قال تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] فالله تعالى يمحو الكفر ويثبت الإيمان ويمحو الجهل ويثبت العلم والمعرفة ويمحو الغفلة والنسيان ويثبت الحضور والذكر ويمحو البغض ويثبت المحبة ويمحو الضعف ويثبت القوة ويمحو الشك ويثبت اليقين ويمحو الهوى ويثبت العقل ويمحو الرياء ويثبت الإخلاص ويمحو البخل ويثبت الجود ويمحو الحسد ويثبت الشفقة ويمحو التفرقة ويثبت الجمع على هذا النسق ودليله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] محواً وإثباتاً.

قال الكاشفي: [ابو درداء رضي الله عنه از حضرت نقل ميكندكه چون سه ساعت ازشب باقي ماند حق سبحانه وتعالى نظر ميكند در كتابي كه غير ازو هيچكس دران اطلاع نمى كند هرچه خواهد ازومحو كند وهرچه خواهد ثبت كند در فصول آورده كه محو كند رقوم انكار

ازقلوب أبرار وإثبات كند بجاي آن رموز وأسرار].

وقال الشبلي ـ رحمه الله ـ يمحو ما يشاء من شهود العبودية وأوصافها ويثبت ما يشاء من شهود الربوبية ودلائلها.

وقال ابن عطاء: يمحو الله أوصافهم ويثبت أسرارهم لأنها موضع المشاهدة.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ من الأخلاق الذميمة النفسانية ﴿ويثبت﴾ ما يشاء من الأخلاق الحميدة الروحانية للعوام ويمحو من الأخلاق الروحانية ويثبت من الأخلاق الربانية للخواص ويمحو آثار الوجود ويثبت آثار الجود لأخص الخواص كل شيء هالك إلا وجهه [امام قشيري ميفر ما يدكه محو حظوظ نفساني ميكند وإثبات حقوق رباني يا شهود خلق ميبرد وشهود حق مي آرد يا آثار بشريت محو ميكند وأنوار احديت ثابت ميسازد ازان بنده مى كاهد وازان خود مي افزايد تا چنانچه باول خود بود بآخرهم خود باشد. شيخ الإسلام فرموده كه الهي جلال وعزت نوجاي اشارت نكذاشت محو وإثبات توراه اضافت. برداشت ازان من كاست وازان تو مي فزود بآخرهمان شدكه باول بود]

محنت همه درنهاد آب وكل ماست پيش ازدل وكل چه بود آن حاصل ماست

در عالم نيست خانۀ داشته ايم رفتيم بدان خانه كه سر منزل ماست

﴿وعنده﴾ تعالى ﴿أم الكتاب﴾ العرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل أماً ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة، أي أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل وهو العلم الأزلي الأبدي السرمدي القائم بذاته وقد أحاط بكل شيء علماً بلا زيادة ولا نقصان وكل شيء عنده بمقدار وهو لوح القضاء السابق فإن الألواح أربعة لوح القضاء السابق الخالي عن المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر أي لوح النفوس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول ويتعلق بأسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ، ولوح النفوس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم بشكله وهيئاته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بماثبة خيال العالم، كما أن الأول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه، ثم لوح الهيولى القابل للصور في عالم الشهادة.

وفي «الواقعات المحمودية» اعلم أن اللوح معنوي وصوري. فالصوري ثمانية عشر ألفاً أصغرها في هذا التعين وهو قابل للتغير والتبدل، وقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ناظر إليه. وأما المعنوي: فلا يقبل التغير والتبدل وليس له زمان ولا حجم وما ذكروا من أن اللوح ياقوتة حمراء أطرافه من زبرجد فهو اللوح الصوري. وأما المعنوي ففي علم الله تعالى الأزلي وهو لا يتغير أبداً وقد وقع الكل بإرادة واحدة.

وفي الوجود الإنساني أيضاً لوحان جزئيان معنوي وصوري فالمعنوي الجزئي باب اللوح المعنوي الكلي والصوري للصوري فالصوري ينكشف لأكثر الأولياء، وأما المعنوي فلا يحصل إلا لواحد بعد واحد. وفي موضع آخر منها جميع ما سوى الله تعالى مما كان وما سيكون من إرادة واحدة أزلية لا تكثر فيها ولا تغير ولا تبدل وهي المراد من قوله ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] وأما قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فناظر إلى تعلقات تلك الإرادة الأزلية التي هي من الصفات الحقيقية بالمحدثات على ما تقتضيه حكمته ومن جملتها أفعال العبودية فتصدر منهم بإرادتهم الحادثة واختيارهم الجزئي بمعنى أنهم يصرفون اختيارهم إلى جانب أفعالهم

فيخلقها الله سبحانه فالكسب منهم والخلق من الله فلا يلزم الجبر، والأعمال إعلام فمن قدر له السعادة ختم بالسعادة من قدر له الشقاوة ختم بالشقاوة وفي الحديث: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وفي قوله عليه السلام في الحديث: «فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» وقوله: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» تنبيه على سببية العمل في الجانبين حيث لم يقل فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار أو الجنة بل ذكر العمل أيضاً كما لا يخفى على المتفطن.

واعلم أن الله تعالى علق كثيراً من العطايا على الأعمال الصالحة وأمر العباد بها وفي الحديث «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل».

وفي «الإحياء» إن قيل ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟ قلنا: إن من جملة القضاء كون الدعاء سبباً لرد البلاء واستجلاب الرحمة وصار كالترس فإنه لما كان لرد السهم لم يكن حمله مناقضاً للاعتراف بالقضاء فكذا الدعاء فقدر الله الأمر وقدر سببه.

قال الحسن البصري: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب. وقال: علامة الحقيقة: ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل فعلى العاقل أن يجتهد في أعمال البر ويكف النفس عن الهوى إلى أن يجيء الأجل. قال الكمال الخجندي قدس سره:

بكوش تابكف آرى كليد كنج وجود   كه بي طلب نتوان يافت كوهر مقصود

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وإن ما نرينك﴾ في حياتك يا أفضل الرسل وأصله وإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل **﴿بعض الذي نعدهم﴾** أي مشركي مكة من العذاب والزلازل والمصائب والجواب محذوف أي فذاك شافيك من أعدائك.

پس از مرك آنكس نبايد كريست   كه روزى پس از مرك دشمن بزيست

﴿أو نتوفينك﴾ أي نقبض روحك الطاهرة قبل إراءة ذلك فلا تحزن **﴿فإنما عليك البلاغ﴾** اسم أقيم مقام التبليغ كالأداء مقام التأدية أي تبليغ الرسالة وأداء الأمانة لا غير **﴿وعلينا الحساب﴾** أي مجازاتهم يوم القيامة لا عليك فننتقم منهم أشد الانتقام فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١] يعني لا يتخلصون من عذاب الله مت أو بقيت حياً.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وإن ما نرينك﴾** بالكشف والمشاهدة **﴿بعض الذي نعدهم﴾** وعدناهم من العذاب والثواب قبل وفاتك كما كان ﷺ يخبر عن العشرة المبشرة وغيرهم بدخولهم الجنة وقد أخبر السائل عن أبيه حين قال أين أبوك؟ قال: «أبي وأبوك في النار» وقال ﷺ: «رأيت الجنة وفيها فلان ورأيت النار وفيها فلان» **﴿أو نتوفينك﴾** قبل أن نريك من أحوالهم **﴿فإنما عليك البلاغ﴾** فيما أمرناك بتبليغه ولا عليك القبول فيما تقول **﴿وعلينا الحساب﴾** في الرد والقبول انتهى، وكأن الكفرة قالوا أين ما وعد ربك أن يريك فقال تعالى:

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض﴾ أي: يأتي أمرنا أرض الكفرة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ حال من فاعل نأتي أو من مفعوله أي نفتح ديار الشرك بمحمد والمؤمنين به فما زاد في بلاد الإسلام باستيلائهم عليها جبراً وقهراً نقص من ديار الكفرة، والله تعالى إذا قدر على جعل بعض ديار الكفرة للمسلمين فهو قادر على أن يجعل الكل لهم أفلا يعتبرون ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ محل لا مع المنفى النصب على الحال أي يحكم نافذاً حكمه خالياً عن المعارض والمناقض، وحقيقته الذي يعقب الشيء بالرد والإبطال. والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وذلك كائن لا يمكن تغييره ﴿وهو سريع الحساب﴾ فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد عذاب الدنيا من القتل والإجلاء.

يقول الفقير: نقص الأرض إنما يكون بالفتح المبني على الأمر بالجهاد وهو إنما فرض بالمدينة فالأظهر أن الآية مدنية لا مكية كما لا يخفى، وكون السورة مكية لا ينافيه وقد تعرض من ذهب إلى كونها مكية لاستثناء آيتين كما أشير إليهما في عنوان السورة ولم يتعرض لهذه الآية والحق ما قلنا.

وقال بعضهم: نقص الأرض ذهاب البركة أو خراب النواحي أو موت الناس أو موت العلماء والفقهاء والخيار وفي الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وفي ذكر إذا دون إن إشارة إلى أنه كائن لا محالة بالتدريج.

وقال سلمان رضي الله عنه: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول ولم يتعلم الآخر هلك الناس.

وقال ابن المبارك: ما جاء فساد هذه الأمة إلا من قبل الخواص وهم خمسة العلماء والغزاة والزهاد والتجار والولاة أما العلماء فهم ورثة الأنبياء، وأما الزهاد فعماد الأرض، وأما الغزاة فجند الله في الأرض، وأما التجار فأمناء الله في الأمة، وأما الولاة فهم الرعاة فإذا كان العالم للدين واضعاً للمال رافعاً فبمن يقتدي الجاهل؟ وإذا كان الزاهد في الدنيا راغباً فبمن يقتدي التائب وإذا كان الغازي طامعاً فكيف يظفر بالعدو، وإذا كان التاجر خائناً فكيف تحصل الأمانة، وإذا كان الراعي ذئباً فكيف تحصل الرعاية.

نكند جور پيشه سلطاني كه نيايد ذكرك چوباني

والإشارة ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض﴾ البشرية ﴿ننقصها من أطرافها﴾ من أوصافها بالازدياد في أوصاف الروحانية وأرض الروحانية ننقصها من أخلاقها بالتبديل بالأخلاق الربانية وأرض العبودية ننقصها من آثار الخلقية بإظهار أنوار الربوبية ﴿والله يحكم﴾ من الأزل إلى الأبد ﴿لا معقب﴾ لا مقدم ولا مؤخر ولا مبدل ﴿لحكمه وهو سريع الحساب﴾ فيما قدر ودبر وحكم فلا يسوغ لأحد تغيير حكم من أحكامه.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ تسلية لرسول الله ﷺ أي مكر الذين قبل مشركي مكة بأنبيائهم والمؤمنين بهم كما مكر أهل مكة بمحمد عليه السلام ومكرهم ما أخفوه من تدبير

القتل والإيذاء بهم، مكر نمرود بإبراهيم عليه السلام وبني الصرح وقصد السماء ليقتل رب إبراهيم، ومكر فرعون بموسى عليه السلام واليهود بعيسى عليه السلام وثمود بصالح عليه السلام كما قالوا لنبيتنه وأهله أي لنقتلهم ليلاً ومكر كفار مكة في دار الندوة حين أرادوا قتل النبي ﷺ ﴿فللَّه المكر جميعاً﴾ مكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة.

وفي «الكواشي» أسباب المكر وجزاؤه بيد الله لا يغلبه أحد على مراده فيجازيهم جزاء مكرهم وينصر أنبياءه ويبطل مكر الكافرين إذا هو من خلقه فالمكر جميعاً مخلوق له ليس يضر منه شيء إلا بإذنه ثم بين قوة مكره وكماله بقوله ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فيعد جزاءها.

وفي «التأويلات النجمية» في أهل كل زمان وقرن مكر وهم يمكرون به فللَّه المكر جميعاً فإنه مكر بهم ليمكروا بمكره مكراً مع أهل الحق ليبتليهم الله بمكرهم ويصبروا على مكرهم ثقة بالله إنه هو خير الماكرين. وفي «المثنوي»:

مر ضعيفاً توبي خصمي مدان	از نبي إذ جاء الله بخوان
كرد خود چون كرم پيله برمتن	بهر خودچه ميكنى اندازه كن
كر توپيلى خصم تو از تورميد	نك جزا طيرا ابابيلت رسيد
كر ضعيفي در زمين خواهدامان	غلغل افتد درسپاه آسمان
كر بد ندانش كزى پرخون كنى	در ددندانت بكيرد چون كنى

﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ من الفريقين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت ودخول الجنة.

قال سعدي المفتي: ثم لا يبعد أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ سيعلم الكفار من يملك الدنيا آخراً فاللام للملك انتهى.

فينبغي للمؤمن أن يتوكل على المولى ويعتمد على وعده ويوافقه باستعجال ما عجله واستئجال ما أجله وكما أنه تعالى نصر رسوله فكان ما كان، كذلك ينصر من نصر رسوله في كل عصر وزمان، فيجعله غالباً على أعدائه الظاهرة والباطنة ـ روي ـ أنه عليه السلام أمر في غزوة بدر أن يطرح جيف الكفار في القليب وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث أمر عليه السلام براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى وقف على شفة القليب وجعل يقول «يا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً» فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا روح فيها فقال عليه السلام: «ما أنتم باسمع لما أقول منهم» وفي رواية «لقد سمعوا ما قلت غير إنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً».

وعن قتادة رضي الله عنه أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله توبيخاً لهم وتصغيراً ونقمة وحسرة وكان أبو لهب قد تأخر في مكة وعاش بعد أن جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر أياماً قليلة، ورمى بالعدسة وهي بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه، لأن العدسة

قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدي أشد العدوى، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثاً لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى أنتن فلما خافوا السبة أي سب الناس لهم فعلوا به ما ذكر، وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه فوجد جزاء مكره برسول الله ﷺ وكانت عائشة رضي الله عنها إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها، قال في «النور» وهذا القبر الذي يرجم خارج باب شبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا ووجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن فهذا جزاؤهما في الدنيا وقد مكر الله بهما بذلك فقس على هذا جزاء من استهزأ بدين الله وأهل دينه من العلماء الأخيار والأتقياء الأبرار، وقد مكر بعض الوزراء بحضرة شيخي وسندي في أواخر عمره فأماته الله قبله بأيام فرؤي في المنام وهو منكوس الرأس لا يرفعها حياء مما صنع بحضرة الشيخ اللهم احفظنا واعصمنا من سوء الحال وسيئات الأعمال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ويقول الذين كفروا﴾ يعني مشركي مكة أو رؤساء اليهود فتكون الآية مدنية **﴿لست﴾** يا محمد **﴿مرسلا﴾** فيه إشارة إلى أن من يقول للرسول ﷺ إنه ليس مرسلاً من الله كما قالت الفلاسفة إنه حكيم وليس برسول فقد كفر.

قال في «هدية المهديين»: أما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام فيجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل، فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً.

شمسهٔ نه مسند وهفت اختران ختم رسل وخواجهٔ پيغمبران

﴿قل كفى بالله﴾ الباء دخلت على الفاعل **﴿شهيداً﴾** تمييز **﴿بيني وبينكم﴾** [بآنكه من بيغمبرم بشما] والمراد بشهادة الله تعالى إظهار المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة **﴿ومن عنده أم الكتاب﴾** وهو الذي علمه الله القرآن وعلمه البيان وأراه آيات القرآن ومعجزاته فبذلك علم حقية رسالته وشهد بها وهم المؤمنون فالمراد بالكتاب القرآن.

وعن عبد الله بن سلام أن هذه الآية نزلت فيّ، فالمراد به التوراة فإن عبد الله بن سلام وأصحابه وجدوا نعته عليه السلام في كتابهم فشهدوا بحقية رسالته وكانت شهادتهم أيضاً قاطعة لقول الخصوم، واعلم أن رسول الله ﷺ أرسل إلى الخلق كافة الإنس والجن والملك والحيوان والنبات والحجر. قال العطار قدس سره:

داعئ ذرات بود آن پاك ذات در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

وفي «المثنوي»:

سنكها اندر كف بو جهل بود كفت اين احمد بكواين چيست زود
كر رسولي چيشت درمشتم نهان چون خبر داري زراز آسمان
كفت چون خواهي بكويم آن چهاست يا بكويند آنكه ما حقيم وراست

كفت بـو جـهـل اين دوم نـادر تـرسـت	كـفـت آرى حـق ازان قـادر تـرسـت
ازمـيـان مـشـت اوهـر پـاره سـنـك	در شـهـادت كـفـتـن آمـد بـي درنـك
لا إلــه كــفــت وإلا الله كــفــت	كـوهـر أحـمـد رسـول الله سـفـت
چون شنـيـد از سنكهـا بـو جـهـل اين	زد زخـشـم آن سـنـكـهـارا بـر زمـيـن

وقد أخذ الله تعالى بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله من خواص عباده ولو لم يكن سر الحياة سارياً في جميع العالم لما سبح الحصى ونحوه، وقد ورد «أن كل شي سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلا من كان حياً عالماً وكذا لا يحب إلا من كان كذلك، وقد ورد في حق جبل أحد قوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه».

ثم إن الأكوان مملوءة من أعلام الرسالة وشواهد النبوة ولقد خلق الله العرش الذي هو أول الأجسام وأعظمها، فكتب عليه قبل كل شيء الكلمة الطيبة كما روي أن آدم عليه السلام لما اقترف الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت قال وكيف عرفت محمداً، قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة واضحة خلقة أبدعها الله بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الأول لا إله إلا الله والثاني محمد رسول الله والثالث إن الدين عند الله الإسلام.

وفي «الواقعات المحمودية» كل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا كلمة لا إله إلا الله فإنه غير قابل فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد تمت سورة الرعد في الحادي والعشرين من شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاث ومائة وألف.

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين
وهي إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يشير إلى أن ببركة اسم الله وهو اسم ذاته تبارك وهو الاسم الأعظم ابتدأت بخلق العالمين إظهاراً لصفة الرحمانيته فالرحيمية ليكون عالم الدنيا مظهر صفة رحمانية ولهذا يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك لأن المخلوقات من الحيوان والجماد والمؤمن والكافر والسعيد والشقي عامة ينتفعون في الدنيا بصفة رحمانيته التي على صيغة المبالغة في الرحمة وفي الآخرة لا ينتفع بصفة رحيميته إلا المؤمنون خاصة كما قال ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] كما في «التأويلات النجمية»:

جامى اكر ختم نه برر حمتست بهرچه شد خاتمۀ آن رحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الر﴾ يشير بالألف إلى القسم بآلائه ونعمائه وباللام إلى لطفه وكرمه وبالراء إلى القرآن يعني قسماً بآلائي ونعمائي إن صفة لطفي وكرمي اقتضت إنزال القرآن وهو كتاب الخ كما في «التأويلات النجمية».

وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره أهل السلوك يعرفون المتشبهات على قدر مرتبتهم فمثل قوله تعالى: ﴿ق﴾ و﴿ن﴾ إشارة إلى مرتبة واحدة في ملك وجوده مثل ﴿حم﴾ إشارة إلى مرتبتين ومثل ﴿الم. الر﴾ إشارة إلى ثلاث مراتب ومثل ﴿كهيعص. وحمعسق﴾ إشارة إلى خمس مراتب. وفي البعض إشارة إلى سبع مراتب فقوله عليه السلام: «إن للقرآن ظهراً وبطناً» لا يعرفه غير أهل السلوك وما ذكره العلماء تأويله لا تحقيقه، فمثل القاضي وصاحب الكشاف سلوكهم من جهة اللفظ لا المعنى وكان في تفسير القاضي روحانية لكنه بدعاء عمر النسفي صاحب تفسير التيسير والمنظومة في الفقه وكان هو مدرس الثقلين ـ روي ـ أن شخصاً رأى الامام عمر النسفي بعد موته في المنام فقال كيف كان سؤال منكر ونكير فقال رد الله إلى روحي فسألاني فقلت لهما أخبركما في رد الجواب نظماً أو نثراً فقالا قل نظماً فقلت:

ربي الله لا إله سواه ونبيي محمد مصطفاه
ديني الإسلام وفعلي ذميم اسأل الله عفوه وعطاه

فانتبه ذلك الشخص في المنام وقد حفظ البيتين.

يقول الفقير علم: الحروف المقطعة من نهايات علوم الصوفية المحققين فإنهم إنما يصلون إلى هذا العلم الجليل بعد أربعين سنة من أول السلوك بل أول الفتح، فهو من الأسرار المكتومة ولا بد لطالبه من الاجتهاد الكثير على يدي إنسان كامل. قال الكمال الخجندي قدس سره:

كرت دانستن علم حروفست آرزو صوفي
نخست افعال نيكوكن چه سوداز خواندن اسما
بنا اهل ارنشان دادي كمال ازخاك دركاهش
كشيدي كحل بينايي ولي در چشم نابينا

قال الكاشفي [در شرح تأويلات ازامام مارتيدي مذكوراست كه حروف مقطعة ابتلاست مر تصديق مؤمن وتكذيب كافررا وخداي تعالى بندكانرا بهرچه ميخواهد امتحان كند] ﴿كتاب﴾ أي: القرآن المشتمل على هذه السورة وغيرها كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف.

وفي تفسير «الكاشفي»: [جمعي بر آنندكه اين حروف اسامي قر آندوبدين وجه توان كفت كه الريعني قرآن كتاب] ﴿أنزلناه إليك﴾ يا محمد بواسطة جبرائيل حال كونه حجة على رسالتك بإعجازه يناسب قوله تعالى فيما بعد ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ ثم بين المصلحة في إنزال الكتاب على رسول الله ﷺ بقوله ﴿لتخرج الناس﴾ كافة بدعائك وإرشادك إياهم إلى ما تضمنه الكتاب من العقائد الحقة والأحكام النافعة ﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي: من أنواع الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر والنفاق والشك والبدعة إلى نور الإيمان والإخلاص واليقين والسنة ومن ظلمة الكثرة إلى نور الوحدة ومن ظلمة حجب الأفعال وأستار الصفات إلى نور وحدة الذات ومن ظلمة الخلقية إلى نور تجلي صفة الربوبية وذلك أن الله تعالى خلق عالم الآخرة وهو عالم الأرواح من النور وجعل زبدته روح الإنسان، وخلق عالم الدنيا وهو عالم الأجسام وجعل زبدته جسم الإنسان، وكماأنه تعالى جعل عالم الأجسام حجاباً لعالم الأرواح جعل ظلمات صفات جسم الإنسان حجاباً لنور صفات روح الإنسان وجعل العالمين بظلماتهما وأنوارهما حجاباً لنور صفة الوهيته كما قال ﷺ: «إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليها بصره» وما جعل الله لنوع من أنواع الموجودات استعداداً للخروج من هذه الحجب إلا للإنسان لا يخرج منها أحد إلا بتخريجه إياه منها، واختص المؤمن بهذه الكرامة كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فجعل النبي ﷺ والقرآن من أسباب تخريج المؤمنين من حجب الظلمات إلى النور ﴿بإذن ربهم﴾ أي بحوله وقوته أي لا سبيل له إلى ذلك إلا به وإنما قال ربهم لأنه تعالى مربيهم، وما قال بإذن ربك ليعلم إن هذه التربية من الله لا من النبي عليه السلام كذا في «التأويلات النجمية».

وقال أهل التفسير: الباء متعلق بتخرج أي تخرج منها إليه لكن لا كيف ما كان فإنك لا تهدي من أحببت بل بإذن ربهم فإنه لا يهتدي مهتد إلا بإذن ربه أي بتيسيره وتسهيله ولما كان الإذن من أسباب التيسير أطلق عليه فإن التصرف في ملك الغير متعذر فإذا أذن تسهل وتيسر.

واعلم أن الدعوة عامة الهداية خاصة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥] وإذن الله شامل لجميع الناس في الظلمات إذ المقصود من إيجاد العوالم وإنشاء النشئات كلها ظهور الإنسان الكامل وقد حصل وهو الواحد الذي كالألف وهو السواد الأعظم فلا تقتضي الحكمة اتفاق الكل على الحق لأن لله تعالى جمالاً وجلالاً لا بد لكليهما من أثر.

در كار خانهٔ عشق ز كفرنا كزيرست آتش كرا بسوزد كر بولهب نباشد

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من قوله ﴿إلى النور﴾ بتكرير العامل وإضافة الصراط إلى العزيز وهو الله على سبيل التعظيم له، والمراد دين الإسلام فإنه طريق موصل إلى الجنة والقربة والوصلة، والعزيز الغالب الذي ينتقم لأهل دينه من أعدائهم، والحميد المحمود الذي يستوجب بذلك الحمد من عباده.

وفيه إشارة إلى أن العبور على الظلمات الجسمانية والأنوار الروحانية هو الطريق إلى الله تعالى وهو العزيز الذي لا يصل العبد إليه إلا بالخروج من هذه الحجب وهو الحميد الذي يستحق من كمالية جماله وجلاله أن يحتجب بحجب العزة والكبرياء والعظمة.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿الله﴾ بالجر عطف بيان للعزيز الحميد، لأنه علم للذات الواجب الوجود الخالق للعالم. ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ من الموجودات من العقلاء وغيرهم.

وفيه إشارة إلى أن سير السائرين إلى الله لا ينتهي بالسير في الصفات وهي العزيز الحميد وإنما ينتهي بالسير في الذات وهو الله، فالمكونات أفعاله فمن بقي في أفعاله لا يصل إلى صفاته ومن بقي في صفاته لا يصل إلى ذاته ومن وصل إلى ذاته وصولاً بلا اتصال ولا انفصال بل وصولاً بالخروج من أنانيته إلى هويته تعالى ينتفع به في صفاته وأفعاله. قال الكمال الخجندي قدس سره:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست ازهمه ببر يدنست

وقال المولى الجامي قدس سره:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمت والهمت لنا الهاما

ما را برهان زما وآكاهى ده از سر معيني كه داري باما

﴿وويل﴾ الويل الهلاك.

وقال الكاشفي: [رنج ومشقت] وهو مبتدأ خبره قوله ﴿للكافرين﴾ بالكتاب وأصله النصب كسائر المصادر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه فيقال ويل لهم كسلام عليكم. ﴿من عذاب شديد﴾ من لتبيين الجنس صفة لويل أو حال من ضميره في الخبر أو ابتدائية متعلقة بالويل على معنى أنهم يولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله تعالى: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ محل الموصول الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له. والاستحباب استفعال من المحبة. والمعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الحياة الآخرة الأبدية فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يأخذون ما تعجل فيها تهاوناً بأمر الآخرة وهذا من أوصاف الكافر الحقيقي فإنه يجد ويجتهد في طلب الدنيا وشهواتها ويترك الآخرة بإهمال السعي في طلبها واحتمال الكلفة والمشقة في مخالفة هوى النفس وموافقة الشرع، فينبغي للمؤمن الحقيقي أن لا يرضى باسم الإسلام ولا يقنع بالإيمان التقليدي فإنه لا يخلو عن الظلمات بخلاف الإيمان الحقيقي فإنه نور محض وليس فيه تغيير أصلاً.

كي سيه كردد زآتش روى خوب كونهد كلكونه از تقوى القلوب

﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: ويمنعون الناس عن قبول دين الله.

وفيه إشارة إلى أن أهل الهوى يصرفون وجوه الطالبين عن طلب الله، ويقطعون عليهم طريق الحق في صورة النصيحة ويلومون الطلاب على ترك الدنيا والعزلة والعزوبة والانقطاع عن الخلق للتوجه إلى الحق ﴿ويبغونها﴾ أي ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير، أي يطلبون لها ﴿عوجاً﴾ زيغاً واعوجاجاً، أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة [يعني اين راه كج است وبمنزل مقصود نميرسد]. والزيغ الميل عن الصواب والنكوب الاعراض ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالقبائح المذكورة. ﴿في ضلال بعيد﴾ أي: ضلوا عن طريق الحق ووقعوا عنه بمراحل، والبعد في الحقيقة من أحوال الضال، لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله مجازاً للمبالغة وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وليس في طريق الشيطان فوق من هو ضال ومضل كما أنه ليس في طريق الرحمن فوق من هو مهتد وهاد وقد أشير إلى كليهما في هذه الآيات فإن إنزال الكتاب على رسول الله إشارة إلى اهتدائه به كما قال تعالى في مقام الامتنان ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله لتخرج صريح في هدايته وإرشاده ولكل وارث من ورثته الأكملين حظ أوفى من هذين المقامين وهم المظاهر للاسم الهادي، وقوله تعالى يستحبون ويصدون إشارة إلى الضلال والاضلال وهم ورثة الشيطان في ذلك أي المظاهر للاسم المضل.

فعلى العاقل أن يحقق إيمانه بالذكر الكثير وينقطع من الدنيا وما فيها إلى العليم الخبير.

وسئل سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره عن السنة والفريضة فقال: السنة ترك الدنيا والفريضة الصحبة مع المولى لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا والكتاب كله يدل على صحبة المولى فمن عمل بالسنة والفريضة فقد كملت النعمة في حقه ووجب عليه الشكر الكثير شرفنا الله وإياكم بالسلوك إلى طريق الأخيار والأبرار.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

﴿وما أرسلنا من رسول﴾ [درزاد للسير آورده كه قريش ميكفتند چه حالتست كه همه كتب منزل بلغة عجمي فرود آمده وكتابي كه بمحمد مي آيد عربيست آيت آمدكه] ﴿وما أرسلنا

من رسول﴾ ﴿إلا﴾ ملتبساً ﴿بلسان قومه﴾ لفظ اللسان يستعمل فيها هو بمعنى العضو وبمعنى اللغة والمراد هنا هو الثاني أي بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم [يعني كروهى كه اواز ايشان زاده ومبعوث شده بديشان چه هرپيغمبرى را اول دعوت نزديكان خود بايد كرد] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣] ونحو ذلك ولا ينتقض بلوط عليه السلام فإنه تزوج منهم وسكن فيما بينهم فحصل المقصود الذي هو معرفة قومه بلسانه وديانته، وعمم المولى أبو السعود حيث قال إلا ملتبساً بلسان قومه متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة، سواء بعث فيهم أم لا انتهى ﴿ليبين﴾ كل رسول ﴿لهم﴾ أي لقومه ما دعوا إليه وأمروا بقبوله فيفقهوه عنه بسهولة وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم أولى الناس بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي عليه السلام بإنذار عشيرته أولاً ولقد بعث عليه السلام إلى الناس جميعاً بل إلى الثقلين ولو نزل الله كتبه بألسنتهم مع اختلافها وكثرتها استقل ذلك بنوع من الإعجاز لكن أدى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف، وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في أتعاب النفوس وكذا القرائح فيه من القرب والطاعات المقتضية لجزيل الثواب وأيضاً لما جعله الله تعالى سيد الأنبياء وخيرهم وأشرفهم وشريعته خير الشرائع وأشرفها وأمته خير الأمم وأفضلهم أراد أن يجمع أمته على كتاب واحد منزل بلسان هو سيد الألسنة وأشرفها وأفضلها إعطاء للأشرف الأشرف وذلك هو اللسان العربي الذي هو لسان قومه ولسان أهل الجنة فكان سائر الألسنة تابعاً له كما أن الناس تابع للعرب، مع ما فيه من الغنى عن النزول بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل أي يبعث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله ويترجمون لهم بألسنتهم يقال ترجم لسانه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان كما في «الصحاح».

قال في «لسان العيون»: أما قول اليهود أو بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود أتباع عيسى الأصفهاني أنه عليه السلام إنما بعث للعرب خاصة دون بني إسرائيل وأنه صادق ففاسد لأنهم إذا أسلموا أنه رسول الله وأنه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لأنه ثبت بالتواتر عنه أنه رسول الله لكل الناس ثم قال ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] لأنه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلماً بلغتهم ليفهموا عنه أولاً، ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الأفهام لغير أهل تلك اللغة من الأعاجم بالتراجم الذين أرسلوا إليهم فهو ﷺ مبعوث إلى الكافة وإن كان هو وكتابه عربيين، كما كان موسى وعيسى عليهما السلام مبعوثين إلى بني إسرائيل بكتابيهما العبراني وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل، مع أن من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالأروام فإن لغتهم اليونانية انتهى.

والحاصل أن الإرشاد لا يحصل إلا بمعرفة اللسان ـ حكي ـ أن أربعة رجال عجمي وعربي وتركي ورومي وجدوا في الطريق درهماً فاختلفوا فيه ولم يفهم واحد منهم مراد الآخر فسألهم رجل آخر يعرف الألسنة فقال للعربي أي شيء تريد؟ وللعجمي [چه ميخواهى] وللتركي «نه استرسين» وعلم أن مراد الكل أن يأخذوا بذلك الدرهم عنباً ويأكلوه فأخذ هذا العارف الدرهم منهم واشترى لهم عنباً فارتفع الخلاف من بينهم بسبب معرفة ذلك الرجل

لسانهم ـ وحكي ـ أن بعض أهل الانكار ألحوا على بعض من المشايخ الأميين أن يعظهم باللسان العربي تعجيزاً له وتفضيحاً فحزن لذلك فرأى في المنام رسول الله ﷺ يأمره بما التمسوا منه من الوعظ فأصبح متكلماً بذلك اللسان وحقق القرآن بحقائق عجزوا عنها وقال أمسيت كرديا وأصبحت عربياً. وفي «المثنوي»:

خويش راصافي كن از اوصاف خويش — تـابـبـيـنـي ذات پـاك صـاف خـويـش

بـيـنـي انـدر دل عـلـوم انـبـيـا — بـي كـتـاب وبـي مـعـيـد واوسـتـا

سـر امـسـيـنـا لـكـرديـا بـدان — راز اصـبـحـنـا عـرابـيـا بـخـوان

﴿فيضل الله من يشاء﴾ إضلاله أي: يخلق فيه الكفر والضلال لمباشرة الأسباب المؤدية إليه.

قال الكاشفي: [پس كمراه كرداند خداي تعالى هركه را خواهد يعني فرو كذا ردتاكه كمراه شود] والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء إضلاله لما لا يليق إلا به. ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته أي يخلق فيه الإيمان والاهتداء لاستحقاقه له لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق.

قال الكاشفي: [وراه نمايد هركه را خواهد يعني توفيق دهدتاراه يابد] ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على كل شيء فلا يغالب في مشيئته ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل شيئاً من الاضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي ليتكلم معهم بلسان عقولهم ﴿ليبين لهم﴾ الطريق إلى الله وطريق الخروج من ظلمات أنانيتهم إلى نور هويته ﴿فيضل الله من يشاء﴾ في أنانيته ﴿ويهدي من يشاء﴾ بالخروج إلى هويته ﴿وهو العزيز﴾ أي هو أعز من أن يهدي كل واحد إلى هويته ﴿الحكيم﴾ بأن يهدي من هو المستحق للهداية إليه فمن هذا تحقق إنه تعالى هو الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور لا غيره انتهى.

فعلى العاقل أن يصرف اختياره في طريق الحق ويجتهد في الخروج من بوادي الأنانية فقد بين الله الطريق وأرشد إلى الأسباب فلم يبق إلا الدخول والانتساب.

قال بعض الكبار: النظر الصحيح يؤدي إلى معرفة الحق وذلك بالانتقال من معلوم إلى معلوم إلى أن ينتهي إلى الحق لكن طريق التصور والفكر وأهله لا يتخلص من الأنانية والاثنينية وأما المكاشفة فليس فيها الانتقال المذكور وطريقها الذكر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] كيف قدم الذكر على الفكر فالطريقة الأولى طريقة الإشراقيين والثانية طريقة الصوفية المحققين.

قال الإمام الغزالي ـ كرم الله وجهه ـ: من عرف الله بالجسم فهو كافر ومن عرف الله بالطبيعة فهو ملحد ومن عرف الله بالنفس فهو زنديق ومن عرف الله بالعقل فهو حكيم ومن عرف الله بالقلب فهو صديق ومن عرف الله بالسر فهو موقن ومن عرف الله بالروح فهو عارف ومن عرف الله بالخفي فهو مفرد ومن عرف الله بالله فهو موحد أي بالتوحيد الحقيقي.

طـالـب تـوحـيدرا بـايدقدم بر «لا» زدن — بعد زان در عـالـم وحدت دم «الا» زدن

رنك وبويي از حقيقت كربدست آوردة — چون كل صد برك بايد خيمه بر صحرازدن

وإنما منع الأغيار من شهود الآثار غيرة من الله العزيز القهار.

معشوق عيان ميكذرد برتو وليكن اغيار همي بيند ازان بسته نقابست

ومعنى الوحدة الحاصلة بالتوحيد زوال الوجود المجازي الموهم للاثنينية وظهور الوجود الحقيقي على ما كان عليه.

هرموج ازين محيط أنا البحر ميزند كرصد هزاردست بر آيد دعا يكيست

حققنا الله وإياكم بحقائق التوحيد ووصلنا وإياكم إلى سر التجريد والتفريد وجعلنا من المهديين الهادين وإلى طريق الحق داعين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ ملتبساً **﴿بآياتنا﴾** يعني اليد والعصا وسائر معجزاته الدالة على صحة نبوته **﴿أن﴾** مفسرة لمفعول مقدر للفظ دال على معنى القول مؤد معناه أي أرسلناه بأمر هو **﴿أخرج قومك من الظلمات﴾** من أنواع الضلال التي كلها ظلمات محض كالكفر والجهالة والشبهة ونحوها **﴿إلى النور﴾** إلى الهدى كالإيمان والعلم واليقين وغيرها.

وقال المولى أبو السعود ـ رحمه الله ـ: الآيات معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل والمراد إخراجهم بعد مهلك فرعون من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به انتهى.

يقول الفقير: قد تقرر أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [هود: ٩٦-٩٧] ينادي بأعلى صوته على أن المراد بالآيات غير التوراة وبالقوم القبط وهم فرعون واتباعه وأن الآية محمولة على أول الدعوة ولما كان رسولنا ﷺ مبعوثاً إلى الكافة قال الله تعالى في حقه **﴿لتخرج الناس﴾** ولم يقل لتخرج قومك كما خصص وقال هنالك **﴿بإذن ربهم﴾** وطواه هنا لأن الإخراج بالفعل قد تحقق في دعوته عليه السلام فكان أمته أمة دعوة وإجابة ولم يتحقق في دعوة موسى إذ لم يجبه القبط إلى أن هلكوا وإن أجابه بنو إسرائيل والعمدة في رسالته كان القبط، ومن شأن الرسول تقديم الإنذار حين الدعوة كما قال نوح عليه السلام في أول الأمر. ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [نوح: ٢٥] ولذا وجب حمل قوله تعالى: **﴿وذكرهم بأيام الله﴾** على التذكير بالوقائع التي وقعت على الأمم الماضية قبل قوم نوح وعاد وثمود. والمعنى وعظهم وأنذرهم مما كان في أيام الله من الوقائع ليحذروا فيؤمنوا كما يقال رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم وأيام العرب ملاحمها وحروبها كيوم حنين ويوم بدر وغيرهما.

وقال بعضهم: ذكرهم نعمائي ليؤمنوا بي كما روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن حببني إلى عبادي فقال يا رب كيف أحببك إلى عبادك والقلوب بيدك؟ فأوحى الله تعالى أن ذكرهم نعمائي ومن هنا وجب الكلام عند الكلام بما يرجح رجاءه فيقال له لا تحزن فقد وفقك الله للحج أو للغزو أو لطلب العلم أو نحو ذلك من وجوه الخير ولو لم يرد بك خيراً لما فعله في حقك فهذا تذكير أي تذكير وأيام الله في الحقيقة هي التي كان الله ولم يكن معه شيء من أيام الدنيا ولا من أيام الآخرة.

فعلى السالك أن يتفكر ثم يتذكر كونه في مكنون علم الله تعالى ويخرج من الوجود المجازي المقيد باليوم والليل ويصل إلى الوجود الحقيقي الذي لا يوم عنده ولا ليل **﴿إن في ذلك﴾** إشارة إلى أيام الله **﴿لآيات﴾** عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله وقدرته وعلمه وحكمته **﴿لكل صبار﴾** مبالغ في الصبر على طاعة الله وعلى البلايا **﴿شكور﴾** مبالغ في الشكر على النعم والعطايا كأنه قال لكل مؤمن كامل إذ الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر، وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبر لكون الشكر عاقبته.

آخر هركريه آخر خنده ايست

فالمنذرون المذكورون بالكسر صبروا على الأذى والبلاء فظفروا والعاقبة للمتقين والمنذرون المذكورون بالفتح تمادوا في الغي والضلال فهلكوا ألا بعدا للقوم الظالمين. وفي «المثنوي»:

عاقل از سر بنهد اين هستى وباد　　چون شنيد انجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او　　عبرتي كيرند از اضلال او

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾.

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي اذكر للناس يا أفضل المخلوق وقت قول موسى لقومه، وهم بنو إسرائيل والمراد بتذكير الأوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث المفصلة، إذ هي محيطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشهد معاين **﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون﴾** أي إنعامه عليكم وقت إنجائه إياكم من فرعون وأتباعه وأهل دينه وهم القبط **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** استئناف لبيان انجائهم أو حال من آل فرعون.

قال في «تهذيب المصادر» [السوم: جشانيدن عذاب وخواري] قال الله تعالى: **﴿يسومونكم سوء العذاب﴾** انتهى.

وفي «بحر العلوم» من سام السلعة إذا طلبها والمعنى. يذيقونكم أو يبغونكم شدة العذاب ويريدونكم عليه، والسوء مصدر ساء يسوء وهو اسم جامع للآفات كما في «التبيان» والمراد جنس العذاب السيىء أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر **﴿ويذبحون أبناءكم﴾** المولودين من عطف الخاص على العام كأن التذبيح لشدته وفظاعته وخروجه عن مرتبة العذاب المعتاد جنس آخر ولو جاء بحذف الواو كما في البقرة والأعراف لكان تفسيراً للعذاب وبياناً له، وإنما فعلوا لأن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت بيوت القبط دون بيوت بني إسرائيل فخوفه الكهنة وقالوا له إنه سيولد منهم ولد يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فشمر عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد وأراد أن يدفع القضاء وظهوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

صعوه كه باعقاب سازد جنك　　دهد از خون خود پرش را رنك

﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي يبقون نساءكم وبناتكم في الحياة للاسترقاق والاستخدام وكانوا يفردون النساء عن الازواج، وذلك من أعظم المضار والابتلاء؛ إذ الهلاك أسهل من

هذا. ﴿وفي ذلكم﴾ أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة. ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ أي محنة عظيمة لا تطاق.

فإن قلت: كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم.

قلت: أقدار الله إياهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ويجوز أن يكون المشار إليه الانجاء من ذلك، والبلاء الابتلاء بالنعمة كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] والله تعالى يبلو عباده بالشر ليصبروا فيكون محنة وبالخير ليشكروا فيكون نعمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾

﴿وإذ تأذن ربكم﴾ من جملة مقال موسى لقومه معطوف على نعمة أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن وتأذن بمعنى آذان أي علم أعلاماً بليغاً لا يبقى معه شائبة شبهة أصلاً، لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه تعالى على غايته التي هي الكمال.

وقال الخليل: تأذن لكذا أوجب الفعل على نفسه. والمعنى أوجب ربكم على نفسه ﴿لئن شكرتم﴾ اللام لام التوطئة وهي التي تدخل على الشرط، تقدم القسم لفظاً أو تقديراً لتؤذن أن الجواب له لا للشرط وهو مفعول تأذن على أنه أجرى مجرى قال، لأنه ضرب من القول أو مقول قول محذوف. والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني إسرائيل نعمة الانجاء وإهلاك العدو وغير ذلك وقابلتموها بالثبات على الإيمان والعمل الصالح ﴿لأزيدنكم﴾ نعمة إلى نعمة ولا ضاعفن لكم ما آتيتكم واللام ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً.

قال الكاشفي: [شيخ عبد الرحمن سلمى قدس سره از أبو علي جرجاني قدس سره اكر شكر كنيد بر نعمت اسلام زيادة كنم آنرا بايمان واكر سپاس داري كنيد برايمان افزون كردانم باحسان واكر بران شكر كوييد زيادة ازم آنرا بمعرفت واكر بر آن شاكر باشيد برسانم بمقام وصلت واكر آنرا شكر كوييد بالأبرم بدرجهٔ قربت وبشكران نعمت در آرم بخلوتكاه أنس ومشاهده وازين كلام حقائق اعلام معلوم ميشود كه شكر مرقات ترقى ومعراج تصاعد بر در جاتست]. وفي «المثنوي»:

شكر نعمت نعمتت افزون كند كس زيان بر شكر كفتى چون كند

شكر باشد دفع علتهاى دل سود دارد شاكر از سوداي دل

وقال في «التأويلات»: النجمية ﴿لئن شكرتم﴾ التوفيق ﴿لأزيدنكم﴾ في التقرب إليّ ﴿ولئن شكرتم﴾ التقرب إليّ ﴿لأزيدنكم﴾ في تقربي إليكم ﴿ولئن شكرتم﴾ تقربي إليكم ﴿لأزيدنكم﴾ في المحبة ﴿ولئن شكرتم﴾ المحبة ﴿لأزيدنكم﴾ في محبتي لكم ﴿ولئن شكرتم﴾ محبتي ﴿لأزيدنكم﴾ في الجذبة إليّ ﴿ولئن شكرتم﴾ الجذبة ﴿لأزيدنكم﴾ في البقاء ﴿ولئن شكرتم﴾ البقاء ﴿لأزيدنكم﴾ في الوحدة ﴿ولئن شكرتم﴾ الوحدة ﴿لأزيدنكم﴾ في الصبر على الشكر والشكر على الصبر والصبر على الصبر والشكر على الشكر لتكونوا صباراً شكوراً ﴿ولئن كفرتم﴾ أي لم تشكروا نعمتي وقابلتموها بالنسيان والكفران أي لأعذبنكم فيكون قوله ﴿إن عذابي لشديد﴾ تعليلاً للجواب المحذوف أو فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الأكرمين حيث لم يقل إن عذابي لكم

ونظيره قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

قال سعدي المفتي: ثم المعهود في القرآن أنه إذا ذكر الخير أسنده إلى ذاته تعالى وتقدس وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته إليه وقد جاء التركيب هنا على ذلك أيضاً فقال في الأول ﴿لأزيدنكم﴾ وفي الثاني ﴿إن عذابي لشديد﴾ ولم يأت التركيب لأعذبنكم انتهى.

ثم إن شدة العذاب في الدنيا بسلب النعم وفي العقبى بعذاب جهنم.

وفي «التأويلات النجمية»: إن عذاب مفارقتي بترك مواصلتي لشديد فإن فوات نعيم الدنيا والآخرة شديد على النفوس وفوات نعيم المواصلات أشد على القلوب والأرواح.

قال في «بحر العلوم» لقد كفروا نعمه حيث اتخذوا العجل وبدلوا القول فعذبهم بالقتل والطاعون.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال من رزق ستاً لم يحرم ستاً، من رزق الشكر، لم يحرم الزيادة لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال المولى الجامي:

اكر زسهم حوادث مصيبتي رسدت ... درين نشمين حرمان كه موطن خطرست

مكن بدست جزع خرقهٔ صبوري چاك ... كه فوت اجر مصيبت مصيبت دكرست

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وذلك لأن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته ومن رزق النفقة لم يحرم الخلف لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبا: ٣٩]. وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه دائم بهر پند ... دو فرشته خوش منادى مى كنند

كاي خدايا منفقانرا سير دار ... هر درمشانرا عوض ده صد هزار

اي خدايا ممسكانرا در جهان ... تو مده إلا زيان اندر زيان

فعلى العاقل أن يشكر النعمة ويرجو من الله الملك القادر الخالق الرزاق أن لا يفتر القلب واللسان واليد من الفكر والذكر والانفاق. ولقد ترك بلعم بن باعورا شكر نعمة الإسلام والإيمان فعوقب بالحرمان ونعوذ بالله من الخذلان اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين والمطيعين الصابرين القانعين إنك أنت المعين في كل حين آمين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾.

﴿وقال موسى إن تكفروا﴾ نعمه تعالى ولم تشكروها. ﴿أنتم﴾ يا بني إسرائيل ﴿ومن في الأرض﴾ من الثقلين ﴿جميعاً﴾ حال من المعطوف والمعطوف عليه. ﴿فإن الله﴾ تعليل للجواب المحذوف، أي إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم فإن الله ﴿لغني﴾ عن شكركم

وشكر غيركم ﴿حميد﴾ محمود في ذاته وصفاته وأفعاله لا تفاوت له بإيمان أحد ولا كفره.

قال الكاشفي: [ذرات مخلوقات بنعمت او ناطق والسنهٔ جميع اشيا بتسبيح وحمداو جاري]

بـذكـرش جـمـلـهٔ ذرات كـويـا همـه اورا زروى شـوق جـويـا

قال السعدي قدس سره:

بذكرش هرچه بيني درخروشست دلى داند درين معنى كه كوشست

نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست كه هر خارى بتوحيدش زبانيست

﴿ألم يأتكم﴾ من كلام موسى، استفهم عن انتفاء الإتيان على سبيل الإنكار فأفاد إثبات الإتيان وإيجابه فكأنه قيل أتاكم. ﴿نبأ الذين من قبلكم﴾ أي أخبارهم ﴿قوم نوح﴾ اغرقوا بالطوفان حيث كفروا ولم يشكروا نعم الله، وقوم نوح بدل من الموصول ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح معطوف على قوم نوح. ﴿وثمود﴾ أهلكوا بالصيحة ﴿والذين من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء المذكورين من قوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وغير ذلك، وهو عطف على قوم نوح وما عطف عليه ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ اعتراض أي لا يعلم عدد تلك الأمم لكثرهم ولا يحيط بذواتهم وصفاتهم وأسمائهم وسائر ما يتعلق بهم إلا الله تعالى فإنه انقطعت أخبارهم وعفت آثارهم وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم وكذا في حق النبي عليه السلام لأن أولئك الآباء لا يعلم أحد إلا الله وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد.

وقال في «التبيان» النسابون وإن نسبوا إلى آدم فلا يدعون إحصاء جميع الأمم انتهى.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً أي قرناً لا يعرفون، وقيل أربعون، وقيل سبعة وثلاثون.

وفي «النهر»: لأبي حيان إن إبراهيم عليه السلام هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا عليه السلام.

قال في «إنسان العيون»: كان عدنان في زمن موسى عليه السلام وهو النسب المجمع عليه لنبينا عليه السلام وفيما قبله إلى آدم اختلاف، سبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض.

والجمهور على أن العرب قسمان قحطانية وعدنانية، والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان ثم إن الشيخ عليا السمرقندي رحمه الله قال في تفسيره الموسوم «ببحر العلوم» لقائل أن يقول يشكل بالآية قول النبي ﷺ «إن الله تعالى قد رفع إلي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه جلياً جلاها الله لنبيه كما جلاها للنبيين قبل» لدلالته صريحاً على أن جميع الكوائن إلى يوم القيامة مجلى ومكشوف كشفاً تاماً للأنبياء عليهم السلام والحديث مسطور في «معجم» الطبراني و«الفردوس».

يقول الفقير: إن الله تعالى أعلم حبيبه عليه السلام ليلة المعراج جميع ما كان وما سيكون وهو لا ينافي الحصر في الآية، لقوله تعالى في آية أخرى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ

ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] يعني به جنابه عليه السلام ولئن سلم فالذي علمه إنما هو كليات الأمور لا جزئياتها وكلياتها جميعاً ومن ذلك المقام وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فصح الحصر والله أعلم فاعرف هذه الجملة ﴿جاءتهم رسلهم﴾ ملتبسين ﴿بالبينات﴾ وقال الكاشفي [آوردند] فالباء للتعدية أي بالمعجزات الواضحة التي لا شبهة في حقيتها فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهو استئناف لبيان نبأهم ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به، أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق أوردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة بذلك إلى الرسل إن انكفوا عن مثل هذا الكلام فإنكم كذبة ففي بمعنى على كما في «الكواشي».

وقال قتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم من الكتب والرسالة.

قال المولى أبو السعود ـ رحمه الله ـ: هي البينات التي أظهروها حجة على رسالاتهم ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم ﴿وإنا لفي شك﴾ عظيم ﴿مما تدعوننا إليه﴾ من الإيمان بالله والتوحيد.

قال سعدي المفتي: المراد أما المؤمن به أو صحة الإيمان إذ لا معنى لشكهم في نفس الإيمان.

فإن قلت: الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم إنا كفرنا.

قلت: متعلق الكفر هو الكتب والشرائع التي أرسلوا بها ومتعلق الشك هو ما يدعونهم إليه من التوحيد مثلاً والشك في الثاني لا ينافي القطع في الأول. ﴿مريب﴾ موقع في الريبة وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء، وهي علامة الشر والسعادة [يعني كماني كه نفس را مضطرب ميسازد ودلرارا آم نمى دهد وعقل را شوريده كرداند] وهو صفة توكيدية لشك.

﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾.

﴿قالت رسلهم﴾ استئناف بياني، أي قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء ﴿أفي الله شك﴾ أي: أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما، وهو أظهر من كل ظاهر حتى تكونوا من قبله في شك مريب أي لا شك في الله، أدخلت همزة الانكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا إلى ذلك بقوله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ صفة للاسم الجليل أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات فهما تدلان على كون فاطر فطرهما فإن كينونتهما بلا كون مكون واجب الكون محال لأنه يؤدي إلى التسلسل والتسلسل محال وذلك المكون هو الله تعالى [روزى امام أعظم رحمه الله در مسجد نشسته بود جماعتي اززنادقه در آمدند وقصد هلاك او كردند امام كفت يك سؤال را جواب دهيد بعد ازان تيغ ظلم را آب دهيد كفتند مسئله چيست كفت من سفينه، ديدم پربار كران برروى دريا روان چنانكه هيج ملاحى محافظت نميكرد كفتند اين محالست زيراكه كشتى بي ملاح بريك نسق

رفتن محال باشد كفت سبحان الله سپر جمله‌ء افلاك وكواكب ونظام عالم علوي وسفلي از سيريك سفينه عجب تراست همه ساكت كشتند وأكثر مسلمان شدند] ﴿يدعوكم﴾ إلى طاعته بالرسل والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها وهو ما عدا المظالم وحقوق العباد مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يجبه أي يقطعه ومنع سيبويه زيادة من في الإيجاب وأجازه أبو عبيدة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يدعوكم﴾ من المكونات إلى المكون لا لحاجته إليكم بل لحاجتكم إليه ﴿ليغفر لكم﴾ بصفة الغفارية ﴿من ذنوبكم﴾ التي أصابتكم من حجب ظلمات خلقية السموات والأرض فاحتجبتم بها عنه ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى وقت سماه الله وجعله آخر أعماركم يبلغنكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت فهو مثل قوله عليه السلام «الصدقة تزيد في العمر» فلا يدل على تعدد الأجل كما هو مذهب أهل الاعتزال ﴿قالوا﴾ للرسل وهو استئناف بياني ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم في الصورة والهيئات. ﴿إلا بشر﴾ آدميون ﴿مثلنا﴾ من غير فضل يؤهلكم لما تدعون من النبوة فلم تخصون بالنبوة دوننا، ولو شاء الله أن يرسل إلى البشر رسلاً لأرسل من جنس أفضل منهم وهم الملائكة على زعمهم من حيث عدم التدنس بالشهوات وما يتبعها ﴿تريدون﴾ بدعوى النبوة ﴿أن تصدونا﴾ تصرفونا بتخصيص العبادة بالله ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته وهو الأصنام من غير شيء يوجبه وإن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلاً من جهة الله كما تدعونه ﴿فائتونا﴾ [پس بياريد] ﴿بسلطان مبين﴾ ببرهان ظاهر على صدقكم وفضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة حتى نترك ما لم نزل نعبده أبا عن جد، كأنهم لم يعتبروا ما جاءت به رسلهم من الحجج والبينات واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجاً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قالت لهم رسلهم﴾ زاد لفظ لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد الزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله فإن ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه أي قالوا لهم معترفين بالبشرية ومشيرين إلى منة الله عليهم. ﴿إن﴾ ما ﴿نحن إلا بشر مثلكم﴾ كما تقولون لا ننكره ﴿ولكن الله يمن﴾ ينعم بالنبوة والوحي ﴿على من يشاء من عباده﴾ وفيه دلالة على أن النبوة عطائية كالسلطنة، لا كسبية كالولاية والوزارة ﴿وما كان﴾ وما صح وما استقام ﴿لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ أي بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان المبين بشيء من الأشياء، وسبب من الأسباب. ﴿إلا بإذن الله﴾ فإنه أمر يتعلق بمشيئة الله إن شاء كان وإلا فلا تلخيصه إنما نحن عبيد مربوبون.

ناتواني وعجز لازم ماست قدرت واختيار ازان خداست
كارهارا بحكم راست كند اوتواناست هرچه خواست كند

﴿وعلى الله﴾ دون ما عداه مطلقاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**وما لنا**﴾ أي: أيُّ عذر ثبت لنا ﴿**أن لا نتوكل على الله**﴾ أي في أن لا نتوكل عليه ﴿**وقد هدانا سبلنا**﴾ أي والحال أنه أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وهو موجب للتوكل ومستدع له.

قال في «التأويلات»: وهي الإيمان والمعرفة والمحبة فإنها سبل الوصول ومقاماته انتهى وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب الاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ﴿**ولنصبرن على ما آذيتمونا**﴾ في أبداننا وأعراضنا أو بالتكذيب ورد الدعوة والإعراض عن الله والعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وهو جواب قسم محذوف ﴿**وعلى الله**﴾ خاصة ﴿**فليتوكل المتوكلون**﴾ أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل المسبب عن الإيمان فالأول لإحداث التوكل والثاني للثبات عليه فلا تكرار.

والتوكل تفويض الأمر إلى من يملك الأمور كلها وقالوا المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية الله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في شدة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله.

وفي «التأويلات النجمية» للتوكل مقامات، فتوكل المبتدىء قطع النظر عن الأسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط قطع تعلق الأسباب بالمسبب وتوكل المنتهي قطع التعلق بما سوى الله للاعتصام بالله انتهى.

قال القشيري رحمه الله: ﴿**وما لنا أن لا نتوكل على الله**﴾ وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجوه الإحسان وكفاية ما أظلنا من الامتحان ﴿**ولنصبرن على ما آذيتمونا**﴾ والصبر على البلاء يهون على رؤية المبلى وأنشدوا في معناه.

مر ما مر بي لأجلك حلو ... وعذابي لأجل حبك عذب

قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست ... وكر بقهر براني درون ما صافست

قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده فقطعت يده اليمنى أولاً ضحك، ثم قطعت اليسرى فضحك ضحكاً بليغاً، فخاف أن يصفر وجهه من نزف الدم فاكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه وبدنه وأنشأ يقول:

الله يعلم أن الروح قد تلفت ... شوقاً إليك ولكني أمنيها

ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أشهر إليّ من الدنيا وما فيها

يا قوم إني غريب في دياركمو ... سلمت روحي إليكم فاحكموا فيها

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها ... إلا لعلمي بأن الوصل يحييها

نفس المحب على الآلام صابرة ... لعل مسقمها يوماً يداويها

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا مولاي إني غريب في عبادك وذكرك أغرب مني والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل: قال يا شيخ ما العشق؟ قال: ظهره ما ترى وباطنه دق عن الورى.

ومن لطائف هذه الآية الكريمة ما روى المستغفري عن أبي ذر رفعه إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] الآية ثم قل إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم رشه حول فراشك فإنك تبيت آمنا من شرهم.

ولابن أبي الدنيا في التوكل له، أن عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية.

قال زرعة بن عبد الله: أحد رواته وينفع من البراغيث كذا في «المقاصد الحسنة».

قال بعض العارفين: إن مما أخذ الله على الكلب إذا قرىء عليه ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] لم يؤذ ومما أخذ الله على العقرب أنه إذا قرىء عليها ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] لم تؤذ ومما أخذ الله على البراغيث **﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله﴾** الآية ومن أراد الأمن من شرها فليأخذ ماء ويقرأ عليه هذه الآية سبع مرات ثم ليقل سبع مرات إن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم عنا أيتها البراغيث ويرشه حول مرقده.

غنيمت شمارند مردان دعا   كه جوشن بود پيش تيربلا

﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ من مدينتنا وديارنا **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** عاد بمعنى صار والظرف خبر أي لتصيرن في أهل ملتنا فإن الرسل لم يكونوا في ملتهم قط إلا أنهم لما لم يظهروا المخالفة لهم قبل الاصطفاء اعتقدوا أنهم على ملتهم فقالوا ما قالوا على سبيل التوهم أو بمعنى رجع والظرف صلة والخطاب لكل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد أي لتدخلن في ديننا وترجعن إلى ملتنا وهذا كله تعزية للنبي عليه السلام ليصبر على أذى المشركين كما صبر من قبله من الرسل **﴿فأوحى إليهم﴾** أي: إلى الرسل **﴿ربهم﴾** مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة بحيث انقطع الرجاء عن إيمانهم، وقال: **﴿لنهلكن الظالمين﴾** أي المشركين فإن الشرك لظلم عظيم.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أي أرض الظالمين وديارهم **﴿من بعدهم﴾** أي من بعد إهلاكهم عقوبة لهم على قولهم لنخرجنكم من أرضنا وفي الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» قال الزمخشري في «الكشاف» ولقد عاينت هذه في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في داره ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله ﷺ: «من آذى جاره ورثه الله داره» وحدثتهم وسجدنا شكر الله تعالى. قال السعدي قدس سره:

تحمل كن أي ناتوان از قوى   كه روزى تواناتر ازوى شوى

لب خشك مظلوم ركو بخند   كه دندان ظالم بخواهند كند

﴿ذلك﴾ إشارة إلى الموجب به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر والوعد محقق ثابت **﴿لمن خاف﴾** الخوف غم يلحق لتوقع المكروه **﴿مقامي﴾** موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة يقومون ثلاثمائة عام لا

يؤذن لهم فيقعدون أما المؤمنون فيهوّن عليهم كما يهوّن عليهم الصلاة المكتوبة ولهم كراسي يجلسون عليها ويظلل عليهم الغمام ويكون يوم القيامة عليهم ساعة من نهار.

قال في «التأويلات لنجمية» العوام يخافون دخول النار والمقام فيها والخواص يخافون فوات المقام في الجنة لأنها دار المقامة، وأخص الخواص يخافون فوات مقام الوصول **﴿وخاف وعيد﴾** بحذف الياء اكتفاء بالكسرة أي وعيدي بالعذاب وعقابي. والمعنى أن ذلك حق لمن جمع بين الخوفين أي للمتقين كقوله: **﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأعراف: ١٢٨].

﴿واستفتحوا﴾ معطوف على فأوحى والضمير للرسل أي استنصروا الله وسألوه الفتح والنصرة على أعدائهم أو للكفار **﴿وخاب كل جبار عنيد﴾** أي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخسر وهلك عند نزول العذاب قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان من المطلوب وإن كان الاستفتاح من الكفرة فهي بمعنى الحرمان من المطلوب غب الطلب وهو أوقع حيث لم يحصل ما توقعوه لأنفسهم إلا لأعدائهم وهذا كمال الخيبة التي عدم نيل المطلوب وإنما قيل **﴿وخاب كل جبار عنيد﴾** ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم تصبهم الخيبة والجبار الذي يجبر الخلق على مراده والمتكبر عن طاعة الله والمتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله. والعنيد بمعنى المعاند الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله أو المجانب للحق المعادي لأهله.

وقال الكاشفي: [نوميد ماند وبى بهره كشت از خلاص هر كرد نكشى كه ستيزنده شود بحق يا معرض از طاعت او].

قال الإمام الدميري في «حياة الحيوان»: حكى الماوردي في كتاب «أدب الدنيا والدين» أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج قوله تعالى: **﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾** فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث أياماً حتى قتل شرّ قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده انتهى.

قال في «إنسان العيون»: مروان كان سبباً لقتل عثمان رضي الله عنه وعبد الملك ابنه كان سبباً لقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأمور الفظيعة انتهى.

يقول الفقير: رأى رسول الله ﷺ بني أمية في صورة القردة فلعنهم فقال: «ويل لبني أمية» ثلاث مرات ولم يجيء منهم الخير والصلاح إلا من أقل القليل وانتقلت دولتهم بمعاونة أبي مسلم الخراساني إلى آل العباس وقد رآهم رسول الله ﷺ يتعاورون منبره فسره ذلك وتفصيله في كتاب «السير والتواريخ».

﴿من ورائه جهنم﴾ هذا وصف حال كل جبار عنيد وهو في الدنيا أي بين يديه وقدامه فإنه معد لجهنم واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة أو من وراء حياته وهو ما بعد الموت فيكون وراء بمعنى خلف كما قال الكاشفي: [ازپس او دورخست يعني در روز حشر رجوع أو بدان خواهد بود] وحقيقته ما تواري عنك واحتجب واستتر فليس من الأضداد بل هو موضع لأمر عام يصدق على كل من الضدين.

وقال المطرزي: في الوراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي، وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى خلف وقدام وقد يستعار للزمان. ﴿ويسقى﴾ عطف على مقدر جواباً عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون إذن، فقيل يلقى فيها ويسقى ﴿من ماء﴾ مخصوص لا كالمياه المعهودة ﴿صديد﴾ هو القيح المختلط بالدم أو ما يسيل من أجساد أهل النار وفروج الزناة وهو عطف بيان لماء أبهم أولاً ثم بين بالصديد تعظيماً وتهويلاً لأمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه أو صفة عند من لا يجيز عطف البيان في النكرات وهم البصريون فإطلاق الماء عليه لكونه بدله في جهنم ويجوز أن يكون الكلام من قبيل زيد أسد فالماء على حقيقته كما قال أبو الليث ويقال ماء كهيئة الصديد وفي الحديث: من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران وبعث من قبره سكران وأمر به إلى النار سكران فيها عين يجري منها القيح والدم هو طعامهم وشرابهم ما دامت السماوات والأرض.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يتجرعه﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه وفي التفعل تكلف ومعنى التكلف أن الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته كتشجع، إذ معناه استعمل الشجاعة وكلف نفسه إياها لتحصل فالمعنى. لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لا بمرة واحدة لمرارته وحرارته ورائحته المنتنة. ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي لا يقارب أن يسيغه ويبتلعه فضلاً عن الإساغة بل يغص به فيشربه باللتيا والتي، جرعة غب جرعة، فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش، وأخرى بشربه على تلك الحال فإن السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس، ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعاً وفي الحديث: «إنه يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره» ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: أسبابه من الشدائد والآلام ﴿من كل مكان﴾ ويحيط به من الجهات الست فالمراد بالمكان الجهة أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله وهذا تفظيع لما يصيبه من الألم أي لو كان ثمة موت لكان واحد منها مهلكاً ﴿وما هو بميت﴾ أي والحال أنه ليس بميت حقيقة فيستريح ﴿ومن ورائه﴾ من بين يديه أي بعد الصديد.

وقال الكاشفي: [ودرپس اوست باوجود چنين محنتى كه] ﴿عذاب غليظ﴾ لا يعرف كنهه أي يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله ففيه رفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتبار كما في عذاب الدنيا.

وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها على الأجساد ولذا جاء الصلب أشد أنواع العذاب نعوذ بالله. واستثنى من شدة العذاب عما النبي عليه السلام أبو لهب وأبو طالب.

أما أبو لهب فكان له جارية يقال لها ثويبة وهي أول من أرضعته عليه السلام بعد إرضاع أمه له فبشرته بولادته عليه السلام وقالت له أشعرت أن آمنة ولدت ولداً وفي لفظ غلاماً لأخيك عبد الله، فأعتقها أبو لهب وقال أنت حرة، فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بأن يسقى ماء في جهنم في تلك الليلة أي ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والإبهام.

وفي «المواهب» رؤي أبو لهب بعد موته في المنام فقيل له ما حالك؟ قال في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعيه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي ﷺ بإرضاعها له كذا في «إنسان العيون».

وأما أبو طالب، فقال العباس رضي الله عنه: قلت يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك قال: «نعم هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» وفي الحديث: «إن الكافر يخفف عنه العذاب بالشفاعة» لعل هذا يكون مخصوصاً بأبي طالب كما في شرح المشارق لأبي الملك.

قال في «إنسان العيون» قبول شفاعته عليه السلام في عمه أبي طالب عدّ من خصائصه عليه السلام فلا يشكل بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية» يعني أخاه من الرضاعة من حليمة ويجوز أن يكون ذكر شفاعته لأبويه كان قبل إحيائهما وإيمانهما به وكذا لأخيه فإنه كان قبل أن يسلم وقد صح أن حليمة وأولادها أسلموا انتهى، الكل في «الإنسان» وفي الحديث: «يقال لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفدي به؟ فيقول نعم فيقال أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فما أردت أن لا تشرك بي شيئاً» كما في «المصابيح».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ أي: صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **﴿أعمالهم كرماد﴾** كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب أو خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم مثلهم، وقوله أعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد **﴿اشتدت به الريح﴾** الاشتداد هنا بمعنى العدو والباء للتعدية أي حملته وأسرعت في الذهاب به.

وقال الكاشفي: [همچو حا كنستريست كه سخت بكذر دبروباد] **﴿في يوم عاصف﴾** ريحه أي شديد قوي فحذفت الريح ووصف اليوم بالعصوف مجازاً كقولك يوم ماطر وليلة ساكنة وإنما السكون لريحها. **﴿لا يقدرون﴾** يوم القيامة **﴿مما كسبوا﴾** في الدنيا من أعمال الخير **﴿على شيء﴾** ما أي لا يرون له أثراً من ثواب وتخفيف عذاب كما لا يرون أثراً من الرماد المطير في الريح **﴿ذلك﴾** أي: ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم. يعني كفرهم وأعمالهم المبنية عليه وعلى التفاخر والرياء مع حسبانهم محسنين وهو جهل مركب وداء عضال حيث زين لهم سوء أعمالهم فلا يستغفرون منها ولا يتوبون بخلاف عصاة المؤمنين ولذا قال **﴿هو الضلال البعيد﴾** صاحبه عن طريق الحق والصواب بمراحل أو عن نيل الثواب فأسند البعد الذي هو من أحوال الضال إلى الضلال الذي هو فعله مجازاً مبالغة، شبه الله صنائع الكفار من الصدقة وصلة الرحم وعتق الرقاب وفك الأسير وإغاثة الملهوفين وعقر الإبل للأضياف ونحو ذلك مما هو من باب المكارم في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف [يعني مانند توده

خاكسرست كه بادسخت بران وزد بهوا برده در أطراف پرا كنده سازد وهيچ كس برجمع آن قادر نبود وازان نفع نكيرد] فكما لا ينتفع بذلك الرماد المطير كذلك لا ينتفع بالأعمال المقرونة بالكفر والشرك.

ففيه رد أعمال الكفار وأعمال أهل البدع والأهواء لاعتقادهم السوء فدل على أن الأعمال مبنية على الإيمان وهو على الاخلاص.

[كرنباشد نبيت خالص چه حاصل از عمل].

روى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ أي أخا أبي جهل بن هشام أتى النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعني والده فما ظنك به يا رسول الله فقال عليه السلام: «كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إليّ فجعله في ضحضاح من النار» أي: مقدار ما يغطي قدميه وهذا مخصوص بأبي طالب كما سبق ـ حكي ـ أن عبد الله بن جدعان وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها كان في ابتداء أمره صعلوكاً وكان مع ذلك شريراً فاتكاً يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته فخرج هائماً في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقاً في جبل فلما قرب منه حمل عليه ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين فلما تأخر انساب أي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب منه وأمسك بيده فإذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالاً من الملوك ووجد في ذلك المحل أموالاً كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم اعلم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيئاً فشيئاً ووجد في ذلك الكنز لوحاً من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك منجياً من الموت.

جهان أي پسر ملك جاود نيست زدنيا وفاداري اميد نيست

نه بر باد رفتى سحركاه وشام سرير سليمان عليه السلام

بآخر نديدي كه برباد رفت خنك آنكه بادانش وداد رفت

ثم بعث عبد الله بن جدعان إلى أبيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف، وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق أي مات قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال «لا لأنه لم يقل يوماً يا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» أي لم يكن مسلماً لأنه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن كما في «إنسان العيون» ـ روي ـ لما أتى عليه السلام بسبايا طيئ وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط إني بنت حاتم طي فقال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين

حقاً ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه وقال: خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق».

قال في «أنيس الوحدة»: وجليس الخلوة قيل لما عرج النبي عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده. قال السعدي:

كنون بركف دست نه هرچه هست	كه فردا بدندان كزى پشت دست
مكردان غرب ازدرت بي نصيب	مباداكه كردى بدرها غريب
نه خواهندهٔ بر در ديكران	بشكران خواهنده از درمران
پريشان كن امروز كنجينه چست	كه فردا كليدش نه دردست تست

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ألم تر﴾ خطاب لرسول الله ﷺ والمراد أمته بدليل يذهبكم والأمة أمة الدعوة والرؤية رؤية القلب.

وفي «التأويلات النجمية» يخاطب روح النبي ﷺ فإن أول ما خلق الله روحه ثم خلق السماوات والأرض وروحه ناظر مشاهد خلقتها، أي: ألم تعلم أو لم تنظر والاستفهام للتقرير أي قدر رأيت ﴿أن الله خلق السموات والأرض﴾ قال في «بحر العلوم» آثار فعل الله بالسموات والأرض وسعة الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة. ﴿بالحق﴾ ملتبسة بالحكمة البالغة والوجه الصحيح الذي ينبغي أن يخلق عليه لا باطلاً ولا عبثاً. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يعدمكم بالكلية أيها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أي يخلق بدلكم خلقاً آخر من جنسكم آدميين أو من غيره خيراً منكم وأطوع لله.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها الناس المستعد لقبول فيض اللطف والقهر ﴿ويأت بخلق جديد﴾ مستعد لقبول فيض لطفه وقهره من غير الإنسان انتهى.

رتب قدرته على ذلك على خلق السماوات والأرض على هذا النمط البديع إرشاداً إلى طريق الاستدلال فإن من قدر على خلق مثل هاتيك الأجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال:

﴿وما ذلك﴾ أي إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم ﴿على الله بعزيز﴾ بمتعذر أو متعسر، بل هو هين عليه يسير فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

كار اكر مشكل اكر آسانست   همه درقدرت او يكسانست

ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويعبد ويرجى ثوابه ويخشى عقابه.

والآية تدل على كمال قدرته تعالى وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة.

وفي «صحيح البخاري ومسلم» عن أبي موسى «لا أحد اصبر على أذى سمعه من الله إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم» ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر.

فعلى العاقل أن يخشى الله تعالى على كل حال فإنه ذو القهر والكبرياء والجلال.

وعن جعفر الطيار ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع النبي ﷺ في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامي إلى رسول الله قل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت بخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء، ثم إن هذا التهديد في الآية إنما نشأ من الكفر والمعصية ولو كان مكانهما الإيمان والطاعة لحصل التبشير وكل منهما جار إلى يوم القيامة.

وعن إسماعيل المحاملي قال رأيت في المنام كأني على فضاء من الأرض انظر شرق الأرض وغربها وكأن شخصاً نزل من السماء فبسط يمينه وشماله إلى أطراف الأرض فجمع بكلتا يديه شيئاً من وجه الأرض ثم ضمهما إلى صدره وارتفع إلى السماء ثم نزل كذلك وفعل كالأول ثم نزل في المرة الثالثة وبسط يديه وهم بأن يجمع شيئاً ثم ترك وأرسل يديه ولم يأخذ. وهمّ بالصعود فقال ألا تسألني فقلت بلى من أنت قال أنا ملك أرسلني الله في المرة الأولى أن أخذ الخير والبركة عن وجه الأرض فأخذت، وفي الثانية أن أخذ الشفقة والرحمة، فأخذت وفي الثالثة أن آخذ الإيمان فنوديت أن محمداً يشفع إليّ وإني قد شفعته فلا أسلب الإيمان من أمته فاترك فتركت فصعد إلى السماء ويداه مرسلتان كذا في «زهرة الرياض» وعند قرب القيامة يسلب الله الإيمان والقرآن فيبقى الناس في صورة الآدميين دون سيرتهم ثم يذهبهم الله جميعاً ويظهر أن العزة والملك لله تعالى. قال الجامي:

باغير او اضافت شاهى بود چنانك   بريك دو چوب پاره ز شطرنج نام شاه

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وبرزوا﴾ أي: بزر الموتى من قبورهم يوم القيامة إلى أرض المحشر أي يظهرون ويخرجون عند النفخة الثانية حين تنتهي مدة لبثهم في بطن الأرض، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه ﴿لله﴾ أي لأمر الله ومحاسبته فاللام تعليلية، وصلة برزوا محذوفة أي برزوا من القبور الموتى ﴿جميعاً﴾ أي جميعهم من المؤمنين والكافرين، كما في «تفسير الكاشفي» أو القادة والاتباع اجتمعوا للحشر والحساب وهذا كقوله ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] كما في «تفسير أبي الليث» ﴿فقال الضعفاء﴾ الاتباع والعوام جمع ضعيف والضعف خلاف القوة، وقد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال وفي الرأي والمناسب للمقام هو الأخير فإنه لو كان في رأيهم قوة لما اتبعوهم في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم.

يقول الفقير في هذه الشرطية نظر لأنه ربما يكون الرجل قوة رأي وجودة فكر مع إنه لا يستقل به لكونه ضعيف الحال خائفاً من سطوة المتغلبة من أهل الكفر والضلال فالأولى أن

يكون الضعيف بمعنى المستذل المقهور كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥] **﴿للذين استكبروا﴾** أي لرؤسائهم المستكبرين الخارجين عن طاعة الله **﴿إنا كنا﴾** في الدنيا **﴿لكم تبعاً﴾** جمع تابع كخدم جمع خادم وهو المستن بآثار من يتبعه أي تابعين في تكذيب الرسل والأعراض عن نصائحهم مطيعين لكم فيما أمرتمونا به. **﴿فهل أنتم﴾** [پس هيچ هستيد شما] **﴿مغنون﴾** دافعون **﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾** من الأولى للبيان واقعة موقع الحال قدمت على صاحبها لكونه نكرة والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله والفاء للدلالة على سببية الاتباع للأغناء، والمراد التوبيخ والعتاب لأنهم كانوا يعلمون أنهم لا يغنون عنهم شيئاً مما هم فيه **﴿قالوا﴾** أي المستكبرون جواباً عن معاتبة الاتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم يا قوم **﴿لو هدانا الله﴾** إلى الإيمان ووفقنا له **﴿لهديناكم﴾** ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا.

وقال الكاشفي: [اكر خداي تعالى نمودى طريق نجات را از عذاب هر آيينه ما نيز شمرا راه مينموديم بدان أما طرق خلاصي مسدود است وشفاعت ما درين دركاه مردود].

وفي «التأويلات النجمية» **﴿قالوا﴾** يعني أهل البدع للمتقلدة **﴿لو هدانا الله﴾** إلى طريق أهل السنة والجماعة وهو الطريق إلى الله وقربته **﴿لهديناكم﴾** إليه وفيه إشارة إلى أن الهداية والضلالة من نتائج لطف الله وقهره ليس إلى أحد من ذلك شيء فمن شاء جعله مظهراً لصفات لطفه ومن شاء جعله مظهراً لصفات قهره. قال الحافظ:

درين چمن نكنم سر زنش بخودرويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

﴿سواء علينا أجزعنا﴾ في طلب النجاة من ورطة الهلاك والعذاب والجزع عدم الصبر على البلاء. **﴿أم صبرنا﴾** على ما لقينا انتظاراً للرحمة أي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء ففيه إقناط الضعفاء، والهمزة وأم لتأكيد لتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا **﴿ما لنا من محيص﴾** من منجي ومهرب من العذاب. وبالفارسية [كريز كاهى وپناهى] من الحيص وهو العدول على جهة الفرار يقال حاص الحمار إذا عدل بالفرار.

وفي «التأويلات»: **﴿ما لنا من محيص﴾** من مخلص للنجاة لأنه ضاع منا آلة النجاة وأوانها ويجوز أن يكون قوله سواء علينا كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً ويؤيده أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر أي رجاء أن يرحمهم الله بصبرهم على العذاب كما رحم المؤمنين بصبرهم على الطاعات فيصبرون كذلك فلا ينفعهم [يعني ازهيچ يك فائده نمى رسد] فعند ذلك يقولون ذلك. قال السعدي قدس سره:

فراشو چو بيني در صلح باز كه ناكه درتوبه كردد فراز

توپيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد دفغان زير چوب

كنون كردبايد عمل را حساب نه روزي كه منشور كردد كتاب

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وقال الشيطان﴾ الذي أضل الضعفاء والمستكبرين ﴿لما قضي الأمر﴾ أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أو أمر أهل السعادة بالسعادة وأمر أهل الشقاوة بالشقاوة.

قال الكاشفي: [تمامت دوز خيان مجتمع شده زبان ملامت بر إبليس دراز كنند إبليس برمنبر آتشين برآيد وكويد باشقياء أنس كه اي ملامت كنندكان] ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ [وعده راست ودرست كه حشر وجزا خواهد بود] فوفى لكم بما وعدكم ﴿ووعدتكم﴾ أي وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب، ولئن كان، فالأصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله ﴿فأخلفتكم﴾ أي موعدي على حذف المفعول الثاني أي نقضته والإخلاف حقيقة هو عدم انجاز من يقدر على إنجاز وعده وليس الشيطان كذلك فقوله أخلفتكم يكون مجازاً جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه كأنه كان قادراً على إنجازه وأني له ذلك [يعني امروز ظاهر شدكه من دروغ كفته بودم] ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي تسلط وقهر فالجئكم إلى الكفر والمعاصي.

قال في «بحر لعلوم» لقائل أن يقول: قول الشيطان هذا مخالف لقوله الله ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] فما حكم قول الشيطان أحق هو أم باطل على أنه لا طائل تحته في النطق بالباطل في ذلك المقام انتهى.

يقول الفقير: جوابه أن نفي السلطان بمعنى القهر والغلبة لا ينافي إثباته بمعنى الدعوة والتزيين فالشيطان ليس له سلطان بالمعنى الأول على المؤمنين والكافرين جميعاً وله ذلك بالمعنى الثاني على الكفار فقط كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] وأما المؤمنون وهم أولياء الله فيتولون الله بالطاعة فهم خارجون عن دائرة الاتباع بوسوسته إذ هو يجري في عالم الصفات وهو عالم الأفعال، وأما عالم الذات فيخلص للمؤمن فأنى للشيطان سبيل إليه، ولو كان لآمن فافهم هداك الله ﴿إلا أن دعوتكم﴾ إلا دعائي إياكم إلى طاعتي بوسوسة وتزيين وهو ليس من جنس السلطان والولاية في الحقيقة ﴿فاستجبتم لي﴾ اجبتم لي طوعاً واختياراً ﴿فلا تلوموني﴾ فيما وعدتكم بالباطل لأني خلقت لهذا، ولأني عدو مبين لكم وقد حذركم الله عداوتي كما قال ﴿لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] لا يفتننكم الشيطان ومن تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح ﴿ولوموا أنفسكم﴾ يعني باختياركم المعصية وحبكم لها صدقتموني فيما كذبتكم وكذبتم الله فيما صدقكم، وذلك لأن مقالي كان ملائماً لهوى أنفسكم وكلام الحق مخالف لهواها ومر على مزاق النفوس، أي فأنتم أحق باللوم مني ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب ﴿وما أنتم بمصرخي﴾ مما أنا فيه يعني لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله والإصراخ الإغاثة، والمصرخ بالفارسية [فرياد رس] وإنما تعرض لذلك مع إنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيذاناً بأنه أيضاً مبتلي بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصراخ فكيف من إصراخ الغير ﴿إني كفرت﴾ اليوم ﴿بما أشركتمون﴾ بإشراككم إياي الله في الطاعة. وبالفارسية: [بانچه شريك مى كرديدمرا باخداي تعالى درفرمان برداری] ﴿من قبل﴾ أي قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته [يعني بيزاز شدم از شرك شما].

قال في «الإرشاد» يعني أن إشراككم لي بالله هو الذي يعصمكم في نصرتي لكم بأن كان

لكم على حق حيث جعلتموني معبوداً، وكنت أودّ ذلك وأرغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبقى بيني وبينكم علاقة ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى، والظالمون هم الشيطان ومتبعوه من الإنس لأن الشيطان وضع الدعوة إلى الباطل في غير موضعها، وإنهم وضعوا الاتباع في غير موضعه وفي حكاية أمثاله لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم.

هركه نقص خويش راديد وشناخت — اندر استكمال خودده اسب تاخت

هركه آخر بين تر او مسعود تر — هركه آخور بين تر او مبعود تر

ثم أخبر عن حال المؤمنين ومآلهم بقوله.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والمدخلون هم الملائكة. ﴿جنات﴾ [در بهشتهاى كونا كون كه] ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ [ميرود اززير درختان جويها] ﴿خالدين فيها﴾ [درحالتى كه جاويدان باشنددران] ﴿بإذن ربهم﴾ متعلق بادخل أي بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا خلي وطبعه لا يؤمن ولا يعمل الصالحات، والجنات، إن لم تكن العناية لا يبقى أحد في جنة القلب ساعة كما لم يبق آدم في الجنة خالداً كما في «التأويلات النجمية» ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ التحية دعاء بالتعمير وإضافتها إلى الضمير من إضافة المصدر إلى المفعول أي تحييهم الملائكة في الجنات بالسلام من الآفات أو يحيي المؤمنون بعضهم بعضاً بالسلام والسلام تحية المؤمنين في الدنيا أيضاً.

وأصله صدر من أبينا آدم عليه السلام على ما روى وهب بن منبه أن آدم لما رأى ضياء نور نبينا ﷺ سأل الله عنه فقال هو نور النبي العربي محمد من أولادك، فالأنبياء كلهم تحت لوائه فاشتاق آدم إلى رؤيته فظهر نور النبي عليه السلام في أنملة مسبحة آدم فسلم عليه فرد الله سلامه من قبل النبي عليه السلام فمن هنا بقي السلام سنة لصدوره عن آدم وبقي رده فريضة لكونه عن الله تعالى. ونظيره ركعات الوتر فإنه عليه السلام لما أم الأنبياء في بيت المقدس أوصاه موسى عليه السلام أن يصلي له ركعة عند سدرة المنتهى قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣] أي لقاء موسى ليلة المعراج فلما صلى ركعة ضم إليها ركعة أخرى لنفسه فلما صلاهما أوحى الله تعالى إليه أن صل ركعة أخرى، فلذلك صار وتداً كالمغرب فلما قام إليها ليصليها غشاه الله بالرحمة والنور فانحل يداه بلا اختيار منه فلذلك كان رفع اليد سنة وإليه أشار النبي عليه السلام بقوله: «إن الله زادكم صلاة ألا وهي الوتر»، وقيل لما صلى الركعة الثانية وقام إلى الثالثة رأى والديه في النار ففزع وانحل يداه ثم جمع قلبه فكبر وقال: «اللهم أنا نستعينك» الخ كما في «التقدمة شرح المقدمة» فما صلاه عليه السلام لنفسه صار سنة وما صلاه لموسى صار واجباً وما صلاه لله تعالى صار فريضة، ولما كان أصل هذه الصلاة وصية موسى أطلق عليها الواجب.

وقال الفقهاء: يقول في الوتر نويت صلاة الوتر للاختلاف في وجوبه.

﴿ألم تر﴾ ألم تشاهد بنور النبوة يا محمد كما في «التأويلات النجمية».

وقال الكاشفي: [آيا نديدي وندانستى أي بنده‌ء بينا وداناكه براي تفهيم شما] ﴿كيف ضرب الله مثلاً﴾ بين شبها ووضعه في موضعه اللائق به وكيف في محل النصب بضرب لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام فلا يتقدم عليه عامله. ﴿كلمة طيبة﴾ منصوب بمضمر والجملة تفسير لقوله ﴿ضرب الله مثلاً﴾ كقولك. شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس أي جعل كلمة طيبة وهي كلمة التوحيد أي شهادة أن لا إله إلا الله ويدخل فيها كل كلمة حسنة كالقرآن والتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة إلى الإسلام ونحوها مما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح ﴿كشجرة طيبة﴾ أي حكم بأنها مثلها لا أنه تعالى صيرها مثلها قال عليه السلام: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل النمافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» والحنظل بالفارسية [هندوانه‌ء أبو جهل] ثم إن النخلة أكرم الأشجار على الله فإنها خلقت من فضلة طينة آدم وولدت تحتها مريم كما ورد في أحاديث «المقاصد الحسنة» ولذا جاء ثمرتها أحلى وأطيب من سائر الثمار. ﴿أصلها ثابت﴾ أي: أسفلها ذاهب بعروقه في الأرض متمكن فيها ﴿وفرعها﴾ أي: أعلاها ورأسها ﴿في السماء﴾ في جهة العلو.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي ثمرها ﴿كل حين﴾ وقته الله لإثمارها وهي السنة الكاملة؛ لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة ومدة اطلاعها إلى وقت صرامها ستة أشهر.

وقال بعضهم: كل حين أي ينتفع بها على الأحيان كلها، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء: وفي كل ساعة إما تمراً أو رطباً أو بسراً كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره لا ينقطع أبداً كصعود هذه الشجرة ولا يكون في كلمة الإخلاص زيادة ولا نقصان لكن يكون لها مدد وهو التوفيق بالطاعات في الأوقات كما يحصل النماء لهذه الشجرة بالتربية ﴿بإذن ربها﴾ بإرادة خالقها وتيسيره وتكوينه ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ [وميراند خداي تعالى مثلها را يعني بيان ميكند براي مردمان]. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتفطنون بضرب الأمثال لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير فإنه تصوير للمعاني بصور المحسوسات. وفي الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال وهي في كلام الأنبياء والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى.

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر ويدخل فيها كل كلمة قبيحة من الدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق ونحوهما ﴿كشجرة خبيثة﴾ كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وهي الحنظل ويدخل فيها كل ما لا يطيب ثمرها من الكسوب وهو نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، ويقال له اللبلاب، والعشقة والثوم قد يقال إنها من النجم لا الشجر والظاهر إنه من باب المشاكلة.

قال في «التبيان» وخبثها غاية مرورتها ومضرتها وكل ما خرج عن اعتداله فهو خبيث.

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: شبه العقل بشجرة طيبة والهوى بشجرة خبيثة فقال: ﴿ألم تر كيف﴾ الخ انتهى.

فالنفس الخبيثة الأمارة كالشجرة الخبيثة تتولد منها الكلمة الخبيثة وهي كلمة تتولد من خباثة النفس الخبيثة الظالمة لنفسها بسوء اعتقادها في ذات الله وصفاته، أو باكتساب المعاصي والظالمة لغيرها بالتعرض لعرضه أو ماله. ﴿اجتثت﴾ الجث القطع باستئصال أي اقتلعت جثتها وأخذت بالكلية. ﴿من فوق الأرض﴾ لكون عروقها قريبة منها. ﴿ما لها من قرار﴾ استقرار عليها. يقال قر الشيء قراراً نحو ثبت ثباتاً. قال الكاشفي: [نيست اورا ثبات واستحكام يعني نه بيخ دارد برزمين ونه شاخ درهوا]

نه بيخى كه آن باشد اورا مدار نه شاخى كه كردد بدان سايه دار
كيا هيست افتاده بر روئ خاك پريشان وبى حاصل وخورناك

[حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد درخت ايما نراكه أصل آن در دل مؤمن ثابتست وأعمال أو بجانب أعلاي عليين مرتفع وثواب أو در هر زمان بدو واصل بدرخت خرماكه بيخ أو مستقراست درمنبت أو وفرع متوجه بجانب علو ونفع أو در هر وقت دهنده بخلق وتمثيل نمود كلمهٔ كفر وعبادت أصنام راكه دردل كافر مقلد بجهت عدم حجت وبرهان بران ثباتي ندارد وعملي كه نيز بمقصد قبول رسد ازو صادر نميشود بشجرهٔ حنظل كه نه اصل اورا قراريست ونه فرع اورا اعتباري]

نهال سايه ورى شرع ميوهٔ دارد چنان لطيف كه برهيچ شاخسارى نيست
درخت زندقه شاخيست خشك وبى سايه كه پيش هيچكسش هيچ اعتباري نيست

وفي «الكواشي» قالوا: شبه الإيمان بالشجرة لأن الشجرة لا بد لها من أصل ثابت وفرع قائم ورأس عال فكذا الايمان لا بد له من تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان.

وقال أبو الليث: المعرفة في قلب المؤمن العارف ثابتة بل هي أثبت من الشجرة في الأرض لأن الشجرة تقطع ومعرفة العارف لا يقدر أحد أن يخرجها من قلبه إلا المعرف الذي عرفه.

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ هو كلمة التوحيد لأنها راسخة في قلب المؤمن كما قال الكاشفي [قول ثابت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله اسكت كه خداي تعالى بران ثابت ميدارد مؤمنانرا]. ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي: قبل الموت فإذا ابتلوا ثبتوا ولم يرجعوا عن دينهم ولو عذبوا أنواع العذاب كمن تقدمنا من الأنبياء والصالحين، مثل زكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين قتلهم أصحاب الأخدود والذين مشطت لحومهم بأمشاط الحديد.

قال سعدي المفتي: روي أن جرجيس كان من الحواريين علمه الله الاسم الذي يحيي به الموتى وكان بأرض الموصل جبار يعبد الصنم فدعاه جرجيس إلى عبادة الله وحده فأمر به فشد جلاه ويداه ودعا بأمشاط من الحديد فشرح بها صدره ويديه ثم صب عليه ماء الملح فصبره الله تعالى ثم دعا بمسامير من حديد فسمر بها عينيه وأذنيه فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بحوض من نحاس فأوقد تحته حتى أبيض ثم القي فيه فجعله الله برداً وسلاماً ثم قطع أعضاءه إرباً إرباً فأحياه الله تعالى ودعاهم إلى الله تعالى ولم يؤمن الملك فأهلكه الله مع قومه بأن قلب المدينة

عليهم وجعل عاليها سافلها. وشمعون كان من زهاد النصارى وكان شجاعاً يحارب عبدة الأصنام من الروم ويدعوهم إلى الدين الحق، وكان يكسر بنفسه جنوداً مجندة واحتال عليه ملك الروم بأنواع من الحيل ولم يقدر عليه إلى أن خدع امرأته بمواعيد فسألته في وقت خلوة كيف يغلب عليه، فقال إن أشد بشعري في غير حال الطهارة فإني حينئذٍ لم أقدر على الحل فأحاطوا به في منامه وشدوه كذلك والقوه من قصر الملك فهلك.

وفي «نفائس المجالس» عمدوا إلى قتله بالأذية فدعا الله تعالى أن ينجيه من الأعداء فأنجاه الله تعالى فأخذ عمود البيت وخرّ عليهم السقف فهلكوا. ﴿**وفي الآخرة**﴾ أي: يثبتهم في القبر عند سؤال منكر ونكير وفي سائر المواطن والقبر من الآخرة فإنه أول منزل من منازل الآخرة. ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ أي يخلق الله في الكفرة والمشركين الضلال فلا يهديهم إلى الجواب بالصواب كما ضلوا في الدنيا ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾ من تثبت أي خلق ثبات في بعض واضلال أي خلق ضلال في آخرين من غير اعتراض عليه.

وفي «التأويلات النجمية» يمكنهم في مقام الإيمان بملازمة كلمة لا إله إلا الله والسير في حقائقها في مدة بقائهم في الدنيا وبعد مفارقة البدن، يعني أن سير أصحاب الأعمال ينقطع عند مفارقة الروح عن البدن وسير أرباب الأحوال يثبت بتثبيت الله أرواحهم بأنوار الذكر وسيرهم في ملكوت السموات والأرض بل طيرهم في عالم الجبروت بأجنحة أنوار الذكر وهي جناحا النفي والإثبات فإن نفيهم بالله عما سواه وإثباتهم بالله في الله لا ينقطع أبد الآباد.

والآية: دليل على حقية سؤال القبر وعلى تنعيم المؤمنين في القبر فإن تثبيت الله عبده في القبر بالقول الثابت هو النعمة كل النعمة.

قال الفقيه أبو الليث قد تكلم العلماء في عذاب القبر.

قال بعضهم يجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا ويجلس أي يأتيه ملكان أسودان أزرقان فظان غليظان أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتها كالرعد القاصف معهما مرزبة فيقعدان الميت ويسألانه فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبي فذلك هو الثبات وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري فيضرب بتلك المرزبة فيصيح صيحة يسمعها ما بين الخافقين إلا الجن والإنس.

وقال بعضهم: يكون الروح بين جسده وكفنه.

وقال بعضهم: يدخل الروح في جسده إلى صدره وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح أن يقر الإنسان بعذاب القبر ولا يشغل بكيفيته.

وفي «أسئلة الحكم»: الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسي جسماني لكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي حتى تبعث أجسادها فترد إليها فتنعم عند ذلك حساً ومعنى.

ألا ترى إلى بشر الحافي رحمه الله لما رؤي في النوم قيل ما فعل الله بك قال غفر لي وأباح لي نصف الجنة يعني روحه منعمة بالجنة فإذا حشر ودخل الجنة ببدنه يكمل النعيم بالنصف الآخر، وهل عذاب القبر دائم أو ينقطع؟ فالجواب نوع دائم بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦] ونوع منقطع وهو بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب بحج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو

غيرهم كما في «الفتح القريب» وفي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرّد إلى أرذل العمل وأعوذ بك من فتنة الدجال وأعوذ بك من عذاب القبر»، وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت فإنه الآن يسأل» ـ وروي ـ أن النبي ﷺ لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال: «يا بني القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون يا بني قل الله ربي والإسلام ديني ورسول الله أبي» فبكت الصحابة منهم عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته فالتفت إليه رسول الله فقال: «ما يبكيك يا عمر» فقال: يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج إلى تلقين مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت، فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى النبي عليه السلام وبكت الصحابة معه فنزل جبريل بقوله تعالى: **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** فتلا النبي عليه السلام الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله.

وقال بعضهم: الأنبياء والصبيان والملائكة لا يسألون وقد اختص نبينا ﷺ بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الأنبياء وما ذاك إلا أن الأنبياء قبل نبينا كان الواحد منهم إذا أتى أمته وأبوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب، وأما نبينا عليه السلام فبعث رحمة بتأخير العذاب ولما أعطاه الله السيف دخل في دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله فتاني القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان في نفس الميت فيثبت المسلم ويزل المنافق.

وفي بعض الآثار: يتكرر السؤال في المجلس الواحد ثلاث مرات وفي بعضها أن المؤمن يسأل سبعة أيام والمنافق أربعين يوماً. ولا يسأل من مات يوم الجمعة وليلته من المؤمنين. وكذا في رجب وشعبان ورمضان وهو بعد العيد في مشيئته الله تعالى لكن الله تعالى هو أكرم الأكرمين فالظن على أنه لا يؤمر بالسؤال كما في «الواقعات المحمودية».

وفي كلام الحافظ السيوطي لم يثبت في التلقين حديث صحيح أو حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين والحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال.

فعلى العاقل أن يموت قبل أن يموت ويحيى بالحياة الطيبة وذلك بظهور سر الحياة له بتربية مرشد كامل كما قال في «المثنوي»:

هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
جانهاى مرده اندر كورتن ... برجهد زآوازشان اندر كفن
كويداين آواز زآواها جداست ... زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرديم وبكلى كاستيم ... بان حق آمد همه بر خاستيم
مطلق ان آواز خودازشه بود ... كرچه از حلقوم عبد الله بود
كفت اورامن زبان وچشم تو ... من حواس ومن رضا وخشم تو
روكه بي يسمع وبي يبصر توئى ... سر توئى چه جاي صاحب سر توئى
چون شدى من كان لله أزوله ... حق ترا باشدكه كان الله له
كه توئى كويم ترا كاهى منم ... هرچه كوئى آفتاب روشنم
هركجا تابم زمشكات دمى ... حل شد آنجا مشكلات عالمي
ظلمتي راكافتا بش برنداشت ... ازدم ما كردد آن ظلمت چو چاشت

وكما أن لأنفاس الأولياء بركة ويمنا للأحياء فكذا للأموات حين التلقين فإنه فرق بين تلقين الغافل الجاهل وبين تلقين المتيقظ العالم بالله نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الحق المبين إلى أن يأتي اليقين ويجعلنا من الصديقين الذين يتمكنون في مقام الأمن عند خوف أهل التلوين.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ألم تر إلى الذين﴾ من رؤية البصر وهو تعجب لرسول الله ﷺ أي هل رأيت عجباً مثل هؤلاء. ﴿بدلوا﴾ غيروا ﴿نعمة الله﴾ على حذف المضاف. أي شكر نعمته ﴿كفراً﴾ بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفراً فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوّام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد ﷺ فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي النعمة.

وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين كأنهما يتأولان ما سيتلى من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ [إبراهيم: ٣٠] الآية ﴿وأحلوا﴾ أنزلوا ﴿قومهم﴾ بإرشادهم إياهم إلى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرعه كقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وأسند الإحلال وهو فعل الله إلى أكابرهم لأن سببه كفرهم وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر ﴿دار البوار﴾ أي: الهلاك.

﴿جهنم﴾ عطف بيان لها ﴿يصلونها﴾ حال منها أي داخلين فيها مقاسين لحرها يقال صلى النار صليا قاسي حرها كتصلاها ﴿وبئس القرار﴾ أي: بئس المقر جهنم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وجعلوا﴾ عطف على أحلوا داخل معه في حكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم الباطل وزعمهم الفاسد. ﴿لله﴾ الفرد الأحد الذي لا شريك له في الأرض ولا في السماء. ﴿أنداداً﴾ أشباهاً في التسمية حيث سموا الأصنام آلهة أو في العبادة. ﴿ليضلوا﴾ قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا ﴿عن سبيله﴾ القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال وليس الإضلال غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد، ولكن لما كان نتيجة له كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء شبه بالغرض وأدخل اللام عليه بطريق الاستعارة التبعية ونسب الاضلال الذي هو فعل الله إليهم؛ لأنهم سبب الضلالة حيث يأمرون بها ويدعون إليها. ﴿قل﴾ تهديداً لأولئك الضالين المضلين ﴿تمتعوا﴾ انتفعوا بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام، واستتباع الناس في عبادة الأصنام. وبالفارسية: [بكذارانيد عمرهاى خود باازروها وعبادت بتان]. ﴿فإن مصيركم﴾ يوم القيامة ﴿إلى النار﴾ ليس إلا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك أو يقتضيه من أحوالكم والمصير مصدر صار

التامة بمعنى رجع وخبر إن هو قوله إلى النار.

دلت الآيتان على أمور:

الأول: أن الكفران سبب لزوال النعمة بالكلية كما أن الشكر سبب لزيادتها.

شكر نعمت نعمتت افزون كند كفر نعمت از كفت بيرون كند

وفي حديث المعراج: «إن الله شكا من أمتي شكايات، الأولى: إني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد، والثانية: إني لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري، والثالثة: إنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي. والرابعة أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي، والخامسة: أني خلقت النار لكل كافرٍ وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها».

والثاني: أن القرين السوء يجرّ المرء إلى النار ويحله دار البوار فينبغي للمؤمن المخلص السني أن يجتنب عن صحبة أهل الكفر والنفاق والبدعة حتى لا يسرق طبعه من اعتقادهم السوء وعملهم السيىء ولهم كثرة في هذا الزمان وأكثرهم في زي المتصوفة.

أي فغان ازيارنا جنس أي فغان همنشين نيك جوييد أي مهتان

والثالث: أن جهنم دار القرار للأشرار وشدة حرها مما لا يوصف. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم» والأخمص بفتح الهمزة هو المتجافي من الرجل أي من بطنها عن الأرض والغليان شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة إيقادها. والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم قدر معروف سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف هذا هو الأصح. وقيل هو القدر من النحاس خاصة.

وفي الآية: إشارة إلى نعمة ألوهية وخالقية ورازقية عليهم بدلوها بالكفر والانكار والجحود وأحلوا أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم دار الهلاك وأنزلوا أبدانهم جهنم يصلونها وبئس القرار وهي غاية البعد عن الحضرة، والحرمان عن الجنان وأنزلوا نفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة بتبديل نعم الأخلاق الملكية الحميدة بالأخلاق الشيطانية السبعية الذميمة، وجعلوا لله أنداداً من الهوى والدنيا وشهواتها ليضلوا الناس بالاستتباع عن طلب الحق تعالى والسير إليه على أقدام الشريعة والطريقة الموصل إلى الحقيقة قل تمتعوا بالشهوات الدنيا ونعيمها فإن مصيركم نار جهنم للأبدان ونار الحرمان للنفوس ونار الحسرة للقلوب ونار القطيعة للأرواح كما في «التأويلات النجمية».

﴿قل لعبادي الذي آمنوا﴾ قال بعض الحكماء: شرف الله عباده بهذه الياء وهي خير لهم من الدنيا وما فيها لأن فيها إضافة إلى نفسه والاضافة تدل على العتق لأن رجلاً لو قال لعبده يا ابن أو ولد لا يعتق ولو قال يا بني أو ولدي يعتق بالإضافة إلى نفسه كذلك إذا أضاف العباد إلى نفسه فيه دليل أن يعتقهم من النار ولا شرف فوق العبودية. قال الجامي:

كسوت خواجكى وخلعت شاهى چه كند هركرا غاشيه بند كيت بر دوشست

وكان سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره يقول: الخلق يفرون من الحساب وأنا أطلبه فإن الله تعالى لو قال لي أثناء الحساب عبدي لكفاني شرفاً، والمقول هنا محذوف

دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا وأنفقوا ﴿يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم﴾ أي يداوموا على ذلك. وبالفارسية [بكو أي محمد ﷺ يعني أمركن مربند كان مراكه ايمان آورده اندبرين وجه كه نماز كزاريد ونفقه كنيد تاايشان بامرتونماز كزارند ونفقه دهند از آنچه عطاداده باايشان ازاموال] ويجوز أن يكون المقول يقيموا وينفقوا على أن يكونا بمعنى الأمر وإنما أخرجا عن صورة الخبر للدلالة على التحقق بمضمونهما والمسارعة إلى العمل بهما.

فإن قيل: لو كان كذلك لبقي إعرابه بالنون.

قلنا: يجوز أن يبنى على حذف النون لما كان بمعنى الأمر. ﴿سراً وعلانية﴾ منتصبان على المصدر من الأمر المقدر أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية، أو على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية.

والأحب في الإنفاق إخفاء المتطوع وإعلان الواجب وكذا الصلوات والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة. ﴿من قبل أن يأتي﴾ قال في «الإرشاد»: الظاهر أن من متعلقة بأنفقوا ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا بيع فيه﴾ فيبتاع المقصر ما يتلافى تقصيره به وتخصيص البيع بالذكر لاستلزام نفيه نفي الشراء ﴿ولا خلال﴾ ولا مخالة فيشفع له خليل والمراد المخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس فلا يخالف قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] لأن الواقع فيما بينهم المخالة لله أو من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا انتفاع في بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالطاعة التي من جملتها إقامة الصلاة والانفاق لوجه الله تعالى، وادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت.

وفي الآية إشارة إلى الأعمال الباطنة القلبية كالإيمان وإلى الأعمال الظاهرة القالبية كإقامة الصلاة والانفاق.

قال أبو سعيد الخراساني قدس سره: خزائن الله في السماء وخزائنه في الأرض القلوب لأنه تعالى خلق قلب المؤمن بيت خزائنه، ثم أرسل ريحاً فهبت فيه فكنسته من الكفر والشرك والنفاق والغش ثم أنشأ سحابة فأمطرت فيه ثم أنبت شجرة فأثمرت الرضى والمحبة والشكر والصفوة والإخلاص والطاعة ثم طاب الظاهر بحسب طيب الباطن.

وعن مكحول الشامي رحمه الله: إذا تصدق المؤمن بصدقة ورضي عنه ربه تقول جهنم يا رب ائذن لي بالسجود شكراً لك فقد اعتقت أحداً من أمة محمد من عذابي ببركة صدقته لأني استحيي من محمد أن أعذب أمته مع أن طاعتك واجبة عليّ. قال المولى الجامي:

هرچه داری چون شكوفه برفشان زيراكه سنك

بهرميوه ميخور دهردم زدست سفله شاخ

والإشارة: ﴿قل لعبادي﴾ لا عباد الهوى. ﴿الذين آمنوا﴾ بنور العناية وعرفوا قدر نعمة الوهيتي ولم يبدلوها كفراً ﴿يقيموا الصلاة﴾ ليلازموا عتبة العبودية ويديموا العكوف على بساط القربة ويثبتوا في المناجاة والمكالمة. ﴿وينفقوا﴾ على الطالبين المريدين ﴿مما رزقناهم سراً﴾ من أسرار الألوهية ﴿وعلانية﴾ من أحكام العبودية في طريق الربوبية ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾

وهو يوم مفارقة الأرواح عن الأبدان. ﴿لا بيع فيه﴾ أي لا يقدر على الانفاق بطريق طلب المعاوضة ﴿ولا خلال﴾ أي: ولا بطريق المخالة من غير طلب العوض لأن آلة الانفاق خرجت من يده وبطل استعداد دعوة الخلق إلى الحق وتربيتهم بالتسليك والتزكية والتهذيب والتأديب كما في «التأويلات النجمية».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ خبره ﴿الذي خلق السموات﴾ وما فيها من الأجرام العلوية ﴿والأرض﴾ وما فيها من أنواع المخلوقات وقدم السماوات لأنها بمنزلة الذكر من الأنثى ﴿وأنزل من السماء﴾ أي من السحاب فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدىء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه ظواهر النصوص.

يقول الفقير: هو الأرجح عندي؛ لأن الله تعالى زاد بيان نعمه على عباده فبين أولاً خلق السماوات والأرض ثم أشار إلى ما فيها من كليات المنافع لكنه قدم وأخر كتأخير تسخير الشمس والقمر ليدل على أن كلاً من هذه النعم نعمة على حدة، ولو أريد السحاب لم يوجد التقابل التام وأياً ما كان فمن ابتدائية. ﴿ماء﴾ أي نوعاً منه وهو المطر ﴿فأخرج به﴾ أي بسبب ذلك الماء الذي أودع فيه القوة الفاعلية، كما أنه أودع في الأرض القوة القابلية ﴿من الثمرات﴾ من أنواع الثمرات ﴿رزقاً لكم﴾ تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن للتبيين حال منه ولكم صفة كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً أو للتبعيض بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٢٧] كأنه قيل انزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وكان أحب الفواكه إلى نبينا عليه السلام الرطب والبطيخ، وكان يأكل البطيخ بالرطب ويقول «يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بِحَرِ هذا» فإن الرطب حار رطب والبطيخ بارد رطب كما في «شرح المصابيح» وفي الحديث: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» قوله: تصبح، أي: أكل وقت الصباح قبل أن يأكل شيئاً آخر وعجوة عطف بيان لسبع تمرات وهي ضرب من أجود التمر في المدينة يضرب إلى السواد يحتمل أن يكون هذه الخاصية في ذلك النوع من التمر ويحتمل أن يكون بدعائه له حين قالوا أحرق بطوننا تمر المدينة، وفي الحديث: «كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الديدان في البطن» وكان عليه السلام يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول حبة حبة بيده اليمنى كذا في «الطب النبوي» وفي البطيخ والرمان قطرة من ماء الجنة. وروي عن علي كلوا الرمان فليس منه حبة تقع في المعدة إلا أنارت القلب وأخرست الشيطان أربعين يوماً.

وقال جعفر بن محمد ريح الملائكة ريح الورد وريح الأنبياء ريح السفر جل وريح الحور ريح الآس: ﴿وسخر لكم الفلك﴾ بأن أقدركم على صنعتها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك ﴿لتجري﴾ أي الفلك لأنه جمع فلك ﴿في البحر﴾ [دردريا] ﴿بأمره﴾ بإرادته إلى حيث توجهتم وانطوى في تسخير الفلك تسخير البخار وتسخير الرياح.

قال في شرح «حزب البحر»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صف لي البحر فقال يا أمير المؤمنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود.

وفي «أنوار المشارق» يجوز ركوب البحر للرجال والنساء عند غلبة السلامة كذا قال الجمهور. وكره ركوبه للنساء لأن الستر فيه لا يمكنهن غالباً، ولا غض البصر عن المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال. ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أي المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام وتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك.

قال في «بحر العلوم» اللام فيها للجنس أو للعهد أشير بها إلى خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهري العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وسخرها للناس وجعل فيها منافع لهم في أصناف معاشهم وسائر الأنهار تبع لها وكأنها أصولها.

﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ حال كونهما ﴿دائبين﴾ قال في «تهذيب المصادر» الدأب [دائم شدن] فالمعنى دائمين متصلين في سيرهما لا ينقطعان إلى يوم القيامة.

وقال في «القاموس» دأب في عمله كمنع دأبا ويحرك ودؤوباً بالضم جدّ وتعب. فالمعنى مجدين في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما يصلحان الأرض والأبدان والنبات لا يفتران أصلاً ويفضل الشمس على القمر لأن الشمس معدن الأنوار الفلكية من البدور والنجوم وأصلها في النورانية وأن أنوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة إجرامهم. ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان بالزيادة والنقصان والإضاءة والإظلام والحركة والسكون فيهما أي لمعاشكم ومنامكم ولعقد الثمار وإنضاجها. واختلفوا في الليل والنهار أيهما أفضل.

قال بعضهم قدم الليل على النهار لأن الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الأنبياء عليهم السلام كانت بالليل ولذا قال الامام النيسابوري الليل أفضل من النهار.

يقول الفقير: الليل محل السكون ففيه سر الذات وله المرتبة العليا والنهار محل الحركة ففيه سر الصفات، وله الفضيلة العظمى وأول المراتب وآخرها السكون كما أشار إليه قوله تعالى في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق» فالخلق يقتضي الحركة المعنوية وما كان قبل الحركة والخلق إلا سكون محض وذات بحت فافهم. وسيد الأيام يوم الجمعة وإذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة تضاعف الحج لسبعين حجة على غيره وبهذا ظهر فضل يوم الجمعة على يوم عرفة. وأفضل الليالي ليلة المولد المحمدي لولاه ما نزل القرآن ولا نعتت ليلة القدر وهو الأصح.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ أي: أعطاكم مصلحة لكم بعض جميع ما سألتموه فإن الموجود من كل صنف بعض ما قدره الله وهذا كقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ

﴿فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء: ١٨] فمن للتبعيض أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير، كقولك: فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال الكاشفي: [وبداد شمارا أزهر چه خواستيد يعني آنچه محتاج إليه شمابود خواسته وناخواسته بشماارزاني داشت] ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ التي أنعم بها عليكم بسؤال وبغيره. ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا حصرها وعدها ولو إجمالاً لكثرتها وعدم نهايتها.

وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة وأصل الإحصاء أن الحساب كان إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد وضعت له حصاة ليحفظ بها ثم استؤنف العدد. والمعنى لا توجد له غاية فتوضع له حصاة والنعم على قسمين نعمة المنافع لصحة البدن والأمن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأموال والأولاد ونعمة دفع المضار من الأمراض والشدائد والفقر والبلاء، وأجل النعم استواء الخلقة وإلهام المعرفة [سلمى قدس سره فرمودكه مراد ازين نعمت حضرت پيغمبر ما ست ﷺ كه سفر بزر كر وواسطهٔ نزديكترميان حق وخلق اوست وفي نفس الأمر حصر صفات كمال وشرح أنوار جمال اواز دائرهٔ تصور وتخيل بيرون وازاندازهٔ تأمل وتفرك افزونست]

بر ذروهٔ معارج قدر رفيع تو   نى عقل راه يابد ونى فهم پى پرد

﴿إن الإنسان لظلوم﴾ لبليغ في الظلم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بوضعها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان. ﴿كفار﴾ شديد الكفران لها، أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع. واللام في الإنسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من أفراده كما في «الإرشاد» ـ روي ـ أنه شكا بعض الفقراء إلى واحد من السلف فقره وأظهر شدة اهتمامه به فقال أيسرّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم، فقال لا فقال أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألف درهم فقال: لا فقال أيسرّك جعل الله أنك مجنون ولك عشرة آلاف قال: لا، فقال أما تستحيي إنك تشكو مولاك وعندك عروض بأربعين ألف.

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء وهو يشربه، فقال: عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه؟ قال نعم قال ولو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه؟ قال: نعم، فقال لا، تفرح بملك لا يساوي شربة ماء وإن نعمة على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها بل كل نفس لا يستوي بملك الأرض كلها فلو أخذ لحظة حتى انقطع الهواء عنه مات ولو حبس في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء مات غماً ففي كل ذرة من بدنه نعم لا تحصى.

نعمت حق شمار وشكر كذار   نعتش را اكرچه نيست شمار
شكر باشد كليد كنج مزيد   كنج خوهى منه ز دست كليد

والإشارة ﴿الله الذي خلق السموات﴾ سموات القلوب ﴿والأرض﴾ أرض النفوس ﴿وأنزل من السماء﴾ من سماء القلوب ﴿ماء﴾ ماء الحكمة ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من ثمرات الطاعات ﴿رزقاً﴾ لأرواحكم فإن الطاعات غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأبدان

﴿وسخر لكم الفلك﴾ فلك الشريعة ﴿لتجري في البحر﴾ في بحر الطريقة ﴿بأمره﴾ بأمر الحق لا بأمر الهوى والطبع لأن استعمال فلك الشريعة إذا كان بأمر الهوى والطبع سريعاً ينكسر ويغرق ولا يبلغ ساحل الحقيقة إلا بأمر أولي الأمر وملاحيه وهو الشيخ الواصل الكامل المكمل كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وقال النبي عليه السلام: «من أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله» وكم من سفن لأرباب الطلب لما شرعت في هذا البحر بالطبع انكسرت بنكباء الأهواء وتلاطم أمواج الغرة وانقطعت دون ساحلها ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أنهار العلوم اللدنية ﴿وسخر لكم الشمس﴾ شمس الكشوف ﴿والقمر﴾ قمر المشاهدات ﴿دائبين﴾ بالكشف والمشاهدة ﴿وسخر لكم الليل﴾ ليل البشرية ﴿والنهار﴾ نهار الروحانية وتسخير هذه الأشياء عبارة عن جعلها سبباً لاستكمال استعداد الانسان في قبول الفيض الإلهي المختص به من بين سائر المخلوقات وفي قوله. ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ إشارة إلى أنه تعالى أعطى الإنسان في الأزل حسن استعداد استدعى منه لقبول الفيض الإلهي وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] ثم للابتلاء رده إلى أسفل سافلين ثم آتاه من كل ما سأله من الأسباب التي تخرجه من أسفل سافلين وتصعده إلى أعلى عليين، فإذا أمعنت النظر في هذه الآيات رأيت أن العالم بما فيه خلق تبعاً لوجود الإنسان وسبباً لكماليته كما أن الشجرة خلقت تبعاً لوجود الثمرة وسبباً لكماليتها فالإنسان البالغ الكامل الواصل ثمرة شجرة المكونات فافهم جداً ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ لأن نعمته على الإنسان قسمان قسم يتعلق بالمخلوقات كلها وقد بينا أنها خلقت لاستكمال الإنسان وهذه النعمة لا يحصى عدها لأن فوائدها عائدة إلى الإنسان إلى الأبد وهي غير متناهية فلا يحصى عدها وقسم يتعلق بعواطف الوهيته وعوارف ربوبيته فهي أيضاً غير متناهية ﴿إن الإنسان لظلوم﴾ لنفسه بأن يفسد هذا الاستعداد الكامل بالاعراض عن الحق والاقبال على الباطل. ﴿كفار﴾ لأنعم الله إذ لم يعرف قدرها ولم يشكر لها وجعلها نقمة لنفسه بعد ما كانت نعمة من ربه كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم﴾ واذكر وقت قول إبراهيم في مناجاته أي بعد الفراغ من بناء البيت ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ [اين شهر مكه را] ﴿آمناً﴾ أهله بحيث لا يخاف فيه من المخاوف والمكاره كالقتل والغارة والأمراض المنفرة من البرص والجذام ونحوهما فإسناد الأمن إلى البلد مجاز لوقوع الأمن فيه وإنما الآمن في الحقيقة أهل البلد ﴿واجنبني وبني﴾ يقال جنبه كنصره وأجنبته وجنبته أي أبعدته. والمعنى بعدني وإياهم ﴿أن نعبد الأصنام﴾ واجعلنا منه في جانب بعيد، أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام.

قال بعضهم: رأى القوم يعبدون الأصنام فخاف على بنيه فدعا.

يقول الفقير: الجمهور على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو بن لحي كبير خزاعة فهو أول من غير دين إبراهيم وشرع للعرب الضلالات وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة وعبدها، وأمر الناس بعبادتها وقد كان أكثر الناس في الأرض المقدسة عبدة الأصنام وكان إبراهيم يعرفه فخاف سرايته إلى كل بلد فيه

واحد من أولاده فدعا فعصم أولاده الصلبية من ذلك، وهي المرادة من قوله: ﴿وبني﴾ فإنه لم يعبد أحد منهم الصنم لاهي وأحفاده وجميع ذريته وذلك لأن قريشاً مع كونهم من أولاد إسماعيل عبادتهم الأصنام مشهورة وأما قوله تعالى في حم الزخرف: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] فالصحيح أن هذا لا يستلزم تباعد جميع الأحفاد عن عبادة الأصنام بل يكفي في بقاء كلمة التوحيد في عقبه أن لا ينقرض قرن ولا ينقضي زمان إلا وفي ذريته من هو من أهل التوحيد قلوا أو كثروا إلى زمان نبينا ﷺ وقد اشتهر في كتب السير أن بعض آحاد العرب لم يعبد الصنم قط ويدل عليه قوله عليه السلام: «لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم» هذا ما لاح لي من التحقيق ومن الله التوفيق. وإنما جمع الأصنام ليشتمل على كل صنم عبد من دون الله لأن الجمع المعرف باللام يشمل كل واحد من الأفراد كالمفرد باتفاق جمهور أئمة التفسير والأصول والنحو، أي وأجنبنا أن نعبد أحداً مما سمي بالصنم كما في «بحر العلوم» وخصصها الامام الغزالي بالحجرين أي الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى فيها أن تعتقد الإلهية في شيء من الحجارة فاستعاذ إبراهيم من الاغترار بمتاع الدنيا.

يقول الفقير: الظاهر أن الامام الغزالي خصص الحجرين بالذكر بناء على أنهما أعظم ما يضل الناس وقد شبه رسول الله ﷺ طلاب الدراهم والدنانير بعبدة الحجارة فقال: «تعس عبد الدراهم تعس عبد الدنانير» وإلا فكل ما هو من قبيل الهوى فهو صنم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ولذا قال في «التأويلات النجمية». صنم النفس الدنيا. وصنم القلب العقبى. وصنم الروح الدرجات العلى. وصنم السر عرفان القربات. وصنم الخفي الركون إلى المكاشفات والمشاهدات وأنواع الكرامات فلا بد من الفناء عن الكل.

سالك پاك رو نخوانندش آنكه ازما سوى منزه نيست

قال شيخي وسندي روّح الله روحه في بعض المجالس، معي أهل الدنيا كثير وأهل العقبى قليل، وأهل المولى أقل من القليل وذلك كالسلاطين والملوك فإنهم بالنسبة إلى الوزراء أقل وهم بالنسبة إلى سائر أرباب الجاه كذلك، وهم بالنسبة إلى الرعية كذلك فالرعايا كثيرون وأقل منهم أرباب الجاه وأقل منهم الوزراء وأقل منهم السلاطين فلا بد من ترك الأصنام مطلقاً وأعظم الحجب والأصنام الوجود المعبر عنه بالفارسية.

هستى بودو جود مغربي لات ومنات أو بود نيست بتى چو بود او درهمه سو منات تو

وفي الآية: دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله تعالى وحقيقة العصمة أن لا يخلق الله تعالى في العبد ذنباً مع بقاء قدرته واختياره ولهذا قال الشيخ أبو منصور: العصمة لا تزيل المحنة أي التكليف فينبغي للمؤمن أن لا يأمن على إيمانه وينبغي أن يكون متضرعاً إلى الله ليثبته على الإيمان كما سأل إبراهيم لنفسه ولبنيه الثبات على الإيمان ـ وروي ـ عن يحيى بن معاذ أنه كان يقول: اللهم أن جميع سروري بهذا الايمان وأخاف أن تنزعه مني فما دام هذا الخوف معي رجوت أن لا تنزعه مني.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿رب﴾ [اي پرورد كار من] ﴿إنهن﴾ أي: الأصنام ﴿أضللن كثيراً من الناس﴾ ولذلك سألت منك أن تعصمني وبني من إضلالهن، واستعذت بك منه، يقول: بهن ضل كثير من الناس، فكان الأصنام سبباً لضلالتهم فنسب الاضلال إليهن وإن لم يكن منهن عمل في الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] أي اغتروا بسببها وقال بعضهم كان الاضلال منهن لأن الشياطين كانت تدخل أجواف الأصنام وتتكلم ـ كما حكي ـ أن واحداً من الشياطين دخل جوف صنم أبي جهل فأخذ يتحرك ويتكلم في حق النبي عليه السلام كلمات قبيحة فأمر الله واحداً من الجن فقتل ذلك الشيطان ثم لما كان الغد واجتمع الناس حول ذلك الصنم أخذ يتحرك ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا صنم لا ينفع ولا يضر ويل لمن عبدني من دون الله فلما سمعوا ذلك قام أبو جهل وكسر صنمه وقال إن محمداً سحر الأصنام.

قال الكمال الخجندي قدس سره:

بشكن بت غرور كه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿فمن﴾ [هركس كه] ﴿تبعني﴾ منهم فيما ادعوا إليه من التوحيد وملة الإسلام ﴿فإنه مني﴾ من تبعيضية فالكلام على التشبيه أي كبعضي في عدم الانفكاك عني، وكذلك قوله: «من غشنا فليس منا» أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم ﴿ومن عصاني﴾ أي لم يتبعني فإنه في مقابلة تبعني كتفسير الكفر في مقابلة الشكر بترك الشكر.

﴿فإنك غفور رحيم﴾ قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء وبعد توبته.

وفي دليل على أن كل ذنب فللّه تعالى أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره فالشرك لا يغفر بدليل السمع وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] وإن جاز غفرانه عقلاً فإن العقاب حقه تعالى فيحسن إسقاطه مع أن فيه نفعاً للعبد من غير ضرر لأحد وهو مذهب الأشعري.

وفي «التأويلات النجمية» قد حفظ الأدب فيما قال ومن عصاني وما قال ومن عصاك لأنه بعصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والإشارة فيه أن من عصاني لعلي لا أغفر له ولا أرحم عليه فإن المكافاة في الطبيعة واجبة ولكن من عصاني فتغفر له وترحم عليه فيكون من غاية كرمك وعواطف إحسانك فإنك غفور رحيم وفي الحديث: «ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أمّا ما كان لي من قبلكم فقد وهبت لكم» [يعني كناهى كه درميان من وشماست بخشيدم] «وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي» والتبعات جمع تبعة بكسر الباء ما اتبع به من الحق.

وذكر أن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله قال إلهي إن كان ثوابك للمطيعين فرحمتك للمذنبين إني وإن كنت لست بمطيع فارجو ثوابك وأنا من المذنبين فارجو رحمتك.

نصيب ماست بهشت اي خداشناش برو كه مستحق كرامت كنا هكارانند

﴿ربنا﴾ [اي پرورد كارما] والجمع لأن الآية متعلقة بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول ﴿إني أسكنت من ذريتي﴾ أي بعض ذريتي وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن اسكانه متضمن لإسكانهم. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] هو وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت أي لا يكون فيها شيء من زرع قط كقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج وما فيه إلا الاستقامة لا غير.

وفي «تفسير الشيخ» لأنها: واد بين جبلين لم يكن بها ماء ولا حرث.

وفي «بحر العلوم» وأما في زماننا فقد رزق الله أهله ماء جارياً ﴿عند بيتك المحرم﴾ ظرف لأسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن وهو الكعبة والإضافة للتشريف وسمي محرماً لأنه عظيم الحرمة حرم الله التعرض له بسوء يوم خلق السماوات والأرض وحرم فيه القتال والاصطياد، وأن يدخل فيه أحد بغير إحرام ومنع عنه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقاً لأنه أعتق منه.

وفي «التأويلات النجمية» عند بيتك المحرم وهو القلب المحرم أن يكون بيتاً لغير الله كما قال: «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن».

آنكه ترا كوهر كنجينه ساخت كعبهٔ جان در حرم سينه ساخت

﴿ربنا﴾ كرر النداء لإظهار كمال العناية بما بعده ﴿ليقيموا الصلاة﴾ اللام لام كي متعلقة باسكنت أي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الخالي من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم لدلالة قوله: ﴿بواد غير ذي زرع﴾ على أنه لا غرض له دنيوي في إسكانهم عند البيت المحرم وتخصيص الصلاة بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها ولأن بيت الله لا يسعه إلا الصلاة وما في معناه وهي الأصل في إصلاح النفس وكان قريش يمتنعون عن ذلك لزيادة كبرهم ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ جمع فؤاد وهي القلوب ومن للتبعيض ﴿تهوي إليهم﴾ تسرع إليهم شوقاً وتطير نحوهم محبة، يقال هوى يهوي من باب ضرب هوياً وهوياً سقط من علو إلى سفل سرعة. وأيضاً صعد وارتفع كما في كتب اللغة، وأما ما يكون من باب علم فهو بمعنى أحب يقال هوية هوى فهو هو أحبه وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والنزوع. والمعنى بالفارسية [پس نكردان دلهاى بعضي از مردمان راكه بكشش محبت بشتابند بسوى ايشان] أي: إسماعيل وذريته وهم المؤمنون ولو قال أفئدة الناس بدون من التبعيضة لازدحمت عليهم فارس والروم والترك والهند.

آنراكه چنان جمال باشد كردل ببرد حلال باشد
وآنكس كه برانچنان جمالى عاشق نشود وبال باشد

قال المولى الجامي قدس سره:

رو بحرم نه كه بران خوش حريم هست سيه بوش نكارى مقيم
قبلهٔ خوبان عرب روى او سجدهٔ شوخان عجم سوى او

﴿وارزقهم﴾ أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين، كما في قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] اكتفاء بذكر إقامة الصلاة: ﴿من الثمرات﴾ من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبي إليه من الأقطار البعيدة وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ـ روي ـ عن ابن عباس أن الطائف وهي على ثلاث مراحل من مكة كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم بهذه الدعوة رفعها الله ووضعها رزقاً للحرم ﴿لعلهم يشكرون﴾ تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية.

يقول الفقير: اختلف العلماء في أن هذا الدعاء بعد بناء البيت أو قبل أول ما قدم مكة ويؤيد الأول قوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فإن الظاهر إن الإشارة حسية وقوله:

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] فإن إسحاق لم يكن موجوداً قبل البناء.

وقال بعضهم: الإشارة في هذا البلد إلى الموجود في الذهن قبل تحقق البلدية فإن الله لما أبان موضعه صحت إشارته إليه والمسؤول توجيه القلوب إلى الذرية للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج فقط وإلا لقيل تهوي إليه وهو عين الدعاء بالبلدية.

يقول الفقير: فيه نظر لأنه لم لا يجوز أن يكون المعنى على حذف المضاف أي تهوي إلى موضعهم الشريف للحج وقد أشار إليه في التيسير حيث قال عند قوله: ﴿تهوي إليهم﴾ حبب هذا البيت إلى عبادك ليأتوه فيحجوه.

قال في «الإرشاد»: تسميته إذ ذاك بيتاً ولم يكن له بناء وإنما كان نشزاً أي مكاناً مرتفعاً تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده، كما قال الكاشفي عند قوله: ﴿بيتك المحرم﴾ [مراد موضع خانهء ضراح است كه درزمان آدم بوده واكرنه بوقت دعاء إبراهيم خانهء نبوده﴾ والضراح كغراب البيت المعمول في السماء الرابعة كما في «القاموس».

ويؤيد هذا ما روي أن إبراهيم عليه السلام كان يسكن في أرض الشام وكانت لزوجته سارة جارية اسمها هاجر فوهبتها من إبراهيم، فلما ولدت له إسماعيل غارت سارة وحلفته أن يخرجهما من أرض الشام إلى موضع ليس فيه ماء ولا عمارة فتأمل إبراهيم في ذلك، كما قال الكاشفي [خليل متأمل شد وجبرائيل وحي آوردكه هرچه ساره ميكويد چنان كن پس إبراهيم ببراقي نشسته وهاجر وإسماعيل را سوار كرده باندك زماني ازشام بزمين حرم آمد] فلما أخرجهما إلى أرض مكة جاء بها وبابنها وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ولم يكن بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم عاد متوجهاً إلى الشام فتبعته أم إسماعيل، وجعلت تقول له إلى من تكلنا في هذا البلقع؟ وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت: الله أمرك بهذا بأن تسكني وولدي في هذا البلقع فقال إبراهيم نعم قالت: إذا لا يضيعنا فرضيت ورجعت إلى ابنها ومضى إبراهيم حتى إذا استوى على ثنية كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة أقبل على الوادي، أي استقبل بوجهه نحو البيت ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت﴾ الآية وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتأكل التمر وتشرب الماء فنفد التمر والماء فعطشت هي وابنها فجعل يتلبط فذهبت عنه لئلا تراه على تلك الحالة فصعدت الصفا تنظر لترى أحداً فلم تر، ثم نزلت أسفل الوادي ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى أتت المروة وقامت عليها ونظرت لترى أحداً فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث أي حفر بجناحه حتى ظهر الماء.

قال الكاشفي: [چشمهء زمزم بركف جبريل يا باثر قدم إسماعيل بديد آمد] فجعلت تحوضه بيدها وتغرف من الماء لسقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت عيناً معيناً» أي جارية ظاهرة على وجه الأرض فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله كما في «تفسير الشيخ».

قال في «الإرشاد»: وأول آثار هذه الدعوة ما روي أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام وهم قبيلة من اليمن فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوا إسماعيل وهاجر فرأوهما وعندهما عين ماء، فقالوا: أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت وكانوا معها إلى أن شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج اسماعيل منهم كما هو المشهور.

قال الكاشفي: [قبيلهٔ جرهم آنجا داعيهٔ أقامت نمودند وروز بروز شوق مردم بران جانب درتزايدست].

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿إني أسكنت﴾ الآية يشير إلى محمد ﷺ فإنه كان من ذريته وكان في صلب اسماعيل فتوسل بمحمد ﷺ إلى الله تعالى في إعانة هاجر وإسماعيل يعني أن ضيعت إسماعيل ليهلك فقد ضيعت محمداً وأهلكته.

بيشتر از آمدن زربكان سكهٔ توبود بعالم عيان

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ربنا﴾ [اي پرورد كارما] **﴿إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾** من الحاجات وغيرها ومقصده إن إظهار هذه الحاجات ليس لكونها غير معلومة لك بل إنما هو لإظهار العبودية والافتقار إلى رحمتك والاستعجال لنيل أياديك.

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

﴿وما يخفى﴾ دائماً إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى **﴿على الله﴾** علام الغيوب **﴿من﴾** للاستغراق **﴿شيء﴾** ما **﴿في الأرض ولا في السماء﴾** لأنه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته إلى كل معلوم.

آنچه پيدا وآنچه پنهانست همه بادانش تو يكسانست

لا عارضي ولا كسبي ليختص بمعلوم دون معلوم كعلم البشر والملك، تلخيصه لا يخفى عليك شيء ما في مكان فافعل بنا ما هو مصلحتنا فالظرف متعلق بيخفى أو شيء ما كائن فيهما على أنه صفة لشيء.

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر﴾ على ههنا معنى مع وهو في موقع الحال أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاماً للنعمة وإظهاراً لشكرها؛ لأن زمان الكبر زمان العقم **﴿إسماعيل﴾** سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع يا أيل وأيل هو الله فلما رزق به سماه به كما في «معالم التنزيل».

وقال في «إنسان العيون» معناه بالعبرانية مطيع الله روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة. **﴿وإسحاق﴾** اسمه بالعبرانية الضحاك كما في «إنسان العيون» روي أنه ولد له إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وإسماعيل يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة. **﴿إن ربي﴾** ومالك أمري، **﴿لسميع الدعاء﴾** أي: لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد كما قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]

فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها.

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾ معدّلاً لها من أقمت العود إذا قومته، أو مواظباً عليها من قامت السوق إذا نفقت أي راجت، أو مؤدياً لها والاستمرار يستفاد من العدول من الفعل إلى الاسم حيث لم يقل اجعلني أقيم الصلاة. ﴿ومن ذريتي﴾ أي وبعض ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لعلمه بإعلام الله تعالى واستقرار عادته في الأمم الماضية أن يكون في ذريته كفار وهو يخالف قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] والإشارة إلى إقامة الصلاة إلى إدامة العروج فإن الصلاة معراج المؤمن وبه يشير إلى دوام السير في الله بالله. ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائي هذا المتعلق باجعلني وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ﴿ربنا اغفر لي﴾ أي ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ﴿ولوالدي﴾ وهذا الاستغفار منه إنما كان قبل تبين الأمر له عليه السلام. يعني [قبل ازنهى بوده وهنوز يأس ازايمان ايشان نداشت].

قال في «الكواشي»: استغفر لأبويه وهما حيان طمعاً في هدايتهما أو أن أمه أسلمت فأراد إسلام أبيه وذلك أنهم صرحوا بأن أمه كانت مؤمنة ولذا قرأ بعضهم: «ولوالدتي» وقال الحافظ السيوطي يستنبط من قول إبراهيم. ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة إن المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له أي في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] هو عمه لا أبوه الحقيقي والعرب تسمي العم أباً كما تسمي الخالة أمّا.

قال في «حياة الحيوان»: في الحديث: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعص؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول: إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي أن يكون في النار فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ والذيخ بكسر الذال ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار والحكمة في كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع لما كان يغفل عما يجب التيقظ له وصف بالحمق، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحجَر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً كان فيه تشويه لخلقه فأراد الله إكرام إبراهيم بجعل أبيه على هيئة متوسطة.

قال في «المحكم»: يقال ذيخته أي ذللته فلما خفض إبراهيم له جناح الذل من الرحمة لم يحضر بصفة الذل يوم القيامة.

انتهى كلام الامام الدميري في «حياة الحيوان»: ﴿وللمؤمنين﴾ كافة من ذريته وغيرهم واكتفى بذكر مغفرة المؤمنين دون مغفرة المؤمنات لأنهن تبع لهم في الأحكام وللإيذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة، وفي الحديث: «من عمم بدعائه المؤمنين والمؤمنات استجيب له» فمن السنة أن لا يختص نفسه بالدعاء.

قال في «الأسرار المحمدية»: اعلم إنه يكره للامام تخصيص نفسه بالدعاء بأن يذكر ما

يذكر على صيغة الأفراد لا على صيغة الجمع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يؤم عبد قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم» رواه ثوبان بل الأولى أيضاً إن كان منفرداً أن يأتي بصيغة الجمع فينوي نفسه وآباءه وأمهاته وأولاده وإخوانه وأصدقاءه المؤمنين الصالحين فيعممهم بالدعاء وينالهم بركة دعائه وينال الداعي بركات هممهم وتوجههم بأرواحهم إليه ـ روي ـ عن السلف بل عن النبي ﷺ أن يصيبه بعدد كل مؤمن ومؤمنة ذكره حسنة، يعني أن نواه بقلبه حين دعائه فهكذا افهم واعمل في جميع دعواتك انتهى «كلام الأسرار». ﴿يوم يقوم الحساب﴾ أي يثبت ويتحقق محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق.

وفي «التأويلات» ﴿ربنا اغفر لي﴾ أي: استرني وامحني بصفة مغفرتك لئلا أرى وجودي فإنه حجاب بيني وبينك.

خمير مايهٔ هر نيك وبد تويى جامي خلاص از همه مي بايدت زخود بكريز

﴿ولوالدي﴾ أي: ولمن كان سبب وجودي من آبائي العلوي وأمهاتي السفلي لكيلا يحجبوني وعن رؤيتك. ﴿للمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وهو يوم كان في حساب الله في الأزل يقوم لكمالية كل نفس أو نقصانيته انتهى.

يقول الفقير: دعا إبراهيم عليه السلام بالمغفرة وقيدها بيوم القيامة لأن يوم القيامة آخر الأيام والخلاص فيه من المحاسبة والمناقشة يؤدّي إلى نجاة الأبد والفوز بالدرجات لأنه ليس بعد التخلية بالمعجمة إلا التحلية بالمهملة فقدّم الأهم والأصل ولشدة هذا اليوم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أهوال القيامة وشدائدها.

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: الدول ثلاث دولة في الحياة ودولة عند الموت ودولة يوم القيامة. فأما دولة الحياة فبان يعيش في طاعة الله، ودولة الموت بأن تخرج روحه مع شهادة أن لا إله إلا الله، وأما دولة النشر، فحين يخرج من قبره فيأتيه البشير بالجنة جعلنا الله وإياكم من أهل هذه الدولة الثلاث التي لا دولة فوقها في نظر أهل السعادة والعناية.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الحسبان بالكسر بمعنى الظن والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، والظالمون أهل مكة وغيرهم من كل أهل شرك وظلم، وهو خطاب لرسول الله ﷺ والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه تعالى، كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥] مع ما فيه من الإيذان لكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى من لا يمكن تعاطيه. والمعنى دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلاً عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستوجبونه من العذاب الأليم ﴿إنما يؤخرهم ليوم﴾ تعليل للنهي، أي لا يؤخر عذابهم إلا لأجل يوم هائل. ﴿تشخص فيه

﴿الأبصار﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف أي تبقى أعينهم مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه، يعني: أن تأخيره للتشديد والتغليظ لا للغفلة عن أعمالهم ولا لإهمالهم، يقال شخص بصر فلان، كمنع وأشخصه صاحبه إذا فتح عينيه ولم يطرف بجفنيه.

﴿مهطعين﴾ حال مقدرة من مفعول يؤخرهم، أي: مسرعين إلى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع كإسراع الأسير والخائف. وبالفارسية. [بشتابند بسوى إسرافيل كه ايشانرا بعرصهٔ محشر خواند] يقال اهطع البعير في السير إذا أسرع. ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ أي: رافعيها مع إدامة النظر من غير التفات إلى شيء.

قال في «تهذيب المصادر»: الاقناع أن يرفع رأسه ويقبل بطرفه إلى ما بين يديه.

وعن الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسب ما يرجع إليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أي لا تضم.

وفي «الكواشي»: أصل الطرف تحريك الجفون في النظر ثم سميت العين طرفاً مجازاً، والمعنى أنهم لا يلتفتون ولا ينظرون مواقع أقدامهم لما بهم انتهى. ﴿وأفئدتهم﴾ قلوبهم ﴿هواء﴾ خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل.

وفي «الكواشي»: تلخيصه، الأبصار شاخصة والرؤوس مقنعة، والقلوب فارغة زائلة لهول ذلك اليوم ثبتك الله وإيانا فيه.

والآية تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية للمظلوم وتهديد للظالم.

قال أحمد بن حضرويه: لو أذن لي في الشفاعة ما بدأت إلا بظالمي قيل له وكيف؟ قال: لأني نلت به ما لم أنله بوالدي قيل: وما ذاك قال تعزية الله في قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾. وفي «المثنوي»:

آن يكى واعظ چو بر تخت آمدى ... قاطعان راه را داعي شدي
دست برمى داشت يا رب رحم ران ... بربدان ومفسدان وطاغيان
برهمه تسخر كنان اهل خير ... برهمه كافر دلان واهل دير
او نكردي آن دعا براصفيا ... مى نكردي جز خبيثا نرا دعا
مرورا كفتند كين معهود نيست ... دعوت اهل ضلالت جود نيست
كفت نيكويى ازينها ديده ام ... من دعاشان زين سبب بكزيده ام
خبث وظلم وجور چندان ساختند ... كه مرا ازشر بخير انداختند
هر كهى كه رو بدنيا كرد مى ... من ازيشان زخم وضربت خوردمى
كردمى از زخم آن جانب پناه ... باز آوردندمى كر كان براه
چون سبب ساز صلاح من شدند ... پس دعاشان برمنست اي هوشمند

وفي «الكواشي»: واستدل بعضهم على قيام الساعة بموت المظلوم مظلوماً قالوا وجد على جدار الصخرة:

نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

قال السعدي قدس سره:

نخفتست مظلوم ازآهش بترس زدود دل صبحكاهش بترس
نترسى كه پاك اندروني شبى بر آرد سوز جكر يا ربي
نمى ترسى ازكرك ناقص خرد كه روزي پلنكيت برهم درد

والإشارة: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً﴾ أي في الأزل ﴿عما يعمل الظالمون﴾ اليوم، يعني: كل عمل يعمله الظالمون لم يكن الله غافلاً عنه في الأزل بل كل ذلك كان بقضائه وقدره وإرادته مبنياً على حكمته البالغة جعل سعادة أهل السعادة وشقاوة أهل الشقاوة مودعة في أعمالهم والأعمال مودعة في أعمارهم ليبلغ كل واحد من الفرقتين على قدمي أعمالهم الشرعية والطبيعية إلى منزل من منازل السعداء ومنزل من منازل الأشقياء يوم القيامة فلذا أخر الظالمين ليزدادوا إثماً يبلغهم منازل الأشقياء.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وأنذر الناس﴾ أي خوفهم جميعاً يا محمد ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ أي من يوم القيامة أو من يوم موتهم فإنه أول أيام عذابهم حيث يعذبون بالسكرات، وهذا الإنذار للكفرة أصالة وللمؤمنين تبعية وإن لم يكونوا معذبين. ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ منهم بالشرك والتكذيب. ﴿ربنا أخرنا﴾ ردنا إلى الدنيا وأمهلنا. ﴿إلى أجل قريب﴾ إلى أمد وحدّ من الزمان قريب قال سعدي المفتي لعل في النظم تضميناً، والتقدير ردنا إلى ذي أجل قريب أي قليل وهو الدنيا مؤخراً عذابنا.

وقال الكاشفي: [عذاب مارا تأخيركن ومارا بدنيا فرست ومهلت ده تامدتي نزديك او] آخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك. ﴿نجب دعوتك﴾ جواب للأمر أي الدعوة إليك وإلى توحيدك. ﴿ونتبع الرسل﴾ فيما جاؤونا به، أي نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة الدعوة واتباع الرسل. ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ على إضمار القول عطفاً على «فيقول»، أي: فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم، أي حلفتم إذ ذاك بألسنتكم تكبراً وغروراً. ﴿ما لكم من زوال﴾ مما أنتم عليه من التمتع جواب للقسم أو بألسنة الحال حيث بنيتم شديداً وأملتم بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال عن هذه الحال.

وفيه إشعار بامتداد زمان التأخير وما لكم من زوال من هذه الدار إلى دار أخرى للجزاء فالأول مبني على إنكار الموت والثاني على إنكار البعث.

وفي «التأويلات النجمية» يشير به إلى التناسخية فإنهم يزعمون أن لا زوال لهم ولا للدنيا بأن واحداً منهم إذا مات انتقل روحه إلى قالب آخر فأراد بهذا الجواب أن لو رجعناكم إلى الدنيا لتحقق عندكم مذهب التناسخ، وما أقسمتم من قبل على أنه ما لكم من زوال.

قال في «التعريفات» التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد.

﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي كعاد وثمود غير محدثين

لأنفسكم بما لقوا من العذاب بسبب ما اكتسبوا من السيئات. ﴿وتبين لكم﴾ بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار. ﴿كيف فعلنا بهم﴾ من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وليس الجملة فاعلاً لتبين لأن الاستفهام له صدر الكلام ولأن كيف لا يكون إلا ظرفاً أو خبراً أو حالاً بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم. ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ أي بينا لكم في القرآن العظيم صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالهم على أعمالكم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعدوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي يعني أنكم سمعتم هذا كله في الدنيا فلم تعتبروا فلو رجعتم بعد هذا اليوم لا ينفعكم الموعظة أيضاً. وفي «المثنوي»:

قصهٔ آن آبكيرست اي عنود — كه دراوسه ماهىٔ اشكرف بود
چند صيادى سوى آن آبكير — بركذشتند وبديدند آن ضمير
پس شتابيدند تادام آورند — ماهيان واقف شدند وهو شمند
آنكه عاقل بود عزم راه كرد — عزم راه مشكل ناخواه كرد
كفت بااينها ندارم مشورت — كه يقين شستم كنند از مقدرت
مهر زاد وبود برجانشان تند — كاهلى وحمقشان برمن زند
مشورت را زندهٔ بايد نكو — كه ترا زنده كند آن زنده كو
اي مسافر با مسافر رأى زن — زانكه پايت بسته دارد رأى زن
ازدم حب الوطن بكذر مأيست — كه وطن آن سوست جان اين سوى نيست
كفت آن ماهىٔ زيرك ره كنم — دل زرأى ومشورتشان بركنم
نيست وقت مشورت هين راه كن — چون على توآه اندر چاه كن
شب روپنهان روى كن چون عسس — سوى دريا عزم كن زين آبكير
محرم آن آه كميابست وبس — بحرجو وترك اين كرداب كير
سينه را پاساخت مى رفت آن حذور — از مقم باخطر تابحر نور
همچو آهو كزپى اوسك بود — مى دود تادر تنش يكرك بود
خواب خركوش وسك اندرپى خطاست — خواب خوددر چشم ترسنده كجاست
رنجها بسيار ديد وعاقبت — رفت آخر سوى أمن وعافيت
خويشتن افكند در درياي ژرف — كه نيابد حد آن را هيچ طرف
پس چو صيادان بياوردند دام — نيم عاقل را ازان شدتلخ كام
كفت آه من فوت كردم فرصه را — چون نكشتم همره آن رهنما
بركذشته حسرت آوردن خطاست — باز نايد رفته ياد آن هباست
كفت ماهىٔ دكر وقت بلا — چونكه ماند از سايهٔ عاقل جدا
كوسوى دريا شد وازغم عتيق — فوت شد از من چنان نيكو رفيق
ليك زان نندیشم وبرخود زنم — خويشتن را اين زمان مرده كنم
پس بر آرم اشكم خود برزبر — پشت زيرم مى روم بر آب بر
مى روم برى چنانكه خس رود — نى بسباحي چنانكه كس رود

مرده كردم خويش وبسپارم بآب — مرك پيش ازمرك امنست وعذاب
همچنان مردوشكم بالافكند — آب مي بردش نشيب وكه بلند
هريكى زان قاصدان غصبه بس برد — كه دريغا ماهئ بهتر بمرد
پس كرفتش يك صياد ارجمند — پس پروتف كرد وبرخا كش فكند
غلط وغلطان رفت پنهان اندر آب — مانند آن أحمق همي كرد اضطراب
دام افكندند اندر دام ماند — احمقى اورا دران آتش فشاند
برسر آتش بپشت تابهٔ — با حماقت كشته او همخوابهٔ
او همي جوشيد از تف سعير — عقل مى كفتش ألم يأتك نذير

او همي كفت از شكنجه وزبلا — همچو جان كافران قالوا بلى
باز مي كفتي كه اكر اين بارمن — وارهم زين محنت كردن شكن
من نسازم جز بدر يايى وطن — آبكيريرا نسازم من سكن
آن ندامت از نتيجه رنج بود — نى زعقل روشن چون كنج بود
مى كند او توبه وپيرخرد — بانك لو ردوا لعادوا مي زند

فينبغي للمؤمن أن يكثر ذكر الموت فإنه لا غنية للمؤمن عن ست خصال. أولاها: علم يدله على الآخرة، والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله ويمنعه عن معصية الله، والثالثة: معرفة عدوه والحذر منه. والرابعة: عبرة يعتبر بها، والخامسة: إنصاف الخلق لكيلا تكون له يوم القيامة خصماء. والسادسة الاستعداد للموت قبل نزوله لكيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي فعلنا بالذين ظلموا ما فعلنا والحال إنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم والمكر الخديعة. **﴿وعند الله مكرهم﴾** أي: جزاء مكرهم الذي فعلوه. **﴿وإن﴾** وصلية **﴿كان مكرهم﴾** في العظم والشدة **﴿لتزول منه الجبال﴾** مسوى لإزالة الجبال عن مقارّها معداً لذلك.

قال في «الإرشاد»: أي وإن كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً لذلك لكونه مثلاً في ذلك.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ بتعذيب الظالمين ونصر المؤمنين، وأصله مخلف رسله وعده وقدم المفعول الثاني إعلاماً بأن لا يخلف وعده أحداً فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. والمعنى دم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا. **﴿إن الله عزيز﴾** غالب لا يماكر قادر لا يدافع. **﴿ذو انتقام﴾** لأوليائه من أعدائه.

قال في «القاموس»: انتقم منه عاقبه.

[ودر معالم از مرتضى علي رضي الله عنه نقل ميكندكه اين آيت در قصهٔ نمرود

جباراست كه چون سلامت إبراهيم از آتش مشاهده كرد كفت بزرك خدايى دارد إبراهيم كه اورا از آتش رهانيد من خواهم كه برآسمان روم وأورا به بينم أشراف مملكت كفتندكه آسمان بغايت مرتفع است وبدو رفتن باآساني ميسر نشود نمرود نشنيد وفرمود تاصرحي سازند درسه سال بايت بلندكه ارتفاع آن پنجهزار كزبود ودو فرسخ عرض آن بود وچون برانجا رفت آسمانرا همچنان ديدكه در زمين ميديد روز ديكر آن بنا بنهاد وبادى مهيب بوزيد وآن بنارا از بيخ وبنياد بكند وچون آن صرح از پاي در آمد وخلق بسيار هلاك شد نمرود خشم كرفت وكفت برآسمان روم وبا خداي إبراهيم كه مناره مرا بيفكند جنك كنم پس چهار كركس پرورش داد تاقوت تمام كرفتند وصندوقي چهار كوشه ساخت ودو دريكي فوقاني وديكري تحتاني در راست كرد بر چهار طرف أو چهار نيزه كه زير وبالا تونستي شد تعبيه نمود پس كركسانرا كرسنه داستند وچهار مردار برسر نيزها كرده أطراف صندق را برتن كركسان بستند ايشان از غايات جوع ميل ببالا كرده جانب مردار پراوز نمودند وصندوق راكه نمرود بايك تن در آنجا بود بهوا بعد ازشبانروزي نمرود در فوقاني كشاده آسمانرا برهمان حال ديدكه برزمين ميديد رفيق ر كفت تادر تحتاني بكشاد كفت بنكر تاچه مي بيني آنكس نكاه كرد وجواب دادكه غير آب چيزى ديكر نمى بينم بعد از شبا نروزي ديكركه باب فوقاني بكشاد همان حال بودكه روز سابق مشهده نمود ورفيق كه باب تحتاني بكشود بجزدود وتاريكي چيزى مشود نبود نمرود بترسيدي] فنودي أيها الطاغي اين تريد.

قال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخاً بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور ففزعت فظنت أنه قد حدث حادث في السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها وهو المراد من مكرهم.

يقال إن نمرود أول من تجبر وقهر وسن سنن السوء، وأول من لبس التاج فأهلكه الله ببعوضة دخلت في خياشيمه فعذب بها أربعين يوماً ثم مات.

سوى او خصمي كه تير انداخته ... پشتۀ كارش كفايت ساخته

وفي «المثنوي»:

اي خنك انراكه ذلت نفسه ... وأي آن كزسر كشى شد چون كه او

بندكئ او به از سلطاني است ... كه انا خيردم شيطاني است

فرق بين وبركزين تواي جليس ... بندكئ آدم از كبر بليس

أيها المؤمنون: أين الأنبياء والمرسلون؟ وأين الأولياء المقربون؟ وأين الملوك الماضية والجبارون المتكبرون ما لكم لا تنظرون إليهم ولا تعتبرون فاجتهدوا في الطاعات إن كنتم تعقلون واتقوا يوم ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ أي اذكر يوم تبدل هذه الأرض المعروفة

أرضاً أخرى غير معروفة وتبدل السموات غير السموات ويكون الحشر وقت التبديل عند الظلمة دون الجسر، أو يكون الناس على صراط كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال: «أما عند مواطن ثلاثة فلا عند الصراط والكتاب والميزان» قالت قلت يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذٍ؟ قال: «سألتني عن شيء ما سألني أحد قبلك الناس يومئذٍ على الصراط» والتبديل قد يكون في الذات كما بدلت الدراهم دنانير وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وغيرت شكلها والآية تحتملهما.

نقل القرطبي عن صاحب «الإفصاح» إن الأرض والسماء تبدلان مرتين المرة الأولى تبدل صفتهما فقط، وذلك قبل نفخة الصعق، فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر، أي يذهب نورهما ويكون مرة كالدهان ومرة كالمهل، وتكشف الأرض وتسير جبالها في الجو كالسحاب وتسوي أوديتها وتقطع أشجارها وتجعل قاعاً صفصفاً أي بقعة مستوية والمرة الثانية تبدل ذاتهما وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل الأرض بأرض من فضة لم يقع عليها معصية وهي الساهرة والسماء تكون من ذهب كما جاء عن علي رضي الله عنه.

والإشارة: تبدل أرض البشرية بأرض القلوب فتضمحل ظلماتها بأنوار القلوب وتبدل سموات الأسرار بسموات الأرواح فإن شموس الأرواح إذا تجلت لكواكب الأسرار انمحت أنوار كواكبها بسطوة أشعة شموسها بل تبدل أرض الوجود المجازي عند إشراق تجلى أنوار الربوبية بحقائق أنوار الوجود الحقيقي كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ﴿وبرزوا﴾ أي خرج الخلائق من قبورهم ﴿لله الواحد القهار﴾ أي لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار.

يقول الفقير: سمعت شيخي وسندي قدس سره وهو يقول في هذه الآية هذا ترتيب أنيق فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة ويقهرها الآثار فيضمحل الكل فلا يبقى سواه تعالى.

قال في «المفاتيح»: القهار هو الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه عاجز في قبضته.

وقيل هو الذي أذل الجبابرة وقصم ظهورهم بالإهلاك.

﴿وترى المجرمين يومئذٍ﴾ أي: يوم هم بارزون ﴿مقرنين﴾ حال من المجرمين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الفاسدة أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿في الأصفاد﴾ متعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وهي القيود كما في «القاموس» جمع صفد محركة وأصله الشد يقال صفدته إذا شددته شداً وثيقاً.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾.

﴿سرابيلهم﴾ أي: قمصانهم جمع سربال ﴿من قطران﴾ هو عصارة الأبهل والأرز ونحوهما.

قال في التفاسير: هو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربي فيحرق الجرب بحدته وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين فإنه ورد «وإن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» وقس عليها القطران ونعوذ بالله من عذابه كله في الدنيا والآخرة وما بينهما.

وقال في «التبيان»: القطران في الآخرة ما يسيل من أبدان أهل النار.

وعن يعقوب ﴿**من قطران**﴾ والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾ أي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جلدهم المسربل بالقطران لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات.

وفي «بحر العلوم»: الوجه يعبر به عن الجملة والذات مجازاً وهو أبلغ من الحقيقة أي وتشملهم النار وتلبسهم لأن خطاياهم شملتهم من كل جانب فجوزوا على قدرها حتى الاصرار والاستمرار.

﴿**ليجزي الله**﴾ متعلق بمضمر، أي: يفعل بهم، وذلك ليجزي ﴿**كل نفس**﴾ مجرمة ﴿**ما كسبت**﴾ من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقاً لعملها. ﴿**إن الله سريع الحساب**﴾ إذ لا يشغله حساب عن حساب فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفى الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن قريب.

وفي «التأويلات» وترى المجرمين وهم أرواح أجرموا إذا تبعوا النفوس ووافقوها في طلب الشهوات والإعراض عن الحق يومئذٍ، أي: يوم التجلي مقيدين في النفوس بقيود صفاتها الذميمة الحيوانية ولا يستطيعون للبروز والخروج لله سرابيلهم من قطران المعاصي وظلمات النفوس وهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة والحرمان، ليجزي الله كل نفس، أي: كل روح بما كسبت من صحبة النفس وموافقتها إن الله سريع الحساب، أي: يحاسب الأرواح بالسرعة في الدنيا ويجزيهم بما كسبوا في متابعة النفوس من العمى والصمم والجهل والغفلة والبعد وغير ذلك من الآفات قبل يوم القيامة.

﴿**هذا**﴾ القرآن بما فيه من فنون العظات والقوارع ﴿**بلاغ للناس**﴾ كفاية لهم في الموعظة والتذكير.

قال في «القاموس»: البلاغ كسحاب الكفاية ﴿**ولينذروا به**﴾ عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا به.

وفي «التأويلات»: أي لينتبهوا بهذا البلاغ قبل المفارقة عن الأبدان فينتفعوا به فإن الانتباه. بالموت لا ينفع. ﴿**وليعلموا**﴾ بالتأمل فيما فيه من الآيات ﴿**إنما هو إله واحد**﴾ [آنكه اوست خداي يكتا] أي: لا شريك له فيعبدوه ولا يعبدوا إلهاً غيره من الدنيا والهوى والشيطان وما يعبدون من دون الله. ﴿**وليذكر أولو الألباب**﴾ أي لتذكروا ما كانوا يعملون من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحصنهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة.

قال «البيضاوي» اعلم أنه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية، والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى.

قال في «بحر العلوم»: وليذكر أولو الألباب أي وليتعظ ذوو العقول فيختاروا الله ويتقوه في المحافظة على أوامره ونواهيه وبذلك وصى جميع أولي الألباب من الأولين والآخرين قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ويكفيهم ذلك عظة أن اتعظوا، والعقول في ذلك متفاوتة فيجزي كل أحد منهم على قدر عقله قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مدينة من نور لم ينظر إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف والأزواج والخدام من النور أعدها الله للعاقلين فإذا ميز الله أهل الجنة من أهل النار ميز أهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزي كل قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين مشارق الأرض ومغاربها بألف ضعف».

يقول الفقير: أشير بالعقلاء ههنا إلى من اختاروا الله على غيره وإن كانوا متفاوتين في مراتبهم بحسب تفاوت عقولهم وعلومهم بالله وهم المرادون فيما ورد «أكثر أهل الجنة البله» والعقلاء في عليين فالأبله وهو من اختار الجنة ونعيمها دون من اختار الله وقربه في المرتبة فإنه العابد بالمعاملات الشرعية وهذا العارف بالأسرار الإلهية والعارف فوق العابد ألا ترى أن مقامه من نور ومقام العابد من الجوهر والنور فوق الجوهر في اللطافة. قال الكمال الخجندي:

نيست ما راغم طوبى وتمناى بهشت شيوهٔ مردم نا اهل بودهمت پست

وقال المولى الجامي:

يا من ملكوت كل شيء بيده طوبى لمن ارتضاك ذخره الغده
اين پس كه دلم جز تونداردكامى توخواه بده كام دلم خوا مده

جعلنا الله ممن اختاره على غيره في المحافظة على حدوده واتعظ بموعظته ونصيحته وخلص له أمر محياه ومماته ورزقنا الفوز بشرف عفوه ومرضاته برسوله محمد وعترته الطيبين الطاهرين آمين.

تمت سورة إبراهيم بعون الله الكريم صبيحة اليوم الأول من ذي الحجة
من سنة ثلاث ومائة وألف

تفسير سورة الحجر

وهي مكية وآيها تسع وتسعون كما في التفاسير الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾.

﴿الر﴾ اسم للسورة وعليه الجمهور أي هذه السورة مسماة بالر.

وقال الكاشفي: ﴿علما را در حروف مقطعة أقاويل بسيارست جمعي بر آنندكه مطلقاً درباب آن سخن كفتن سلوك سبيل جرأتست. ودر ينابيع آورده كه فاروق را از معنى اين حروف برسيدند فرمودند اكردورى سخن كويم متكلف باشم وحق تعالى بيغمبر خودرا فرموده كه بكو وما أنا من المتكلفين] يقول الفقير: إنما عد حضرة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ المقال فيه من باب التكلف لا من قبيل ما يعرف بالذوق الصحيح والمشرب الشافي، واللسان قاصر عن إفادة ما هو كذلك على حقيقته لأنه ظرف الحروف والألفاظ لا ظرف المعاني والحقائق ولا مجال له لكونه منتهياً مقيداً أن يسع فيه ما لا نهاية له.

وفيه إشعار بأن الكلام فيه ممكن في الجملة، وأما قول من قال: إن هذه الحروف من أسرار استأثر الله بعلمها ففي حق القاصرين عن فهم حقائق القرآن والخالين عن ذوق هذا الشأن وعلم عالم المشاهدة والعيان، وإلا فالذي استأثر الله بعلمه إنما هي الممتنعات وهي ما لم يشم رائحة الوجود بل بقي في غيب العلم المكنون بخلاف هذه الحروف فإنها ظهرت في عالم العين، وما هو كذلك لا بد وأن يتعلق به علم الأكملين لكونه من مقدوراتهم فالفرق بين علم الخالق والمخلوق أن علم الخالق عام شامل بخلاف علم المخلوق فافهم هداك الله [وبعضي كويند هر حرفي اشارت باسميست چنانچه در الر الف اشارت باسم الله است ولام باسم جبريل ورا باسم خضرت رسول الله ﷺ اين كلام ازخداي تعالى بواسطهٔ جبريل برسول رسيده] ﴿تلك﴾ السورة العظيمة الشأن. ﴿آيات الكتاب﴾ الكامل الحقيق باختصاص اسم الكتاب على الإطلاق على ما يدل عليه اللام أي بعض من جميع القرآن أو من جميع المنزل إذ ذاك أو آيات اللوح المحفوظ ﴿وقرآن﴾ عظيم الشأن ﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والمصالح أو لسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام فهو من أبان المتعدي ويمكن أن يجعل من اللازم، الظاهر أمره في الإعجاز، أو الواضحة معانيه للمتدبرين، أو البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم، وعطف القرآن على الكتاب من عطف إحدى الصفتين على الأخرى أي الكلام الجامع بين التكابية والقرآنية.

وفي «: التأويلات النجمية» يشير بكلمة ﴿تلك﴾ إلى قوله: ﴿الر﴾ أي كل حرف من هذه الحروف حرف من آية من ﴿آيات الكتاب و﴾ هي ﴿قرآن مبين﴾

فالألف إشارة إلى آية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

واللام إشارة إلى آية ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ١٤].

والراء إشارة إلى آية ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ﴾ [الأعراف: ٢٣] فالله تعالى اقسم بهذه الآيات الثلاث بإشارة هذه الحروف الثلاثة ثم اقسم بجميع القرآن بقوله: ﴿وقرآن مبين﴾.

﴿ربما﴾ رب ههنا للتكثير كما في «مغني اللبيب». والمعنى بالفارسية «أي بساوقت كه» ﴿يود﴾ يتمنى في الآخرة ﴿الذين كفروا﴾ بالقرآن وبكونه من عند الله ﴿لو كانوا مسلمين﴾ يعني في الدنيا مستسلمين لأحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ومفعول يود محذوف لدلالة لو كانوا مسلمين عليه أي يودون الإسلام على أن لو للتمني حكاية لودادتهم فلا تقتضي جواباً، وإنما جيء بها على لفظ الغيبة نظراً إلى أنهم مخبر عنهم ولو نظر إلى الحكاية لقيل لو كنا مسلمين، وأما من جعل لو الواقعة بعد فعل يفهم منه معنى التمني حرفاً مصدرية فمفعول يود عنده لو كانوا مسلمين، على أن يكون الجملة في تأويل المفرد، وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار، لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ فقالوا: بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم؟ وأنتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله لهم يفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذٍ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» وفي الحديث: «لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام» أي: يتمنونه أشد التمني ويودونه أشد الودادة وإلا فنفس الودادة ليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مستمرة في كل آن يمر عليهم قبل دخول النار وبعده كما يدل عليه رب التكثيرية.

وقال بعضهم: ربما يود الذين فسقوا لو كانوا مطيعين وربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين وربما يود الذين غفلوا لو كانوا ذاكرين.

اكر مرده مسكين زبان داشتي بفرياد وزاري فغان داشتي
كه اي زنده چون هست امكان كفت لب از ذكر چون مرده برهم مخفت
چومارا بغفلت بشد روز كار توبارى دمي چند فرصت شمار

وقال عبد الله بن المبارك: ما خرج أحد من الدنيا من مؤمن وكافر إلا على ندامة وملامة لنفسه، فالكافر لما يرى من سوء ما يجازي به، والمؤمن لرؤية تقصيره في القيام بموجب الخدمة وترك الحرمة وشكر النعمة.

وقال ابن العرجي: الكفران هنا كفران النعمة ومعناه ربما يود الذين جهلوا نعم الله عندهم وعليهم أن لو كانوا شاكرين عارفين برؤية الفضل والمنة.

يقول الفقير: عبارة الكفر وإن كانت شاملة لكفر الوحدة وكفر النعمة لكن الآية نص في الأول ولا مزاحمة في باب المعاني الثواني التي هي من قبيل الإشارات القرآنية والمدلولات المحتملة فعليك العمل بالكل فإنه سلوك لخير السبل.

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾

﴿ذرهم﴾ أي دع الكفار يا محمد عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة لا سبيل إلى ارعوائهم عن ذلك.

والآية منسوخة بآية القتال كما في «بحر العلوم».

قال الكاشفي: [امر تهوين وتحقيراست يعني كافران درچه حسابند دست ازيشان بدار تا در دنيا] ﴿يأكلوا﴾ كالأنعام ﴿ويتمتعوا﴾ بدنياهم وشهواتها والمراد دوامهم على ذلك لا إحداثه فإنهم كانوا كذلك، وهما أمران بتقدير اللام لدلالة ذرهم عليه أو جواب أمر على التجوز لأن الأمر بالترك يتضمن الأمر بهما أي دعهم وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطون ﴿ويلههم﴾ أي: يشغلهم عن اتباعك أو عن الاستعداد للمعاد. ﴿الأمل﴾ التوقع لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيراً. قال الصائب:

درسر اين غافلان طول امل داني كه چيست اشيان كردست ماري دركبوتر خانهٔ

قال في «بحر العلوم»: إن الأمل رحمة لهذا الأمة لولاه لتعطل كثير من الأمور وانقطع أغلب أسباب العيش والحياة، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأمل رحمة الله لأمتي لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً» رواه أنس، والحكمة لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا.

قال بعضهم: لو كان الناس كلهم عقلاء لما أكلنا رطباً ولا شربنا ماء بارداً يعني أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب، ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد كما في «اليواقيت».

قال في «شرح الطريقة»: الأمل إرادة الحياة للوقت، للتراخي بالحكم، والجزم، أعني بلا استثناء ولا شرط صلاح، وهو مذموم في الشرع جداً، وغوائله أربع الكسل في الطاعة وتأخيرها وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب بعد ذكر الموت والحرص على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه وهو وعيد لهم.

قال في «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾ تهديد لنفس ذاقت حلاوة الإسلام ثم عادت إلى طبعها الميشوم واستحلت مشاربها من نعيم الدنيا واستحسنت زخارفها فيهددها بأكل شهوات الدنيا والتمتع بنعيمها ثم قال: ﴿فسوف يعلمون﴾ ما خسروا من أنواع السعادات والكرامات والدرجات والقربات وما فات منهم من الأحوال السنية والمقامات العلية وما أورثتهم الدنيا الدنية من البعد من الله والمقت وعذاب نار القطيعة والحرمان.

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿وما أهلكنا﴾ شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب أي: وما أهلكنا. ﴿من قرية﴾ من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو باخلائها عن أهلها غب إهلاكهم كما فعل بآخرين ﴿إلا ولها﴾ في ذلك الشأن ﴿كتاب﴾ أي: أجل مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له. ﴿معلوم﴾ لا ينسى ولا يغفل حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر. فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها، لا سيما

بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه، والمعنى وما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال أن يكون لها كتاب أي أجل مؤقت لهلكها قد كتبناه لانهلكها قبل بلوغه، معلوم لا يغفل عنه حتى تمكن مخالفته بالتقدم والتأخر، أو صفة للقرية. المقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي وما اهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم، وتوسيط الواو بينهما وإن كان القياس عدمه للإيذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث أن الواو شأنها الجمع والربط.

﴿**ما تسبق**﴾ ما نافية ﴿**من**﴾ زائدة ﴿**أمة**﴾ من الأمم الهالكة وغيرهم ﴿**أجلها**﴾ المكتوب في كتابها أي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها ﴿**وما يستأخرون**﴾ أي وما يتأخرون عنه، وإنما حذف لأنه معلوم ولرعاية الفواصل، وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له، وأما تأنيث ضمير أمة في أجلها وتذكيره في يستأخرون فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ما تسبق من أمة أجلها**﴾ حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وتستوفي نفسها من الحظوظ ما يبطل الحقوق. ﴿**وما يستأخرون**﴾ لحظة بعد استيفاء أسباب الهلاك والعذاب. قال السعدي:

طريقي بدست آر وصلحي بجوى شفيعي برانكيز وعذري بكوى
كه يك لحظه صورت نه بنددامان چو پيمانه پرشد بدور زمان

فعلى العاقل أن يجتهد في تزكية النفس الأمارة، وإزالة صفاتها المتمردة ومن المعلوم أن الدنيا كالقرية الصغيرة والآخرة كالبلدة الكبيرة ولم يسلم من الآفات إلا من توجه إلى السواد الأعظم «فإنه ما من لكل نفس» فلو مات عند الطريق فقد وقع أجره على الله، ولو تأخر واجتهد في عمارة قرية الجسد واشتغل بالدنيا وأسبابها هلك مع الهالكين، وإذا كان لكل نفس أجل لا تموت إلا عند حلوله وهو مجهول فلا بد من التهيىء في كل زمان وذكر الموت كل حين وآن وقصر الأمل وإصلاح العمل ودفع الكسل.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إنه اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله يقول: «ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت إني واضعه حتى اقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت إني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين» أي: لا تقتدرون على اعجاز الله عن إتيان ما توعدون به من الموت والحشر والحساب وغيرها من أحوال القيامة وأهوالها.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾.

﴿**وقالوا**﴾ أي: مشركوا مكة وكفار العرب لغاية تماديهم في العتو والغي.

وفي بعض التفاسير نزلت في عبد الله بن أمية ﴿**يا أيها الذي نزل عليه الذكر**﴾ نادوا به النبي عليه السلام على وجه التهكم، ولذا جننوه بقولهم: ﴿**إنك لمجنون**﴾ إذ لا يجتمع اعتقاد

نزول الذكر عليه ونسبة الجنون إليه. والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن.

وقال الكاشفي: [بدرستى توديوانه كه مارا از نقد بنسيه مي خواني] وجواب هذه الآية قوله تعالى في سورة القلم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ٢] أي: ما أنت بمجنون حال كونك منعماً عليك بالنبوة وكمال العقل.

يقول الفقير: الجنون من أوصاف النقصان يجب تبرئة ساحة الأنبياء وكمل الأولياء منه وعد نسبته إليهم من الجنون، إذ لا سفه أشد من نسبة النقصان وسخافة العقل والاذعان إلى المراجيح الرزان، ولا عقل من العقول إلا وهو مستفيض من العقل الأول الذي هو الروح المحمدي، والعاقل بالعقل المعادي مجنون عند العاقل بالعقل المعاشي وبالعكس، ولا يكون مجنوناً بالجنون المقبول إلا بعد دخول دائرة العشق.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر.

جننا مثل مجنون بليلى شغفنا حب جيران بسلمى

يعني جننا من الأزل إلى الأبد بجنون عشق المعشوق الوجه الحق وحب المحبوب الجمال المطلق كما جن مجنون بجنون عشق المعشوق ليلى الخلق، وحب المحبوب الجمال المقيد. قال الصائب:

روزن عالم غيبست دل اهل جنون من وآن شهركه ديوانه فراوان باشد

﴿لو ما﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا وبالفارسية [چرا] ﴿تأتينا﴾ [نمى آرى] فالباء للتعدية في قوله ﴿بالملائكة﴾ يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الأنذار كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] يعني: [اكر راست مى كويي كه پيغمبرى فرشتكانرا حاضركن تا بحضور ما كواهى دهند برسالت تو] أو يعاقبوننا على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك فإن قدرة الله على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فقال الله تعالى في جوابهم:

﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي: ملتبساً بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم، ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم، مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلاً، فإن ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء العظام، من أفراد كمل المؤمنين، فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللئام، وإنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ إذن جواب وجزاء لشرط مقدر وهي مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين ثم ضم إليه إن فصار أذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة إن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ إن كان ما طلبوه منظرين والأنظار التأخير.

والمعنى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مؤخرين بعد نزولهم طرفة عين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لتعلق العلم الإرادة بازديادهم عذاباً وبإيمان بعض ذراريهم.

وفي «تفسير الكاشفي» ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ مكر بوحي نازل بعذاب. يعني

ملك رابصورت أصلي وقتى توانند ديدكه بجهت عذاب نازل شوند چنانچه قوم مود جبريل رادر زمان صيحه ديدند يابوقت مرك چنانچه همه كس مي بينند ﴿وما كانوا إذاً﴾ ونباشند آن هنكام كه ملائكه را بدين صورت فرستيم ﴿منظرين﴾ از مهلت داد كان يعني في الحال معذب شوند].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾.

﴿إنا نحن﴾ لعظم شأننا وعلو جنابنا ونحن ليست بفصل لأنها بين اسمين وإنما هي مبتدأ كما في الكواشي ﴿نزلنا الذكر﴾ ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له.

قال الكاشفي: [وذكر بمعنى شرف نيز مى آيد يعني اين كتاب موجب شرف خوانند كانست] يعني في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي: بما فيه شرفهم وعزهم وهو الكتاب ﴿وإنا له لحافظون﴾ في كل وقت من كل ما لا يليق به كالطعن فيه والمجادلة في حقيته والتكذيب له والاستهزاء به، والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان ونحوها، وأما الكتب المتقدمة فلما لم يتول حفظها واستحفظها الناس تطرق إليها الخلل.

وفي «التبيان» أو حافظون له من الشياطين من وساوسهم وتخاليطهم. يعني [شيطان نتواندكه دروچيزى از باطل بيفزايد يا چيزى از حق كم كند].

قال في «بحر العلوم»: حفظه إياه بالصرفة على معنى أن الناس كانوا قادرين على تحريفه ونقصانه كما حرفوا التوراة والإنجيل لكن الله صرفهم عن ذلك أو بحفظ العلماء وتصنيفهم الكتب التي صنفوها في شرح الفاظه ومعانيه ككتب التفسير والقراآت وغير ذلك. وفي «المثنوي»:

مصطفى را وعده كرد الطاف حق ... كر بميرى تونميرد اين سبق
من كتاب معجزت را رافعم ... بيش وكم كن را زقرآن مانعم
من ترا اندر دو عالم حافظم ... طاعنا نرا از حديثت دافعم
كس نتاند بيش وكم كردن درو ... تو به ازمن حافظي ديكر مجو
رونقت را روز روز افزون كنم ... نام توبر زر و بر نقره زنم
منبر ومحراب سازم بهرتو ... در محبت قهر من شد قهرتو
چا كرانت شهرها كيرند وجاه ... دين توكيرد زماهى تابماه
تا قيامت باقيش داريم ما ... تومترس ازنسخ دين اي مصطفى

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» ذكره أبو داود في سننه.

وفيما ذكر إشارة إلى أن القرآن العظيم ما دام بين الناس لا يخلو وجه الأرض عن المهرة من العلماء والقراء والحفاظ - روي - «أنه يرفع القرآن في آخر الزمان من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم

يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية» كما في «فصل الخطاب».

فعلى العاقل التمسك بالقرآن وحفظه نظماً ومعنى فإن النجاة فيه، وفي الحديث: «من استظهر القرآن خفف عن والديه العذاب وإن كانا مشركين»، وفي حديث آخر «اقرأوا القرآن واستظهروه فإن الله لا يعذب قلباً وعىٰ القرآن» وفي حديث آخر «لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق» أي من جعله الله حافظاً للقرآن لا يحترق.

وسئل الفرزدق لِمَ يهجوك جرير بالقيد فقال: قال لي أبي يوماً: تعال فذهبت أثره حتى جئنا إلى بادية فرأينا من بعيد شخصاً يجلس تحت شجرة مشغولاً بالعبادة، فغير أبي أوضاعه فمشى على مسكنة وذلة، فلما قرب منه خلع نعليه وسلم بالخضوع والخشوع عليه وهو لم يلتفت إليه ثم تضرع ثانياً فرفع رأسه ورد سلامه ثم خاطبه أبي بالتواضع إليه، وقال: إن هذا ابني وله قصائد من نفسه، فقال مرة: قل لابنك تعلم القرآن واحفظه قال ثم رجعنا من عنده فبكيت، فقال أبي: لِمَ تبكي يا بني ونور عيني؟ قلت: لِمَ لا أبكي وقد التفت إلى شخص وأنت من فضلاء الدهر وفصحائه وهو لم يلتفت إليك أصلاً؟ قال: اسكت هو أمير علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قلت: الآن هو أمرني بحفظ القرآن، فقال: نعم فعهدت أن أحفظه وقيدت قدميّ بالأدهم حتى حفظته ثم أطلقت فانظر إلى اهتمامه وحفظه.

درقيامت نرسد شعر بفرياد كسى   كه سراسر سخنش حكمت يونان كردد

كما قال مولانا سيف الدين المناري: وكان من كبار العلماء رأيت لبعضهم كلمات في الدنيا عالية ثم رأيته حال الرحلة عن الدنيا في غاية الضعف والتشويش وقد ذهب عنه التحقيقات والمعارف في ذلك الوقت فإن الأمر الحاصل بالتعمل والتكلف كيف يستقر حال الهرم والأمراض وضعف الطبيعة سيما حال مفارقة الروح.

قيل: اشتغل الامام زفر رحمه الله في آخر عمره بتعليم القرآن وتلاوته سنتين ثم مات ورآه بعض شيوخ عصره في منامه فقال لولا سنتان لهلك زفر.

قال الكاشفي: [وكويند ضمير عائد بحضرت رسالت است يعني نكهبان وييم از مضرت اعدا] كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

كر جمله جهانم خصم كردند   نترسم چون نكهدارم توباشى
زشادى درهمه حالم نكنجم   اكريك لحظه غمخوارم توباشى

والإشارة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] في قلوب المؤمنين وهو قول لا إله إلا الله نظيره قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فالمنافق يقول لا إله إلا الله ولكن لم ينزله الله في قلبه ولم يحصل فيه الإيمان ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي في قلوب المؤمنين ولو لم يحفظ الله الذكر والإيمان في قلوب المؤمن لما قدر المؤمن على حفظه لأنه ناس.

﴿ولقد أرسلنا﴾ أي رسلاً وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه ﴿من قبلك﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿في شيع الأولين﴾ أي: فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب، سموا بذلك لأن بعضهم يشايع بعضاً ويتابعه، من شايعه إذا تبعه ومنه الشيعة وهم الذين شايعوا علياً وقالوا إنه الامام بعد رسول الله، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفة عند الفراء، والأصل في الشيع

الأولين ومن حذف الموصوف عند البصريين أي في شيع الأمم الأولين، ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين.

﴿وما يأتيهم من رسول﴾ أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها. **﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾** كما يفعله هؤلاء الكفرة وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء، والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير مفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالإتيان حدوثه، أو في محل الرفع على أنها صفة لرسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: كإدخالنا الاستهزاء في قلوب الأولين. **﴿نسلكه﴾** أي: ندخل الاستهزاء، والسلك إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط أي الإبرة والرمح في المطعون. **﴿في قلوب المجرمين﴾** على معنى أنه يخلقه ويزينه في قلوبهم والمراد بالمجرمين مشركوا مكة ومن شايعهم في الاستهزاء والتكذيب.

﴿لا يؤمنون به﴾ أي بالذكر وهو بيان للجملة السابقة واختار المولى أبو السعود رحمه الله أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقروناً بالاستهزاء، وأن يعود ضمير نسلكه وبه إلى الذكر على أن يكون لا يؤمنون به حالاً من ضمير نسلكه، والمعنى أي مثل ذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤوا به من الكتب، نسلك الذكر في قلوب أهل مكة أو جنس المجرمين حال كونه مكذباً غير مؤمن به، لأنهم كانوا يسمعون القرآن بقراءة النبي ﷺ فيدخل في قلوبهم، ومع ذلك لا يؤمنون لعدم استعدادهم لقبول الحق لكونهم من أهل الخذلان. قال السعدي قدس سره:

کسی را که پندار در سر بود مپندار هر کزکه حق بشنود
زعلمش ملال آید ازوعظ ننك شقائق بباران نرويد ز سنك

قال سعدي المفتي: مكذباً أي حال الإلقاء من غير توقف كقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾** [البقرة: ٨٩] أي: في ذلك الزمان من غير توقف وتفكر فلا حاجة إلى جعلها حالاً مقدرة أي كما فعله الطيبي.

وفي «التأويلات النجمية» **﴿كذلك نسلكه﴾** أي: الكفر **﴿في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾** بواسطة جرمهم فإن بالجرم يسلك الكفر في القلوب كما يسلك الإيمان بالعمل الصالح في القلوب نظيره **﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: ١٥٥] **﴿وقد خلت سنة الأولين﴾** أي: قد مضت طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء، يعني: [هركه از ايشان هلاك شده بترك قبول حق وتكذيب رسل بوده] وفيه وعيد لأهل مكة على استهزائهم وتكذيبهم.

نه هر كز شنيدم درين عمر خويش كه بدمردار نيكى آمد به بيش

﴿ولو فتحنا عليهم﴾ أي على هؤلاء المقترحين المعاندين الذين يقولون لو ما تأتينا

بالملائكة ﴿باباً من السماء﴾ أي باباً ما لا باباً من أبوابها المعهودة، كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه ﴿فظلوا﴾.

قال في «بحر العلوم» الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أي فصاروا ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عياناً أو فظل الملائكة يصعدون وهم يشاهدونهم، ويقال ظل يعمل كذا إذا علمه بالنهار دون الليل، فالمعنى فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يروه عياناً، مستوضحين طول نهارهم كما قال الكاشفي: [پس باشند همه روزفر شتكان در نظر ايشان دران بر بالاميروند وازان در زير مى آيند].

﴿لقالوا﴾ لغاية عنادهم وتشكيكهم في الحق ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي سدت من باب الاحساس. يعني [اين صورت در خارج وجود ندارد].

قال في «القاموس»: قوله تعالى: ﴿سكرت أبصارنا﴾ أي حبست عن النظر وحيرت أو غطيت وغشيت.

وفي «تهذيب المصادر»: السكر [بند بستن] كما قال الكاشفي [جزين نيست كه بربسته اند چشمهاى مارا و خيره ساخته] ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] قد سحرنا محمد كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ [القمر: ٢] تلخيصه لو أوتوا بما طلبوا لكذبوا لتماديهم في الجحود والعناد وتناهيهم في ذلك كما في «الكواشي». وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بنوع من السحر، قالوا: كلمة إنما تفيد الحصر في المذكور آخراً فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكير فكأنهم قالوا سكرت أبصارنا لا عقولنا فنحن وإن نتخايل بأبصارنا هذه الأشياء لكنا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه، ثم قالوا: بل نحن كأنهم اضربوا عن الحصر في الأبصار وقالوا بل جاوز ذلك إلى عقولنا بسحر سحره لنا.

أي رسول ما تو جادوا نيستى آنچنانكه هيچ مجنون نيستى

واعلم أن السحر من خرق العادة، وخرق العادة قد يصدر من الأولياء فيسمى كرامة، وقد يصدر من أصحاب النفوس القوية من أصل الفطرة وإن لم يكونوا أولياء وهم على قسمين: إما خير بالطبع أو شرير، والأول: إن وصل إلى مقام الولاية فهو وليّ وإن لم يصل فهو من الصلحاء المؤمنين والمصلحين، والثاني: خبيث ساحر ولكل منهما التصرّف في العالم الشهادي بحسب مساعدة الأسباب المهيأة لهم فإن ساعدتهم الأسباب الخارجية استولوا على أهل العالم كالفراعنة من السحرة وإن لم تساعدهم ليس لهم ذلك إلا بقدر قوّة اشتغالهم بأسبابهم الخاصة والسحر لا بقاء له بخلاف المعجزة كالقرآن فإنه باق على وجه كل زمان والسحر يمكن معارضته بخلافها ولا يظهر السحر إلا على يد فاسق، وكذا الكهانة والضرب بالرمل والحصى ونحو ذلك والضرب بالحصى هو الذي يفعله النساء ويقال له الطرق وقيل الخط في الرمل وأخذ العوض عليه حرام كما في «فتح القريب».

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في «كتاب اختلاف الأئمة» السحر رقى وعزائم وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة.

وقال الإمام أبو حنيفة: لا حقيقة له ولا تأثير له في الجسم وبه قال جعفر الاستراباذي

من الشافعية وتعلمه حرام بالإجماع، وكذا تعلم الكهانة والشعبذة والتنجيم والضرب بالشعير وأما المعزم الذي يعزم على المصروع ويزعم أنه يجمع الجن وإنها تطيعه فذكره أصحابنا في السحرة ـ روي ـ عن الإمام أحمد أنه توقف فيه، وسئل سعيد بن المسيب عن الرجل الذي يؤخذ عن امرأته ويلتمس من يداويه فقال إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع فإن استطعت أن تنفع أخاك فافعل انتهى ما في اختلاف الأئمة باختصار، وكون السحر إشراكاً مبني على اعتقاد التأثير منه دون الله والتطير والتكهن والسحر على اعتقاد التأثير كفر، وكذا الذي تطير له أو تكهن له أو سحر له إن اعتقد ذلك وصدقه كفر وإلا فحرام وليس بكفر، فعلى الأول معنى قوله عليه السلام: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له» أنه كافر وعلى الثاني ليس من أهل سنتنا وعامل طريقتنا ومستحق شفاعتنا، وأما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب أو الآية المجربة أو بعض أسماء الله تعالى لدفع البلاء فلا بأس، ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان إلى النساء كذا في «التاتارخانية»، وعند البعض يجوز عدم النزع إذا كان مستوراً بشيء والأولى النزع كذا في «شرح الكردي على الطريقة».

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ولقد جعلنا﴾ الجعل هنا بمعنى الخلق والابداع. والمعنى: بالفارسية [وبدرستى كه ما آفرديم وبيدا كرديم]. ﴿في السماء﴾ متعلق بجعلنا. ﴿بروجاً﴾ قصوراً ينزلها السيارات السبع في السموات السبع كما أشار إليها في «نصاب الصبيان» على الترتيب بقوله:

هفت كوكب هست كيتى را كاه ازيشان مدار وكاه خلل
قمرست وعطارد وزهره شمس ومريخ ومشترى وزحل

وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص وأسماؤها: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وقد بسطنا القول في البروج والمنازل في أوائل سورة يونس فليراجع ثمة، وإنما سميت البروج التي هي القصور المرفوعة لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البرج من التبرج لظهورها.

وفي «شرح التقويم»: البرج في اللغة الحصن وغاية الحصن المنع عن الدخول والوصول إلى ما فيه ويقسم دور الفلك ويسمى كل قسم منها برجاً طول كل واحد ثلاثون درجة وعرضه مائة وثمانون من القطب إلى القطب وكل ما يقع في كل قسم يكون في ذلك البرج ولما كانت هذه الأقسام المتوهمة في الفلك كالموانع عن تصرفات أشخاص العالم السفلي فيما فيها من الأنجم وغيرها كما أشير إليه في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] اعتبر المناسبة وسميت بالبروج ﴿وزيناها﴾ أي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت وسميت السيارة لسرعة حركاتها وسميت الثابتة بالثوابت إما لثبات أوضاعها أبداً وإما لقلة حركاتها الثابتة وغاية بطئها، فإن السماويات ليست بساكنة وحركات الثوابت على رأي أكثر المتأخرين درجة واحدة في ست وستين سنة شمسية وثمان وستين سنة قمرية فيتم برجاً في ألفي سنة ودورة في أربعة وعشرين ألف سنة وتسمى

الثوابت بالكواكب البيابانية إذ يهتدى بها في الفلاة وهي البيابان بالعجمية، والكواكب الثابتة بأجمعها على الفلك الثامن وهو الكرسي وفوقه الفلك الأطلس أي فلك الأفلاك وهو العرش، سمي بالأطلس لخلوه عن الكواكب تشبيهاً له بالثوب الأطلس الخالي عن النقش ثم حركة الأفلاك بالإرادة وحركة الكواكب بالعرض إذ كل منها مركوز في الفلك كالكرة المنغمسة في الماء والكواكب التي أدركها الحكماء بإرصادهم ألف وتسعة وعشرون فمنها سيارة ومنها ثوابت والكل مما أدركوا وما لم يدركوا زينة السماء كما أن في الأرض زينة لها ﴿**للناظرين**﴾ لكل من ينظر إليها فمعنى التزيين ظاهر، أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة، وتخصيصهم لأنهم هم المنفعون بها وأما غيرهم فنظرهم كلا نظر. قال السعدي قدس سره:

دوچشم از پی صنع باری نکوست ... زعیب برادر فرو گیر و دوست
غبار هوا چشم عقلت بدوخت ... سموم هوا کشت عمرت بسوخت
بکن سرمهٔ غفلت از چشم پاك ... کهفردا شوی سرمه در چشم خاك

﴿**وحفظناها**﴾ أي السماء ﴿**من كل شيطان رجيم**﴾ مرمى بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف في أهلها ويقف على أحوالها، فيلاحظ في الكلام معنى الإضافة إذ الحفظ لا يكون من ذات الشيطان، وفي كلمة كل ههنا دلالة على أن اللام في الشيطان الرجيم في الاستعاذة لاستغراق الجنس كما في «بحر العلوم».

وقال بعضهم: هل المراد في الاستعاذة كل شيطان أو القرين فقط الظاهر إنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس، أما نحن فلان الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعد فلا يضر شيئاً.

والعاقل لا يستعيذ مما لا يؤذيه وأما الرسول عليه السلام فلأنه لما قيل له ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا ولكن الله تعالى أعانني عليه حتى أسلم فلا يأمرني إلا بخير» فإذا كان قرينه عليه السلام قد أسلم فلا يستعيذ منه فالاستعاذة حينئذٍ من غيره وغيره يتعين أن يكون إبليس أو أكابر جنوده لأنه قد ورد في الحديث: «أن عرش إبليس على البحر الأخضر وجنوده حوله وأقربهم إليه أشدهم بأساً ويسأل كلا منهم عن عمله وإغوائه ولا يمشي هو إلا في الأمور العظام» والظاهر أن أمر رسول الله ﷺ من أهم المهمات عنده فلا يؤثر به غيره من ذريته.

يقول الفقير إنما يستعيذ عليه السلام من الشيطان امتثالاً للأمر الإلهي لا غير، إذ لا تسلط له على أفراد أمته المخلصين بالفتح فضلاً عن التسلط عليه وهو آيس من وسوسته ﷺ لأنه يحترق من نوره عليه السلام فلا يقرب منه، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ففرض وتقدير وتشريع وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] لا يدل على وقوع المس في حق كل متق، بل يكفي وجوده في حق بعض أفراد الأمة في الجملة ولئن سلم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] أي إذا قرأ وناجى ألقى الوسوسة في قراءته ومناجاته فهو يعلم أنه عليه السلام لا يعمل بمقتضى وسوسته، لأنه نفسه أخرج المخلصين بالفتح من أن يتعرض لهم إغواء

أو يؤثر فيهم وسوسة، ولا مانع من الاستعاذة من كل شيطان سواء كان مؤذياً أم لا، إذ عداوته القديمة لبني آدم مصححة لها، ومن نصب نفسه للعداوة فأولاده تابعة له في ذلك وقد ذكروا أن لوسوسته اليوم في قلوب جميع أهل الدنيا حالة واحدة وهو كقبض عزرائيل عليه السلام الأرواح من بني آدم وهي في مواضع مختلف وهو في مكان واحد.

﴿إلا من استرق السمع﴾ محله النصب على أنه استثناء متصل، لأن المسترق من جنس الشيطان الرجيم أي إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو منقطع أي ولكن من استرق السمع أن فسر ذلك بالمنع عن دخولها أو التصرف فيها والاستراق افتعال وبالفارسية: [بدزديدن] والمسترق المستمع مختفياً كما في «القاموس» والسمع بمعنى المسموع كما قال الكاشفي [بدزدد سخنى مسموع] واستراق السمع اختلاسه سراً شبه به خطفتهم اليسيرة من قطاع السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر. **﴿فأتبعه﴾** أي: تبعه ولحقه وبالفارسية [پس از پى در آيدش وبدو رسد وبسوزدش] قال ابن الكمال: الفرق قائم بين تبعه واتبعه يقال اتبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه **﴿شهاب﴾** لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة **﴿مبين﴾** ظاهر أمره للمبصرين ومما يجب التنبه له أن هذا حكاية فعل قبل النبي ﷺ وأن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال قبل أن يبعثه الله فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق رأساً وبالكلية.

مهى بر آمد وبازار تيركى بشكست   كلى شكفت وهيا هوى خار آخرشد

ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد عليه السلام منعوا من السموات كلها بالشهب، وما يوجد اليوم من أخبار الجن على ألسنة المخلوقين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن كسرقة سارق أو خبية في مكان خفي، ونحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان كذباً كما في «آكام المرجان».

وفي الحديث: «إن الملائكة تنزل إلى العنان فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فيسترق الشيطان السمع فيوحيه إلى الكهان فيكذبون مائة كذبة من عند أنفسهم».

وفي بعض التفاسير إن الشياطين كانوا يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا أو كان الشيطان المارد يصعد ويكون الآخر أسفل منه فإذا سمع قال للذي هو أسفل منه قد كان من الأمر كذا وكذا فيهرب الأسفل لأخبار الكهنة ويرمي المستمع بالشهاب فهم لا يرمون بالكواكب نفسها لأنها قارة بالفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص فمنهم من يحرق وجهه وجبينه ويده وحيث يشاء الله ومنهم من يخبل أي يفسد عقله حتى لا يعود إلى الاستماع من السماء فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي ويغتالهم أي يهلكهم ويأخذهم من حيث لم يدروا.

قال ابن الأثير في «النهاية»: الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشيطان، وكانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتلون تلونا في صور شتى تضلهم عن الطريق وتهلكهم انتهى.

وفيه إشارة إلى أن وجود الغول لا ينكر، بل المنكر تشكلهم بأشكال مختلفة وإهلاكهم

بني آدم وهو مخالف لما سبق آنفاً من التفاسير اللهم إلا أن يراد أن ذلك قبل بعثة النبي عليه السلام وقد أبطله عليه السلام بقوله: «لا غول ولكن السعالى» أي: لا يستطيع الغول أن يضل أحداً فلا معنى للزعم المذكور. والسعالى بالسين المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن جمع سعلاة بالكسر ولكن في الجن سحرة تتلبس وتتخيل لهم.

قال في «أنوار المشارق»: والذي ذهب إليه المحققون أن الغول شيء يخوف به ولا وجود له كما قال الشاعر:

الجود والغول والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

وتزعم العرب أنه إذ انفرد رجل في الصحراء ظهرت له في خلقة إنسان ورجلاها رجلاً حمار انتهى.

وأما قول صاحب «المثنوي» قدس سره:

ذكر حق كن بانك غولاً نرا بسوز چشم نركس را ازين كركس بدوز

فيشير إلى الشياطين الخبيثة المفسدة بل إلى كل مضل للطالب عن طريق الحق على سبيل التشبيه وفائدة الذكر كونه دافعاً لوساوسه لأنه إذا ذكر الله خنس الشيطان أي تأخر، ولعل المراد ـ والله أعلم ـ أن الجن ليس لهم دماغ كأدمغة بني آدم فلا تحمل لهم على استماع الصوت الجهوري الشديد فالذاكر إذا رفع صوته بالذكر طرد عن نفسه الشيطان وأحرقه بنور ذكره وأفسد عقله بشدة صوته وشهاب نفسه المؤثر.

ذكر أبو بكر الرازي أن التكبير جهراً في غير أيام التشريق لا يسن إلا بإزاء العدو واللصوق تهيبياً لهم انتهى.

يقول الفقير: لما كان أعدى العدو هي النفس وأشد اللصوص والسراق هو الشيطان اعتاد الصوفية بجهر الذكر في كل زمان ومكان تهيبياً لهما وطرداً لوسوستهما والقاآتهما.

والعاقل لا يستريب فيه أصلاً ولا يصيخ إلى قول المنكر رأساً.

وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: قد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم انتهى.

وفيه إشارة إلى أن الروح مع القوى والأعضاء كالسلطان مع الاتباع والرعايا فما هو ملتزم في الآفاق ملتزم في الأنفس إلى أن ترتفع الحاجة والضرورة بأن أوقع المكالمة مع الندماء لكون المقام مقام الانبساط وقس عليه حال أهل الشهود والوصول إلى الله والحصول عنده بحيث ما غابوا لحظة.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿والأرض﴾ نصب على الحذف على شريطة التفسير. ﴿مددناها﴾ بسطناها ومهدناها للسكنى. وبالفارسية [وزمين را باز كشيدم برروى آب ازز يرخانه كعبه] عن أبي هريرة رضي الله عنه خلقت الكعبة أي موضعها قبل الأرض بألفي سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان

يسبحان الله فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها أي بسطها فجعلها في وسط الأرض.

وفي بعض الآثار: أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق السموات والأرض كان عرشه على الماء أي العذب، فلما اضطرب العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض أرسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات، ثم أزال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس. وفي لفظ أرسل على الماء ريحاً هفافة فصفقت الريح الماء أي ضرب بعضه بعضاً فأبرز عنه خشفة بالخاء المعجمة وهي حجارة يبست بالأرض في موضع البيت كأنها قبة وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الأرض طولها وعرضها وهي أصل الأرض وسرتها أي وسط الأرض المعمورة المسكونة وأما وسط الأرض عامرها وخرابها فقبة الأرض وهو مكان معتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ومستوفية الليل والنهار أبداً.

واعلم أن من الأمكنة الأرضية ما يلحق بعالم الجنان كمكة والمدينة وبيت المقدس والمساجد والبقاع للعبودية، خصوصاً ما بين قبر النبي عليه السلام ومنبره روضة من رياض الجنة ومن دخله وزاره بالاعتقاد الخالص والنية الصادقة كان آمناً من المكاره والمخاوف في الدنيا والآخرة.

اين چه زمين است كه عرش برين رشك برد باهمه رفعت بدين
چونكه نيم محرم ديوار تو مى نكرم بردر وديوار تو
آنكه شرف يافت بديدار تو جان چه بود تاكند ايثار تو

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً ثوابت، لولا هي لمارت، فلم يستقر له أحد على ظهرها يقال رسا رسوا ورسوّا ثبت كأرسى، شبه الجبال الرواسي استحقاراً لها واستقلالاً لعددها وإن كانت خلقاً عظيماً بحصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن وما هو إلا تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وإن كان فعل عظيم يتحير فيه الأذهان فهو هين عليه. والمعنى وجعلنا في الأرض رواسي بقدرتنا الباهرة وحكمتنا البالغة وذلك بأن قال لها كوني فكانت، فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً، فلم يدر أحد مم خلقت، وعدد الجبال سوى التلول ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون على ما في «زهرة الرياض» وأول جبل نصب على وجه الأرض أبو قبيس وهو جبل بمكة وأفضل الجبال على ما قاله السيوطي أحد بضمتين وهو جبل بالمدينة لقوله عليه السلام: «أحد يحبنا ونحبه» وكان مهبط آدم عليه السلام بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي أدم وذروة هذا الجبل أقرب ذري جبال الأرض إلى السماء كما في «إنسان العيون» ويضاف هذا الجبل إلى سرنديب وهو بلد بالهند والجبال خزائن الله في أرضه لمنافع عباده وإنها بمنزلة الرجال في الأكوان يقال للرجل الكامل جبل ـ حكي ـ أن بعض الأولياء رأى مناماً في الليلة التي هلك فيها رجال بغداد على يد هولاكو خان إن جبال العراقين ذهبت من وجه الأرض بهبوب الرياح المظلمة على بغداد فوصل الخبر أن هولاكو خان قد دخل مدينة بغداد في تلك الليلة وقتل من الأولياء والعلماء والصلحاء والأمراء وسائر الناس ما لا يحصى عدداً.

سركشته بودخواه ولى خواه نبي درواي ما أدري ما يفعل بي

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والأرض مددناها﴾ أي: أن أرض البشرية تميد كنفس الحيوانات إلى أن أرساها الله بجبال العقل وصفات القلب.

كشتئ بي لنكر آمد مردشر كه زباد كژنمي يابد حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى دربوزه كن از عاقلان

﴿وأنبتنا فيها﴾ أي في الأرض لأن الفواكه الجبلية غير منتفع بها في الأكثر أو لأن الأرض تعمها فإنها لما ألقيت فيها صارت منها ﴿من كل شيء موزون﴾ بميزان الحكمة ذاتاً وصفة ومقداراً أي مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون. يعني [برويانيديم اززمين چيزهاى نيكو مشتمل بر منافع كليه از اشجار ومزروعات باآنكه وزن كنند وبه پيمانند].

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء التصريحية لأنه من العيش فالياء أصلية فوجب تصريحاً وهو جمع معيشة أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء ﴿ومن لستم له برازقين﴾ [روزى دهند كان] وهو عطف على معايش كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب، وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم إنهم يكفون مؤوناتهم، ولتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياكم، أو عطف على محل لكم وهو النصب كأنه قيل وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين فيكون من عطف الجار والمجرور على الجار والمجرور ﴿وإن من شيء﴾ أي: ما من شيء من الأشياء الممكنة ﴿إلا عندنا﴾ يعني [درتحت فرماننا] ﴿خزائنه﴾ جمع خزانة بمعنى المخزن وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير، غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة من وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخير بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره أن الإشارة بالخزائن إلى الأعيان الثابتة فلا يفيض شيء إلا من الأعيان الثابتة وعلم الله تابع المعلوم وما يقتضيه من الأحوال فما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿وما ننزله﴾ أي ما نوجد وما نكون شيئاً من تلك الأشياء ملتبساً بشي من الأشياء ﴿إلا بقدر معلوم﴾ أي إلا ملتبساً بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة التابعة لها.

وفي «الكواشي»: وما نوجده مع كثرته وتمكننا منه إلا بحد محسوب على قدر المصلحة. وبالفارسية [مكر باندازهء دانسته شده كه نه كم ازان شايدونه زياده بران بايد] وحيث كان إنشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العالم السفلي كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل.

وفي «تفسير أبي الليث» ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ أي مفاتيح رزقه ويقال خزائن المطر ﴿وما ننزله﴾ أي المطر ﴿إلا بقدر معلوم﴾ يعني بكيل ووزن معروف.

قال ابن عباس رضي الله عنها: يعني: يعلمه الخزان إلا يوم الطوفان الذي اغرق الله فيه قوم نوح فإنه طغى على خزائنه وكثر فلم يحفظوا ما خرج منه يومئذٍ أربعين يوماً.

وفي «بحر العلوم» وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه

والإنعام بأضعاف ما وجد، وما نعطيه إلا بمقدار فعلم أن ذلك خير لهم وأقرب إلى جمع شملهم أو بتقدير علمنا، أنهم يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في لأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير.

وفي «التأويلات النجمية»: إن لكل شيء خزائن مختلفة مناسبة له كما لو قدرنا شيئاً من الأجسام فله خزانة لصورته وخزانة لاسمه وخزانة لمعناه وخزانة للونه وخزانة لرائحته وخزانة لطعمه وخزانة لطبه وخزانة لخواصه وخزانة لأحواله المختلفة الدائرة عليه بمرور الأيام وخزانة لنفعه وضره وخزانة لظلمته ونوره وخزانة لملكوته وغير ذلك وهو خزانة لطف الله وقهره وما من شيء إلا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وما ننزل شيئاً مما في خزائنه إلا بقدر ما هو معلومنا في الأزل لحكمتنا البالغة المقتضية لإيجاده وإنزاله ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾ حال مقدرة جمع ريح لاقح إذا أتت بسحاب ماطر من لقحت الناقة تلقح حبلت وألقحها الفحل إذا أحبلها وحملها الماء فكان الريح حملت الماء وحملته السحاب فشبهت الريح التي تجيء بالخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك.

وقال أبو عبيدة: لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة لأنها تلقح السحاب والأشجار بأن تقويها وتنميها إلى أن يخرج ثمرها وقيل بأن تجري الماء فيها حتى تهتز وتخرج الزهر.

قالوا الرياح للخير والريح للشر لقوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» وأما قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] فقد جاء فيه الريح المفردة بمعنى الخير والنفع باعتبار قيدها لا باعتبار إطلاقها.

قال محمد بن علي ـ رضي الله عنه ـ ما هبت ريح ليلاً ولا نهاراً إلا قام رسول الله ﷺ وقعد وقال: «اللهم إن كان بك اليوم سخط على أحد من خلقك بعثتها تعذيباً له فلا تهلكنا في الهالكين وإن كنت بعثتها رحمة فبارك لنا فيها» فإذا قطرت قطرة قال «رب لك الحمد ذهب السخطظ ونزلت الرحمة». قال مطرف رحمه الله لو حبست الريح عن الناس لانتن ما بين السماء والأرض ﴿**فأنزلنا**﴾ بعدما أنشأنا بتلك الرياح سحاباً ماطراً ﴿**من السماء**﴾ من جانب العلو فإن كل ما علاك سماء وهو ظاهر هناك لا الفلك ﴿**ماء**﴾ أي بعض الماء كما يفيده التنكير فإنه معلوم عند الناس علماً يقينياً أنه لم ينزل من السماء الماء كله بل قدر ما يصلون به إلى المنفعة ويسلمون معه من المضرة ﴿**فأسقيناكموه**﴾ أي جعلنا المطر لكم سقيا تشربونه وتسقونه المواشي والضياع. وبالفارسية [پس بخوار انيديم شمارا آن آب وتصرف داديم دران] وسقى وأسقى واحد.

قال في «الإرشاد» هو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معداً لهم يرتفقون به متى شاؤوا وهى أطول كلمة في القرآن وحروفها أحد عشر وحروف انلزمكموها عشرة ﴿**وما أنتم له**﴾ أي للمطر المنزل ﴿**بخازنين**﴾ أي نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين، وقيل ما أنتم بخازنين له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزن في هذه المخازن ونحفظ فيها لنجعلها سقياً لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور وهو بالفارسية [فروشدن آب درزمين امام ماتريدي در تأويلات فرموده كه نيستند شمامر خدايرا خزينه داران يعني خزاين او دردست شمانيست زآنچه شما خزينه نهيد همه ازان اوست].

﴿وإنا لنحن نحيي﴾ بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لأنا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لأنه يقع بين الاسمين ﴿ونميت﴾ بإعدامها وإزالتها عنها وقد يعم الإحياء والإماتة لما يشمل الحيوان والنبات والله تعالى يحيي الأرض بالمطر أيام الربيع ويميتها أيام الخريف ويحيي بالإيمان ويميت بالكفر [در لطائف قشيري مذكوراست كه زندكى ميدهيم دلهارا بأنوار مشاهده ومي ميرانيم نفوس را درنار مجاهده يا زنده مي سازيم بمواقت طاعات ومرده مي كردانيم بمتابعت شهوات].

ومن مقالات حضرة الشيخ الأكبر لولده صدر الدين القنوي ـ قدس الله سرهما ـ وكم قتلت وأحييت من الأولاد والأصحاب مات من مات وقتل من قتل ولم يحصل له ما حصل لك وهو شهود تجلي الذات الدائم الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه فقال صدر الدين يا سيدي الحمد لله على اختصاصي بهذه الفضيلة اعلم أنك تحيي وتميت وتفصيله في شرح الفصوص.

قال الامام الغزالي ـ رحمه الله ـ: معنى المحيي والمميت الموجد ولكن الوجود إذا كان هو الحياة سمي فعله إحياء وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة ولا خالق للموت والحياة إلا الله فمرجع هذين الاسمين إلى صفات الفعل ﴿ونحن الوارثون﴾ قيل للباقي وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه. فالمعنى ونحن الباقون بعد فناء الخلق جميعاً، المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي، الحاكمون في الكل أولاً وآخراً وليس لهم إلا التصرف الصوري والملك المجازي، وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال والمكاشفون المشاهدون المعاينون يرون الأمر الآن على ما هو عليه من العدم فإن قيامة العارفين دائمة فهم سامعون الآن من الله تعالى من غير حرف ولا صوت نداء لمن الملك اليوم موقنون بأن الملك لله الواحد القهار في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل لحظة.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ قلوب أوليائنا بأنوار جمالنا ﴿ونميت﴾ نفوسهم بسطوة نظرات جلالنا ﴿ونحن الوارثون﴾ بعدا إفناء وجودهم ليبقوا ببقائنا. وفي «المثنوي»:

پشه آمد از حديقه وزكياه وز سليمان كشته پشه داد خواه
كاي سليمان معدلت مي كسترى بر شياطين وآدمي زاد وپرى
مشكلات هر ضعيفي از تو حل پشه باشد در ضعيفي خود مثل
داد ده مارا ازين غم كن جدا دست كيراي دست تو دست خدا
پس سليمان كفت اي انصاف وجو داد وانصاف ازكه ميخوهى بكو
كيست آن ظالم كه ازباد بروت ظلم كرست وخرا شيده است روت
كفت پشه داده من ازدست باد كو دودست ظلم مارا بركشاد
بانك زدآن شه كه اي باد صبا پشه افغان كرد از ظلمت بيا
هين مقابل شو توبا خصم وبكو پاسخ خصم وبكن دفع عدو
باد چون بشنيد آمد تيز تيز شه بكرفت آن زمان راه كريز
پس سليمان كفت اي پشه كجا باش تابر هردورانم من قضا

كفت اي شه مرك من ازبود اوست	خود سياه اين روز من ازدوداوست
او چون آمد من كجا يابم قرار	كو بر آرد ازنهاد من دمار
همچنين جوياي دركاه خدا	چون حدا آمد شود جوينده لا
كرچه آن وصلت بقا اندر بقاست	ليك زا اول أن بقا اندر فناست
سايهايى كه بود جوياي نور	نيست كردد چون كند نورش ظهور
عقل كي ماند چو باشد سرده او	كل شيء هالك إلا وجهه
هالك آمد پيش وجهش هست ونيست	هست اندر نيستى خود طرفه ايست

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ استقدم بمعنى تقدم أي من تقدم منكم ولادة وموتاً يعني الأولين من زمان آدم إلى هذا الوقت ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ استأخر بمعنى تأخر أي من تأخر منكم ولادة وموتاً يعني الآخرين إلى يوم القيامة أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم.

﴿وإن ربك هو﴾ لا غير ﴿يحشرهم﴾ أي يجمع المتقدمين والمتأخرين يوم القيامة للجزاء، وهو القادر على ذلك والمتولي له لا غير فهو رد لمنكري البعث. ﴿إنه حكيم﴾ بالغ الحكمة متقن في أفعاله فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي وهي صفة من صفاته تعالى لا من صفات المخلوقين، وما يسمونه الفلاسفة الحكمة هي المعقولات وهي من نتائج العقل والعقل من صفات المخلوقين فكما لا يجوز أن يقال لله العاقل لا يجوز للمخلوق الحكيم إلا بالمجاز لمن آتاه الله الحكمة كما في «التأويلات النجمية» ﴿عليم﴾ وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء.

وقال الامام الواحدي في «أسباب النزول»: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت تصلي خلف النبي عليه السلام امرأة حسناء في آخر النساء فكان بعضهم يتقدم في الصف الأول ليراها وكان بعضهم في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه فنزلت.

وقيل: كانت النساء يخرجن إلى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة يتأخر إلى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة تتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت، وفي الحديث: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» قال في «فتح القريب» هذا ليس على عمومه بل محمول على ما إذا اختلطن بالرجال فإذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال ومن صلى منهن في جانب بعيد عن الرجال فأول صفوفهن خير لزوال العلة والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء كونها أقل ثواباً وفضلاً وأبعدها عن مطلوب الشرع وخيرها بعكسه. وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهن وتعلق القلب بهن عند رؤية حركاتهن وسماع كلامهن ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والصف الأول الممدوح الذي وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الذي يلي الإمام، سواء كان صاحبه على بعد من الإمام أو قرب وسواء تخلله مقصورة أو منبراً وأعمدة ونحوها أم لا هذا

هو الصحيح وقيل الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه لا تتخله مقصورة ونحوها فإن تخلل الذي يلي الامام شيء فليس بأول بل الأول ما لم يتخلله شيء وإن تأخر.

وقيل الصف الأول عبارة عن مجيء الانسان إلى المسجد أولاً وإن صلى في صف متأخر وعن أنس رضي الله عنه حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني إنما يؤجرون بالنية وفي الحديث: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

قال في «فتح القريب» الدار البعيدة لمن يقدر على المشي أفضل وهذا في حق من هو متفرغ لذلك ولا يفوته بكثرة خطاه أو مشيه إلى المسجد مهم من مهمات الدين فإن كان يفوته ذلك كالاشتغال بالعلم والتعلم والتعليم ونحو ذلك من فروض الكفاية فالدار القريبة في حقه أفضل وكذا الضعيف عن المشي ونحوه.

فإن قيل روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «فضل البيت القريب من المسجد على البعيد منه كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد».

فالجواب أن هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالبعيد داراً مشيه أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد ولهذا قيل في قوله ﷺ: «الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس» إن شؤم الدار أن تكون بعيدة عن المسجد لا يسمع ساكنها الأذان.

قال العلماء: ينبغي أن يستثنى من أفضلية الأبعد الإمام، فإن النبي عليه السلام والأئمة بعده لم تتباعد عن المسجد لطلب الأجر.

واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له أن يصلي فيه، أو يذهب إلى الأبعد فقالت طائفة الصلاة في لأبعد أفضل عملاً بظاهر الأحاديث وقيل الصلاة في الأقرب أفضل لما روى الدارقطني أن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» ولإحياء حق المسجد ولماله من الجوار فإن كان في جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه تحصل الجماعة كان فعلها في مسجد الجوار أفضل على المذهب، لما في ذلك من عمارة المسجد وإحيائه بالجماعة، أما لو كان إذا صلى في المسجد الجوار صلى وحده فالبعيد أفضل ولو كان إذا صلى في بيته صلى جماعة وإذا صلى في المسجد صلى وحده ففي بيته أفضل.

قال بعضهم: جار المسجد أربعون داراً من كل جانب، وقيل جار المسجد من سمع النداء ويقال: أراد بالآية المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره وفي الحديث: «أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله تعالى» قال في شرح «كتاب الشهاب» للقضاعي عند قوله عليه السلام: «نوروا بالفجر فإنه أعظم للأجر» [كفت نماز بامداد بروشنايي كنيدكه مزد بزر كترباشد يعني بآخر وقت واين مذهب أبو حنيفة رحمه الله باشدكه نماز بآخر وقت فاضلتر باشد يعني كه وجوب متأكد ترباشد كه بفوات نزديكتر باشد ومذهب امام شافعي رحمه الله كفت اول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله وعفو نباشد إلا ازكناه پس معلوم كشت كه اول وقت فاضلتر باشد] قال أبو محمد النيسابوري المراد بآخر الوقت بعد خروجه لأن العفو يقتضي ذلك لأنه لا يكون إلا عن ذنب، فالمراد بأول الوقت عنده جميع

الوقت كما قال في «أسئلة الحكم» لوقت وقتان، وقت الأداء ووقت القضاء فوقت الأداء هو أول الوقت المرضي عند الله ووقت القضاء هو الوقت المرخص فيه وآخر الوقت هو القضاء وهو عفو الله عمن قضى الصلاة خارج وقتها.

فإن قيل: ما معنى أول الوقت رضوان الله؟.

والجواب: أن أول الوقت بمنزلة المفتاح، فإذا حصل وعرف قدره فقد استعد لرضى الله تعالى لأن العبرة للفاتح والخاتم فإذا حصل المفتاح حصل الختم وينبغي أن يشتغل بأسباب الصلاة عند دخول الوقت، أو يقدم ما يمكن تقديمه من الأسباب قبل دخول الوقت ويشرع في الصلاة إذا دخل الوقت لتنطبق الصلاة على أول الوقت،ويستحب التأخير في مسائل، منها الإبراد بالظهر. ومنها فقد الماء أول الوقت وكان ذا ثقة من وجوده آخر الوقت، ومنها إذا كان بحضرة طعام تتوق نفسه إليه، ومنها إذا كان يتحقق الجماعة آخر الوقت، ومنها إذا كان بمواضع منهى عنها كمواضع المكس والأسواق والربا ومن أعظم مواضع الربا الصاغة فإنه يحرم دخولها بغير حاجة لغلبة الربا فيها.

قال في «شرح المهذب»: فإذا تيقنت بهذا المذكور فعليك بالإقدام على الطاعات والمسارعة إلى العبادات حتى لا يظفر بك النفس والشيطان في جميع الحالات، واحذر من التسويف ولعلك لا تنال ما أملت من عمر وزمان. وفي «المثنوي»:

صوفى ابن الوقت باشد اي رفيق   نيست فردا كفتن از شرط طريق

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من أفراده خلقاً بديعاً منطوياً على خلق سائر أفراده انطواء إجمالياً ﴿من صلصال﴾ من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي يصوّت عند نقره وإذا طبخ، أي: مسته النار فهو فخار. ﴿من حمأ﴾ أي كان ذلك الصلصال من طين تغير وأسود بطول مجاورة الماء ﴿مسنون﴾ صفة حمأ أي منتن. وبالفارسية [بوي كرفته بواسطهء بسيار بودن در آب چون لايى كه درنك حوض وجوى باشد] أو مصور من سنة الوجه وهي صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب كالرصاص والنحاس ونحوهما كأنه سبحانه أفرغ الحمأ فصوّر من ذلك تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال الكاشفي: [صاحب تبيان كفته كه حق سبحانه وتعالى آدم را ازخاك آفريد بران وجه كه آب برخاك بارانيد تاكل شد ومدتي بكذشت تاحمأ كشت پس آنرا تصوير كرد مسنون بمعنى مصوراست آنكه بكذاشت تاخشك شد وبمرتبهء صلصال رسيد] وكان بين خلقه ونفخ روحه أربع جمع من الآخرة وخلق بعد العصر يوم الجمعة والظاهر أنه خلق في جنة من جنات الدنيا بغربيها وعليه أكابر أهل الله تعالى.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿والجان﴾ أبا الجن.

قال في «الروضة»: إبليس وهو أبو الجن والجان اسم جمع للجن كما في «القاموس» وسمي بذلك لأنه يجن أي يستتر، ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقاً منها ﴿خلقناه من قبل﴾ من قبل خلق الإنسان ﴿من نار السموم﴾ من نار الشديد الحر فإن السموم في اللغة الريح الحارة، والريح الحارة فيها نار. والفرق بين السموم والحرور أن السموم تكون غالباً بالنهار والحرور الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار كما في «القاموس». وقيل سميت سموماً لأنها بلطفها تنفذ في مسام البدن وهي ثقبه كالفم والمنخر والأذن، وقيل نار السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها، وهي نار بين السماء والحجاب فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك، وقدم خلق الإنسان على الجان مع أنه خلق قبله تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله وكان بين خلق آدم والجن ستون ألف سنة.

واتفق أهل العلم من أهل التحقيق إن عالم الملك مقدم خلقة على عالم الجان وعالم الجان مقدم على عالم الإنسان وانتقل ملك الدنيا إلى آدم ليحصل له الاعتبار بالسابقين ويظهر له الفضل على الكل بتأخيره عن جميع المخلوقات لأنه كالخاتم على الباب وهو خاتم المخلوقات ونتيجة الكائنات ونسخة الكليات من المحسوسات والمعقولات وبه تم كمال الوجود لتحقيقه بوصفي الجمال والجلال واللطف والقهر بخلاف الملك فإنه مخلوق على جناح واحد وهو اللطف. قال المولى الجامي:

ملاتك را چه سود از حسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فروريخت

ولم يكن قبل آدم خلق من التراب فخلق آدم منه ليكون عبداً خضوعاً وضوعاً ذلولاً مائلاً إلى السجود لأنه مقام العبودية الكاملة فكل جنس يميل إلى جنسه ولهذا تواضع آدم لله واستكبر إبليس عن التواضع فأبى وعلا وتكبر فمال إلى جنسه لأنه خلق من نار.

قال أهل الحكمة: لا شك أن الله تعالى قادر خلق آدم ابتداء على هيئة خاصة من مادة خاصة وإنما خلقه من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار إما لمحض المشيئة الإلهية التي هي محض الحكمة الجامعة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الخلق لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه.

﴿وإذ قال ربك﴾ أي: اذكر يا محمد وقت قوله تعالى ﴿للملائكة﴾ [بجهت خلافت زمين].

يقول الفقير: إن في هؤلاء الملائكة اختلافاً شديداً والحق ما ذهب إليه أكابر أهل الله تعالى من أن المقول لهم القول الآتي والساجدين لآدم عليه السلام هم الذين تنزلوا من مرتبة الأرواح إلى مرتبة الأجسام فدخل فيهم جبريل ونحوه من أكابر الملائكة وأصاغرهم سماوية كانت أو أرضية لأن كلهم ملتبسون بملابس الجسمانية اللطيفة فاللام لاستغراق الجنس وأما المراد بالعالين في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] الملائكة المهيمون الذين بقوا في عالم الأرواح واستغرقوا في نور شهود الحق وليس لهم شعور بنفوسهم فضلاً عن آدم وغيره وهم خير من هذا النوع الإنساني في شرف الحال لا في الجمعية والكمال، والإنسان فوق الملائكة الأرضية والسماوية في رتبة الفضيلة والكمال بل في شرف الحال أيضاً لأنهم

كلهم عنصريون مخلوقون بيد واحدة فليس لهم شرف حاله ولا رتبة كماله. قال الحافظ:

فرشه عشق نداندكه چيست قصه مخوان بخوان جام وكلابي بخاك آدم ريز

﴿إني خالق﴾ فيما سيأتي البتة كما يدل عليه التعبير باسم الفاعل الدال على التحقيق ﴿بشراً﴾ قال في «القاموس» البشر محركة الإنسان ذكراً أو أنثى واحداً أو جمعاً وقد يثنى ويجمع أبشاراً وظاهر جلد الإنسان ﴿من صلصال﴾ متعلق بخالق أو صفة لبشراً أي بشراً كائناً من صلصال كائن ﴿من حمأ مسنون﴾ تقدم تفسيره شاورهم الله تعالى بصورة الامتحان ليميز الطيب أي الملك من الخبيث أي إبليس فسلم الملك وهلك إبليس ولذلك قيل عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

وقيل: أخبرهم سبحانه بتكوين آدم قبل أن يخلقه ليوطنوا أنفسهم على فناء الدنيا وزوال ملكوتها كما قال تعالى لآدم ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] والسكنى لا تكون إلا على وجه العارية ليوطن نفسه على الخروج من الجنة. قال الصائب:

مهياي فنارا از علائق نيست پراويي

نيند يشد زخاك آنكس كه دا من دركمردارد

وإنما خلق الله آدم بعد جميع المخلوقات ليكون خاتم المخلوقات كسيد المرسلين خاتم الأنبياء فظهر فيه شرف الختم فهو بمنزلة خاتم الملك على باب الكنز الخاص.

﴿فإذا سويته﴾ أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وهو كناية عن إيجاد الحياة ولا نفخ ثمة ولا منفوخ بل ليس عند الحقيقة إلا لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه.

قال الشيخ عز الدين: النفخ عبارة عما اشعل نور الروح في المحل القابل فالنفخ سبب الاشعال وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والمسبب غير محال فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشعال، وأما السبب الذي اشتعل به نور الروح فهو صفة في الفاعل، وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا تلون له وأما صفة المحل القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل في التسوية كما قال تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ ومثال صفة القابل صقالة المرآة فإن المرآة قبل صقالتها لا تقبل الصورة وإن كانت محاذية لها فإذا صقلت حدثت صورة من ذي الصورة المحاذية لها فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة حدث فيها الروح.

آن صفاي آينه وصفت دلست صورت بي منتهاراً قابلست

أهل صيقل رسته اندازبوورنك هر دمى بينند خوبى بي درنك

وإنما أضاف النفخ إلى ذاته لأنه تعالى باشر تسويته وتعديله فخلقه وسواه وعدله بيديه المقدستين ثم نفخ بذاته دون واسطة فيه من روحه الإضافي وهو نفسه الرحماني الذي يقال له الوجود الظلي المشار إليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] نفخاً استلزم

لكونه نفخاً بالذات فيما بوشرت تسويته باليدين معرفة الأسماء كلها جمالية لطفية كانت أو جلالية قهرية.

قال الشيخ عز الدين: الروح منزهة عن الجهة والمكان وفي قوتها العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مناسبة ومضاهاة ليست لغيره من الجسمانيات فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى.

قال الامام الجلدكي في «كتاب الإنسان»: من كتاب البرهان: جوهر الإنسان حقيقة واحدة في الفطرة الأولى ذات قوى كثيرة وهو المسمى عند الصوفية روحاً وقلباً وعند الحكيم نفساً ناطقة فإذا تعلق بالبدن انتشرت قواه واختفى نوره وحصل له مراتب كثيرة وعند احتجابه بغواشي النشأة واستحالته بالأمور الطبيعية يسمى نفساً، وعند تجرده وظهور نوره يسمى عقلاً، وعند إقباله على الحق ورجوعه إلى العالم القدسي ومشاهدته يسمى روحاً وباعتبار اطلاعه ومعرفته للحق وصفاته وأسمائه جمعاً وتفصيلاً يسمى قلباً وباعتبار إدراكه للجزئيات فقط واتصافه بالملكات والهيئات التي هي مصادر الأفعال يسمى نفساً انتهى كلامه.

يقول الفقير: ذهب جمع من أهل السنة والجماعة منهم الغزالي والامام الرازي وفاقاً للحكماء والصوفية إلى أن الروح أثر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى، وتحقيق المقام أن الروح سلطاني وحيواني فالأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضاً لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لايغني بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في الأعضاء ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت.

قال في «التعريفات» الروح الأعظم هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها والثاني من عالم الخلق ويقال له القلب والعقل والنفس أيضاً وهو سار في جميع أعضاء البدن كما قال في «التعريفات» الروح الحيواني جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وأقوى مظاهره الدم ومحل تعينه هو الدماغ، وهو أثر الروح السلطاني ومبدأ الأفعال والحركات، وهو بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبتني على اجتماع الذات بالصفة كذلك الأفعال تتفرع على اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني، وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في بطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار، كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن.

قال حضرة شيخي قدس سره: في بعض تحريراته: غيب السر وهو السر الأخفى أي سر السر مظهر الوجود المطلق عن جميع التعينات السلبية والإيجابية بالإطلاق الذاتي الأصلي الحقيقي الوجودي لا بالإطلاق الإضافي النسبي الوهمي الاعتباري، والسر مظهر التعين الأول الذاتي الأحدي الجمعي والروح السلطاني مظهر التعين الثاني الصفاتي الواحد الفرقي، والروح الحيواني مظهر التعين الثالث الفعلي ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها، اللهم ارفع الحجب عن القلوب حتى تنفتح أبواب الغيوب انتهى بعبارته.

قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك وقال عليه

الصلاة والسلام: «اعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن علمه طريق معرفته بأن جمع في شخصه مع صغر حجمه من العجائب ما يكاد يوازي عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم.

آدمي چيست برزخي جامع صورت خلق وحق درو واقع
متصل با دقائق جبروت مشتمل بر حقائق ملكوت

ليتوسل الإنسان بالتفكر فيها إلى العلم بالله الذي هو أجل العلوم وأشرف المعارف. ومعنى الآية فإذا كملت استعداده وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وصار حساساً متنفساً. ﴿فقعوا له﴾ أمر من وقع يقع وفيه دليل على أنه ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي: أسقطوا له ﴿ساجدين﴾ امتثالاً لأمر الله تعالى وتحية لآدم وتعظيماً وتكريماً له واسجدوا لله على أنه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته وحكمته.

يقول الفقير: لي رؤيا صادقة في هذا المقام وهي أني رأيت حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في المنام في غاية من الانبساط فسألته عن بعض ما يتعلق بالموت فقال كنت على الطهارة الكاملة إلى آخر النفس فلما قبض روحي دخلت فجاً يجري فيه عين ماء فتوضأت منه لأنه وقع الحدث بالنزع ثم عرج بي إلى السماء ثم رجعت إلى جنازتي فصليت علي مع الحاضرين فقلت له هل يبقى العقل والإدراك الذي في هذه النشأة الدنيوية على حاله؟ قال: نعم ثم أخذ بيدي وهو متبسم فقال لي مرتين كن معتقداً لي كأنه أظهر السرور من حسن اعتقادي له فاستيقظت ففي هذه الرؤيا أمور.

منها أن الوضوء ينتقض عند النزع وعليه بني مشروعية الغسل في الأصح والمؤمن الكامل طاهر في حياته ومماته فلا يتنجس والحدث غير التنجس ولو سلم فهو بالنسبة إلى الناقص.

والحاصل إنه يغسل الكامل غسل الناقص، لأنه على غير وضوء بحسب الظاهر ولأنه في هذه النشأة الدنيوية تابع للناقص فيما يتعلق بالأمور الظاهرة، ومنها بيان بقاء العقل والإدراك على حاله لأن العقل والإيمان والولاية ونحوها من صفات الروح وهو لا يتغير بالموت، ومنها أن الروح الكامل يشهد جنازته فيكون أسوة للناس في الصلاة فصلاته على نفسه إشارة إلى أن الكامل هو الساجد والمسجود له في مرتبة الحقيقة فعبادته له لا لغيره فافهم جداً، وصلاة الناس عليه إشارة إلى سجود الملائكة لآدم ولهذا شرعت صلاة الجنازة مطلقاً تحقيقاً لهذا السر العظيم ولا ينافيه كونها دعاء وثناء في مرتبة الشريعة إذ لكل مرتبة حد بحسب الوقوف عنده.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فإذا سويته﴾ تسوية تجعله قابلاً لنفختي وللروح المضاف إليّ ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ يشير بتشريف هذه الإضافة إلى اختصاص الروح بأعلى المرتب من الملكوت الأعلى وكمال قربه إلى الله كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وإلى اختصاصه بقبول النفخة فإنه تشرف بهذا التشريف وخص به من سائر المخلوقات ﴿فقعوا له ساجدين﴾ وذلك لأن الروح لما أرسل من أعلى مراتب القرب بنفخة الحق تعالى إلى أسفل سافلين القالب كان عبوره على الروحانيات والملائكة المقربين وهم خلقوا من نور فاندرجت أنوار صفاتهم في نور صفاته، كما تندرج أنوار الكواكب في نور الشمس ثم عبر عن الجن والشياطين فاتخذ زبدة خواص صفاتهم ثم عبر على الحيوانات فاستفاد منهم الحواس والقوى

ثم تعلق بالقالب المخلوق بيد الله المخمر فيه لطف الله وقهره المستعد لقبول التجلى فلما خلق الله آدم وتجلى فيه قال لأهل الخطاب وهم الملائكة فقعوا له ساجدين لاستحقاق كماله في الخلقة وشرفه بالعلم وقابليته للتجلي.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فسجد الملائكة﴾ أي: فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة **﴿كلهم﴾** بحيث لم يشذ منهم أحد أرضياً كان أو سماوياً **﴿أجمعون﴾** بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد بل سجدوا مجتمعين.

يقول الفقير: هذا في الحقيقة تعظيم للنور المنطبع في مرآة آدم عليه السلام وهو النور المحمدي والحقيقة الأحمدية ولله در الحافظ في قوله:

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تونيت كرد

كه در حسن تولطفي يافت بيش ازطور انساني

قوله: **﴿أجمعون﴾** تأكيد بعد تأكيد لكنه لوحظ فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع كما تلاحظ المعاني الأصلية في الكنى، إذ لا ينافي إقامته مقام كل في إفادة معنى الإحاطة إفادة معنى زائد يقصد ضمناً وتبعاً، فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بدّ من مراعاة الأصل صوناً للكلام عن الإلغاء ولا ريب في أن السجود معاً أكمل أصناف السجود فيحمل عليه.

قال في «بحر العلوم» قالوا: هو نظير المفسر فإن قوله فسجد الملائكة ظاهر في سجود جميع الملائكة لأن الجمع المعرف باللام ظاهر في العموم يتناول كل واحد من الأفراد كالمفرد لكنه يحتمل التخصيص وإرادة البعض كما في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢] أي جبريل فبقوله كلهم انقطع ذلك الاحتمال وصار نصاً لازدياد وضوحه على الأول ولكنه يحتمل التأويل والحمل على التفرق فبقوله أجمعون انسد ذلك الاحتمال وصار مفسراً لانقطاع الاحتمال عن اللفظ بالكلية.

فإن قلت: قد استثنى إبليس فيكون محتملاً للتخصيص.

قلت: الاستثناء ليس بتخصيص.

﴿إلا إبليس﴾ إبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي انتهى.

وعلى الثاني ليس فيه اشتقاق، وهو الأصح عند الجمهور والاستثناء متصل لأنه الأصل لأنه كان جنياً مفرداً مستوراً فيما بين الملائكة فأمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة تغليب الذكر على الأنثى ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً ونظيره قولك رأيتهم إلا هنداً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الله لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس.

يقول الفقير: فيه إشكالان الأول إن عبادة الملائكة طبيعية فلا يتصور منهم التردد فضلاً عن الامتناع عن الامتثال للأمر الإلهي لا سيما أن إبليس لو شاهد تلك الحال لبادر إلى الامتثال خوفاً من سطوة الجلال اللهم إلا أن لا يكون بحضوره والثاني أن التأكيدين أفادا المعية

والاجتماع وذلك بالنظر إلى جميع الملائكة وفيما ذكره تفريق لطائفة عن أخرى ﴿**أبى أن يكون مع الساجدين**﴾ أبى الشيء يأباه ويأبيه إباء وإباءة كرهه وأبيته إياه كما في «القاموس» وهو جواب قائل قال لم لم يسجد أي عدم سجوده لم يكن من تردده بل من إبائه واستكباره ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً فيتصل به ما بعده أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم في السجود لآدم.

وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص، مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: في روح القدس اعلم أنه لا شيء أنكى على إبليس من آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده لأنها خطيئته فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده لأنه حينئذٍ يتذكر الشيطان معصيته فيحزن فيشتغل بنفسه عنه ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» فالعبد في سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس فخواطر السجود إما ربانية أو ملكية أو نفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فإذا أقام من سجوده غابت تلك الصفة عن إبليس فزال حزنه فاشتغل به. وفي «المثنوي»:

آدمي را دشمن پنهان بسيست ... آدميء باحذر عاقل كسيست
خلق پنهان زشتشان وخوبشان ... مى زند بردل بهر دم كوبشان
بهر غسل اردر روى درجويبار ... بر تو آسيبى زند در آب خار
كرچه پنهان خار درآبست پست ... چونكه دو تومى خلد دانى كه هست
خار خارو حيلها ووسوسه ... از هزاران كس بوديك كسه
باش تاخسهاى تو مبدل شود ... تا ببيني شان ومشكل حل شود

﴿**قال**﴾ استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال الله ﴿**يا إبليس ما لك**﴾ أي أي سبب لك ﴿**أن لا تكون**﴾ في أن لا تكون ﴿**مع الساجدين**﴾ لآدم مع أنهم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم، وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿**قال**﴾ إبليس وهو أيضاً استئناف بياني. ﴿**لم أكن لأسجد**﴾ اللام لتأكيد النفي أي ينافي حالي ولا يستقيم مني أن أسجد. ﴿**لبشر**﴾ أي: جسم كثيف وأنا جوهر روحاني ﴿**خلقته من صلصال**﴾ [از كل خشك] ﴿**من حمأ مسنون**﴾ [ازلاى سياه بوي ناك] وقد تقدم تفسيره. يعني: [اورا از اخس عناصر آفريدي كه خاكست ومرا ازاشرف آن كه آتش است پس روحانىء لطيف چرا فرمان جسمانىء كثيف بردواورا سجده كند إبليس نظر بظاهر آدم داشت واز باطن أو غافل بود صورتش را ويرنه ديد ندانست كه كنج أسرار دران خرابه مدفونست.

كجست درين خانه كه در كون نكنجد ... اين كنج خراب از پى آن كنج نهانست
في الجملة هرآنكس كه درين خانه رهى يافت ... سلطان زمين است وسليمان زمانست

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ لما فيهم من خصوصية انقياد النورية واختصاص العلم بقبول النصح ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ لاختصاصه بالتمرد وتمرد النارية والجهل الذي هو مركوز فيه ولحسبانه أنه عالم إذ ﴿قال﴾ له ربه ﴿يا إبليس ما لك أن لا تكون مع الساجدين﴾ أي ما حجتك في الامتناع عن السجود ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ أي حجتي أنك خلقتني من نار وهي جوهر لطيف نوراني علوي وخلقته من طين وهو كثيف ظلماني سفلي فأنا خير منه بهذا الدليل فأشار بهذا الاستدلال إلى أن آدم لا ينبغي أن يسجد له لفضله عليه، ومن غاية جهالته وسخافة عقله يشم من نتن كلامه أن الله أخطأ فيما أمره وأمر الملائكة من السجود لآدم وحسب الله جعل استحقاق آدم لسجود الملائكة في بشرية آدم وخلقته من الطين وهو بمعزل عما جعل الله استحقاقه للسجود في سر الخلافة المودعة في روحه المشرف بشرف الإضافة إلى حضرته المختص باختصاص نفخته المتعلم للأسماء كلها المستعد لتجلي جماله وجلاله فيه، ومن ههنا قيل لإبليس إنه أعور لأنه كان بصيراً بإحدى عينيه التي يشاهد بها بشرية آدم وما أودع فيها من الصفات الذميمة الحيوانية السبعية المذمومة المتولدة منها الفساد وسفك الدماء وإنه كان أعمى بإحدى عينيه التي يشهد بها سر الخلافة المودع في روحانيته وما كرم به من علم الأسماء والنفخة الخاصة وشرف الإضافة إلى نفسه وغير ذلك من الاصطفاء والاجتباء.

قال حضرة شيخي وسندي في بعض تحريراته: الأرض وحقائق الأرض في الطمأنينة والإحسان بالوجود لذلك لا يزال ساكناً وسكوناً وساكتاً وسكوتاً لفوزه بوجود مطلوبه فكان أعلى مرتبة العلو في عين السفل وقام بالرضى المتعين من قلب الأرض فمقامه رضى وحاله تسليم ودينه إسلام انتهى.

ويشير إلى سر كلام حضرة الشيخ قول من قال:

ارس را دربيابان جوش باشد بدريا چون رسد خاموش باشد

وقول الصائب أيضاً:

عاشقا نرا تافنا ازشادى وم چاره نيست سيل را پست وبلندى هست تادريا شدن

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فاخرج منها﴾ أمر إهانة وإبعاد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ﴾ [طه: ٩٧] والضمير للجنة وخروجه منها لا ينافي دخولها بطريق الوسوسة وكذا يستلزم خروجه من السموات أيضاً ومن زمرة الملائكة المقربين ومن الخلقة التي كان عليها وهي الصورة الملكية وصفاتها كما هو شأن المطرودين المغضوبين وقد كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً.

قال أبو القاسم: الأنصاري إن الله باين بين الملائكة والجن والإنس في الصور والاشكال فإن قلب الله تعالى الملك إلى بنية الإنسان ظاهراً وباطناً خرج عن كونه ملكاً، وقس عليه غيره ﴿فإنك رجيم﴾ من الرجم بالحجر أي الرمي به وهو كناية عن الطرد لأن من يطرد يرجم بالحجارة على أثره أي مطرود من رحمة الله ومن كل خير وكرامة، أو من الرجم بالشهب وهو

كناية عن كونه شيطاناً أي من الشياطين الذين يرجمون بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فإن من عارض النص بالقياس فهو رجيم معلون.

﴿وإن عليك اللعنة﴾ الإبعاد عن الرحمة وحيث كان من جهة الله تعالى وإن كان جارياً على ألسنة العباد وقيل في سورة ص ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ [ص: ٧٨] إلى يوم الجزاء والعقوبة وفيه إشعار بتأخير عقابه وجزائه إليه وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وإنما يتحقق ذلك يومئذٍ وحد اللعن بيوم الدين لأن عله اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة عذاب ينسى عنده اللعنة.

وفي «التبيان»: هذا بيان للتأبيد لا للتوقيت كقوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [هود: ١٠٨] في التأبيد ويؤيده وقوع اللعن في ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وهو لعن مقارن بالعذاب الأليم نسأل الله الفوز والعاقبة، وإنما حكم عليه باللعنة لاستحقاقه لذلك بحسب الفطرة وفي الأزل فكانت غداءه إلى أبد الآباد. وفي «المثنوي»:

كر جهان باغى پراز نعمت شود قسم مور ومار هم خاكى بود
كرم سركين درميـن آن حدث در جهان نقلي نداند جز خبث

وفيه إشارة إلى أن إبليس النفس مأمور بسجود آدم الروح ومن دأبه وطبعه الإباء عن طاعة الله تعالى والاستكبار عن خليفة الله والامتناع عن سجوده وذلك في بدء خلقتهما على فطرة الله التي فطر الناس عليها فلما أمر إبليس بسجوده وأبى قال: ﴿فاخرج منها﴾ أي: من فطرة الله المستعدة لقبول الكفر والإيمان ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود عن جوارنا لأنك قبلت الكفر دون الإيمان ﴿وإن عليك اللعنة﴾ وهي من نتائج صفات القهر أي مقهوراً مبعداً عن مقام عبادنا المقبولين ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى أن نولج ليل الدين في نهار الدين، وتطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفوس مشرقة بأنوار الشواهد، فتكون مطمئنة بها متبدلة صفاتها الذميمة الحيوانية المظلمة بأخلاق الروحانية الحميدة النورانية المستحقة لخطاب ارجعي كما في «التأويلات النجمية» ﴿قال﴾ إبليس عليه ما يستحق ﴿رب﴾ [اي پروردكار] ﴿فأنظرني﴾ الفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم أي إذا جعلتني رجيماً فامهلني واخرني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم، والبعث إحياء الميت كالنشر وأراد بذلك أن يجد لإغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت إذ لا موت بعد يوم البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني، كما قال تعالى:

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي: من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً ودل على أن ثمة منظرين غير إبليس وهم الملائكة فإنهم ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون إلى آخر الزمان وأما الشياطين فذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون كما خلد إبليس، وأما الجن فيتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون.

بلغ الحجاج بن يوسف أن بأرض الصين مكاناً إذا أخطأوا فيه الطريق سمعوا صوتاً يقول: هلموا إلى الطريق ولا يرون أحداً فبعث ناساً وأمرهم أن يتخاطؤوا الطريق عمداً، فإذا قالوا لكم هلموا إلى الطريق فاحملوا عليهم فانظروا ما هم ففعلوا ذلك قال فدعوهم فقالوا هلموا إلى الطريق فحملوا عليهم، فقالوا: إنكم لن ترونا فقلت منذ كم أنتم ههنا قالوا ما

نحصي السنين غير أن الصين خربت ثماني مرات وعمرت ثماني مرات ونحن ههنا، والصين موضع بالكوفة، ومملكة بالمشرق منها الأواني الصينية وبلدة بأقصى الهند.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن إبليس إذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة.

ويقال: إن الخضر عليه السلام يجدده الله تعالى في بدنه في كل مائة وعشرين سنة فيعود شاباً وهو من المنظرين، كما في الأخبار الصحيحة وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لكن لا تدل على علو منصب إبليس؛ لأن خطاب الله تعالى له على سبيل الإهانة والإذلال كما في التفاسير.

وقال بعضهم: الصحيح أنه لا يجوز أن يكون كلمه كفاحاً أي شفاهاً ومواجهة وإنما كلمه على لسان ملك، لأن كلام الباري لمن كلمه رحمة ورضى وتكرّم وإجلال، ألا ترى أن موسى عليه السلام فضل بذلك على سائر الأنبياء ما عدا الخليل ومحمداً عليهما السلام وجميع الآي الواردة محمولة على أنه أرسل إليه بملك يقول له.

فإن قلت: أليس رسالته إليه أيضاً تشريفاً.

قيل: مجرد الإرسال ليس بتشريف وإنما يكون لإقامة الحجة بدلالة أن موسى عليه السلام أرسل إلى فرعون وهامان ولم يقصد إكرامهما وتشريفهما كذا في «آكام المرجان».

﴿**إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ أي: المعين عند الله تعالى لا يتقدم ولا يتأخر وهو وقت موت الخلق عند النفخة الأولى ثم لا يبقى بعد ذلك حي إلا الله تعالى أربعين سنة إلى النفخة الثانية.

همه تخت وملكي پذيرد زوال   بجز ملك فرمان ده لا يزال

قال الكاشفي يعني: [زمان فناء خلق بنفخهٔ أول كه نفخهٔ صعقه كويند چه قول جمهور آنست كه نفخهٔ اول نفخهٔ موت باشد ونفخهٔ ثاني نفخهٔ أحياء وميان دو نفخه بقول اشهر چهل سال خواهد بود پس إبليس چهل سال مرده باشد پس انكيخته شود].

قال في «السيرة الحلبية» هذه النفخة التي هي نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التي يفزع بها أهل السموات والأرض فتكون الأرض، كالسفينة في البحر تضربها الأمواج، وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر.

وعن وهب أن اليوم المعلوم الذي أنظر إليه إبليس هو يوم بدر قتلته الملائكة في ذلك اليوم.

وقيل وقت طلوع الشمس من مغربها بدليل قول النبي عليه السلام: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر إليه مرني أن أسجد لمن شئت فيجتمع ذرياته فيقولون يا سيدنا ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية فيأتي إبليس فتلطمه وتقتله بوطئها» والقول الأول أشهر.

قال أحنف بن قيس: قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث الناس ويقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال: يا رب سيشمت بي عدوي إبليس إذا رآني ميتاً وهو منظر إلى يوم القيامة، فأجيب أن يا آدم إنك سترد

إلى الجنة ويؤخر اللعين إلى النظرة ليذوق ألم الموت بعدد الأولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت؟ فلما وصفه، قال: يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا أبا إسحاق كيف ذلك فأبى فألحوا فقال: يقول الله تعالى لملك الموت عقيب النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع وإني ألبستك اليوم أثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي إبليس، فأذقه الموت واحمل عليه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفاً قد امتلأوا غيظاً وغضباً وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين ألف كلاب من كلاليبها وناد مالكاً ليفتح أبواب النيران، فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليها أهل السموات والأرضين لماتوا بغتة من هو لها فينتهي إلى إبليس فيقول قف لي يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عمر أدركت وقرون أضللت؟ وهذا هو الوقت المعلوم، قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتتنزه عنه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام، وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب إلى حيث شاء الله تعالى.

هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت

ويقال لآدم وحواء عليهما السلام اطلعا اليوم إلى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك.

شكر خداكه هرچه طلب كردم ازخدا ... بر منتهاى همت خود كامران شدم

قال في «أسئلة الحكم» إنما استجاب الله دعاءه بإنظاره إلى يوم الدين مكافأة له بعبادته التي مضت في السماء وعلى وجه الأرض ليعلم أنه لا يضيع أجر العاملين فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إما في الدنيا معجلاً مثوبته وأما في الآخرة في حق المؤمن.

وقال في موضع آخر: أهلك الله تعالى أعداء سائر الأنبياء كفرعون ونمرود وشداد وأبقى عدو آدم الصفي وهو إبليس وذريته لأن إبليس لم يكن عدو آدم فحسب إنما كان عدو الله فأمهله وأبقاه إلى آخر الدهر استدراجاً من حيث لا يعلم ليتحمل من الأوزار ما لا يتحمله غيره من الأشرار والكفار فأنظره إلى يوم القرار ليحصل به الاعتبار لذوي الأبصار بأن أطول الأعمار في هذه الدار لرئيس الكفار وقائد زمرة الفجار وأساء الأدب ودعا لنفسه بالبقاء والكبرياء والفراعنة لم يدعوا بالبقاء لأنفسهم وما أصروا على الاستكبار في جميع أعمارهم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

﴿قال﴾ إبليس ﴿رب﴾ [اي پرورد كار من] ﴿بما أغويتني﴾ الباء للقسم وما مصدرية والجواب ﴿لأزينن لهم﴾ أي: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم أي لذرية آدم المعاصي والشهوات واللذات فالمفعول محذوف. والإغواء [بي راه كردن] يقال غوى غواية ضل.

والتزيين [بياراستن]. ﴿في الأرض﴾ أي في الدنيا التي هي دار الغرور كما في قوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] لأن الأرض محل متاعها ودارها.

وفي «التبيان»: أزين لهم المقام في الأرض كي يطمئنوا إليها وإقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره كما في قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢] لا ينافي إقسامه بهذا فإنه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بصفة فعل وهو الإغواء وأخرى بصفة ذاته وهي العزة.

قال الكاشفي: [برخى براننده دربما اغويتني باسببي است يعني سبب آنكه مراكمراه كردى من بيارايم معاصي رابچشم مردمان] وجعله سعدي المفتي أولى لأن جعل الإغواء مقسماً به غير متعارف إذ الإيمان مبنية على العرف [هرچه بعرف مردمان آنرا سوكند توان كفت يمين است وإلا لا].

يقول الفقير حفظه الله القدير: [illegible] من حضرة شيخي وسندي روح الله روحه آن آدم عليه السلام كاشف عن شأنه الذاتي فسلك طريق الأدب حيث ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وأما إبليس فلم يكن له ذلك ولذلك قال: ﴿بما أغويتني﴾ حيث أسند الأغواء إلى الله تعالى إذ تلك الغواية كانت ثابتة في عينه العلمية وشأنه الغيبي فاقتضت الظهور في هذا العالم، فأظهرها الله تعالى ومن المحال أن يظهر الله تعالى ما ليس بثابت ولا مقدر، وقولهم السعادة الأزلية والعناية الرحمانية من طريق الأدب وإلا فأحوال كل شيء تظهر لا محالة فاسمع واحفظ وصن. قال الحافظ:

پير ما كفت خطا بر قلم صنع نرفت   آفرين بر نظر پاك خطا پوشش بود

﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ ولأحملنهم أجمعين على الغواية والضلالة.

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من شوائب الشرك الجلي والخفي، فلا يعمل فيهم كيدي فإنهم أهل التوحيد الحقيقي على بصيرة من أمرهم ويقظة.

وفي «التأويلات النجمية»: أخلصتهم من حبس الوجود بجذبات الألطاف وأفنيتهم عنهم بهويتك.

ومما كتب لي حضرة شيخي وسندي قدس سره في بعض مكاتيبه الشريفة: أن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية، والثاني أوسع فلكاً وأكثر إحاطة فاجتهد في اللحوق بأصحاب الثاني حتى تأمن من جميع الأغيار والأكدار وكفاك في شرف الصدق أن اللعين ما رضي لنفسه الكذب حتى استثنى المخلصين. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز از آب صافي دل   براستى طلب ازاد كي چوسرو چمن

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال إبليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني» وفي الحديث: «لما لعن إبليس قال فبعزتك لا أفارق قلب ابن آدم حتى يموت قال قيل له وعزتي لا أحظر عنه التوبة حتى يغرغر بالموت» وإنما خلق الله إبليس ليميز به العدو من الحبيب، والشقي من السعيد، فخلق الله الأنبياء ليقتدى بهم

السعداء، وخلق إبليس ليقتدى به الأشقياء، ويظهر الفرق بينهما فإبليس دلال وسمسار على النار، والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل: ما ثمنها؟ قال ترك الدين فاشتروها بالدين، وتركها الزاهدون واعرضوا عنها، والراغبون فيها لم يجدوا في قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له أعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هي فقال إبليس أعطوني رهناً فأعطوه سمعهم وأبصارهم ولذا يحب أرباب الدنيا استماع أخبارها ومسارها ومشاهدة زينتها لأن سمعهم وبصرهم رهن عند إبليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخرفها ومتاعها فلذلك قيل حبك الشيء يعمي ويصم.

ودخل قوم على أبي مدين فشكوا وسوسة الشيطان فقال: قد خرج من عندي الساعة وشكا منكم وقال قل: لأصحابك يتركوا دنياي حتى اترك لهم دينهم ومتى تعرضوا لمتاعي الدنيا اتشبث بمتاعهم الآخرة.

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أعداؤك أربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة.

جامى بملك ومال چوهر سفله دل مبند　　كنج فراغ وكنج قناعت ترا بس است

والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع.

جوع باشد غذاي أهل صفا　　محنت وابتلاي أهل هوا

والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر.

نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صدوصال

خفته تابينا بود دولت به بيداران رسد

والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت.

اكر بسيار داني اندكي كوى　　يكى را صد مكو صدرا يكى كوى

﴿قال﴾ الله تعالى لإبليس ﴿هذا﴾ أي: تخلص المخلصين من إغوائك. ﴿صراط﴾ [راهيست كه حق است] ﴿عليّ﴾ [برمن رعايت آن] أي كالحق الذي يجب مراعاته في تأكد ثبوته وتحقق وقوعه إذ لا يجب على الله شيء عند أهل السنة ﴿مستقيم﴾ لا عوج فيه ولا انحراف عنه. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال فإيثار حرف الاستعلاء على حرف الانتهاء لتأكيد الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو أدل على التمكين من الوصول وهو تمثيل إذ لا استعلاء لشيء على الله تعالى.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿إن عبادي﴾ وهم المشار إليهم بالمخلصين الجديرون بالإضافة إلى جنابه تعالى لخلوصهم في الإيمان وسلامتهم من إضافة الوجود إلى أنفسهم وحريتهم عما سوى الله تعالى ﴿ليس لك عليهم﴾ على قلوبهم ﴿سلطان﴾ تسلط وتصرف بالأغواء.

قال في «الأسئلة» قيل للشيطان ما حالك مع أبي مدين؟ قال كمثل رجل يبول في البحر

المحيط يريد أن يلوثه هل أسفه منه، أو كمثل رجل يريد أن يطفىء أنوار الشمس بنفسه هل ترى أجهل منه.

وقيل لبعضهم: كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال ما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله تعالى فكفانا من دونه وفي معناه أنشد.

تسترت عن دهري بظل جنابه فعيني ترى دهري وليس يرانيا
فلو تسأل الأيم ما اسمي ما درت واين مكاني ما عرفن مكانيا

﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [مكر آنكس كه متابعت تو كند ازكمراهان كه توبد ومسلط تواني شد].

وفيه إشارة إلى أن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بمعنى القهر والجبر بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم فيتسلط عليهم بالوسوسة والتزيين.

فإن قلت: إن الله تعالى لم يمنع إبليس عن النبي ﷺ.

قلت: سلطه عليه ثم عصمه منه ولذا أسلم شيطانه على يديه وأخذه مرة وجعل رداءه في عنقه حتى استعاذ منه فهو كمثل الفراش يريد أن يطفىء نور السراج فيحرق نفسه.

قال علي رضي الله عنه: الفرق بين صلاتنا وصلاة أهل الكتاب وسوسة الشيطان لأنه فرغ من عمل الكفار لأنهم وافقوه يقول إذا كفر أحد إني بريء منك والمؤمن يخالفه والمحاربة تكون مع المخالفة قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يوسوس لكم ما لو تكلمتم به لكفرتم فعليكم بقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾».

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣] العلماء الصلحاء ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ والعلماء الفسقاء الجهلاء الذين يمشون على الأرض كبراً وتعظماً وإذا خاطبهم العالمون قالوا كلاماً شنيعاً وملاماً قبيحاً وهم الذين قال الله في حقهم ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ فاتقوا الله يا أولي الألباب من العلم الخبيث الذي مال إلهي الخبيثون إذ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات واطلبوا يا ذوي القلوب العلم الطيب الذي قصد إليه الطيبون إذ الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك هم الراشدون المهديون لعلكم تفلحون في الدنيا والآخرة بالعلم النافع والعمل الصالح وأنفع جميع العلوم النافعة هو العلم الإلهي الحاصل بالتجلي الإلهي والفيض الرحماني والإلهام الرباني المؤيد بالكتاب الإلهي والحديث النبوي، ولا يحصل ذلك العلم بهذا التجلي والفيض والإلهام إلا عند إصلاح الطبيعة بالشريعة وتزكية النفس بالطريقة وتخلية القلب وتحلية الفؤاد بالمعرفة وتجلية الروح وتصفية السر بالحقيقة بأكمل التوحيد وأشمل التجريد وأفضل التفريد من جميع ما سوى الله، حتى لا يبقى في الطلب والقصد والتوجه والمحبة شيء مما سواه من السلفات الفانية ففروا إلى الله من جميع ما سوى الله سبق المفردون السابقون السابقون أولئك المقربون انتهى كلام الشيخ في «اللائحات البرقيات». قال الجامي:

از عالم صورت كه همه نقش خيالست ره سوى حقيقت نبري در چه خيالي

﴿وإن جهنم﴾ معرب فارسي الأصل، يقال: ركية جهنام، أي: بعيدة الغور وكأنه في الفرس [چه نم] وفي تفسير الفاتحة للفناري سميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت

بعيدة القعر وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين وهي أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة ﴿لموعدهم﴾ مكان الوعد للمتبعين أي مصيرهم ﴿أجمعين﴾ تأكيد للضمير والعامل الإضافة يعني الاختصاص لا اسم مكان فإنه لا يعمل.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لها سبعة أبواب﴾ يدخلون منها كل باب فوق باب على قدر الطبقات لكل طبقة باب ﴿لكل باب﴾ من تلك الأبواب المنفتح على طبقة من الطبقات، وقوله: ﴿منهم﴾ أي من الاتباع حال من قوله ﴿جزء مقسوم﴾ ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فللطبقة الأولى وهي العليا العصاة من المسلمين.

وعن الشيخ الأكبر قدس سره: الأظهر أنه قال: تبقى جهنم خالية ومراده الطبقة العالية فإنها مقر عصاة المؤمنين ولا ريب أن من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أي من معرفة الله تعالى فإنه لا يبقى مخلداً فتبقى جهنم خالية، وأما الطبقات السافلة فأهلها مخلدة.

يقول الفقير: لكلامه محمل آخر عندي معلوم عند القوم لا يصح كشفه وللطبقة الثانية اليهود، وللثالثة النصارى، وللرابعة الصابئون. وللخامسة المجوس، وللسادسة المشركون، وللسابعة المنافقون.

واختلف الروايات في ترتيب طبقات النار، وفي الأكثر جهنم أولها وفيما بعدها اختلاف أيضاً كما في «حواشي سعدي چلبي» المفتي. وسميت جهنم لما سبق. ولظى لشدة إيقادها. والحطمة لأنها تحطم. والسعير لتوقدها. وسقر لشدة الالتهاب. والجحيم لعمقها. والهاوية لهويها وتسفلها.

وفي «بحر العلوم» أعلم أنه لا يتعين لتلك الأبواب السبعة إلا من عصى الله تعالى بالأعضاء السبعة العين والأذن واللسان والبطن والفرج والرجل والأولى في الترتيب ما في «الفتوحات» أن كونها سبعة أبواب بحسب أعضاء التكليف وهي السمع والبصر واللسان واليدان والقدمان والفرج والبطن فالأعضاء السبعة مراتب أبواب النار فاحفظها كلها من كل ما نهاه الله وحرمه وإلا يصير ما كان لك عليك وتنقلب النعمة عقوبة.

هفت در دوز خند در تن تو ساخته نقشان درو در بند
هين كه دردست تست قفل امروز در هر هفت محكم اندر بند

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن جهنم﴾ البعد والاحتراق من الفراق ﴿لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب﴾ من الحصر والشرة والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر ﴿لكل باب﴾ من الأرواح المتبعين لإبليس النفس المتصفين بصفاتها ﴿جزء مقسوم﴾ بحسب الاتصاف بصفاتها.

وقيل خلق الله تعالى للنار سبعة أبواب دركات بعضها تحت بعض. وللجنة ثمانية أبواب درجات بعضها فوق بعض لأن الجنة فضل والزيادة في الفضل والثواب كرم وفي العذاب جور. وقيل الأذان سبع كلمات والإقامة ثمان فمن أذن وأقام غلقت عنه أبواب النيران وفتحت له أبواب الجنة الثمانية.

واعلم أن أشد الخلق عذاباً في النار إبليس الذي سن الشرك وكل مخالفة وعامة عذابه بما

يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقته، وهي النار فيعذب غالباً بما في جهنم من الزمهرير.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إن المتقين﴾ الاتقاء على ثلاثة أوجه اتقاء عن محارم الله بأوامر الله، واتقاء عن الدنيا وشهواتها بالآخرة ودرجاتها واتقاء عما سوى الله تعالى بالله وصفته والأول تقوى العوام والثاني تقوى الخواص والثالث تقوى الأخص ﴿في جنات وعيون﴾ مستقرون فيها لكل واحد منهم جنة وعين على ما تقتضي قاعدة مقابلة الجمع بالجمع والاستغراق هو المجموعي أو لكل منهم عدة منهما على أن يكون الألف واللام للاستغراق الأفرادي.

قال الكاشفي يعني: [باغهاكه درن چشمها روان بود از شير وخمر وانكبين وآب].

يقول الفقير: جعل ما يستقرون فيه في الآخرة كأنهم مستقرون فيه في الدنيا لشدة أخذهم بالأسباب المؤدية إليه ونظيره في حق أهل النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم من ألسنة الملائكة عند وصولهم إلى الباب وعند توجههم من جنة إلى جنة ادخلوا أيها المتقون تلك الجنات ملتبسين ﴿بسلام﴾ أي حال كونكم سالمين من كل مخوف أو مسلماً عليكم يسلم الله تعالى عليكم والسلام من الله هو الجذبة الإلهية كما في «التأويلات النجمية». ﴿آمنين﴾ من الآفات حال أخرى.

وفي «التأويلات»: ﴿آمنين﴾ من الموانع للدخول والخروج بعد الوصول وفيه إشارة إلى أن السير في الله لا يمكن إلا بالله وجذباته، كما كان حال النبي ﷺ ليلة المعراج حين تأخر عنه جبريل في سدرة المنتهى.

چنان كرم در تيه قربت براند كه درسدره جبريل ازو باز ماند

ونفى عنه الرفرف في مقام قاب قوسين، وما وصل إلى مقام أو أدنى وهو كمال القرب إلا بجذبة ادن مني فبسلام الله سلم من موانع الدخول والخروج بعد الوصول.

﴿ونزعنا﴾ [وبيرون كشيم] ﴿ما في صدورهم﴾ [آنچه درسينهاى بهشتيان باشد] ﴿من غلٍ﴾ أي: حقد كامن في القلب بسبب عداوة كانت منهم في الدنيا.

عن علي رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم.

وفيه إشارة إلى أن غل أوصاف البشرية من أمارية النفس وصفتها الذميمة لا ينتزع من النفوس إلا بنزع الله تعالى إياه ومن لم ينزع عنه الغل لم يأمن من الخروج بعد الدخول كما كان حال آدم عليه السلام لما أدخل الجنة قبل تزكية النفس ونزع صفاتها عنها أخرج منها بالغل الذي كان من نتائجه، وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه ونزع عنه الغل بالتوبة وهداه إلى الجنة.

يقول الفقير: انتزاع الغل إما أن يكون في الدنيا وذلك بتزكية النفس عن الأوصاف القبيحة وتخلية القلب عن سفساف الأخلاق وهو للكاملين وأما أن يكون في الآخرة وهو للناقصين جعلنا الله وإياكم من المتصافين ﴿إخواناً﴾ حال من الضمير في جنات.

قال الكاشفي: [در آيند ببهشت در حالتى كه برادران باشند يكديكريرا يعني درمهر باني

ودوستارى] وزاد في هذه السورة إخوانا لأنها نزلت في أصحاب رسول الله عليه السلام وما سواها علم في المؤمنين.

يقول الفقير: فهم إذا كانوا إخواناً يعني على المصافاة لم يبق بينهم التحاسد لا في الدنيا على العلوم والمعارف ولا في الآخرة على درجات الجنة ومراتب القرب. ﴿على سرر﴾ [برادران نشسته برتختها از زرمكلل بجواهر. ﴿متقابلين﴾ رويها بيكديكر آورده اند بهشتيان قفاي يكديرك نمى بينند] قال مجاهد تدور بهم الأسرة حيث ما أرادوا فهم متقابلون في جميع أحوالهم يرى بعضهم بعضاً وذلك من نتائج مصافاتهم في الدنيا.

﴿لا يمسهم﴾ [نميرسد ايشانرا] ﴿فيها﴾ [دربهشت] ﴿نصب﴾ [رنجى ومشقتى كه آن سراي تنعم وراحتست] أي شيء منه إذ التنكير للتقليل لا غير.

قال في «الإرشاد» أي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلاً أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أبد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ من الحسد لبعضهم على درجات بعض وأهل كل درجة مقيمون في تلك الدرجة لا خروج لهم منها إلى درجة تحتها ولا فوقها وهم راضون بذلك لأن غل الحسد منزوع منهم.

پاك وصافى شو وازچاه طبيعت بدر آي   كه صفايي ندهد آب تراب آلوده

وفي الحديث «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض في قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً] رواه البخاري.

قال «فتح القريب» أي: يسبحون الله بقدر البكرة والعشى فأوقات الجنة من الأيام والساعات تقديرات فإن ذلك إنما يجيء من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر وليس في الجنة شيء من ذلك.

قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام لأن الجنة ليست بمحل التكليف وإنما هي محل جزاء وإنما هو عن تيسير وإلهام كما قال في الرواية الأخرى «يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس» ووجه التشبيه أن نفس الإنسان لا بد له منه ولا كلفة عليه ولا مشقة في فعله وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخالته فألسنتهم ملازمة ذكره ورهينة شكره فمن أحب شيئاً أكثر ذكره.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿نبىء عبادي﴾ [آورده اندكه روزى حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم درباب بني شيبة بمسجد الحرام در آمد جمعي از صحابه را ديدكه مى خندند فرمودكه «ما لي أراكم تضحكون» چيست كه شمارا خندان مي بينم صحابه رايحهء عتابي ازين سخن استشمام نمودند وآن

حضرت در كذشت وهنوز بحجره نار سيده بازكشت وكفت جبرائيل آمد وپيام آوردكه چرابند كان مرانا اميد سازى] ﴿نبىء عبادي﴾ أي أعلم عبادي وأخبرهم ﴿أني﴾ أي باني ﴿أنا﴾ وحدي فهو لقصر المسند على المسند إليه ﴿الغفور﴾ [من آمر زنده ام كسى راكه آمر زش طلبد] ﴿الرحيم﴾ [وبخشنده ام بركسى كه توبه كند] أي لا يستر عليهم ولا يمحو ما كان منهم لا ينعم عليهم بالجنة إلا أنا وحدي ولا يقدر على ذلك غيري.

﴿وأن عذابي﴾ [وبآنكه عذاب من برعاصي كه ازتوبه واستغفار منحرفست] ﴿هو العذاب الأليم﴾ هو مثل أنا المذكور أي وأخبرهم بأن ليس عذابي إلا العذاب الأليم وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب حيث لم يقل على وجه المقابلة وإني المعذب المؤلم إيذان بأنهما مما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من خارج وترجيح وعد اللطف وتأكيد صفة العفو.

كرچه جرم من ازعدد بيش است سبقت رحمتي ازان پيش است
چه عجب كر عذاب ننمايد بركنه پيشكان ببخشايد

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن المختصين بعبوديته هم الأحرار عن رق عبودية ما سواه من الهوى والدنيا والعقبى وهم مظاهر صفات لطفه ورحمته والعذاب لمن يكون عبد الهوى والدنيا وما سوى الله وإنه مظهر صفات قهره وعزته.

وفيه إشارة أخرى إلى سير السائرين وطيران الطائرين في هواء العبودية وفضاء الربونية إنما يكون على قدمي الخوف والرجاء وبجناحي الإنس والهيبة معتدلاً فيهما من غير زيادة إحداهما على الأخرى وفي «الروضة»لقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى على وجه يحيى فقال ما لي أراك لاهياً كأنك آمن؟ فقال: ما لي أراك عابساً كأنك آيس؟ فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله تعالى أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي، وروي أحبكما إلى الطلق البسام ولم يزل زكريا عليه السلام يرى ولده يحيى مغموماً باكياً مشغولاً بنفسه فقال يا رب طلبت ولداً انتفع به قال طلبته ولياً والولي لا يكون إلا هكذا.

قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء فإن الله تعالى خلق جنة وناراً فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار.

يقول الفقير: الذي ينبغي أن يقدمه العبد هو الخوف لأنه الأصل وفيه تخلية القلب من الأماني الفاسد ولا ينافيه كون متعلق الرجاء هو السابق وهو رحمة الله الواسعة فإنها الأصل وهو بالنسبة إلى صفات الله ولذا جاء في الحديث: «لو يعلم العبد قدر رحمة الله ما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عقوبة الله لبخع نفسه» أي أهلكها في عبادة الله تعالى «ولما أقدم على ذنب».

واعلم أن أسباب المغفرة كثيرة أعظمها العشق والمحبة فإن الله تعالى إنما خلق الإنس والجن للعبادة الموصلة إلى المعرفة الإلهية والجذبة الربانية. قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم زشش جهت كر آشناى عشق شوم غرق رحمتم

وأسباب العذاب أيضاً كثيرة أعظمها الجهل بالله تعالى وصفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق العشق والمحبة والمعرفة إلى أن يصل إلى المراد ويستريح من تعب الطلب والاجتهاد فإن الواصل إلى المنزل مستريح.

وقد قيل الصوفي من لا مذهب له، وأما من بقي في الطريق فهو في أصبعي الرحمن لا يزال يتقلب من حال إلى حال ومن أمن إلى خوف وبالعكس إلى أن تنقطع الاضافات وعند ذلك يعتدل حاله ويستقيم ميزان علمه وعمله فيعبد الله تعالى إلى أن يأتيه اليقين وهو الموت ﴿ونبئهم﴾ وأخبر أمتك يا محمد﴿عن ضيف إبراهيم﴾ يستوي فيه القليل والكثير أي أضيافه وهو جبريل مع أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء وجوههم جعلهم ضيفاً، لأنهم كانوا في صورة الضيف أو لكونهم ضيفاً في حسبان إبراهيم عليه السلام.

﴿إذ دخلوا عليه﴾ ظرف لضيف فإنه مصدر في الأصل. ﴿فقالوا﴾ عند دخولهم عليه ﴿سلاماً﴾ أي: نسلم سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة. ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون فإن الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وإنما قاله عليه السلام حين امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ، لما إن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير لا عند ابتداء دخولهم.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي الملائكة ﴿لا توجل﴾ لا تخف يا إبراهيم ﴿إنا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا؟ وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في عافية وسلامة زماناً طويلاً. والبشارة هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر به. والمعنى بالفارسية [بدرستى ترامژده ميدهيم] ﴿بغلام﴾ [به بشرى اسحاق نام] ﴿عليم﴾ أي إذا بلغ. يعني [وقتى كه بلوغ رسد علم نبوت بوي خواهد رسيد].

﴿قال أبشرتموني﴾ [آيا بشارت ميدهيد مرا] ﴿على أن مسني الكبر﴾ وأثر فيّ والاستفهام للتعجب والاستبعاد عادة وعلى بمعنى مع أي مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر وأمر عجيب من بين هرمين وهو حال أي أبشرتموني كبيراً أو بمعنى بعد أي بعدما أصابني الكبر والهرم ﴿فبم تبشرون﴾ هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون.

وفي «التفسير الفارسي» [پس بچه نوع مژده ميدهيد مرا] وهو بفتح النون مع التخفيف؛ لأنها نون الجماعة وقرىء بكسر النون مع التخفيف لأن أصله تبشروني حذفت الياء وأقيم الكسر مقامها.

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي بما يكون لا محالة ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من الآيسين من ذلك، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق بشراً بغير أبوين، فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر، وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في مضمن التعجب العادي المبني على سنة الله المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته تعالى كما ينبىء عنه قوله تعالى بطريق الحكاية ﴿من القانطين﴾ دون من الممترين ونحوه.

﴿قال ومن يقنط﴾ استفهام إنكاري أي لا يقنط ﴿من رحمة ربه﴾ [از بخشش آفريده

كارخود] ﴿إلا الضالون﴾ أي: المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وإنما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي.

وفيه إشارة إلى أن بشارته بغلام عليم مع كبره وكبر امرأته بشارة للطالب الصادق وإنه وإن كان مسناً قد ضعف جسمه وقواه، وعجز عن جهاد النفس ومكابدتها واستعمالها في مباشرة الطاعات والأعمال البدنية ويوئسه الشيطان من نيل درجات القرب لأن أسباب تحصيل الكمال قد تناهت ومعظمها العمر والشباب، ولهذا قال المشايخ: الصوفي بعد الأربعين بارد فلا يقنط من رحمة ربه ويتقرب إليه بأعمال القلبية ليتقرب إليه ربه بأصناف الطاف الربوبية وجذبات أعطافه فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاماً عليماً بالعلوم اللدنية والرسوم الدينية، وهو واعظ الله الذي في قلب كل مؤمن وقد اشتغل أفراد كالقفال والقدوري بعد كبرهم ففاقوا على علمهم وراقوا بمنظرهم ولطف الله تعالى واصل على كل حال.

قال في «شرح الحكم» من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] فأبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا من الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية.

تا سقاهم ربهم آيد جواب تشنه باش والله أعلم بالصواب

قال في «تاج العروس»: من قصر عمره فليذكر بالأذكار الجامعة مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك والمراد بقصر العمر أن يكون رجوعه إلى الله في معترك المنايا ونحوها من الأمراض المخوفة والأعراض المهولة.

دع التكاسل تغنم قد جرى مثل
كه زاد راهروان چستيست وچالاكى

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿قال﴾ إبراهيم ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي: أمركم وشأنكم الخطر لعل إبراهيم عليه السلام علم بالقرائن أن مجيء الملائكة ليس لمجرد البشارة، بل لهم شأن آخر لأجله أرسلوا فكأنه قال إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو؟

﴿قالوا﴾ أي الملائكة ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ مصرين على إجرامهم متناهين في آثامهم وهم قوم لوط.

﴿إلا آل لوط﴾ استثناء متصل من الضمير في مجرمين، أي إلى قوم أجرموا جميعاً إلا آل لوط يريد أهله المؤمنين فالقوم والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم. والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط لنهلك الأولين وننجي الآخرين، واكتفى بنجاة الآل لأنهم إذا نجوا

وهم تابعون فالمتبوع وهو لوط أولى بذلك ولوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، كان قد آمن به وهاجر معه إلى الشام بعد نجاته من النار، واختتن لوط مع إبراهيم وهو ابن ثلاث وخمسين وإبراهيم ابن ثمانين أو مائة وعشرين فنزل إبراهيم فلسطين، وهي البلاد التي بين الشام ومصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها ونزل لوط الأردنّ، وهي كورة بالشام فأرسل الله لوطاً إلى أهل سدوم بالدال وكانت تعمل الخبائث فأرسل الله إليهم ملائكة للإهلاك. ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ أي مما يصيب القوم من العذاب وهو قلب مدائنهم.

﴿إلا امرأته﴾ استثناء من الضمير واسمها واهلة. ﴿قدرنا﴾ حكمنا وقضينا ﴿إنها لمن الغابرين﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وأسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ أي: الملائكة، ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ غرباء لا يعرفون أو ليس عليكم زي السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقوني بشر.

﴿قالوا﴾ ما جئناك بما تنكرنا لأجله. ﴿بل جئناك﴾ [بلكه آمده ايم بتو] ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون في وقوعه، أي يشكون ويكذبونك جهلاً وعناداً.

﴿وأتيناك﴾ [آورده ايم بتو] ﴿بالحق﴾ بالمتيقن الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم. ﴿وإنا لصادقون﴾ في الأخبار بنزوله بهم.

﴿فأسر بأهلك﴾ فاذهب بهم من السرى وهو السير في الليل.

قال الكاشفي: [پس برون بر ازشهر اهل خودرا بشب] ﴿بقطع من الليل﴾ في طائفة من الليل أي ببعض منه. وبالفارسية [در پارهٔ كه ازشب بكذرد] ﴿واتبع أدبارهم﴾ جمع دبر وهو من كل شيء عقبه، ومؤخره، أي: وكن على أثرهم لتسوقهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة استحياء منك ولا غيرها من الهفوات.

قال في «برهان القرآن»: لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ﴿ولا يلتفت منكم﴾ أي: منك ومنهم ﴿أحد﴾ فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو جعل الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف، لأن من يلتفت لا بد له من أدنى وقفة ولم يقل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، كما في هود اكتفاء بما قبله وهو قوله إلا امرأته ﴿وامضوا﴾ [وبرويد] ﴿حيث تؤمرون﴾ حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر أو زغر وهي قرية بالشام.

قال الكاشفي: [شهرستان پنجم است اهل آن هلاك نخواهندشد].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وقضينا إليه﴾ وأوحينا إلى لوط مقتضياً مبتوتاً ذلك الأمر مبهم يفسره ﴿أن دابر هؤلاء﴾

المجرمين أي آخرهم ﴿مقطوع﴾ [بريده وبركنده است] أي مهلك يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مصبحين﴾ حال من هؤلاء، أي: وقت دخولهم في الصبح وهو تعين وقت هلاكهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] وتلخيصه أوحينا إليه أنهم يهلكون جميعاً وقت الصبح فكان كذلك.

وفي الآيات إشارات:

الأولى أن لا عبرة بالنسب والقرابة والصحبة بل بالعلم النافع والعمل الصالح ألا ترى أن الله استثنى امرأة لوط فجعلها في الهالكين ولم تنفعها الزوجية بينها وبين لوط كما لم تنفع الأبوة والبنوة بين نوح وابنه كنعان ولله در من قال:

بابدان يا ركشت همسر لوط   خاندان نبوتش كم شد

وذلك أنها صحبت لوطاً صورة لا سيرة وصحبت الكفرة صورة وسيرة فلم تنفعها الصورة.

بيش اند ناس صورت ونسناس سيرتان   خلقي كه آدم اند بخلق وكرم كم اند

والنسناس حيوان بحري صورته كصورة الإنسان وقيل غير ذلك.

والثانية: أن الشك من صفات الكفرة كما أن اليقين من صفات المؤمنين. وفي «المثنوي»:

افت وخيزان ميرود مرغ كمان   با يكى پر بر اميد آشيان

چون زظن وارست علمش رونمود   شد دوپر آن مرغ پرها را كشود

والثالثة: أن سالك طريق الحق ينبغي أن لا يلتفت إلى شيء سوى الله تعالى لأنه المقصد الأقصى والمطلب الأعلى بل يمضي إلى حيث أمر وهو عالم الحقيقة ألا ترى أن النبي ﷺ لم يلتفت إلى يمينه ويساره ليلة المعراج بل توجه إلى مقام قاب قوسين وهو عالم الصفات ثم إلى مقام أو أدنى وهو عالم الذات ولم يعقه عائق أصلاً، وهكذا شأن من له علو همة من المهاجرين من بلد إلى بلد ومن مقام إلى مقام. قال المولى الجامي قدس سره:

نشان عشق چه پرسى زهر نشان بكسل   كه تا اسير نشاني به بي نشان نرسى

نسأل الله العصمة من الوقوف في موطن النفس والوصول إلى حضيرة القدس والأنس.

﴿وجاء أهل المدينة﴾ [چون زن لوط مهمانان نيكورورا ديد خبر بقوم فرستاد] وجاء أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور منزل لوط ومدائن قوم لوط كانت أربعاً وقيل سبعاً وأعظمها سدوم.

وفي «درياق الذنوب» لابن الجوزي: كانت خمسين قرية ﴿يستبشرون﴾ الاستبشار [شاد شدن] أي مظهرين السرور بأنه نزل بلوط عدّة من المرد في غاية الحسن والجمال قصدا إلى ارتكاب الفاحشة.

﴿قال﴾ لوط لهم لما قصدوا أضيافه ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾ إطلاق الضيف على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف ﴿فلا تفضحون﴾ [پس مرا رسواى مكنيد درنزد ايشان] بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه ليس لي قدر وحرمة أو لا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أهين ضيفه أو جاره فقد أهين كما أن الإكرام كذلك. يقال فضحه كمنعه كشف مساويه وأظهر من أمره ما يلزمه العار.

﴿واتقوا الله﴾ في مباشرتكم لما يسوءني أو في ركوب الفاحشة واحفظوا ما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ولا تخزون﴾ ولا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن أجرتهم بمثل تلك الفعلة القبيحة. وبالفارسية [ومرا خار وخجل مسازيد پيش مهمانان] من الخزي وهو الهوان.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ [از حمايت عالميان يعني غريبان كه فاحشهء ايشان مخصوص بغربا بوده].

قال في «الإرشاد» الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر أي ألم نقدم إليك ولم ننهك عن التعرض لهم بمنعهم عنا وكانوا يتعرضون لكل واحد من الغرباء بالسوء، وكان عليه السلام يمنعهم عن ذلك بقدر وسعه، وهم ينهونه عن أن يجير أحد أو يوعدونه بقولهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين، ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه.

﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أي بنات قومي فازوجهن إياكم أو تزوجوهن ففي الكلام حذف وإنما جعل بنات قومه كبناته فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية رجالهم بنوه ونساؤهم بناته، أو أراد بناته الصلبية أي فتزوجوهن ولا تتعرضوا للأضياف وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار فإن نكاح المؤمنات من الكفار كان جائزاً فأراد أن يقي أضيافه ببناته كرماً وحمية.

وقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه ايثا وزعورا ﴿إن كنتم فاعلين﴾ قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فإن الله تعالى خلق النساء للرجال لا الرجال للرجال.

وفي الآيات فوائد:

الأولى: أن إكرام الضيف ورعاية الغرباء من أخلاق الأنبياء والأولياء وهو من أسباب الذكر الجميل. قال الحافظ:

تيمار غريبان سبب ذكر جميلست جانا مكراين قاعده در شهر شمانيست

وقال السعدي قدس سره:

غريب آشنا باش وسياح دوست كه سيح جلاب نام نكوست

وفي الحديث: «من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنة» كما في «الترغيب».

والثانية: أنه لا بد لكل مؤمن متق أن يسد باب الشر بكل ما أمكن له من الوجوه ألا ترى أن لوطاً عليه السلام لما لم يجد مجالاً لدفع الخبيثين عرض عليهم بناته بطريق النكاح وإن كانوا غير أكفاء دفعاً للفساد.

والثالثة: أن محل التمتع هي النساء لا الرجال، كما قالوا ضرر النظر في الأمرد أشد لامتناع الوصول في الشرع لأنه لا يحل الاستمتاع بالأمرد أبداً. قال السعدي قدس سره:

خرابت كند شاهد خانه كن برو خانه آباد كردان بزن
نشايد هوس باختن باكلى كه هر بامدادش بود بلبلى
مكن بد بفرزند مردم نكاه كه فرزند خويشت برآيد تباه

چـر اطـفـل يـكـروزه هـوشـش نـبـرد كـه در صـنـع ديـدن چـه بـالـغ چـه خـرد
مـحـقـق هـمـي بـيـنـد از آب وكـل كـه در خـو بـرويـان چـيـن وچـكـل

﴿لعمرك﴾ قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ وهو المشهور وعليه الجمهور والعمر بالفتح والضم واحد وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف، لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي كما حذفوا الفعل في قولهم: تالله ﴿إنهم﴾ أي: قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه والصواب الذي يشار به إليهم من ترك البنين إلى البنات. ﴿يعمهون﴾ يتحيرون ويتمارون، فكيف يسمعون النصح.

قال في «القاموس»: العمه التردد في الضلال والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة عمه كجعل وفرح عمها وعموها وعموهة وعمهانا فهو عمه وعامه انتهى. ويعمهون حال من الضمير في الجار والمجرور كما في «بحر العلوم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله تعالى نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

وفي «التأويلات النجمية» هذه مرتبة ما نالها أحد من العالمين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام من الأزل إلى الأبد وهو أنه تعالى أقسم بحياته فانياً عن نفسه باقياً بربه كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي ميت عنك حي بنا وهو مختص بها المقام المحمود انتهى.

چون نـبـي ازهـسـتـئ خـود سر بـتـافـت فـرق پـاكـش از لـعـمـرك تـاج يـافـت
داشـت از حـق زنـدكـي دربـنـدكـي شـد لـعـمـرك جـلـوهٔ آن زنـدكـي

واعلم أن الله تعالى قد أقسم بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي من القسم القرآني قسم بمخلوقاته كقوله: ﴿والتين والزيتون﴾. ﴿والصافات﴾. ﴿والشمس﴾. ﴿والضحى﴾ ونحوها.

فإن قلت: ما الحكمة في معنى القسم من الله تعالى؟ فإن كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الأخبار من غير قسم وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

قلت: إن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً.

فإن قلت: ما الحكمة في أن الله تعالى قد أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى.

قلت في ذلك وجوه:

أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وواهب العمر.

والثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

والثالث: أن الإقسام إنما يكون بما يعظم المقسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل فهو يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله وهذا كالنهي عن الامتنان قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] وعن تزكية النفس ومدحها وقد مدح الله تعالى نفسه وقد أقسم الله تعالى بالنبي عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿لعمرك﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله ومكانته عند الله

ومكانته لديه فالقسم إما لفضيلة أو لمنفعة كقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١] وكان الحلف بالآباء معتاداً في الجاهلية فلما جاء الله تعالى بالإسلام نهاهم الرسول عليه السلام عن الحلف بغير الله تعالى.

واختلف في الحلف بمخلوق والمشهور عند المالكية كراهيته وعند الحنابلة حرام.

وقال النووي: هو عند أصحابنا مكروه وليس بحرام قيد العراقي ذلك في شرح الترمذي بالحلف بغير اللات والعزى وملة الإسلام فأما الحلف بنحو هذا فحرام والحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى لا يضاهي بها غيرها وقسمه تعالى بما شاء من مخلوقاته تنبيه على شرف المحلوف به فهو سبحانه ليس فوقه عظيم يحلف به فتارة يحلف بنفسه وتارة بمخلوقاته كما في «الفتح القريب». ويمكن أن يكون المراد بقولهم لعمري وأمثاله ذكر صورة القسم لتأكيد مضمون الكلام وترويجه فقط لأنه أقوى من سائر المؤكدات وأسلم من التأكيد بالقسم بالله تعالى لوجوب البر به وليس الغرض اليمين الشرعي وتشبيه غير الله تعالى به في التعظيم وذكر صورة القسم على هذا الوجه لا بأس به كما قال عليه السلام: «قد أفلح وأبيه» كذا في «الفروق».

﴿**فأخذتهم**﴾ أي قوم لوط ﴿**الصيحة**﴾ أي: صيحة جبريل عليه السلام. ﴿**مشرقين**﴾ أي حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس وهو بالفارسية [بر آمدن خرشيد] وكان ابتداء العذاب حين أصبحوا، كما قال: ﴿**إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**﴾ وتمامه حين أشرقوا لأن جبريل قلع الأرضين بهم ورفعها إلى السماء ثم هوى بها نحو الأرض ثم صاح بهم صيحة عظيمة فالجمع بين مصبحين ومشرقين باعتبار الابتداء والانتهاء فمقطوع على حقيقة فإن دلالة اسمي الفاعل والمفعول على الحال، وحال القطع هو حال المباشرة لا حال انقضائه، لأنه مجاز حينئذٍ، وذلك أن تقول مقطوع بمعنى بقطع عن قريب.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾.

﴿**فجعلنا عاليها**﴾ [زبرآن شهر ستانهارا] ﴿**سافلها**﴾ زير آن يعني زيروبر كردانيم آنرا] وذلك بأن رفعناها إلى قريب من السماء على جناح جبريل ثم قلبناها عليهم فصارت منقلبة بهم.

وقوله عاليها مفعول أول لجعلنا وسافلها مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفظاعة من العكس.

﴿**وأمطرنا عليهم**﴾ في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب. ﴿**حجارة**﴾ كائنة ﴿**من سجيل**﴾ من طين متحجر عليه اسم من يرمى به فهلكوا بالخسف والحجارة.

قال في «القاموس» السجيل كسكيت حجارة كالمدر معرب [سنك كل] أو كان طبخت بنار جهنم وكتب فيها أسماء القوم أو قوله تعالى: ﴿**من سجيل**﴾ أي: من سجل مما كتب لهم إنهم يعذبون بها قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: ٨-٩] والسجيل بمعنى السجين.

قال الأزهري هذا أحسن ما مر عندي وأبينها انتهى.

وفي «الكواشي»: وأمطرنا على شذاذهم، أي: على من غاب عن تلك البلاد.

﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من القصة من تعرض قوم لوط لضيف إبراهيم طمعاً فيهم وقلب المدينة على من فيها وأمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم. ﴿لآيات﴾ لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق ويعتبر ﴿للمتوسمين﴾ أي: المتفكرين المتفرسين الذين يبسطون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء وباطنه بسمته، وبالفارسية [مرخدا وندان فراست راكه بزيركى درنكرند وحقيقت ايشان بسمات آن بشناسند] يقال توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسمة فيه أي أثره وعلامته وتوسم الشيء تيره وتفرسه.

﴿وإنها﴾ [وبدرستى كه آن شهر ستانهاى مؤتفكه] ﴿لبسبيل مقيم﴾ أي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثار تلك البلاد بين مكة والشام لم تندرس بعد فاتعظوا بآثارهم يا قريش إذا أذهبتم إلى الشام لأنها في طريقكم.

﴿إن في ذلك﴾ أي في كون آثار تلك القرى بمرآى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وإيابهم. ﴿لآية﴾ عظيمة ﴿للمؤمنين﴾ بالله ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية، وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف.

وقال في «برهان القرآن»: ما جاء في القرآن من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانية الله تعالى وحد الآية انتهى.

وفي الآيات فائدتان:

الأولى: مدح الفراسة وهي الإصابة في النظر وفي الحديث: «إن كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون» المحدث بفتح الدال المشددة هو الذي يلقى في نفسه شيء فيخبر به فراسة ويكون كما قال وكأنه حدثه الملأ الأعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء «فإنه إن كان في أمتي هذه فإنه عمر بن الخطاب» لم يرد النبي عليه السلام بقوله إن كان في أمتي التردد في ذلك لأن أمته أفضل الأمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أولى بل أراد بها التأكيد لفضل عمر كما يقال أن يكن لي صديق فهو فلان يريد بذلك اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء وفي الحديث: «اتقوا فراسة العلماء لا يشهدوا عليكم بشهادة فيكبكم الله بها يوم القيامة على مناخركم في النار فوالله إنه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم» وعنه عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ثم قرأ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ كذا في «بحر العلوم» [آورده اندكه خواجهٔ بزركوار قطب الأخيار خواجه عبد الخالق عجدواني قدس سره روزي درمعرفت سخن مي كفت ناكاه جواني در آمد بصورت زاهدان خرقه در بر وسجاده بركتف دركوشهٔ بنشست وبدع اززماني برخاست وكفت حضرت رسالت ﷺ فرموده كه «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» سراين حديث چيست حضرت خواجه فرمودندكه سراين حديث آنست كه زنار ببرى وايمان آرى جوان كفت نعوذ بالله كه در من زنار باشد خواجه بخادم كفت خزقه ازسر جوان بركش زنارى بديد آمد جوان في الحال زنار ببريد وايمان آورد وحضرت خواجه فرمودندكه اي ياران بياييد تابر موافقت اين

نوعهدكه زنار ظهر بريد زنارهاى باطن را قطع كنيم خروش از مجلسيان بر آمد ودر قدم خواجه افتادند تجديد توبه كردند.

توبه چون باشد پشيمان آمدن بر در حق نو مسلمان آمدن
عام را توبه زكار بد بود خاص را توبه زديد خود بود

والفائدة الثانية: أن في إهلاك الأمم الماضية وإنجاء المؤمنين منهم إيقاظاً وانتباهاً ووعداً ووعيداً وتأديباً لهذه الأمة المعتبرين فاعتبروا بأحوالهم واجتنبوا عن أفعالهم وابكوا فهذه ديار الظالمين ومصارعهم.

وكان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي حتى رق خده وبدت أضراسه هذا وقد كان على الجادة فكيف بمن حاد إخواني الدنيا سموم قاتله والنفوس عن مكايدها غافلة كم من دار دارت عليها دوائر النعم فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وفقنا الله وإياكم للهدى وعصمنا من أسباب الجهل والردى، وسلمنا من شر النفوس فإنها شر العدى وجعلنا من المنتفعين بوعظ القرآن والمعتبرين بآيات الفرقان ما دام هذا الروح في البدن وقام في المقام والوطن.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وإن كان﴾ إن مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي وإن الشأن كان ﴿أصحاب الأيكة﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام. والأيكة الشجر الملتف المتكاثف وكانت عامة شجرهم المقل.

قال في «القاموس»: المقل المكي ثمر شجر الدوم وكانوا يسكنونها فبعثه الله إليهم كما بعثه إلى أهل مدين فكذبوه.

وقال بعضهم: مدين وأيكة واحد لأن الأيكة كانت عند مدين وهذا أصح كما في تفسير أبي الليث.

قال الجوهري: من قرأ أصحاب الأيكة فهي الغيضة ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية ﴿لظالمين﴾ متجاوزين عن الحد.

﴿فانتقمنا منهم﴾ [پس انتقام كشيديم از ايشان بعذاب يوم الظلة].

قال في «التبيان» أهلك الله أهل مدين بالصيحة وأهل الأيكة بالنار وذلك أن الله أرسل عليهم حراً شديداً سبعة أيام فخرجوا ليستظلوا بالشجر من شدة الحر فجاءت ريح سموم بنار فأحرقتهم.

وفي بعض التفاسير: بعث الله سحابة فالتجأوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة ونعم ما قيل والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم ﴿وإنهما﴾ يعني: سدوم التي هي أعظم مدائن قوم لوط والأيكة. ﴿لبإمام مبين﴾ لبطريق واضح. وبالفارسية [برراهى روشن وهويداست كه مردم ميكذرند ومي بينند] والامام اسم ما يؤتم به قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: يؤتم ويقتدى بك ويسمى به الكتاب أيضاً لأنه يؤتم بما أحصاه الكتاب قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتابهم وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعني: في اللوح

المحفوظ وهو الكتاب ويسمى الطريق إماماً؛ لأن المسافر يأتم به ويستدل به ويسمى مطمر البناء إماماً وهو الزيج أي الخيط الذي يكون مع البنائين.

[معرب زه].

قال أبو الفرج بن الجوزي: كان قوم شعيب مع كفرهم يبخسون المكايل والموازين فدعاهم إلى التوحيد ونهاهم عن التطفيف ـ روي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر برجل يبيع طعاماً فسأله كيف يبيع فأخبره فأوحى الله إليه أن أدخل يدك فيه فإذا هو مبلول فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من غش».

قال في «القاموس» غشه لم يمحضه النصح أو أظهر خلاف ما أضمر والمغشوش الغير الخالص والاسم الغش بالكسر.

وفي «تهذيب المصادر» الغش.

[خيانت كردن].

واشتقاقه من الغشش وهو الماء الكدر.

وفي «الفتح القريب»: أصله، أي: الغش من اللبن المغشوش وهو المخلوط بالماء تدليساً.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فإذا هو طعام رديء فقال: «بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة له ومعه قرد في السفينة وكان يشوب الخمر بالماء فأخذ القرد الكيس فصعد الذروة وفتح الكيس فجعل يأخذ ديناراً فيلقيه في السفينة وديناراً في البحر حتى جعله نصفين وفي الحديث: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» وفي الحديث: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرؤ مم أخذ المال من حلال أو من حرام» يا ابن آدم عينك مطلقة في الحرام ولسانك مطلق في الآثام وجسدك يتعب في كسب الحطام تيقظ يا مسكين مضى عمرك وأنت في غفلتك فأين الدليل على سلامتك.

عليك بالقصد لا تطلب مكاثره فالقصد أفضل شيء أنت طالبه
فالمرؤ يفرح بالدنيا وبهجتها ولا يفكر ما كانت عواقبه
حتى إذا ذهبت عنه وفارقها تبين الغبن فاشتدت مصائبه

قال السعدي قدس سره:

قناعت كن أي نفس براند كي كه سلطان ودرويش بيني يكى
مبر طاعت نفس شهوت پرست كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ الحجر بكسر الحاء اسم لأرض ثمود قوم صالح عليه السلام بين المدينة والشام عند وادي القرى، كانوا يسكنونها وكانوا عرباً، وكان صالح عليه السلام من أفضلهم نسباً فبعثه الله إليهم رسولاً وهو شاب فدعاهم حتى شمط ولم يتبعه إلا قليل مستضعفون.

كوى توفيق وسلامت درميان افكنده اند كس بميدان درنمى آيد سوار انراچه شد

فكذب أصحاب الحجر، أي: ثمود المرسلين أي صالحاً فإن من كذب واحداً من الأنبياء

فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، ونظيره قولهم فلان يلبس الثياب ويركب الدواب وما له إلا ثوب ودابة.

يقول الفقير: كما لا اختلاف بين الأنبياء في أصول الشرائع كذلك لا اختلاف بين الأولياء في أصول الحقائق بل وقد تتحد العبارات أيضاً إذ الكل آخذون من مشرب واحد مكاشفون عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومن فرق بنيهم كان مكذباً للكل.

بي خبر كازارايـن آزار اوست آب اين خم متصل بآب چوست

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وآتيناهم﴾ أي ثمود **﴿آياتنا﴾** هي الناقة كان فيها آيات كما قال الكاشفي [خروج ناقة ازسنك معجزه ايست مشتمل بربسيارى از غرائب چون بزركى خلقت كه هركز شترى بعظمت او نبوده وزادن بعد از خروج يعني ولادتها مثلها في العظم في الحال وبسيارى شيركه همه ثمودرا كافى بود وبر سرچاه آمدن آب در روز نوبت او وخوردن تمام آب را بيك نوبت].

قال في «الفتح القريب»: لما طال دعاؤه اقترحوا أن يخرج لهم الناقة آية فكان من أمرها وأمرهم ما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز. **﴿فكانوا عنها﴾** أي: عن تلك الآيات **﴿معرضين﴾** أعراضاً كلياً بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا، والإعراض [روى بكردانيد ازچيز] وكان عقر الناقة وقسم لحمها يوم الأربعاء.

قال ابن الجوزي: لا بالناقة اعتبروا ولا بتعويضهم اللبن شكروا عتوا عن المنعم وبطروا وعموا عن الكرم، فما نظروا وكلما رأوا آية من الآيات كفروا الطبع الخبيث لا يتغير والمقدر عليه ضلالة لا يزول. قال الحافظ:

بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

﴿وكانوا ينحتون﴾ النحت بالفارسي [بتراشيدن] **﴿من الجبال﴾** جمع جبل. وبالفارسية [كوه].

قال في «القاموس»: الجبل محركة كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فاكمة أوقنة **﴿بيوتاً﴾** جمع بيت وهي اسم مبني مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سواء كان حيطانه أربعة أو ثلاثة والدار تطلق على العرصة المجردة بلا ملاحظة البناء معها. **﴿آمنين﴾** من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها فهو حال مقدرة، أو من العذاب والحوادث لفرط غفلتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ أي صيحة جبريل فإنه صاح فيهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً.

وقيل: أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم، وفي سورة الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] أي الزلزلة ولعلها لوازم الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجاً شديداً يفضي إليها فهي مجاز عنها **﴿مصبحين﴾** حال من الضمير المنصوب أي داخلين في وقت الصبح في اليوم الرابع وهو يوم الأحد، والصبح يطلق على زمان ممتد إلى الضحوة وأول يوم من الثلاثة اصفرت وجوه القوم وفي الثاني احمرت وفي الثالث اسودت فلما كملت الثلاثة صح استعدادهم للفساد والهلاك

فكان اصفرار وجوه الأشقياء في موازنة أسفار وجوه السعداء قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨﴾ [عبس: ٣٨] ثم جاء في موازنة الاحمرار قوله تعالى في السعداء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ [عبس:٣٨ ـ ٣٩] فإن الضحك من الأسباب المولدة لاحمرار الوجوه فالضحك في السعداء احمرار الوجنات ثم جعل في موازنة تغيير بشرة الأشقياء بالسواد قوله تعالى: ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] وهو ما أثره السرور في بشرتهم كما أثر السواد في بشرة الأشقياء.

﴿فما أغنى عنهم﴾ أي لم يدفع عنهم ما نزل بهم يقال ما يغني عنك هذا أي ما يجدي عنك وما ينفعك ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوافرة والعدد المتكاثرة ـ روي ـ أن صالحاً عليه السلام انتقل بعد هلاك قومه إلى الشام بمن أسلم معه فنزلوا رملة فلسطين ثم انتقل إلى مكة فتوفي بها وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان أقام في قومه عشرين سنة.

وعن جابر رضي الله عنه، مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لنا «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء» ثم زجر رسول الله ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها، وكان هذا في غزوة تبوك خشي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم أن يجتازوا على تلك الديار غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار فنبه عليه الصلاة والسلام على أن الإنسان لا ينبغي له السكنى في أماكن الظلمة، مخافة أن يصيبهم بلاء فيصاب به أو تسرق طباعه من طباعهم، ولو كانت خالية منهم، لأن آثارهم مذكرة بأحوالهم وربما أورثت قسوة وجبروتا.

يقول الفقير: إذا كان لا ينبغي للمؤمن السكنى في أماكن الظلمة لا ينبغي له أداء الصلاة فيها ولا الحركة إليها بلا ضرورة قوية فإن الله تعالى خلق الأماكن على التفاوت كما خلق الأزمان كذلك وشأن التقوى العزيمة دون الرخصة، والمرؤ إذا أطلق أعضاءه الظاهرة أطلق قواه الباطنة وفيه اختلال الحال وميل القلب إلى ما سوى الله المتعال ولن يكون عارفاً إلا بالتوجه إلى الحضرة العلياء.

ذو النون المصري قدس سره [ميكويد روزي در أثناء سفر بدر شهري رسيدم خواستم كه دراندرون شهر روم ردر آن شهر كوشكى ديدم وجويي روان بنزديك جوى رفتم وطهارت كردم چون چشم بربام كوشك افتاد كنيزكى ديدم ايستاده درغايت حسن وجمال چون نظر أو بمن افتاد كفت أي ون النون چون ترا ازدور ديدم پنداشتم كه مجنوني وچون طهارت كردى تصور كردم كه عالمي وچون از طهارت فارغ شدى وپيش آمدي پنداشتم كه عارفي اكنون محقق شدم كه نه مجنوني ونه عالمي ونه عارفي فتم چرا كفت اكر ديونه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانهء بيكانه ونا محرم نكردى واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله مائل نبودي.

قال الخجندي:

سالك پاك رو نخوانندش ‌ ‌ آنكه از ما سوى منزه نيست

آستين كوتهى چه سودانرا ‌ ‌ كه زدنياش دست كوته نيست

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾.

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ أي بين جنسي السموات والأرضين ولو أراد بين أجزاء المذكور لقال بينهن.

وفيه إشارة إلى أن أصل السموات واحدة عند بعضهم ثم قسمت كذا في «الكواشي» ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً أو للحق والباء توضع موضع اللام يعني لينظر عبادي إليهما فيعتبروا.

دو چشم ازپى صنع بارى نكوست زعيب برادر فرو كير ودوست
در معرفت ديدۀ آدميست كه بكشوده بر آسمان وزميست

﴿وإن الساعة﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة كما في «المدارك».

وقال ابن ملك: هي اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم.

وقال ابن الشيخ: سميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافتها الأنفاس.

﴿لآتية﴾ لكائنة لا محالة، كما قيل: [كرچه قيامت دير آمد ولى مي آمد] أي فينتقم الله لك يا محمد فيها من أعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك وإياهم على سيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا ليجزي كل محسن بإحسانه وكل مسيء بإساءته ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ يقال صفح عنه عفا، وصفح أعرض وترك، أي فاعرض عن المكذبين إعراضاً جميلاً وتحميل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم.

قال الكاشفي يعني: [عفوكن حق نفس خودرا ودر صدد مكافات مباش].

﴿إن ربك﴾ الذي يبلغك إلى غاية الكمال ﴿هو الخلاق﴾ لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق.

قال الكاشفي: [اوست آفريننده خلائق وأفلاك نظم خالق أفلاك وأنجم بر علا مردم وديو وپرى ومرغ را].

خالق دريا ودشت وكوه وتيه ملكت او بي حد وأوبى شبيه
نقش اوكردست ونقاش من أوست غير اكر دعوى كندا وظلم جوست

﴿العليم﴾ [دانا بأهل وفاق ونفاق].

وفي «الإرشاد»: بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينهم.

وفي الآية أمر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً وأرجح الناس حلماً وأعظم الناس عفواً وأسخى الناس كفا.

قال الفضيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له إياك أعني فقال وعنك أعرض أشار إلى آية خذا العفو وائمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.

ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكاً رضي الله عنه ونال منه وحمل مغشيا وأفاق قال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ واستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي.

ولما قدم المنصور المدينة ناداه ليقتص له من جعفر فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها

سوط إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ.

قيل: الحلم ملح الأخلاق.

وكانت عائشة رضي الله عنها تبكي على جارية فقيل لها في ذلك فقالت أبكي حسرة على ما فاتني من تحمل السفه منها والحلم عن سوء خلقها فإنها سيئة الخلق.

والإشارة ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا مظهر الآيات الحق بالحق لأرباب الحق المكاشفين بصفات الحق فإنه لا شعور للسموات والأرض وما بينهما من غير الإنسان بأنها مظهر لآيات الحق وإنما الشعور بذلك للإنسان الكامل كما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠] وهم الذين خلص لب أخلاقهم الربانية من قشر صفاتهم الإنسانية وفيه معنى آخر ﴿وما خلقنا السموات﴾ أي سموات الأرواح ﴿والأرض﴾ أي أرض الأشباح ﴿وما بينهما﴾ من النفوس والقلوب والأسرار والخفيات ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا لمظهر الحق ومظهره الإنسان فإنه مخصوص به من بين سائر المخلوقات والمكونات لأنه بجميع مبانيه الظاهرة ومعانيه الباطنة مرآة لذات الحق تعالى وصفاته فهو مظهره عند التزكية والتصفية ومظهره عند التخلية والتحلية لشعوره بذلك كما كان حال من صقل مرآته عن صدأ أنانيته وتجلي بشهود هويته عند تجلي ربوبيته بالحق فقال أنا الحق ومن قال بعد فناء أنانيته عند بقاء السبحانية سبحاني ما أعظم شأني.

وفي قوله: ﴿وإن الساعة لآتية﴾ إشارة إلى أن قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من أصحاب الرياضات في مكابدة النفس ومجاهدتها لأن الطلب والصدق والاجتهاد من نتائج عشق القلب وإنه سيتعدى إلى النفس لكثرة الاجتهاد في رياضتها فتموت عن صفاتها في قيامة العشق ومن مات فقد قامت قيامته ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ يا أيها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بأن تواسيها وتدارسها ولا تحمل عليها إصراً ولا تحملها ما لا طاقة لها به فإن في قيامة العشق يحصل من تزكية العشق في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة لأن العشق جذبة الحق وقال ﷺ: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ يشير بالخلاق وهو للمبالغة إلى إنه تعالى خالق لصور المخلوقات ومعانيها وحقائقها العليم بمن خلقه مستعداً لمظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما له شعوره بهما كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿ولقد آتيناك﴾ قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت من بصري واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد بمكة فيها أنواع من البز وأفاوية الطيب والجوهر وأمتعة البحر فقالت المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله تعالى على أثرها. ﴿لا تمدن عينيك﴾ الآية كما في «أسباب النزول» للامام الواحدي [ودرتيسير آورده كه هفت كاروان قريش دريكروز بمكه در آمدند بامطاعم بسيار وملابس بيشمار ودر خاطر مبارك حضرت خطور فرمودكه مؤمنان راكرسنه وبرهنه كذرانند ومشركانرا

اين همه مال باشد] فقال الله تعالى: ﴿ولقد آتيناك﴾ يا محمد ﴿سبعاً﴾ هي الفاتحة لأنها مائة وثلاثة وعشرون حرفاً وخمس وعشرون كلمة وسبع آيات بالاتفاق غير أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من عكس. ﴿من المثاني﴾ وهي القرآن ومن للتبعيض كما قال تعالى في سورة الزمر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] جمع مثنى لأنه ثني فيه أي كرر في القرآن الوعد والوعيد والأمر والنهي والثواب والعقاب والقصص كما في «الكواشي» ﴿والقرآن العظيم﴾ [وديكر داديم ترا قرآن عظيم كه نزد ما قدر او بزرك وثواب أو بسيارت] وهو من عطف الكل على البعض وهو السبع ويجوز أن يكون من للبيان فالسبع هي المثاني كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] يعني: اجتنبوا الأوثان وتسمية الفاتحة مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة ولأنها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلاة من السورة والآيات لأن نصفها ثناء العبد لربه ونصفها عطاء الرب للعبد ويؤيد هذا الوجه قوله عليه السلام لأبي سعيد لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال ما هي قال: «الحمد لله رب العالمين وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وهذا يدل على جواز إطلاق القرآن على بعضه.

قال في «فتح القريب»: عطف القرآن على السبع المثاني ليس من باب عطف الشيء على نفسه وإنما هو من باب ذكر الشيء بوصفين أحدهما معطوف على الآخر أي هي الجامعة لهذين الوصفين.

يقول الفقير: لما كانت الفاتحة أعظم أبعاض القرآن من حيث اشتمالها على حقائقه صح اطلاق الكل عليها وأما كونها مثاني فباعتبار تكرر كل آية منها في كل ركعة ولا يبعد كل البعد أن يقال أن تسميتها بالمثاني باعتبار كونها من أوصاف القرآن والجزؤ إذا كان كأنه الكل صح اتصافه بما اتصف به الكل.

﴿لا تمدن عينيك﴾ أي: نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه أي ولا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك ﴿إلى ما متعنا به﴾ من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها إعجاباً به وتمنياً أن يكون لك مثله. ﴿أزواجاً منهم﴾ أصنافاً من الكفرة كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته من النبوة والقرآن والفضائل والكمالات مستحقر لا يعبأ به فإن ما أوتيته كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذت يعني قد أعطيت النعمة العظمى.

پيش درياي قدر حرمت تو نه محيط فلك حبابي نيست
داري آن سلطنت كه در نظرت ملك كونين در حسابي نيست

فاستغنِ بما أعطيت ولا تلتفت إلى متاع الدنيا ومنه الحديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ذكر الحافظ لهذا الحديث أربعة أوجه: أحدها أن المراد بالتغني رفع الصوت. والثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره من كتاب آخر ونحوه لفضله كما قال أبو بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً. والثالث: تغريد الصوت بحيث لا يخل بالمعنى فاختار رسول الله ﷺ أن يترك العرب التغني بالأشعار بقراءة القرآن على الصفة التي كانوا يعتادونها في قراءة الأشعار. والرابع: تحسين الصوت وتطييبه بالقراءة من غير تغريد الصوت ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على الكفرة حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين لأن مقدوري عليهم الكفر.

وقال الكاشفي: [واندوه مخور برياران خودبه بي نوايي ودرويشى] ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وارفق بهم وطب نفساً عن إيمان الأغنياء مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط.

قال في «تهذيب المصادر»: الخفض [فرو بردن] وهو ضد الرفع قال الله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝﴾ [الواقعة: ٣] أي ترفع قوماً إلى الجنة وتخفض قوماً إلى النار [ودر كشف الأسرار كفته كه خفض جناح كنايتست از خوش خويى ومقرراست كه خلعت خلق عظيم جزبر بالاي آن حضرت نيامده].

ذات ترا وصف نكو خوييست خوى توسرمايهٔ نيكوييست
روز ازل دوختـه حكيـم قديـم برقد تو خلعت خلق عظيم

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝﴾.

﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله.

وقال في «إنسان العيون» ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أن عيراً لأبي جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله وأصحابه ينظرون إليها وأكثر أصحابه بهم عرى وجوع فخطر ببال النبي عليه السلام شيء لحاجة أصحابه فنزلت، أي: أعطيناك سبعاً من المثاني مكان سبع قوافل فلا تنظر لما أعطيناه لأبي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن على أصحابك واخفض جناحك لهم فإن تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يحب من أسباب الدنيا.

ففي «زوائد الجامع الصغير» «لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات».

وفي لفظ «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» ذكر في خواص القرآن إنه إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر ومحيت بماء طاهر وغسل وجه المريض بها عوفي بإذن الله تعالى، وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج ومحيت بماء الورد وشرب ذلك الماء البليد الذهن الذي لا يحفظ سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما يسمع.

والإشارة قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو الإنسان الكامل. ﴿ولقد آتيناك سبعاً﴾ هي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والإرادة والقدرة ﴿من المثاني﴾ أي من خصوصية المثاني وهي المظهرية، والمظهرية لذاته وصفاته مختصة بالإنسان، فإن غير الإنسان لم توجد له المظهرية ولو كان ملكاً، ومن ههنا يكشف سر من أسرار وعلم آدم الأسماء كلها فمنها أسماء صفات الله وذاته، لأن آدم كان مظهرها ومظهرها وكان الملك مظهر بعض صفاته ولم يكن مظهراً ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فلما لم يكونوا مظهرها وكانوا مظهر بعضها ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] ولهذا السر اسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام ﴿والقرآن العظيم﴾ أي: حقائقه القائمة بذاته تعالى وخلقاً من أخلاقه القديمة بأن جعل القرآن العظيم خلقه العظيم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤] ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت كان خلقه القرآن وفي قوله: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما

متعنا به أزواجاً منهم﴾ إشارة إلى أن الله تعالى إذا أنعم على عبده ونبيه بهذه المقامات الكريمة والنعم العظيمة يكون من نتائجها أن لا يمد عينيه لا عين الجسماني ولا عين الروحاني إلى ما متع الله به أزواجاً من الدنيا والآخرة منهم أي من أهلها ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على ما فاته من مشاركتهم فيها كما كان حالة رسول الله ﷺ ليلة المعراج إذ يغشى السدرة ما يغشى من نعيم الدارين ما زاغ البصر برؤيتها وما طغى بالميل إليها ثم قال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ في هذا المقام قياماً بأداء تشكر نعم الله وتواضعا له لنزيدك بهما في النعمة والرفعة.

وفيه معنى آخر واخفض بعد وصولك إلى مقام المحبوبية جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لتبلغهم على جناح همتك العالية إلى مقام المحبوبية يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] كما في «التأويلات النجمية».

﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ هو من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام متعلق بقوله ولقد آتيناك لأنه بمعنى أنزلنا أي أنزلنا عليك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم إنزالاً مماثلاً لإنزال الكتابين على اليهود والنصارى المقتسمين.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿الذين جعلوا القرآن﴾ المنزل عليك يا محمد ﴿عضين﴾ أجزاء. وبالفارسية [پاره پاره يعني بخش كردند قرآنرا] والموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم أي قسموا القرآن إلى حق وباطل حيث قالوا عناداً وعدواناً بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. والغرض بيان المماثلة بين الآيتين لا بين متعلقيهما كما في «الصلوات الخليلية» فإن التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله الفائضة على إبراهيم وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وإنما ذلك للتقدم في الوجود فليس في التشبيه إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني فإنه عليه الصلاة والسلام أوتي ما لم يؤت أحد قبله ولا بعد مثله. وعضين جمع عضة هي الفرقة والقطعة أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء، وإنما جمعت جمع السلامة جبراً للمحذوف وهو الواو كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم هذا.

وقد قال بعضهم: المقتسمون اثنا عشر أو ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام موسم الحج فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على أبوابها فإذا جاء الحاج قال واحد منهم لا تغتروا بهذا الرجل فإنه مجنون وقال آخر كاهن وآخر عرّاف وآخر شاعر وآخر ساحر فثبط كل واحد منهم الناس عن اتباعه عليه الصلاة والسلام ووقعوا فيه عندهم فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وعلى هذا فيكون الموصول مفعولاً أولاً لأنذر الذي تضمنه النذير أي أنذر لمعضين الذين يجزؤون القرآن إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين مثل ما أنزلنا على المقتسمين أي سننزل على أن يجعل المتوقع كالواقع وهو من الاعجاز لأنه إخبار بما سيكون، وقد كان وهذا المعنى هو الأظهر ذكره ابن إسحاق كذا في «التكملة» لابن عساكر.

﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين**﴾ أي لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع بأن يقال لم فعلتم وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمان: ٣٩] أي: لا يسألون أي شيء فعلتم ليعلم ذلك من جهتهم لأن سؤال الاستعلام محال على الملك العلام ويجوز أن يكون السؤال مجازاً عن المجازاة لأنه سببها.

﴿**عما كانوا يعملون**﴾ في الدنيا من قول وفعل وترك.

وقال في «بحر العلوم» فإن قلت: قد ناقض هذا قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمان: ٣٩] قلت إن يوم القيامة يوم ويل مقدار خمسين ألف سنة ففيه أزمان وأحوال مختلفة في بعضها لا يسألون ولا يتكلمون كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «تمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا تتكلمون» وفيها بعضها يسألون ويتساءلون قال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧] وفي بعضها يتخاصمون.

وقال كثير من العلماء: يسألهم عن لا إله إلا الله وهي كلمة النجاة وهي كلمة الله العليا لو وضعت في كفة والسموات والأرضون السبع في كفة لرجحت بهن من قالها مرة غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر. قال المغربي:

اكـرچـه آيـنـهٔ داري از بـراي رخـش ولى چه سودكه دارى هميشه آينه تار
بـيـا بـصـيـقـل تـوحـيـد زآيـنـه بـردار غـبـار شـرك كه تـاپـاك كـردد از ژنـكـار

وفي «التأويلات النجمية»: كان النبي عليه الصلاة والسلام مأموراً بإظهار مقامه وهو النبوة وبتعريف نفسه أنه نذير للكافرين كما أنه بشير للمؤمنين وأنه لما أمر بالرحمة والشفقة ولين الجانب للمؤمنين بقوله: ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾ إظهاراً للعطف أمر بالتهديد والوعيد والإنذار بالعذاب للكافرين إظهاراً للقهر بقوله: ﴿**وقل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين**﴾ أي ننزل عليكم العذاب كما أنزلنا على المقتسمين وهم الذين اقتسموا قهر الله المنزل على أنفسهم بالأعمال الطبيعية غير الشرعية فإنها مظهر قهر الله وخزانته كما أن الأعمال الشرعية مظهر لطف الله وخزانته فمن قرع باب خزانة اللطف أكرم به وأنعم به عليه ومن دق باب خزانة القهر أهين به وعذب، ثم أخبر عن أعمالهم التي اقتسموا قهر الله بها على أنفسهم بقوله: ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ أي جزأوه أجزاء في الاستعمال فقوم قرأه وداموا على تلاوة ليقال لهم القراء وبه يأكلون، وقوم حفظوه بالقراآت ليقال لهم الحافظ وبه يأكلون، وقوم حصلوا تفسيره وتأويله طلباً للشهرة وإظهاراً للفضل ليأكلوا به، وقوم استخرجوا معانيه واستنبطوا فقهه وبه يأكلون وقوم شرعوا في قصصه وإخباره ومواعظه وحكمه وبه يأكلون وقوم أولوه على وفق مذاهبهم وفسروه بآرائهم فكفروا لذلك، ثم قال ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ إنما عملوه بالله وفي الله ولله أو بالطبع في متابعة النفس للمنافع الدنيوية نظيره قوله ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] انتهى ما في «التأويلات».

قوله عن صدقهم أي عنده تعالى لا عندهم كذا فسره الجنيد قدس سره وهو معنى لطيف عميق فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صعب فنسأل الله تعالى أن يجعل إسلامنا وصدقاً حقيقياً مقبولاً لا اعتبارياً مردوداً.

وعن أبي القاسم الفقيه أنه قال: أجمع العلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض، الإسلام الخالص عن الظلمة، وطيب الغذاء، والصدق لله في الأعمال.

قال في «درياق الذنوب»: وكان عمر بن عبد العزيز يخاف مع العدل ولا يأمن العدول رؤي في المنام بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال الآن تخلصت من حسابي فاعتبر من هذا يا من أكب على الأذى.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ما موصولة والعائد محذوف أي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع أي تكلم به جهاراً وأظهره، وبالفارسية [پس آشكارا كن وبظاهر قيام نماى بآنچه فرستاده اند ازاوامر ونواهي] يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديع وهو الفجر أي الصبح، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل واكشف الحق وأبنه من غيره من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة كما قال في «القاموس» الصدع الشق في شيء صلب ثم قال وقوله تعالى: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** أي شق جماعاتهم بالتوحيد.

وفي «تفسير أبي الليث» كان رسول الله عليه السلام قبل نزول هذه الآية مستخفياً لا يظهر شيئاً مما نزل الله تعالى حتى نزل **﴿فاصدع بما تؤمر﴾**.

يقول الفقير: كان عليه الصلاة والسلام مأموراً بإظهار ما كان من قبيل الشرائع والأحكام لا ما كان من قبيل المعارف والحقائق فإنه كان مأموراً بإخفائه إلا لأهله من خواص الأمة وقد توارثه العلماء بالله إلى هذا الآن كا قال المولى الجامي:

رسيد جان بلب ودم نمى توانم زد   كه سر عشق همي ترسم آشكار شود

وأما ما صدر من بعضهم من دعوى المأمورية في إظهار بعض الأمور الباعثة على تفرق الناس واختلافهم في الدين فمن الجهل بالمراتب، وعدم التميز بين ما كان ملكياً ورحمانياً، وبين ما كان نفسانياً وشيطانياً فإن الطريق والمسلك والمطلب عزيز المنال والله الهادي إلى حقيقة الحال.

نكتهٔ عرفان مجو از خاطر آلودكان   جوهر مقصود را دلهاي پاك آمد صدف

﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد الانتقام منهم.

فإن قلت: قد دعا النبي عليه الصلاة والسلام على بعض الكفار فاستجيب له كما روي أنه مر بالحكم بن العاص فجعل الحكم يغمز به عليه السلام فرآه فقال: «اللهم اجعل به وزغاً» فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وهذا لا ينافي ما هو عليه من الحلم والإغضاء على ما يكره.

قلت: ظهر له في ذلك إذن من الله تعالى ففعل ما فعل وهكذا جميع أفعاله وأقواله فإن الوارث الكامل لا يصدر منه إلا ما فيه إذن الله تعالى فما ظنك بأكمل الخلق علماً وعملاً وحالاً.

﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم واهلاكهم، قال الكاشفي: [بدرستى كه ما كافيت كرديم ازتوشر استهزا كنندكان] **﴿الذين يجعلون مع الله﴾** [آنانكه ميزنند وشريك ميكنند باخداي حق] **﴿إلهاً آخر﴾** [خداي ديكر باطل] يعني الأصنام وغيرها والموصول منصوب بأنه صفة

المستهزئين ووصفهم بذلك تسلية لرسول الله ﷺ وتهويناً للخطب عليه بإعلامه أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجترأوا على العظيمة التي هي الإشراك الله سبحانه.

﴿فسوف يعلمون﴾ [پس زود بدانند عاقبت كارو بينند مكافات كردار خودرا] فهو عبارة عن الوعيد وسوف ولعل وعسى في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ولا مجال للشك بعده فعلى هذا جرى وعد الله ووعيده والجمهور على أنها نزلت في خمسة نفر ذوي شأن وخطر، كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله في يوم واحد وكان اهلاكهم قبل بدر منهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه، كان يخلج خلف رسول الله بأنفه وفمه يسخر به فخرج في يوم مطير على راحلة مع ابنين له فنزل شعباً من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الأرض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئاً فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه، ومنهم الحارث بن القيس بن العطيلة أكل حوتاً مالحاً فأصابه عطش شديد فلم يزل يشرب الماء حتى انقد أي انشق بطنه فمات في مكانه، ومنهم الأسود بن المطلب بن الحارث خرج مع غلام له فأتاه جبريل وهو قاعد إلى أصل شجرة فجعل ينطح أي يضرب جبريل رأسه على الشجرة وكان يستغيث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك فمات مكانه وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي وأصحابه ويصفرون إذا رأوه، ومنهم أسود بن عبد يغوث خرج من أهله فأصابه السموم فاسود حتى صار كالفحم وأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب ولم يدخلوه دارهم حتى مات.

قال في «إنسان العيون»: هو أي الأسود هذا ابن خال النبي عليه الصلاة والسلام، وكان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الأرض الذين يدنون كسرى وقيصر وذلك لأن ثياب الصحابة كانت رثة وعيشهم خشناً، ومنهم الوليد بن المغيرة والد خالد رضي الله عنه وعم أبي جهل خرج يتبختر في مشيته حتى وقف على رجل يعمل السهام فتعلق سهم في ثوبه فلم ينقلب لينحيه تعاظماً، فأخذ طرف ردائه ليجعله على كتفه فأصاب السهم أكحله فقطعه ثم لم ينقطع عنه الدم حتى مات.

وقال الكاشفي في «تفسيره»: [آورده اندكه پنج تن از اشراف قريش در ايذاء وآزارسيد عالم ﷺ بسيار كوشيدندى وهرجاه ويرا ديدندى بفسوس واستهزاء پيش آمدندى روزى آن حضرت در مسجد حرام نشسته بودبا جبرائيل اين پنج تن بر آمدند وبدستور معهود سخنان كفته بطواف حرم مشغول شدند جبرائيل فرمود يا رسول الله مرا فرموده اندكه شر ايشانرا كفايت كنم پس اشارت كرد بساق وليد بن مغيرة وبكف پاىٔ عاص بن وائل وبه بيني حارث بن قيس وبروي أسود بن عبد يغوث وبچشم أسود بن مطلب وهو پنج ازيشان درانداك زماني هلاك شدند وليد بدكان تير تراشى بكذشت وپيكانى دردا من او آويخت ازروى عظمت سر زير نكردكه از جامه باز كند آن پيكان ساق ويرا مجروح ساخت ورك شرياني ازان بريده كشت وبدوزخ رفت وخارى در كف پاىٔ عاصم خليده پايش ورم كردوبدان بمرد واز بيني حارث خون وقيح روان شدوجان بداد وأسود روى خودرا بخاك وخاشاك ميزد تاهلاك شد وچشم أسود بن مطلب نابيناشد از غضب سربر زمين زدتاجانش بر آمد] وحينئذٍ يكون معنى كفاية هذا له عليه الصلاة والسلام أنه لم يسع ولم يتكلف في تحصيل ذلك كما في «إنسان العيون» وهؤلاء هم المرادون بقوله ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وإن كان المستهزئون غير منحصرين فيهم

فقد جاء أن أبا جهل وأبا لهب وعقبة والحكم بن العاص ونحوهم كانوا مستهزئين برسول الله ﷺ في أكثر الأوقات بكل ما أمكن لهم من طرح القذر على بابه والغمز ونحوهما. وفي «المثنوي»:

آن دهان كژكردواز تسخر بخواند | مر محمد را دهانش كژبماند
باز آمد كاى محمد عفو كن | اي ترا الطاف وعلم من لدن
من تر افسوس مي كردم زجهل | من بدم افسوس رامنسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد | ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد
ورخدا خواهدكه پوشد عيب كس | كم زند درعيب معيوبان نفس

وفي «التأويلات» ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة للخليقة ويراؤون أنهم لله يعملون استهزاء بدين الله، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٥ ـ ١٦] لأنهم ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾ وهو الخلق والهوى والدنيا في استعمال الشريعة بالطبيعة ﴿فسوف يعلمون﴾ حين يجازيهم الله بما يعملون لمن عملوا كما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار | أفرس تحتك ام حمار

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك﴾ [تنك ميشود سينهٔ تر] ﴿بما يقولون﴾ [بآنچه كافران ميكويند] من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك وبه: يعني [دشوارمى آيد ترا كفتار كفار] وادخل قد توكيداً لعلمه بما هو عليه من ضيق الصدر بما يقولون ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعد والوعيد لهم. ذكر ابن الحاجب أنهم نقلوا قد إذا دخلت على المضارع من التقليل إلى التحقيق كما أن ربما في المضارع نقلت من التقليل إلى التحقيق.

﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع إليه تعالى والتجىء فيما نابك أي نزل بك من ضيق الصدر والحرج، بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده.

قال الكاشفي [پس تسبيح كن تسبيحي مقترن بحمد پرورد كارتو يعني بكوسبحان الله والحمد لله] واعلم أن سبحان الله كلمة مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان من أسمائه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذي سلم من كل آفة والحمد لله كلمة مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحوها فهو مندرج تحتها فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك ـ روي ـ أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة أي لجأ.

وفي «بحر العلوم» وكن من الذين يكثرون السجود له لأن المراد بالساجدين الكاملون في السجود المبالغون فيه وذلك ما يكون إلا بإكثاره.

يقول الفقير: كثرة السجود في الظاهر باعثة لدوام التوجه إلى الله وهو المطلوب هذا باعتبار الابتداء وأما باعتبار الانتهاء فالذي وصل إلى دوام الحضور يجد في نفسه تطبيق حاله

بالظاهر فلا يزال يسجد شكراً آناء الليل وأطراف النهار لا تعب ولا كلفة ويجد في صلاته ذوقاً لا يجده حين فراغه منها.

لـيـلـة ذوق سـجـدهٔ پـيـش خـدا خـوشـتـر آيـد ازدوصـد دولـت تـرا

قال الكاشفي: [صاحب كشف الأسرار آورده كه ازتنكد لىء توآكاهيم وآنچه بتومير سدا زغصهٔ بيكانكان خبر داريم توبحضور دل بنماز درآى كه ميدن مشاهده است وبامشاهدهٔ دوست بار بلا كشيدن آسان باشد يكى از پيران طريقت كفته كه درباز ار بغداد ديدم كه يكى راصد تازيانه زدند آهى نكرد ازوى پرسيدم كه اي جوانمردان همه زخم خوردى وتناليدى كفت آرى شيخا معذورم داركه معشوقم در برا بر بود وميديدكه مرا براى أو ميزنند از نظارهٔ وى بالم زحم شعور نداشتم]

تـوتـيـغ مـيـزن وبـكـذار تـا مـن بـيـدل نـظـارهٔ كـنـم آن چـهـرهٔ نـكـاريـن را

قال في «شرح الحكم» ما تجده القلوب من الهموم والأحزان يعني عند فقدان مرادها وتشويش معتادها فلأجل ما منعت من وجود العيان إذ لو عاينت جمال الفاعل جمل عليها ألم البعد كما اتفق في قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن ـ ويحكى ـ أن شاباً ضرب تسعة وتسعين سوطاً ما صاح ولا استغاث ولا تأوه فلما ضرب الواحدة التي كملت بها المائة صاح واستغاث فتبعه الشبلي قدس سره فسأله عن أمره فقال إن العين التي ضربت من أجلها كانت تنظر إلي في التسعة والتسعين وفي الواحدة حجبت عني وقد قال الشبلي من عرف الله لا يكون عليه غم أبداً.

﴿واعبد ربك﴾ دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى **﴿حتى يأتيك اليقين﴾** أي: الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق ويزول بنزوله كل شك وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي طالب للوصول إليه. والمعنى دم على العبادة ما دمت حياً من غير اخلال بها لحظة كقوله: ﴿وَأَوْصَنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ووقت العبادة بالموت لئلا يتوهم أن لها نهاية دون الموت فإذا مات انقطع عنه عمله وبقي ثوابه، وهذا بالنسبة إلى مرتبة الشريعة. وأما الحقيقة فباقية في كل موطن إذ هي حال القلب والقلب من الملكوت ولا يعرض الفناء والانقطاع لأحوال الملكوت نسأل الله الوصول إليه والاعتماد في كل شيء عليه، وفي الحديث: «ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكن من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن **﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**».

وفي «التأويلات النجمية» **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك﴾** من ضيق البشرية وغاية الشفقة وكمال الغيرة **﴿بما يقولون﴾** من أقوال الأخيار ويعملون عمل الأشرار **﴿فسبح بحمد ربك﴾** أنك لست منهم **﴿وكن من الساجدين﴾** لله سجدة الشكر **﴿واعبد ربك﴾** بالإخلاص **﴿حتى يأتيك اليقين﴾** أي إلى الأبد وذلك أن حقيقة اليقين المعرفة ولا نهاية لمقامات المعرفة فكما أن الواصل إلى مقام من مقامات المعرفة يأتيه يقين بذلك المقام في المعرفة كذلك يأتيه شك بمعرفة مقام آخر في المعرفة فيحتاج إلى يقين آخر في إزالة هذا الشك إلى ما لا يتناهى فثبت أن اليقين ههنا إشارة إلى الأبد انتهى كلامه.

قال في «العوارف» منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف في العمر القصير الدنيوي.

اي برادر بي نهايت در كهيست   هر كجاكه ميرسى بالله مائست

قيل: اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء وحقيقة

حق اليقين اختص بها نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم

تمت سورة الحجر في الثالث عشر من شهر ربيع الأول في سنة أربع ومائة وألف

تم المجلد الرابع بتوفيق الله تعالى من تفسير القرآن المسمى بـ «روح البيان» ويليه المجلد الخامس إن شاء الله تعالى أوله تفسير سورة النحل

فهرس السور والآيات

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم